

ج ٢٠١، ٢٠ رجب / شعبان ١٤٠٥هـ - نيسان / أيار (أبريل/مايو) ١٩٨٥م

العرب في عامها العشرين

[لم أتمالك - حين بدأت بقراءة ما كتبه أستاذنا الجليل - أن أحس إحساساً غريباً بأنني أصبحت في عداد من يؤمنون بذكر محاسن أعمالهم ، خالية من الشوائب . وحاولت أن أمر بالقلم - كما دقي في غير ما يكتبه أستاذنا الطاهر - على كثير من الجمل - فهبت هذا الأمر ، لأنني أقدر الأستاذ وأجله إلى درجة المهابة ، فهو عالم أوجد - باحترامه لنفسه علماً وخلقاً - ما أوجب على من عرفه أن يحترمه ويحمله ، ويحمله بين العلماء منزلة سامية استحق عن جدارة أن يحلها . ومن ذا الذي لا يعرف ما بلغه الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر في عالم الثقافة العربية من منزلة ؟ !

إن من السذاجة أن يتظاهر المرء بأنه لا يجب أن تذكر أعماله ذكر إطراء وثناء ، ولا سيما إذا صدر هذا من عالم جليل ، يدرك ما سيكون لقوله من أثر ، ويعلم حق العلم منزلة هذا القول ، وموقعه في نفوس عارفيه ، وهم في القمة من رجال العلم والأدب . ولكن هل يجعل بي أن أقف من هذا الأمر موقف الأعرابي الذي سمع الثناء على حسن صلاته - وما ذاك من عادة الأعراب - فالتفت وهو في الصلاة نحو المثنين قائلاً : ومع ذلك فأنا صائم !! ولو جاز تقارض الثناء في هذا المقام لما أخفيت أمراً يدركه من واكب سير مجلة « العرب » في سنيها الماضية من قرائها ، ممن استمتع واستفاد واستزاد مما دججه قلم أستاذنا الطاهر ، مما أصبح أوثق مصدر وأشمله في جانب من جوانب ثقافة الأمة العربية في قلب بلادها ، بل دعامة من دعائم علمها وأدبها وتراثها خلال فترة من الزمن تكاد تكون مهلة منسية . فضلاً عما كان للأستاذ من حسن التوجيه والرعاية والحث على مواصلة العمل ، والتنبيه على ما يحدث فيه من خلل . وبعد : فلعل من الخير للقرءاء أن أظهر أمامهم بصورة ذلك الأعرابي ، فأمتمهم بمقال أستاذنا الطاهر سوياً - كما أراده من أن تبلغ بي الجرأة على مقامه بالتصرف - حذفاً أو تغييراً] .

أنت ، أخي العزيز خارج الجزيرة ، بل خارجها وداخلها ، لا تعرف « العرب » ولا تعرف « الجاسر » أقولها بهذه الصراحة ، وهذه الجرأة ، وأبدأ

بأبناء الجزيرة نفسها ، وبتجّد وبالرياض ، وبالبرود . الجاسر ، الشيخ حمد الجاسر معروف جداً . هذا صحيح ، ويقرّن اسمه بالإعجاب بما عمل والتقدير لما قال ، والحب على ما سلك ؛ وتمتدُّ ألقابه من الشيخ والأستاذ إلى العلامة وعلامة الجزيرة العربية .

وما للمتحدث بذلك من فضل ، لأنه لم يزد في تعريف الجاسر ، ولم يبالغ في تحديد منزلته ؛ وإنما الفضل ، كل الفضل ، للجاسر نفسه حيث جدّ واجتهد ، وكافح وناضل ، ومهدّ الطرق وشقها واجتاز عقباتها ، مُصَحِّحاً بالوقت وبالمال وبالجاء ، مطمئناً إلى أن مكانته الطبيعي المقرّن بزمانه الطبيعي المتفق مع الجاه الطبيعي إنما هو بالصبر الطويل والدأب المتصل ؛ هو بالبحث والتنقيب ؛ وهو باستغلال الثروات الفطرية الكاثنة فيه ؛ هو بالصبر والدأب في شوق وارتياح وحب وأنسٍ وبُلهَنَسِيَّةٍ ونشوة . وهذا هو الذي حدث ، وهو الذي أجدى ؛ وإلا فكيف يبلغ امرؤ (معدم) هذه المنزلة العلمية مصحوبة بالمنزلة الاجتماعية مقرونة بالإعجاب والتعجب ؟ كيف تنصاع لامرئٍ فلاح في زاوية ضائعة من العالم هذه الحضارة التي تتحدّى حضارة الغربي وتبذلها عمقاً بحث وسعة أفق ، وجمال سلوك . كيف ؟ وكيف يستوعب هذا المرء — على وجه الدقة والوعي والذكاء وحسن التصريف — أسرار جزيرة مترامية الأطراف عريقة الميلاد . في مواقعها مذ كانت ، وفي أحداثها مهما نالت ، وفي قبائلها على تشابكها ... يستوعب الجزيرة فيما هو بداخلها ، وفيما هو في خارجها ، وفي أي أمرٍ يمت إليها بأية صلة . وله في كل ذلك الموقف الحازم الجازم ، والرأي الراجح الحاسم ، مع كياسة الصلات ونضج المحاور . وإنه ليمجدُ السليم من النظر والصحيح من العلم في أي موضوع كان ويكون ، وفي أية صورة من الإيجاب والسلب ؛ ويفضح الخطأ من أية جهة صدر ، وفي أي بحث استقر . الاستيعاب لديه ذكاء ، والذكاء خلق ، والخلق حضارة .

عجيب أمر هذا الصبي المسمى حمد بن محمد الجاسر مُذْ هَجَرَ البرود

إلى الرياض ، إلى مكة ؛ ومذ صار معلما وقاضيا ومشرفا ومديرا للتعليم ، ومديرا
لكليتي الشريعة واللغة العربية ، فهو أستاذ الجليل بنجد بانظـار المدى الأوسع
والتقدير الأجمع وقد هجر الوظيفة نَحْوَ ما هو أجمل منها وأجدى ، إلى
صحافة رائدة في الرياض (الإمامة) ، ومطبعة أولى (مطابع الرياض) وإلى
تصحيح الخطأ في الكتب والمناهج والتقاليد ، تَقْعِيداً للقواعد ورياضة للأعصاب
وتنويراً للأذهان ... وتوسيعاً للآفاق . وهو في كل ذلك هو المخلص لقومه
حتى لو ساء ظن فلان به وفلان ، وما أسرع ما يعود سوء الظن حسنا ، ويعرف
الضال خطأه ، ويعتذر علنا أو سرا

يصل ما يكتبه حمد الجاسر إلى مَنْ يُقَدِّرُهُ داخل الجزيرة فيعجب - وقد
يحسد ويغتاظ ؛ وإلى من يفهمه خارج الجزيرة فيبلغه احترامه بوجه من الوجوه ،
ومن هذه الوجوه الرسالة ، والمساءلة ، والاستزادة ، والاستعانة على أعلى
المستويات . وهل أعلى من المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وما جَدَّ
ويَجِدُّ بعدها . يتحدث فيستمعون إليه ، يأخذون عنه ، ويملاؤن بعلمه
فراغا لا يَسُدُّهُ غيره ، وألواحاً تبقى عاطلة بغير حُلِيَّةٍ .

ويهتبل ، هو نفسه ، إقامة هنا وهناك لاكتساب علم جديد ، لأنه يطلب
ما بقي فيه رفق ، ويسعى إلى التعلم قبل التعليم ، وهكذا تراه حيث أقام ،
قصيراً أو طويلاً ، يقرأ ويقتبس وينسخ ويصور ويقتني ، وشغله الشاغل الجزيرة ،
وما الجزيرة بالبقعة الضيِّقة المساحة ، الحديثة الميلاد . أنها ، والعالم كله يعرف
ما هي .

يقيم في القاهرة كما يقيم في بغداد ؛ كما يقيم في استانبول ... ولا ولن
تبعد عنه مكـتبات أوربة أو أمريكا في مطبوعاتها ومخطوطاتها وفي وقوف عليها
حيث هي ، وأهلاً بالمشاق في سبيل ذلك ، وما أحلاها ! وسهلاً ومرحبا !!

وينشر المقالة هنا وهناك ، داخل الجزيرة وخارجها في مجلات الوزن

العالي من البحث والمكانة ، ويلقي المحاضرة هناك وهنا في المنتديات الرفيعة التي تعرف وزن الرجل ووزن العلم الذي يحاضر فيه .

أنت ، أخي العزيز ، خارج الجزيرة ، بل خارجها وداخلها لا تعرف « العرب » ولا تعرف الجاسر . ستقول : كيف لا أعرف الجاسر وقد ذكرت من خبّره ماذكرت . وأقول : جرى كل ذلك وأنت - أنت المثقف القاري المتابع للجرائد والمجلات فتعرف أموراً كثيرة ، وتعرف أعلاما كثيرين - ولكنك لم تعرف رجلا اسمه حمد الجاسر على وجه الشيوخ والذيوخ ، وعلى الدرجة التي هولها . أما الذين ذكرتهم ممن عرفه حق المعرفة فهم قلة محدودة معدودة خارج الجزيرة متصلا بداخلها ، ولم تكن أنت - وأنا وملايين مثلنا - من تلك القلة . لأنك لم تعتد أن تصل إلى الحقائق عن سبها ، وتأخذ العلم من مصادره ، وتميز من يدعو لنفسه ممن لا يدعو . إنَّ من شأن ثقافة ليست ثقافة أن تجهل رجلا اسمه حمد الجاسر وربما استهانت بعلمه إذا وُصفَ لها .

ولكن لنتنظر - كما انتظر الرجل نفسه - فلن يضع حق هو حق ، ولن يخفى قمر هو قمر . وها هي ذي الدائرة تتسع ، وتتسع فإذا حمد بن محمد (حمد الجاسر) الشيخ حمد الجاسر ، الشيخ الجاسر ، الأستاذ ، العلامة ، علامة الجزيرة العربية . وليس لك - أو لي - في ذلك فضل ، وإنما الفضل ، كل الفضل ، لحمد بن محمد نفسه ، بما سعى وطمح إليه ، وجد وطمع به ، وبما تواضع فارتفع ، ولما صبر فظفر . إنه الآن ، ومنذ سنوات غير قليلة ملء نجد والحجاز ، وملء الجزيرة ... وملء السمع والبصر ...

ويبقى العتاب لدرجة الحساب مع قوم يقعون خارج الجزيرة ويهمهم العلم بالجزيرة ولكنهم ينتظرون أن يصل الخبر إلى يوتهم ، وأن تزحف المعرفة زحفاً وقصداً إلى ماويهم ، فلا يخطون خطوة ، ولا يكلفون أنفسهم قليلا . وليس المفروض برجل جليل كالجاسر أن يمر بهم بيتاً بيتاً معلنا عن نفسه : أنا فلان ، كتبت في المجلة الفلانية ، حاضرت في المجمع الفلاني ، أحدثكم بما شئتم عن

الموقع الفلاني ، وعن القبيلة الفلانية ، والحادثة ، والشاعر ، والمؤرخ ، والفقيه ،
والتشريع ، والمطبوع والمخطوط في يسر وطلاقة ، فيما ظهر من الأمر وما بطن
في هدوء ، وقد أشتد لدى فصاحة الشدة ، وفي لين وقد أقسو لدى بلاغة القسوة .
فأنا - كما أود أن تعلموا - معلم في بداية أمري ، وسأظل معلماً ... متعلماً .

أجل ، ولا بُدَّ من أن ندرك الفرق بين من يأتي إليك (يخذعك) ومن
تذهب إليه (ينفعك) .

ولا فطيل ، ولا نُمّاحك ، ولا نرمي بالذنب من لم يكن مذنباً ... ونبتعد
عن المصدر وقد صار قريباً . فقد قرر الشيخ حمد الجاسر قراراً متحضرّاً آخر ،
بعد « اليمامة » و « مطابع الرياض » ، ونشر المقالات ، وإلقاء المحاضرات
واقترناء المطبوع النادر ، والمخطوط الذي لا يعرفه غيره ... قرر وهو في عزِّ
الكهولة أن ينشيء داراً يسميها (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ويصدر
مجلة يدعوها « العرب » - تعني بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري .
ولا نستطيع - أنا ولا أنت - أن ندرك عظم المشروع ، وإن قدرنا عظمه لم
نقدر متاعبه ومخاطره ، وإن قدرنا متاعبه ومخاطره لم نَسْبِرْ غوره ونبلغ
قعره . ويكفي ألا تكون المملكة كلها - ونحن في ستينيات القرن الهجري /
وثمانينيات القرن الميلادي - مكاناً للتنفيذ . فأين المطبعة اللازمة ؟ وهذا أول ما يجب
أما الكاتب فقد ضمنه الرجل في نفسه ، فهو الكاتب - على المفرد ، وهو الكتاب -
على الجمع . وبعْدَ المطبعة الموقع المناسب للإيصال ، فأين ؟ وأين ؟

لِتَكُنْ - إذن - بيروت المحطة المختارة . وهكذا صدر الجزء الأول
من « العرب » في رجب ١٣٨٦ - تشرين الأول ١٩٦٦ - (مجلة شهرية جامعة)
وتتابعت أجزاءها . مقرونة بتوالي المنشورات : تاريخ بعض الحوادث الواقعة
في نجد - مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ - بلاد ينبع . البرق اليماني في الفتح
العثماني . المغانم المطابة من معالم طابة - القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد ...
أبو علي الهجري في سرة غامد وزهران ...

لا أحدثك عن الصعاب لأنني لا أعرفها جيداً ، وإذا لمحت الظواهر فلأنني عاجز عن البواطن ، وإنما الذي لا شك فيه أنها لو استمرت واستعصت واستحكمت فحالت دون الاستئناف ، لكانت الخسارة بها مضاعفة والفجيرة متصلة والمصائب ضخمة ، وأضخم منها من يعتليها ... فتكون له منشورات ومؤلفات ومجلة ...

ونعود ، مع المجلة ، إلى السياق ، والسياق عجب وإعجاب ، واحترام وتقدير لظاهرة تنصف بالفراة والفاذة ... وهي أن رجلاً واحداً (لا يعرف تاريخ ميلاده إلاّ تقريباً ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) خرج من أعماق قرية ضائعة في طوايا جزيرة شاسعة - ينهض وحده بمجلة رصينة راقية نادرة ، يغذيها - إذا تركنا المنشورات - ويشبعها ويسمنها ورصيده قلمه ؛ ويسهر عليها وماله من نصير ، ويتقدم بها وما يكون لها من نظير ... مدى عشرين عاماً ، وعلى مدى ما يتمتع به من صحة ونظر وقلب ، وعلى الرغم مما انتاب الصحة وعكر النظر وفاجأ القلب .

وبعد ...

فلقد أمضى الرجل أكثر من خمسين عاماً من عمره المديد استعداداً لمشروعه المتميز في مجلة « العرب » ، وأمضى أكثر من عشرين عاماً بعدها يُغذّي المشروع ويشبعه ويسمنه من صحته وبصره وقلبه . وهو اليوم إذ يبلغ - أو يتجاوز الخامسة والسبعين ميلاً (السابعة أو الثامنة والسبعين هجرياً) فإنه يطلب الصحة العامة بكل الوسائل ، ومهما يكلف الأمر من أجل أن تبقى « العرب » كما يريد ، وكأنه لا يرى الحياة تطيب بدونها حتى لو دعاه مجبوه إلى أن يخفف من غلوائه ، وألاّ يدع مجالاً لحب أن ينهض على حساب حب .

حبّ ينهض على حساب حبّ - ما معنى هذه العبارة ؟ أشهد أنها غامضة لا توصل ولا تبلغ ، وأعترف كذلك أنني صرفت في صياغتها وقتاً طويلاً ، وشغلت بها واعياً وغير واع وكأن شيئاً يعترض الوضوح ، وإنه لكذلك ، ولكنه

ليس بغيبضا ، لأنه يدخل في باب (الأدب) ، وربما حالت حصافة دون فصاحة ،
ومنعت لباقة لباقة !

ومضى يوم كامل وحسبني (وجدتها) كافية شافية إذ فهمت منها :
أننا وقد أحببنا الجاسر بـ « العرب » لا نريد أن نحب العرب بالجاسر ! فما وجدتها
إذ وجدتها ، وما زال الغموض يكشف العبارة ، ولا تكاد اللاحقة تختلف
عن السابقة ، ولا بد من شرح جديد فقد بات الجاسر عزيزاً علينا ، ولا نريد
أن تجور مجلة على صاحبها ، لقد أدنى الرجل الواجب وتعداه إلى توضيحات
الهواة « الغواة » ، وعاد حراً في اتخاذ القرار بين تكليف فوق الوسع ، وتمهل
مع الرفق أو أدنى جزء من معنى التسلية .

— أتراني بلغت ؟

— أشسك !

ولنعد إلى (ثمالة) ما كنا فيه من سياق ، ونحكم على الشيخ حمد الجاسر
في محصلة ما عرفنا عنه في أخباره وتجاربه ، في علمه وخلقه ، فيما كان له
ولم يكن ، في منشورات الإمامة ومجلة « العرب » فإذا هو المثل الذي يتخذ في
قياس (المتحضر) الحقيقي . وإذا عددتني مبالغاً ، فأنت أحد أولئك الذين
يشملهم العتاب — وحاشاك .

ولنقف قليلاً نهياً للرجل على سعادة تهيأت له ، ونشكره على خير هياه
لنا . (وقيمة كل امرئ ما يحسن) ، وقد أحسن الجاسر كتاباً ومجلة ونشراً ،
فلنحسن نحن قراءة وتعلماً وشكراً .

علي جواد الطاهر

اغاليط الدكتور الصليبي الجغرافية

الدكتور كمال سليمان الصليبي باحث لبناني معروف ، وهو أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية ورئيس قسم التاريخ فيها ، وقد ألف كتاباً حاول فيه أن يطبق النصوص التي وردت في التوراة على مواضع في بلادنا في جنوب الجزيرة . ولقد كانت آراؤه لما فيها من الطرافة والخرافة ذات أصداء واسعة ، وتناولتها كثير من الصحف العربية بأكثر مما تستحق .

وقديماً كانت الخرافة ولا تزال مبعث تكرار وترداد .

وكنت حين حدثني أحد الإخوة بطرف من آراء ذلك المؤرخ حكيت له طُرفةً ساقها الفاكهي مؤرخ مكة بمعرض التندر ، فقد روى في كتاب « مكة وأخبارها » عن الأصمعي قال : قال رجل من أهل مكة : ما سمعت بأكذبَ من بني تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيتُ زرارةُ محتبٍ بيفنائهِ ومجاشعُ وأبو الفوارس نهشلُ

في رجال منهم . فقبل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله الحرام ، والزرارة الحَجَبِيّ ، فقبل له : فمُجاشِع ؟ قال : زَمَزَمَ جشعتَ بالماء . قيل فأبو الفوارس ؟ قال : أبو قُبَيْسٍ ، قيل : فنهشل ؟ ففكر طويلاً ثم قال : ونهشل أشدُّه . ثم قال : نهشل مفتاح الكعبة طويل أسود . !!

وكان الأخ الدكتور زاهر الألمي ذكر لي أنه يريد أن يكتب ردّاً على الصليبي فأوضحت له بأن آراءه — حسب ما اتضح لي — أضعف وأوهى من أن يشتغل هو أو غيره بكتابة الرد عليها .

ثم كثر إلحاح بعض الأصدقاء بأن أبين ما أراه حيالها ، فاتصل بي الأستاذ الكريم محمد بن عبدالله الحميد — رئيس النادي الأدبي في أبها — وحدثني

بأنه أثناء مقال له نشرته جريدة « الشرق الأوسط » في ١٤٠٥/٤/٩ هـ - في الموضوع ذكر اسمي في سياق ذكر مَنْ رغب منهم التصدي للرد على الصليبي .
والأستاذ محمد ذُو دَالَّةٍ عليّ ، أقدرها حق قدرها ، فوالده الأستاذ عبدالله بن علي الحميّد - رحمه الله - من أعز أصدقائي - طيلة ثلاثين عاماً - وابنه الكريم ممن أحمل له في نفسي من الإكبار والتقدير ما هو أهل له ، لفضله ، ولأدبه ، ولحفاظه على رعاية ما لأصدقاء أبيه من حقوق .

وخاطبني بالهاتف مدير مكتب جريدة « الشرق » في الرياض برغبة الأستاذ هشام حافظ أحد صاحبي الجريدة بأن أتحدّث إلى قرائها برأيي ، فأوضحت له بأنني لم أَلَمْ بالموضوع من جميع نواحيه ، ولم اطلع على آراء الدكتور الصليبي اطلاعاً يمكنني من تناولها من جميع جوانبها بما أراه حيالها .
فوعد بأنه سيتصل بإدارة الجريدة للحصول على ما رغبت الاطلاع عليه مما فيه إيضاح وافٍ لتلك الآراء .

ثم أكرمني أحد تلاميذي البررة وهو الأستاذ إبراهيم بن عبد العزيز السويلم بمقالات نشرت في صحف مختلفة في الكويت وفي اليمن وفي بلادنا كلها تتعلق بنقض آراء الصليبي - وحَبَّذاً الابنُ الكريم الأستاذ إبراهيم الكتابة في الموضوع ، فلما تصفحت تلك المقالات رأيت في أحدها أن اسمي قد زُجَّ به زجراً لا أدري ما حقيقته ، فقد جاء في مقال للأستاذ فيصل السماك في جريدة « الشرق الأوسط » - ع ٢٢٢٦ تاريخ ١٤٠٥/٤/١٠ هـ - ما نصه : (أيُّ صدقة تلك التي جعلت الدكتور الصليبي يعثر على المعجم الذي فيه أسماء المدن والقرى اليهودية في منطقة عسير ؟ .

وأين عثر الدكتور الصليبي على هذا المعجم وفي أيِّ مكتبة .. وأي بلد .. ؟ وما اسم هذا المعجم ، ومن هو مؤلفه ؟ .

وليسمح لنا الدكتور الصليبي أن نوفر عليه مشقة الإجابة ، وأن نكشف الحقيقة كما استطعنا التوصل إليها وهي :

أن الصدفة التي يدعيها الصليبي في حصوله على المعجم ليست صحيحة ،
وهو يعرف ذلك تماماً .. !!

إن اسم المعجم الذي افتعل حوله كل هذا الضجيج هو « المعجم الجغرافي التاريخي للبلاد العربية السعودية » ومؤلفه هو علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ، ومقدمة هذا المعجم في ثلاثة أجزاء . وقد حصل عليه الصليبي من مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت ، وبالتحديد منذ عامين وأربعة شهور ، وكان هذا المعجم قد وزع على جميع مكتبات الجامعات في لبنان .

وباستطاعة الصليبي الحصول على نسخة جديدة من هذا المعجم من مكتبة (الرسالة الإسلامية) ساعة يشاء .. !!)

بل سمعت ما هو أعجب وأغرب ، فقد حدثني أستاذ جليل بأنه قد جرى في مجلس عميد في إحدى جامعاتنا الحديث في الموضوع ، فتطرق إلى ذكر كتاب « المعجم الجغرافي » فاتخذ أحد الحاضرين ممن يحلو له (الاصطياد في الماء العكر) من ذكر اسم الكتاب ذريعةً لتناوله وتناول مؤلفه بما عرف عنه من خلق .

كما زُجَّ باسم أخي الأستاذ عبدالله بن خميس أيضاً في كلام منسوب للدكتور الصليبي ، نشرته جريدة « القبس » الكويتية - في العدد ٤٤٨٩ الصادر بتاريخ ١٨/٢/١٤٠٥ هـ (١٢/١١/١٩٨٤ م) .

كان الدكتور الصليبي قد دُعي لحضور المؤتمر الثاني لتاريخ الجزيرة العربية الذي عقدته (جامعة الملك سعود) في الرياض عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) بصفته (رئيس إدارة الآثار والتاريخ في الجامعة الأمريكية) فذكر أنه اجتمع أثناء انعقاد ذلك المؤتمر بالأستاذ عبدالله ، الذي قدم له نسخة من كتاب « معجم اليمامة » حين جرى البحث في أصل كلمة (خضر موت) وأنه وجد في « المعجم » اسم (خضر مات) وهو جمع مؤنث سالم لاسم (خضرمة) وحاول الربط بين (خضر مات) و (خضر موت) . وأنه لما عاد إلى بيروت بدأ في البحث عن أسماء الأماكن

العربية ، فاتضح له الصلة بين كثير من الأسماء الواردة في التوراة وبين أسماء بعض المواضع في منطقة عسير ، وما يليها شرقاً وغرباً ، فاتجه إلى دراسة تاريخ التوراة ، وخرج من ذلك بكتابه عن المواضع الواردة فيها .

لامندوحة إذن* - والأمر كما أوضحت - من الكتابة عما انطبع في الذهن إثر قراءة ما وقع في يدي مما نشر في الصحف حول آراء هذا الرجل الذي لا أدري بما أصفه ، ولا أدري ما هي البواعث لإثارة أفكاره التي أقلّ ما توصف به أنها مخالفة لجميع الحقائق العلمية الثابتة منذ أقدم العصور ، مما أنت به الكتب السماوية ، أو توصل إليه العلماء من حقائق تاريخية .

وانسان يأتي برأي يدرك مصادمته للحق الثابت ليس من المستطاع إقناعه ، ولا شك أن الدكتور الصليبي ليس من السذاجة وعدم المعرفة بالدرجة التي تجعل من السهل تبصيره بالحقائق ، بالاستدلال بالنصوص والآراء الصحيحة ولهذا فإيراد النصوص والاستدلال بكلام متقدمي العلماء لايجدي نفعا مع امرئ يدرك أنه أي بما يصادم جميع ذلك عن عَمَد وسبق إصرار ، وأنه بلغ من العلم - فيما أتى به - ما لم تبلغه الأوائل - بلّ والأواخر .

ولكنني لاأعتقد أن الغرور يبلغ بباحث يتولى مركزاً علمياً بارزاً ويحمل من الدرجات العلمية في هذا العصر أعلاها - يبلغ به حالة تدفعه إلى المكابرة ورفض الحقائق البديهية التي أعتقد أنه لم ينتبه إليها أثناء بحثه لموضوعه ، ثم خروجه بما خرج به من نتيجة باطلة ، جاءت في رأبي بدون إدراك لتلك الحقائق .

الحقيقة الأولى : مما لاشك فيه لدى الباحثين أن التوراة التي بين أيدي الناس اليوم ، ليست الكتاب الذي أنزل على موسى - عليه السلام - وإنما ألفها الأخبار وجمعوها في فترات مختلفة ، كما يعترف بذلك علماء اليهود أنفسهم كالعالم الصهيوني (سيجموند فرويد) صاحب كتاب « موسى والتوحيد » وغيره من العلماء من أهل الملل الأخرى ، بل إن هناك من العلماء من يرى بأن من بين أسفار التوراة ما هو عربي الأصل ضمه الأخبار إليها ، مثل « سفر أيوب » الذي أوضح بعض العلماء المعاصرين أنه نقل إلى العبرية من اللغة العربية كالمستشرق

الانجليزي (مرجليوث) - أنظر كتاب « العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ٢٥٢/١ - وفي الأسفار الأخرى كثير مما أدخله الأخبار من عادات الشعوب وأخبارهم ومن ذلك أسماء مواطنهم ، بسبب المخالطة والاتصال أثناء الأسفار . ولهذا فإن استناد الدكتور الصليبي على التوراة المعروفة الآن استناداً على غير أساس .

ثم الاستدلال بما فيها من الأسماء مع ما هو معروف من أن أسماء المواضع تتشابه وتتكرر مع اختلاف مواقعها - استدلال غير صحيح ، وهذا من الأمور البديهية .

الحقيقة الثانية: مما فات الدكتور الصليبي - أثناء استنتاجاته لآرائه تلك - محاولة الربط الزمني بين مواضع ورد ذكرها قبل ثلاثة آلاف من السنين ، وبين مواضع قائمة في زمننا ، أكثرها نشأ في عصور متأخرة ، فهو لم يحاول عند إيراد اسم من أسماء المواضع التي ذكرها البحث عن نشوء ذلك الاسم ومتى كان ؟ وما هو معناه ! ولماذا سمي الموضع بهذا الاسم ؟ .

ولو بحث هذا الأمر بتمعن لأدرك أنه يسير - فيما استنتج على غير هدى ، وهذا ما سأعرض له بالتفصيل بعد عرض نماذج من أسماء المواضع التي ذكرها .

الحقيقة الثالثة : أن أسماء المواضع التي أوردتها محاولاً الربط بينها وبين ما ورد في التوراة - مما نشرته الصحف التي اطلعت عليها ، وقد نشرت خلاصة آرائه وآرائه وأفكاره - لا نجد لها ذكراً في الكتب القديمة باستثناء اسم فرع حديث لإحدى القبائل ، ظنه اسم موضع ، فكيف يصح له أن يستنتج فكرة بدون أن يستكمل قواعد استنتاجها ؟ !

الحقيقة الرابعة : أنه لم يفرق بين أسماء المواضع وأسماء أفخاذ العشائر ، فقد أورد منها ما ظنه من أسماء المواضع ، والجهل بالأسماء إلى هذه الدرجة يحول دون استنتاج نتائج ذات قيمة علمية .

وما هي الأسماء ، بل ما هو نمط من تخليط الباحثين في عصرنا وأغاليطهم ، ما كنت أودّ الاشتغال — أو الاشغال — بالحديث عنها ، فهي جديرة بأن تُؤاد ، ووأدها في إهمالها وتجاهلها — ككثير من الأفكار الفجة في كل زمان ومكان — فقد ينشأ عن الخوض فيها بلبلة في الأفكار ، وإظهارها بمظهر ليست جديرة به .

لقد اتخذ الدكتور الصليبي من تشابه الأسماء وتقاربها في الكتابة والنطق أساساً لأرائه ولهذا سأحصر ملاحظاتي في الناحية الجغرافية منها .

لقد خرج من دراسته المتعلقة بالأماكن بنتائج منها :

١ — أن حبرون مدينة لإبراهيم — عليه السلام — على ما في التوراة تقع في بلاد عسير وتعرف الآن باسم (خربان) التي وصفها بأنها في عسير وذكر قرية (مقفلة) أنها قريبة من قرية خربان ، والقرى الأربع قرية آل سبلان وقرية الشباب وقرية عاصبة وقرية عامر .

٢ — وصهيون مدينة داود — عليه السلام — حسب رواية التوراة أيضاً هي قرية (الصيان) الواقعة غرب أهما .

٣ — وأورشليم : تقع في منطقة آل شريم وأوراسلام من عسير .

٤ — والوادي المقدس طوى الوارد في القرآن الكريم هو قرية (طوى) الواقعة في وادي بقره المنحدر من جبل هادي في تهامة عسير ، وفيه نزلت سورة البقرة .

٥ — وحورب الذي نزل فيه الوحي على موسى — عليه السلام — على ما في التوراة هو (حارب) في سفح جبل هادي .

٦ — واسم الأردن النهر المذكور في التوراة باسم (بردن) أو (هردن) مأخوذ من كلمة (يرد) بمعنى سقط ومنه الريدة التي هي الحرف الثاني من الجبل ، واذن فليس اسم نهر في مكان معين ، بل وصف لأمكنة عدة ، وهذا ينطبق على الحروف الناتئة من سراة عسير الممتدة من جنوب الطائف إلى مشارف اليمن .

٧- ويرحو الاسم الوارد في التوراة ليس أريحا بل (وراخ) القرية الموجودة الآن على حرف ناقيء من سراة زهران .

٨- ويردن الاسم الوارد في « سفر الملوك » من التوراة (٥ : ١ - ١٤) ليس حرفاً لجبل ، بل كلمة (يردن) هنا مشتقة من (يرد) العربية فهي تعني المورد وهو هنا مجمع مياه في وادي نعص قرب قرية شمran شرق القنفذة .

٩- وجنة عدن : هي الحنيئة الواقعة بمنطقة بيشة .

١٠- والسامرة : هي شمran .

١١- وعمورة : هي غمرة .

١٢- ومصر : المتكرر ذكره في أخبار التوراة هو (مصر ما) القرية التي قال عنها : إنها بين أبها وخميس مشيط .

١٣- وعدنة التي على وادي بيشة : هي عدن .

١٤- (تبهوم) : (تهامة) .

هذه هي الأسماء التي اطلعت عليها مما ورد في الآراء المنسوبة إلى الدكتور الصليبي ، وقد حاول أن يوجد صلةً بينها وبين أسماء وردت في التوراة التي بين أيدي الناس ، ولكن الآراء التي أتت بها للربط بين تلك الأسماء مما يدرك أي قاريء لم يبلغ من الثقافة ما يمكنه من التعمق في البحث في معاني تلك الأسماء وفي أصول اشتقاق مفرداتها اللغوية ، يدرك انتفاء الصلة بينها فضلاً عن باحث مختص بالدراسات اللغوية والجغرافية ، فهل أتت الدكتور الصليبي بما وقع فيه من أخطاء من عدم تعمقه في البحث في معاني تلك الأسماء ؟ أو من قلة فهمه لتلك المعاني ، أو أنه لم يلاحظ أن أسماء المواضع في هذا العهد وفي العهود الغابرة أكثرها مشتق من صفات تتطابق وتتفق على مسميات كثيرة متباعدة ، كما أن شيوخ أسماء المواضع المتماثلة في أماكن متعددة في مختلف أقطار الأرض ، موجود في كل زمان ومكان ، بسبب الاختلاط والتنقل بين الشعوب .

١ - أن اسم (خربان) التي وصفها بأنها في عسير ليست معروفة في هذه المنطقة بالذات ، بل في منطقة أخرى .

مع أن الاسم مشتق من (خرب) فالموضع الذي يبدأه الخراب أو يكون خرباً في أول الأمر بوصف بأنه (خربان) وهذا من الأسماء الشائعة ، ولهذا نجد هذا الاسم وما شابهه مما اشتق من تلك الكلمة يطلق على تسع عشرة قرية في مناطق مختلفة ، فاسم (الخربان) و (خربان) يطلق على خمس قرى و (الخرب) اسم لأربع و (الخرباء) و (خرباء) لِسِتْ قرى و (الخرابة) اسم لأربع قرى .

أما القول بأن (مقفلة) قريبة من قرية خربان التي في عسير ، فلا أدري من أين أتى الصليبي بهذا القول ، فمقفلة القرية المعروفة تقع في منطقة القنفذة التابعة لإمارة مكة المكرمة وليست في عسير .

وكذلك القرى الأربع التي عدها بالقرب من خربان الذي زعم أنه في بلاد عسير ، هذه القرى الأربع هي من قرى آل المنتشر في وادي العرضية الشمالية في منطقة القنفذة التابعة لإمارة مكة المكرمة .

٢ - وما سماه قرية (الصبيان) لعله يريد (قعوة الصبيان) ، والصبيان هنا ليس اسماً للقرية بل اسم فخذ من قبيلة أُلْمُع ، التي تكثر فيها القرى التي تدعى (قعوة) ، ومنها قعوة آل تمام وقعوة العطف وقعوة آل سعوان وقعوة شعبي وقعوة شعوان وقعوة شهدان وقعوة الصبيان وقعوة آل عاطف وقعوة آل ناطف ، وكل هذه الأسماء هي أسماء لأفخاذ حديثة من قبيلة ألمع ، ومنها الصبيان ، فهو اسم لفخذ لا يتجاوز تاريخه مئات السنين ، فضلاً أن يبلغ آلافها .

٣ - وكما خلط بين اسم الموضع واسم الفخذ ، فعل ذلك حينما ذكر (آل شريم) فالاسم ليس اسم قرية بل اسم فخذ صغير من أفخاذ قبيلة الحَجَرِجْرِ وآخر من قبيلة بالقرن وهما حادثان لم يكونا معروفين في شيء من كتب الأنساب التي أُلْفَتْ قديماً .

أما (أروا سلام) فلا أعرف من أين أتى بهذا الاسم، وهناك فخذ من آل عمر من رجال الحجر في منطقة تنومة يدعى (آل عمر أروا) فلعله يعنيه، وهو اسم فخذ لا قرية.

٤- واسم (طوى) الذي تخيله الوادي المذكور في القرآن الكريم، لم يحسن نطقه الصحيح، فهو (الطَّوَا) - بالفتح معرفاً - وهذا كما هو معروف في اللغة خلاف (طوى) الوادي المقدس الذي يكاد يجمع العلماء على تحديد موقعه، ويأبى الدكتور الصليبي مع سبق الإصرار إلا مخالفتهم، بذكر موضع حادث لم يذكره أحد ممن ألّف في تحديد المواضع من متقدمي العلماء كالهمداني صاحب «صفة جزيرة العرب» وياقوت الحموي صاحب «معجم البلدان» والبكري صاحب «معجم ما استعجم في أسماء المواضع» وغيرهم.

ومن المضحك بل المخزي حقاً لمن يحترم نفسه أن يتصدى لتخطئة كل العلماء ثم يحاول الربط بين واد مغمور مجهول سمي حديثاً باسم فخذ من عشيرة بني شهر من قبيلة الحجر يدعى (بقرة) يحاول الربط بين هذا الوادي المسمى حديثاً وبين السورة الكريمة (البقرة) التي ورد النص فيها صريحاً واضحاً على الحيوان المعروف.

لقد ظن - والظن أساس الخطأ - أن اسم هذا الوادي يرقى إلى آلاف السنين، ولم يكلف نفسه عناء البحث عنه في المصادر الجغرافية ليدرك أنه من الأسماء الحادثة التي لم تكن معروفة حين تدوين ما بين أيدي العلماء من تلك المصادر، إن كلام الدكتور الصليبي لمحاولة الربط بين وادي طوى ونزول سورة البقرة هو أقرب إلى المغالطة منه إلى الحقيقة العلمية.

٥- ويقال مثل ما تقدم في محاولة إيجاد صلة بين (حورب) الذي نزل فيه الوحي على موسى - عليه السلام - على ما في التوراة التي بأيدي الناس، وبين (حارب) الجبل الذي في سفح جبل هادي، ثم الربط بين هذا وبين ما سماه الصليبي (طوى) بقرب ذلك الجبل.

ويلاحظ أن اسم حارب يطلق على قريتين إحداهما من قرى وادي بقره في تهامة والأخرى من قرى قبيلة يام في نجران .

٦ - ويحاول الدكتور الصليبي تعليل بعض الأسماء الموجودة في التوراة مما لا أصل له في اللغة العربية ثم يتمحّل لها أصولاً عربية مما يعتبر تخبّطاً وسيراً على غير هدى كما فعل بكلمة (يردن) و (هردن) حيث أورد لها معنيين متغايرين ، زعم أن أحدهما مأخوذ من كلمة (يرد) بمعنى سقط وهذا مما لم يذكر في « لسان العرب » .

وما أيسر السير على طريقة الدكتور الصليبي ، في العبث بجميع الأسماء الأعجمية لتصبح عربية مما يذكر بأضحوكة (الشيخ زبير) و (شكسبير) .

٧ - زعم أن (وراخ) قرية موجودة على حرف نائي من سراة زهران .

ولقد سرت في تلك السراة وألّفتُ عنها كتاباً فلم أرَ ولم أعرف قرية بهذا الاسم كما أن أحد أبناء هذه القبيلة قد ألف كتاباً جمع فيه كل ما عرف من أسماء قرى سراة غامد وزهران ، فلم يذكر من بينها (وراخ) ، هو الأستاذ علي بن صالح الزهراني وكتابه عن بلاد غامد وزهران ، أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » الذي أشرفت على نشر عدد من أقسامه .

وإنما (وراخ) وادي معروف شرقي السراة تنحدر فروعه من سلسلة جبال عيسان المتصل بالسراة ويمتد الوادي من الغرب من قرب قرية معشوقة ، فينتجه شرقاً حتى يجتمع بوادي كترّا قرب قرية عيزين (فيما بين خطي العرض ٢٠/٣٠ و ٢٠/٤٨) وكتب اسمه في الخريطة رقم ٢١٠ من « أبحاث جيولوجية » خطأ باسم (أوراخ) هذا الوادي ليس من قرى سراة زهران ، بل فروعه في بلاد غامد وأسفله في بلاد البقوم .

٨ - لا أعرف ولم أر فيما بين يدي من الكتب المؤلفة عن جغرافية بلادنا ما سماه الدكتور الصليبي (يردن) وقال إنه مجمع مياه في وادي نعّص قرب قرية شمّران شرق القنفذة ، ولا أدري من أين أخذ هذا ؟ ولكن لو كان

هناك مجمع مياه يورد لأصبح مشهوراً ومعروفاً وهذا ما لم أسمع به ، ووادي
نعص من أودية تهامة المعروفة وسكانه من بني شهير من قبيلة الحَجَر .

٩ - يظهر أن الدكتور الصليبي لم يدرك أن كلمة (الجنية) - تصغر جنة -
هي من الكلمات المشتقة من الوصف ، فهي تعني الحديقة ولهذا تكررت التسمية
بها ، ففي منطقة نجران وفي منطقة بيشة قريتان حديثتا التسمية ، وفي وادي التسرير
في نجد تُسمَّى من أثنائه يدعى الجنية ، وهذا قديم ، ورد في قول الشاعر :

قال الأطباء : ما يشفيك؟ قلت لهم : دخان رِمثٍ من التسرير يشفيني
مما يضم إلى عمران حاطبُــــه إلى الجنية جزلاً غير موزون

فالموضع الذي يكثر نباته أو يَزْدَهَر بالخصب أو يعجب أهله بسمى
جنة وجنية ، ومن ذلك اسم القريتين ، وهما حديثا العهد ، ولم يذكر في
المعاجم المعروفة .

هذا بصرف النظر عن تأويل الصليبي المصادم لنصوص الكتب السماوية .

١٠ - وأورد في الخريطة التي رسمها في توضيح آرائه اسم (شمran)
وكتب تحتها (السامرة) رسم الاسم غرب منطقة بيشة حيث تحل قبيلة شمran ،
فخلط بين اسم القبيلة واسم الموضع ، ولم يدرك أن قبيلة شمran هذه لم تكن قبل
ما يقرب من تسعة قرون في هذه البلاد وإنما كانت منازلها مع إخوتها من فروع
قبيلة مَذْحِج سَنَحَانَ وجَنَبٍ وغيرهما في سفوح السراة الشرقية الجنوبية
شرق سراة عبيدة الآن .

وما يتحدث عنه له آلاف السنين ، والذي أوقعه في الخطأ أنه لم يفرق بين
اسم قبيلة من طبيعتها التنقل ، وبين اسم موضع ثابت .

هذا مع التكلف في محاولة إيجاد صلة بين الاسمين بسبب تقارب مخارج
حروفهما .

١١ - وفي الخريطة اسم (عمورة) وتحت اسم (غمرة) في منطقة بلاد

عسير، وكان الدكتور الصليبي يرى اسم غمرة هو عمورة، مع أن اسم غمرة من الأسماء التي تطلق على عدد من القرى، فهناك قرية بمنطقة حائل وأخرى في واد معروف بهذا الاسم من أودية خيبر، وثالثة من مناهل البادية في منطقة ظبا وأربع قرى بهذا الاسم في بلاد قبيلة الماع من بلاد عسير.

ويظهر أن الصليبي عني إحدى قرى الماع، ولكن على أي أساس بنى حكمه بأن إحدى تلك القرى هي عمورة المذكورة في التوراة، لا شيء سوى تقارب الحروف في النطق وهذا لا يصح اتخاذه قاعدة تبنى عليها آراء وتستنتج منها نتائج علمية، وهذا مما يدرك بأدنى تأمل.

١٢ - لا أدري من أين أتى باسم (مصر ما) القرية التي وصفها بأنها بين أبها وخميس مشيط، وحكم بأنها (مصر) المتكرر ذكره في أخبار التوراة. ومن المعروف أن اسم مصر عند الإطلاق لا ينطبق إلا على الإقليم المعروف.

وقد يسمى غيره بهذا الاسم، فهناك قرية من قرى تبالة بمنطقة بيشة تسمى مصر، ويقال بأن بقرب أبها قرية دارسة بهذا الاسم أيضاً، ولعل التسمية هذه حدثت أخذاً من الآية الكريمة ﴿ادخلوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾، فكلمة مصر وصف وليست علماً، ومن الأمثال المتداولة الآن: (كل ديرة عند أهلها مصر). إلا أنني لا أعرف هذه القرية التي سماها (مصر ما).

١٣ - ورسم في الخريطة أيضاً على وادي بيشة اسم (عدن) وتحت (عدنة) أي أن القرية التي تقع في منطقة بيشة هي (عدن) المذكورة في التوراة.

وأنا لا أعرف قرية في أعلى وادي بيشة بهذا الاسم بصرف النظر عن الخطأ الفاضح في الربط بين الإسمين.

واسم عدنة يطلق على قريتين إحداهما من قرى شمران في وادي العرضية الشمالية بمنطقة القنفذة، والأخرى من قرى العصمان في وادي إضم بمنطقة الليث.

ومن قرى منطقة بيشة قرية العدنة - بالتعريف - وهذه من قرى تَبَالَة
في أسفل وادي بيشة غرب قاعدة الوادي .

١٤ - واتخذ الباحث من التشابه الحرفي بين كلمتي (تيهوم) و (تهامة)
إلى ما دفعه إلى أن يجزم بأن المقصود بالكلمة الأولى هي المنطقة المعروفة باسم تهامة .

وما أوسع هذا الباب لو أردنا الدخول منه ، لحكمنا بأن آلاف الكلمات
الأعجمية وما هو أكثر من آلاف ، هي كلمات عربية متى أغفلنا ما يوضح
الكلمة المراد فهمها وإيضاحها من قرائن ، أو أردنا صرف فحوى تلك القرائن
إلى ما نهواه ونريده بطريق التعنت وتحميل الألفاظ من المعاني ما لا تحتمل .

ومن الممكن أن تُعزَى جُلُّ أوهام الدكتور الصليبي إلى أمر واحد أشارت
إليه جريدة « صنداي تايمز » اللندنية في مقال نشرته عن كتابه بتاريخ ١٢/٨/
١٩٨٤م بما تعريبه : (لا يزال العديد من المدن والقرى تحمل أسماء تعود إلى
قديم الأزل) وهذا ما توهمه الدكتور الصليبي حين قال فيما نقلته عنه تلك
الجريدة : (كنت أبحث عن أسماء الأماكن ذات الأصل غير العربي في غربي
شبه الجزيرة ، وإذ الدليل أن أرض التوراة كلها كانت هناك يفاجئني ، فتقريباً
جميع أسماء أماكن التوراة كانت مركزة في منطقة طولها ست مئة كيل وعرضها
مئتان كيل) .

من هنا وقع في الخطأ حيث ظن أن أسماء تلك الأماكن موغلة في القدم ،
وأنها من غير أصل عربي ، ومن ثمّ راح يحملها من المعاني ما لا تحتمل ويصرفها
عما وضعت له في الأصل ، ويخلط بين أسماء القرى وأسماء السكان .

إنه لم يدرك أن أكثر المدن والقرى تحمل أسماء حديثة وأن كثيراً من
المواضع عُمرت وأنشئت في أزمنة متأخرة ، وليس الأمر كذلك بالنسبة لكثير
من الأقطار الأخرى كالشام (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) ومصر
وغيرهما ، إذ تلك الأقطار غالب سكانها من الحضر المستقرين الثابتين فيها ،

وهو يذكر في المقدمة أنه رجع إلى « المعجم الجغرافي » المختصر الذي ألفته ، وهو كتاب يحوي (١٦١٠٦) من أسماء المدن والقرى والأماكن المسكونة في بلادنا ، وضعته مقدمة للمعجم الكبير الذي دعوته بذلك الاسم ، وصدر منه تسعة عشر مجلداً ، ولكنني في الكتاب الذي رجع إليه الصليبي لم أورد شيئاً من المعلومات الجغرافية بل سردت الأسماء سرداً ، مع ذكر مناطقها وما ترتبط به من الإمارات (الإدارية) بدون تحديد جهاتها نقلاً من سجلات أعدتها (وزارة الداخلية) و (إدارة الإحصاء العامة بوزارة المالية) .

ويسرني حقاً أن يستفيد أي قارئ مما أؤلفه لأن هذا لا يضيرني ، فرجوع المنحرف عن الطريق السوي - أي منحرف كان - إلى أي كتاب من الكتب لا يعتبر مطعناً في ذلك الكتاب ولا يصح اتخاذه وسيلة للتيل ممن ينسب إليه الكتاب كموقف ذلك الجاهل المتعلم الذي سبقت الإشارة إليه في أول الكلام .

والصليبي نفسه قد رجع إلى كتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﷻ كما رجع إلى كتب أخرى .

ويظهر أن تلك المعلومات المتعلقة بوصف القرى التي ذكرها مما استفاده أثناء وجوده في هذه البلاد أثناء انعقاد الندوة العالمية لتاريخ الجزيرة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ (نيسان ١٩٧٩ م) التي شارك فيها وألقى بحثاً عن (الإطار الخارجي لجاهلية العرب) أثار من المناقشة ما حمّله على كتابته بأسلوب آخر ، ثم نشر في المجلد الذي صدر عن تلك الندوة بعنوان « دراسات تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني الجزيرة العربية قبل الإسلام » من ص ٣١٣ إلى ٣٢٩ .

والغريب في الأمر بالنسبة للدكتور الصليبي سرعة تغير آرائه فهو في كتابه الأخير يناقض كثيراً من تلك الآراء التي عرضها في بحثه المشار إليه ، والذي حاول فيه إرجاع كثير من العوامل التاريخية إلى مؤثرات اقتصادية .

وسأعود للحديث مرة أخرى .

حمد الجاسر

بل ولد في مكة .. صلى الله عليه وسلم

﴿وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ
أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾
صدق الله العظيم

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف مكة على مقربة من الكعبة المشرفة : في بيت أبيه وجده عبد المطلب الواقع بشعب بني هاشم قرب سوق الليل ، وهو مكان لا يزال معروفاً إلى يومنا هذا .

وكانت منازل أهل مكة زمن ولادته صلى الله عليه وسلم تحيط بدارة الكعبة : تقرب منها وتبتعد عنها وفقاً لمكانة كل أسرة وفخذ من جلال خطر وجليل مقام ، فكان القرشيون أقربهم إليها داراً وأكثرهم بها اتصالاً ، كما كانت لهم سدانها وسقاية زمزم وكل ألقاب التشريف (أ) وفيما وراء منازل قريش نجية منازل القبائل التي تليها في المكانة والخطر ثم تلي هذه المنازل من دؤمهم حتى تكون منازل العبيد والخلفاء ، وكان النصارى واليهود بمكة في ذلك الوقت عبيداً فكان مقامهم متأخر المنازل وأبعداها عن الكعبة المشرفة ، وهي المتاخمة للصحراء (١) .

تقول الآية الكريمة : ﴿وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ
أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (٢) .

والقرية المقصودة في الآية الكريمة هي مكة المكرمة ، وإضافتها إلى النبي تؤكد أنها البلدة التي ولد فيها صلى الله عليه وسلم ، فالعرف لم يجز على نسبة

القرية إلى إنسان لم يولد فيها .. بل لابد أن يكون قد ولد فيها ، أي أنها مسقط رأسه .

وتقول الآية الكريمة : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾^(٣) . والمعاد هو مكة المكرمة ولو لم تكن مكة البلد الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم ما بشره الله بأنه سوف يرد إليه : وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الشريفة : أن النبي صلى الله عليه وسلم رضي بمفارقة مكة المكرمة وهي أحب بلاد الله تعالى إليه في سبيل نشر الإسلام وإقامة دعائم الدولة الإسلامية بعد أن استحال عليه ذلك بسبب تعنت قريش وعنادها وجمودها وإصرارها على وثنيها وكفرها ، وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خروجه مع صاحبه الصديق مهاجرين ، نظر إلى مكة وإلى بيتها العتيق وقال : « والله إنك لأحب أرض الله إلي .. ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » .

وبعد فترة من السير اشتاقت نفسه إلى مكة فذكر مولده ومولد أبيه وأمه فيها فترل جبريل عليه السلام وسأله : اشتقت إلى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه أزكى الصلاة والسلام : (نعم) فترلت الآية : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ - والأمر الذي يتوجب علينا أن نركز عليه هنا : هو قول جبريل عليه السلام : (اشتقت إلى بلدك ومولدك ؟) فهذا يعني أن مكة هي بلده صلى الله عليه وسلم وهي مولده .

نعم لقد ولد رسول الله في مكة وقد أجمعت روايات شيوخ كتاب السيرة على ذلك : فقد قال ابن حزم الأندلسي في عبارة قاطعة (ولد صلى الله عليه وسلم في مكة^(٤)) .

وقال ابن هشام (ولد بالشعب في الدار التي كانت عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت^(٥)) وذكر ابن سيد الناس مثل هذا^(٦) ، وكذلك أورده السهيلي^(٧) وابن سعد^(٨) وقد أضاف

ابن هشام تحت عنوان (أعلام جده عبد المطلب بولادته صلى الله عليه وسلم) فقال : (فلما وضعته أمه أرسلت إلى جده - أنه قد ولد لك غلام فأتته فانظر إليه فأتاه فنظر إليه . وحدثته أمه بما رأت حين حملت فيه وما أمرت أن تسميه) وقد فرح جده وأخذه فدخل الكعبة وقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه منشداً :

الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان
أبمن بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان
أعينه من شر ذي شئان
من حاسد مضطرب الجنان^(٩)

ورد عبد المطلب الوليد الكريم إلى أمه ثم أمر بأن تنحر الذبائح وتولم الولائم ويطعم الناس في الحرم ، وقد أطلق عبد المطلب على حفيده اسم محمد - وكانت أمه قد رأت فيما يرى النائم بعد أن حملت به - كأن نوراً قد خرج منها أضواءت به قصور بصرى من أرض الشام .

وفي رواية أن أم عثمان بن أبي العاص الثقفي^(١٠) كانت مع آمنة رضي الله عنها أوان السحر من لينة الإثنيين - فأحست بشيء من الخوف ولكنها ما لبثت أن شعرت بنور يغمر دنياها - ثم زاو لها الخوف فتجلدت للحظة الحاسمة : وما كاد نور الفجر يطلع حتى كانت آمنة قد وضعت وليدها الكريم .

وتقول أم عثمان : (فما من شيء أنظر إليه من البيت إلا نور وأني لأنظر إلى النجوم تدنو مني حتى إني لأقول : لتقن علي) .^(١١)

وفي صحيح البخاري وردت قصة عتق ثوية جارية أبي لهب عم النبي التي لم تكد توافي سيدها ببشرى المولد حتى أعتقها - وليس بمعقول أن تستطيع

ثوبية نقل الخبر إلى سيدها في الساعة نفسها لو لم يكن البيت الذي تمت فيه الولادة قريباً من بيت أبي لهب أي في الشعب نفسه ، ثم إن هنالك ما يؤكد أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت أبي لهب كانا متجاورين في شعب واحد : وهو ما روى عن أم جميل زوج أبي لهب وكيف أنها كانت تلقي بالقاذورات ومحتويات الكروش أمام بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانت تحمل الحطب والأشواك وتطرحها على طريقه صلى الله عليه وسلم حين يمر : وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في زوجها وفيها الآيات ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ سبأ ١٧ نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴿ ١٧ ﴾ .

هذا وقد قال شيخنا الجليل العلامة الأستاذ حمد الجاسر في كلمته المنشورة بمجلة العرب الغراء عن الآثار الإسلامية : (فالرسول عليه الصلاة والسلام من أهل مكة - لا شك في ذلك - وبنو هاشم عشيرته الأقربون كان ربهم معروفاً في الشعب الذي عرف بهم ، ثم بأبي طالب والدار التي وقع فيها المولد كانت في ذلك الشعب . وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما هاجر استولى عليها ابن عمه عقيل ابن أبي طالب - كما في الحديث الشريف : (وهل ترك لنا عقيل من دار ؟) ومن هنا قال بعض العلماء ومنهم ابن القيم في كتاب زاد المعاد : (لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم ولد بجوف مكة) .

وعندما استعرض الطبري الأماكن التي تستحب زيارتها في مكة - ذكر الدار التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (ان عقيل بن أبي طالب كان قد استولى عليها زمن الهجرة فلم تزل في يده وبد ولده حتى باعوها لمحمد بن يوسف) .

ولنأخذ مما أورده شيخنا العلامة الجليل الأستاذ حمد الجاسر خيط نور نستضيء به في بحثنا هذا فنقول :

المعروف أن والد نبينا الكريم هو عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (ب) بن خزيمية بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

والمعروف أيضاً أن أبا الأنبياء عليه السلام جاء بولده إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر رضي الله عنها إلى مكة وأنه تركها في رعاية الله سبحانه وتعالى ثم مضى ، وأن زمزم تفجرت تحت قدمي إسماعيل عليه السلام ، وأن المنطقة عمرت بعد ذلك ووفدت إليها قبيلة جرهم واستقرت فيها ثم وفد العماليق وغيرهم وتحول المكان المقفر المجذب إلى بلد ينبض بالحياة .. بل تحول إلى جنة من جنات الأرض - والمعروف كذلك أن إسماعيل عليه السلام قد اشترك مع أبيه في رفع القواعد وبناء الكعبة وقد أصبحت مكة بعد بناء الكعبة عاصمة دينة كبرى ومركزاً تجارياً هاماً .

وأن إسماعيل عليه السلام قد تزوج وأنجب وأن أمه ماتت ودفنت بحجر إسماعيل ثم لحق بها ولدها ، وبقي أولاده يقيمون في مكة ، وكانوا يجلسون في الحرم لتدريس الدين الخفيف وقد ظل هذا حالهم حتى طغت خزاعة وبغت وأرغمت البعض منهم على الخروج من مكة ولكنهم لم يلبثوا أن عادوا إليها ثانية واستقروا بها مع الموجودين بمكة : وقام جداهم قصي بتقريشهم أي تجميعهم في قبيلة واحدة سميت بقريش وقد عاشت هذه القبيلة في مكة وسادت على القوم ولم تغادرها بعد ذلك .

أما أمه صلى الله عليه وسلم فهي آمنه بنت وهب بن عبد مناف (ج) بن قصي .

أي أنها من قريش هي الأخرى - وقد تزوج عبدالله منها حوالي (٥٦٩م) بعد قصة النذر والفداء المشهورة : وقد جرت أحداث تلك القصة في مكة وتم الزواج فور الفداء ونجاة عبدالله من الذبح .

تقول الكاتبة الدكتورة عائشة عبد الرحمن^(١٣) تصف البيت الذي تم فيه زواج عبدالله بآمنة وذلك نقلاً عن كتاب الرحلة الحجازية للبناتوني (٥) :
 (لم يكن البيت كبيراً ضخم البناء لكنه إذا قيس ببيوت مكة يومئذ عدرجاً مريحاً لعروسين يبذلان الحياة المشتركة - كان كما وصفوه ذا درج حجري يوصل إلى الباب يفتح إلى الشمال ويدخل منه إلى فناء يبلغ طوله نحو اثني عشر متراً في عرض ستة أمتار وفي جداره الأيمن باب يدخل منه إلى قبة : في وسطها بميل إلى الحائط الغربي - مقصورة من الخشب أعدت لتكون مخدع العروسين) .

وتكمل الدكتورة عائشة حديثها فتقول :

وبقى عبدالله مع عروسه أياماً لم يحدد لنا التاريخ عددها ولكنها عند جمهرة المؤرخين لم تتجاوز عشرة أيام - إذا كان عليه أن يلحق بعير قريش المسافرة إلى الشام . . ومضى شهر شعرت آمنة بعده بالبادرة الأولى للحمل : وقد اختلفت الروايات في المكان الذي حملت فيه آمنة . . بسيد البشر ، ففي قول أنها حملت به صلى الله عليه وسلم في شعب أبي طالب ممتد بالجمرة الوسطى - قاله الزبير بن بكار ، وفي قول آخر أنها حملت به في بيت آلهة بني زهرة - قاله ابن عبد البر وهو الأرجح .

ونحن نضيف إلى كلام الدكتورة عائشة ما قاله الدكتور محمد حسين هيكل^(١٤) عن الباحث العالمي الفرنسي كوسان دبرسفال^(١٥) الذي انضم بدوره إلى هؤلاء وقال : (إن محمداً ولد في أغسطس أي عام الفيل وأنه ولد في مكة بدار جده عبد المطلب) .

ونقل ابن هشام عن ابن اسحق قوله :^(١٦) .

(أرسل عبد المطلب ابنه عبدالله إلى المدينة ليمتار لهم فمات بها - وقيل بل كان في الشام فأقبل في عير قريش فترل في المدينة وهو مريض فتوفي بها قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن الأثير مثل هذا القول أيضاً^(١٧) .

وقد ذكرت أكثر من رواية أن عبد المطلب ذهب إلى آمنة وقد تقدم حملها للخروج من مكة مع قريش إلى الجبال وشعابها ليتحرزوا بها خوفاً من معرفة الجيش الذي جاء به أبرهة الحبشي يريد هدم الكعبة : فرفضت آمنة الخروج من بيتها ، وقد عز عليها أن تضع وليدها في غير دار أبيه بعيداً عن البيت الحرام - وأخذت تدعو الله أن يرد أبرهة وجيشه مهزومين عن مكة المكرمة وكعبتها المشرفة .. وقد استجاب العلي القدير وهزم أبرهة وجيشه هزيمة منكرة بالطير الأبابيل .

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن هو :

إذا كانت آمنة رضي الله عنها لم تترك مكة أثناء الهول الحبشي ، ولم تفزع لقدم أبرهة وجيشه ، وأصررت في إيمان على البقاء في مكة لتضع مولودها في بيت أبيه المجاور للحرم - فهل يعقل أن تترك مكة بعد أن زال عنها الخطر لتذهب إلى عسفان لتضعه هناك وحيدة غريبة بعيدة عن أهلها وأهل وليدها؟؟

وما ينبغي لنا أن نختم هذا البحث دون أن نسمع كلمة حليلة بنت ذؤيب السعدية أم الرسول صلى الله عليه وسلم التي أرضعته : فقد قالت :

(خرجت من باديتي مع زوجي وابن صغير أرضعه - في قسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء حتى قدّمنا مكة : فما من امرأة إلا وقد عرض عليها محمد فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم (١٨) (١٩) (٢٠))

وأيضاً ما ينبغي أن نختم هذا الجزء دون تعليق على ما أورد شيخنا الجليل وأستاذ الجيل حمد الجاسر في نفس المجلة عندما قال : (والولادة وقعت في زمن الجاهلية : وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة ، سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك - وبعد مجيء الإسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي .. إلخ ..) (٥) .

وتعليقي على هذا يأتي في شكل تساؤل هو :

ألم يكن بين أهل الرسول وجيرانه وأهل مكة بعد ظهور الإسلام من عاصر مولده صلى الله عليه وسلم ويعرف مكان ولادته ؟ لقد كان هناك ولا شك من يعرف ذلك ويعلم علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم ولد في جوف مكة في البيت المجاور للحرم .

وأغلب الظن أن الذين تحدثوا عن مولده في غير مكة توهموا أن آمنة رضي الله عنها قد خرجت مع القرشيين اتقاء خطر الهجوم الحبشي ولكنها لم تفعل كما أوضحنا .

وبعد :

فلا شك عند العلماء والمحققين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد في مكة المكرمة وفي شعب عامر المنطقة المعروفة الآن .. وذلك لأنها جاءت بالتواتر وعلى الرغم من أن العرب لم تكن تعني بمكان الولادة .. ولا بحفظ الأمكنة كما ذكر الأستاذ الكبير حمد الجاسر (و) .

إلا أنه صلى الله عليه وسلم بعد نزول القرآن وإبلاغ الرسالة وظهور دين الإسلام كان في مكة المكرمة من الرجال والنساء من يعرف .. أمه وأبيه .. وعشيرته .. وأين ولد ومتى ولد .. وكان صحابته صلى الله عليه وسلم يحرسون على جمع كل ما يتصل به .. ومعرفة من يتصل به عليه صلاة الله وسلامه .

وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم .. كان قد لفت الأنظار بما عرف عنه من الأمانة حتى قالوا : (جاء الأمين) وكذلك من الخلق والاستقامة .. وكريم الحسب والنسب مما جعله محط أنظار الجميع .

ولهذا لم يعد هناك أي شك كما ذكرت عند أهل العلم أنه ولد في مكة المكرمة .. عام الفيل وأن ولادته كانت في شعب عامر في مكة المكرمة .. وفي الدار التي

كانت معروفة لمحمد بن يوسف .. اعتماداً على التواتر من فاحية وعلى الآيات
البيئات في القرآن الكريم .. وما جاء في مصادر السيرة المعتمدة .. والروايات
الموتوقة .. والله أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل ..

والحمد لله أن وفقنا إلى هذا . وإني أسأله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل .

مجلة « الدوحة » (ع : ١٠٨ ربيع الأول سنة ١٤٠٥ هـ)

محمد عبده يماني

المراجع :

- (١) محمد حسين هيكل - حياة محمد ص/ ١٠٤ .
- (٢) سورة محمد : الآية ١٣ .
- (٣) سورة القصص : الآية ٨٥ .
- (٤) ابن حزم الأندلسي - جوامع السيرة النبوية ج/ ١ ص/ ١٦٥ .
- (٥) ابن هشام المعافري - السيرة النبوية ج/ ١ ص/ ١٦٥ .
- (٦) محمد بن محمد بن سيد الناس : عيون الأثر في سيرة سيد البشر .
- (٧) الإمام السهيلي : الروض الأنف ١/ ١٨٤ .
- (٨) ابن سعد رواية عن الواقدي : الطبقات الكبرى .
- (٩) ابن هشام المعافري : السيرة النبوية ١/ ١٦٧ .
- (١٠) هي الصحابية فاطمة بنت عبدالله رضي الله عنها - الاستيعاب رقم ٤٠٥٩ - وعيون الأثر ١/ ٢٧ .
- (١١) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن سيد الناس في عيون الأثر عن طريق ابن السكن .
- (١٢) سورة المسد ٦٠٣ .
- (١٣) أستاذ الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب : تراجم سيدات بيت النبوة ١٠٦ .
- (١٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد - ١٠٩ .
- (١٥) كوسان دبرسفال : رسالة في تاريخ العرب - ٢٠ .
- (١٦) ابن هشام المعافري : السيرة النبوية - ١/ ١٦٧ .
- (١٧) ابن الأثير : النهاية - ٢/ ٣ .
- (١٨) ابن هشام : السيرة النبوية ١/ ١٧٠ .
- (١٩) الزرقاني : ١/ ١٤٦ .
- (٢٠) التويري : ١٦/ ٨١ .

حول المولد .. مرة أخرى

كنت نحدثت ليلة الأربعاء ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢ هـ في (جامعة أم القرى) عن (الآثار الإسلامية في مكة المشرفة) فتعرضت لذكر بعض المواضع المشهورة فيها ، ومنها المولد النبوي ، الواقع في سوق الليل ، على ما تناقل الناس منذ عصور قديمة ، وأشارت إلى الخلاف الواقع في تحديد موضع المولد كقول الحافظ مُعْتَلِّطَايُ الحنفي (٥٧٦٢/٦٨٩) في كتابه « الإشارة إلى سيرة المصطفى ، وتاريخ من بعده من الخلفاء » وهو من مخطوطات مكتبة الحرم المكي ، ونصُّ كلامه : (وُلِدَ صلى الله عليه وسلم بمكة ، في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ، ويقال : بالشَّعب ويقال : بالرَّدم ، ويقال : بعسفان) وقول ابن سيد الناس محمد بن محمد اليعمري (٥٧٣٤/٦٧١) في كتابه « عيون الأثر ، في سيرة سيد البشر » : (وولد في الدار التي تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ، وقيل : إنه وُلِدَ في شعب بني هاشم) وقول الإمام السُّهَيْلِيّ في « الروض الأُنْفِ » : (وَوُلِدَ بالشَّعب ، وقيل : بالدار التي عند الصَّفَا) . ثم أوردتُ كلام مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي : (مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسوق الليل وهو مشهور ، وذكر السُّهَيْلِيّ في خبر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ما يستغرب) ثم أورد كلامه وأضاف : (وأغرب منه ما قيل مِن أنه صلى الله عليه وسلم وُلِدَ في الردم ، ردم بني جُمَحٍ) .

ومما أوردتُ قول الشيخ عبدالله العياشي المغربي (١٠٣٧/١٠٩٠ هـ) صاحب الرحلة المشهورة « ماء الموائد » وملخصه : وقد عَلِمَ من كتب السيرة ما وقع من الاختلاف في مولده صلى الله عليه وسلم — والولادة وقعت في زمن

الجاهلية ، وليس هناك من يعني بحفظ الأمكنة سيئاً مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجيء الإسلام فقد عُلِمَ من حال الصحابة وتابعيهم ضعفُ اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي ، لصرف اعتنائهم لما هو أهم ، من حفظ الشريعة ، والذَّبُّ عنها بالسُّنَّان واللسان ، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار — إلى آخر ما ذكره العياشي .

وَحَلَّصْتُ من ذلك إلى القول : (وهذا الاختلاف في الموضع الذي وُلِدَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم يحمل على القول بأنَّ الْجَزْمَ بإثبات الموضع المعروف عند عامة الناس باسم المولد ، لا يقوم على أساسٍ تاريخيٍّ صحيح .)

فكلامي مُنْصَبٌ على الموضع الواقع في سوق الليل ، المعروف عند العامة باسم (المولد) ولم أنف ولادته صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ، وورد ذكر عسفان في كلام مُغَلِّطَي من قبيل نقل اختلاف العلماء في الموضع ، ولا يلزم منه أنني أقول به أو أَصَحُّهُ ، ونقلي القول ليس من لازمه الاعتقاد بصحته .

ولكنَّ من الإخوة مَنْ سارع إلى التَّيْلِ مِنِّي وَوَصَفِي بما أنا منه بِرِيءٌ — فنشر أحدهم في جريدة « عكاظ » — في ١٤٠٢/٨/٧ هـ ع ٥٨٤٤ — كلاماً — بعد التَّجَاوُز عما وَرَدَ فيه من العبارات الصادرة عن انفعال وتأثر — يُبرزني بأنني : —

١ — من دعاة التشكيك في الآثار الإسلامية .

٢ — أحاولُ سَلْبَ مكة شرف مَوْلِدِ نبي الإسلام فيها !!

بل لم يتورَّع أحدُهم بأن قال : (إنَّ ما قاله الشيخ الجاسر فَلَنتَ لا يُغْفَرُ لها) !! جريدة « عكاظ » — ع : ٥٨٦٧ في ١٤٠٢/٩/٢ هـ .

وتناول الموضوع الصَّدِيقُ الأستاذ محمد حسين زيدان بِتَلَقُّفٍ ما نَشَر

أولئك الإخوة راداً عليّ ، ومدافعاً عني — كما قال في جريدة « عكاظ »
 ع : ٥٨٤٩ في ١٣/٨/١٤٠٢ هـ — وهو في غاية الجهل بما يردُّ عليه ، لأنه لم
 يقرأ محاضرتي في الموضوع ، ولهذا فكان موقفه موقف الخصم في دفاعه عني ، فكان
 أن نشرتُ كلمة في جريدة « الجزيرة » بعنوان : (أيُّها الأحاب منزلة أم
 القرى أسمى مما تتصورون) ونشرت في « العرب » — س ١٧ ص ٧٩٣ وما
 بعدها — ختمتها بقولي : وبعد كل ما تقدم فإنَّ لأحبَّ بلاد الله إلى خير
 خلقه من المنزلة السامية في نفس كل مؤمن ما هي أجلُّ وأسمى من أن يؤثرَ
 فيها أيُّ مؤثر ، مهما كان مبعثه ، ولكنها المنزلة التي يجب أن تتفق مع الدين
 والعقل ، بدون إفراط ولا تفريط ، وبدون أن يتوهَّم متوهَّم أن نلبقة
 — أئمة بققعة كانت — من الأثر في ساكنها ما يتنافى مع قول الله تعالى ﴿ وَأَنْ
 لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ سلباً أو إيجاباً .

ثم ها هو الصديق الجليل الدكتور محمد عبده يماني يتناول الموضوع تناول
 العالم، المتجرد من كل غاية لا توصل إلى الحقيقة، وهكذا يجب أن يتحلَّى كلُّ
 مَنْ أراد أن يسير على النهج القويم ، الذي سلكه وشرعه أشرفُ الخلق وأفضلُ
 الرسل عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
 وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ
 مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
 حَوْلِكَ ﴾ .

ولصلة ما كتبه الأستاذ الكريم الدكتور محمد عبده يماني بما أثير حول
 ما تحدَّثْتُ به عن المولد ، ولِمَا لكتابته من منزلة سامية في نفسي ، رأيتُ
 إعادة نشره في مجلة « العرب » لأنَّ من قُرَّائها مَنْ لا يَطْلُعُ على مجلة
 « الدوحة » والمقال ذو صلة بما نشر في مجلة « العرب » .

والمقال — بنجمه — مُنْصَبٌّ على إثبات ولادة المصطفى صلى الله عليه
 وسلم في أمِّ القرى ، وهذا ما لَمْ أُنْعِزْ له في مُحَاضَرَتِي إلا استطراداً

حين أوردتُ بعض أقوال المتقدمين من العلماء ، ومن بينهم الحافظ مُغلَطَايَ ،
والرَّحالة العياشي ، في كلامهما ذكر موضعين خارج مكة ، عُسْفَانَ والأَبْوَاء ،
أوردتُ كلامهما ناقلاً ، لا مؤيَّداً .

ولكنَّ الأمر الذي لا أزال بحاجة إلى إيضاحه هو قول الأستاذ الجليل
الدكتور : (وَأَنَّ وَلَا دَتَهُ - عليه الصلاة والسلام - في شِعْب عامِر .. وفي
الدار التي كانت معروفة لمحمد بن يوسف) .

فما أوردته الدكتور عن هذا الأمر ملخصه :

١ - قول ابن هشام : (وُلِدَ بالشَّعْب في الدار التي كانت عند الصفا ،
وكانت بَعْدُ لمحمد بن يوسف ثُمَّ بَنَتْهَا زُيَيْدَةُ مسجداً حين حَجَّتْ) .

فكيف تكون الدار بالشعب - شعب عامر على ما ذكر الأستاذ الدكتور
محمد - ثم تكون عند الصَّفَا ؟ ومعروف أنَّ المكان المعروف الآن باسم (المولد)
في شعب علي - المعروف قديماً بشعب بني هاشم - لا شعب عامر - وليس هذا
الشَّعْب عند الصَّفَا .

والدار التي عند الصَّفَا دارٌ أخرى لَيْسَتْ التي في شعب بني هاشم - الذي
عُرِفَ فيما بعد بشعب علي - إِنَّهَا دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، التي
كانت معروفة باسم دار الخيزران ، وكانت دار الأرقم مكان اجتماع المسلمين
الأوليين بالرسول صلى الله عليه وسلم ، يعلمهم أمور الدين ، وفيها أسلم عمر بن
الخطاب - رضي الله عنه - وبُنِيَتْ في عهدنا داراً للحديث - انظر كتاب
« أخبار مكة » للأزرقي ج ٢ ص ٢٠٠ و ٢٦٠ - و « القيرى » للمحب الطبري -
ص ٦١٤ .

وقد ذكر مؤرخ مكة السيد تقي الدين الحسيني الفاسيُّ في « شفاء الغرام »
- ج ٢ ص ٢٦٩ - مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الموضع الذي يقال له سوق

الليل وهو مشهور عند أهل مكة . وعقب عليه قائلا : وذكر السهيلي ما يستغرب في تعيين الموضع الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفيمن بناه ، لأنه قال : وولد بالشعب وقيل : بالدار التي عند الصفا ، وكانت بيد محمد بن يوسف أخي الحجاج ، ثم بنيتها زبيدة مسجداً حين حجّت انتهى . — ثم أورد كلام الحافظ علاء الدين مغلطاي وقال بعده : والمستغرب من ذلك ما قيل من أن النبي صلى الله عليه وسلم وُلِدَ بالرّدم ، وقيل : بعُسفان ، والقول بأنه وُلِدَ بالرّدم رواه أبو حفص بن شاهين ، لأنه قال : حدثنا أحمد بن عيسى ابن السكن ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال : وُلِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرّدم ، وخُتِنَ بالردم ، واستبعت من الرّدم ، وحُمِلَ من الرّدم . قال البكري : رَدَمُ بني جُمَحَ بمكة ، كانت فيه حرب بينهم وبين بني مُحارب بن فيهر ، فقتلت بنو محارب من بني جُمَحَ أشدَّ القتل ، فسميَ ذلك الموضع بما رَدِمَ عليه من القتل . ثم أنتقل تقى الدين القاسي — بدون تعليق على خبر الرّدم — إلى الكلام عن المولد فوصفه وصفاً دقيقاً ، وحدده ، وبين مساحته طولاً وعرضاً .

٢ — لم أجد نصّ كلام ابن هشام الذي نقله الأستاذ الكريم مُحْيِلاً إلى « السيرة النبوية » : ج ١ ص ١٦٧ ، وإنما وجدت في هامش ص ١٥٨ منها ما كتبه محققوها الأساتذة مصطفى السقا ورققاؤه : (وكانت ولادته بالشعب) إلى آخر الكلام مع الإحالة إلى « الروض الأنف » للسهيلي ، و « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، والطبري . فعلى هذا يتضح أن الكلام ليس لابن هشام بل لمحققي سيرته .

٣ — وأضاف الدكتور إلى الكلام المنسوب لابن هشام : (وذكر ابن سيّد الناس مثل هذا ، وكذلك أورده السهيلي وابن سعد) .

نصّ كلام ابن سيّد الناس في « عيون الأثر » ٢٦/١ : (ووُلِدَ صلى الله

عليه وسلم في الدار التي تدعى لمحمد بن يوسف أخني الحجاج - ثم ذكر الاختلاف في يوم الولادة وأضاف : وقيل : إنه وُلِدَ في شعب بني هاشم (فمفهوم كلامه أن الدار التي وُلِدَ فيها ليست في شعب بني هاشم ، وإلا لما كان لقوله : (وقيل) معنى .

أما كلام ابن سعد في « الطبقات الكبرى » فلم أجده في (ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقد يكون في موضع آخر ، وكلام السُّهَيْلِي في « الروض الأُنْف » تقدم في كلام النَّفَّاسِي الذي قال : إنَّ فيه ما يستغرب .

٤ - لِنَضْرِبَ صَفْحًا عَمَّا أوردته الحافظ مُغَلْطَيَّ وغيره ممن ذكروا مواضع خارج مكة كعُسْفَانَ والآبَوَاء ، وَلِنَحْضِرَ الكلامَ فيما ذكره غيرهم من العلماء كابن القَيِّم الذي حكى الإجماع على أن ولادته عليه أفضل الصلاة والتسليم كانت في جوف مكة المشرفة ، وكما أوضح هذا الأستاذ الجليل الدكتور محمد في بحثه الممتع ، المُدْعَم بالأدِلَّة القوية ، وكما ورد في بعض الكتب السماوية ، كما أورد الحافظ ابنُ سَيِّدِ الناس في « عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير » - ص ٢٧ - وغيره عن كعب الأحمبار : إِنِّي أَجِدُ في التوراة : عبدي أحمد المختار مولده بمكة . ففي أيِّ موضع من هذه البلدة الطاهرة كانت ولادته عليه الصلاة والسلام ؟

هل كانت في المكان المشهور المتعارف منذ عصور طويلة ، الواقع في الشَّعْبِ المعروف قديماً باسم شعب بني هاشم ، وحديثاً باسم شعب عليٍّ ؟ - لا في شعب عامر - وهذا الموضع هو الذي بنته الخيزران مسجداً ، أو في الدار التي كانت عند الصَّفَا ثم بنتها زبيدة مسجداً - كما نقل الأستاذ الدكتور عَمَّن ذكر من أئمة علماء السيرة .

أو في رَدَمِ بني جُمَحٍ - كما نقل مؤرخ مكة ، بل أوسعهم علماً ، وأكثرهم مؤلفات في تاريخها السيد النفاسي - عن الحافظ ابن شاهين ، ورَدَمُ

بني جُمَحَ هذا - كما يفهم مما ذكره الأزرقِي في كتابه « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » - يقع بقرب المُدَعَا - .

أنا أدركُ أن مؤرّخي مكة المشرفة يكتادون يجمعون على اعتبار الموقع الأول هو مكان مولده عليه الصلاة والسلام ، ولكنني وأنا أبحث الموضوع بَحْثَ مَنْ لَا يُرِيدُ أَنْ يَبْقَى فِي نَفْسِهِ أَثَرٌ مِنْ تَرَدُّدٍ أَوْ حَبَرَةٍ أرى فيما أورده الأستاذ الدكتور ما يستوجب الوقوف عنده .

ثم لماذا أورد تقي الدين الفاسي القولَ بأنه - صلى الله عليه وسلم - وُلِدَ في الرَّدَمِ وَلَمْ يُبْدِرْ رَأْيَهُ حِيَالَهُ ، كما فعل مع غيره من الأقوال ؟

إنَّني - وقد أدركْتُ فيما أوضحه الأستاذ الجليل في بحثه من حجج وبراهين ، وفيما سلكه من طريقة البحث وتناول الموضوع تَنَاوُلَ مَنْ يَسْعَى للوصول إلى الحقائق ، مُتَجَرِّدًا مِنْ جَمِيعِ الْغَايَاتِ الَّتِي تُصَدِّفُ عَنْهَا ، شَأْنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّحَلِّيِّ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ فِي سَبِيلِ نَشْرِ الْعِلْمِ ، الَّتِي مِنْ أَهْمِّهَا التَّخَلُّقُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ ، وَالتَّرَفُّعُ عَمَّا يُسَبِّبُ الْأَخْذَ وَالرَّدَّ ، وَالتَّمَادِي فِي التَّعَصُّبِ لِأَرَاءٍ لَا تَقُومُ عَلَى أُسَاسٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ - لَا أَزَالُ أَتَطَلَّعُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْبَحْثِ فِي الْمَوْضُوعِ ، لَكِنِّي أَصِلَ إِلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْإِطْمِئْنَانِ وَالْيَقِينِ ، لَا غَايَةَ لِي سِوَى هَذَا .

أما أولئك الإخوة الذين قد يَحُلُّوْا لِبَعْضِهِمْ تَأْوِيلَ مَا قُلْتُ خِلَافَ مَا أَوْضَحْتُ ، فَاللَّهُ حَسْبِيهِمْ ، وَهُوَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ وَقَلْبِهِ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنَعَمَ الْوَكِيلُ ، وَلَنْ أُعَيِّرَ آرَاءَهُمْ أَيْ اِهْتِمَامَ ، إِلَّا أَنِّي - وَقَدْ خَبِرْتُ بَعْضَهُمْ - لَا أَجِدُ غَضَابَةً فِي الْقَوْلِ بِأَنِّي - وَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى هَذَا - أَقْوَى صِلَةً ، وَأَعْظَمَ تَعَلُّقًا بِهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، وَأَشَدُّ حِرْصًا عَلَى صَيَانَةِ تَارِيخِهِ مِنْهُمْ ، وَهَذَا مَا يَحْمِلُنِي عَلَى الْحِفَافِ عَلَى هَذَا التَّارِيخِ ، وَعَلَى صَيَانَتِهِ مِمَّا قَدْ يُتَّخَذُ وَسِيلَةً لِلْغَضِّ مِنْهُ ، أَوْ الْقَدَحِ فِيهِ .

وبعد : فلا أدري هل من حقي الإشارة إلى بعض هفوات وقعت في البحث الممتع ، الذي أتحف به الأستاذ الجليل القراء فلم يَجِدْ من مصححي مجلة « الدوحة » العناية التامة التي تحول دون وقوع تلك الهفوات ، وإلى أخرى لي رأي حييها ، ومنها ما يتعلق بنسبة كلام إليّ وليس لي — مما قد يكون ناشئاً من عدم مراجعة البحث قبل نشره ، لأنني مدفوعاً بإدّلائي على أخي العالم الجليل إدّلالاً حُبّاً وتقدير وإجلال — سأشير إلى بعض ما اتّضح لي من تلك الهفوات اليسيرة ، التي لا تؤثر فيما لهذا البحث القيم من قيمة علمية .

(أ) القول بأنّ منازل أهل مكة زمن ولادة المصطفى — عليه الصلاة والسلام — تقرب من الكعبة وتبتعد عنها وفقاً لمكانة كل أسرة وفخذ ، من جلال وخطر — لمحمد حسين هيكل — يَصِحُّ لو ثبت أن المنازل خُطِّطَتْ وحُدِّدَتْ قبل السكْنَى ، وهذا ما لم يثبت من ناحية تاريخية ، فيما علّمت ، وإنّما كانت الدور تسكن حسبما اتَّفَقَ ، وللقرابة نسباً أو حلفاً — أثرٌ في ذلك ، ولو صَحَّ قول الدكتور محمد حسين هيكل لكانت رِباعُ بني هاشم عشيرة المصطفى الأقربين أقربَ الدور من الكعبة ، ولما كانوا في الشَّعب المعروف بشَعب بني هاشم الذي يفصل بينه وبين الكعبة رِباع (دُور) كثيرة ، قد أوضحها الأزرق في كتاب « أخبار مكة » ج ٢ ص ٢٣٣ إلى ٢٦٥ .

ومثل ذلك قول محمد حسين هيكل — رحمه الله — أن منازل القبائل من وراء منازل قريش ، بالنسبة لموقع الكعبة المشرفة . بل لقد كانت منازل بعض الحلفاء من القبائل أقرب إلى الكعبة من منازل كثير من الأسر القرشية .

فرباع آل عتبة بن فرقد السلمي — من سُلَيْمٍ وإيسوا من قريش — كانت تلي دار شيبه بن عثمان من عبد الدار من قريش الذي يُنسب إليه باب بني شيبه ، لجوار داره للمسجد ، وكانت رباعهم — أعني آل عتبة — شارعاً في السويقة — على ما ذكر الأزرق ج ٢ ص ٢٤٨ .

ورباع آل داود بن الحضرمي - وهم من حضرموت من قحطان - حلفاء
عتبة بن ربيعة عند المروة - الأزرقى : ٢٤٩/٢ .

ورباع آل عتبة بن غزوان وهو من مازن بن منصور من هوازن ، كانت
إلى جنب المسجد الحرام - الأزرقى : ٢٥٠/٢ .

ورباع حلفاء بني زهرة كانت في أصل المسجد الحرام - الأزرقى :
٢٥٥/٢ - .

ورباع آل أنمار وآل قارظ من القارة - بين الصَّفَا والمروة - الأزرقى :
٢٥٥/٢ - .

ورباع حلفاء بني مخزوم - مع رباع بني مخزوم - أجيادَانِ الكبير
والصغير - الأزرقى : ٢٥٧/٢ .

ولا يَتَسَعُّ المقام لتفصيل أكثر من هذا .

(ب) هنا تطبيع - خطأ مطبعي - في سياق النسب الشريف ، صوابه
(كلاب بن مُرَّة) و (مالك بن النضر) .

(ج) آمِنَةٌ - أمٌ خير الخلق وأشرفهم عليه أركبى الصلاة وأتمُّ التسليم -
ليست من أبناء قُصَيِّ بن كلاب ، بل جدُّها زُهرَةُ بن كلاب ، وسياق نَسَبِها -
كما أورده مصعب بن عبدالله الزُّبَيْري القرشي في كتاب « نسب قريش » - ٢٦١ -
وكما هو معروف لا يختلف في ذلك اثنان من العلماء - : آمنة بنت وهب بن
عبد مناف بن زُهرَةَ بن كلاب بن مُرَّة ، فنسبها يلتقي مع نسب المصطفى -
صلى الله عليه وسلم - في كلاب .

وما وقع في الكلام المنشور في مجلة « الدوحة » سبق قَلَمٍ - إذ الأستاذ
الجليل أجلُّ علماً وأوسع معرفةً من أن يخفى عليه ذلك .

(د) من المعروف أن موضع المولد - أعني المنزل الذي وصفته ابنة الشاطبيء - لا تنطبق أوصافه الحاضرة على ما كان عليه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد غُيِّرَتْ مساحته ، وقد حَدَّدَهَا مؤرخ مكة السيد تقي الدين الفاسي في كتابه « شفاء الغرام » تحديداً قد يكون أقرب إلى حالته الأولى فقال - ج ١ ص ٢٦٩ - بعد أن وصف الموضع : (وذرع هذا المكان طولاً أربعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع ، وذلك من الجدار الشمالي إلى الجدار المقابل له وهو الجنوبي الذي يلي الجبل ، وذَرَعُهُ عَرَضاً أحد عشر ذراعاً وثُمْنُ ذراع ، وذلك من [الجدار] الشرقي الذي فيه بابه إلى جداره الغربي المقابل له ، وطولاً الزاوية المشار إليها ثلاثة عشر ذراعاً ونصف ذراع ، وعرضها ثمانية ونصف ، الجميع بذراع الحديد ، وكان تحرير ذلك بحضوري) انتهى .

أما الزاوية التي ذكر فقد قال في أول الكلام : وفي ركنه الغربي مما يلي الجنوب زاوية كبيرة قبالة بابه الذي يلي الجبل . ويحسن الرجوع إلى وصف السيد الفاسي للموضع .

(هـ) ليس هذا قولي ولكنه قول الرحالة المغربي المعروف العياشي عبد الله ابن محمد (١٠٣٧/١٠٩٠هـ) صاحب الرحلة المشهورة « ماء الموائد » أورده فيها ، وقد ذكرته بنصه ناقلاً ، لا قائلاً ، والكلام ينسب لمن قاله مبتدئاً ، لا من أورده ناقلاً - كما هو معروف - وهو في تلك الرحلة - ج ١ ص ٢٢٥ .

(و) وهذا أيضاً مما نقلته من رحلة العياشي - ج ٢ ص ٢٥٣ - فهو قوله وليس قولي .

حمد الجاسر

عرفات : حدودها الشرعية

منذ نحو عشرين عاماً وبعض علماء بلادنا يتباحثون في تحديد عرفات من الناحية الشرعية حتى عهدنا الحاضر ، ففي شهر المحرم من عام ١٣٨٦ هـ نشرت مجلة « الدعوة » (ع ٥١ تاريخ ١٩/١/١٣٨٦ هـ) فتوى للشيخ عبدالله بن عَقِيل - إجابة لسؤال عن حدود عرفة .

ولكن الشيخ ناصر بن حمد الراشد عقب على كلام الشيخ ابن عقيل بمقال نشر في جريدة « البلاد » (ع ٢٢٢٠ تاريخ ١١ صفر سنة ١٣٨٦ هـ) .

وقد رأى الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن جاسر - رحمه الله - في كلام الشيخ ناصر ما دفعه إلى التعليق عليه بمقال نشرته جريدة « البلاد » ثم صدر أمر ملكي بتشكيل هيئة من طلبة العلم ومن سكان عرفات ومن وزارة الحج والأوقاف ، فشكلت بقرار من رئاسة القضاة بتاريخ ٢٢/٨/١٣٨٨ هـ من المشايخ عبدالله بن جاسر وسليمان بن عُميد والسيد عباس علوي مالكي وعبد العزيز ابن فوزان ، ومعهم من أهل الخبرة الشريف فايز الحارثي والشريف محمد ابن فوزان الحارثي والشريف شاكر بن هزّاع أبو بَطْطَيْن ، ومن أهل عرفة المقيمين بها خيشان وكريدم ابنا حامد القرشي ، ومندوب وزارة الحج والأوقاف الشيخ محسن بن الشيخ بابصيل والمهندس فؤاد بن كامل حواريما . وبعد اجتماع الهيئة في عرفات بتاريخ ٦/١٠/١٣٨٨ هـ وتطبيق نصوص متقدمي العلماء في تحديد الموضع على ما شاهدته الهيئة حسبما ظهر لها اتخذت قراراً حدّدت فيه الموضع من جميع جهاته (انظر نص القرار في مجلة « العرب » عدد ذي القعدة سنة ١٣٩١ هـ - السنة السادسة ص ٣٧٥ وما بعدها) .

ثم إن الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع اطلع على ذلك القرار فرأى فيه

ما هو بحاجة إلى الإيضاح والاستدراك ، حين كان أحد المكلفين بتطبيق ذلك القرار ، فكتب إلى هيئة كبار العلماء بملاحظاته حوله .

وترى مجلة « العرب » وقد نشرت ذلك القرار بنشر ما دار حوله - إكمالاً وتوضيحاً للموضوع ، وتسجيلاً لنقاش علمي حول موضوع يتعلق بركن من أركان ديننا الحنيف .

مقال الشيخ ناصر بن حمد الراشد :

بحث و تعقيب حول حدود عرفة

نشرت صحيفة الدعوة الغراء في العدد (٥١) - الصادر بتاريخ ١٩ / ١ / ١٤١٦ هـ باب الفتاوي من إعداد الشيخ عبدالله بن عقيل إجابة لسؤال سائل عن حدود عرفة قال فيها : إنها من الجبل المشرف على عرفة إلى الجبال المقابلة له إلى ما يلي حوائط بني عامر . انتهى

ولما كان أكثر هذا التحديد غامضاً فقد رأى فضيلة المجيب إيضاح هذا الغموض بما نقله عن كتاب « مفيد الأنام » ونصه : (أن الجبل المشرف المذكور هو الجبل العالي شمالاً عن جبل الرحمة وهو شرقي عرفة والجبال المقابلة المذكورة هي الجبال الجنوبية وهي حد عرفة من جنوب . وحوائط بني عامر هي بساتين لبني عامر وكان فيها عين ونخل تنسب إلى عبدالله بن عامر بن كريب . وهي الآن خراب وموضع العين فيما يظهر غربي مسجد عرنة الذي يسمى الآن مسجد إبراهيم وآثار العين المذكورة موحودة الآن قرب المسجد . فحد عرفة من هذه الجهة ليس هو حوائط بني عامر بل هو الذي يلي الحوائط المذكورة والذي يليها هو المسجد ومنه يتضح أن المسجد ليس من عرفة لأن الحد لا يدخل في المحدود ، والحد الشامي لعرفة بطن وادي عرنة لأنه يأتي من الشمال إلى الجهة الغربية الجنوبية ، ووادي عرنة أيضاً حد لعرفة من جهة الغرب لأن نفس المسجد في

وادي عرنة فهذه حدود عرفة من الجهات الأربع . قال : ولم أر من حددها
غيري ولكن بالوقوف والتطبيق وفق الله لي ذلك قال : وهناك علمان فاصلان
بين عرفة ووادي عرنة من جهة الغرب عن عرفة فما كان شرقا عن العلمين
فهو من عرفة وما كان غربا منهما فهو من عرنة . انتهى

مجال النقاش لتحديد عرفة :

ونظرا لأنني أحد السائلين والباحثين عن تحديد عرفة وغيرها من المشاعر
فإن في هذا البحث مجالا للتدقيق والمناقشة ورغبة مني في المشاركة في هذا فقد
رأيت التعليق الآتي :

سبق لي أن قمت بمحاولة لتطبيق ما رأيته من كلام بعض الفقهاء وبعض
المؤرخين على حدود عرفة فتبين أن التطبيق المسرود بهذه الإجابة لا يتفق من حيث
تعيين موقع حوائط بني عامر ولا من حيث الحد الشامي لعرفة، وأن ثمة قصور
في تحديد عرفة من الناحية الشرقية . والذي تبين لي أن حزام حدود عرفة هو على
الوجه التالي :

الحد الشرقي

الحد الشرقي هو سلسلة الجبال والهضبات الواقعة شرقي جبل الرحمة ومصلى
الصخرات . وتبدأ هذه السلسلة من الجبل العالي المسمى جبل (سعد) والذي
يقع أدناه شمالا عن جبل الرحمة وتمتد السلسلة جنوبا إلى طريق نعيمان طريق
الطائف حاليا .

الحد الجنوبي

والحد الجنوبي الجبال المقابلة الواقعة على يمين السالك لطريق نعيمان - الطائف
وتتعام الحد الفضاء الممتد من مقطع هذه الجبال حتى وادي عرنة وهذا الفضاء
فيما يظهر لي هو الذي عبر عنه الفقهاء بما يلي :

حوائط بني عامر حيث تقع الحوائط جنوبا عن هذا الفضاء وهناك شاهدنا آثارا لبعض القناطر ، وآثاراً لبعض الآبار آنذاك .

الحد الغربي :

والحد الغربي هو بطن وادي عرنة الممتد من الشمال إلى الجنوب حتى يتجاوز منطقة عرفة وهناك العلمان اللذان أشار إليهما صاحب كتاب « مفيد الأنام » المنصوبان على شفير وادي عرنة الشرقي .

الحد الشمالي :

والحد الشمالي الواجهة الغربية للجبل العالي (سعد) الواقع شمالا عن جبل الرحمة ، وهناك فضاء واسع واقع بين جبل سعد وبين وادي عرنة لم أر أحدا من الفقهاء والمؤرخين تعرض للبحث فيه من حيث تعيين التحديد .

وهذا الفضاء مقابل للفضاء الموالي لحوائط بني عامر حد عرفة من الناحية الجنوبية ولا يقل عنه في الاتساع " وهنا تتضح الفروق بين هذا التحديد الذي قمنا بتطبيقه عدة مرات وبين مانشره فالتحديد المنشور بإعداد الشيخ عبدالله العقيل يرى أن حوائط بني عامر تقع غربا عن مسجد عرنة وأن ما يلي الحوائط هو المسجد .

غربي المسجد جزء من وادي عرنة

وإنه ليدو جليا لمن تتبع هذه الآثار أن الذي يلي المسجد غربا هو جزء من وادي عرنة يليه غربا سفح يتصل بجبل نمرة ، ولعل الآثار التي شوهدت هناك بقية من آثار كانت بقرية نمرة التي نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم ورحلت له ناقته منها وأتى بطن عرنة وخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر جمعا هناك ثم توجه إلى عرفة لأن هذا الموضع هو الذي ينطبق عليه وصف مكان قرية نمرة كما ذكره أبو الوليد الأزرق وغيره حيث ساق بسنده عن ابن جريج قال : سألت

عطاء أين كان رسول الله ينزل يوم عرفة ؟ . قال بنمرة منزل الخلفاء إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب لعرفة يلقي عليها ثوب يستظل به صلى الله عليه وسلم . ومعلوم أن هذا يقع لمن يأتي عرفة عن طريق (ضب) من حيث أتى النبي صلى الله عليه وسلم وإذا أقبلت إلى عرفة تحف هذا الجبل فإن مسجد عرنة أمامك . ويزيد هذا وضوحا ما نقله المحب الطبري عن الشافعي رحمهم الله ونصه : وعرفة ما جاوز وادي عرنة وليس الوادي ولا المسجد منها إلى الجبل المقابل مما يلي حوائط بني عامر وطريق الحصن وما جاوز ذلك فليس من عرفة . انتهى

فعلم أن الشافعي والمحب الطبري لا يريان أن حوائط بني عامر غربي المسجد لأن المسجد يقع في نفس وادي عرنة . يؤكد هذا ما ذكره كثير من المؤلفين في المناسك وبعض المؤرخين وتؤكدته المشاهدة وفي المقابل فإن ما نشر بصحيفة الدعوة في باب الفتاوى الذي أعده الشيخ عبد الله العقيل ينص على أن ما يلي حوائط بني عامر هو مسجد عرنة في حين أن الذي يلي المسجد هو بقية وادي عرنة .

سيل عام ١٣٦٠هـ

ولقد أتى سيل جارف في عام ١٣٦٠هـ فانحسر السيل غربا وشرقا عن المسجد وصار جزيرة في بطن الوادي ومعروف أن العلمين المنصوبين لحدود عرفة من الناحية الغربية قد وضعا على شفير الوادي وقد ذرع تقي الدين القاسمي ما بين ركن المسجد مما يلي عرفة إلى محاذاة العلمين الموجودين الآن فبلغت سبعمائة بتقديم السين وأربعة وسبعين ذراعا بالحديد عن ثمانمائة وخمسة وثمانين ذراعا بذراع اليد هذا ولقد سألت أشياخا من الجوابرة (هذيل) سكان منطقة عرفة عن القضاء الذي ذرعه تقي الدين القاسمي ، وعن المظلة القائمة فيه والتي أقامها الشيخ عبد الرؤف الصبان إبان توليه مديرية الأوقاف فقالوا : إن هذه المواضع ليست من عرفة وأكدوا لي هذا في ثقة مما يقولون .. وأضافوا على حد فهمهم

بأنه لما بنت الحكومة المظلة أصبحت من عرفة . ولهذا ينبغي الاهتمام بتثبيته
الحجاج بأن الوقوف بالمظلة غير مجزي عن الوقوف بعرفة .

ومقتضى مفهوم ما نشر أن ما دون المسجد بينه وبين العلمين أنه من عرفة
ويجزى الوقوف فيه وهذا ليس بمراد قطعاً من صاحب كتاب « مفيد الأنام » .

وادي عرنة ومآتيه :

وقد تضمن ما نشر بأن حد عرفة من الناحية الشمالية هو وادي عرنة،
وأن وادي عُرنة تحد به عرفة من الناحيتين الغربية والشمالية والأمر ليس كذلك بالنسبة
للحد الشمالي . حيث أوضحنا تحديد عرفة آنفاً من الناحية الشمالية لأن من تتبع تلك
الأماكن يتضح له أن وادي عرنة يأتي من الناحية الشمالية أعلاه من الشرايع
(حنين) والمغمس ويصب فيه رافد هو (وادي المجاز السوق العربية القديمة)
المشهورة المتجمعة سيوله من جبل (هذيل) (كبكب) فإذا أقبل على عرفات
فأنه يحف الجبال الغربية وقبل أن يصل عرفة قد شق منه خليج لمزارع الجوابرة
(هذيل) الواقعة غرباً شمالاً عن عرفة وغرباً عن وادي عرنة تلك المزارع التي
تحف الطريق السالك لِمَآزٍ مَبِينٍ ويستمر الوادي من الشمال إلى الجنوب حتى
يتجاوز منطقة عرفة وبهذا يكون واضحاً جلياً أن وادي عرنة لا ينعطف من
الغرب إلى الشرق فيمكن حينئذ أن تحدد به عرفة من الناحية الشمالية .

ويزيد هذا وضوحاً ما ذكره صاحب كتاب « شفاء الغرام » في بحثه لحدود
عرفة وتصحيحه لبعض التصحيقات حيث قال : ولا يصح أن يكون وادي عرنة
بالتون لأن وادي عرنة لا ينعطف على عرفة بل هو ممتد مما يلي مكة يمينا وشمالاً .
هذا ما عن لي من تعليق على حدود عرفة .

حدود المزدلفة أيضاً :

وبمناسبة بحث حدود المشاعر فإن ثمة اشتباهاً لدي في حد مزدلفة من الناحية

الجنوبية لأن حدود المزدلفة من الناحية الشمالية جبل ثبير الذي تحفه ، وغربا وادي محسر وشرقا مفضى المأزمين وجنوبا من الناحية الشرقية الجبال . هذا ملخص التحديد الذي نقله أبو الوليد الأزرقي عن ابن جريج عن عطاء وبعد مقطع الجبال فهناك فضاء من الناحية الغربية ممتد حتى جبال المفجر لم اطلع على بحث لأحد من المؤلفين في تحديد المزدلفة من ناحية هذا الفضاء .

كذلك فإنه يوجد فضاء في شرقي منى من الناحية الشمالية بعد مقطع مسيل السيل الذي يصب في محسر ما بين الوادي وواجهة جبل (ثبير) الغربية وهذا الفضاء ليس من مزدلفة حتما .

وينبغي بحث ما إذا كان من منى فيصح المبيت فيه أم لا ؟ لأنه إذا صح أنه من منى فإن فيه متسعا للناس ومفهوم كلام العلماء أن حد منى من الناحية الشرقية وادي محسر فهل محسر له حدود من الناحية الشمالية ينتهي إليها وما بعدها يكون من منى حتى ولو كان بعد تجاوز مسيل السيل من الناحية الشرقية أم أن محسرا يمتد شمالا حتى يكون مسيل السيل هو الفاصل وحد منى من الناحية الشرقية حتى يتصل بالجبال الشمالية . والحقيقة أن هذا بحث مهم ينبغي أن يؤلف له لجنة علمية تبحثه وتعطي قرارا ضافيا عنه وتعطي كذلك قرارا عن الفضاء الشمالي من عرفة والفضاء الجنوبي من مزدلفة لأن حجاجا كثيرين ينزلون في هذه الأماكن ولا تحصل الطمأنينة التامة إلى أنهم نزلوا في المشاعر وقضوا بذلك أركان الحج وواجباته المتعلقة بتلك المشاعر .

فإذا صدر مثل هذا القرار ينبغي وضع أعلام تحدد المشاعر من هذه الجهات ويكتب عليها الإيضاحات المرغوبة باللغات العربية والأردية والجاوية والفارسية . وبالله التوفيق .

حدود عرفة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فقد اطلعت على التعقيب المنشور بصحيفة البلاد الغراء في عددها ٢٢٢٠ في ٨٦/٢/١١ هـ نحو حدود عرفة ذكر فضيلة المعقب أن التطبيق المسرود بالإجابة التي ذكرها فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل في صحيفة « الدعوة » الغراء لا يتفق من حيث تعيين مواقع حوائط بني عامر ولا من حيث الحد الشامي لعرفة وأن ثمة قصورا من الناحية الشرقية وأن الحد الشرقي هو سلسلة الجبال والهضبات الواقعة شرقي جبل الرحمة ومصلى الصخرات وتبدأ هذه السلسلة من الجبل العالي المسمى جبل سعد الذي يقع أدناه شمالا عن جبل الرحمة وتمتد السلسلة جنوبا إلى طريق نعلان طريق الطائف .

هذا ملخص كلام صاحب التعقيب ولدى تأمله وتأمل ما ذكره فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل اتضح أن لا قصور فيما ذكره الشيخ عبدالله بن عقيل لأن الشيخ عبدالله ذكر أن حد عرفة من الشرق هو الجبل المشرف الذي يسمى الآن جبل سعد . فاكتمى بهذا الحد لأنه أشهر الحدود ولأنه يدخل فيه ما حاذى الجبل من الهضاب الشرقية التي هي تمام الحد ثم قال الشيخ عبدالله بن عقيل عن حدود عرفة : أنها من الجبل المشرف إلى الجبال المقابلة وهي الهضبات الجنوبية المتسلسلة التي هي حد عرفة من الجنوب المتصلة بالهضاب الشرقية التي هي حد عرفة من الشرق المحاذية للجبل المسمى سعد من الشمال فتحديد الشيخ عبدالله واف بالمقصود ولم يأت المعقب بشيء جديد . أما حوائط بني عامر فهي ليست معلومة الآن لأنها قد اندثرت وزالت آثارها وكل ما جاء من بحث في ذكر موضعها فإنما هو على حسب ما يظهر للباحث فيها وليس مع المعقب أي

دليل قاطع على موضعها وإنما هو رأي رآه وقد يرى غيره خلاف ذلك وبالجملة فإن التحديد بحوائط بني عامر أصبح الآن تحديداً بمجهول لخفاء آثارها وذكر فضيلة المعقب الحد الغربي لعرفة وأنه وادي عرنة وهذا الحد بالاتفاق بين العلماء وهو الذي ذكر فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل وذكر فضيلة المعقب أن الحد الشمالي لعرفة الواجهة الغربية للجبل العالي سعد الواقع شمالاً عن جبل الرحمة وقال فضيلة المعقب: إن هناك فضاء واسع بين جبل سعد وبين وادي عرنة ولم أر أحداً من الفقهاء والمؤرخين تعرض للبحث فيه من حيث تعيين التحديد . هذا كلام فضيلة المعقب وفقنا الله وإياه ونقول لفضيلته: بل قد تعرض الفقهاء والمؤرخون للبحث فيه ونحن نتحف فضيلته بذكر ذلك قال الإمام الشافعي وحسبك به من إمام قرشي وطني عالم بمكة وشعابها قال: حيث وقف الناس من عرفات جوانبها ونواحيها وجبالها وسهلها وبطاحها وأوديتها وسوقها المعروفة بذوي المجاز أجزأه . انتهى .

نقل ذلك النووي في شرح المذهب عن المارودي عن الشافعي فاعتبر الشافعي رحمه الله تعالى أن ذا المجاز من عرفة وذو المجاز يقع شمالاً وبذلك يتضح أن عرفة متسعة تسع الملايين من الحجاج والحمد لله رب العالمين ونقل الأزرق بسنده عن ابن عباس أنه قال: حد عرفات من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفات إلى وصيق بفتح الواو وكسر الصاد المهملة وآخره قاف إلى ملتقى وصيق ووادي عرنة . انتهى . قال إمام الحرمين: ويطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهها المقبلة من عرفات انتهى .

قال فضيلة المعقب: إن الذي يبدو جلياً أن الذي يلي المسجد غرباً هو جزء من وادي عرنة ويليهِ غرباً سفح يتصل بجبل نمرة ولعل الآثار التي شوهدت هناك بقية من آثار كانت بقرية نمرة التي نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم ورحلت له منها إلى آخر ما ذكره المعقب مما لم يحصل من فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل كلام فيه وأين حد عرفة من جبل نمرة الذي ذكره المعقب والذي هو حد الحرم

من الحل وكلام فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل لا يؤخذ منه منطوقا ولا مفهوما أن سفح الجبل هو حوائط بني عامر ولا أن حوائط بني عامر في تلك النقطة لأن تحديد حوائط بني عامر من جهة الغرب يتصل تدريجيا بالجنوب لأن الحدود لها أجزاء فيقال: حده كذا وتعام الحد كذا وكله في جهة واحدة ويصدق الحد على المحدود ولو ببعض أجزاء الحد وتقدم أن حوائط بني عامر ليست الآن معلومة ولم يجزم فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل بذلك بل قال فيما يظهر وذلك لأن الحوائط غير معلوم موضعها أما ما ذكره المعقب عن الأزرقى من أن النبي صلى الله عليه وسلم يتزل إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب لعرفة يلقي عليها ثوب يستظل به صلى الله عليه وسلم فالجواب على ذلك أن عهدي بفضيلة المعقب أنه لا يختار من الأقوال ما يخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا حجة واحدة وهي حجة الوداع سنة عشر من الهجرة النبوية ، وحديث جابر رضي الله عنه صريح في أن النبي صلى الله عليه وسلم ضربت له قبة بنمرة نزل فيها يوم عرفة إلى أن زالت الشمس ولم يتزل بغار كما زعمه الأزرقى فلا ينبغي أن نطرح الحديث الصحيح الذي رواه جابر رضي الله عنه في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول بقول الأزرقى أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في حجته يوم عرفة في غار بنمرة يلقي على الصخرة والغار ثوب يستظل به صلى الله عليه وسلم قال فضيلة المعقب: ولقد أتى سيل جارف في عام ١٣٦٠هـ فانحسر السيل غربا وشرقا عن المسجد إلى أن قال ولقد سألت أسيانها من الجوابرة سكان منطقة عرفة عن الفضاء الذي ذرعه الفاسي وعن المظلة المقامة فيه فقالوا إن هذه المواضع ليست من عرفة ولهذا ينبغي الاهتمام بتنبية الحجاج بأن الوقوف بالمظلة غير مجزيء عن الوقوف بعرفة هذا ملخص ما ذكره فضيلة المعقب والجواب عليه أن حد عرفة من الغرب هو وادي عرنة وذلك باتفاق المسلمين فلا حاجة إلى قول أسيان الجوابرة ولا يخفى على أحد أن المسجد لما وضع في بطن وادي عرنة انحاز السيل عن المسجد من جهة الغرب وإذا حصل سيل كبير فقد ينحاز منه جانب

إلى عرفة شرقا عن المسجد وحيث الحال ما ذكر فإنه ينبغي عدم الاسترسال في اعتبار الوادي حدا لو حصل فيه ما حصل من السدود وانحرف شرقا إلى عرفة لأن العبرة بمجره الأول الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «وارفعوا عن بطن عرفة» يدل على ذلك أنه لو عدل مجرى وادي عرفة إلى عرفة فإنه لا يسوغ أن يعتبر مجرى وادي عرنه الذي عدل إلى عرفة حدا لعرفة وبناء على هذا فإن المظلة الموجودة الآن تعتبر من عرفة قطعاً لأنها بعيدة عن وادي عرفة الذي هو حد عرفة من المغرب ولا عبرة بمحاذاة العلمين القديمين الموضوعين حدا لعرفة بل العبرة بالوادي ومجره القديم لأنه هو الحد الغربي لعرفة .

وقد تشكلت هيئة علمية لها خبرة ودراية للنظر في حدود عرفة وباشرت الهيئة عملها وتبجّلت في عرفة جنوبا وشمالا بالسيارات وطبقت الحدود المنصوص عليها في حدود عرفة واعتمدت الهيئة على ما ذكره ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنه وعلى ما ذكره الإمام الشافعي رحمه الله في حدود عرفة وعلى ما ذكره المؤرخون والفقهاء وستضع الهيئة قرارا وافيا إن شاء الله تعالى وقد ذكر فضيلة المعقب حدود مزدلفة وذكر بعد ذلك أنه قد أشكل عليه الفضاء الواقع في الناحية الغربية الممتد حتى جبال المفجر وكذلك أشكل عليه الفضاء الواقع شرقي منى من الناحية الشمالية ورأى تأليف لجنة علمية تبحثه وتعطي قرارا ضافيا عنه إلى أن قال فضيلته: فإذا صدر مثل هذا القرار ينبغي وضع أعلام عليه إلى آخر ما ذكره وهذا الذي ذكره وجيه ولكن فيما لو قررت اللجنة أن الفضاء المتعلق بحدود مزدلفة والفضاء المتعلق بحدود منى ليس هما من مزدلفة ولا منى ولم يجد الحجاج موضعا يتزلون فيه سوى ذلك الفضاء الذي فيه الإشكال فهل يسوغ منعهم من التزول فيه بداعي أن فيه إشكالا وما حيلتهم وما ذنبهم وما يفعلون لو منعوا من التزول فيه؟! والذي ينبغي أن منى لوضاق بالحجاج وكذلك مزدلفة فإن نزول الحجاج الذين لم يجدوا متزلا بمنى ومزدلفة بما جاور منى ومزدلفة يعطي حكم نزولهم في ذلك حكم نزولهم بمنى ومزدلفة للضرورة

وأصبح نزول الحجاج في ذلك سائغا ويكون حكمهم حكم المضطر المكره الذي نص المحققون من العلماء أنه لا دم عليهم وبذلك يندفع أيضا ما يحاوله بعض الأغنياء من طلب الإذن لهم بالبناء بمنى للتملك والإذن لهم لا يجوز بل الواجب هدم البناء الواقع الآن فيه للرجوع بذلك إلى عهد المصطفى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن كرم الله ولطفه بعباده المؤمنين أن المبيت بمنى ومزدلفة ليس بركن للحج ولا يفسد حج من لم يتزل بهما بخلاف عرفة فإن الحصول فيها ركن من أركان الحج فمن رحمة الله بعباده أن جعل عرفة تَسَعُ الملايين من الحجاج وقد تكلمت فيما استشكله فضيلة المعقب في الفضاء الواقع في حدود مزدلفة ومنى استطرادا لما ذكر قبله على أن الكلام في ذلك مرجعه رئيس الموحدين سماحة مفتي البلاد السعودية الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفظه وبالله التوفيق .

عبد الله عبد الرحمن بن جاسر

خلاصة قرار الهيئة :

وحاصل ما تقدم هو أن حَدَّ موقف عرفة من الجهة الشمالية الشرقية جبل سَعْد .

ومن الجهة الغربية الأعلام الواقعة بين الموقف وبين وادي عُرْنَةَ ، ومنتهى مسجد إبراهيم القديم من الجهة الشرقية يبتديء هذا الحدُّ من الجهة الشمالية بملتقى وَصِيق بوادي عُرْنَةَ ، وينتهي من الجهة الجنوبية عندما يحاذي ما جاوز سفح الجبل الواقع بين طريق المَأْزِمَيْنِ ، وطريق ضَبٍّ من الجهة الشرقية غربي الواقف هناك بخط مستقيم .

ومن الجهة الجنوبية وجوه سلسلة الجبال الجنوبية من جهة الشمال والمخترق معها طريق الطائف ، وينتهي من الجهة الغربية بوادي عُرْنَةَ .

هذا وليعلم أن وجوه الجبال المحيطة بعرفات داخلة في الموقف . كما ذكر

ذلك إمام الحرمين حيث قال : وبطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوها
المقبلة من عرفات .

وأن قرية عرفات وما أدخله الحد الجنوبي من حوائط ابن عامر داخل في
الموقف ، ويشهد لهذا ما قاله المارودي عن الشافعي : حيث وقف الناس من
عرفات في جوانبها ونواحيها وجبالها وسهولها وبطاحها وأوديتها إلخ . ويُستأنس
لهذا بحديث عروة بن مُضَرَّسٍ : والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه -
الحديث . ولما جاء في السُّنَنِ : أن يزيد بن شيبان كان في مكان بعيد عن موقف
النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كونوا على
على شعائركم هذه » كما وأن وادي عرنة والمرتفع الذي بين العلمين وبين مجرى
الوادي حاليا وبين مسجد إبراهيم القديم ووادي وصيق جميع ذلك خارج عن
حدود موقف عرفات كما أوضحنا ذلك في مواضعه .

هذا وليُعلم بأنه لا فضيلة للوقوف على الجبل الذي يقال له جبل الرحمة ،
بل كره الإمام مالك رحمه الله الوقوف على جبل عرفة . وقال شيخ الإسلام
ابن نيمية : ولا يُسنُّ صعوده إجماعا .

هذا ما ظهر لنا من حدود هذا الموقف العظيم الهام بعد الاستقصاء للأدلة وتتبع
الإشارة والمعالم التي يُهْتَدَى بها إلى معرفة الحدود وبعد سؤال أهل الخبرة
والمعرفة من أهل مكة ومن سكان تلك الجهة .

هذا ونوصي بأن يوضع على الحدود التي أوضحناها والتي لم تحدد بعد
أعلام كبيرة عالية لا يقل ارتفاعها ومئاتها عن أعلام حدود الحرم ، ويكتب
عليها باللغات المشتهرة بأنها حدود الموقف وأن من وقف خارجها فلا يصح له
حجه ، وأن يكون بين كل علمين مئة متر على الحد الأقصى . انتهى

ملاحظات الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع

بسم الله الرحمن الرحيم : إلى أصحاب السماحة والفضيلة رئيس وأعضاء هيئة كبار العلماء وفقهم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأشير إلى قرار اللجنة المشكلة للنظر في حدود المشاعر ومحارمها والمؤيد من المقام السامي ومن هيئة كبار العلماء كما أُشير إلى تكليف معالي الرئيس العام لشؤون الحرمين وفضيلة الشيخ عبدالله البسام ومحبكم للقيام بالإشراف على تطبيق وتنفيذ القرارات الصادرة بتحديد المشاعر عرفة ومِنَى ومزدلفة .

وحيث أن القرار المطلوب الإشراف على تطبيقه وتنفيذه ، فيما يتعلق بمشعر عرفة هو القرار الصادر بتاريخ ١٣٨٨/١١/١ هـ والموقع من المشايخ عبدالله ابن جاسر وعبد العزيز بن فوزان وعلوي مالكي رحمهم الله ومن الشيخ سليمان ابن عبيد .

وبدراستي القرار المذكور تمهيداً للاشتراك في تطبيقه ظهر عليه ملاحظات فيما يتعلق بالحد الجنوبي لِعَرَفَةَ .

وحيث أن القرار المذكور قد نُسِبَتْ موافقة سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله ولم أعثر على ما يؤكد ذلك ، وقد صدرت موافقة المقام السامي ومجلس هيئة كبار العلماء على تطبيقه فلم يكن مَجَالٌ لبحث هذه الملاحظات مع لجنة الإشراف على التنفيذ - حتى لو أقرتها - حتى تعرض هذه الملاحظات على مجلسكم الموقر ، ويصدر بخصوصها ما يراه، مستنيراً في ذلك بما ذكره أهل العلم ، في تحديد الجهة الجنوبية لِعَرَفَةَ .

وبناء على ذلك فأزني أتقدم لمجلسكم الموقر بهذه الملاحظات ذاكرة في مقدمتها ما يتيسر لي الاطلاع عليه من أقوال أهل العلم في تحديد الجهة الجنوبية لعرفة حتى يكون للملاحظات من هذه النقول مزيد وضوح وبيان ووجاهة .

١ - قال الشافعيُّ في « الأم » الجزء الثاني ص ١٧٩ : (وعرفة ما جاوز وادي عُرَّةَ الذي فيه المسجد ، وليس المسجد ، ولا وادي عُرَّة من عرفة ، إلى الجبال القابلة على عرفة كلها ، مما يلي حوائط ابن عامر ، وطريق الحصن ، فإذا جاوزتَ ذلك فليس من عرفة) انتهى .

٢ - وقال النوويُّ في « المجموع » ج ٨ ص ١٠٥ - ١٠٩ : (وأما حدُّ عرفات فقال الشافعي رحمه الله : هي ما جاوز وادي عُرَّةَ بعين مضمومة ثم راء مفتوحة ثم نون - إلى الجبال القابلة مما يلي بساتين ابن عامر ، هذا نص الشافعي ، وتابعه عليه الأصحاب ، ونقل الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدُّ عُرَّةَ من الجبل المشرف على بطن عُرَّةَ إلى جبال عرفات إلى وصيِّق - بفتح الواو وكسر الصاد المهملة وآخره قاف - إلى ملتقى وصيِّق ووادي عُرَّةَ .

قال بعض أصحابنا : لعرفات أربعةُ حدود :

أحدها ينتهي إلى جادَّة طريق المشرق .

الثاني : إلى حافات الجبل الذي وراء أرض عرفات .

الثالث : إلى البساتين التي تلي قرية عرفات ، وهذه القرية على يسار مستقبل الكعبة إذا وقف بأرض عرفات .

الرابع : ينتهي إلى وادي عُرَّةَ .

قال إمام الحرمين : ويُسَاطِفُ بِمُنْعَرَجَاتِ عرفاتِ جبالٌ وجوهها المقابلة من عرفات ، واعلم أنه ليس من عرفات وادي عُرَّةَ وَلَا نَمِرَةَ ، ولا المسجد المسمَّى مسجد إبراهيم ، ويقال له أيضًا مسجد عرفة ، بل هذه المواضع خارجة عن عرفات على طرفها الغربيِّ ، مما يلي مُزْدَلِفَةَ وَمِنَى ومكة . وأما مسجد إبراهيم فقد نص الشافعيُّ على أنه ليس من عرفات ، وأنَّ من وقف به لم يصحَّ وقوفه ، هذا نصه ، وبه قطع الماروديُّ والمتوليُّ وصاحب « البيان » وجمهور العراقيين . وقال جماعة من الخُراسانيين منهم أبو محمد الجويني

والقاضي حسين في تعليقه وإمام الحرمين والرافعي : مُقَدَّمُ هذا المسجد من طرف وادي عُرْنَةَ لا في عرفات ، وآخره في عرفات . قالوا من : فوقفَ في مُقَدَّمِهِ لَمْ يَصِحَّ وقوفه ، ومن وقف في آخره صحَّ وقوفه قالوا : ويتميز ذلك بصخورات كبار ، فُرِشَتْ هناك . قال الشيخ أبو عمر بن الصَّلَاح : وجه الجمع بين كلامهم ونَصُّ الشافعي أن يكون زَيْدٌ في المسجد بعد الشافعي هذا القدر الذي ذكروه والله أعلم - إلى أن قال - واعلم أن عُرْنَةَ ونَمِيرَةَ بين عرفات والحرم ليست من واحدٍ منهما . وأما جبل الرحمة فني وسط عرفات ، فاذا علمت عرفات بحدودها فقد قال المارودي : قال الشافعي : حيث وقف الناس من عرفات في جوانبها ونواحيها وجبالها وسهلها وبطاحها وأوديتها وسوقها المعروفة بذي المجاز أجزاءه . انتهى كلام النووي من « المجموع » .

٣ - وقال الطبري في كتابه « القيرى لقاصد أم القيرى » قال الشافعي في الأوسط ومناسكه : وعُرْفَةَ^(١) ما جاوز وادي عُرْنَةَ وليس الوادي ولا المسجد منها ، إلى الجبال القابلة مما يلي حوائط ابن عامر ، وطريق الحَضَن ، وما جاوز ذلك فليس من عرفة حكى ذلك صاحب « الشامل » وحكى الشيخ أبو حامد الاسفرائيني أن الشافعي قال في القديم : وعرفة ما بين الجبل المشرف إلى الجبال القابلة يمينا وشمالا . ثم قال أعني الشيخ أبا حامد : والجبل المشرف جبل الرحمة . وحكى القولين صاحب « الذخائر » وقال صاحب « البيان » : حَدُّ عرفة ما بين الجبل المشرف على بطن عُرْنَةَ إلى الجبال القابلة يمينا وشمالا مما يوالي حوائط ابن عامر وطريق الحَضَن . وروى الأزرق بسنده إلى ابن عباس أنه قال : حَدُّ عُرْفَةَ من الجبل المشرف على بطن عُرْنَةَ إلى أجبال عرفة ، إلى وَصِيق ، إلى ملتقى وَصِيق إلى وادي عُرْنَةَ - إلى أن قال - وقال أبو زيد البَلْخِي : عرفة ما بين عُرْنَةَ إلى حائط ابن عامر ، إلى ما أقبل على الصخور التي يكون بها موقف الإمام ، إلى طريق حَضَن . وقال : حائط ابن عامر عند عُرْنَةَ ، وبقره المسجد الذي يَجْمَعُ فيه الإمام الظهر والعصر ، وهو حائط

نخل وفيه عين تنسب إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيْزٍ . قلت : وهو الآن خراب
— إلى أن قال — وحدّدَ بعضُ أصحابنا عرفةَ فقال : الحد الواحد منها :
ينتهي إلى جادّة طريق المشرق ، وما يلي الطريق .

والحد الثاني : ينتهي إلى حافاتِ الجبل الذي وراء أرضِ عرفات .

والحد الثالث : ينتهي إلى الحوائط التي تلي قرية عرفة ، وهذه القرية على
يسار مستقبل القبلة إذا صُلّي بعرفة .

والحد الرابع : ينتهي إلى وادي عرنة انتهى .

٤ — وقال الشيخ عبدالله بن جاسر في كتابه « مفيد الأنام » ج ٢ ص ٢١ —
ما نصّه : (قال في « المغني » « والشرح » « والمنتهى » « والإقناع » وغيرها :
وحدّ عرفات من الجبل المشرف على عُرنة إلى الجبال المقابلة له ، إلى ما يلي
حوائط بني عامر انتهى . قلت : الجبل المشرف المذكور هو الجبل العالي شمالا عن
جبل الرحمة ، وهو شرقي عرفة ، والجبال المقابلة المذكورة هي الجبال الجنوبية
وهي حدّ عرفة من جنوب ، وحوائط بني عامر هي بسايتين لبني عامر ، وكان
بها عين ونخل تنسب إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، وهي الآن خراب ، وموضع
العين فيما يظهر غربي مسجد عرفة الذي يسمى الآن مسجد إبراهيم ، وآثار العين
المذكورة موجودة الآن قرب المسجد ، فحدّ عرفة من هذه الجهة ليس هو
حوائط بني عامر بل هو الذي يلي الحوائط المذكورة ، والذي يليها هو المسجد ،
ومنه يتضح أن المسجد ليس من عرفة لأن الحدّ لا يدخل في المحدود ، والحدّ
الشامي لعرفة بطن وادي عرفة . لأنه يأتي من الشمال إلى الجهة الغربية الجنوبية ،
ووادي عُرنة حدّ لعرفة من جهة الغرب ، لأن نفس المسجد في وادي عُرنة
فهذه حدود عرفة من الجهات الأربع ، ولم أرَ مَنْ حدّدَها غيري ولكن
بالوقوف والتطبيق وفق الله لي ذلك) . انتهى

٥ — وقال الأزرق في كتابه « أخبار مكة » الجزء الثاني ص ١٩٤ :

(حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جَدِّي حدثنا محمد بن عبدالله بن عبيد بن عمير عن ابن نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس: حدُّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عُرْنَةِ إلى أجدال عُرْنَةِ إلى الوَصِيْق إلى ملتقى الوصيق إلى وادي عُرْنَةِ قال: وموقف النبي صلى الله عليه وسلم عَشِيَّةَ عرفة بين الأجدال النبعة والنُّبُعة والنابت، وموقفه منها على النابت وهي الظَّرَابُ التي تكتنف موضع الإمام، والنابت عند النشزة التي خلف موقف الإمام، وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضِرْسٍ من الجبل النابت مضرس بين أحجار هنالك نَاتِيَّةٌ في الجبل الذي يقال له إلال، بعرفة عن يسار طريق الطائف وعن يمين الإمام). انتهى

وذكر محقق الكتاب رشدي مَلْحَسٌ في حاشيته ما نصه: وعرفة أو عرفات ميدانٌ واسع، أرضه مستوية يبلغ نحو ميلين طولاً في ميلين عرضاً. ٦- وقال ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» نقلاً عن البشاري: (قرية عرفة قرية فيها مزارع وخضر ومباطخ، وبها دُور حسنة لأهل مكة يتزلونها يوم عرفة، والموقف منها على صبيحة). انتهى

٧- وقال عبد الرحمن بن عيسى في كتابه «فتح المسالك»: (وحدُّ عرفة ما بين الجبل المشرف على بطن عُرْنَةِ إلى الجبال المتقابلة لعرفة مما يلي حوائط ابن عامر وطريق الحِضْن، وما جاوز ذلك فليس منها).

٨- وقال حسين باسلامة في كتابه «حياة سيد العرب» الجزء الرابع (وعرفة هي الميدان المحدود بحدود أربعة).

الأول: شرقاً جبال عرفة.

الثاني: غرباً وادي عُرْنَةِ.

الثالث: شمالاً الجبل العالي المسمى في كتب المتناسك بجبل عُرْنَةِ وفي رواية جبل عرفة.

الرابع : جنوبا جبل وصِيق ، ومنتهى الحدُّ بساتين بني عامر المنسوبة إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيْز الأسدي^(٢) وهو أول من أجرى العيون وزرع البساتين بعرفة ، وكانت هذه البساتين بين مسجد ثمره وجبل وصيق) . انتهى

قلت : لا يعرف جبل في الجهة الجنوبية لعرفة باسم جبل وصيق وإنما المعروف أنَّ وصِيق وادٍ^(٣) يأتي من خلف جبل سَعْد متجها شمالا ، ثم يتجه جنوبا ، ثم ينعطف متجها نحو الغرب ليلتقي بوادي عُرْنَة فيشكل ملتقاهُما حَدَّ عرفة شمالا .

٩ - وقال الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه « معجم الناسك » ما نصه : (فصل في حدود عرفة : اختلفت العبارات في ذلك . ف قيل حده^(٤) ما بين الجبل المشرف على بطن عُرْنَة إلى الجبال القابلة لعرفة مما يلي حوائط بني عامر وطريق الحِضْن وما جاوز ذلك فليس عرفة) . انتهى

١٠ - وقال ابن حجر الهيتمي في حاشيته على « الإيضاح » (قوله : مما يلي بساتين ابن عامر قيل كانت عند عُرْنَة - بالنون - وبقرها مسجد إبراهيم المسمى بمسجد عُرْنَة بالنون تارة وبالفاء أخرى لأن فيه جزء من كل منهما وكان بها نخل وعين ، تنسب إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيْز) . انتهى

١١ - وقال النووي في « الإيضاح » : (وبين المسجد والجبل الذي بوسط عرفات المسمى جبل الرحمة قدر ميل ، وجميع تلك الأرض يَصِحُّ الوقوف فيها) . انتهى

١٢ - وقال في « مراصد الاطلاع » الجزء الثاني : (وعرفة وعرفات واحد ، وهو الموقف في الحج وحدة من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى الجبال المقابلة إلى ما يلي حوائط بني عامر) . انتهى

١٣ - وقال في « معجم البلدان » : (وعرفة حَدُّها من الجبل المشرف

على بطن عَرَنة إلى جبال عرفة و قرية عرفة ... ، وقال ابن عباس : حدُّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبالها إلى قصر آل مالك ووادي عرنة) . انتهى

وبعد تقديمي ما ذكرته أعلاه من أقوال بعض أهل العلم في ذلك أقدم ملاحظاتي وتلخص فيما يلي :

١ - جاء في الصفحة الثالثة من القرار ما نصه :

وحدُّ موقف عرفة من الجهة الغربية وادي عرنة ابتداءً من الجهة الشمالية من ملتقى وادي وصيق لوادي عرنة ، وينتهي من جهة الجنوب عندما يحاذي أول سفح الجبل الواقع بين طريق المآزمين وطريق ضَبّ ، والذي بطرفه الشمالي قرية نَمِرَة من الجهة الشرقية غربي الواقف هناك وغربي سفح الجبال التي في منتهى عرفة من جهة الجنوب الشرقي بخط مستقيم . انتهى

هذه العبارة تدل على ما يلي :

أولاً : أنَّ منتهى الحدِّ الغربي جنوباً هو ما يحاذي أول سفح الجبل الواقع بين طريق المآزمين وطريق ضَبّ وهذا الجبل إن أُريد^(٥) فهو يبعد غرباً عن وادي عرفة قرابة الكيلوين^(٥) وإذا أخذنا بمحاذاته شرقاً إلى أن يجتاز الوادي إلى عرفة وصلنا إلى نقطة واقعة شمال المسجد وتبعد عنه بما لا يقل عن مئتي متر ، وهذا يعني أن المسجد وما بعد المسجد شمالاً حتى قرابة مئتي متر ليس من عرفة ، ولكن يظهر لي وقد وقفت على ذلك أنا والشيخ عبدالله البسام والشيخ محمد ابن فوزان أن الجبل المقصود هو أول سلسلة جبال نمرة ، وإن كان يعتبر جنوباً عن طريق ضَبّ ، ولا يصدق عليه أنه واقع بين طريق المآزمين ، وطريق ضَبّ إلا أن محاذاته حتى مجاوزة الوادي تتم عند ركن المسجد الجنوبي الغربي ، وهذا يتفق مع ما ذكره كثير من أهل العلم من أنَّ حوائط بني عامر قرب المسجد ، وأنها الحد الجنوبي لعرفة : ويتفق مع ما ذكره الشيخ عبدالله بن جاسر في كتابه

« مفيد الأنام » من قوله : وموضع العين فيما يظهر غربي مسجد نمرة وآثار العين المذكورة موجودة الآن قرب المسجد ، فحد عرفة من هذه الجهة ليس هو حوائط بني عامر بل هو الذي يلي الحوائط المذكورة والذي يليها هو المسجد . انتهى

ثانيا : قولهم : (بخط مستقيم) إذا أخذنا باستقامة الخط من غربي سفح الجبال التي في الجهة الجنوبية الشرقية لعرفة إلى ما يقابلها غربا فهذا يعني أنها تنتهي إلى نقطة في ضفة وادي عُرْتَة ، تبعد عن المسجد جنوبا بما لا يقل عن الكيلومتر^(٥) ولا يخفى أن المسجد على ضفة الوادي ، وبهذا تدخل حوائط بني عامر في مشمول عرفة ، ويستقص قولهم : بأن الحد الغربي لعرفة ينتهي بمحاذاة أول سفح الجبل الواقع بين طريق المأزمين وطريق ضب .

ولو قيل في القرار : بأن الحد الجنوبي يتبدى من انتهاء الحد الغربي لعرفة من محاذاة أول سفح الجبل الواقع بين طريق المأزمين وطريق ضب حتى يصل إلى آخر سلسلة من الجبال الجنوبية حيث يكون الحد متجها من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي - لكان هذا متفقا مع تحديد القرار بانتهاء الحد الغربي إلى محاذاة أول سفح الجبل الواقع بين الطريقين ، ولما أدخل حوائط بني عامر في عرفة ، ولما امتد الحد جنوبا عن المسجد بما لا يقل عن الكيلومتر^(٥) .

ثالثا : جاء في القرار في الصفحة السادسة منه تحديد لمسافة الحد الغربي الغربي من ملتقى وصيق بوادي عُرْتَة إلى منتهاه الجنوبي بخمسة آلاف متر . وقد تقدم القرار أن منتهى الحد الغربي لعرفة في اتجاهه إلى الجنوب هو أول سفح الجبل الواقع بين الطريقين - طريق المأزمين وطريق ضب . ولكن هذا القول يناقض ما ذكر في القرار في الصفحة السادسة منه حيث جاء فيه ما نصه : كما وأن مساحة ما بين منتهى مسجد إبراهيم من الجهة الشرقية الجنوبية وما بين منتهى الحد الجنوبي الغربي ألف وثلاث مئة متر . أه علاوة على هذا القول قد أدخل

حوائط ابن عامر وقرية عرفة الواقعة شرق حوائط ابن عامر في عرفة ، وفيه مناقضة أخرى وهي أن النص صريح في أن طول الحد الغربي لعرفة خمسة كيلو^(٥) ، بينما جاء في القرار في الصفحة السادسة منه أن طول المسافة من ملتقى وصيق بوادي عرنة إلى جبل الرحمة ثلاثة كيلو^(٥) ، ومن جبل الرحمة إلى ملتقى الحد الجنوبي بالغربي ثلاثة كيلو^(٥) فهذه ستة كيلو^(٥) لا خمسة ، إلا أن تكون زيادة الكيلو^(٥) في مقابلة انحراف الحد إلى جبل الرحمة ، ومن جبل الرحمة ، فهذا يمكن اعتباره ردّاً على القول بتناقضه .

رابعا : لا يخفى أصحاب السماحة والفضيلة أن جمهور أهل العلم على أن حدّ عرفة من الجهة الجنوبية حوائط ابن عامر ، ويتضح ذلك من المنقول عنهم في صدر هذا الخطاب . وأكثر من أبان الموضوع ووضحه وذكر أن ذلك منه عن طريق المشاهدة وتطبيق نصوص أهل العلم عليها هو الشيخ عبدالله بن جاسر رحمه الله في كتابه « مفيد الأنام » وقد تقدم نقل قوله في ذلك ومع هذا فقد أدخل القرار حوائط بني عامر وقرية عرفة في مشمول عرفة ، ونص في القرار على ذلك في الصفحة السابعة منه وهذا نصه : (فتكون قرية عرفات وما أدخله الحد المذكور من حوائط ابن عامر داخل جميع ذلك في عرفات) . انتهى وما ذكره في القرار دليلاً على ذلك لم تتضح لي الدلالة منه .

وقد خرجت أنا وفضيلة الشيخ عبدالله البسام والشريف محمد بن فوزان منذ أسبوع من تاريخ خطابي هذا وجرى منا التجول والتعرف على ما بعد المسجد جنوباً فاستغرب محمد بن فوزان أن تتمر عرفة جنوباً بعد المسجد إلى ما ذكر في القرار وقال : إنني أحفظ عن عمي فائز حين كنا مع المشائخ أصحاب هذا القرار قوله : الله يجزاكم خير وسعتم على المسلمين . وذلك حينما قالوا بعد الحد جنوباً إلى ما بعد المسجد بمسافة كيلو وثلاث مئة متر .

أصحاب السماحة والفضيلة : تعرفون حفظكم الله أن الحج عرفة ، وأن من

لم يقف بعرفة فحجه غير صحيح ، وأن الأمر في العناية بمعرفة حدودها أكثر أهمية من المشاعر الأخرى مزدلفة ومنى . وأن إدخال شيء فيها والحال أنه ليس منها يعني تعرض حجاج بيت الله لفساد حجهم ، وإذا كان في الأمر شيء من الغموض فإن الاحتياط يقضي بترك ما فيه شبهة أنه من عرفة إلى ما لا شبهة فيه أنه منها ، والمحقق من أرض عرفة والحمد لله مساحة واسعة قد لا تنقص عن عشرة كيلو متر (٥) .

هذا ما نعين علي إحاطة المجلس به ، وأرجو أن يصدر منه قرار يُعَيِّنُ الحَدَّ الجنوبيَّ لعرفة ، وتكون اللجنة المشرفة على تحديده على بينة من ذالك والله يحفظكم .

محبيكم

عضو هيئة كبار العلماء

عبدالله بن سليمان بن منيع

العرب :

- (١) وقع في المطبوع من كتاب « القرى لقاصد أم القرى » تطبيع - أي خطأ مطبعي حيث ورد النص فيه - ص ٣٤٧ - : (وعرفة ما جاوز وادي عرفة ، وليس الوادي ولا المسجد منها) . والصواب (وعرفة ما جاوز وادي عرفة) إلى آخره .
- (٢) عبدالله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، قرشي من بني عبد شمس وليس أسدياً ، ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو من مشاهير الأمراء في العهد الأموي .
- (٣) وقد تبدل الصاد سيناً ، وقال أبو علي الهجري : ووادي وسيق الذي يدفع في نمان منشع من كبكب ، يدفع منه حيث يدفع رهبان ، وقال الهذلي : وصيق - بالصاد - وقال هو موط .
- (٤) كذا (حده) ولعله أراد الموضع .
- (٥) بهذا لو عربت هذه الكلمة الأعجمية فقليل (كيل) على وزن (ميل) كما عرب المتقدمون كلمة (ميل) وأصلها (مايل) وهي أعجمية فقالوا : ميل وميلان وثلاثة أميال وكلمات كيل وكيلان - في حالة الرفع وكيلين في حالة الجر - وثلاثة أكيال تنسجم مع الأسلوب العربي .
- (٥) يظهر أن في هذه العبارة نقصاً ، حيث لم يذكر الجبل المقصود بها .

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

— ٦ —

الْقَعْقَاعُ

— بفتح القافين بينهما عين ساكنة وآخره ألف وعين — قال في « معجم البلدان » يقال : طريق قَعْقَاعٌ إِذَا بَعُدَ ، واحتاج السائر فيه إلى جِدٍّ ، سُمِّيَ بذلك لأنه يقَعَقع الركاب ويتعبها .

وقال : القعقاع طريق تأخذ من اليمامة والبحرين ، كان في الجاهلية . انتهى . وكلمة (من) لعل صوابها : (بين) على أن الذي في كتاب « مراصد الاطلاع » وهو مختصر « معجم البلدان » : القعقاع طريق آخذ من اليمامة والبحرين . مما يفهم منه صحة كلمة : (من) وأن هذا الطريق يمتد منهما .

وفي « تاج العروس » : القعقاع طريق من اليمامة إلى الكوفة — كذا في « الصحاح » و « العُباب » وقيل : إلى مكة « كذا في بعض نسخ « الصحاح » وأورد بيت ابن أحمر في وصف الإبل .

وفي « معجم ما استعجم » : القعقاع طريق معروف من اليمامة إلى مكة ، قال أوس بن حَجَرٍ :

يُوَازِي مِينَ الْقَعْقَاعِ مَوْرًا كَأَنَّهُ إِذَا مَا انْتَحَى لِلْقَصْدِ سَبِيحٌ مُشَقَّقٌ

كلُّ طريق مَوْرٌ ، وشبه السُّبُل بالجداول .

كَلَّا طَرَفَيْهِ يَنْتَهِي عِنْدَ مَنْهَلٍ رُوءَا فَعُلُوِيٌّ وَآخِرُ مُعْرِقٍ

يريد أن أحدهما إلى العالية ، والآخر إلى العراق ، فالقعقاع بينهما . وقيل إنه جبل الشُرَيْف قال ابنُ أَحْمَرَ :

وَقَفْنَ عَلَى الْعَجَالِزِ نِصْفَ يَوْمٍ وَأَذَيْنَ الْأَوَاصِرَ وَالْخِلَالَ
وَصَدَّتْ عَنْ نَوَاطِيرَ وَاسْتَعْنَتْ قَتَاماً هَاجَ صَيْفِيّاً وَالْأَلَا
فَلَمَّا أَنْ بَدَأَ الْقَعْقَاعُ لَجَّتْ عَلَى شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالَا

قوله : العجالز : يريد رملَ عَجَلَز . ونواطير آكامٌ معروفة .
واستعنت : أي عنَّ لها انتهى .

أكثر الأقوال يفهم منها أن القعقاع يُقصد به الطريق الممتد من الكوفة
إلى مكة ماراً باليمامة ، وبغالية نجد ، ويزيد هذا إيضاحاً قولُ أوسٍ ، وشرحُ
البكري بأن طرفي ذلك الطريق إلى العالية والآخر إلى العراق ، فالقعقاع بينهما .

وشعر عمرو بن أحمر يؤيدُ هذا فقد وصف إبلًا مُتَّجِهَةً شرقاً
وقفت على العجالز - جمع عجلز - وهي في طريق الحج البصري في غرب
مدينة عُنَيْزَةَ في طرف رمل الشَّقِيقَةِ على ما يفهم من تحديدها في كتب
المتقدمين ، وانظر الاسم في « معجم بلاد القصيم » ولما صدَّت تلك الإبلُ عن
نواظر ، وهي أُنْقِيَّة من الرمل لا تزال معروفة غرب الدهناء متصلة بها - حَدَّدَتْ
موقعها في « قسم شمال المملكة » من « المعجم الجغرافي » وهي واقعة بين طريقي
الحج البصري والكوفي ، ولعل قصد الشاعر أن تلك الإبل بعد أن جاوزت
العجالز في غرب القصيم انحرفت عن الطريق البصري يمينا ، وتركت نواظر
يمينها أيضا ، فبدأ لها طريقُ القعقاع في الدهناء ، وهو الطريق المتجه من الأَجْفَرِ
شرقاً ماراً بِزُرُود ، وما بعدها من منازل الطريق إلى الكوفة .

أما نَقْلُ البكري أن القعقاع جبل الشَّريْف فَمَنْشَأُهُ أَنْ لِبَاهِلَةٍ فِي
أَرْضِ الشَّريْفِ جِبَالاً تُعْرَفُ بِالْقَعْقَاعِ - جمع قَعْقَاع - ذكرها ياقوت وغيره
وتلك غير الطريق .

وما دامت كلمة (القعقاع) كانت في الأصل وصفا للطريق الطويل

المتعب ، فإنَّ طرق البحرين واليمامة إلى ما حولهما من الأقطار تَتَّصِفُ بذلك الوصف ، وعلى هذا يُحْمَلُ كلام ياقوت .

ومع بقاء استعمال كلمة (القعقاع) في نجد يقصد بها القاع الواسع - إلاَّ أنني لا أعرف في الطريق بين اليمامة والبحرين طريقاً بهذا الاسم ، وقد ذكرت أشهر الطرق في رسم دَرْبٍ وطريق .

القُعَامِيَّات

- بلفظ الجمع ، بعد القاف عين - : من نواحي الرُّبْع الخالي ، الذي تتجول فيه قبيلة آل مُرَّةَ ، ورد ذكرها في بحث أعدّه (قسم البحث والترجمة في شركة أرامكو) عن قبيلة آل مُرَّةَ ، ونشر في مجلة «العرب»^(١) ومما جاء فيه : (أما الغرب عن المنطقة الرئيسة لآبار الماء الممتدة من شمال إلى جنوب مُتَجَوِّلِ آل مرة في المناطق التي تذكر أسماؤها أدناه : القعاميات ، الحوايا ، الشويكلة ، الأوراك ، كرش البعير) .

قُعْمَةٌ

ماء من موارد البادية في منطقة الخفّقي ، ومن الخطأ كتابة الخفقي بالجيم - (الخفجي) مجارة لنطق سكان شرق الجزيرة ، حيث يكثر إبدالهم القاف جيما فيقولون في (قاسم) و (العنقري) : (جاسم) و (العنجري) وهكذا ما شابههما من الأسماء .

القُعَيْمَةُ

- بضم القاف وفتح العين المهملة والميم بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وآخره هاء ، وهم ينطقون القاف جيما (الجعيمة) - : من قرى القُطَيْف ، وقد تقدم ذكر هذا الاسم في حرف الجيم ، مجارة للنطق وجاء في كتاب « دليل

الخليج » : جعيمة : من مياه واحة القطيف . في الشمال الشرقي من صَفْوَا
بنحو ثمانية أميال ، بقرب ساحل البحر ، عليه نخل قليل لبني هاجر . انتهى .

القَفَا

— بالقاف والفاء مفتوحتين ، وآخره ألف — : صحراء واقعة في شمال
الظفرة ، جاء وصفها في الكتاب المتعلق بقضية البريمي بما نصه ^(٢) : بين الطَّفِّ
إلى الشمال والبطانة إلى الجنوب تقع رمال القفا المتوجة المتراسة . وتحتوي هذه
المنطقة على عدد من الآبار ذات الماء العذب ، غير أنها لا تُهَيَّيُّ "أفضل المراعي
في الظفرة . ويسهل السفر على الإبل والسيارات نتيجة لسهولة مسلك التكوينات
الأرضية .

وسُمِّيَتِ القفا بهذا الاسم لأنه إذا ما سار المرء إلى الشمال ترك رمال
الجنوب الكثيفة قفاه — أي خلفه — في هذه المنطقة . وتسمى المنطقة أيضا بالسَّاروق
وهي كلمة يستعملها البدو للدلالة على منخفض طويل يقع بين مرتفعين .
والمرتفعان هنا هما أراضي الطَّفِّ العالية ورمال البطانة العالية .

وقد أخطأ الرحالة الانكليزي (ولفرد شيجر) عندما وصف القفا
والسَّاروق بأنهما مكانان مختلفان . ثم إنه يتضح من الطريق الذي اتبعه من الجِواء
إلى (أبو ظبي) ومن وصفه للتكوينات الأرضية ، أن ما وصفه بالقفا إنما هو
حقيقة البطانة ، وما وصفه بالساروق إنما هو حقيقة الطرف الغربي للحمرة . انتهى .

قِفَاف الصَّمَّان

— جمع قُفٍّ ، وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، ولم يبلغ أن يكون
جبلا ، قال ابنُ شُمَيْلٍ : ويكون في القُفِّ رياضٌ وقيعان .. قال الأزهري :
وقفاف الصَّمَّان بهذه الصفة ، وهي بلاد عريضة واسعة ، فيها رياض وقيعان ،
وسُلُفَّانٌ كثيرة ، وإذا أخضبت ربتِ العرب جميعا بكثرة مراتعها ، وهي

من حزون نجد^(٣) . وأكثر أرض الصمان قفاف^١ ورياض ، فالكلمة وصف ،
وليست علما .

القَفْصِيلَةُ

— بضم القاف وفتح الفاء وإسكان المثناة التحتية تصغير قفلة — : أَكْمَةُ
تقع شرق جبل غُرَيْمَيْل . جنوب بُقَيْتٍ ، وهي من الأماكن الأثرية .

الْقِلَاتُ

— بكسر القاف وآخره تاء ، جمع قَلْتٍ واحدتها قَلْتَةٌ ، وهي المكان
المنخفض الذي يستنقع فيه الماء —

ونقل ياقوت في « المعجم » عن الأزهري قوله : وقلات الصمان نُقَرٌ
في رؤوس قفافها ، يملأها ماء السماء في الشتاء ، وردتها مرةً وهي مفعمة ،
فوجدت القلت منها يأخذ مِثَّةَ راويةٍ ، وأقل وأكثر ، وهي حُفَرٌ خلقها الله
في الصخور الصِّمُّ . وقد ذكرها ذو الرمة — وأورد بيتا من شعره الذي تكرر
فيه ذكرها ، وما أراه عَنَى إلا ما وصفه الأزهري ، حيث قرن ذكرها بشارعٍ
أحدَ أنفية الدهناء .

على أنه يفهم من كلام أورده صاحب كتاب « بلاد العرب » وتقدم ذكره
في الكلام على شارع أن الْقِلَاتَ مَصْنَعَةٌ لِضِبَّةَ بِالْجِوَاءِ . والجِوَاءُ هنا أرضٌ
واقعة شرق الدهناء ، بينها وبين الصمان ، تكثر فيها مجامع المياه كالقِلَاتِ
والمصانع والدُّحُول ، تقدم الكلام عليها ص : ٤٢١ — وقِلَاتُ الصَّمَّانِ
ورياضه من الأمكنة التي كان يألفها ذو الرمة ، وهناك مرايع أحبابه ، ومراتعهم .
ومن شعره :

أَمِنْ دِمْنَةٍ بَيْنَ الْقِلَاتِ وَشَارِعٍ
تَصَابَيْتَ حَتَّى ظَلَّتِ الْعَيْنُ تَدْمَعُ^(٤)

القلات : موضع ، وقيل : جمع قلت ، وهي نُقْرَةٌ تكون في الصفا ،
يجمع الماء فيها . وقال : (٥)

أَلَا لَيْتَ أَيَّامَ الْقِلَاتِ وَشَارِعِ
رَجَعْنَ لَنَا ، ثُمَّ انْقَضَى الْعَيْشُ أَجْمَعُ

وقال (٦) :

خَلِيلِي عُوْجَا عَوْجَةٍ نَاقَتَيْكُمَا عَلَى طَلَلٍ بَيْنَ الْقِلَاتِ وَشَارِعِ

الْقَلَايِبُ

من موارد آل مُرَّة ، في سَلَوَا ، في جنوب المنطقة بقرب حدود بلاد
قطر .

الْقَلَّتْ

بفتح القاف وإسكان اللام وآخره ثاء مثناة فوقية - : موضع يقع غرب
قرية الصُّفَيْرِي الواقعة شمال وادي الباطن (فُلُجٌ قديمًا) في أعلى شعيب النَّفَاوِ
الشمالي ، جنوب الوقبا ، في الشمال الغربي من بلدة الحفر .

وهناك ماء في ذلك الموضع يدعى الْقَلَّتْ .

الْقَلْعَةُ

- يطلق الاسم على كثير من المواضع التي تُهَيَّأُ لِلتَّحَصُّنِ ، ولتكون
مقرًا للجند - وكان الاسم يطلق على حيٍّ من أحياء مدينة القطيف ، بشكل قلعة
محاطة بسور ، وتدعى الْفُرْضَةُ ، لكونها على شاطئ البحر . وقد أزيل سور
هذه القلعة ، فاتَّصَلَتْ في البنيان بأحياء المدينة - وتقدم الكلام عليها عند ذكر
القطيف .

القَلْبُ

— على لفظ تصغير قَلْب — : جبيل يقع غرب جبل الحصان ، شرقي الحربة ، شرق مُطَار ، بميل قليل نحو الشمال ، في غرب الصَّمَّان وشرق الدهناء .

القَلْبُ

— بضم القاف تصغير القَلْبِ بمعنى البئر — : هِجْرَة تقع في الجنوب الغربي من العينة شرق جبل رُحْبَة بمنطقة نطاع — وادي المياه — من هُجر قبيلة العُجْمان سكانها آل ناجعة منهم . وورد ذكرها في « دليل مدارس وزارة المعارف لعام ١٣٩٨/١٣٩٩ هـ » باعتبارها من قرى منطقة النعيرية ، وأنها تبعد عن مدينة الدمام ثلاث مئة وخمسون كيلا ، في الشمال الغربي .

القَلْبِيَّة

— بفتح القاف — هجرة لآل عَذْبَة وآل عازب وآل مُهَيْدَة من قبيلة آل مُرَّة بمنطقة حرض بقرب يَبْرَيْن ، جنوب جبل ضُبُع .

القَلْبِيَّة

بضم القاف تصغير القلعة — : قال في « معجم البلدان » : والقَلْبِيَّة بالبحرين لعبد القيس . انتهى .

ويفهم مما جاء في كتاب « المناسك ^(٧) » أنها بمنطقة القطيف ، فإنه بعد أن ذكر الزَّارَة وكانت قاعدة القطيف ، وذكر أن صاحبها أحمد بن سَلَم العبدي قال : (ثم القليعة ، وهي لأحمد بن سلم ، وبها منبر ، مدينة كبيرة ، مدينة بَدُو ، ويسكنها بنو سعد ، والمملكة لعبد القيس) . انتهى .

وهي مما درس من المواضع ، ويظهر أنها في ضاحية من ضواحي القطيف ، في

طرف الواحة ، بعيدة عن المواضع التي تكثر فيها المستنقعات ، التي تسبب الإصابة بالحمى ، ولهذا كانت مدينة بدو ، يألفونها ، كقرية أم الساهك وعُنتك - في عهدنا الحاضر بالنسبة لأبناء البادية - .

قَمَادَى

قال في « معجم البلدان » : - بفتح القاف - : قرية لعبد القيس بالبحرين . انتهى .

كذا ورد الاسم في مطبوعة كتاب « المعجم » بالدال ، وفي مختصره « مراصد الاطلاع » ورد بالراء : قَمَارَى ، ولم أر لهذه القرية ذكرا فيما اطلعت عليه من كتب .

القِمِمْةُ

- انظر الكمة حرف الكاف - .

القِمَمِيَّةُ

ماء بيطن فلج ، فوق الحفَر ليس لبني نَهْشَلٍ غيرها وغير لصاص (اللصافة) على ما ذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » ^(٨) قال : - بعد ذكر القرعاء - : (ثم يجنبها لصاص ، وهي لبني نَهْشَل ، وفيها بقول الراجز :

يَا لَيْتَ عَنَّا وَبَنِي مَنَاصٍ
وَالنَّهْشَلِيَّيْنِ عَلَى لَصَافٍ
قَدِ ارْتَمَيْنَا حَجَرِي قِذَافٍ

وليس لبني نَهْشَلٍ غيرها وغير القِمَمِيَّة ، وهي بيطن فلج ، فوق الحفر) . انتهى .

وفلج هو وادي الباطن ، والحفَرُ المدينة المعروفة الآن فيه ، واسم القمية ليس معروفا الآن ، وأكثر المياه التي فوق الحفر تغيرت أسماؤها القديمة .
وبنو نهشل من بني تميم .

القُنْتَانِ

مثنى قُنَّة - قال ذو الرمة^(٩) - بصف حمارٍ وحشٍ - :
أَوْ مُخْطَفُ الْبَطْنِ لِأَحْتِهِ نَحَائِصُهُ
بِالْقُنْتَيْنِ ، كَلَا لِيَتَبَيَّنَ مَكَدُومُ
لأحته : أضمرته . نحائصه : أتنه التي لم تحمل ، وأحدها نحوص .
والقنَّتانِ : موضع كذا ورد في « ديوان ذي الرمة » شرح أبي نصر الباهلي .
وجاء في « معجم ما استعجم » قنة - معرفة لا تنصرف - موضع في ديار بني تميم ،
قال رؤية :

تَرَبَّعَتْ مِنْ قُنَّةِ الْخُرْطُومَا

ويظهر أنَّ القُنْتَيْنِ من مواضع الصَّمَّانِ ، وهو من بلاد بني تميم - كما
هو معروف - ويؤيد هذا قول ذي الرمة - بعد البيت المتقدم - :
حَادِي مُخْطَطَّةٍ قُمْرٍ يُسَيِّرُهَا
بِالصَّيْفِ مِنْ ذُرْوَةِ الصَّمَّانِ خَيْشُومُ

وجاء في شرح هذا : إذا جاء الصيف سَيَّرَ خَيْشُومُ هذه الحُمُرَ إلى
موضع ماء يقال له خَيْشُومُ . وقال أيضا : خَيْشُومُ موضع ليس فيه ماء . كذا
ورد في شرح الديوان ، وما أكثر القُنَّ في الصَّمَّانِ وهي ذُرْوَةُ قَفَافِهِ وَأَكَامِهِ .

القِنِيعُ

قال في « معجم ما استعجم » القِنِيعُ : بكسر أوله ، وإسكان ثانيه ،
بعده عين مهملة : ماء لبني سعد ، على ثلاثة أيام من خَوْ ، وهو على ليلة من
الدَّخْرُصِ ، إِذَا صَدَرَتْ عَنْهَا تَرِيدُ هَجْرَ .

كلمة (خو) صوابها (جَوَّ) كما سيأتي - وهذا الموضع - على ما يفهم من تحديد موقعه في طريق اليمامة إلى هَجَرَ ، المارَّ بِجَوِّ الخضارم - في الخَرْج ، ويظهر أنه بقرب الدهناء ، كما يفهم من معنى القِنْع إِذْ هو أسفل الرمل وأعلاه - كما نقل ياقوت في « معجم البلدان » عن أبي عُبَيْد ، وأضاف : وقال الأصمعي : القِنْعُ مُتَّسِعُ الْحَزْنِ حِينَ يُسْهَلُ ، وحكى نصرٌ أَنَّ القِنْعَ جَبَلٌ وماء لبني سعد بن زيد مناة بن تميم باليمامة على ثلاث ليالٍ من جَوِّ الخضارم - ثم أورد ياقوت شاهداً من شعر مُزَاحِمِ العُقَيْلِيِّ ما أراه ينطبق على هذا الموضع ، لبعْدِ بلاد مزاحم عنه .

وفهم من تحديد البكري أَنَّ الموضع يقع شرق الدَحْرَض الذي تقدم الكلام عليه ، والاختلاف هل هو شرق الدهناء أو غربها ، والقول بأنَّ الدَحْرَض على ثلاث ليالٍ من جَوِّ يفهم منه أنه شرق الدهناء ، ويؤيد القول بأنَّ الدَحْرَض هو حَرَضُ المعروف الآن ، والعامَّة كثيراً ما يتصرفون بالأسماء فيغيرونها بإبدال بعض حروفها وحذف بعضها .

وقول نصر الذي أورده ياقوت ليس نَصّاً ما في كتابه ، فهو لم يقل في اليمامة ، ونَصّاً ما ورد في الكتاب (باب القِنْع والقِنْع . أما بكسر القاف وسكون النون - : جبل وماء لبني سعد بن زيد مناة على ثلاث ليالٍ من جَوِّ ، وما بفتح القاف والنون - : جبل بين مُرْبِخٍ والشَّعْلِيَّة) . انتهى - وبلاد بني سعد تمتد من الغرب : الخرج إلى الأحساء ، ومن الجنوب من يَبْرِينَ إلى السَّيْدَان - داخل حدود الكويت - ويظهر أَنَّ القِنْع يقع شرق حَرَض ، فهو خارج اليمامة .

القِنْعُ

- بضم القاف والفاء بينهما نون ساكنة - وآخره ذال معجمة : أَبْرَقٌ بين الدهناء والصَّيْغَان - تقدم ذكره في رسم الصُّبْغَاء ، وأنه أبرق بعد بقاء الصُّبْغَاء

التي بمنقطع الدهناء شرقاً . فإذا جُزَّتْ الْقُنْفُذَ اسْتَقْبَلَتِ الصَّمَانُ . ونقل ياقوت
عن الأصمعي : كل موضع كثير الشجر قنفذ . وذكر قنافذ الدهناء .

قَنْوَرُ

بفتح القاف وبالنون المشددة المضمومة بعدها واو ساكنة فراء - : موضع
يقع شرق الحنأة ، بنحو عشرين كيلاً ، يدعه طريق الكنهري شمالاً قبل وصوله
إلى الحنأة . وهو في الشمال الشرقي من تاج بنحو خمسة وثلاثين كيلاً ، أرض
سبخة في جانبها آبار ، وفيها مَمْلَحَةٌ ، يستخرج منها الملح الحجري الواحاً
ومِلْحُهَا جيّد ، ويمر طريق الكنهري من الجُبَيْلِ إلى الحنأة بانحراف
يسير إلى اليسار عنها ، وشرق قَنْوَرٍ أكمة تدعى الحلية (تقع قَنْوَرُ بقرب خط
الطول : ٤٨/٥٠° وخط العرض : ٢٧/٢°) .

وفي « معجم البلدان » عن الأزهرى : رأيت في البادية مَلَاَحَةً تسمى
قنور-بوزن سَفُود ، وملحها من أجود الملح . ومثل هذا في « تاج العروس »^(١٠)
وهو نص ما في كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري^(١١) .

(للبحث صلة)

الحواشي :

- (١) ٦١٨/٤
- (٢) « عرض حكومة المملكة العربية السعودية » : ٢٢/١ .
- (٣) : « معجم البلدان » - القف .
- (٤) : ديوانه : ٧١٨
- (٥) : ٧٢٢
- (٦) : ٧٧٧
- (٧) : ٦٢١ .
- (٨) : ص ٣٥٣ .
- (٩) : ديوانه : ٤٣٣ .
- (١٠) : - ق ن ر - .
- (١١) : ١٠١/٩ .

(مقنا) البلدة الأثرية والاغلاط حولها

أُنْجِفْتُ مصادفةً بدون تطلع بنسخة من الكتاب الذي يحوي أبحاث الندوة العالمية الثانية للدراسة تاريخ الجزيرة العربية الذي أصدره قسم التاريخ والآثار والمتاحف في كلية الآداب جامعة الملك سعود في الرياض .

ولقد كان من أول ما شدَّني للمطالعة من الأبحاث بحث الأستاذ الدكتور رشيد سالم الناضوري من قسم التاريخ والحضارة في كلية الآداب (جامعة الاسكندرية) بعنوان (حول أرض مَدْيَنَ) ، لأنني قد عِشْتُ في تلك المنطقة حقبةً من الزمن حين كنت قاضياً في مدينة ظبا في سنة ١٣٥٧ هـ ، وعرفت كثيراً من مواضعها ، وكُتِبَ عما عرفته منها في القسم المتعلق بشمال المملكة من كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » الذي صدر في ثلاثة أجزاء منذ سبع سنوات .

وكان مما لفت نظري في بحث الدكتور الناضوري أمران : أحدهما حول اسم (مَقْنَا) ، والثاني يتعلق بالرسم الجغرافي (الخريطة) الذي رسمه لتعيين مواضع في تلك المنطقة .

فحول الأمر الأول قال الأستاذ : (وقد اتجه الرأي إلى أن موقع ماكنة (MAKNE) هو موقع مدين ، ولكن من ناحية أخرى اتجهت الأنظار إلى موقع مغاير شعيب والتي لا تزال تحمل اسم شعيب عليه السلام ^(١)) .

وما لاحظته هنا هو الخطأ في كتابة الاسم أولاً ، ثم في موقع رسمه في المصور الجغرافي ^(٢) .

إنَّ الاسم الصحيح هو (مَقْنَا) - بالميم المفتوحة بعدها قاف ساكنة فنون فآلف مقصورة - كما هو معروف منذ القدم حتى الآن .

فقد أورد ابنُ سعد في كتاب « الطبقات »^(٣) نصَّ كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل مَقْنَا وقال : ومقنا قريب من أَيْلَة ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل مقنا على أخذ رُبْعُ ثمارهم وربْعُ غزولهم ونقل عن محمد بن عمر الواقدي : وأهل مقنا يهود على ساحل البحر .

وفي كتاب « المغازي »^(٤) « للواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رَجُلَيْنِ أَسْلَمًا ، وقَدِمَا عليه بَتبوك رُبْعَ مَقْنَا مما يخرج من البحر ومن الثمر من نخلها .

أما كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أورد ابن سعد كاملاً في « الطبقات » وأورد الدكتور محمد حميد الله في كتابه « مجموعة الوثائق السياسية »^(٥) الكتاب وبعده أورد نصَّ معاهدة تتعلق بمقنا .

والذي يعنينا من ذلك هو صحة الاسم الذي رسمه ياقوت في « معجم البلدان » صحيحاً ، وساق بعض النصوص المتقدمة .

وفي عهدنا رسم المستشرق (الويس موسل) اسم مَقْنَا صحيحاً وقال في كتاب « شمال الحجاز »^(٦) : « (إن مكنا (MAKANA) الواردة في جغرافية بطليموس هي واحة مَقْنَا المعروفة على ساحل خليج العقبة على الرغم من أن التفصيلات التي ذكرها بطليموس لا تتفق مع ظواهر المكان) .

وغرابة اسم مقنا سَبَّبَتْ وقوع التصحيف فيه منذ عهود قديمة ، فقد صَحَّفَ إلى (مينا) كما ورد في كتاب « السيرة النبوية »^(٧) « لابن هشام بهذا النص : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مَدْيَنَ فأصاب سبياً من أهل ميناء وهي السواحل وفيها جماعٌ من الناس فَبَيَعُوا فَفَرَّقَ بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبيكون ، فقال : « ما لهم » ، فقليل : فَرَّقَ بينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا

تبيعوهم إلا جميعاً ، ، أراد الأمهات والأولاد) . (ميناء) هنا تصحيف (مقنا) .

وَصُحِّفَ الاسم أيضاً إلى (مينا) كما جاء في كتاب « الخطط »^(٨) للمقرئ في خبر سرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سَبَبِيًّا من أهل (مينا) قال ابن اسحاق : ومينا هي السواحل .

وَصُحِّفَ اسم مقنا (مسى) في كتاب « الروض المعطار »^(٩) للحميري في ذكر كتاب يزعم أهل مَدْيَنَ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتبه لهم ، قال : (وهو عند أهل قرية من سواحل مدين يقال لها مسى) انتهى .

وقد انتقل التصحيف إلى هذه الكلمة حين صحف اسم مقنا إلى مينا ثم كتب هذا الاسم الأخير بدون نقط فقريء (مسا) ثم كتب بالألف المقصورة (مسى) .

الأمر الثاني : مما لاحظته في بحث الأستاذ الناضوري يتعلق بالمصور الجغرافي (الخريطة) فقد وضع الأستاذ اسم (مكنة) كذا - يقصد (مقنا) - وضعه موضع مدينة حَقْلٍ أو قريب من ذلك الموقع ، ولو رجع إلى ما رسمه بعض الباحثين المتأخرين ومنهم موسل وفلي لوجد الاسم موضوعاً في مكانه الصحيح .

ويظهر أنه تأثر بما ورد في بعض الكتب ومنها « مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية »^(١٠) الكتاب الذي أصدرته إدارة الآثار في وزارة المعارف ، فقد جاء في طبعته الأولى والثانية ما نصه : (ومرفأ الحقل اليوم هو مينا البدع القديم ، وكان يسمى مقنا ، ويقع من البدع على مسافة تقدر بأربعين كيلو متراً إلى الشمال الشرقي) .

وكنْتُ نَبَّهْتُ إلى هذا الخطأ عند صدور الطبعة الأولى من كتاب إدارة الآثار سنة ١٣٩٥ هـ ، فنشرت في مجلة « العرب »^(١١) ما نصه : (ومقنا ليس

هو مرفأ حقل ، واسم حقل لا تدخله (ال) التي لا تدخل على الاعلام إلا ما سُمع عن العرب قديماً ، وشعراؤهم وعلمائهم ذكروا الاسم مجرداً عن (ال) ، وتقع قرية مقنا على شاطئ خليج العقبة جنوب حقل بنحو ٨٠ كيلاً ، وشمال رأس الشيخ حميد بنحو ٣٥ كيلاً ، أسفل وادي يدعى وادي الحمض غربي جبل تيران ، الذي تقع مغاير شعيب في طرفه الغربي ، وذكرت أن مقنا تقع بقرب خط الطول ٣٤/٤٥ وخط العرض ٢٢/٢٨ .

ووضع الأستاذ الناضوري اسم مغارة شعيب على ساحل خليج العقبة ، والواقع أنها بعيدة عن الساحل ، وموقعها الذي وضع فيه اسمها أقرب إلى أن يكون موقع مقنا ، إذ مغاير شعيب تقع غرب مقنا وسيولها تنحدر حتى تصب في البحر عند ميناء مقنا .

والدكتور الناضوري لم يفرق بين ما يسمى مغاير شعيب ومغاير الكنفار ، فمغاير الكنفار هي الواقعة بقرب عينوتة ، أما مغاير شعيب فتقع شمالها بمسافة تقارب ٤٠ كيلاً .

واسم (الملاحه) الذي وضعه الدكتور الناضوري على الساحل قبل مدخل خليج العقبة وشرق جزيرة صنافر ليس معروفاً ، وأخشى أن يكون هو (المويلح) الذي وضع الدكتور الناضوري اسمه في موضعه .

وفي رسم الدكتور لوائي شرمه كتب اسم قرية (مخربة) شمال الوادي . وهو يقصد القرية التي تعرف باسم (الخريبة) .

ويظهر أنه عول على مصدر افرنجي ، ولهذا وردت الأسماء محرفة حين تعريبها .

بقيت كلمة موجزة عن هذه البلدة الأثرية ، لقد كانت مقنا من قرى

بني عُقْبَة من بقايا قبيلة جذام المشهورة الممتدة منازلها من الشام حتى شمال
الحجاز فيما حول حسما ، وما يقع غربها ومن بلادها أرض مدين .

أما في عصرنا فمن سُكَّان مقنا بنو عطية وأفخاذ غيرهم من بني عقبة .

وميناء مقنا ضيق لا يصلح إلا لرسو المراكب الشراعية ، لانتشار الصخور
في مدخله .

وكانت مساكن القرية تتكون من أكواخ صغيرة قليلة ، ونخلها ضعيف
لعدم العناية به ، ولم يكن للقرية شأن يذكر في العصور الماضية .

وفي شهر صفر من هذا العام (١٤٠٥ هـ) افتتح صاحب السمو الملكي وزير
الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز في مقنا مقر سكني سلاح الحدود ، يتكون
من ٢٥٠ وحدة سكنية ذات مرافق عامة ، مقامة على نحو عشرة آلاف متر
مربع ، بتكاليف تزيد على أربع مئة مليون ريال .

ولا شك أن تلك المنطقة بعد هذا سيزدهر عمرانها ويكثر سكانها .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) : « دراسات تاريخ الجزيرة العربية » - الكتاب الثاني - ص ٧٣ .

(٢) : نفس المصدر - ص ٧٥ .

(٣) : ٢٧٧/١ و ٢٩٠ - طبعة بيروت .

(٤) : ١٠٣٢ .

(٥) : ٣٣ .

(٦) : ١٣١ - تعريب الدكتور عبد المحسن الحسني .

(٧) : ٦٣٥/٢ طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٥ هـ .

(٨) : ٣٠٣/١ الطبعة الأولى .

(٩) : ٥٢٦ .

(١٠) : ٩٨ .

(١١) : ص ١١ ص ٦٩٥ .

التبيين، في أنساب القرشيين

— ٩ —

ثم بعد كتابة ما تقدم اطلعت على نسخة مصورة عن مخطوطة محفوظة في مكتبة جسترّي رقمها MS ٣٩٧٤ من الكتاب المذكور تقع في ١٢٤ ورقة (٢٤٨ صفحة) في الصفحة الواحدة أربعة وعشرون سطرا .

جاء في آخر تلك النسخة (تم الكتاب بحمد الله ومنه فرغ من نقله العبد الفقير ، العاصي المذنب ، الراجي رحمة ربه وغفرانه ، محمد بن محمد بن محمد البكري البغدادي المولد، في يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاثين وست مائة ... بقلمه ... بمدينة ... حامداً الله ، ومصلياً على نبيه صلى الله عليه وسلم) ومكان النقط كلمات غير واضحة .

ومع قدم كتابة هذه النسخة إن صح تاريخ نسخها فهي مشحونة بالأخطاء .
والورقة الأولى منها ساقطة وُضع مكانها ورقة حديثة الخط في طرفها :
(التبيين في أنساب الصحابة القرشيين ، تأليف الشيخ الإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله ونفعنا به) .

وفي الطرة أيضا : (من كتب عبد المعطي السقا) .

ثم الصفحة الأولى بخط مغاير للخط الذي كُتبت به تلك النسخة ، إذ هو بالخط الفارسي وخط النسخة نسخي .

وفي بعض هوامش النسخة تصحيحات يسيرة لبعض كلمات وردت في الأصل .

والواقع أن كثرة الأخطاء في هذه النسخة تحول دون الاعتماد عليها بمفردها . وقد قابلت القسم المطبوع من كتاب « التبيين » الذي لم أقابله على

المخطوطة الأولى التي وصفتها وقابلت عليها الكتاب ، فاتضح لي وقوع أخطاء في ذلك المطبوع أشير إلى أهمها :

١ - ص ٣٣ : جملة قال الشيخ إلى (رحمه الله) ليست في المخطوطة .

وفي الصفحة : (السميع المنان) وهي في المخطوطة : (البديع المنان) .

وفي الصفحة : (من الشرف برسول له) وهي في المخطوطة : (من الشرف برسول الله) ويظهر أن هذا هو الصواب لمطابقته لما في إحدى نسختي المحقق .

٢ - ص ٣٧ : (وشايح أخواله من كعب في باديتهم) وفي المخطوطة : (ونشأ مع أخواله من كعب في باديتهم) وهو الصواب .

٣ - ص ٣٨ : (أهيب) في موضعين ، وفي المخطوطة : (وهيب) .

وفي الصفحة : (أربعون سنة ويوم) وفي المخطوطة : (أربعون سنة ويوما) . وكذا في نسختي المحقق .

٤ - ص ٤٠ : (مع أخيه في غنم له) وفي المخطوطة : (مع أخيه في بهمة له) وكذا في إحدى نسختي المحقق . وفي « السيرة » لابن هشام : (مع أخيه في بتهم لنا ، خلف بيوتنا) . والبهم هنا أنسب لأنهما صغيرين لا يستطيعان رعي الغنم .

وفي الصفحة : (فلم يفجأني) وفي المخطوطة (فلم يفجأنا) .

وفي الصفحة : (قال : القرشي جاءه رجلان) وفي المخطوطة : (قال : أخي القرشي جاءه رجلان) . وهو مطابق لما في « السيرة » .

وفي الصفحة : (وقد وضع يده في الأرض) وفي المخطوطة : (وقد مدَّ يده في الأرض) .

٥ - ص ٤١ : (قال ابن عمر) وفي المخطوطة : (قال أبو عمر) وهو الصواب إذ المقصود أبو عمر بن عبد البر . صاحب كتاب « الاستيعاب » الذي أورد في مقدمته ملخص سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الصفحة : (ابن ثمان سنين) وفي المخطوطة : (ابن ثمان سنين) .

٦ - ص ٤٤ : (أو بعد أن صلت الفريضة) وفي المخطوطة : (وبعد أن صلت الفريضة) وهو الصواب .

٧ - ص ٤٦ : (قال : عشية الجمعة سنة ثلاث وخمسين) وفي المخطوطة : (فترل عشية الجمعة) إلى آخر الكلام .

وإذّن فلا حاجة لتعليق المحقق .

٨ - ص ٤٧ : (سنة اثنين) وفي المخطوطة : (سنة اثنتين) .

٩ - ص ٤٨ : (وفرض عليه الحج) وفي المخطوطة : (وافترض عليه الحج) .

وفي الصفحة : (فإنها فرضت عليه) وفي المخطوطة : (فإنها افترضت عليه) .

وفي الصفحة : (يصلون عليه أفذاذاً يومهم ، آخروهم النساء) ، في هذه الجملة تصحيف وصوابها كما في المخطوطة : (يصلون عليه أفذاذاً ، لا يؤمهم أحدٌ ، ثم النساء) .

١٠ - ص ٥٠ : (ولكن تعفو أو تتجاوز) والصواب : (ولكن تعفو وتتجاوز) .

١١ - ص ٥١ : (ثم خلفه عليها عتيق بن عبدالله عمرو بن مخزوم) وفي المخطوطة : (ثم خلفه عليها عتيق بن عبيد بن عمر بن مخزوم) . وفي « الاستيعاب » في ترجمة خديجة : (عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم) وكذا في كتاب « نسب قريش » - ٣٣٣ - وإذن فقط سقط اسم (عائذ) أما كلمة (عمرو) فصوابها (عُمَر) .

وفي الصفحة : (فكان لا يسمع شيئاً يكرهه) وفي المخطوطة : (فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه) .

١٢ - ص ٥٢ : (ثم قال : ما أبدكني الله خيراً منها) وفي المخطوطة :
(ثم قال : لا والله ما أبدكني خيراً منها) .

١٣ - ص ٥٣ : (وأما أم رومان بن عامر بن عبد شمس بن عتاب)
وفي المخطوطة : (وأما أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن غياث) .
وكذا في « الاستيعاب » في ترجمة عائشة ، وفي ترجمة أم رومان ، سوى كلمة
(غياث) فهي (عتاب) وكذا في « الإصابة » في ترجمة أم رومان .

١٤ - ص ٥٤ : (حبيبة حبيب الله المبرأة) وفي المخطوطة : (حبيبة
حبيب الله البريئة المبرأة) .

وفي الصفحة : (أين أنا غداة اليوم من عائشة) وفي المخطوطة : (أين
أنا غداً ؟ حباً ليوم عائشة) .

١٥ - ص ٥٥ : (ابن نصر بن مالك بن حنبل) والصواب كما في
المخطوطة : (ابن نصر بن مالك بن حنبل) . وكذا في كتاب « نسب قريش »
- ٤٢٦ - .

١٦ - ص ٥٦ : (ابن هلال بن صعصعة) والصواب : (ابن هلال بن
عامر بن صعصعة) .

وفي الصفحة : (جحش) والصواب : (جحش) بتقديم الجيم .

١٧ - ص ٥٧ : (يعمر بن جبيرة بن مرة بن كثير بن غنم) وفي

المخطوطة وسيرة ابن هشام ج ٢/٢٢٣/٣٢٤ : (يعمر بن صبرة بن مرة بن
كثير بن غنم) . وكذا في « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم - ١٨٠ الطبعة
الأولى وفي كتاب « الاستيعاب » ج ٤ ص ٣١٤ - : (يعمر بن صبرة بن مرة
بن كثير) ولا شك أن (كثير) نصحيح (كبير) - كما يتضح هذا من مراجعة
كتب النسب في تراجم آل جحش الأسديين . ومنهم زينب بنت جحش -
زوج النبي صلى الله عليه وسلم - وأختها حمئة ، وأخوها عبدالله - شهيد
أحد - وغيرهم .

١٨ - ص ٥٨ : (أنا خير من مفلحا) والصواب : (أنا خير منكن منكمحا) .

وفي الصفحة : (وليس له من نسائه قريبة غيري) والصواب : كما في المخطوطة : (وليس له من نسائه قريبة غيري) .

وفي الصفحة : (وما رأيت امرأة قط خيراً في الدين وأتقى لله) والصواب : (وما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب ، وأتقى لله) .

وفي الصفحة : (ويتقرب إلى الله) وفي المخطوطة : (ويتقرب إلى الله به) .

١٩ - ص ٥٩ : (ما الأواهة يا رسول الله قال : الخاشع) وفي المخطوطة : (ما الأواه يا رسول الله قال : الخاشع) . وهو الصواب كما في « الاستيعاب » في ترجمة زينب بنت جحش .

وفي الصفحة : (أنبأ) تكررت مراراً وصوابها (أنبأنا) ، (وثنا) وهي (حدثنا) .

وفي الصفحة : (حدثني زيد بن حصيفة عن عبدالله بن رافع عن برزة بنت رافع) وفي المخطوطة : (حدثني يزيد بن حصيفة عن عبدالله بن رافع ، عن برزة بنت رافع) وفي كتاب « الإصابة » في ترجمة برزة بنت رافع : (قال ابن سعد في ترجمة زينب بنت جحش : أخبرنا يزيد بن هارون ، وعبد الوهاب بن عطاء ، عن محمد بن عمرو حدثني يزيد بن خُصيفة عن عبدالله بن رافع عن برزة بنت رافع) ثم أورد القصة الواردة في كتاب « التبيين » بنصّها ولكنها في « الطبقات الكبرى » لابن سعد - ج ٣ ص ٣٠٠ طبعة بيروت - بهذا النص : (قال يزيد : قال محمد بن عمرو : وحدثني يزيد بن خُصيفة عن عبدالله بن رافع عن برزة بنت رافع) ثم أورد الخبر كاملاً . وعلى ما تقدم فإن (زيد بن حصيفة) صوابه : (يزيد بن خُصيفة) . أما (برزة) في المخطوطة و (برزة) في « الإصابة » فصوابها على ما يظهر (برزة) كما في المطبوعة وفي « الطبقات » .

وفي الصفحة : (صبوه واطرحوا عليه ثوبا فقالت) وفي المخطوطة :
(صبوه واطرحوا عليه ثوبا فصبوه واطرحوا عليه ثوبا فقالت) .

٢٠ - ص ٦٠ : (المصطلق بن خزاعة) وهو : (المصطلق من خزاعة)
كما في المخطوطة ، والمصطلق اسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن عامر بن لُحَيٍّ
بن قعدة وقعدة هو خزاعة على ما في كتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم
- ص ٢٢٢ وما بعدها - .

وفي الصفحة : (فلا تعلم امرأة كانت أعظم بركة) وفي المخطوطة : (فلا
نعلم امرأة كانت أعظم بركة) .

٢١ - ص ٦١ : (تقوم على شأنه ودهنه) وفي المخطوطة : (تقوم على
ثيابه ودهنه) .

٢٢ - ص ٦٤ : (بجير بن الهدم بن ردينة) وفي المخطوطة : (بجير بن
الهُزَم بن رويبة) . كما في « جمهرة أنساب العرب » - ٢٦٢ - و « الإصابة »
ترجمة لبابة بنت الحارث ، وكذا « الاستيعاب » .

وفي الصفحة : (عبدالله بن شداد بن الهادم) وفي المخطوطة : (عبدالله بن
شداد بن الهاد) الهاد : ويقال فيه الهادي ، وهو شداد بن أسامة بن الهادي
الليثي ابن أخت ميمونة - على اختلاف في اسم أبيه ، قيل لأبيه الهادي لأنه كان
يوقد النار ليلاً للسايرين ، صحابي ، مترجم في كتب الصحابة .

٢٣ - ص ٦٥ : (زوج الوليد بن المغيرة أم الخُلْد ، وعصمى بنت
الحارث ... وهذيلة بنت الحارث وهي أم حفيد) وفي المخطوطة : (زوج الوليد
بن المغيرة أم خالد ، وعصمى بنت الحارث ... وهزيلة بنت الحارث وهي
أم حفيد) . وفي « الاستيعاب » ج ٤/٤٠٥ - هامش « الإصابة » لبَابَةِ الصُّغْرَى
زوج الوليد بن المغيرة ، وهي أم خالد بن الوليد . وفيه : هُزَيْلَةُ بنت الحارث بن
حَزْن ، أم حُفَيْد . وضبط صاحب « الإصابة » في الكنى : أم حُفَيْد :
بقاء مصغرة (؟) وترجمها في رسم (هزيلة) .

غرائب التنبيهات

على عجائب التنبيهات

- ٤ -

١٤٤ - ص ١٢٦ - : أورد المؤلف بيتين للشاعر كُشاجم في قصب السكر: ...

وأقول: هما في ديوانه ص ٦٣ مع ثلاثة أبيات آخر.

١٤٥ - ص ١٢٦ - : أورد المؤلف بيتين لابن المعتز أيضاً وهما في زهر الكتان: ...

والبيتان في ديوانه ص ١٨٠ و ١٨١ ومعها بيت آخر، مع خلاف في روايتهما.

١٤٦ - ص ١٣١ - : أورد المؤلف أبياتاً أربعة لأبي بكر الخالدي: ...

وهي في «ديوان الخالدين» ص ٢٠ مع خلاف في الرواية.

١٤٧ - ص ١٣٢ - : أورد المؤلف أبياتاً أربعة لأبي بكر الخالدي: ...

وهي في «ديوان الخالدين» ص ٧٤ مع خلاف في الرواية.

١٤٨ - ص ١٣٢ - : أورد المؤلف أبياتاً خمسة لأبي عثمان الخالدي: ...

وهي في «ديوان الخالدين» ص ١١١ من قصيدة والأبيات فيها: (السادس والسابع

والثامن والتاسع والعاشر).

→ أما غصمي وعصمي فصواب الاسم عصماء - كما في «الاستيعاب» في ترجمة أختها ميمونة بنت الحارث . وعصماء لقب ، واسمها لبابة الصغرى ، وهي زوج الوليد بن المغيرة ، أم خالد بن الوليد - كما ذكر ذلك ابن حجر في «الإصابة» وعلى هذا فصواب الجملة : أم خالد ، وهي عصماء . وصواب (هذيلة) : (هزيلة) بالزاي .

وقد نسبها الثعالبي إلى أبي عثمان وقال : وهي منسوبة في بعض النسخ إلى كُشاجم .. وهي مما ألحق بديوان كُشاجم (ديوان كُشاجم ص ٥٣).

١٤٩ - ص ١٣٤ - : أورد المؤلف بيتاً لأبي بكر الخالدي : ...

وهو في «ديوان الخالدين» ص ٢٤ من قصيدة طويلة في ١٤ بيتاً.

١٥٠ - ص ١٣٥ - : قال المؤلف : وقال ابن خفاجة الأندلسي في ساق أسود

أحذب ، وأجاد :

وَكَأْسٍ أَنْسٍ قَدْ جَلَّتْهَا الْمُنَى فَبَاتَتْ النَّفْسُ بِهَا مُعْرِسَةً

... الأبيات ، ولا لزوم للشدة في آخر الشطرة الثانية في كلمة (مُعْرِسَة) ، ولا يستقيم

البيت إلا بحذفها .. والأبيات من البحر السريع.

١٥١ - ص ١٣٦ - : أورد المؤلف أبياتاً ثلاثة للأسعد بن إبراهيم الأندلسي : ...

والأبيات في «الذخيرة» قسم ١ مجلد ٢ ص ٧٩٦ ، من خمسة أبيات مع خلاف في

الرواية.

أما الشاعر الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة فقد تحدثنا عنه فيما مضى.

١٥٢ - ص ١٣٧ - : قالوا في الحاشية رقم ٣ : ابن مكنسة شاعر مصري معروف في

عصر الفاطميين ، واسمه أبو الطاهر بن اسماعيل بن محمد ...

وأقول : هو أبو الطاهر اسماعيل بن محمد ، المعروف بابن مكنسة وهو شاعر مكثّر من

أهل الاسكندرية .. ويجب حذف من ترجمته ومن تعليقهم كلمة (ابن) إذ تغير سياقة

نسبته وتوهم بأنه (ابن اسماعيل) وهذا وهم واضح.

أما قولهم : (توفي في حدود الخمس مئة هجرية) فهو غير صحيح ولا حاجة لصيغة

التمريض هذه ، حيث نصّ محققو «خريدة القصر» - قسم شعراء مصر- ، وهو من

مراجعهم - انظر ص ٢٤ من «الغرائب» على أنه توفي في سنة عشر وخمسة مئة نقلاً عن ابن حجر في «التجريد» الورقة ٨٤، وعنه أخذ الزركلي في كتابه الخالد «الأعلام» وفاته ونص عليها كما يلي: (... - ٥١٠هـ = ١١١٦م). وانظر أيضاً «خريدة القصر» - قسم شعراء مصر - ٢٠٣/٢ - ٢١٥ و«فوات الوفيات» ١٩٤/١ و«الوافي بالوفيات» ٢١٣/٩ - ٢١٥ و«الأعلام» ٣٢٢/١.

١٥٣ - ١٣٨ - : ورد البيت الآتي هكذا:

وطافت علينا بشمس الدنان في غسق الليل شمسُ الخُذورِ
والبيت بهذا الشكل مكسور الوزن، وصوابه أن تنقل النون إلى الشطر الثاني لأن البيت مدوّر.

١٥٤ - ص ١٣٨ - : قال المؤلف: وقال ابن القيسراني في الإبريق:

نرى الإبريق يَحْمِلُهُ أَخُوهُ كِلَا الطَّبَّيْنِ يَلْتَمُهُ ارْتِشَافاً
نراهُ كَمُطَرِّقٍ فِي الْقَوْمِ يَتَكِي دَمًا أَوْ نَاكِسٍ يَشْكُو الرُّعَافَا
والبيتان من قصيدة في سبعة أبيات لابن القيسراني في «خريدة القصر» - قسم شعراء الشام - ١٣٦/١ و١٣٧.

١٥٥ - ص ١٣٨ - : قال المؤلف: وقال ابن الخازن: ...

ولم يعقباً بشيء.

وأقول: هو أحمد بن محمد بن الفضل، أبو الفضل بن الخازن: شاعر جيد السبك حسن المقاصد، اشتهر بجودة الكتابة، أصله من الدينور، ومولده ووفاته في بغداد (٤٧١/٥١٨هـ) وله ديوان شعر جمعه ولده أبو الفتح.

انظر: «الخريدة» - قسم شعراء العراق - الجزء ٣ مجلد ٢ ص ٣٤٥ و«شذرات

الذهب» ٥٧/٤ و«وفيات الأعيان» ١٤٩/١ و«الأعلام» ٢١٤/١ وفي «مرآة الزمان» ٨٦/٨ وفاته سنة ٥١٢ هـ.

والبيتان اللذان ذكرهما المؤلف في «الغرائب» لابن القيسراني من قصيدة طويلة في «الخريدة» الجزء ٣ المجلد ٢ ص ٣٤٥.

١٥٦ - ص ١٣٩ - : قال المؤلف: من أحسن ما قيل فيه - أي في تشبيه الشراب الأسود - قول البحري من قطعة:

لو تراني وفي يدي قَدَحُ الأَوِّ شاب أبصرت بازياً وغُراباً
وأقول: ذكر البيت ابن أبي عون في كتابه «التشبيهات» ص ١٨٩ مع بيت آخر
منسوبين لابن الرومي قالهما في قَدَح رأى فيه نبیذاً أسوداً .. ورواية «التشبيهات» هي:
لا تراني وفي يدي قَدَحُ الدَّوِّ شاب أبصرت بازياً وغُرابٍ
وانظر «ديوان ابن الرومي» ٣٤٠/١ من قصيدة طويلة في عشرة أبيات، والبيتان في
«المختار من شعر بشار» ص ٢٣٢ و«شفاء الغليل» (دوشاب) ص ١٢٥، والدوشاب:
نوع من الخمر ... وقال الحفاجي: وفسر في شرحه بالنبيذ الأسود، وقال السمعاني: إنه
الدبس بالعربية.

وانظر أيضاً «ديوان البحري» ٢٥٠٦/٤.

١٥٧ - ص ١٣٩ - : قال المؤلف: وقال أيضاً - يعني البحري -:

شربت مشمس قطرُبل وجَرَعْنَا دَقْلَ الدَّسْكَرَةِ
إذا صُبَّ في الكأسِ مُنُودُهُ فَكَأْسُ النَّدِيمِ بِهِ مِخْبَرُهُ

وأقول: هما في ديوانه ٣٥٦/٢ ورواية الأول فيه هي:

تَرَكْتُ مشمسَ قَطْرُبلٍ وجَرَعْنَا دَقْلَ الدَّسْكَرَةِ

وقطربل: قرية اشتهرت بحانات الخمر وينسب إليها الخمر وتقع بين بغداد وعكبرا -
وأكثر من ذكروها ضبطوها بضم الراء إلا ياقوت الحموي فضبطها بالفتح -
والدسكرة: بناء شبه قصر حوله بيوت ويكون للملوك، وهو معرب، والدقل: أردأ
أنواع التمر.

١٥٨ - ص ١٣٩ -: قال المؤلف: وقال أبو الطيب المتنبي من قطعة: ...

وأقول: البيتان في ديوانه ١٩٣/٤ و ١٩٤ من خمسة أبيات.

١٥٩ - ص ١٣٩ -: قال المؤلف: وأنشدني القاضي النفيس أحمد بن عبد الغني
الفطرسى في هذا لنفسه وزاد عليه زيادة بيّنة:

وَأَقَى بِكَأْسٍ لُجَيْنٍ بِهَا سَبَجٌ قَدْ رَصَعَ الْمَاءُ فِي حَافَاتِهَا دُرّاً
كَأَنَّهَا مَقْلَةٌ...

والصحيح: الفُطْرَسِي - بالقاف وليس بالفاء.

ابن خلكان ١٦٤/١ و«الأعلام» ١٥٢/١ وانظر ماقلناه فيما سبق.

وجاء البيت الأول مختل الوزن مكسوراً فيه الشطر الأول ويستقيم بإضافة سبب
خفيف أمام (بها) والبيت من البحر البسيط.

١٦٠ - ص ١٤٥ -: قال المؤلف: للبحري:

كَأَنَّا تَسْبُومٌ عَنْ لَوْلُؤٍ مُنْضَدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقْحَاقٍ

وأقول: البيت في «ديوان البحري» ٤٣٥/١ من قصيدة طويلة عدتها ١٨ بيتاً وهي
في مدح عيسى بن ابراهيم وهو الثاني فيها وروايته:

كَأَنَّا بَضْحَكٌ عَنْ لَوْلُؤٍ مُنْظَمٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقْحَاقٍ

ورواية الديوان أصح لأن الكلام في نديم والخطاب للمذكر.

وانظر «التشبيهات» ص ١٠٦ و«أُمالي المرتضى» ١٧٩/٢ و«العمدة» ١٩٨/١ و«حماسة ابن الشجري» ٦٦٣/٢.

١٦١ - ص ١٤٥ - : قال المحققان في الحاشية رقم ٥ البيت زيادة «التيمة».
(هكذا)

والمقصود بذلك بيت ابن سكرة الهاشمي: كَأَنِّي إِذْ لَثَمْتُ فَالَكُ بِهَا
ولم أفهم ما يقصدون بهذا التخريج لأن البيت في «التيمة» ٥/٣ وهو البيت الثالث
من نطفة ورواية «التيمة» و«الغرائب» واحدة طبق الأصل، وَحَدَّوْ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ كما
يقولون..

١٦٢ - ص ١٤٩ - : قال المؤلف: وقال ابن الرومي فيها وفي أرغفة الخبز،
وأحسن:

وقالا في الحاشية رقم ٢ حول أبيات ابن الرومي: الأبيات غير موجودة في مختار
ديوانه المطبوع (أو كما قال)، الله أكبر! كيف يكون هذا والبيتان ٣ و ٤ في المختار من
شعره ص ٢٤٠ وروايتهما فيه كالآتي:

هَامٌّ وَأَرْغِفَةٌ وَضَاءٌ فَخْمَةٌ قَدْ أُخْرِجَا مِنْ جَاحِمٍ فَوَّارٍ
كَوَجُوهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ابْتَسَمَتْ لَنَا مَقْرُونَةٌ بِوَجُوهِ أَهْلِ السَّارِ
والأبيات كلها في ديوانه ٩٨١/٣، والثالث والرابع أيضاً في «محاضرات الأدباء»
٣٧٩/١ والأول والرابع في «جمع الجواهر» ٢٨٩.

١٦٣ - ص ١٥٠ - : قال المؤلف: ومن جيد الشعر في الفقاع وكيزانه قول محمد بن
علي التيمي، وأحسن:

تَعْتَنُقُ الْكَفُّ مِنْهُ مَحْتَضِناً كَأَنَّهُ تُدِيُّ غَادَةً نَاهِد

وضبطت كلمة تُدِيُّ وكأنها جمع للذي، وبهذا لا يستقيم وزن البيت، والصحيح
إفرادها ليستقيم وزن البيت ويصح المعنى:

١٦٤ - ص ١٥٠ :- جاء بيت ظافر الحداد مكسوراً على الشكل التالي:

عندنا كِيَزَانُ فَقَا ع لَهْ خُبْرٌ وَمَنْظَرُ
والبيت مكسور، والصواب فيه:

عندنا كِيَزَانُ فَقَا ع لَهْ خُبْرٌ وَمَنْظَرُ
ويستقيم البيت ويصح المعنى بضم الخاء من (خبر) وإسكان الباء فيها بمعنى
الاختبار.

١٦٥ - ص ١٥٠ :- أخطأوا في ضبط البيت الثالث من قطعة السري الموصلية
الرائية وهو:

رامٍ بسهمٍ كَأَنَّهُ خَصِرٌ أَوْ طَيْبٍ نَشْرٍ نَسِيمٌ كَافُورٍ
وضبطت عندهم (خَصِرٌ) بالرفع على أنها خبر لكأن وهو خطأ وصوابه: النصب على
التمييز. وبذلك يكون خبر كأن كلمة (نسيم) في الشطر الثاني.

١٦٦ - ص ١٥٢ :- قال المؤلف: وقال الأمير تميم: ...

وأقول: البيتان في ديوانه ص ٣٠٣، وفيه الشطر الأول من البيت الأول على هذا
الشكل:

كأن الراي حين أُنِيَّ طَرِيًّا

بدلاً من:

كأن الأبرميس وقد أتانَا

وعنوان القطعة في الديوان (وقال في الراي)، والراي: ضرب من السمك،

وَبَلَسَقِيَّاتٍ: جمع بلسقية وهي الزجاجة والقارورة، كما في دوزي.
١٦٧ - ص ١٥٤ -: قال المؤلف: لأبي نصر [بن] كُشاجم من مزدوجة يصف
جفنة طعام...

وقالا في الحاشية رقم ١: كذا وهو خطأ، وكشاجم هو محمود بن محمد بن الحسين
بن السري بن شاهك، ويُكنى أبا نصر...
وأقول: لم يُخطئ المؤلف، بل جاء الخطأ من سوء فهمهما للنص المحقق، فالشاعر
كشاجم كنيته أبو الفتح الرملي، أما ابنه فكنيته أبو نصر.
وقد قال كشاجم في ديوانه قصيدة يمدح فيها الرشدي، وفيها البيت التالي:
يا ابن مولى (أبي أبي نصر السند سدي) ركن الخلافة الموطود
«ديوان كشاجم» ١٥٩.

فالشاعر يقصد (بأبي أبي نصر) نفسه فهو أبو الفتح وابنه أبو نصر، وجاء في
«البيمة»: أنشدني أبو نصر بن أبي الفتح كشاجم بصيداء الشام لنفسه في وصف الكتاب
من أبيات.

«بيمة الدهر» ٢٨٥/١ وسياق الأبيات من ص ٢٨٥ - ٢٨٩ يدل على أنها لأبي
نصر، وأبو الفتح كنية الشاعر كشاجم، ونجدها في خطيات ديوانه وفي مقدمته.
مثلاً: جاء في المخطوطة المحفوظة في (برنستن) في الولايات المتحدة الأمريكية (الورقة
الأولى): كشاجم هو أبو الفتح محمود...، وجاء في الصفحة الأولى من مخطوطة
(ليننغراد) في الاتحاد السوفياتي: هذا ديوان أبو الفتح (هكذا) محمود بن السندي شاهك
الكاتب المعروف بكشاجم. وجاء في الصفحة الأولى من ديوانه المحقق: قال أبو الفتح
كشاجم يصف الخمر:...

إذن هما الذين أخطأ ولم يخطئ العالم الجليل ابن ظافر الأزدي.

ولا بُدَّ من الإشارة هنا إلى أن طبعة «البيمة» جاء فيها تحريف في زيادة (ابن) بين أبي الفتح وكشاجم وهو تصحيف وتحريف واضح صوابه ما ذكرت.

١٦٨ - ص ١٥٧ - : أورد المؤلف بيتاً لابن المعتز في صفة الهلال:

فانظر إليه كزورقٍ من فضّةٍ قد أثقلته حُمولةٌ من عَبرٍ
والبيت في ديوانه ٢/٢٦٦ من نتفة في بيتين وهو الثاني فيها.

١٦٩ - ص ١٥٧ - : ثم أورد المؤلف بيتين آخرين لابن المعتز وهما:

كَأَنَّ أَذْرِيُونََهَا وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالِيَّةِ
بَــــــدَاهُنْ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةِ

والبيتان في ديوانه ٢/٤٨٣ من قطعة في خمسة أبيات وهما فيها الرابع والخامس.

١٧٠ - ص ١٥٧ - : وأورد المؤلف القطعة الضادية المذكورة في باب تشبيه قوس

قرح التي أولها (وهي لابن الرومي):

وساقٍ صبيحٍ للصُّبُوحِ دَعْوَتُهُ فَقَامَ فِي أَجْفَانِهِ سِنَةُ الْعَمَضِ

والبيت في ديوانه ٤/١٤١٩ من قطعة في خمسة أبيات وهو الأول فيها.

١٧١ - ص ١٥٧ - : أورد المؤلف قصيدة ابن الرومي الرائية المشهورة في صفة

صانع الرُّقاق والتي مطلعها:

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ خَبَازاً مَرَرْتُ بِهِ يَدْحُو الرُّقَاقَةَ وَشَكَ اللَّحْمَ بِالْبَصْرِ

والأبيات في ديوانه ٣/١١١٠ و«المختار» ٢٣٩ و«العمدة» ٢/٢٢٥ و«جمع الجواهر»

٢٩٠ و«تاريخ بغداد» ٩/٣٩٩ و«خزانة ابن حجة الحموي» ٤٩٤.

١٧٢ - ص ١٥٨ - : قال المؤلف: وزاد أبو بكر النحوي أنه أنشد - أي ابن الرومي

- في قالي الزلاية:

ومستقر على كمرسيه تَعَبُ رُوحِي الفداء له من عامل نصبٍ
وأقول: الأبيات في «ديوان ابن الرومي» ٣٥٣/١ مع خلاف في الرواية.

وانظر «نفحات الأزهار» ٢٦٧ و«معاهد التنصيص» ١٠٩/١.

١٧٣ - ص ١٦١ -: قال المؤلف: وقال ابن نباتة في أدهم من قطعة:
وكاننا لطم الصَّبَّاحَ جبينه فاقترض منه فخاض في أَحْشَائِهِ
وقالا في الحاشية رقم ٣: «يتيمة الدهر» ج ٢ ص ٣٩١، وابن نباتة السعدي وهو
عبد العزيز بن محمد، أبو نصر من فحول شعراء القرن الرابع.

وأقول: هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التيمي السعدي، أبو نصر: من
شعراء سيف الدولة الحمداني.. قال ابن خلكان: معظم شعره جيد. توفي في بغداد سنة
٤٠٥ هـ.. وله ديوان مطبوع. والبيت في ديوانه ٦٣/١.

«تاريخ بغداد» ٤٦٦/١٠ و«وفيات الأعيان» ١٩٠/٣ و«الأعلام» ٢٣/٤.

١٧٤ - ص ١٦٢ -: قال المؤلف: وفي البيت الذي قبله زيادة على قول المتنبي في
صفة الطي:

كَأَنَّهُ مَضْمَخٌ بِصَنْدَلٍ

وأقول: هو في ديوانه ٢٠٢/٣ وتماه:

مُعْتَرِضاً بِمَثَلِ قَرْنِ الْإِبِلِ

١٧٥ - ص ١٦٣ -: جاء البيت الأول للسري الموصلي مكسوراً وهو من قصيدة
بصف إوزاً في بركة، وجاء على الشكل التالي:

قَدْ كَلَّلْتُ بِنَجْمٍ لِلْحَبَابِ ضَحَى فَإِنْ دَجَا اللَّيْلُ عَادَتْ أَنْجَمًا شُهَبًا

وضبطت كلمة (شُهْبًا) بسكون الهاء، والبيت على هذا أصبح مكسوراً .. والصحيح ضم الهاء ليصح البيت ويستقيم.

١٧٦ - ص ١٦٤ -: وجاء البيت الثاني من ثلاثة أبيات لابن ظافر الأزدي على الشكل التالي:

قَدْ صَارَ بِالْقَمَلِ وَالْبَقِّ وَالـ بَرَعَوْتُ مِنْ كَرِبِهِمْ مُمْتَلِي
وضبطت كلمة (كربهم) بإسكان الميم فيها وبهذا ينكسر البيت ولا يستقيم إلا بتحريكها بالضم وبذلك يصح وزن البيت.

١٧٧ - ص ١٦٥ -: قال المؤلف: من جيد ما قيل في السيف قول الشريف أبي الحسن علي بن اسماعيل الرندي القيرواني: ...

وأقول: الصحيح في اسمه ونسبه: علي بن اسماعيل الزيدي القيرواني. وانظر ماسبق رقم ٧ ورقم ١٩.

١٧٨ - ص ١٦٥ -: جاء البيت الثاني لابن قلافس على الشكل التالي:

وَجُنَّةٌ شَبَّهَتْ فِيهَا كَوَاكِبُهَا شَكْلَ الثَّرْيَا بَدَتْ فِي دَارَةِ الْقَمَرِ
والصحيح:

وَجُنَّةٌ شَبَّهَتْ فِيهَا كَوَاكِبُهَا ...

بإسكان التاء من الفعل شبهت، ليستقيم الوزن والمعنى.

١٧٩ - ص ١٦٧ -: أورد المؤلف أبياتاً لابن المعتز في تشبيه زامرة سوداء.

وأقول: البيتان في ديوانه بتحقيق الدكتور محمد بديع شريف ١٨٥/٢.

١٨٠ - ص ١٦٨ -: قال المؤلف: ومن جيد الشعر المجهول قائله في المصاليب:

أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ فِي الْجُدْعِ كَأَنَّهُمْ

واليت على هذا الشكل مكسور ويصح على الشكل التالي:

أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ فِي الْجُدُوعِ كَأَنَّهُمْ

وبذلك يستقيم وزن البيت:

١٨١ - ص ١٦٨ -: قال المؤلف: وينسب إلى ابن المعتز في مباحث الفِصَادِ من قطعة: ... وأقول: البيتان في ديوانه ١٧٤/٢.

١٨٢ - ص ١٦٨ -: قال في الحاشية رقم ٢: ابن اللبّانة، محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر الأديب الأندلسي، توفي سنة ٥٠٧ هـ، له عدّة مصنفات وترجم له ابن خلكان في «الوفيات» ٥١٤/٢ - ٥١٨ و«شذرات الذهب» لابن العماد ٢٠/٤.

وأقول: لم يترجم له ابن خلكان وإنما مرت ترجمته عرضاً، لأن ابن خلكان لم يعرف تاريخ وفاته - وهذا من شرطه في كتابه «الوفيات» - انظر «وفيات الأعيان» ٣٩/٥، لذلك ترجم له ابن شاکر الكتبي في كتابه «المستدرك على وفوات الأعيان» «وفوات الوفيات» ٢٧/٤.

وانظر ترجمة ابن اللبّانة في «قلائد العقيان» ٢٨٣ - ٢٩٠ و«المغرب» ٤٠٩/٢ و«الوافي بالوفيات» ٢٩٧/٤ و«الخريدة» - قسم المغرب والأندلس - ١٠٧/٢ و«الأعلام» ٣٢٢/٦ وله موشحات في صفحات متفرقة من «نفح الطيب» و«دار الطراز» و«جيش التوشيح».

١٨٣ - ص ١٦٩ -: أورد المؤلف بيتين لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز في المهرمين: ...

وأقول: هما في ديوانه ص ٩٨.

١٨٤ - ص ١٦٩ -: قال المؤلف: وقال ابن سعيد الخير البلسني فيه - أي في الدولاب - من قطعة:

وَكَاَنَّهُ صَبٌّ يَطْوِفُ بِمَعْهَدٍ بَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَاثًا
ضَاقَتْ مَجَارِي جَفْنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَفَتَّحَتْ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانًا

وأقول: هو ابن سعد الخير البلنسي وليس ابن سعيد، وجاء على الصحيح في الهامش رقم ٣ ولم يصححاه في «المتن» وليس هذا خطأ مطبعياً.

انظر ترجمته في «زاد المسافر» ص ١٠٣ و«رايات المبرزين» ١١٦ و«المغرب» ٣١٧/٢ و«التكملة» لابن الأبار ٦٧١، والبيتان من مقطوعة في أربعة أبيات يصف فيها ناعورة يدور دولابها وهي منسوبة لابن سعد الخير في «نفع الطيب» ٦٠٢/٣، و«تحفة القاد» ٥٣ و«المغرب» ٣١٧/٢ و«رايات المبرزين» ١١٦ و«المغرب» ٣١٧/٢ و«زاد المسافر» ١١٦ و«الذيل والتكملة» ١٩٠/٥ و«فوات الوفيات» ٤٦٠/٢ مع خلاف في الرواية.

١٨٥ - ص ١٦٩ -: وقال المحققان في هامش الصفحة رقم ٣: وتوفي - أي ابن سعد الخير - سنة ٦٧١ هـ. راجع «فوات الوفيات» ٨١/٢ - ٨٣ والمقصود في الراجح والده أو جده محمد بن عيسى...

وأقول: عندما نراجع «فوات الوفيات» نجده يقول في وفاته: وتوفي سنة إحدى وسبعين وخمسة مئة، رحمه الله تعالى. وهو الصحيح لا كما زعموا.

وقال المراكشي: ولد ببلنسية في حدود عشر وخمسة مئة، وقدم إشبيلية في خدمة أبي الربيع المذكور مهتاً المنصور ابن عمه بفتح شلب وارتجاعها من يد الرنق، فتوفي بها في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وخمسة مئة. «الذيل والتكملة» ١٩١/٥.
ولا أعرف ما المقصود من قولها: والمقصود في الراجح والده أو جده محمد بن عيسى.

١٨٦ - ص ٢٠٣ -: قال في فهرس الشعراء: أمية بن أبي الصلت (ابن أبي الصلت) ٣٣، ١٠٤ وقال في الصفحة ٢٠٥ في فهرس الشعراء: أبو الصلت: أمية بن

أبي الصلت ٦٤، ٧١، ١٠٤، ١٦٩ وهذا لعمرى تخليط عجيب في الفهرس وفي الشاعر، وأصبح الشاعر عندهما في الفهرس شاعرين لذلك ذكروه مرتين وخلطوا بينه وبين الشاعر الجاهلي الحكيم ابن أبي الصلت الثقفي ...

والصحيح أنه: أمية بن عبد العزيز الأندلسي الداني، أبو الصلت (٤٦٠ - ٥٢٩): شاعر، أديب من أهل دانية بالأندلس. من تصانيفه «الحديقة» على غرار «بثيمة الدهر». وله شعر فيه رقة وجودة جمعه وحققه محمد المزوقي وطبع في تونس سنة ١٩٧٩ م. انظر ما قلناه عنه فيما سبق وانظر «وفيات الأعيان» ٢٤٣/١ و«الأعلام» ٢٣/٢. ١٨٧ - ص ٢٠٥ -: قالوا في فهرس الشعراء: ابن صُرْدُر ٣٩ - صُرْدُر ٥٣.

وقالوا في الصفحة ١٨٥ من فهرس قوافي الشعر:

سِرُّ ابن صُرْدُر ٣٩
كالخدر ابن صُرْدُر ٣٩

والصحيح في كل ذلك أنه صُرْدُر وهو علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي - ٤٦٥ هـ - وكان يقال لأبيه (صُرْبَعْر) لبخله، وانتقل إليه اللقب حتى قال له نظام الملك: أنت صُرْدُر، لا صُرْبَعْر، فلزمته.

«وفيات الأعيان» ٣٨٥/٣ و«شذرات الذهب» ٣٢٢/٣ و«الأعلام» ٢٧٢/٤.

وبعد، أقول مردداً ما قلته في البداية: لو حاولت تعقب كل ما جاء في هذا الكتاب لأعدت تحقيقه من جديد.. وقد أغضيت عن كثير من الأخطاء واعتبرتها من قبيل الأخطاء المطبعية ولولا العبث الذي لاحظته في تحقيق هذا الكتاب وغيره من الكتب التراثية التي حققها هذان (الدكتوران) - وأعد الباحثين والقراء بنشرها بمشيئة الله - لما نشرت ما نشرت، فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطيين، وطمع في تراثنا الحبيب من لا يدفع عن نفسه.

دير الزور مروان العطية

رحلة الوزير الشرقي الإسحافي المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣ هـ

- ٢ -

(تمة الكلام على عرفة) :

في قوله صلى الله عليه وسلم : « عرفات كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة » ، والواقف فيه لا يصح حجه ، فيجب التحفظ من ذلك لأنَّ الجمالين عشية الوقفة ربما استحشوا كثيراً من الحاج ، وحذروهم الرحمة في النفر ، واستدرجوههم بالعلمين اللذَّين أمامهم إلى أن يصلوا بهم بطن عرنة أو يجيزوه فيطلوا على الناس حجهم ، والمتحفظ لا ينفر من الموقف حتى يتمكن سقوط القرص من الشمس .

وجبل الرحمة المذكور منقطع عن الجبال ، قائم في البسيط ، وهو كله حجارة منقطعة بعضها على بعض ، وكان صعب المرتقى فأحدث فيه بعض ولاة الخير أدراجاً وطينة من أربع جهاته ، يصعد فيها بالدواب الموقورة جزاءه الله خيراً ، ولما جمع الناس بين الظهر والعصر تهيأ الناس وتحملوا للوقوف خاشعين باكين ، وإلى الله عز وجل في الرحمة متضرعين ، والتكبير قد علا ، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع ، فما رؤي يوم أكثر مدامع ، ولا قلوب خواشع ، ولا أعناق طيبة الله خواشع من ذلك اليوم ، فما زال الناس على تلك الحال والشمس تلتفح وجوههم إلى أن سقط قرصها ، وتمكن وقت المغرب ، فأشار الإمام الخطيب بيديه ، ونزل عن موقفه ، فدفع الناس بالنفر دفعاً ارتجت له الأرض ، ورجفت الجبال ، فياله موقفاً ما أهول مرآه ، وأرجى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه ، وتغمده بنعماه ، إنه منعم كريم حنان منان .

ثم نرجع إلى استيفاء حال النَّفَرِ عشيةَ الوقوف المباركة المذكورة بعرفات ،
وذلك أن الناس ينفرون منها بعد غروب الشمس كما تقدم الذكر ، فيَصِلُونَ
مُزْدَلِفَةَ مع العشاء الأخيرة فيجمعون بها بين العشاءين ، حسبما جرت سنةُ
النبي صلى الله عليه وسلم ، واتَّفَقَ المشعر الحرام تلك الليلة كله مشاً على من
الشمع المرسج ، والثريات ، وأما مسجده المذكور فعاد كله نوراً فيخيل للناظر
إليه أن كواكب السماء كلها نزلت به على هذه الصفة كان جبل الرحمة ومسجدهُ
ليلة الخميس ، لأن هاؤلاء الأتراك المصريين أعظمُ الناس همّةً في استجلاب
هذا الشمع ، والاستكثار منه لإضاءة هذه المشاهد المكرمة ، وعلى هذه الصفة عاد
الحرم بهم مدة مقامهم فيه ، وكثيراً ما يقصدون حطيم الإمام الحنفي ، لأنهم
على مذهبه ، وهذه عادتهم في الأماكن المكرمة مثل بَدْرٍ وغيره ، وكذا شاهدنا
من ذلك بالحرم النبوي العجب العجائب ، جزاهم الله بالخير ، إلا أن هذا كله
بدعة منكرة ، مع ما فيه من إضاعة المال ، وشر الأمور المحدثات البدائع ،
ذكر ذلك خليل في مناسكه .

فلما صلوا الصبح غَدَوْا منه إلى مِنى بعد الوقوف والدعاء ، لأنَّ مُزْدَلِفَةَ
كلها موقف إلا وادي مُحَسَّرٍ ففيه تقعُ النَّهْرُوكَةُ في التوجه إلى مِنى حتى
يخرج عنه ، ومن مزدلفة يستصحب الناسُ حَصِيَّاتِ الجمار وهو المستحب ،
ومنهم من يلتقطها حول مسجد الخَيْفِ بِمِنى ، وكل ذلك واسع ، ومزدلفة
أوسع وأوطأ من مِنى ، والمشعر الحرام منها فيما يلي مِنى ، والتزول بالمزدلفة
بعد الرجوع من عرفة كما هو معروف في المناسك . وحدُّ مزدلفة مما يلي منى
مُحَسَّرٌ ، وهو وادي هنالك ، وحدُّها مما يلي عرفة مَأْزِمًا عرفة ، وهما
جبلان مكتنفان للطريق أفصح من مأزِمِي مِنى . قال ابن جريج : قلت لعطاء
أبن المزدلفة ؟ فقال : من مأزِمِي عرفة إلى مُحَسَّرٍ ، وليس المأزِمان منها ،
ومن مُحَسَّرٍ إلى مسجد مزدلفة نحو المِيل ، ومن مسجد مزدلفة إلى مسجد
عُرْنَةَ أربعة أميال وهو مسجد كبير على يمين الطريق وأنت ذاهبٌ إلى الموقف ،
مستطيل من الشرق إلى الغرب ، وفي غربه قبة ، ويعرف بمسجد إبراهيم عليه
السلام ، وهو في أول عرفة ، وقلَّ من يعرفه من الحجاج ، لأن الموقف وراءه

بمبل وهو على وادي عُرْنَةَ والوادي هو بطن عرنة . ويقال : إن حائطه القبلي على حَدِّه ، ولو سقط ما وقع إلَّا فِيهِ ، وتوقف مالك رحمه الله فيمن وقف به حتى دفع ، حتى كأنه تشكك هل هو في بطن عرنة وقال اصْبِغ : لا يجزيه ورآه من بطن عرنة .

فلما انتهى الناس إلى منى بادروا لرمي جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم نحروا وذبحوا ثم حلقوا وحكَّوا من كل شيء إلا النساء والطيب حتى يطوفوا طَوَافَ الإفاضة ، ورمي هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر . ثم توجه أكثر الناس لطواف الإفاضة ، ومنهم من أقام إلى اليوم الثاني ، ومنهم من أقام إلى اليوم الثالث وهو يوم الانحذار إلى مكة .

فلما كان اليوم الثاني من يوم النحر عند زوال الشمس رمى الناس بالجمرة الأولى سبع حصيات والجمرة الوسطى كذلك وبهاتين الجمرتين يقفون للدعاء ويجمرة العقبة كذلك ، ولا يقفون بها اقتداء في ذلك كله بفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فتعود جمرة العقبة في هذين اليومين أخيرة ، وهي يوم النحر أوَّلَى منفردة لا يخلط معها سواها . وفي اليوم الثالث من يوم النحر بعد رمي الجمرات الثلاث تعجل الناس بالانحذار إلى مكة بعد أن كمل لهم تسع وأربعون جمرة سبع منها يوم النحر ، بالعقبة وهي المُحَلَّلَة ، ثم احدى وعشرون في اليوم الثاني بعد زوال الشمس ، سبعا سبعا في الجمرات الثلاث ، وفي اليوم الثالث كذلك ، ونظر الناس إلى مكة ، فمنهم من صلى العصر بالأبطح ، ومنهم من صلاها بالمسجد الحرام ، ومنهم من تعجل فصلى الظهر بالأبطح ، قال مالك : وإذا رجع الناس من منى نزلوا بالأبطح ، فصلوا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ويقال له المُحَصَّب ، ثم يدخل مكة بعد العشاء الإمام ، ووسَّع مالك في تركه لمن لا يقتدَى به ، وكان يُفْتَى به سِرًّا . وفي البخاري : ليس التَّحْصِيبُ بشيء وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : نزول الأبطح ليس سنة إنما نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان أَسْمَحَ لخروجه .

ثم إنَّ هذا التزول بالمحصب إنما هو لغير المتعجل ، وأما من تعجل فلا رواه ابن حبيب عن مالك وقال مالك : وإذا وافق نفره يوم الجمعة فلا أحبُّ للإمام أن يقيم بالمحصب ، وليدخل مكة ليصلي الجمعة بأهل مكة .

وأنشدتُ للشافعي :

ياراكبا قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنتَى وَاهْتِفْ بِقَاطِنِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ

فانظر إلى قوله : من مِنتَى فإنَّ الْمُحَصَّبَ إذا كان هو الأبطح فإنه إلى مكة أقرب منه إلى مِنتَى ، والشافعي أعرف ببلده . ومضت السنة قديماً بإقامة ثلاثة أيام بعد يوم النحر بمنى لإكمال رَمَيِ سبعين حصاة ، فوقع التعجيل في هذا الزمان في اليومين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ وذلك مخافة ما يطرأ من الفتن بمنى ، فقد وقع ذلك غير مرة ، أصيبت فيها دماءٌ وأموال ، نسأل الله السلامة والعافية ، ونعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن .

لطيفة : عادة المصري وغيره أن يقفوا بالمحمل الذي عليه كسوة البيت العتيق بعرفات ، وكذلك عادة الشامي الذي يأتي بالمحمل الذي عليه كسوة الحجرة النبوية ، وقد وقفاً معاً بعرفة متسامتين ، ونفراً معاً نفرةً واحدةً ، ووقف بإزائهما سلطانُ مكة السلطان عبدالله^(١) ، أصلحه الله وهو الذي حَجَرَ ابْنَتِي أميري الحاج المصري والشامي إذ وقعت بينهما منافرة ومنافسة في أيَّهما يقف أولاً وأولاً بنفر ، حتى كادت عياب الود بينهما تَصْفُر ، حتى توافقت سماسرة الفتنة من الفريقين ، وسلم الله ذلك الجمع السالم من التغير والتكسير ، والله على كل شيء قدير .

وفي يوم النحر المذكور سيقت كسوة الكعبة الشريفة المقدسة من محلة الأمير المصري محمد باي إلى مكة على العادة يقدمها أبو جاهة ، والشبي مولى المفتاح المبارك ، والطبول تضرب من ورائها ، وأمامها ، والرايات منشورة بحذائها حتى وصلت إلى المحل الرفيع ، فتولى أمرها وتعليقها وشدها بأمراسٍ في غاية ما يكون من الفتل والإحكام السادة الشيببئون والقائمون بذلك الوظيف

من أهل البلد ، مجدّون في ذلك غاية الجِدِّ ، فإذا البيت المبارك يؤوّل بزينة ما رأى الراؤون مثلها حسناً وجمالاً وبهاءاً ، وكانت الكسوة المباركة من الحرير الأسود وفيها كتابة بخط أبيض فيها آيات من كتاب الله بعد البسملة ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية . وغير ذلك من الدعاء للسلطان العثماني ، فأخذ الكسوة القديمة سلطان مكة ، وبأن بها لنفسه ، له في ذلك عادة معروفة تارة يأخذها وتارة يأخذها أمير الحج المصري ، فكمّلت كسوة الكعبة المباركة وشمرت أذيالها الكريمة صونا لها من أيدي الناس ، وشدة اجتذابهم لها ، وقوة تهافتهم عليها ولاكبهم فكأنها عروس جُلِّيت في أشرف ملابس وأحسن زينة ، لا يَمَلُّ أحد من النظر إليها ، تستوقف الأبصار ، وتعقل العجلان ، وتذهل الأفكار ، أمتع الله النظر إليها كل مشتاق إلى لقائها ، حريص على المثل بفنائها بمنته .

وفي يوم النحر المذكور فُتِحَ البيت المبارك ، بعد تَعَجُّلٍ من تَعَجُّلٍ من مَنِي ، فدخله أمير الحاج المصري حمد باي ، ومن معه من حاشيته ومن قُدِّرَ له ذلك من غيرهم ، ممن صبر على الازدحام على الباب المبارك ، فإنه يُرى من تَرَا حَمٍ الناس على الباب الكريم وتظارحهم ووثوب بعضهم على بعض وسبّاحة بعضهم على رؤوس بعض كأنهم في غَدِيرٍ من الماء أمرٌ لم يرَ أهولَ منه ، يؤدي إلى تلف المِهْج وكسر الأعضاء ، وهم في خلل ذلك لا يتوقفون ، بل يلقون بأنفسهم على ذلك البيت الكريم من فرط الطرب والارتياح ، إلقاء الفراش على المصباح ، وربما فُقِدَ في هذا المزدحم الشديد من دنا من أجله ، والله يغفر للجميع وينفع كلا بمعتقده وحسن مقصده بِقُوَّتِهِ آمين .

وكان ممن اتفق له الدخول للبيت المبارك مع أمير الحاج المصري صاحبنا الفقيه القاضي السيد بلقاسم العميري ، وبعض وُضْعَان سَيِّدنا نصره الله ، ولكنه على ما أخبرني به خرج باخِرٍ رَمَقٍ ، بقي ساعة وهو مُلْقَى ، ينتظر الإفاقة من غشيته ، وكنا نحن تأخرنا قليلاً مع ولد سيدنا نصره الله ، فلم يُقَدَّر لنا دخول البيت المبارك إذ ذاك ، ولا ليلة فتحوه للسيدة والدة مولانا نصره الله ، إذ كان ذلك ليلاً على وجه الإخفاء بعد الإغفاء ، نسأل الله تعالى أن يتغمدنا برحمته ، وأن

يجزل حظنا من ثواب زيارة بيته العتيق ونظرته ، وأن يجعلنا ممن يشهد له بتقبيل حجره الأسعد وتقبيل سدّته .

لطيفة : قبل دخولنا مكة المشرفة بأيام وجدنا شمרת أستار الكعبة المقدسة إلى نحو قامة ونصف من الجدار ، من الجوانب الأربعة ، ويسمّون ذلك إحراماً لها فيقولون أحرمت الكعبة ، وبهذا جرت العادة دائماً في أيام الحج ، ولا تفتح من حين إحرامها إلا بعد الوقفة ، فكأنّ ذلك التشمير إيداناً بالتشمير للسفر ، وإيداناً بقرب وداعها المنتظر ، لا جعله الله آخر وداع ، وقضى لنا إليها بالعودة وتيسير سبيل الاستطاع ، بعزته وقدرته ، وما أحسن قول العلامة الشيخ أبي سالم سيدي عبدالله اعياش^(٢) لما رأى البيت المبارك مشمر الأذبال ، فوصف تلك الحال :

فكَانَتْهُ لَمَّا بَدَأَ مُتَشَمِّسُ رَأً وَالزَّائِرُونَ بِهِ جَمِيعاً أَحْدَقُوا
مَلِكٌ هُمَامٌ نَاهِيضٌ لِلْقَاءِ مَنْ قَدْ زَارَهُ وَلَهُمْ إِلَيْهِ تَشَوُّقُ
فَتَبَادَرَ الْغِلْمَانُ رَفَعَ ذُبُوبِهِ حَتَّى إِذَا رَجَعُوا جَمِيعاً أَطْلَقُوا

ثم نرجع إلى استيفاء الخبر عن المنازل بِمِنَى ، وذكر المناسك المعظمة بها فنقول : منازل تملأ النفوس بهجة وانشراحاً ومدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط ، عتيقة الوضع ، قد دَرَسَتْ وصار أكثرها براحاً ، إلا منازل يسيرة يعمرها أيام الموسم بعض الباعة .

وأول ما يَلْقَى المتوجه إليها عن يساره بمقربة منها مسجد البيعة المباركة التي كانت أول بيعة في الإسلام ، عقدها العباس رضي الله عنه للنبي عليه السلام على الأنصار ، حسبما المشهور من ذلك .

ثم يفضي منا إلى جمرة العقبة وهي أول مِنَى للمتوجه إلى مكة وعن يسار المار إليه وهي على قارعة الطريق مرتفعة للمتراكم فيها من حصَى الجمرات ، ولولا آيات الله البينات لكانت كالجبال الرواسي ، لما يجتمع فيها على تعاقب الدهور ، وتوالي الأزمنة ، لكن الله عز وجل سَرَّ كريم من أسرارهِ الخفيات لا إله سواه ، وعليها مسجد مبارك وبها علم منصوب ، فيجعلها الرامي عن

يمينه ، مستقبلاً مكة شرفها الله ، ويرمي بها سبع حصيات ، وذلك يوم النحر ،
لأثر طلوع الشمس ، ثم يفعل في اليوم الثاني والثالث من رمي الجمار ما ذكرناه
قبل على الترتيب .

ثم بعد الجمرة الأولى يُعَرَّجُ عن الطريق يسيراً ويلقى مَجَرَّ الذَّبِيحِ
صلى الله عليه وسلم ، حيث فُدِيَ بالذَّبْحِ العظيم ، وعلى الموضع المبارك مسجد
قديم البناء ، وهو بمقربة من سفح تَبِير ، وفي موضع المجر المذكور حَجَر
قَدْ أُلْصِقَ بِالْحِدَارِ المني ، فيه أثر قدم صغيرة ، يقال إنها أثر قدم الذَّبِيحِ
صلى الله عليه وسلم عند تحركه ، فَلَا نَ لَهُ الحجر ، بقدره الله عز وجل إشفافاً
وحناناً ، فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله^(٣) ثم يفضي من ذلك إلى مسجد الخيف
المبارك وهو آخر مَبْنَى في توجّهك أعني المعمور منها بالبيان . وأما الآثار القديمة
فهي آخذة إلى أبعد غاية أمام المسجد ، وهذا المسجد المبارك متسع الساحة كأكبر
ما يكون من الجوامع ، والصومعة وسط رحبة المسجد ، وله في القبلة أربعة
بلاطات ، يشملها سقف واحد ، وهو من المساجد الشهيرة بركةً وشرف بقعة ،
وكفى بما ورد من الآثار الكريمة من أن بقعته الطاهرة مدفن كثير من الأنبياء
صلوات الله عليهم .

وبمقربة منه عن يمين المار في الطريق حجر كبير ، مسند إلى سفح الجبل ،
مرتفع عن الأرض ، يُظِلُّ ما تحته ، ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم قعد
تحتة مستظلاً ، ومس رأسه المكرم فيه فَلَا نَ لَهُ حتى أَثَّرَ فيه تأثيراً بقدر دَوْرِ
الرأس^(٤) فيبادر الناس لوضع رؤوسهم في ذلك الموضع تبركاً واستجارة بموضع
الرأس المكرم ألاّ تمسها النار برحمة الله عز وجل .

ذكر مكة شرفها الله

وما بها من المزارات والآثار المكرمات والآيات البيّنات ، قال الله عز وجل
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الآية ، وقال :
﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ واختُلِفَ
في هذين الاسمين فقليل : لإنهما بمعنى واحد ، والباء تبدل من الميم كما يقال :

لازِمٌ ولازِبٌ وقيل : مكة بالميم اسم البلد وبالباء موضع البيت ، وقيل بكة بالباء بطن مكة وقيل موضع المسجد والبيت ، وهذا كله متقارب ، واختُلفَ في اشتقاق الاسمين فقليل : بكة بالباء مشتقة من الازدحام ، وقيل : من بكَّ العُنُق وهو التواؤم لأنه ما فجر فيها أحد في الدهر الأول إلا أصبحت عنقه ملتوية ، ويحتمل أنه من بكَّ الشيء إذا فرقّه ، لتفرق الناس منها في كل جهة عند فراغ الحج . قال امرؤ القيس :

ولله عينا من رأى من تَفَرَّقُ أَمَرٌ وَأَنَّى مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ

وأما مكة بالميم فقليل : هو من قولهم : امتكَّ الفِصلُ ما في ضرع أمه ، إذا مَصَّه مصّاً شديداً ، سميت بذلك لِاجْتِذَايِهَا الناس من الآفاقِ أو لِاسْتِقْصَائِهَا محو الذنوب ، أو لقلة مائها حكاه ابن دريد ، أو لأنها تنقص من ظلم فيها وقيل : هو من المكاء وهو الصفير . قال الله عز وجل ﴿ وما كان صلاتُهُمْ عِندَ النَّبِيِّ إِلَّا مُكَّاءٌ وَتَصْدِيَةٌ ﴾ حكاه الزجاجي . ولها أسماء : مكة وبكة ، وصلاح معدول ، والعرش ، والقادس والمقدسة والساسة والناسة — بنون وسين مهملة — والباسة بالباء ، والبيت العتيق ، وقيل : هو الكعبة ، وأم رُحِم بضم الراء ، وأم القرى ، والحاطمة والرأس ، مثل رأس الإنسان ، والبلد ، وقيل : هو مِنَى والقرية القديمة ، والبلد الحرام ، حكاه كلها القاضي عياض في « مشارقه » فصلاح معدولة عن صالحه ، والعرش السرير ، لأنها أرفعُ البلاد ، والقادس والمقدسة من الطهارة ، والنساسة من نسَّ الشيء أذْهَبَهُ حكاه السهيلي ، لأنها تُنْذِيبُ الظَّلَمَةَ وتُبِيدُهُم ، وبالباء من النَّبَس وهو الفت بمعنى الأول ، والعتيق القديم ، وقيل لعتقها عن تملك الجبابرة عليها أو من نجبرهم فيها ، والرُّحِم الرحمة وأم الشيء أصله أي موضع الرحمة وأم القرى أصلها لأن الأرض دُحِيتْ مِنْ تَحْتِهَا قاله الهروي والحاطمة مهلكة الظالمين والرأس معروف ، لأنها في البلاد كالرأس في الجسد ، والبلدة الحرام لا حترام الله عز وجل لِمَنَّاها وتعظيماً لها .

قلت : ويقال للكعبة البنيَّةُ اسم لها مشتق من البناء ، والبيت العتيق وقد مضى

ذكره ، وفي بدنها على أقوال كثيرة ، فحكى القاضي عياض عن كعب ووهب ابن منه أن البيت أنزل من السماء ياقوتة حمراء ، والركن ياقوتة بيضاء ، فبنى آدم قواعدة ، ووضع عليها فلما أرسل الله الطوفان رفعت وبقيت القواعد .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي نَحْوَ هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه أن الملائكة قالت لآدم : قد حَجَجْنَا هذا البيت قبلك بألف عام . وذكر الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنه في الركن نحو ما تقدم قال : ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام ، فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة ، ولولا مالا لا مَسَّهُمَا من أهل الشرك ما مَسَّهُمَا ذُو عَاهة إلا شفاه الله عز وجل . وذكر الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم » . وقيل : إن الملائكة بنت البيت وأنهم لما قالوا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ غضب الله عليهم فعادوا يطوفون بالعرش ، يسترضون ربهم فرضي عنهم وقال لهم : ابنوا في الأرض بيتا يعوذ به كل من سخطت عليه ، كما فعلتم بعرشي ، فبنوا البيت وقيل : إنما بناه آدم عليه السلام ، وأنه لما أهبط من الجنة أوحى الله إليه ابن لي بيتا واصنع حوله كما كانت الملائكة تصنع حول عرشي ، فبناه . حكى هذا عن ابن عباس أيضا ، قال وبناه من خمسة أجبل ، طور سيناء وطور زيتاء ولبنان والجودي وحراء ، قال مجاهد : وكان موضعه بعد الغرق أكمة حمراء لا تعلوها السيول ، وكان يأتها المظلوم ويدعو عندها المكروب وقيل : إنما بناه شيث بن آدم عليه السلام حكاه أبو عمر بن عبد البر .

والذي يدل عليه ظاهر الحديث إن البيت كان قبل إبراهيم عليه السلام وذلك أنه دعا عند وضعه هاجر وابنها إسماعيل بمكة قبل بنائه البيت بزمان ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِرَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ والحديث الذي اشرنا اليه هو ما قاله ابن عباس رضي الله عنه أن إبراهيم عليه السلام أنزل هاجر بولدها إسماعيل عليه السلام وهو صغير يرضع بمكة ولا ماء بها

ولا أنيس ، فقالت : الله أمرك أن تتركنا بهذا الوادي الذي لا أنيس به ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا نضيع معه . وذهب حتى غاب عنهما فاستقبل البيت فقال ﴿ رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴾ إلى ﴿ يشكرون ﴾ فلما عطشت هاجرُ وابنها ورأته يتلَوْن قامت كراهة أن تنظر إليه فصعدت الصفا فنظرت فلم ترَ أحداً فهبطت ، فلما كانت في الوادي رفعت ذيلها وسعت سعي المجهود ، حتى صعدت المروة فلم ترَ شيئاً ، ثم رجعت إلى الصفا ، فعلت ذلك سبع مرَّات ، فلذلك يسعى الناس بينهما ، فجاء الملكُ فضرب بعقبه في موضع زمزم ، فنبع الماء ، فجعلت تخوض بيدها ولوتركته لكان ماءً معيناً ، ثم قال لها الملكُ : لا تخافا الضيعة فإنَّ ها هنا بيت الله بينيه هذا الغلام وآبوه ، ثم نزل عندها رفقةً من جرَّهم فلما شبَّ الغلام زوجته ، فجاء إبراهيم عليه السلام وإسماعيل غائبٌ ، فسأل زوجته عن حالها فشكت فقال لها : قولي لزوجك يُغيِّرُ عتَبَةَ بَابِهِ ، فطلَّقها ، وتزوج أخرى ، ثم جاء إبراهيم عليه السلام فسأها وأثنت على الله وقالت خيراً . فقال لها : قولي لزوجك يُشَبِّتُ عتَبَةَ بَابِهِ ، وسأها عن عيشهم فقالت : اللحم والماء فقال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلا يَخْلُو عليهما أحدٌ بغير مكة إلا لم يُوافَقاه » . ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبْري نَبلاً تحت دوحة قريباً من زمزم ، فقال له : إن الله أمرني أن أنبيَ له ها هنا بيتاً وأشار إلى أكمةٍ فعند ذلك رفع القواعدَ من البيت ، يبني إبراهيم وينقل إسماعيل الحجارة ، فلما ارتفع البناء جاءه بالمقام فوقف عليه وهو يبني ، ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تقبلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ويحكى أنه لما أمرَ إبراهيم عليه السلام ببناء البيت قال : ياربِّ بَيِّنْ لِي صِفَةَ فَأَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ غمامةً على قدر البيت ، فسارت معه حتى نزل مكة فقيل : ابنِ ها هنا ، فبني ، وكان جبريل عليه السلام قد استودع أبا قُبَيْسٍ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ حينَ الفرق ، فلما بنى إبراهيم عليه السلام أخرجه إليه ، فوضعه ، قالوا : ولما تُوُفِّيَ إسماعيل دُفِنَ في الْحَجَرِ عند أمِّه ، ودَبَّرَ أمرَ الْحَرَمِ ولَدُهُ نَابِتٌ بنُ إسماعيل ، ثم غلبت جرَّهم على البيت فانهدم ، فبنته العمالقة ، ثم انهدم فبنته جرَّهم ،

ثم احترق في الجاهلية من تَجْمِيرٍ فهدمته قريش ، وكان قصيراً تفتحمه العين ، فرفعه نحواً من عشرين ذراعاً ، وقصنهم في بنائه وفي الحَيَّة واختطاف الطائر لها ووضع الركن مشهورة ذكرها ابن اسحاق في « السيرة » مستوفاة ، وذكرها أبو عمر بن عبد البر وغيره . واختُلف في وقت بناء قريش لها فقيل : لأنهم بنوها وقت بلوغ النبي صلى الله عليه وسلم الحُلُم ، وقيل : بنوها وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وقيل : ابن خمس وثلاثين ، وهو قول ابن اسحاق ، وقال بعضهم : إنَّ قريشا بنتها مرتين ، ثم احترقت في زمان يزيد بن معاوية ثم استشار ابنُ الزبير الناسَ في نقضها وبنائها فنقضها وبنائها ، وزاد في ارتفاعها عشرة أذرع وأدخلَ فيها من الحِجَرِ ما ثبت أنه منها ، وجعل لها بابَينَ شرقياً وغريباً ، وألصقها بالأرض حسبما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قُتِل ابنُ الزبير كتب الحجاجُ إلى عبد الملك يعلمه ببناء ابن الزبير للكعبة ، وإدخاله فيها ما أُدخلَ من الحِجَرِ ، فكتب إليه عبد الملك يأمره برَدِّها على ما كانت عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن لا يُغَيَّرَ ما زاد في ارتفاعها فنقضها الحجاج وبنائها على ما هي عليه اليوم ، ولما كان الرشيد استشار مَالِكاً في رَدِّها على ما صنع ابن الزبير كما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك رحمه الله : ناشدُكَ الله يا أمير المؤمنين لا تجعل هذا البيت ملعبةً للملوك لا يشاء أحدُهُم إلاَّ نقضَ وبناه ، فتذهب هيئته من صدور الناس . فقبل الرشيد كلامه وتركه على ما هو عليه .

(للحديث صلة)

الحواشي :

(١) هو عبدالله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نهمي - الذي تولى إمارة مكة فترتين الأولى في ٢١ المحرم من سنة ١١٢٩هـ إلى ٢٧ جمادى الأولى من سنة ١١٣٠هـ ، والثانية من ١٥ جمادى الآخرة سنة ١١٣٦هـ إلى ١٥ ذي القعدة سنة ١١٤٣هـ ولكن يلاحظ أن عبدالله بن سعيد قد توفي قبل الحج ، والمؤلف قد صرح في مقدمة الرحلة أن حجه كان سنة ١١٤٣هـ وأن خروج السيدة خنثي والدة ملك المغرب التي حج مرافقاً لها من فاس للسفر كان يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف . وعلى هذا فأمر مكة أثناء الحج هو محمد بن عبدالله بن سعيد ، ولعل اسم محمد سقط خطأ من الناسخ .

(٢) هو الشيخ الياشي صاحب الرحلة المشهورة « ماء الموائد » .



ما اتفق لفظه واختلفت أسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٥٨هـ)

- ٣٢ -

٢٠٢ - بابُ جَلِيلٍ وحَلِيلٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بفتح الجيم وكسر اللام : - جَبَلُ الْجَلِيلِ فِي سَاحِلِ الشَّامِ ، مُتَّصِلٌ إِلَى قَرْبِ مِصْرَ ، كَانَ مُعَاوِيَةُ حَبِيسَ فِيهِ مَنْ كَانَ ظَفَرُهُ مِمَّنْ كَانَ يَنْبِزُ بِقَتْلِ عُثْمَانَ ، وَهُنَاكَ قُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَوِي ، قَتَلَهُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ لَمَّا اعْتَرَفَ عِنْدَهُ بِقَتْلِ عُثْمَانَ^(٢) .

وَذُو الْجَلِيلِ : وَادٍ قَرْبَ مَكَّةَ^(٣) .

وَأَمَّا الثَّانِي - أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ لَامٌ مَفْتُوحَةٌ - مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمٍ كَانَتْ فِيهِ وَقَائِعُ ، لَهُ ذِكْرُنِي أَيَّامِ الْعَرَبِ^(٤) .

٢٠٣ - بابُ جُلُجُلٍ وحُلُحُلٍ^(٥)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بِجِيمَيْنِ مَضْمُومَتَيْنِ : - دَارَةُ جُلُجُلٍ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ مِنَ الْحِمَى ، وَقَالَ غَيْرُهُمَا : فِي دِيَارِ الضَّبَابِ ، ذَكَرَهَا امْرُؤُ الْقَيْسِ وَغَيْرُهُ^(٦) .

→ (٣) التبرك بالأحجار وتقبيلها من الأمور المحرمة شرعاً ، وما ذكر عن الحجر وعن الحجر من الأمور التي لا أصل لها وما يتناقله النوام حولها من الأخبار الخرافية .

(٤) ليس فيما وصل إلينا من كتب التاريخ الموثوق بها ما يؤيد هذا ، ولو ثبت لذكره علماء السلف الذين لم يتركوا شيئاً من معجزاته - صلى الله عليه وسلم - إلا ذكروه ، ولهذا لا تجوز نسبة ذلك له صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز التبرك بذلك الحجر ، والاستجارة بغير الله شرك إذ هو سبحانه الذي يجير ولا يحار عليه .

وأما الثاني - بخاءين مهملتين مفتوحتين : - جبل من
جبال عمان . وفي شعر الأخطل مصقّر - قال :
قَبَسَحَ إِلَهِ مِنْ الْيَهُودِ عَصَابَةَ
بِالْجِزَعِ بَيْنَ حُلَيْحِلٍ وَصُحَارٍ^(٧)

الحواشي :

- (١) في كتاب نصر في حرفه الجيم : (باب الجليل والخليل وغيل) .
- (٢) قال نصر : - بفتح الجيم - : جبل الجليل قرب مصر ، وكان معاوية حبس فيه من ظفر به من أهل مصر المخالفين له ستة ميع وثلاثين ، منهم محمد بن أبي حذيفة ، وابن عديس ، وكريب بن أبرهة . انتهى . وفي « معجم البلدان » : جبل الجليل في ساحل الشام ، تمتد إلى قرب حمص ، كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به من ينز بقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - منهم محمد بن أبي حذيفة ، وكريب بن أبرهة ، وهناك قتل عبد الرحمن بن عديس البلوي ، قتله بعض الأعراب لما اعترف عنده بقتل عثمان . كذا قال أبو بكر بن موسى . انتهى . وأبو بكر هذا هو الحازمي ، ولكن النص فيه زيادة عما في كتاب الحازمي الذي بين أيدينا . وفي المعجم أيضا : وجبل الجليل بالقرب من دمشق أيضا وهو جبل يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل وهو بدمشق لبنان ، ونعمص سائر . وفيه أيضا في ترجمة واصل بن جميل السلمي الجليلي من جبل الجليل من أعمال صيدا وبروت من ساحل دمشق - نقلا عن ابن عساكر في « تاريخ دمشق » .
أما كلمة (مصر) في كتاب الحازمي فخطأ صوابها (حمص) .
- (٣) هذا نص كلام نصر . وزاد ياقوت في « معجم البلدان » : قال بعضهم : بذى الجليل على مستأنس وحد . وهذا عجز بيت للثابتة الذياني هو في ديوانه برواية الأصمعي :
كان رحلي - وقد زال النهار بنسا يوم الجليل على مستأنس وحـ
ولكنه ورد في « شرح المملكات العشر » للنصافي : بذى الجليل . وفسره الشراح بأنه موضع ينبت الثمام ، إذ الجليل من أسماء الشام . وما أرى الثابتة أراد الموضع القريب من مكة ، إذ بلاده وبلاد قومه بعيدة عنها .
ويورد بعضهم شاهداً على الجليل الذي بقرب مكة البيت المنسوب لبلال - رضي الله عنه - :
ألا ليت شعري هل أبين ليلة بفتح وحولي إذخر وجليل
إذ جليل واد ينحدر من جبل حراء حتى يفيض في وادي فخ ، وقد بلغه عمران مكة ، وإذخر - وهو أذاخر - واد يدفع أيضا في وادي فخ ، على أن المتبادر إلى الذهن أن الإذخر والجليل في البيت هما النوعان المعروفان من النبات . وقد يسمى بهما المكان الذي ينبت فيه ، ولهذا تعدد ذو الجليل . وقال نصر : وذو الجليل واد بقرب أجأ ، وذكر في بعض الكتب بضم الجيم وفتح اللام وتشديد الياء ولا يثبت . انتهى وذكر أنه عند أكمة والقن بأجأ .
- (٤) هذا تعريف نصر سوى جملة (له ذكر في أيام العرب) فمن زيادات الحازمي . ولم يزد ياقوت على كلام الحازمي إلا أنه هو ونصر أوردا الاسم مرفأ (الخليل) .
وقال نصر عن خليل : وأما بفتح الغاء المعجمة وكسر اللام - : أحبه موضعاً من الشق اليماني ، ينسب إليه أحد الأذواء . انتهى .

اليمن تاريخاً وحضارة

للدكتور يوسف شلحد ورفقائه

ما كنت أدرك أن إتقان إحدى اللغات العالمية كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية من الأمور التي لا بد منها للمثقف العربي في هذا العصر ، إذا أراد أن يُلمَّ إلماً شاملاً بنواحي الثقافة العربية فضلاً عن غيرها من الثقافات - ما كنت أدرك أن هذا الأمر من مكملات الثقافة في هذا العصر حتى فات الوقت الذي أتمكن فيه من دراسة إحدى اللغات ، وبعد أن اتضح لي أن المثقف العربي لا يكفيه الاطلاع على ما يؤلف بلغته ، مما يتعلق بثقافته العربية . إذ لهذه الثقافة روافد قوية

→ (٥) في كتاب نصر في حرف الحاء : (باب جملجل وجلجل) .

(٦) قال نصر : وأما بضم الجيمين - : دارة جلجل في دار الضباب ، مما يواجه ديار فزارة . انتهى وجمع ياقوت بين القولين ، وذكر معنى الجلجل لغة ، وأشار إلى أنه فسر الدارة في بابها . وما أورده الحازمي من قول الأصمعي وأبي عبيدة وقول غيرهما ينطبق على موضع واحد ، فبلاد الضباب أغلبها في الحمى ، حمى ضرية ، أما قول نصر بأنها مما يواجه ديار فزارة - فيفهم منه أنها في الشمال الغربي من الحمى ، حيث عد المجري من بلاد فزارة جبل الزهلول ومياهاً في جهته ، ولكن المجري ذكر أن دارة جلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب ، وبلاد هاؤلاء في جنوب الجزيرة في بلاد نجران وما بقرب تلك البلاد ، ويمكن الجمع بين قول المجري وبين قول الأصمعي وأبي عبيدة بأن الاسم قد يطلق على موضعين فأكثر .

(٧) لم يزد نصر من قول : أما بجائين : جبل من جبال عمان . وأورد ياقوت نص كلام الحازمي غير منسوب إليه بدون زيادة ، وبيت الأخطل ورد في ديوانه - ٣١٤ - من مقطوعة أبياتها ستة هو أولها ونصه :

لمن الإله بني اليهود عصابة بالجرع بين جلاجل وصرار

وكذا ورد في « الأغاني » ج ١٤٨/١٣ وح ١٢٢/١٤ طبعة بولاق - مع اختلاف يسير في بعض الكلمات وهذه الرواية أصح مما في كتاب الحازمي وما نقله ياقوت عنه وإن لم يصرح بالنقل ، لأن القطعة في هجاء بني النجار أهل المدينة ، ومنهم ابن الفريفة يعني حسان بن ثابت ، ولا صلة لقب بيت بعمان ، وصرار من المواضع المشهورة في المدينة وكان من أطام اليهود في شامي المدينة من ناحية الحرة ومنازل بني حارثة - على ما ذكر السهودي في « وفاء الوفاء » .

بلغات أخرى ، إذا لم يحسنها فاته إدراك تلك الروافد ، وفهمها ، ومنها ما يعتبر إدراكه من ضرورات مثقف هذا العصر ، لارتباط المباحث العلمية واتفاق أصولها في مختلف اللغات .

ذكرت هذا وأنا أطلع في إحدى صحفنا وهي جريدة « البلاد » - ع ٧٨١٦ تاريخ ١٢/٣/١٤٠٥ هـ (١٩٨٤/١٢/٤ م) - خبراً نصه : (أصدرت دار نشر (ميزونوف ولاروز) في باريس التي يديرها (جوزيف شيلهود) المتخصص في علم الاجتماع وعلاقات الشرق الأوسط والأستاذ بجامعة باريس ورئيس قسم الأبحاث في المركز القومي للبحث العلمي ، مؤلفاً شاملاً مكوناً من عدة أجزاء حول اليمن أو كما تطلق عليه الكتب الكلاسيكية اليمن السعيد باسم « عرب الجنوب تاريخ وحضارة » .

تمنّيتُ أنني أحسن اللغة الفرنسية لأعرف شيئاً عن هذا الكتاب ، وما أدركت أنه قد أهدي إلي منه مجلّدان بتاريخ ٢٧/٦/١٩٨٤م - أي قبل نشر الخبر بما يقرب من ستة شهور .

وأنّ اسم مؤلفه الفاضل الذي ورد في الصحيفة (جوزيف شيلهود) هو من أصدقائي منذ سنين ، وأنّ وقوع الخطأ في كتابة اسمه حال بيني وبين معرفته ، وهذا ما يشكو منه الأستاذ نفسه حيث ذكر لي في أحد كتبه أنّ بعض المنشورات العربية تشوه اسمه تشويهاً قبيحاً ظناً منها أنه من المستشرقين .

وهو عربيّ منشأً وهوى وثقافة ، فهو من أسرة سورية تدعى (شلحت) والكلمة سريانية معناها (رسول) ، وقد ولد في مدينة حلب في ١٩١٩/١٢/٦م وتلقى دراسته في المدارس الخاصة التي أجاد فيها اللغة الفرنسية ، ولكن أسرته كان لها تأثير في توجيهه لدراسة اللغة العربية دراسة عميقة ، فقرأ كتاب سيبويه ، قبل أن يكمل العقد الثاني من عمره ونال الجائزة الأولى في مسابقة شعرية أجرتها مجلة « الأمل » بين جميع طلاب سورية ولبنان ، وحاز شهادة (البكلوريا)

في العلوم سنة ١٩٣٨م ولكنه بسبب قيام الحرب العالمية الثانية لم يتمكن من متابعة دراسته العليا ، فاشتغل في التعليم ، ونشر عددا من المقالات في مجلات « الحديث » و « الضاد » و « برق الشمال » .

وفي سنة ١٩٤٦م صَدَرَ له أول كتاب باللغة العربية بعنوان « علم الاجتماع الديني » .

وسافر بعد ذلك إلى فرنسا للدراسة ، فنال شهادة (الليسانس) في العلوم الاجتماعية من جامعة السربون ، ثم (دكتوراه الدولة الممتازة) بدرجة الشرف من الجامعة نفسها سنة ١٩٥٢م .

ثم عاد إلى سورية للعمل في الجامعة ولكنه بقي سنة كاملة بدون عمل ، فعاد إلى فرنسا حيث عُيِّنَ باحثا في (المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي) .

وقد قام بعدد من الرحلات إلى البلاد العربية لدراسة أوضاعها الاجتماعية موفدا من قبل المركز الفرنسي الذي أَسْنَدَ إليه شؤون البحث العلمي التعاوني عن اليمن وعن الجزيرة العربية مدة عشر سنوات .

وقام بتدريس العلوم الاجتماعية في معهد العلوم العليا ، وفي جامعة السربون وفي جامعة السربون الجديدة .

وقد اعتزل التعليم ليتفرغ للبحث والدراسة والكتابة .

وله أبحاث علمية نشرت في المجلات الفرنسية والألمانية وفي الموسوعة الإسلامية الدولية .

وقد قام بتحقيق كتاب « بغية المستفيد وذيله الفضل المزيّد » لابن الديبع ونشره المعهد اليمني للدراسات التاريخية ، ونشرت له مجلة « العرب » أبحاثا تاريخية .

وقد نشر له من المؤلفات باللغة الفرنسية :

- ١ - حدود الموضوعية في علم الاجتماع (رسالة دكتوراه) .
 - ٢ - الذبائح عند العرب .
 - ٣ - المدخل لعلم الاجتماع الإسلامي .
 - ٤ - أسس الحرام عند العرب .
 - ٥ - الحقوق في المجتمع البدوي .
 - ٦ - العربية الجنوبية تاريخاً وحضارة ، في ثلاثة أقسام :
- القسم الأول : عن العهد الإسلامي وشارك الدكتور يوسف شلحد الأستاذان أنين رينو وجون بالدري ، وقد صدر في ٢٨٢ صفحة .
- القسم الثاني : عن التاريخ المعاصر ، اشترك في تأليفه الأساتذة يوسف شلحد وآلن روو ودنيال رودسون وجاك كولان ، ويحوي من المباحث :

- ١ - الثورة اليمنية في الشمال والجنوب .
- ٢ - الناحية الاقتصادية .
- ٣ - الهجرة اليمنية .
- ٤ - تكوين المجتمع اليمني .

القسم الثالث : يتعلق بتاريخ اليهود في اليمن شارك الأستاذ يوسف في تأليفه الأستاذ يوسف طوبي ، وهذا القسم الأخير سيصدر في شهر شباط (فبراير) ١٩٨٥ م .

ولاشك أن هذا الكتاب سيلقى من المهتمين بدراسة تاريخ الجزيرة العربية واليمن خاصة من العناية والاهتمام ما ييسر للباحثين الذين لا يحسنون اللغة الفرنسية الاستفادة منه .

وحبذا لو قام المركز اليمني للدراسات التاريخية ، أو قسم التاريخ بجامعة صنعاء بنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية لتعميم نفعه .

حمد الجاسر

بنو رشيد : فروعها وبلادها

يرجع أصل فروع قبيلة بني رشيد إلى قبيلة غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وغطفان هذا جذمٌ عظيمٌ يجمع عدداً من القبائل تعرف مجتمعة فيه ، وتعرف متفرقة بفروعها منه ، وهم من ذريته ، ولذلك استحسن إعطاء القاريء نبذة موجزة عن تلك الفروع قبل الدخول في تفريع القبيلة التي نحن بصددتها التي هي بقايا منهم^(١) وهم :

١ - بنو عبّس بن بغيض بن ريث بن غطفان .

٢ - بنو ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وذبيان جذم كبير يجمع قبائل منها :

أ - بنو فزارة بن ذبيان .

ب - بنو مبرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

ج - بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

٣ - بنو أشجع بن ريث بن غطفان .

ويتفرع من كل قبيلة منها بطون وفروع كثيرة يطول ذكرها ، ويتسع مجال حصرها ، ولكل منها تاريخ مليء بالأخبار والحوادث لا يخفى على من عني بدراسة التاريخ والأدب ، وليس المقام هنا مقام تفصيل وسرد مفاخر ومآثر قبائل تشتت أحوالها ، بل لا يعدُّ كونه محاولة لتبيين نسبها في غطفان لمن لم يكن على معرفة بها من قبل .

أما مواطن تلك القبائل قديماً فقد أوفى الكلام عنه أصحاب المؤلفات القديمة ، ولم أر فائدة من تكراره .

تفكك غطفان : غطفان كغيرها من قبائل قلب الجزيرة بدأت تتفكك

أيام الفتوحات الإسلامية حيث تطوع كثير من رجالها في صفوف الجيش الإسلامي الذي قوامه آنذاك رجال القبائل .

وقبيلة غطفان يمكنني أن أوجز أسباب تفككها بأمور ثلاثة :

الأول : اشتراك عدد كبير من رجالها في بدء الفتح الإسلامي كمحاربين متطوعين في صفوف جيوش الإسلام ، وقد تولى عدد من رجالها مناصب قيادية عليا في جيوش الإسلام المحاربة ، في سبيل الله ونشر دينه والمرابطة ثم الاستقرار خارج الجزيرة . ومن المعروف أن أسر أولئك المحاربين لا تتخلف عنهم في مثل تلك الحالة ، فإذا افتتحوا بلدا اتخذوا منه لأسرهم موطنًا ، مما جعل المقيمين من أقربائهم في أوطانهم الأولى ، أشد تطلعا للحاق بهم ، وهو ما حدث فعلا مما أضعف تماسك القبيلة وقلل من قوتها .

الثاني : غزوة القائد العباسي التركي (بغا) الكبير لغطفان عام ٢٣١هـ في فذك (الحائط) مما سبب تمزيق القبيلة تمزيقا غادرت على أثره بطون كثيرة منها مواطنها إلى الشام ومصر والمغرب وأماكن أخرى معروفة في أفريقيا ، وبقي منها عشائر تخلفت بمواطنها القديمة في حرار خيبر وجبلي أباين . والمؤرخون يكادون يجمعون على أن هذه الغزوة من أقوى الأسباب التي قضى بها على تماسك غطفان وقوتها .

الثالث : ويُعَدُّ هذا السبب أهم الأسباب ما حدث لقبيلة بني عبس في القرن الثامن الهجري على أيدي جاراتها من القبائل العربية المجاورة لها وغير المجاورة وما آلت إليه أحوالها من جرّاء تكالب عدد من قبائل الجزيرة إن لم تكن كلها على عبس ، وما أعقب ذلك من تشتيتها وإضعافها بسبب حرب وقعت بينها وبين قبيلة أخرى انتصرت عليها عبس ، على ما جاء في كتاب « مرآة جزيرة العرب » للمؤرخ التركي أيوب صبري باشا ، ويبدو أن هذه الحادثة ظلت مجهولة لدى كثير من الباحثين ، والكتاب اليوم في متناول أيدينا وفيه تفصيلات لم تكن معروفة من قبل عن قبيلة بني رشيد ، وإن كان المؤرخ عفا الله عنه قد خلط مع بني رشيد فروعا لم تكن منها وليست معروفة فيها .

واسم (بني رشيد) من بطون عبس أصبح رمزاً انضوي بكنفه فيما بعد ما بقي من عبس ، وشمل كثيراً من البطون الأخرى من قبيلة غطفان .

وهذا تفصيل قد يكون وافيا عن بطون قبيلة بني رشيد الحاضرة وفروعها حسبما توصلت إليه من دراسة أحوالها ، وإن كانت الروايات المتداولة على الألسن بين أفراد القبيلة نفسها وبعض المراجع^(٢) تظهر عبسا ظهورا باثنا بالذكر دون سواها بهذا الانتساب ولا أحد ينكر ذلك ، ولكن الذي لاشك فيه أن بقايا من بطون غطفان دخلت في بني رشيد ، ولا إشكال في ذلك فالجميع يرجعون لغطفان .

وليس معنى هذا إنكار دخول فروع صغيرة وقليلة عدنانية الأصل دخلت مع بني رشيد بطريقة الحلف من غير غطفان . وأصبحت معدودة من القبيلة ، وهذا الوضع يكاد يكون عاما في القبائل ، وليس خاصا ببني رشيد وحدهم .

وها هم بطون القبيلة وفروعها :

١ - آل بَرَّاء ، وفروعهم :

أ - الرواشد : وفيهم الرئاسة لآل بَرَّاء ، منهم الفارس المشهور جاسم بن رشدان بن راشد بن براء ، وإليه ينسب بيت (الجواسم) من الرواشد ، وقد ساد بني رشيد أيام حياته وهو الذي استطاع بحنكته ودرايته أن يجمع شمل القبيلة تحت علم واحد ويوحد صفوفها ككتلة مترابطة لها كلمة واحدة وداع واحد ، ويعتبر رمزا فذاً بين بطون القبيلة ، ومثله في المكانة شيخان كريمان من ذريته هما دليم بن جاسم وناهس بن فديغم بن جاسم كلاهما سادا القبيلة من بعده ولذلك ظلت الشيخة للقبيلة ومازالت في آل بيته .

ب - القصبات . ه - ذوي خليفة .

ج - ذوي بركي . و - السوالم .

د - ذوي خلوي . ز - العويسات .

ومن ديارهم :

- (١) ضُرَيْغِد : - تصغير ضرغد - قرية تقع في الجنوب من حرّة ضرغد ، وغرب جبل الفرس .
- (٢) النَبَوَانُ : قرية عامرة بالسكان ، وتعد من الهجر القديمة وتقع في سفح حرة ضرغد شمال الحائط .
- (٣) مَرَاغَان : ماء احتفرها الشيخ ناهس وأصبحت قرية مأهولة ، وتقع في وادي الرّمة أسفل الحليفة .
- (٤) سِنَافُ التَّمِيَّاط : قرية تقع في ضغن عدنة قديما على الخط المزفت ما بين الحليفة والغزالة .
- (٥) الصُّخْنَة : قرية قرب النَبَوَان : .
- (٦) المَشَوَاةُ : قرية تقع غرب الروض ببضعة أكبال .

٢- الذّيبَة ، وفروعهم :

أ - السمرات : وفيهم رئاسة الذّيبَة ، ويرأسون شمل الفروع التي تصاليهم في المواضع من بني رشيد .

- | | |
|---------------|----------------|
| ب - الهوننة . | ح - الفجاوين . |
| ج - الننين | ط - الصوادر . |
| د - الرجيان . | ي - البويدي . |
| ه - العويض . | خ - العتيق . |
| و - العيزان . | ث - المسرة . |
| ز - العويد . | |

ومن ديارهم :

- (١) الصُّلُصْلَة : قرية تقع بين المدينة وخير .

(٢) البحرة : وهي في وادي تنطلق فروعها من وادي الغرس ، ويفيض سبله في وادي خير .

وبالإجمال : فإنّ المواضع الغربية من حرة النار قديماً ما بين جنوب خير إلى ضواحي المدينة المنورة من منازل هذا البطن ويشاركون بها فروع أخرى من بني رشيد .

الرويضات ، وفروعهم :

أ - العريجات .

ب - الجمادات .

ج - الثنيان .

د - المقاعية .

ومن ديارهم :

(١) الشعبة : قرية تقع في أعلى وادي القهد .

(٢) الصُّور : قرية في أعلى وادي الروض .

٤ - العايفات ، ومن فروعهم :

أ - الدجيلات .

ب - الرواشد .

ج - المزارمة .

ومن ديارهم :

(١) قُنَيّ : جبل فيه قرية تسمى بـ (بدائع قُنَيّ) للعايفات ، وهو يقع شرقاً من قرية مرآغان بما يقارب ٧٠ كيلاً وجنوب غرب جبل قنّا ببضعة أميال .

٥ - المهامزة (المهيّزات) وفروعهم :

أ - الزَعَامَاتُ .	ح - الفَدِيمَاتُ .
ب - النَمِيمَاتُ .	ط - الخَوِينَاتُ .
ج - المَعِيَّوَاتُ .	ي - الدَنَاهِيرُ .
د - الفَعُورُ .	ك - الحُشَيَّاتُ .
هـ - الجَبِيرَاتُ .	ل - العَمَامِيرُ .
و - ذَوِي مَطِيحٍ .	م - الهَمِيمَاتُ .
ز - الثَعَالِبَةُ .	

وشيوخ شملهم ابن هُدَيان ، ومن ديارهم :

صَفِيط : وادي ينحدر من شرقي حرة فذك (الحائط) ويفيض في الحليفة .

(٢) المُرَيْرُ : وادي في الجنوب الغربي من الحليفة ، وسيلة يفيض من حرة خيبر منطلقاً منها صوب الجنوب الشرقي حتى يتدفق في وادي الحِنَاكِيَّةِ . (نخل قديما) .

(٣) أبو سِيدْرَان : وادي بين الحائط والحويط .

(٤) أبو حُمَيْدَة : وادي شرقي وادي سِيدْرَان .

(٥) أمُّ رَوَّشَن : قرية تقع في الجنوب الشرقي من صُفَيْط بما يقارب عشرة أكيال .

(٦) سامودة : قرية تقع غرب جبل العَلَم .

(٧) أبو رِمَث : وادي شرق الحرة .

(٨) الخفيق (الخفيج) : قرية في شرق الحرة .

ويلاحظ أن هذه الأماكن من أودية وغيرها أنشئت فيها قرى عرفت بأسمائها ، وكلها مأهولة بالسكان وبعضها كانت هجراً قديمة .

٦ - القعابيب ، وفروعهم :

- | | |
|----------------------|---|
| أ - الصقـــــرة . | هـ - العيفـــــان . |
| ب - ذوي بليـــــم . | و - ذوي جُحَيْل تصغير جحل ورد |
| ج - الصـــــواباء . | اسم هذا الفرع في « معجم قبائل المملكة » |
| د - الشواحـــــطية . | ج ١ ص ١١٠ باسم (جميل) وهذا |
| | خطأ وصوابه ما ذكرنا . |

ومن ديارهم :

- (١) الخفق (الخفج) (٢) البحرة (٣) العسافية (٤) اللبانة .
وهذه المواضع أسماء أودية وقرى متقاربة وتقع ما بين شمال غرب
الروض ، وجنوب غرب النبوان بسفح الحرة .

٧ - المضابرة :

وهم قسمان : قسم يسكن جلي أبانين في القصيم ، والقسم الآخر يسكن
العُقَيْلة في وادي الغرَس والفَقْفي في حرار خير .

أ - سكان أبان وفيهم الشهرة وفروعهم :

- | | |
|--------------------|-----------------------|
| (١) الســـــلام . | (٦) الزهاـــــميا ل . |
| (٢) الحنـــــيات . | (٧) ذوي بدوي . |
| (٣) الشقـــــمان . | (٨) الرداـــــفين . |
| (٤) القـــــصمان . | (٩) الذئـــــخمان . |
| (٥) العـــــدون . | |

وشيوخ شمل هؤلاء ابن سعدون ، وكانت الشيخة قديما في ذوي بدوي
ومن ديارهم :

أبانان ، وهما جبلان من أشهر جبال العرب ولا يضاهيهما بالشهرة سوى

جبل طي^٢ ، وهما يقعان بمنطقة القصيم ، وسيل وادي الرمة يمر بينهما ، ولا يشارك المضاربة فيهما أحد ، وتمتد مواضع مواطنهم خارجا عنهما وخاصة أبان الأحمر شرقا إلى قرب — الحنيية ، وغربا أواسط رمال عريق الدسم ، وشمالا^٣ منتهى (الصريفات) بمحاذاة وادي الرمة ، وجنوبا قرب جبل (اللهب) شمال شعبا بأمال يسيرة ، ثم تنحرف آخذة باتجاه الغرب إلى قرب جبل (المقوي) ثم منه تنحرف آخذة صوب الشمال باتجاه سنان الخيل وهو بخيشوم عريق الدسم (اللوى قديما) شرقي مشاش ابن ركيان .

ب — سكان العقيلة ، والفقي في حرار خير وفروعهم :

- (١) الرقاين .
- (٢) الدواغين .
- (٣) ذوى غالي .
- (٤) الردافين وهاؤلاء غير الردافين من أهل أبان .
- (٥) الفقوم .
- (٦) الخضرة ، ونسابة المضاربة يجمعون على أنهم حلفاء فيهم .

ومن ديارهم :

- (١) الفقي : قرية تقع شرقي حرة خير .
- (٢) العقيلة : قرية تقع غرب حرة خير ، في وادي الغرس .

٨ — العجاونة ، ومن فروعهم :

- | | |
|------------------|-----------------|
| أ — العايد . | هـ — ذوى راجم . |
| ب — ذوى عنبر . | و — آل حيليص . |
| ج — ذوى صعينين . | ز — الميازمة . |
| د — ذوى جوهر . | |

ومن ديارهم :

- (١) بدائع المرموثة .
(٢) بدائع العرادية غرب الحليفة .

٩- العرارة ، وفروعهم :

- أ - الجللج .
ب - الهـرروف .
ج - المـراشـدة .

ومن ديارهم :

- (١) اللّحنُ : وادي بين المدينة والصلصلة أعلاه بقرب الصلصلة وأسفلهُ
يفيض بوادي الحمض .
(٢) الخريبية .

(٣) زَبْرَان وكلها مواضع متقاربة وتقع بين المدينة والصاللة .

١٠- الشوالعة ، وفروعهم :

- أ - الشنينات .
ب - الجهـران .
ج - الكـناديف .

ومن ديارهم :

- (١) بدعُ ابن شُوَيْلَع : وتقع بوادي يحدها من الجنوب حرةٌ ، ومن
الشمال جبال أبلّة ، وواديها من روافد وادي المَخْرُوق .

(٢) فيضة أثقُب (يثقب قديما) الجبل المعروف .

(٣) الغريسة وتقع بمتصف وادي المِخِيطِ .

(٤) الشَّقُّ : واد يقع شمال الحائط ببضعة أميال .

(٥) الوسعة قرية تقع أسفل وادي المِخِيطِ .

١١- الزبون ، وفروعهم :

- أ - المجسادير .
ب - الشويمان .
ج - ذوي عتيق .

ومن ديارهم :

- (١) المَعْرَشُ : قرية ببطن وادي الرمة أسفل الحليفة .
ويقيمون على مناهل آبار لهم جنوب السُّلَيْمِي .

١٢- القلادان (الجلدان) وفروعهم :

- أ - ذوي بويدي ، وهؤلاء غير بويدي (الذَّيْبَةُ) .
ب - ذوي حمـد .
ج - ذوي حمـود .
د - الهدْبَان .
هـ - الشـمـيلان .
ز - ذوي سعـود .
و - النـغـامـشـة .
ز - ذوي هـادي .

ومن ديارهم :

- (١) الروض : (روضة الأجداد قديما) وادي ينطلق من الحرة ويفيض في وادي الحليفة .

- (٢) الحليفة العليا : قرية بوادي سيله يفيض من الحرة ، ويصب في وادي الحليفة .

- (٣) الوُسَيْطَا : قرية تقع ما بين الحليفتين .

- (٤) العَلَمُ : جبل عظيم يخترقه وادي الرَقَب (الرِّقْم قديما) وهناك قرى ومواضع لآل قلادان ، كلها قريبة من بعضها ومجاورة لتلك المواضع .

١٣ - العوامرة ، وفروعهم :

- أ - العِدَلَات .
ب - الشنابِنة .
ج - الشرَمات .
د - العـوران .
هـ - ذوي علي .

ومن ديارهم :

- (١) أبلّة : وادي ينحدر من حرة خيبر بين الحائط والحوائط .
(٢) أبا الصُبَّان : وادي أسفل من وادي أبلّة .
(٣) أم كَرَائيف : قرية تقع جنوب الحائط .
(٤) عصمة : قرية تقع غرب النوان .

١٤ - الخيارات ، ومن فروعهم :

- أ - المغـير .
ب - الدغمـة .

ومن ديارهم :

- (١) البرقة : قرية في وادي المخيط .
(٢) الشويمس .
(٣) الظهـر .

١٥ - الجريشات ، وفروعهم :

- أ - المسعد .
ب - السعدون .
ج - الطرانيسة .
د - العساسيم .

ومن ديار هؤلاء : العين ، وادي بين المدينة واللّحْن ، وسيله يفيض في وادي الحمض وعين طُوالة : وهي تقع شمالا من وادي نَقَمِي ، بقرب المدينة

١٦ - البراقعة ، وفروعهم :

- أ - العليان .
ب - الخوارقعة .
ج - السسية .
د - النسيديان .

وهؤلاء يسكنون في قرية المطاوي ، في منتصف وادي الغرّس .

١٧ - الوهادين ، وفروعهم :

- أ - ذوى خزيم وفيهم الشيخة .
ب - ذوى نملان .
ج - ذوى عياد .
د - ذوى فريجة .
هـ - ذوى بديع .
و - ذوى بخيت .

وهؤلاء يسكنون في وادي الرقب (الرقم قديما) وهو يخترق جبال التعلّم ،
ويفيض في وادي الرمة ، ويسكنون أم هشيم قرية جنوب الحليفة .

١٨ - المكاحلة، وفروعهم :

- أ - العوينات .
ج - السعالة .
ب - المباخيست .

وهؤلاء يسكنون الحُميمية ، قرية شرق ضرغد .

١٩ - المشاعلية ، ومن فروعهم :

- أ - ذوي شعيب .
ب - ذوي مشخال .
ج - ذوي محسن .

وهؤلاء يسكنون قرية الهمّجة قرية تقع فيما كان يعرف قديما باسم ضيغن
عدنة ، سفوح الحرار الشرقية شرق الحائط .

٢٠ - الفرادسة ، ومن فرووعهم :

- أ - الحبيـازين . ج - الهوينـات .
ب - الهـادي . د - الرشـود .

وهؤلاء يسكنون الثَّمَد وما حوله ، على طريق خير إلى المدينة ، في حرّة خير .

هذا ما تمكنت من جمعه عن قبيلة بني رشيد وهذا لا يمنع القول من أن المعلومات الواردة فيه على درجة كبيرة من الشمول .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة هو أن كثيرا من الناس منهم من هو متغلغل في الأوساط المتحضرة كالرياض وغيرها ومنهم من هو يقيم في أماكن مختلفة في عالية نجد والقصيم وفي الوشم نراهم هذه الأيام يتحلون اسم بني رشيد وهم في حقيقة الأمر ليسوا من هذه القبيلة ، ولا يمتون إليها بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد .

والمقصود من هذا لفت نظر أدبائنا فيما لو حاول أحدهم الكتابة عن قبيلة بني رشيد لكي لا يقع في تلك المغالطات فمن لم ينتسب إلى أحد البطون السابق ذكرها فليس هو من القبيلة سواء كان ذلك فردا أو جماعة . والله من وراء القصد .

عطاالله بن ضيف الله الرشيدي

الحواشي :

(١) أنظر كتاب شمال غرب الجزيرة ص ٢٢٧ وما بعده والعرب ج ٥ و ٦ ذوا القعدة والحجة ١٤٠٤ هـ ص ٤١٨ .

(٢) أنظر « الرحلة الحجازية » للبتانوف ص ٥١ وكتاب « مرآة جزيرة العرب » ج ٢ ص ٢٧٣ .

مع القراء في أسلئهم وتعليقائهم

آل مرشد وآل حسين

جاء في الجزء الأول من « معجم اليمامة » ص : ١٦١ - مانصه :
(وآل حماد الذين يسكنون وادي بُرَيْكُ الْآن ينقسمون إلى فرعين كبيرين هما آل مرشد ، وآل حسين .

فمن آل مرشد : آل موسى الذين منهم آل فواز ، وآل عثمان الذين منهم وجعان الراس ، وآل رقيب ... ومنهم آل خريّف وآل عبدالله وآل مسلم وآل معدّي وآل مشاري أهل الحلوة . هذه الخمس الأسر ... ومنهم آل عون أهل القويّع ...

ومن آل حسين : آل سعود بن حسين الذين منهم أبو شيبّة ، وآل شريم وآل راشد ...) .

وليس الأمر كما ذكر المؤلف ، ولكن الصحيح أن آل موسى وآل عثمان وآل رقيب من آل مرشد أهل الفرعة وهؤلاء أخوة آل حسين أهل الباطن الذين منهم آل سعود بن حسين وآل شريم وآل راشد .

وآل مرشد أهل الفرعة وآل حسين أهل الباطن إخوة ، ويدّ واحدة على من سواهم .

أما آل خريّف وآل عبدالله وآل مسلم وآل معدّي وآل مشاري أهل الحلوة ، وآل عون أهل القويّع فهم آل مرشد ، وهم أبناء عمومة لآل حسين

وآل مرشد الذين ذكرتهم آنفا ، ولعل أوضح دليل على ذلك أن الحوطة مقسومة إلى نصفين : نصف شمالي تحت نفوذ آل حسين وآل مرشد أهل الفرعة ونصف جنوبي تحت نفوذ آل مرشد أهل الحلوة والقويح .

ولا تزال العلامات (المراسيم) التي تقسم مناطق النفوذ معروفة ، حيث توجد عند بلدة الصدر .

فالصَّدرُ ، والحِلَّةُ ، والباطن ، والفرعة وجميع الأراضي الرعوية في النصف الشمالي مثل السَّوطِ والمِنْسَفِ وغيرهما تحت نفوذ آل حسين وآل مرشد أهل الفرعة ، وهم كما ذكرت آنفا يد واحدة على من سواهم .

والعِطْبَانُ ، والقُويحُ ، والحُلوةُ وجميع الأراضي الرعوية في النصف الجنوبي مثل الفارعه ومُطعم وغيرهما يقع تحت نفوذ آل مرشد أهل الحلوة والقُويح .

ولا يزال هذا التقسيم معترفاً به في بعض الدوائر الرسمية ففي الحوطة بلديتان :

الأولى في الحِلَّة ، وتشرف على الحِلَّة والصَّدر ، والباطن ، والفرعة وما يتبعها .

والثانية في الحُلوة : وتشرف على العِطْبَان والقُويح والحُلوة ، وما يتبعها .

عبدالله بن سعيد عبد الرحمن الصفار
الرئاسة العامة لتعليم البنات - الشؤون الثقافية

(إِيْوَةٌ) هل الكلمة عربية ؟ !

يستعمل بعض الناس كلمة (إِيْوَةٌ) بمعنى (نَعَمٌ) فإذا سأله : هل فعلتَ كذا وكان قد فعله أجاب بكلمة (إِيْوَةٌ) فما هو أصل هذه الكلمة ؟ وهل هي عربية ؟

المدينة المنورة سعيد أحمد

« العرب » : جاء في كتاب « المعجم الكبير » : ٦٣٨/١ - : قال الزمخشري في تفسير قول الله تعالى ﴿ قُلْ لِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ - يونس : ٥٣ - : وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ فِي التَّصْدِيقِ (إِيْوَةٌ) فَيَصْلُوْنَهُ بِوَائِ الْقَسَمِ مَعَ حَذْفِ الْمُقْسَمِ بِهِ ، وَلَا يَنْطِقُونَ بِهِ وَحْدَهُ - أي لا يقولون (إِي) فقط . وقال الخفاجي : والناس تزيد عليه هاء السكت ، فيقال : (إِيْوَةٌ) فليس غلطاً كما يُتَوَهَّمُ . انتهى فظهر مما تقدم أصل الكلمة ، وأنها عربية .

العامر في القصب من شمر

كتب الأخ عبد الكريم بن محمد العامر إلى المجلة يشير إلى أنه ورد في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » ص ٥٣٣ أن العامر في القصب من بني هاجر من قحطان .

وذكر الأخ عبد الكريم أن هذا غير صحيح وأن العامر من الأسلم من شمر .

وكانوا في بلدة الزلفي ثم انتقلوا إلى بلدة القصب وأرفق بكتابه وثيقة مؤرخة تنص على : (أن عبد العزيز بن محمد بن عامر ساكن بلد القصب سألني عن نسبهم فأخبرته بما ثبت عندي من قول أهل الخبرة بمعرفة الأنساب من آل ماضي بأن العامر سكان القصب من شمر ، وأن مسكنهم أولا الزلفي وأنهم منتقلون منها إلى القصب ، هذا هو المستفيض من قول من ذكرنا قال ذلك كاتبه عبد الله

ابن عبد الوهاب بن زاحم ونقله من خطه بعد معرفته وعليه ختمه إبراهيم بن عبد الله
ابن فتوخ محرر النقلة ١٣ ن سنة ١٣٦٤ .

كما بعث بصورة وثيقتين عن عقار لعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عامر
الملقب الجنيبي ولآخرين مذكورين من آل عامر ، والعقار في بلدة الزلفي وتاريخ
أصل إحدى الوثيقتين سنة ٥١٣٩٩ هـ .

الترابين من بني عطية من جذام

سألني الأخ جمعان بن عيد جرمي من مستشفى الملك فهد في الرياض عن
أصل قبيلة الترابين الذين يسكنون سيناء وما حولها هل لهم صلة ببلدة تربة وبقبيلة
البقوم ؟

فأجبت بما نصه : الذي أعرفه هو عدم صلة هذه القبيلة الكريمة ببلدة تربة
ولا بسكانها البقوم وإنما أصلها كما جاء في كتاب « الدرر الفرائد المنظمة في
أخبار الحج وطرية مكة المعظمة » - ص ١٣٤٠ - : أن الترابين والوحيديات
والحويطات واللحيوات من أصل واحد .

وذكر أن من رؤسائهم في عهد تأليف الكتاب أي منذ نحو ٤٥٠ سنة - من
رؤساء الترابين سليمان العديسي ومحمد بن عجرمة الأسود وأولاده ، وونيس .

كما ذكر في صفحة ١٣٤٣ أن الترابين كانوا مسؤولين عن حماية ركب
الحج حين يمر في بلادهم وذكر من تلك البلاد ثمد الحصى والفيحاء ووادي
العراقيب ، كما ذكر أنهم يأخذون الربع مما قرر لحماية الحج في العقبة وذكر
أنهم من بني عطية .

وبنو عطية قبيلة كريمة الأصل ، عريقة في النسب ، فهي من قبيلة جذام
القحطانية المشهورة في التاريخ في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام ، والتي كانت
تسكن من شمال الحجاز حتى شمال فلسطين وفي سيناء .

الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : نَسَبُهُ

كتب الأخ محمد بن عبد الرحمن التميمي من مدينة حائل إلى مجلة « العرب » كتاباً ملخصه : ذكر الشاعر التميمي عبدالله بن صقيه في مؤلفه « بنو تميم في بلاد الجبلين » أن الشيخ عبد الرحمن السعدي من أسرة آل مفيد .

وهذا خلاف ما هو معروف من أن الشيخ من الحمران كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الرحمن البسام في كتابه « علماء نجد » حين أورد ترجمة الشيخ فذكر أن أجداده قدموا إلى عنيزة من بلدة المستجدة .

وأهل المستجدة من الحمران ، بل إن أسرة السَّعْدِي لاتزال معروفة حتى الآن في بلدة المستجدة .

وصاحب كتاب « بنو تميم في بلاد الجبلين » لم يذهب بعيداً إذ أن آل مفيد والحمران كانوا جميعاً في بلدة قَفَّار التاريخية المشهورة في منطقة حائل ، وتجمعهم رابطة الانتساب إلى بني عَمْرُو بْنِ تَمِيم ، قَالَ مفيد من بني العنبر بن عمرو ، والحمران من النواصر من الحَبِطَات ، غير أن الذي ذهب إلى ما هو أبعد من هذا هو صاحب كتاب « أعلام تميم » - حسين حسن ص ٣٦٥ - إذ عَدَّ الشيخ السعدي من بني سعد . ولعله ظن أن النسبة في كلمة (السعدي) هي للجد التميمي الجاهلي سعد بن زيد مناة بن تميم ، لا إلى سعد من بني تميم متأخر . انتهى ما كتب به الأخ محمد .

وكنت قد ذكرت أن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦/١٣٠٧) من آل مفيد ثم نقلت عن الشيخ القاضي عالم عنيزة المعروف أنه ذكر في ترجمة الشيخ ناصر والد الشيخ عبد الرحمن أنه من النواصر ، وآل مفيد والنواصر من أصل واحد ، كما أن الأخ عبدالله بن صقيه ذكر أن أسرة السعدي في المستجدة وفي الحَفِصَن من الحمران لاتزال معروفة ومنهم الشاعر الشعبي شايح بن رباح السنافي السعدي .

وشكراً للأخ التميمي على ما أبداه من إيضاح في الموضوع .

مكتبة العرب

□ دراسات تاريخ الجزيرة العربية :

وصدر الكتاب الثاني من السلسلة التي تحوي أبحاث الندوات العالمية التي كانت تنظمها كلية الآداب في جامعة الملك سعود (الرياض) حول تاريخ الجزيرة العربية ، وهذا القسم يتضمن أبحاثاً عن الجزيرة قبل الإسلام ، قدمت للندوة العالمية الثانية التي أقيمت في جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ (نيسان ١٩٧٩ م) .

وقد أعدت هذه الأبحاث وروّجت من قبل لجنة تولت تحرير الكتاب برئاسة الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، وتناولت الأبحاث الموضوعات الآتية : الآثار - عصور ما قبل التاريخ - العصور التاريخية حتى القرن الأول قبل الميلاد - العصور التاريخية بعد الميلاد حتى ظهور الإسلام - المعتقدات الدينية - الحضارة (المجتمع ، التجارة ، النظام المالي ، التعبير عن النفس) - الجزيرة العربية والبلاد المجاورة .

وضم الكتاب ٤٥ بحثاً لخمسة وأربعين باحثاً من العرب وغيرهم .

وهو يقع في ٧٠٥ من الصفحات منها ٤٦٠ باللغة العربية و ٢٤٥ بغير تلك اللغة ، وفي الكتاب كثير من الصور (خرائط وكتابات ورسوم) ، والطباعة متقنة (بمطابع جامعة الملك سعود في الرياض) وصدر سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) .

أما القسم الأول عن أبحاث الندوة الأولى فقد صدر في قسمين (انظر «العرب» س ٦٣٥/١٥) ويتلوه القسم الثالث عن الجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يحوي أبحاث الندوة العالمية الثالثة لتاريخ الجزيرة ، التي عقدت في شهر محرم ١٤٠٤ هـ (تشرين الأول ١٩٨٣ م) .

ولاشك أن هذا الكتاب بأقسامه الثلاثة يُعد من أهم المصادر لدراسة تاريخ الجزيرة مما كتبه بعض أعلام هذا العصر في الدراسات الأثرية والتاريخية ، وما بذله الدكتور الأنصاري من جهدٍ مثمر نافع في سبيل إعداد تلك الندوات ، جدير بالتقدير .

ولقد تمنيت أن تكون فائدته أعم وأشمل وذلك بتعريب ما لم يكن عربياً من أبحاثه ، لأن كثيراً من المهتمين بالدراسات التاريخية العربية لا يتمكنون من الاستفادة من الأبحاث المنشورة بإحدى اللغات الأعجمية .

□ شعر الحارث بن خالد المخزومي :

هذا الشاعر من شعراء الحجاز الغزليين ، الذين عاشوا في العصر الأموي ، وقد تولى إمارة مكة المكرمة زمن عبد الملك بن مروان ، وهو ذو شهرة تغمي عن إطالة الحديث عنه .

والدكتور يحيى الجبوري الأستاذ في جامعة قطر والمهتم بدراسة الشعر العربي في عصوره الأولى - سبق أن نشر شعر خالد (انظر مجلة « العرب » س ٧ ص ٦٤٠) ثم اطلع على ثلاث قصائد في كتاب « منتهى الطلب » لم يحوها ما سبق نشره فأعاد النظر فيه بعد إضافة القصائد الثلاث ، وأعاد النشر مرة أخرى ، فصدر في طبعته الجديدة (عام ١٤٠٣ هـ) في ٢٣٤ صفحة بفهارسه .

وعمل الدكتور الجبوري من حيث الشمول والتعمق في البحث مما لا يحتاج إلى إيضاح ، وهو بما يقدمه للباحثين عن مصادر الشعر العربي القديم يعتبر في قمة ذوي الاختصاص في هذا الموضوع .

المنشورات
شمارع الملك فيصل هائف ٤٢٢٩١٥
ص.ب. ١٣٧ الرياض البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بآراث العرب الفكرية
شمارعها ورئيس تحريرها : محمد الجابري

الطبعة (السنوية)
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها الإدارة
شمارع الجزء : ١٧ ريالاً

ج ٤، ٣ س ٢٠ رمضان / شوال ١٤٠٥ هـ - حزيران / تموز (يونيو / يوليو) ١٩٨٥ م

حياتنا الأدبية الحديثة

من خلال دراسة مظاهرها نشأً وسيراً وتطوّراً

- ١ -

[ها هو أستاذنا الباحث الجليل الدكتور علي جواد الطاهر في مؤلفه الشامل الحافل في موضوعه « معجم المطبوعات العربية للمملكة العربية السعودية » الذي سبر به سير حياتنا الأدبية والفكرية فاستوفى تسجيل مظاهرها في حقبة من الزمن تقارب نصف قرن (١٣٤٣ / ١٣٩٠ هـ) وصرف فترة من عمره تربو على واحد وعشرين عاماً (من ١٣٨٣ / ٥ / ٢١ إلى ١٤٠٥ / ٣ / ٨) في تأليفه - ها هو في (الخاتمة) يستخلص من آثار ذلك الجهد العظيم ما تسيل به أسلأت قلمه طبعاً لا تطبعاً فصلاً ممتعاً حقاً .

و « العرب » وقد اختصها الأستاذ الكريم - اختصاص إفضال خال من كل شائبة - بتقديم جل أبحاثه لقراءها - اعتباراً من شهر المحرم سنة ١٣٩١ (العرب س ٥ ص ٦٧٤) حتى أكملت بهذا البحث ثمانية وخمسين فصلاً - لا تروي غضاضة في الإدلال على الأستاذ - وقد عرفته انكريم المتسامح - فتستبدل بالعنوان الذي وضعه ما اختارته من عنوان جلب انتباه القاري وأن نضع بعض العناوين الفرعية .

ولئن كان كتاب « معجم المطبوعات » ثمرة جهد عظيم ، وخلاصة دراسة مركزة شاملة ، ونتيجة خبرة ومعرفه ونظرات صائبة - وهو كذلك حقاً - فإن هذا الفصل الذي ختم به ليس خلاصة تلك الثمرة ، ولكنه قطف شهوي من تلك الثمار اليانعة . وما على القراء - وسيكون الكتاب بين أيديهم في وقت قريب - سوى استخلاص ما يختارون من طيب ثماره [.

الخاتمة :

في هذه الخاتمة خلاصةً لنظرة ربما سبقت ١٣٤٤ / ١٩٢٥ ، ولنظرة بلغت ١٣٩٠ / ١٩٧٠ وليس هذا المهم فيها فقد كان ذلك في المقدمات الثلاث والتمهيد ،

وفي طول الكتاب وعرضه ، وإنما المهم فيها الإطلالة على ما بعد الحدّ المحدود
لِلنّهاية ، وما كان من شأن التطور ، وما حسن أن يكون . وقد أبدى المؤلف شيئاً
من ذلك لدنّ إعادته النظر في الحلقات وهو يُحوّلُها إلى كتاب من رأي لم يكن قد
أذاعه ، ومن خبر لم يكن قد تهيّأ له ، ومن حدث لم يكن قد حصل ، ومن مؤلف
جديد لمؤلف من الأسماء التي وردت في مكانها من حروف العجم ، أو طبعة ثانية
أو ثالثة لمطبوع سابق أو إحياء لمادة كان منتظراً جداً أن تُبعثَ في كتاب ... وقد
اقتنع صاحب المعجم بضرورة إثبات ذلك مما قد يرى زيادة وما هو بزيادة في
غير موضعها ، وألزم نفسه بأن يخبر مراجعه بهذا الذي فعل ، ومهد له سبيل تمييز
هذا (المضاف) من المضاف إليه .

حتى إذا أتى الخاتمة وجد أشياء يمكن أن تُقال ، ووقف على جديد يمدّ من
تيار التأليف ، ويهيئ لما بعده فرأى ذلك شرطاً في وجود هذه الخاتمة ، فعمل على
ذكره وإن كان خارج الحدّين المقرّرين بين البداية والنّهاية ، أو لأنّه خارج عن
الحدّين ، وما هو بخارج على وجه الدقة لأنّه نتيجة لهما وانبثاق عنهما وإلحاق بهما
فهو إذ ينير المستقبل يُنيرُ الماضي كذلك .

وطبيعي أن تأتي وقفته في حدود الإمكان ، وحدود الإمكان تعني ما تفرضه
الغاية التي قامت الخاتمة من أجلها ، وما هو مُتّهيّئٌ لصاحب المعجم منه وهو بعيد
عن مواقع الأحداث مستعيناً بما يجود عليه (الخيرون) من هدايا ، ويطلّع عليه
مباشرة بوسائل الاطلاع على البعد ، وهو لا ينبي يشكر الخيّرين للخير ويذكر
الوسائل — حتى ما جاء منها مصادفةً — بالفضل .

والمؤلف إذ يتقدم بهذا البيان لقارئه الكريم فإنما يكرر رجاءه في التّنبية على التّقصير
والإشارة إلى المصدر الذي يملأ الثغرة ... ولعله يضمّر تحميلة جزءاً من المسؤولية .
ويبقى باب المسؤولية مفتوحاً ما بقي باب المعجم كذلك ...

ومن أجل أن أقول لك كل شيء، تأكيداً لما قلّت، وزيادة عليه ... أقول
إن الخاتمة ليست خاتمة ، لأن كتاباً كمعجم المطبوعات العربية السعودية في ظروفه

كلها ، وفي كونه استدراكاً لفائت ، وتأخراً عن وقت العمل ، وبحثاً عن ضائع ، وسعياً لإعطاء أوسع الصور الموسوعية وتهيئة إحدى الخدمات للباحث سعودي كان أم غير سعودي ، وما كان حظ السعودي إزاء مطبوعاته بأحسن من حظ غير السعودي ؛ ومن هنا وجب التفصيل . ولأن المؤلف غير سعودي ومن شأنه في هذا أن يُعنى بما لا يُعنى به السعودي وأن يرى زوايا تخفى على السعودي ازدادت التفصيلات ووجدت ضرورتها ، وما كان حظ غير السعودي في هذا بأوفر من حظ السعودي .

الموضوع واحد : هو المطبوعات ، والغرض واحد : هو خدمة الباحث . والباحث قد يكون سعودياً مُقيمًا في أرجاء المملكة ، وقد يكون غير سعودي أقام في المملكة حيناً أو لم يُقيم ، وكلهم في الغاية والموقف سواء .

ثم إنَّ المعجم لا يُؤلَّفُ لأبناء اليوم وحدهم ، وإنما هو للقادمين الذين سينقبون عن أمور ننقب عنها اليوم وأمور لا ننقب عنها ولا نقدر ثمنها . ولا بُدَّ من خدمة القادم والمستقبل على مقدار خدمة المقيم والمعاصر ... والحال بهذا الشرط صعبة ، يدرك أعباءها من زاولَ البحث ، وأُلِّفَ في موضوع أو أكثر ، ونظر إلى أنَّ البحث كل واسع وعالم فسيح متشابك ، وأنه الحضارة بجوانبها وأكنافها ، وسطوحها وأعماقها ، ما ظهر منها وما بطن ، وما كان وما سيكون .

وإذا كان الأمر كذلك — وهو كذلك — ألزم صانعُ معجم للمطبوعات نفسه أشياء كثيرة وقد تبدو خارج ما يلزمه . وهي فعلاً خارج ما يلزم صانع معجم مكتبي (ببليوكرافي) صرف ، والمكتبي الصرف محدود جداً بقواعد مقررة (جامدة أحياناً) لا يهْمُهُ منها إلا إيفاؤها قوانينها — حتى لو كان ذلك شكلياً فقط . وكثيراً ما كان المكتبيون مكتبيين فقط ، وربما لم يخرجوا عن حدود المنضدة التي يجلسون وراءها وإزاءهم المطبوعات التي أتى بها إليهم التسويق وفيها من كل فن مما يعرفون كنهه أو لا يعرفون . وأساسُ مَلَكَةِ البطاقة (الكارت) لديهم نظرة على ظاهر الأشياء بين العنوان والفهرست . وهم في هذا — وليس في القول غمطٌ لحقوقهم وتقليل لخدمتهم ، ولكنه تشخيص لواقع الأمر ومُتطلبات واقع الأمر —

لا يرون ما وراء حدود عملهم ، ولم يعانون ما عاناه الباحث في موضوع حضاري
عموماً أو أدبي خصوصاً . وهذه نقطة لهم وعليهم . لهم لأنها تسهل مهنتهم وتجعلهم
(منهجين) جدّاً ، وعليهم وقد صار الأمر في ذلك واضحاً . وإذا وُجِدَ شاذٌّ
وقد يقع الشيء وعكسه .

ولم يشأ صانع « المعجم » عندما كان باحثاً وأراد أن يكون باحثاً وعامل
(ببيكرافية) مطبوعات معاً ... أن يخسر نقطة (البليوكرافي) المكتبي الصرف ،
فقد وقّأها حقّها وزيادة . وقّأها بأن تابع قوانينها المقررة المنهجية : اسم المؤلف ،
اسم الكتاب (المطبوع) ، مكان الطبع ، اسم المطبعة ، تاريخ الطبع ، عدد الأجزاء ،
المحقق إن وُجِدَ ، الناشر إن وُجِدَ ، المترجم إن كان ... عدد الصفحات ...

وماذا يعمل المكتبي المختص أكثر من هذا ؟ لا يعمل . باستثناء ما يلجأ إليه من
تبويب ونظام عَشْرِيٍّ ومُسْتَلْزَمَات (ديوي) كما هي أو كما تَطَوَّرَتْ ودَعَتْ
ضرورة إلى تعديلها . وهذه إن كانت عملاً مكتيباً فلها مخاطرها في اضطراب التبويب
أحياناً وتداخل الموضوعات واختلاف المكتبيين أنفسهم في درج هذا المطبوع في
هذا الباب أو ذاك . ثم إنهم كثيراً ما يعتمدون على المظهر : العنوان ، الفهرس ،
نظرة عابرة على مجموع المطبوع الذي يقع بين أيديهم ... وإلاّ فمحال — أو صعب —
عليهم أن يطيلوا النظر في مادة الكتاب ، ومحال أن يختصوا بالعلوم كلها .. وكلما
سعوا — هم أنفسهم — بحثاً عن كتب مضى بها الزمن ، ولم تجد من يجمعها أو يعرف
بها قبلهم فضاع منها الكثير ، ومنها ما بقي اسماً ، ومنها ما فقد الاسم مع الجسم .

عمل المكتبيين — الموظفين في المكتبات — مشكور نافع ، وإلاّ لما كان ، وإنما
هو محدود بالوظيفة نفسها ، وهو على أيّ حال غير العمل المعجمي ، وغير ملزم
للمعجمات ، ولربما خرج بها قليلاً — أو كثيراً — عن المعجمية ، والأصل في
المعجمية (الموسوعية) الترتيب الهجائي المطلق .

لقد جدّد صانع « المعجم » أن يكون مثل المكتبيين ، وكأنه موظّف معهم فسجل

ما يلزم تسجيله عن المطبوع في اسمه واسم مؤلفه ... إلخ ومن هنا كانت استفادة الآخرين من المكتبيين بعده .

وزاد على ذلك أموراً ليست من مألوف المكتبيين ومن قواعدهم المقررة ، وربما لم يكن في مقدور الكثيرين منهم ؛ فلم يكتف بعدد الصفحات وإنما ميّز فيها ما كان للمقدمة ، وما كان للنشر ، وما كان للفهارس وجداول الخطأ والصواب ، وما كان غير داخل في الأرقام ...

وزاد أن توسع في التعريف بفحوى الكتاب ، وما توسع به المؤلف نفسه خارج موضوعه لقصد أو لجهل بالمنهج ؛ وكثيراً ما سجل - صاحب المعجم - الأبواب البارزة والفصول ذات الدلالة ، وألزم نفسه نقل سطور ذوات دلالة من المقدمة وهو المنهج الذي لم يُسبق إليه - فيما يعلم - ومن هنا كانت استفادة المكتبيين بعده ، كما حدث للأستاذ عثاني الذي لم يشر إلى مصدر سابق عليه - وذلك مؤسف ، ولا بأس ، وحسناً فعل إذ أفاد ، وآمل أن يقتدي به مكتبيون آخرون ، فليس المفروض بالمكتبي أن يبقى جامداً عند حدود درسها ذات يوم ضمن مفهوم خاص وفي بلد خاص . نتمنى دائماً للمكتبيين المرونة وسعة الأفق والقدرة على التصرف ... والثقة بالنفس وبالمهمة الجليّة التي يؤدونها مع شرط أن يكونوا مكتبيين عن رغبة واستعداد وطموح ...

إن زيادة العلم بالمطبوع ، وزيادة الكلام على فروع محتوياته ... وعلى منهجه ومصادره إن وجدت ، وأمانته أو خيانتة ، وخلاصة رأيه ... كل أولئك أمور مهمة في عالم البحث ، يدركها من كانت له أقل مزاولة فيه ، فقد يكون الكتاب غير متيسر ، فقيد مع الزمن ، وهذا من الأحوال المتكررة في عملنا ، وقد يكون الباحث بعيداً عن موطن الكتاب على مسافات شاسعة لا تسمح له بسهولة الوصول إلى المطبوع ... فإذا استشَفَّ من « المعجم » أهمية خاصة لذلك المطبوع في بحثه عمل المستحيل في الوصول إليه وإلا بقي عمله ناقصاً ، وإذا لم يُقَضَّ مضجعه النقص من أجل الحقيقة فسيقض مضجعه مهاجم لا بد أن يقع على هذا النقص ، وله علم بالمطبوع الذي كان على الباحث أن يرجع إليه .

ومن أجل هذه الحقيقة التي يدركها من كانت له أقل "مزاولة للبحث ، فضلاً عن حقيقة السعي إلى استكمال أكبر ما يمكن من جوانب الحديث عن المطبوع ، عمل صاحب « المعجم » - قدر الإمكان - على التعريف بالمؤلف في ميلاده (ووفاته) ومجمل تحصيله وما حصل له وخلاصة اهتمامه ، وإلماح إلى خلقه بين العدالة والجور ، والسماحة والتعصب ، والموضوعية والانحياز .

لقد بذل صاحب المعجم في ذلك جهداً خاصاً وتحمل جهداً كان في غنى عنه فرجع إلى المصادر والدراسات ، المتقدم منها والمتأخر ليفي - ما أمكن - من مستلزمات هذا الشرط الذي رآه لازماً ، ولم يفكر فيه يوماً المكتبيون بالمعنى الرسمي للوظيفة . والتعريف بالمؤلف يبين أهمية كتابه في بحث من البحوث ، ويبين قيمة هذا الكتاب ، ولاشك في ترابط الكتاب وصاحبه . فهل كان المؤلف مختصاً بما ألفت ؟ وهل كان شاهداً ؟ وهل كان أصيلاً ؟ أهو ناقل ، جماعة ، سراقه ... فإذا كان ثانوياً أو ثالثياً قلّ شعور الباحثين بتجنّم المستحيل من أجله ، وإلاّ شدّوا الرّحال وأوغّلوا في السعي .

أجل فالكلام في « المعجم » - هنا - ليس تطويلاً جيّء به للكلام فقط ، أو لتضخيم العمل أو للإسهاب والزيادة التي لا لزوم إليها : إنه جزء لا يتجزأ من العمل نفسه في وسيلته وفي غايته ...

وقد سعى صاحب المعجم إلى جمع (المعلومات) من هنا وهناك وعرضها كما هي في مراجعها حتى لو تناقضت ليكون الباحث الذي يراجع المعجم على علم بالأشياء كما هي . وكان من عوامل أسفه أنه لم يجد التعاون اللازم من المؤلفين السعوديين ومن العارفين بشؤون المؤلفين ليوفي هذه الخطوة نصيبها وليحفظ للأجيال القادمة في الزمان ، البعيدة في المكان ، ما كان ضائعاً أو شبه ضائع ، وما يمكن أن يضيع وأشبه بأن يضيع .

ويصل صاحب المعجم مؤلفيه بكتبهم ، ويصلهم هم وكتبهم بالموضوع السائد من أدب وتاريخ أو فقه ... وبالعصر والمعاصرين ... وما سبقهم وما لحقهم .

ثم إنه - أي صاحب المعجم - لم يكن آلة (أو كمبيوتر) يقف عند حال الكتاب المادية ويسطر ما قاله الآخرون وإن كان تسجيل ما قالوه حسناً ومفيداً... وحاصلاً ، وإنما هو باحث في بعض من وجوه البحث ، ولنتذكر أنه جاء إلى المعجم باحثاً قبل أن يأتيه مكتيباً . وللباحث رأيه فيما يقرأ وفيما يتجمع لديه عند تواتر الأحداث وتلاقي الأفكار ، ومن هنا كان حقه في الحكم ، بشرط الاعتدال والتأكد والتأني والاكتفاء بالعبارة المركزة مع إشعار مراجع المعجم بأن هذا هو رأي صانع المعجم يعرضه على صورة تميزه من آراء الآخرين ، وله ، بعد ذلك ، قبوله أو رفضه . وكان صاحب المعجم من الاحتياط بحيث يَبْدُوُ بخيلاً بأحكامه ، شحيحاً بكلماته حتى في الحالات التي تقع في الحقائق الثابتة أو التي تدخل في التَّمَنِّي غير ممكن الوقوع ...

صانع المعجم باحث ... قبل أن يكون مكتيباً ، وباحث أدبي قبل أن يكون باحثاً في شؤون الفقه أو التاريخ ... ولكن صنوف العلم مترابطة ولا يأتي الأدب معزولاً عن التاريخ نائياً عن الفقه ... أو معزولاً عن المطبعة والطبع (خارج البلاد وداخلها) أو الجريدة والمجلة (داخل البلاد وخارجها) ... ما كان رسمياً وما كان أهلياً ... أو أن تكون الـ ١٩٢٥/١٣٤٤ مقطوعة قطعاً باتاً عما قبلها ، وما كان الحجاز وما فيه من العلم في الحرمين ومن عوامل النهضة الحديثة ليشغله عن نجد ، وتشغله نجد عن الأحساء ، وتشغله الأحساء عن عسير ، عن جازان ...

البحث متكامل الحلقات مترابط العناصر ... وقُلْ مثِل ذلك بالعام ١٣٩٠/ ١٩٧٠ ، فما هو بالحدِّ الفاصل القاطع ، المقطوع بسكين عما بعده ... في كل شيء ولاسيما في المؤلفين الذين مازالوا أحياء يواصلون التأليف والكتابة ويعددون الأجزاء أحياناً أو يعيدون الطبع مع التنقيح أحياناً . بل إنَّ من مؤلفي ١٣٤٤ - ١٣٩٠/ ١٩٢٥ - ١٩٧٠ من ألف خلال تلك السنوات وكتب المقالات الكثيرة ما تَكُونُ لوجمعت - وفيها المتسلسل - كتاباً ، أو نظم من الشعر ونشر من القصائد الكثيرة - أيضاً - ما لو ضُمَّ إلى بعضه لجاء ديواناً ... ومثل ذلك شأن المواد الأخرى من

فقه وتاريخ ... وترجمة . ولكنهم ، لسبب ولآخر ، لم يعملوا هذا الكتاب المطلوب الذي يجعل منهم أصحاب مطبوعات تدخل على وجه مكتبي في معجم المطبوعات الذي احتوى مَنْ هم أَقْلُ شأناً ، وأقل - أحياناً - كثيراً . وإذا ضَحَّى المكتبي وهو مرتاح الضمير بأولئك المؤلفين الذين كان لهم تأليف ولم يكن كتاب ، فلا ولا يمكن أن يرتاح بآل الذي جاء إلى مَعْجَمَةِ المطبوعات باحثاً . أن لا يذكر المؤلفين الذين لم يطبعوا كتاباً خلال ١٣٤٤ - ١٣٩٠ ولكنهم كانوا في الحركة العلمية أعضاء مهمين بل رُوَادًا وأعمدة نهضة - يذكروهم في تسلسلهم الهجائي مع الإشارة إلى الأسباب الموجبة لذكرهم ، والإحابة بهم إن كانوا أحياء ، وبذويهم وذوى المسؤولية عن الطبع والنشر إلى جمع المتناثر وحفظ الضائع وإصدار الكتاب اللازم أو الكتب اللازمة .

ولم يكن صاحب المعجم ليصدر في ذلك عن خيال ، وإنما كانت الحقيقة ماثلة أمام عينيه ناصعة . وحسبك أن يكون من أولئك مثلاً :

عبد الوهاب آشي ، حمزة شحاتة ، عزيز ضياء ، محمد عمر عرب ، عبد العزيز مؤمنة ، أحمد إبراهيم الغزاوي ، أحمد العربي ، عبيد مدني ، محمد علي قطب ، سيف الدين عاشور ، محمد العامر الرميح ، مقبل العيسى ، حمد الحُجَجي ... محمد بن عبد الله بن حميد ...

ولك في الدوائر (●) التي تسبق أسماءهم في المعجم دليلاً عليهم ، وسترى أن سَبَقَ صاحب « المعجم » للأحداث لم يكن وَهْمًا ففهم من طبع كتاباً أو أكثر وفيهم من سَيَطُوع له كتاب أو أكثر ... وستدلك الدائرة (●) كذلك على كتب أخرى أُلْفِتْ أو كُتِبَتْ خلال الطرفين المقررين لمادة المعجم ودخل أصحابها المعجم ولكنها لم تدخل لأنها لم تنشر في ذلك المَدَى وإنما نشرت بعده - وهي منه ، والأمثلة كثيرة وانظر مثلاً : أحمد سباعي ، محمد سعيد العامودي ، محمد حسين زيدان ، وحسين سِرْحَان ، أحمد بن محمد المنقور ، عبد العزيز الخويطر ... - ولا تسل عن الجاسر .

وليست هذه المؤلفات بالقليلة الشأن وما أصحابها بخارجين عن طبيعة الأشياء - إن كان إدخالها بعد التاريخ المحدد خروجاً على قواعد جامدة يقيد بها المكتبيون أنفسهم . فهذه الزيادة من حقوقنا - وحقوق أصحابها ولا يصح فيها المثل القائل : الزائد كالناقص .

ثم إن الذي تهيأ له أن يطبع كتابه عام ١٩٧١/١٣٩١ لا يعني أنه لا يمتُّ إلى ما قبل ذلك بعام أو نصف عام أو عشر عام ؛ ولا بُدَّ من عودة النهاية على بداية جديدة .

ثم ما رأيك وقد حقّق المعجم بمؤلفين جاءت كتبهم متأخرة ولكنه لم ير بُدّاً من الحرص عليها والوقفه عندها إتماماً واستكمالاً وضرورة وحسبك أنها صارت مرجعاً يأخذُ منه ، ويحبل عليه ، ولا غنى لباحث بعده عنها ، ويأتي في طليعة ذلك كتاب عبد الله البسام - « علماء نجد خلال ستة قرون » (١٣٩٨) . والفوزان - « الأدب الحجازي الحديث » (١٩٨١/١٤٠١) .

أما الذين دخلوا المعجم ولم يكونوا سعوديين أصلاً ، وهم غير قليلين عدداً أو شأناً ، فلا نُعيد الدفاع عن وجودهم ، فأكثرهم حصل على الجنسية السعودية ، ويستوي في ذلك الذين حصلوا والذين لم يحصلوا تأثراً أو تأثيراً بالحركة الفكرية للبلاد ، ولولا هذا الفعل الواقع لما كانت (الورقة) وحدها إذناً لهم في الدخول . وقد أوضحنا ذلك في المقدمة مستشهدين بعدد من الأسماء ، ورد فيها اسم الشيخ إبراهيم الشورى ، ووروده صحيح . ونزيد هنا خبر وفاته ، فقد نعت « الفيصل » (عدد ذي الحجة ١٤٠٤ / أيلول / سبتمبر) ١٩٨٤ : (عن عمر يناهز الثمانين عاماً ، حيث ولد ... عام ١٩٠٠) وذكرت أعماله ومؤلفاته . وكان آخر عمل له : مدير الإدارة الثقافية الإسلامية برابطة العالم الإسلامي .

وتأتي - هنا - فائدة التعريف بالمؤلف ، وبالمطبوع ليعين المعجم لمراجعة مدى صلة هؤلاء بالمطبوع السعودي والسعودية ومدى انفصالهم فيكون في ذلك - بعد الذي كان من أمر الحدِّ الزمني - على علم بما يأخذ وما يدع ... وليستيف تلك

الوقفة عند مؤلفين أقاموا حيناً محدوداً في السعودية منتدبين للتدريس أو لغيره ،
لاجئين للسياسة أو لغيرها ، فألَمُوا بشؤون من السعودية ما لم يتهياً لهم وهم بعيدون ،
وما ربما لم يتهياً لأبناء السعودية أنفسهم . ووجب - حيثئذ - ذكرهم في التسلسل
الهجائي مع بيان درجة الاتصال أو الانفصال .

ولم يكن المدى - أي مدى - بخاف على أي يراجع المعجم ، ويكفي ما يراه
إزاء المؤلف والكتاب من تعريف وتاريخ ثم ما سبقت الإشارة إليه ، وتكررت تلك
العلامة الفارقة التي تبين له كل ما من شأنه الخروج قليلاً - أو كثيراً - عن الحدّين
المحدودين في الزمان ، أو عن الأقطار التي وحدتها كلمة السعودية في المكان ،
تلك العلامة - وقد عرفتها وألفتها - الدائرة (●) التي تتصدر مثل هذه الأسماء
من مؤلفين أو من مطبوعات ... زيادة على تنبيهات في المقدمة تسبقها قائمة الرموز
والمختصرات ... وتلحقها الخاتمة .

أجل ، ولنتذكر أن صاحب المعجم جاء المعجم باحثاً قبل أن يكون مكتيباً .
ولهذا كان قد ألقى برأيه في هذا الكتاب أو ذاك ، وفي ذاك المؤلف أو هذا من
شؤون ليست أدبية فما أولاه بشأن أدبي وبشيت (انطباع) اكتسبه خلال مطالعة
أو معايشة أو تأمل في قيمة البحث الذي قام عليه المطبوع ، ودرجة الإبداع التي
تقدم بها الشاعر أو المقالي أو القاص . وله من اهتمامه الأساس بالأدب والنقد الأدبي
ما يؤهل لمثل هذا الحكم وهذا الانطباع بشرط أن يأتي الرأي متصلاً بالحركة العامة ،
موازناً بين الخاص والعام ، ملاحظاً الظروف والتطور ، وأن يُعَرَّضَ بصيغة
تدل القاري - أو المراجع - على أنه رأي صاحب المعجم وليس رأي الآخرين ...
الذين احتفل بهم في حدود التهيئ الممكن كذالك .

إن الرأي يخدم القاري لأنه مخلص ، وثمره تجربة وفي تجرد مطلق ، ثم يخدم العمل
بوجه من الوجوه إذ يزيد - وخاصة لدى التقائه مع أخبار أخرى واتصاله بآراء
أخرى - طراوة تخرجه من جفاف المكتبة الصرفة ، وربما أغرت هذه الطراوة
(الناس) بقراءة المعجم أو قراءة مواد منه أو صفحات منه على أنها صفحات من

كتاب مؤلف تأليفاً أدبياً فيستمررون في القراءة ... وإذ يستمرون يزدادون قُرْباً من مادة المعجم وعلماً بالمطبوعات وأصحابها . وهذا قصدٌ انبثق لدى صاحب المعجم على مرَّ الزمن فاستحلاه وراه يجمع بين الفائدة والمتعة ، ومن هنا لم يعدم في أفاضل الناقدين من استطاب المنهج أو مَنْ وصفه بالأدبي ... ومن أَيْدٍ بَرَّاه ما أراد إليه مؤلف المعجم نفسه .

وتبقى مسألة البحث والتأليف في الأدب السعودي .

واقترح أديب فاضل كريم سعودي — هو الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، ولم لا نذكر اسمه نصّاً — على صاحب المعجم — وقد رأى في المعجم ما يبعث على حسن الظن — ، اقترح على صاحب المعجم أن يؤلف في الأدب السعودي أو في موضوع من موضوعاته : الشعر أو القصة ، أو المقالة ... أو ما إليها ومنها . وكان الباعث على الاقتراح موضوعياً مخلصاً ، فقد رأى الأديب الفاضل الكريم صاحب المعجم في معجمه فائق — وهو العالم جيداً بشؤون الأدب السعودي فضلاً عن ريادته في جيله — بقدرة صاحب المعجم على التأليف في الموضوع السعودي . والرأي صائب ، والنسبة حسنة ، والاقتراح مخلص مَسَّ من صاحب المعجم قصده الأول في غرضه من المعجم فَمَسَّ جرحاً — وهو لا يدري — وقل : ضرب على وتَرٍ وهو يدري .

أجل كان في رغبة صاحب المعجم أن يؤلف في الأدب السعودي ، وربما بلغت الرغبة مبلغ المُنْبِيَةِ بعدما اكتسبت دواعي الضرورة والمنهج ... ولكنه لم يفعل ، لأنه رأى أن يأتي المعجم قبل التأليف . وحيز أَلَفَ المعجم لم تبق الضرورة كما كانت — وربما الرغبة كذلك — ومن هنا كان اعتذاره الصادق إلى صديقه الأديب السعودي .

شكراً عزيزي الكريم ... فالذي لدي لا يُؤْهِلُ للتأليف المختص إن في الشعر وإن في القصة وإن في المقالة ... وإن ... وإن في النقد الأدبي . إن الذي لدي آراء تكونت من قراءات متفرقة في هذا الديوان أو هذه المجموعة أو هذه المجلة ، وقد ثَبَّتْهَا — راضياً — في ثنايا المعجم لأنها ممكنة التثبيت على تلك الصورة . أما التأليف فشئ آخر — كما تعلم .

ولم أزد ... لِعلمي بعلم الأستاذ الفاضل الكريم ، ولو أردتُ الزيادة لأشرت إلى التطور الذي جَرى بعدي كماً وكيفاً ، ولابدُّ لمن يتصدَّى للتأليف من إلمام علمي به ، وهو خارج الطاقة ... ثم - وهذا هو المهم - لبيّنتُ اختِفَاء الدواعي القديمة التي بدّا معها التأليف عن الأدب السعودي ضرورة . ولم يكن هذا الاختفاء لأنني لم أعد في السعودية أو لم أعد مدرساً للأدب الحديث ... يشعر شعوراً صادقاً في أن يدرس الأدب السعودي كما يدرس غيره ، وأن يُدرّس في الجامعة السعودية على الأقل - كما تدرس آداب الأقطار الأخرى ، وكم وَجَهَ اللوم مُصَرِّحاً ومُلمِحاً لأولئك الأساتذة العرب الذين انتدبتهم الجامعة السعودية ، مستعينة بخبرتهم منتظرة التنبُّه والتنبيه إلى ما يجب درسه ، فما قاموا بالواجب ، ولا أدّوا الرسالة - فضلاً عن كان من شأنه الرديء ما كان .

هكذا كانت الفكرة الباعثة الأولى على « المعجم » - وقد تكررت الإشارة إليها بما يمكن أن يؤدي إلى الملل - أما الآن ، فقد تغيرت الحال ، وخفَّت الأزمة ، وتولَّى (العبء) من هو أهل لأن ينهض به فيسد الثغرة ويرأب الصدع ، ويحل الإشكال ... لقد توطد التقليد الجامعي ، وعاد الجامعيون السعوديون من الخارج ، وتعددت الجامعات وعملت فيها (الماجستير) و (الدكتوراه) ... وما زال سعوديون يترفدون الدراسة العالية في الخارج ... وهذه حال تؤدِّي بالضرورة إلى دخول الأدب السعودي في المنهج الجامعي ، وتؤدي بالضرورة - قبل ذلك وبعده - إلى أن يكون الأدب السعودي موضوعاً للماجستير والدكتوراه ، موضوعاً أو موضوعات ... وقد حصل هذا بحكم الضرورة كما قلتُ ، وحكم طبيعة الأشياء كذلك ... ويجدارة الأدب السعودي نفسه للدرس والتدريس . وحلَّتْ بذلك عقدة من عقد مؤلف المعجم ، فقد تولى المهمة عنه آخرون كرام علماء كاتبون ، وكأنَّ تفكيره السابق كان في ظرفه الحتمي أي أنه لم يأت ابتداءً ولم يَقُمْ على هَوَاء ، وإنما هو فرع من شجرة غير منظورة الفروع كانت تدفع إلى ثمرة واحدة ، ثمرة البحث والتأليف في الأدب السعودي .

في الوقت الذي كان فيه صاحب المعجم يدير الرأْيَ في (الأدب السعودي) ويداوره و يُنَبِّهُ إلى درسه ويستعد ... ثم شرع جمع المادة يستغرق وقته ولم يلبث أن أغراه بصنع المعجم ... ويذكر بالخير الأستاذ عبدالله عبد الجبار وقد وقع على كتابه « التيارات الأدبية الحديثة في قلب جزيرة العرب » المطبوع سنة ١٩٥٩ ولكن الأستاذ عبدالله وقف عند منتصف الطريق وشغل نفسه - والقاريء - بما هو تمهيد وخارج الموضوع أكثر من الموضوع نفسه - وربما كان ذلك لغرض في نفسه خارج المنهج - . وإذا كان الكتاب لم يبلغ الفكرة ، فإنه أغرى بها ، ولا سيما باللهجة الدعائية التي تبناها - مخلصاً - لدى حديثه وحكمه وتأليفه في ذلك الوقت من النصف الثاني من ثمانينات القرن الهجري وستينات القرن الميلادي ... كان سعوديون خارج بلادهم يتلقون الدراسة العالية وقد قر قرارهم على دراسة الأدب السعودي ، ومنهم من كان في إنكلترا ومنهم من كان في مصر ... : محمد عبد الرحمن الشامخ ، محمد عثمان الصالح ، عبدالله علي آل مبارك ، عبد الرحيم أبو بكر ... والبقية تأتي كلما تقدم الزمن - والخير في البقية - وفيهم - في علمي - محمد بن سعد بن حسين ، وإبراهيم فوزان الفوزان ، وعبدالله الحامد ... ولا يلبث آخرون شُغِلُوا أول الأمر بموضوعات عامة من التاريخ الأدبي ... أن تقدموا خطوات في الشأن السعودي ومن هؤلاء الدكتور منصور إبراهيم الحازمي جاء من « الرواية التاريخية » إلى صحيفة أم القرى والقصة السعودية ، أما الدكتور أحمد محمد الضبيس فقد جاء من « أمثال الميداني » إلى معجَمَةِ آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب و « حركة إحياء التراث » في الجزيرة ... والقائمة تطول مع الزمن ، ومناحي الدراسة تتعدد ... كما بدأت موزعة على نجد أو الحجاز أو الشرقية ... على الشعر أو النثر أو الصحافة ...

كل هذا جميل ومطلوب وحاصل ... ويبقى في نفس صاحب المعجم (شيء من) الأدب السعودي . هذا الشيء هو الفكرة الأساس التي انطلقت منها فكرة العموم ، عموم الأدب السعودي في مختلف أنواعه ومختلف مناطقه ومختلف أعلامه . فمن يحمل ثقلها عنه ؟

لقد حملها - على خير ما يمكن - باحث سوري كريم هو الأستاذ بكري شيخ أمين الذي هيأت له إقامته مدرساً في كليتي اللغة (العربية والشرعية) في الرياض فرصة الاطلاع المباشر على الأدب السعودي ومصادره عن قرب ، وبِجُهْدٍ طبعاً . وكان من حب الحقيقة بما يجعله كالسعوديين في علمهم بأدبهم وكغير السعوديين فيما يمكن أن يكونوا عليه في النظرة الموضوعية . فإذا لم يكن الموقف موقف اطلاع فقط ، وإنما هو موقف الباحث عن موضوع نادر جديد ، يهب صاحبه الأصالة ، ازداد الأمر خطورة وأهمية . وهكذا كان ، وصار بكري شيخ أمين دكتوراً بحق ، برسائله الضخمة القيمة : « الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية » وقد طبعها (١٩٧٢/١٣٩٢) وبإمكان المرء - قارئاً كان أم طالباً أم أستاذاً - أن يطلع عليها ويفيد منها ويرى سعة عالمها وسعة أفق عالمها .

وماذا كان صاحب « المعجم » يريد أكثر من هذا ؟ ولعله - أي الأستاذ بكري - قد كفر بعمله عن سيئات الآخرين !

ونعود إلى الباحثين السعوديين أنفسهم ، وهم أولى بحمل العيب ، وقد حملوه مُجَزَّأً ، وربما تطلب الجزء خصوصية أكثر مما يتطلبه الكل ... وإذا كان (غريب) مثلي قد أحسَّ بضرورة أن يدرس السعودي أدبه ، فما أولى السعودي نفسه أن يحس بتلك الضرورة خصوصاً عندما يقف على أعتاب دراسة عالية تلزمه بالبحث والتأليف وتدفعه إلى التفكير الجدي في الموضوع الذي يمكن أن يبرز فيه . وهكذا كان .

كان محمد عبد الرحمن الشامخ يحضر للدكتوراه في انكلترا ، واختار لنفسه موضوع « النثر الأدبي في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤١ » وحصل به على الدكتوراه في ١٩٦٧/١٣٨٧ وعاد إلى البلاد مدرساً للأدب الحديث في جامعة الرياض (الملك سعود) وشرع يكتب ويؤلف في موضوعات من الشؤون الأدبية في الحجاز الحديث ذات اتصال تام برسائله فكان من ذلك « الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤١ » و « التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني » والكتابان يدلان على عمق في البحث وإخلاص في التقصي وقدرة على العرض . ثم عاد إلى صميم رسالته ، وكأنه وسَّع

فيها شيئاً فأصدرها كتاباً بعنوان « النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ - ١٩٤٥ » .

ولئن كانت محاولة عبد الرحيم أبو بكر في حصوله على الماجستير من مصر (رجب ١٣٩٣ / أغسطس (آب) ١٩٧٣) بـ « الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦ - ١٩٤٨ » محاولة فقط ، مقبولة ، شهدت ولادتها وأنا في السعودية يوم كان أبو بكر في قسم (الدبلوم) من طلبة دراسة أصول التدريس بجامعة الرياض ... أجل هي محاولة ومقبولة ، وقد طبع الكتاب مرتين (وتوفي المؤلف - قبل أوانه - بعد أن رأى ثمرة فكرته) .

كانت محاولة ، ولكن الذي في نفس إبراهيم فوزان الفوزان (●) أكثر من ذلك غايةً وباعثاً ، فخطا الخطوة اللازمة التي حدثنا عنها في مقدمة رسالته للدكتوراه (من القاهرة) عن الأدب الحجازي الحديث : (لقد حظى تراثنا العربي الذي خلفته الجزيرة العربية بعناية الدارسين والباحثين على مرّ العصور حتى عصرنا الحاضر (...) أما أدب العصر الحديث في هذه الجزيرة فلم ينل حظّه من عناية الدارسين كما حظى أدبُ الأقاليم العربية الأخرى .

ونظرة واحدة إلى كتب الأدب وتاريخه في عصرنا هذا الحديث تؤكد لنا هذه الحقيقة ، التي طالما صدمتُنا وصدمتُ أبناءنا في المدارس والمعاهد العلمية وسائر الجامعات في المملكة العربية السعودية .

ولقد عشت هذه التجربة وعانيتُها ، حين كنت أدرس لهؤلاء الطلاب وليس في أيديهم إلاّ كتب الأساتذة من أبناء البلاد العربية الأخرى ، وفيها الدراسة الوافية لكل ألوان الأدب في تلك البلاد . ولطالما كان هؤلاء الطلاب يسألوني هذا السؤال :

وأيّن أدبنا ؟ أليس للجزيرة العربية أدب في هذا العصر الحديث ؟

وإذا كان كل إنسان يعتزُّ بوطنه الذي ولد في مهده ، ودرج على أرضه ، وشبَّ تحت سمائه ، فإنّي لا أنكر هذا الدافع الذي لا ينكره عليّ أحد .. ذلك أني من

أبناء شبه الجزيرة العربية ، تلك الأرض التي أعتز بانتسابي إليها ، وأعيش في صميم حياتها الأدبية المعاصرة ، وأقف على مظاهر نشاطها الأدبي ، وأعرف كل ما يمثل النشاط ويسجله من أدباء وشعراء ، وكتب ، وصحف ، وأندية ، ونحو ذلك ، مما قد لا يتأتى لغيري من أبناء البلاد العربية الأخرى .

لهذا كله اخترت هذا الإقليم موضوعاً للدراسة الأدبية ووقفتُ جهدي ووقتي وكل ما أستطيع على التفرغ للكشف عن جوانبه المختلفة (...) .

وكان لعملي في تدريس مادة الأدب لطلاب المرحلة الثانوية في مدينة الطائف أكبر الأثر إلى هذا الاتجاه ، الذي نشأ بدافع القيام بالواجب الوطني والقومي . ثم تحول إلى إعجاب وعشق لأدب هذا الإقليم .

وقد بدأت بجهدي المتواضع منذ عام ١٣٨٨هـ حيث قدمت إلى المطبعة رسالتي للماجستير عن « أدب العواد والقرشي » سنة ١٣٩٠هـ .

ثم تَوَجَّهْتُ إعجابي بأدب هذا الإقليم ببحوثي للدكتوراه الذي سجلته عام ١٣٩٢هـ بعنوان « الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد » وقد شمل على توضيح شامل لسائر فنون الأدب الحديث منذ بداية العصر الحديث حتى تاريخ الانتهاء من إعداد هذا البحث ومناقشته سنة ١٣٩٦هـ) .

وهكذا وُلِدَ الكتاب الضخم الموسوعي ، وطبيعي أن يأتي موسوعياً ، لأنه الأول في بابهِ ، فبلغ ١٨٠٠ صفحة ، رأى المؤلف لدى طبعه أن يخرج في كتابين الأول - في جزء واحد - بعنوان « إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة » ، والثاني - في ثلاثة أجزاء - بالعنوان الأصلي للكتاب . وصدر الكتابان ١٤٠١/١٩٨١ .

وإذا كانت لَهْجَةُ الباعث الأول على التأليف غيرَ ودفاعاً ودعاوة ماحوطة خلال الكتاب ، فإن ذلك لم يَحُلْ دون الإخلاص في الجمع والاستقصاء والمناقشة والقدر الممكن من الموضوعية ، وقد ربط المؤلف بين الغيرة وسعة الأفق .

ويبقى أدب الحجاز — مع هذا — مجالاً للدراسة وإعادة الدراسة ، في شعبه وتياراته وأعلامه بعد أن استوفى كتاب الدكتور الفوزان عموم الحال .

وواضح أن الشعر هو النوع الغالب السائد حتى لتعجب أن ترى في أدباء الرعيل الأول من لم يَقُلْهُ ، ومن أولئك أحمد سباعي . وليس في سيادة الشعر ما يدعو إلى الاستغراب فهو النوع السائد في الأدب العربي كله ، والسائد لدى العرب في نهضتهم الجديدة ، مع مفهوم غير صحيح — فيه متابعة لموروث الفترة السابقة — خلاصته أن الشعر هو كلام موزون مقفّى . وليس هذا بصعب لمن رامه من ملك اللغة وعرف العروض — ولم تَبْدُ (الموهبة) شرطاً أساساً .

ويلفت النظر كثرةٌ عجيبة من الأدباء برزوا في الحجاز طليعة أدبية ومظهر نهضة حديثة . الأسماء كثيرة ، تجد أمثلتها البارزة في كتاب « أدب الحجاز » :

عبد الوهاب آشي ، محمد صبحي ، محمد حسن عواد ، محمد عمر عرب ، محمد صلاح خليدي ، عبد القادر عثمان ، محمد سرور الصبان ، محمد جميل حسن ، حامد كعكي ، محمد سعيد العامودي ، عثمان قاضي ، محمد الياري ، محمد علي رضا ، عبدالله فدا ، محمد شيخ حملي .

وتبحث عن أكثرهم بعد قليل من تأليف الكتاب فلا تجدهم ولا تجد لهم أثراً . وإذا أردت الدقة فإن الذين بقوا أدباء — والأدب غالب عليه — قليلون في طليعتهم محمد حسن عواد . قلتُ في طليعتهم مع أنه لم يبق إلا محمد سعيد العامودي وربما محمد عمر عرب .

— لماذا ؟

— ليس المفروض بالكثرة من الأدباء — في كل عصر ، ولا سيما عصور النهضة ، وأزمان الموت الجديدة — أن يبقوا أدباء ... في الساحة الأدبية .

ثم إن الأدب — كما ورد على لسان الأدباء مراراً ، حرفة خاسرة ، وَجَدَّ في

أمور الحياة في الوظيفة الحكومية والعمل التجاري ما يُغري . وإلاّ أين يكون
محمد سرور الصبان لو بقي أديباً ولم يدخل وظائف الدولة والعمل التجاري ؟
وقد يكون لتغير الحال من هاشمي إلى سعودي أثر من الآثار .

وأحسب أن من الذين اجتذبتهم التجارة : حامد كعكي ومحمد علي رضا ...
وفي الأسماء من (يستحيل) عليك أن تعرف مكانهم .

وكرر كتاب « وحي الصحراء » أسماء وردت في « أدب الحجاز » وزاد ،
وزاد ، وما أكثر الذين اختفوا من عالم الأدب بين تلك الأسماء ، فأين أمين بن عقيل
مثلاً ؟ وأين عمر صيرني ؟ وعبد السلام عمر ؟

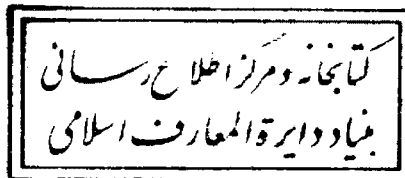
وآخرون بقوا على علاقة بالأدب ولكنهم إلى البعد أقرب ، ومنهم أحمد العربي ،
وعبد الحميد عنبر وعبد الحق نقشبندي وعمر عرب .

ومنهم من بقي والأدب غالب عليه : أحمد سباعي ، أحمد قنديل ، محمد سعيد
العامودي ، حسين سرحان ، عزيز ضياء ، عبد القدوس الأنصاري ، وهذه الصلة
درجات ، وهنا نذكر محمد حسن كتيبي وحسين سراج وعلي حافظ ومحمد حسن فقي ..

وإذا كان « وحي الصحراء » قد تناسى محمد حسن عواد فقد عوضه بمن تناساه
« أدب الحجاز » : أحمد إبراهيم الغزاوي .

ولم يرد حمزة شحاته في الكتابين وهنا لا بدّ لاستكمال الصورة من الرجوع
إلى كتابي عبد السلام طاهر الساسي : « شعراء الحجاز ... » و « الشعراء الثلاثة » .
— وفي الذكر والتناسي صورة لما كان بين الأدباء من (حزازات) — لا بأس بدراستها
مع دراسة أسباب الظهور والاختفاء . وقد يعود إليها الدكتور الفوزان على وجه
من الوضوح والتوضيح .

ونالت نجدُ حظاً من الدراسة الأكاديمية فقد حصل محمد عثمان الصالح على



الدكتوراه من انكلترا (كلية فتروليام - جامعة كبرديج) في سبتمبر ١٩٦٦/١٣٨٦
بـ « الشعر الحديث في نجد » - منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى أواخر
الخمسينات من هذا القرن الميلادي . ولكن الدكتور الصالح لم ينقل رسالته إلى اللغة
العربية .

وأبدى الشيخ محمد بن سعد بن حسين اهتماماً خاصاً بالأدب الحديث في نجد
فأصدر فيه كتاباً بهذا العنوان لا يفي الموضوع حقّه من شرائط المنهج العلمي في
الدراسة ، ولو عاد إلى الموضوع اليوم بعد أن صار دكتوراً ، وشرع يتولى نقد الكتب
السعودية الصادرة لأخرجه مخرجاً جديداً .

وأصدر الدكتور عبدالله الحامد : « الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٣٩٩ » لم يلبث أن ظهر أنه جزء من كتاب عاد به الدكتور الحامد إلى الميدان العام من
بحث الأدب ودل على ما يسوغ هذه النظرة وأوضح في المقدمة ما يقنع بصحتها ،
فقد صدر الكتاب كاملاً سنة ١٤٠٢/١٩٨١ بعنوان « الشعر في الجزيرة العربية خلال
قرنين ١١٥٠ - ١٣٥٠ » وقد سار فيه على المنهج العلمي للدراسات الحديثة متمتعاً
بأفق واسع .

أما المنطقة الشرقية فقد تولى القيام بدراسة أدبها (ضمن مجموع شرقي الجزيرة)
عبدالله علي آل مبارك - وهو من أبنائها - فحصل - من مصر - بدراسة الشعر على
الماجستير وبدراسة النثر على الدكتوراه .

وتبقى في دراسة المنطقة الشرقية نقطة كانت واضحة في كتاب عبد الرحمن
العُبيد « الأدب في الخليج العربي » : طلائع نهضة ونشاط شباب وتجديد ... ولكنها
فترت وكادت تخمد - لماذا ؟

ونسأل عن الجنوب ، وفي علمي كتاب جامع عنوانه : « الحياة الفكرية والأدبية
في جنوب البلاد السعودية من سنة ١٢٠٠هـ إلى سنة ١٣٥١هـ درس فيه صاحبه الأستاذ
عبدالله بن محمد بن حسين أبو داهش منطقتي تهامة وعسير ، وحصل على الماجستير من

مكتبة
الشيخ
عبدالله بن
محمد بن حسين
أبو داهش

جامعة الرياض وصدر عن دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض ١٤٠٢ /
١٩٨٢ ، ٤٢٠ ص .

ولك مع الماجستير والدكتوراه داخل المملكة السعودية في جامعاتها العديد من
البحوث في الأدب السعودي ... والإقبال في تزايد وماتزال الموضوعات غزيرة
وتُعدُّ بكثرة ...

وطبيعي ألا يقتصر الباحث الأدبي السعودي على أدبه وحده ، وهذا ما حدث
ورأيناه بدءاً بالدكتور منصور إبراهيم الحازمي والدكتور أحمد محمد الضبيب ...
وليس لهذه البداية نهاية ... خارجاً وداخلاً ...

وطبيعي كذلك ألا يكف غير السعوديين - ممن تشهبت لهم الإقامة العلمية في
السعودية - عن تناول الأدب السعودي أو جوانب تروقه منهم أو تهتمهم . وهذا
ما حدث ، ولكنه - وللأسف - لم يتجر كما جرى على يد الدكتور بكري شيخ أمين
من الإخلاص والدقة والثاني في الحكم ، وإنما جاء أقل عمقاً ، وأقل انسجاماً ، ولك
أن تنظر مثلاً في كتاب « شعراء السعودية المعاصرون » للدكتور أحمد زكي كمال -
الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨٣/١٤٠٣ ، وكتابي : « أدباء السعودية »
و « قراءة في ديوان الشعر السعودي » للدكتور يوسف حسن نوفل . الأول عن دار
العلوم ، الرياض ١٩٨٣/١٤٠٣ والثاني عن النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٢ .

وكان الدكتور علي مصطفى في كتابه « المذاهب الأدبية في الشعر الحديث
لجنوب المملكة العربية السعودية » - جدة ، تهامة ١٩٨٤/١٤٠٤ ، أكثر إحاطة
ومعاشة ولكن لم يبلغ ما بلغه الدكتور بكري شيخ أمين أثناء وحدراً ونضجاً .
وكثيراً ما جازف بالرأي ، وبالنسبة في الاستحسان وتكلف المصطلحات الغربية ،

وأقبل على الموضوع سوري آخر هو محمود رداوي (مدرس في المدارس
الثانوية) أصدر كتاباً وكتابين وفي عزمه الأكثر . والرجل مشكور ؛ ولكنه إذ ملك

ما يدل على الإخلاص فإنه لم يدل على الدرجة التي للدكتور بكري مؤهلات ووسيلة وغاية .

أول كتاب أصدره الأستاذ رداوي عنوانه : « الأدب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية » (الرياض ، النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٣/١٩٨٣) وخلاصة الباعث على التأليف يبينها الأستاذ عبدالله بن إدريس - رئيس نادي الرياض الأدبي - إذ يقول في تقديمه للكتاب : ... سأل في أوساط ساطعة على التقدير الذي يلقاه الأدب والأدباء السعوديون من واضعي المناهج التعليمية ومؤلفي الكتب .

وقد نص المؤلف في مقدمته على اقتصاره على (الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية فقط) .

إن هذا التقصير - المشار إليه - كان بارزاً جداً منذ أيام الشيخ السباعي ، وبارزاً كذلك عندما لاحظته الفوزان ... يوم كانت السعودية تستورد الكتب المدرسية كما هي ... أما بعد ذلك فقد شرعت تؤلفها هي - مستعينة بأساتذة منتدبين ، وتزداد حصة السعودي من وضع المناهج التعليمية ، وتأليف الكتب المدرسية يوماً بعد يوم ، كما هو طبعي ، وبعد أن توافر الأساتذة والمربون السعوديون ...

وأذكر جيّداً أنه في عام ١٣٨٣/١٩٦٣ أعدت وزارة المعارف للثانوية منهجاً جديداً وكتباً جديدة كانت حصة الأديب السعودي منها لا بأس بها - وذلك طبعي جداً وقد اشترك في إعداد ذلك مؤلفون سعوديون . وأقل ما يعني هذا أن العتب لا يُلْقَى على (المنتدبين) ثم لِمَ الشكوى ووزارة المعارف بسيد أبنائها ؟ والطبعي جدّ أن تُعيد النظر في مناهجها وكتبها من حين إلى آخر . وأزيد أن النصوص السعودية التي وردت في الكتب التي أشرت إليها لم تكن بالمستوى المطلوب ، وأنني حين اطلعت على الأدب السعودي بدرجة أكبر رأيت ما هو أحسن وأجدر بالاختيار ، وقلت : ربما تحكمت العجلة - باختيار إخواننا السعوديين .

وأحسب أن الملاحظة التي ترد - بهذه المناسبة - خلّو كتب الأقطار العربية

من نصوص سعودية. وهذه حال جديرة بالدراسة وبتنفيذ الصائب من الرأي . وهي لا تقف عند النصوص السعودية وحدها ؛ ومن واجب (المؤتمرات) التعليمية ، ومكتب التربية ، والجامعة العربية ... رعايتها ! ونعود إلى غير السعودي الذي يؤلف في الأدب السعودي فنذكر بالخير نصر محمد عباس (فلسطيني إقامته مصر ، حاصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة الإسكندرية) — يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود — في كتابه « البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة — الرياض ، دار العلوم ١٤٠٣/١٩٨٣ » وقد دل على متابعة وتأمل في أحدث ما صدر وبلغ من الانسجام بحيث تحسبه سعودياً .

إنَّ المتتبع يَسْرُهُ الاهتمام بالأدب السعودي ؛ وهو ليس منطقة محرمة على غير السعوديين ، ولكن الذي يكمل سروره أن يخلص الباحث في عمله ، وأن يكون مؤهلاً ، وأن يبعد عن ذهنه فكرة أنَّ هذا بلد تجوز عليه الأشياء ، وليس فيه المختصون الذين ضربوا بسهم وافر من العلم والفكر والمنهج ... والتأليف والنقد !!

حصل ، إذن ، التأليف في الأدب السعودي ، وحصل على درجة جيدة مرة على يد منتدبين في السعودية للتدريس ، ومرات على يد سعوديين سعوديين ... وقد حدث ذلك منذ السنوات الأخيرة من المدة المحددة التي يقف المعجم عندها (١٣٩٠/١٩٧٠) ... فهو دليل تطور قَدَر ما هو دليل استمرار الفكرة وطبيعة ظهورها ... ثم هي بداية لما هو أعمق وأحسن وأغزر وأكثر تشعباً وتنقيباً في الاتجاهات العامة والخاصة ، والظواهر والبواطن ... والرءوس والزوايا ... مع متابعة ما يَجِدُّ ، والجديد حاصل في كل نوع وفن : الشعر ، المقالة ، القصة ، المسرحية ، النقد الأدبي ، الدراسة الجامعية ... التحقيق ... الصحافة ...

الشعر — الشعراء — الشواعر :

ورأينا الشعر في الحجاز ونجد وغيرها في طلائعه وتوطده الحديث حتى صار فيه حمزة شحاته ومحمد حسن عواد (ويذكر أن ديوانه الذي ألفه سنة ١٩٢٤ باسم

« روح الشعر العربي » بقي مخطوطاً) وأحمد قنديل ... وحسين سرحان ومحمد حسن فقي ... وبقي الشعر في الصدارة إلا أن الذي دخله من تطور كثير ، فإذا كان عموم الرواد يُعنون بالفكرة أولاً وإن تهيأت لهم اللغة ، وقلما عُنُوا بالصورة وتشددوا في عنصر الموهبة ، والذي امتاز منهم قليل ، وإنما امتاز لتوافر هذَين العنصرين فيه بنسبة تزيد عنها في الآخرين ، وفي الآخرين من زاول الشعر ولا موهبة له .

وقد تنبه إلى ذلك - مبكراً - شعراء في الصدارة وأعربوا عن ضيقهم به لدى وقفة لهم من هذا الكتاب أو ذلك مما صدر في « أدب الحجاز » و« وحي الصحراء » و« شعراء الحجاز في العصر الحديث » . لاحظ ذلك عبد القدوس الأنصاري في « المنهل » ، واتضح جيداً في المقدمة التي تصدرت « شعراء الحجاز » بقلم الأديب الحجازي حمزة شحاته) - على شك ورد في أنه كاتبها !

جاء فيها : (ومن شعراء هذه المجموعة (...) مستحق الرثاء . ومنهم مستوجب التعزيز ، حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته يمثل هذا الهراء ظنّه شعراً ... وأفسد به - أو كاد - جوّه هذه المجموعة ...) .

وإذا كان هذا رأى المتقدمين في معاصرين ، فأولى به أن يكون - بعد ذلك - رأى من هم أصغر سنّاً وأحدث نشأة وأكثر تطوراً في المفهوم الشعري خارج حدود الوزن والقافية . وأوضح ما يبدو ذلك على قلم شاعر كاتب ناقد حجازي هو إبراهيم هاشم فلالي (ولد عام ١٣٢٤) في كتابه « المرصاد » .

ثم شرع جيلٌ جديد يسعى إلى البعد عن المباشرة ويحاربُها وربما غالى بالصورة واللامنطق وضروب من الرمزيّة أو (السريالية) ... ثم غالى في الخروج على العروض الخليلي (الشعر العمودي) بالشعر الحر ، أولئك تأثروا بما ورد إليهم من الأقطار السابقة في النهضة في مصر والشام والمهجر والعراق ، والعودة إلى التراث الخالد ؛ وهؤلاء تأثروا بما اتصل من الأقطار السابقة في الحديد في العراق ومصر ولبنان وسورية ... وما يمكن أن يكون قد تهيأ لهم الإلمام به من لغة أجنبية أو بلد أجنبي

— وهم قليلون جداً ، وشمل التأثير في هذه المرحلة الشرقية (ولا سيما القطيف) ،
والوسطى (نجد) ...

ولا يصيب من يضع هُوةً بين الاثنين فيتعامل مع الآخرين ، وكأنهم طفرة
ومفاجأة لأنه يجانب في ذلك الحقيقة الواقعة وبحسب حياة الأدب في السعودية الحديثة
أمراً شاذاً لم يتجر في تاريخ طبيعي من التطور في خطوات الولادة والنمو ... ثم إنه قد
يقصد برأيه الرفعة من شأن الحديد وكأنهم أوجدوا أنفسهم وأتوا بالبديع البديع
الذي لم يكن له أرض قبلهم .

لا ، وقد سارت الأمور على ما يسير فيه أمر طبيعي ، وكما سارت في غير السعودية
— بغض النظر عن الأجود والأحسن والمطلوب ... وغير المطلوب وما تريده أنت
وما لا تريده .

وقد بحث العرب المحدثون في مصر وغيرها في الخروج — لسبب ولآخر ، ولصلة
بالغرب — قليلاً أو كثيراً عن قيود البحور التقليدية والقافية الواحدة فضلاً عن
الضيق بالأغراض القديمة والصناعة اللفظية والمفهوم السهل للشاعرية ، وليس هذا
مجال الكلام على عبدالرحمن شكري و « الديوان » ... وأبولو ... والغربال ... وجبران
خليل جبران وأمين الريحاني ... وترجمة علي أحمد باكثير لشكسبير ... — والزهاوي
كذلك — فذلك معروف وله مصادره المعروفة وإنما الذي يقال : إنه كان يصل إلى
السعودية ، وقبل أن تكون السعودية ، إلى الحجاز ، فيتلقفه الشباب ويتأثرون به ويتأثرون
خطاه فيكون لهم النثر الشعري ، ويكون لهم الشعر المنشور ... ولك أن ترجع إلى شعر
حمزه شحاته ودواوين محمد حسن عواد ، والقنديل ، لترى ذلك ، وجاء في الكتاب
الفضي للمنهل (ص : ٩) : (المنهل ... أول مجلة وطنية أدخلت الشعر المنشور في
قصائد فقد نشر أحمد السباعي ومحمد عالم الأفغاني وعبد القدوس الأنصاري
قصائد من هذا النوع فيها في العامين ١٣٥٨ — ١٣٥٩) — ولاحظ كلمة (قصائد)
وإن جاءت بين قوسين ، فللكلمة هنا دلالتها . وقد عالجوا الشعر المنشور دون أن
يروا فيه غضاضة — ولا بُدَّ من ذكر عزيز ضياء .

وتسير خطوة طبيعية مع جبل تال لجبل العواد فقرأ الشعر الحرّ لدى حسن عبدالله القرشي ، وطاهر زغشري وسعد البواردي ، ومقبل العيسى ، ومحمد عامر الرميح (نشر شعره في مجلة الأديب البيروتية ، وأصدر ديوانه باسم : « جدران الصمت » - شعر رمزي » سنة ١٩٧٤ . وعبدالله عبد الوهاب ... ، ومحمد الفهد العيسى ... وآخرين ، ولا تنسَ غازي القصيبي ، وربما كان ناصر بو حبيد صاحب « قلق » أكثرهم خصوصية وربما عاد به ذلك إلى تكوينه النفسي وإلى إلمام بالترجمات . ثم إلى إلمام بالألمانية .

وقد جرى ذلك كما يجري أيّ أمر طبيعي فلا غضاضة شديدة ولا نزاع بمعنى النزاع ... وفي حرية ولك أن تقول الشعر في هذا وذاك كما فعل القرشي والفهد ... دلالة على طبيعة المسيرة ، ولك أن تقوله حرّاً فقط ... ولك أن تبقى حيث أنت من الخليل ، ويأتي الدارس بعد ذلك ليقرر الظاهرة كما هي (ينظر مثلاً : « شعراء نجد المعاصرون » ص ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٤٥ ، وينظر الفوزان : ٣ .

ذكرت الحجاز ونجدا ، ونذكر (الشرقية) والقطيف خصوصاً حيث عبدالله علي الخيزي ومحمد سعيد علي الخيزي والحركة المتجددة المتأثرة في أقرب عواملها بالعراق ، ويذكر مع العراق : بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ... ويذكر قبل العراق ومعه ، للقطيف ولغيرها . مجلة الأديب البيروتية التي فتحت صدرها للشعر الحرّ وشجّعته ، ولا غرو فصاحبها صاحب « لمن ؟ » ولم تبق جازان وأبها بمنأى أو منجى ... !

قلت : لم تكن غضاضة شديدة ، ولم يكن نزاع بمعنى نزاع ... ولكن لا بُدَّ من كلمة هنا وتعليق هناك وموقف عند هذا ... وليس غريباً أن تقرأ في « شعراء نجد المعاصرون » ص ٢٢٩ ، (عثمان بن سيّار ... معتقداً أن الشعر العربي الحديث في قوالبه وصياغاته ليس شعراً عربياً بل هو من آثار الاستعمار الغربي ...) - إن ابن سيّار خريج دار التوحيد وكلية الشريعة ومفتش في إدارة الكليات والمعاهد العلمية (الدينية) .

فهكذا تبدأ الأشياء ، وهكذا تنامي ... حتى تتباعد الأطراف وتتنافى الثقافات ، وتتباين الأذواق ... والشعر في هذا جُزءٌ من الحياة العامة في تطورها وفي الحديد جداً الذي يدخل عليها مع بقاء للقديم جداً وهو يعمل على استضافة عناصر جديدة للحياة .

النمط القديم ، وَسَمَهُ : العمودي ، باقٍ ، يستمرُّ أصحابه القُدَامَى عليه ، وفيهم حسين سرحان ، ومحمد حسن فقي ، وحسين عرب ، وطاهر زغشري ، ومحمد علي السنوسي ... وعبدالله بن خميس ، وعبدالله بن إدريس ... ويصدر عبدالله الفيصل ديواناً جديداً ، ويعيد طبع ديوان قديم . وتصدر دواوين جديدة لمحمد سليمان النبل ، ومحمد إبراهيم جدع ، ومحمد سعد المشعان ، ومحمد سراج خراز ، وزاهر عواض الألمي ، وعبدالله الحميد وعبدالله جبر ومحمد العيد الخطراوي ... وأسامة عبد الرحمن ... ويبقى آخرون ، وفيهم شباب ، ينشرون قصائدهم في المجلات والجرائد .

ويبقى آخرون بَيْنَ بَيْنَ : حسن عبدالله القرشي ، محمد الفهد العيسى ، غازي القصيبي ، ماجد الحسيني ، محمد هاشم رشيد ... وأنس عثمان ، يهْمُونَ بالحديد ويحتدبهم القديم .

وإذا كان الحديد - وسمه الشعر الحر - قد وَجَدَ موضع قدم زاد الزمن من تثبيتها ونشأ جيلٌ جديد لم يكن لِيَسُدَّهُ بالقديم الذي شدَّ جيل القرشي ؛ وربما حسب في النمط الحديد ما (ينتقم) به لنفسه بوجه من الوجوه ، فيميزه ويشق به طريقه ، ويقول فيه ما يفهمه هو وأصحابه ولا يدركه الآخرون ... إذا كان ذاك - وهو في جملته حاصل - وتذكرنا ازدياد نفوذ ما يرد من البلاد العربية شعراً ورأياً ، وفي الشعراء أمثال : السيّاب ، نازك الملائكة ... صلاح عبد الصبور ... أدونيس ... محمد الماعوظ ، ومن هو أحدث منهم وأكثر تطرفاً وأكثر حرية في الشعر الحر ، وأكثر ثرية في قصيدة النثر . إذا كان ذلك :

وتذكرناه ، قد نستغرب ما شرع يسود أوساط الشباب في نمط الشعر - بعد

جبل القرشي ومحمد الفهد العيسى والقصبي ممن بقي فيهم كثير من النفس التقليدية ؛ وبعد الرميح وبو حميد اللذين ابتعدا أكثر من التقليدي واقتربا أكثر من الحر ... ، — ومنذ سبعينات القرن الميلادي وتسعينات القرن الهجري — من جديد جديد .

وخلاصة شعرهم هموم لا تفصح عن نفسها بالصراحة والوضوح لأن هذا الشعر يقوم على الإيحاء وخلق الجو النفسي العام ، ولأن الصراحة قد توجب لهم من الأذى ما لا يريدون أن يَقَعُوا فيه . وهكذا لجأوا — عن قَصْدٍ وعن غير قصد ، بحكم الفن الشعري والواقع الاجتماعي — إلى عرض الواقع حُلماً ... وإذا كانت وإذا كانت كلمة (عرض) غير مناسبة قلنا : بثّ ، وإذابة ، وتسريب ... وما أشبه . أما الشكل المفضل — والوحيد الذي لا ثاني له — فهو : الحرّ ، وأما الصفة المفضلة لديهم فهي الحداثة والمعاصرة والجدة ... ولا يبقى الحر ملتزماً دائماً للتفعيلة ، فالأكثر جدة ما زایلها إلى الإيقاع في مطلق مدلوله .

ويسير هذا النمط قُدماً ، وَيَتَشَبَّهُ قَدَماً ... فيكثر أصحابه ، وقل : تكثر أصواته وتعلو وتعمق والعوامل هي هي مع زيادة الإحساس بوقعها ، الإحساس بضرورة النمط وحيداً ، والإحساس بالضيق الذي لا منفذ منه ولا بُدَّ من النفاذ والخلاص . وإذا كان الأمر كذلك جاء الشعر على حظٍّ من الغموض — والأمر صار معروفاً — ولكنه الغموض الحي الناطق بالمحاط بالمشاعر والأفكار ، المتأزّم في حالة النفس ، وليس الغموض الذي اختسِرَ لذاته متابعاً لموجة الغموض في العالم العربي — والعالم كله — لكي يَصِفَ أصحابه نفوسهم بالحديد وبالمجددين . يريدون أنه غموض محكوم بالفن مُعْتَزِجاً بالأسباب والدواعي الموضوعية . ولكن الغموض الحقيقي قد يجرّ إلى ما هو أكثر غموضاً وأقل حقيقة .

ويحرص الشباب — بحكم الظروف الاجتماعية في الأقل — أن يتسلّحوا بقسط من الحكمة والتأني وأن يبتعدوا — قدر الإمكان — عن الانفعال والاستفزاز وكأن لهم من ثقتهم بأنفسهم وبفنه ما يضمن لهم حقهم ويهيء لهم مكانتهم ؛ ومن حكمتهم احترام التراث الشعري وعدّه في الرائع من الآثار ، واحترامهم الشيوخ ومن هم

أكبر سناً منهم - متابعة للتقاليد في الأقل - وأنهم لا ينكرون فضل رؤاد النهضة الحديثة في الأدب فيذكرونهم بالخير ، ويحفظون لهم ما عانوا وما ثبتوا ، وما جددوا في حدود ظروفهم وزمانهم ، وإمكانات الاتصال لديهم ... وأكثر ما ينجحون بالذكر أولئك الذين عرفوا بالتححر أكثر ممن سواهم ، وهنا يتقدم اسم محمد حسن عواد فيما دعا إليه من تجديد في الأدب والفكر ، وفيما أخذه على نفسه من رعاية الشباب والتنويه بآثارهم ، وفيما زاوله من أنماط الشعر بحيث لم يقتصر على العمودي الموحد القافية ، فكان له شعر منشور وكان ما رآوا فيه مقدمة المقدمة من تاريخ الشعر الحر . ثم إنهم لا يلزمون الشباب كلهم يقطعهم (؟) ، وفي الشباب أعمارهم من يلزم العمود وزناً وقافية ... فينشر في الصحف ويصدر الدواوين ويمجد الطريق لإزائه ممهدة .

هذا موقف ضرب من الاتزان يحفظ لهم ، ولكنه لا يمنع البدوات الفردية ، والتطرف الخاص لدى جدال والدى مقابلة الانفعال بالانفعال ... ولدى اتخاذ الحماسة للنمط الحديد مادة لتقوية الشخصية وسنداً لاحتلال مكانة ...

ثم يدخل الشعر في نمط أكثر جدة لديه ، ترك التفعيلة ، والاعتماد على الإيقاع ... ثم الوقوع في الترية ولا يمكن أن يستمر إلى الأبد لدى التطرف .

البدوات تحصل ، ولكن الأناة حاصلة مطلوبة ، حتى لو نبتت على مضض . ومن عوامل المضض أن يستهين بهم الآخرون ، وأن يسُدُّوا - أو ألاَّ يفتحوا - في وجوههم أبواب النشر في المجلات والمساعدات على النشر ...

ولا بأس فهم يبحثون عن منافذ خاصة بهم ، ولا يعدمون إيجادها ، وكانت هذه المنافذ الصفحات الأدبية من الجرائد اليومية وبعض المجلات الأسبوعية خاصة ... وبعض دور النشر .

ثم جمع المتيسر من القصائد وإصداره - بأية وسيلة ممكنة - في ديوان (صغير

عادة) ، وهكذا تبدأ أكثر الدعوات الطليعية ، وربما كانت (دار العلوم) متميزة في العناية بالشباب وكأنها تريد أن تعد داراً طليعية كذلك ...

والشعراء الجدد هم المنتظرون بشعرهم ، فهم الذين يتحدثون عنه ، وينقدون الصادر منه في الديوان ، ومن ثم يولد الناقد الخاص من العارف بأسراره وأسرار أعلامه . أما السيادة والبقاء فأمرهما موكول بالموادب الصحيحة والشاعرية الحقيقية ومدى استيعاب الزمن الحاضر بما يحفظ جوهر الخاود في المستقبل ... المسألة مسألة زمن وليست مسألة نزاع انفعالي تتقاذف فيه الأطراف التهميم إلى درجة الاختلاف والافتيات والظلم والباطل . ويأما أكثر الحركات الطليعية في العالم - ومنها ما كان في العالم العربي على مدى عمره الطويل قديماً وحديثاً - ولكن الحركة شيء وإن بقاءها شيء آخر - والبقاء - كما هو معلوم - للصالح . ويحضرني - هنا - رأي لباحث مصري لا يبدو عليه الرضا عن الشعر الحر ، هو الدكتور إبراهيم أنيس ؛ وقد قال في كتابه « موسيقى الشعر » (٤ ، ١٩٧٢) ص ٣٤٤ :

أما الصراع القائم الآن بين أصحاب الشعر التقليدي وبين أصحاب الشعر الحر فهو حين يحسن الظن به يمثل في رأيي حيوية بين الأدباء المعاصرين ، أو إن شئت قلت : اختلاف العقلية بين جيلين : جيل الشيوخ وجيل الشباب . ومع قدر من السماحة وسعة الصدر يتجددُ بنا ألاًّ نَحْجُرَ على شباب الشعراء أو أن نلزمهم باتباع النظام التقليدي المألوف وترسّم خطاه ، فقد نُصيب خيراً لأدبنا العربي من وراء ثورتهم إن كان بها خير !) .

وقال (ص ٣٥٤) : (لا داعي إذن لإثارة النعرة القومية حين يناقش هذا الشكل الحر ، ولا مبرر للحديث عن تراثنا الأدبي والحفاظ عليه ، فسيظل بين يدي الراغبين فيه والمؤثرين له ، أو على الأقل بين يدي الدارسين لعصور الأدب المختلفة .. فلنترك أصحاب الشعر الحرّ وشأنهم ، ينظمون كما تشاء أهواؤهم ونزعاتهم ، فالحكم الفيصل هو جمهور الشعر من الناس قرائهم وسامعهم) .

هذا ما يقال أو يمكن أن يقال ، ولكن الذي يقع - عادةً - غيره ، يبدأ قليلاً

ثم يزداد ، يبدأ ليناً ثم يشتد ، وربما بدأ بالتسهل والتجاهل وانتهى بالخصام والصراع . وكأن لا معدى عن ذلك وإن اختلفت الدرجة واختلف المظهر

وإذا كان التجديد في الصياغة قد مرّ - في الخطوات السابقة التي رأيناها - من غير ضجيج ومن غير استفزاز الآخرين ، وقُلْ : من غير نزاع مفتوح أو صراع بمعنى الكلمة فإنه وقد بلغ هذه الدرجة وتعداها وصار كياناً ذاتاً شأن ، وربما هدد كياناً آخر ، غير ما يستفز ومن يستفز بحسن نية وألفة ذوق معين ... إنه وقد بلغ هذه الدرجة أذن بصراع ، وتميّزت أطراف وأوساط بين هذا وهذا . وقال شيخ يؤثر أن يبقى محبوباً محترماً بمؤهلاته وتاريخه وفكره وهو جدير بذلك حائر عليه ، هو الشيخ حمد الجاسر وقد سئل في مطلع عام ١٤٠٤ / وختم ١٩٨٣ :

- مازال الشعر الحديث في المملكة غير معترف به تقريباً ... ما تعليقكم ؟

. فأجاب المجيب قائلاً : أولاً يلاحظ أن ما يسمونه بالشعر الحديث هو نوع من النثر يصح أن يسمى النثر الفني خاصة إذا كان مفهوماً وصادراً عن تأثر عاطفي .

وألح السائل فزاد : الدول الأوربية قبلت التطور في شعرها وأصبح لديها شعراء عالميون معروفون في كل العالم ... فلماذا لا نقبله نحن ؟

فأثار ذلك الشيخ فأوضح : ياسيدي .. الشعر هو ما هزك وأثر في نفسك وحرك أوتار قلبك سواء أكان على بحور الخليل أو بحور أخرى ... (...) أنا أقرأ أشياء من هذا النوع الذي يسمونه شعراً لا أحس أي أثر عند قراءته .. إذن لماذا تجعلني اسميه شعراً ... أنا أسميه نثراً .. والغريب أن هذا النوع يعد أصحابه إلى المبالغة في التعمية والرمزية ... - العرب ج ٩ و ١٠ س ١٨ - الربيعان ١٤٠٤ / كانون ١ ، ٢ ، ١٩٨٣ - ١٩٨٤ جزء خاص بجائزة الدولة للأدب ص ٧٦٧ ، وفي صيغة السؤال الأول ما يدل على شعور الشباب بالإهمال الذي يعانونه ويلمح إلى الطريق المسدود في وجوههم !

والصراع طبيعي ، وقد يجدي إذا كان مخلصاً ووقف عند الحدود الفنية ، أما

مسألة الاسم فليست مهمة جداً . وأخطر ما فيه أن يخرج إلى ضرب من العداوة البدائية فتكالم فيه التهم جزافاً من كل نوع لا علاقة له بتصميم الموضوع .

ويمكن أن نجد مزيداً من الدلالة في كتاب لأحمد فرح عسيان، صدر عن نادي أبها ١٩٨٢/١٤٠٣ بعنوان : « جناية الشعر الحر » - ١١٥ ص .

يبدأ المؤلف كتابه قائلاً في المقدمة : (أعترف أنني أكتب هذه الورقات وأنا تأثر منفعل ، يكاد يسطو بي الكمد ، ويكاد يقتلني الغضب .. وكيف لا أغضب (...) والجنّة مصممون على المضي في تخطيطهم الفظيع الظالم باملاء من الشياطين وإيحاء من الحاقدين) - تنظر مجلة عالم الكتب المجلد الرابع ، العدد الثاني ، شوال ١٤٠٣ / يوليو ١٩٨٣ ، ص ٢٩ .

هذا ما لم أكن أتصوره . حتى لدى متابعة الشباب في سوء ظنهم بدوافع الناقد المصري . لقد تصورت التطور ، ولكني لم أتصور الدرجة ، ولابد من أن أكون على خطأ ، أو أن الأمر يُعزى إلى بعد عن (مواقع الأحداث) .

ولستُ منتصراً - هنا - للقديم أو الجديد ، ولكني مؤرخ يستكمل لمحات وردت في معجم للمطبوعات ... وقد يسير الأمر إلى أبعد من هذا الذي سار فيه .

والذي جرى للشعر السعودي في هذا المجال كثير وسريع وقد رأينا في تاريخه وشعرائه ودواوينه ما يدل على الكثرة والسرعة ... وكنت في حدود علمي - وصِلتِي وقربي - من التاريخ الحديث للشعر السعودي بدءاً برواده في الحجاز قبل جمع أقطار الجزيرة باسم (السعودية) وفيهم من ذكرنا من أمر العواد وشحاته والقنديل ... الخ ومتابعةً لتطوره في الحجاز ونجد والشرقية وجازان وأبها ... وفي ذلك من ذكرنا من أمر القرشي ومحمد الفهد والعيسى والقصبي ... ومن وقفنا عنده باسم أبو حميد ... ، كنت أنتظر التطور إبداعاً وأصالة ، وأنتظر مكاناً خاصاً للشعر الحر ... ولكني ، وقد فارقت السعودية نحواً من خمسة عشر عاماً لم أنقطع خلالها انقطاعاً تاماً عن متابعة الحركة الأدبية ... ، كنت أنتظر تطوراً ... ولكن الذي حدث خلال خمسة عشر

عاماً كان أكثر كثيراً من مدى انتظاري ويكفي أن يكون جيل كامل قد وُلِدَ ، له همومه ومفاهيمه في الحياة والفكر ، وله نمطه في الإعراب عن تلك الهموم والمفاهيم في شكل يراه هو الشعر ، ويراه الشعر الجديد ، ويرى قصيدته هي القصيدة الجديدة ... وإذا كان هذا حالي ... فلا عجب أن يكون حال البعدين جداً عن السعودية وشعرها حال دهشة وتعجب ... ومفاجأة ... أيكون هذا في السعودية ؟ أهؤلاء سعوديون ؟ ! ...

وتفجرت المفاجأة في بغداد حيث عقد مهرجان الأمة لشعراء الشباب من الحادي والعشرين وحتى التاسع والعشرين من نيسان ١٩٨٤ / شعبان ١٤٠٤ فالتقى الشعراء من كل قطر من أقطار العالم العربي ما بين المحيط إلى الخليج وتابَعوا يلقون بشمراهم ، وألقى شباب من السعودية - فيمن ألقى - فكانت قصائدهم محطَّ اهتمام ومدار حديث ... ومثار دهشة . أيكون هذا في السعودية ؟ أيكون هؤلاء سعوديين ؟ وحكم لهم بالتجويد و (التفوق) نقاد المهرجان وفيهم الشباب والكهول من أقطار مختلفة ، وخرج الحكم مصحوباً بالدهشة عن جدران المهرجان إلى أعمدة الصحف ...

دهشوا لأنهم لم يكن لهم علم بالمسيرة الأدبية في السعودية . أو اتصال بالفكر الأدبي منذ نهضته الأولى في الحجاز ، ولم يقرءوا لأديبٍ رائد هو محمد حسن عواد في شعره وأفكاره ... و (نزواته) ويصلوا في قراءتهم إلى الرميح وبو حميد . أما أنا فما بلغت بي الدهشة ما بلغته في الآخرين لما لديّ من مقدمات ، ولأني منتظر التطور في كل مجال : في الشعر العمودي (ذي الشطرين) كما في الشعر الحر (ذي التفعيلة) . ولم استبعد قصيدة النثر . وكل ما في أمري أن الذي رأيته - وسمعته - جاء أبعد من تصوّري زماناً ومكاناً ، كمّاً وكيفاً . وليكن . والأمر طبيعي .

وتحدث ناقد عراقي شاب هو الأستاذ حاتم الصكر ، العارف بالشعر الشاب خصوصاً ، المتصل بالشعراء الشباب كثيراً ، العامل عضواً فعّالاً في اللجنة التي تولّت إقامة المهرجان والإعداد له والسفر إلى الخليج العربي لدعوة شعرائه ... تحدث

في العدد السابع من مجلة الأقلام (تموز ١٩٨٤) فقال - فيما قال - : (... كان شعراء السعودية مفاجأة المهرجان بحق ... فالصيخان ، ومحمد (جبر) الحربي ومحمد الشبيبي قدّموا صوراً لوعي شعري ينمو بعيداً عن الضجيج ، مكتوباً بالتجربة ، طالعاً من أعماق الأرض ، جديداً يتوفر على أفضل ما في الشعر الحديث من مزايا وسمات ...) .

وبلغ الاهتمام والإعجاب بالأستاذ الصكر - وهو سكرتير تحرير مجلة الأقلام - أن توجه نحو السعودية توجهاً خاصاً فعاشر الشعراء وحاورهم ، وحصل على قصائد من شعرهم ليؤلف مَلَفَّ العدد الثامن من المجلة خاصاً بـ (القصيدة الجديدة في السعودية) (مجلة الأقلام - آب ١٩٨٤ ، ص ١١٦ - ١٦٠ حجم كبير) وجعل عنوان كلمته التي قدم بها الملف : (شعر مسكون بالحلْم والذهشة) ثم قال : (يكاد القاري في أغلب أقطار الوطن العربي يجهل تفصيلات الحركة الجديدة في الجزيرة العربية (...) سعة في المكان .. وحركة في الصحافة .. أجيال متعددة ، وأصوات أكثر تعدُّداً وتنوعاً .. ولكن المفاجأة الحقيقية : الشباب .

هذا هو الانطباع الذي تخرج به خلال إقامتك قريباً من نبض الحركة الشعرية .. ومعايشتك لتفاصيل حياتها ...

شباب مهتمومون بالحدّثة .. متطلعون إلى قصيدة معاصرة تتمثل أبرز التيارات الشعرية العربية وتنتمي إلى الأصالة الواضحة في اللغة والبناء .. وتوجه إلى الإنسان مستلهمة وموجبة .

هنا : لا مغامرة لغوية تستهويهم فيريقون من أجل بريقها مياه الشعر في غير مصبائها ... ولا تشدهم الأناقة الكلاسيكية والمنابر فيحولون قصائدهم حذاء وإنشادا (...) .

أبرز ما يجتذب الشباب هنا : قصيدة الحلم ... » . انتهى .

ولي تعليق - أو توضيح - على (الحلم) ، خلاصته أن القصائد التي قالها - ويقومها - الشباب ليست حلاً بالمعنى المعروف للحلم مما يراود الإنسان نائماً ، أو ما يقدمه الشاعر على أنه من العقل اللاواعي ، أو أنه طلب المستحيل من المستقبل منفصلاً عن الممكن في الحاضر ، لأنهم جادون - واقعيون - يعربون عن همومهم الصغرى والكبرى بلغة الحلم وصور العقل الباطن لضرورة من ضرورات هذا التعبير عما يعمل في نفوسهم ، ويصطرع في أفكارهم ، ليأتي كلامهم وعليه مسحة من الغموض ، ونبرة من الرمز... الموحى ، إن جهله - أو تجاهله - البعيدون عنهم - عرفه أو أحسّه القريبون منهم - وكما كان شعراء شباب ، كانت شواعر شواب .

وتحدث في « الملف » صالح الأشقر (من السعودية - مواليد حائل ١٣٧٠) عن أجيال الشعر في السعودية : الأول ... الثاني ... الثالث . وكان الثالث لديه (جيل ما بعد احتلال فلسطين) الذين ترعرعوا على الشعر السياسي ، وامتداداً إلى النكسة ٦٧) ، وكان أكثرهم شباباً محمد العلي وأحمد الصالح (مسافر) . وهذان الشاعران اختارا الشعر الحرّ خلافاً لمعاصريهم مثل محمد المشعان وإبراهيم الزيد . ويمكن أن يضم إليهم الشاعر سعد الحميد وديوانه « رسوم على الحائط » ...

وقال : (يمكن أن نضع (...) محمد العلي وأحمد الصالح (مسافر) كتجربتين سابقتين زمنياً ضمن الأصوات التي حاوت أن تَرَفَّ الأصوات الشعرية الجديدة إلى عالم التجديد والحدثة . وتعتبر الشاعرة فوزية أبو خالد في ديوانها « إلى متى يختطفونك ليلة العرس » الذي طبع في بيروت قبل (١٥) سنة من الأصوات الجميلة في مسيرة الحدثة ... » .

ثم يمضي في مسيرة الحدثة وما يذكر من أسماء شعرائها ، وكأنه يريد بهم أصحاب القصيدة الجديدة الفعليين ، وكأنهم جيل رابع بعد الثالث وإن لم ينص على (الرابع) وهذه هي الأسماء أو (بقية الأصوات الجديدة) كما قال : (عبد الكريم العودة . جارالله الحميد . محمد الدميني . علي الدميني . محمد عبيد الحربي . غيثاء المنفي . أحمد فقيه . عبد الإله البابطين . عبدالله الزيد . خديجة العمري . عبد العزيز سعد

العجلان . أحمد الملاً . عبدالله الصيخان . محمد (جبر) الحربي . محمد الثبيتي ...
وأسماء أخرى كثيرة) .

وأعود مرة أخرى وأكرر أنني على ما حسبْتُ نفسي عارفاً بمسيرة الشعر السعودي
لم أكن أنتظر هذا التغير على هذه الدرجة ، والتطور على هذا العدد . وقد تعني الحال
توافر الفرص للشباب في أن يقرأوا ويفكروا ويناقشوا ويتابعوا ويتأملوا وينظموا ؛
وينثروا ، رغم ما يندُّ عنهم من شكوى الضيق أو التضيق . وإذا كانوا قد تأثروا
بالشعر العربي الجديد فإنهم ليختلفون عنهم بالعوامل الدافعة إلى القول وما تؤدي هذه
العوامل إليه من أجواء خاصة بمقدار ما يختلف مجتمع عن مجتمع ، وبمقدار ما يمنحه
الجد والإخلاص من سمات القوة والأصالة ويبقى هذا التمييز ما بقيت الفوارق وبقي
الشعراء صادقين لا ينقص المضمون لديهم عن الشكل .

وطبعي أن يحصل صراع بين الأجيال بدرجات متفاوتة ، إلا أنني رأيت على
شهادات الشعراء التي أوردوها في (الملف) وعلى شهادة أدلى بها محمد جبر الحربي
من إحدى الإذاعات ما يشير إلى تأنٍّ ونُضج في الرأي الفني والاجتماعي ووعي
للمهمة الأدبية والاجتماعية ؛ ولقد ذكروا اللغة والراث بتقدير ، وبدواً من التواضع
بحيث عدّوا أنفسهم في دور التجربة — وأرجو أن تكون رؤيتي صحيحة ، وأن
يكون الشباب — في جملتهم على الأقل — من النضج حيث بدوا . وأن يطيلوا الوقفة
في دور التجربة من أجل اختبار أكثر وتَهَيُّؤٍ مواهب أعمق . والحدار الحذار من
من السرعة والغرور

ثم ... توالى القصائد ... في الملف ...

وإذا كانوا قد تأثروا ببروآد الحركة من الأقطار العربية (العراق ، مصر ، سورية ،
لبنان ...) وقد تأثروا فعلاً واعتزافاً وحتماً ... فإنهم اجتازوا مرحلة التقليد وبدّأوا
مرحلة التمييز والأصالة ومن هنا جاءت المفاجأة والدهشة من وجودهم فلقد تقدموا ...
وتأخر الآخرون ، تقدموا بما لديهم من جدٍّ وإخلاص وطموح وظروف ، وتأخر

الآخرون إذ استحال الحديد لديهم قواقع جوفاً ، وألفاظاً وشكلاً ... وتعاورته أقلام لا تسندهما موهبة وكأنهم فقدوا المضمون ، أو اجتنبوه إلى حيث مضمون غيرهم .

ويبقى بعد ذلك ، الاحتياط في الحكم بما يبتعد به التعميم عن التخصيص ، والقاعدة عن الشاذ ولا – ولن – تعمد في الشباب من يتطرف ، ومن يقع – عاجلاً أو آجلاً – في فخ عدّ التجديد غاية بنفسه – ولكننا رأينا الوجه الحسن المطلوب المرضي . وبه العبرة والعظة .

ولهؤلاء الشباب من « الدواوين » ما لا يغفله غداً معجم للمطبوعات – رضي صاحبه عنهم أم لم يرض – ولا يستغني عنها معجمنا من الإلماح إليها في خاتمتها ومن ذلك : أحمد صالح الصالح (مسافر) – مواليد عنيزة ١٣٦١ وله : « عندما يسقط العراف » ١٣٩٨ « قصائد من السفر » ١٤٠١ / ١٩٨١ ، « انتفضي أيتها الميحة » ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

سعد الحميدبن (مواليد ١٣٦٧) : « رسوم على الحائط » ١٣٩٧ / ١٩٧٧ ، ويعد للطبع « عندما بانث سعاد » .

محمد جبر الحربي (الطائف ١٣٧٦) : « بين الصمت والجنون » ١٤٠٤ / ١٩٨٤ ، وديوان تحت الطبع .

محمد الشبيبي وله مجموعتان هما : « عاشقة الزمن الوردي » ، و « تهبجت حلماً .. تهبجت وهماً » .

ومنهم من له « ديوان » تحت الطبع أو في طريقه للصدور ، ولعله صدر فعلاً ، ومن أولئك : عبدالله حمد الصيخان (حائل ١٣٧٥) في ديوان : « الهجرة من الغرفة المائية » وصالح الشهوان (عنيزة ١٣٧٣) في ديوان « كذب الراوي » .

ولنلاحظ في (جغرافية) الشعراء الشباب اختفاء السمة العائدة إلى المنطقة من بقايا أول توحيد أقطار المملكة ، يوم كانت أقطاراً متباعدة فظلت مع أدبائها نسبة

إلى الحجاز أو نجد أو الأحساء أو عسير ... أما هؤلاء الشباب فهم من « السعودية » وزحفت معهم (مدن) جديدة على الخارطة الأدبية لم تكن لها هذه الأهمية مثل أبا وحائل ...

ويمكن أن يقال في الشواعر ما قيل في الشعراء ؛ وفي الشواب ما قيل في الشباب ، وفيهن من تَظَمَّنَ - وينظمن - على النمط التقليدي (العمودي - ذي الشطرين) . وقد رأينا منهن « نداء » في « عبير الصحراء » وهي شاعرة حقاً ولا نقاش . ونداء اسم مستعار حقيقته ساطانة عبد العزيز السديري (مواليد القريات بالمنطقة الشمالية) ولها ديوان آخر هو : « عيناى فداك » ١٩٦٠ . ودخات ثريا قابل بديوانها « الأوزان الباكىة » الميدان مصبوبة بجدال لم يكن في مصاحبة شاعريتها ، وهي تُعَدُّ اليوم : « تلك ظلالى » . ولريم الصحراء ديوان « زهرة حنان » وريم الصحراء اسم مستعار حقيقته : الجوهرة العلى (ولها ديوان تحت الطبع باسم « وعد القمر » .

ثم صدر للدكتورة مريم البغدادى ديوان باسم « عواطف إنسانية » . وتنشر « المنهل » لأميمة خوجه قصائد رقيقة عاطفية تدخل في نطاق الشعر الحق .

ومن الشواعر الشواب من قالت شعراً حرّاً شأن الشباب . وقد ذكرنا فوزية أبو خالد (مواليد الرياض ١٩٥٥) وديوانها المطبوع في بيروت « متى يَختطفونك ليلة العرس » وتُعدُّ للطبع ديواناً آخر باسم « اشهد الوطر » كما رأينا غيداء المنفى وخديجة العمرى .

ويذكر « دليل الكاتب السعودى » سارة بو حميد (سارة سليمان أبو حميد) (مواليد الخبر ١٣٦٣) ويذكر في مشاركتها الأدبية : شعر حر ، إنها أخت ناصر سليمان بو حميد الذى رأينا مكانه البارز في مراحل الشعر الحر - (العرب : الصحيح في هذا الاسم : ابن أَحْسَمَد - تصغير أحمد - على تصرف وتحويل في نطقه من قبل العامة ، ليس هذا محل إيضاحه) .

ويذكر « الدليل » عزة فؤاد شاكر (مواليد مكة ١٣٦٥) وديوانها « أشعة الليل » من الشعر الحديث ١٣٩٧ .

ولابدّ من وجود أخريات ... ونشر « المنهل » في باب « الشعر المنشور » ، ومن الأسماء المتكررة فيه : نجوى صلاح الغرباوي .

ومما يمكن أن يدخل في باب ما يلفت النظر أن المنهل (رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤) تلقت اعتراضاً شديداً على تسمية « الشعر المنشور » من كاتب (أحمد محمود مبارك) يرتضي الشعر الحر ويقول : (الشعر الحر تطور شكلي للشعر العربي العمودي (...) رواد الشعر الحر (...) أخذوا تفعيلات الشعر الحر الموسيقية من تفعيلات الشعر العمودي التي تكون بحون الشعر الستة عشر المعروفة) .

وكان « المنهل » أقرب إلى تأييد المعارض على (الشعر المنشور) أو كمن يريد أن يرضيه ولو على غير قناعة .

ووجه الغرابة في الموضوع أن « المنهل » كانت تفخر — وقد رأينا ذلك — على لسان مؤسسها الشيخ عبد القدوس الأنصاري بالشعر المنشور !

وغرابة أخرى ليست عجيبة من صاحبها ، وصاحبها الشيخ الكبير — مكاناً وعمراً — أحمد سباعي وقد سئل في السنة الأخيرة من عمره : (يقال : إنك من مؤيدي الشعر الحر المنشور ؟ فأجاب : نعم كنت من المؤيدين له ولاأزال . وأذكر أن الأستاذ محمد حسن عواد (...) كان أول من قال هذا اللون من الشعر المنشور في السعودية وقد وقفت بجانبه ضدّ من تصدى له بالنقد . ورأيت أن الشعر الجديد طالما أنه موزون وفيه موسيقى فلا بدّ أن يأخذ مكانه من الساحة الأدبية . أما محاربة البعض للشعر الحديث فإنّ المجتمع العربي درج على محاربة كل جديد . ويعتبر الجديد بدعةً ، والبدعة تستنكر دائماً . بالطبع أنا لا أنكر أن هناك أشياء في الشعر الحديث لا مكان لها من الإعراب ولا ينبغي أن تكون وهي أشياء ليست من الشعر — تنظر « العرب » الربيعان ١٤٠٤ / كانون ١ ، ٢ — ١٩٨٣ — ١٩٨٤ .

الشعراء الذين يرون أنهم شعراء كثيرون ، وربما كانوا كثيرين جداً ؛ ولا تعني الكثرة - في ميزان النقد - شيئاً ، فعمماً قريب يتقلص العدد - كما تقلص من قبل - فيمضي منهم من يمضي إلى سبيل أخرى من إدارة وتجارة وصمت ... ويبقى في الساحة الأقلون ، وهم بين اثنين : شاعر حقيقي تحول موهبته وما يراه من مجد له دون تحوله ؛ وشاعر غير حقيقي ؛ يُسَوِّدُ الصفحات وينشر ولا يبلغ درجة الوسط في خير ما لديه يستمر . - ولا تدري ، أو تدري - لماذا ؟ أَلَا أَنَّهُ لم يجد مجالاً آخر ؟ أضعف - وجُبُنْ - في النقد ؟

مسيرة الشعر طويلة عريضة ، وما زال الشعراء بارزين في الحركة : الرواد القدماء ودواوينهم ما طبع منها وما أعيد طبعه وما لم يكن مطبوعاً ... والجبل الثاني ... والثالث ولكنهم كانوا في بداية النهضة وكأنهم كل شيء ، ولا تكاد تجد أدبياً من آخر العهد الهاشمي وأوائل العهد السعودي في الحجاز لا يقول شعراً ... ثم جاءت المقالة مع الصحافة فزاوها الشعراء كذلك - ولا غرور فإن فؤاد الخطيب محرر القبلة شاعر كاتب مقالة ، وخير الدين الزركلي كذلك وآخرون ممن ورد على الحجاز قبيل العهد السعودي وفي بدايته ... ثم إن الصحافة تنوّد وقوامها المقالة ... ولا تصعب المقالة على ذي لغة وقلم وهكذا كان هذا الذي تراه في « أدب الحجاز » و « وحي الصحراء » ... وربما تستغرب إذا رأيت أدباء متقدمين (مثل أحمد سباعي) لم يقولوا الشعر !

المقالة - كتابها - كاتباتها :

كانت « القبلة » وحدها ثم جاءت بريد الحجاز . وإذ انتهى العهد الهاشمي كانت « أم القرى » و « صوت الحجاز » ثم سارت القافلة ، وتعددت الجرائد ، وجاءت « المنهل » رائدة في المجالات ...

ولاشك في تأثر المقالة السعودية بالمقالة العربية عموماً وبالمنهجية خصوصاً متمثلة بالمنفلوطي وطه حسين والزيات ... ؛ والمهجرية كذلك متمثلة بجبران خليل جبران . وتذكر مجلة « الهلال » ... ثم مجلة « الرسالة » الواردين باحترام وتأثير من القاهرة .

وهذا يعني أن من كُتِّبَ المقالة - ولا سيما الرواد - من لم يكن يكتفي بالمضمون وحده يوصله فكرة واضحة بلغة سليمة ؛ وإنما يقصد إلى الجمال ، إلى أن يقدم أثراً يجد فيه القاري ما يجد في الشعر ليزيد مفعول المضمون ، وليثبت مكانه أديباً فإذا في المقالة عاطفةٌ وخيال ... وصور ... وإيقاع ... وقد تقرب من الخطابة حيناً ومن القصة حيناً ... ولكنها أقرب إلى الشعر في كل حال ، وأوجد جبران النثر الشعري ، ووُصِفَ نثر أحمد سباعي بالشاعرية ...

والوصف صحيح ، وهو شائع . ولك أن تقرأ مقالاته لترى الشاعرية فيها والطرادة عليها . ومن فاته أن يقرأ في الصحف وفي سائر كتبه فليقرأه في « السباعيات » - وقد صدر منها جزءان ، ولنا أن نتظر ثالثاً - وتذكر أن السباعي من الحجازيين القلائل من جيله الرائد من لم يجمع بين الشعر والنثر ؛ والشعر هو الطاغى عليهم ؛ فجاء السباعي شاعراً في نثره ، ولا غرَّوَ أن كان من الأوائل الذين كتبوا شعراً منشوراً .

قال إبراهيم هاشم فلالي في « المرصاد » : (السباعي ... شاعر وإن لم يدع الشعر شاعر وإن لم نسمع له بيتاً واحداً ، يترك نفسه على سجيَّتها في تعبيره فيأتي تعبيره شعراً مرسلأً محلقاً كأحسن ما يكون التحيات والرفرقة ، والجمال (...) وهو في كل نثره شاعر صافي النفس قوي الأداء رقيق العبارة مُرْفِرِفُ الروح (...) .

وكتاب المقالة كثيرون ... وهم في دور الريادة هم الشعراء وهم المقالِيُّون وظلُّوا - بعد ذلك - غير قليل يشربون النوع نسخاً (؟) من الإبداع تكلفاً أو طواعية أو تكلفاً يقربهم من الطبع ؛ ولا تهمنا الدرجة - هنا - قدر ما تهمنا الظاهرة . ظاهرة الفن والتفنن ، وفي الجرائد ما يمكن أن تختار منه مجلداً ممتعاً لوشت ، ولا بُدَّ من أن يصنَّع هذا المجلد من مختارات المقالات يوماً . وبانتظار ذلك المجلد ، نعود إلى « أدب الحجاز » و « وحي الصحراء » وربما إلى « نفثات من أقلام الشباب الحجازي » الصادر سنة ١٩٣٧ . ورأينا من الكتاب من جمع قدراً من مقالاته في كتاب ، وفي طليعة أولئك الشيخ السباعي ... ثم إبراهيم فلالي وأحمد عبد الغفور عطار ... وسعد البواردي .

ثم رأينا ، بعد ذلك ، وبعد الـ ١٣٩٠/١٩٧٠ من جمع - أو جُمِعَت - له المقالات ونشرت في كتاب ، ومن أولئك غير الشيخ السباعي : حسين سرحان ، ومحمد سعيد العامودي ، ومحمود عارف ومحمد حسين زيدان ... والبقية تأتي ... وفيها عزيز ضياء وعبد العزيز مؤمنة ... وآل حافظ ... وعبدالله مناع والدعوة إلى مجلد المختار من المقالات المبدعة قائمة ... كما الدعوة إلى دراسة المقالة دراسة أدبية في رسالة علمية قائمة كذلك وياحبذا لو عُنِيَ جامعو المقالات بتثبيت تاريخ النشر ومكانه ؛ وفي ذلك خدمة للدارس والناقد

وقد عرفنا حسين سرحان شاعراً لم تكن منزلته يوماً مجال نقاش أو مؤاخذه . ويبدو أن هذه الشاعرية - في الموزون المقفى - غطت على مكانته مقالياً مُبدِعاً . أسهم في الصحافة السعودية منذ أول جريدة فيها : « أم القرى » ثم في « صوت الحجاز » ثم في « البلاد السعودية » ... ولمقالاته شخصية متميزة هي سمة الإبداع ، وفي مقدمتها ، غير بنائها العام وتسلسل فقرها ، عُنْفٌ في الروح ، وسخريةٌ ، وقوة في الرأي وجمال في الصورة ، ووثبات تزيد النص حياة ، والقارئ تنبهاً ...

من بقرأ « من مقالات حسين سرحان » - النادي الأدبي ، الرياض ١٤٠٠ - ٢١٦ص يكشف في الشاعر كاتباً شاعراً من نمط خاص ، يتكامل فيه الفنان ولن يُدْرَس - بعد اليوم - شاعراً منفصلاً عن المقالي ...

وبقيت الأقلام تراود الإبداع ، والإبداع يراودها طويلاً ، وكنت ألاحظه وقد نهياً لي ، منذ ١٣٨٣/١٩٦٣ ، أن أقرأ « المدينة » و « البلاد » وغيرهما واكتسب ضرباً من الحيوية بُعيد نظام المؤسسات (في العام نفسه) ثم شرع يحف ويندر ، وعادت المقالة إلى الطابع العام ، طابع الصحافة فقط ، إلى الإيصال التعليمي وحده ، وكأنَّ الكاتب عل عجلة من أمره ، وربما كان القارئ كذلك ، لدى الإيصال والتلقّي . ولم تكن السعودية في ذلك على خلاف ما جرى في العالم العربي ، وفي العالم كله .

وجمع عدد من كتاب المقالة ما كتبه وأصدروه في كتب - وحسناً فعلوا ،
وفي الذي كتبه فنٌ وشاعرية أحياناً يكونون به الجيل التالي - أو المتُمتعُ للجيل
الأول في تواليه من السباعي إلى السرحان ...

ونبدأ هذه المرة بالرياض حيث صدرت - بنظام المؤسسات - جريدة الجزيرة
ثم الرياض ، [وقبل ذلك] صدرت الإمامة ... فكان ذلك دعوة مباشرة للأقلام
والمبادرة إلى الكتابة والتنافس في الأنفع الأجمل ... الأقوى تأثيراً .

ولدينا مما كتب في « الجزيرة » - ١٣٨٨ - و « الرياض » - ١٣٩٠ - مع
أحاديث ومقالات أخرى - مجموعة الدكتور عبد العزيز بن عبدالله الخويطر : « من
خطب الليل » - الرياض ط ٢ ، ١٣٩٨/١٩٧٨ - ٢٤٨ ص . جاء في مقدمتها :
(الفكرة تخطر في ذهن الإنسان ، فيقيدها ، تصبح بمنزلة ابنته ، يعزُّ عليه أن يشيدها
بعد أن تولد ، أو أن يهملها وهي جزء منه (...) إنها تصبح منه ، ومنسوبة إليه ،
بما فيها ، وما لها ، وما عليها ... » .

ويمضي الكاتب في تواضع وكأن له من انصرافه إلى (الإدارة) و (التاريخ)
ما يسد حاجته ، ويريه (الكثير) في غيرهما قليلاً ...

والخاطرة الذهنية هي التي تحدد مركز الثقل في المقالات التي تضمُّها المجموعة ،
ويقال من المعنى الأدبي بناء وطراوة - غلبة القصد في التعليم الاجتماعي التربوي وربط
ذلك بوسيلة الإيضاح بحدث وقع أو حكاية عرضت . وهذه التعليمية مقصودة قبل
الطراوة ومن ثمَّ فهي مرتبطة بالعقل والموضوعية أكثر من ارتباطها بالقاب والذاتية .
وقد تجتمع الموضوعية والذاتية كما في « إلى ابني » (ص ٩٢) .. وينظر للأسلوب
ومنهج الكاتب ص ٨٥ ، ١١٨ .

وكتب في الجزيرة والإمامة ... آخرون ... ولو استمر الوهبي لكان له مجموع
فيه عنف الناقد وسبولة قلم الأديب ...

وأبرز المقالين من أصحاب الكتب المجموعة عبدالله عبد الرحمن جفري :
وهو في ذلك أقوى منه قصاصاً — ومن كتبه المقالة : « لحظات » ، و « حوار
وصلى » ...

وأصدرت له تهامة ١٩٨١/١٤٠١ « نبض » جاء الأستاذ سباعي عثمان في
تقديمها :

(حينما صدر كتاب الزميل عبدالله جفري ، بعنوان « لحظات » منذ بضع
سنوات ... تساءل كثيرون ممن اطلعوا عليه : شعر هو ، أم نثر ، أهو كلام بين
الشعر والنثر ، وبعضهم وصفه بـ (الضبابية والتهويم الخالم) !! ...)

ثم أصدرت له « حوار .. في الحزن الدافئ » ١٩٨٣/١٤٠٣ وقد قال الناقد المصري
رجاء النقاش في مقدمته : (... إن عبدالله جفري كاتب له (شخصية) (...) ومدخل
عبدالله جفري إلى قلوبنا وعقولنا (...) من باب الشعر ... فالروح الشعرية عنده
واضحة (...) باختيار ألفاظ تقطر بالندى الشعري وفي حرصه على توفير جو
من (الموسيقى الداخلية) لكتاباتهِ حتى تبدو في معظمها وكأنها من « الشعر المنشور » ...

وننتظر مجاميع أخرى لأنَّ الرجل في خضم عالم الصحافة وهو (المدير المتفرغ
لتحرير صحيفة « الشرق الأوسط » العربية ، ومجلة « المجلة » الأسبوعية ...) .

وكنت أقرأ — الأستاذ عبدالله الحُصَيْن فألح في مقالاته القصد الفني لدى إخراج
فكرته محاولاً بذلك اجتذاب القاري والتأثير فيه ، وينجح أحياناً وكلما ابتعد عن
التقريرية . وهو اليوم يجمع مقالاته لتصدرها له تهامة ١٩٨١/١٤٠١ بعنوان « أفكار
بلا زمن » — ولا توجد أفكار بلا زمن ، ولكن توجد أفكار يمكن أن تقرأ خارج
زمنها وكأنها ليست بنت زمانها بفعل (الإخراج) والإخراج فن . وأهدى المؤلف
كتابه : (إلى الباحثين عن الحقيقة وسط ظلام الحياة ، وظلم الأحياء . أقدم هذه
السطور ، فلعل فيها ضراً من الحقيقة . لعل فيها مواجهة للنفس في لحظات صدق
مع الذات) .

ولابدَّ من أن تكون هناك كتب أخرى صدرت لِيَتَضَمَّ مقالات سبق نشرها ،
وفي عناصر بقائها ودواعي إعادة نشرها سِمَةً من الفن وطابع من الشعر ، وعنفوان
من الفكر ...

وهنا يرد اسم : أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري . قلت اسم ، وما هذا باسمه ،
ولمّا هو محمد بن عبد الرحمن العقيل ، من آل عبد الوهاب من الخزرج تَحَدَّرُوا
من المدينة المنورة إلى نجد في حدود القرن الحادي عشر الهجري (...) مولده في
حفيظة النفوس سنة ١٣٥٧هـ ثم ترجع له أن مولده سنة ١٣٥٩ بموجب وثيقة وجدها
في أوراق والده عمر رحمه الله .

عمل موظفاً في إمارة الدمام ؛ ثم موظفاً بديوان الموظفين العام (ديوان الخدمة
حالياً) ثم مديراً للخدمات برئاسة تعليم البنات . ثم مستشاراً شرعياً بوزارة الشؤون
البلدية والقروية — وما يزال .

وعمل رئيساً للنادي الأدبي بالرياض ، وما يزال أحد أعضائه .

وكنا وقفنا عنده في صاب المعجم بما تيسَّر لدينا عنه آنذاك وأقدم ما ثبتناه له من
الكتب طبع سنة ١٣٩١ / ١٩٧١ فهو بعد الحد المحدد لنهاية المعجم ، أما الآن وقد
اتضح نشاطه (النادر) وجدَّتْ لدينا هذه الأخبار عنه فقد رأينا ضرورة إثباتها ،
وزاد في الضرورة قوله — وهو في عام ١٤٠١ — : (طبع له خمسة وثلاثون كتاباً)
وبدأ أن ليس من المنطق أن يكون قد طبع هذه الـ ٣٥ كتاباً في عشر سنين : فقد
يكون بينها ما يدخل ضمن حدِّي المعجم ، وذلك ممكن .

حدثنا الرجل عن نفسه بالأخبار الواردة هنا عنه على ظُهور كتاب . هو مجموعة
مقالات ، أصلرتها له تهامة ، جدة ، مطابع دار البلاد بجدة بعنوان « لن تلتحد » هو
الحلقة (٩٢) من سلسلة الكتاب العربي السعودي .

قال في مقدمته : (... لم يكن هذا السَّفَرُ مقصوداً منذ البدء في صميم هذه

الموضوعات وإنما كانت مواده من جملة المحاضرات والمقالات التي كنت أنشرها في الصحف خلال عشرين عاماً . فقد أهملتُ جملةً منها وحفظته لأنني غير راضٍ عنه ، وما رضيت عنه وزعته في أسفار تحت عنوان عام هو « الفنون الصُّغرى » إلا أنني ميّزتُ بعض الأسفار بعنوانات خاصة لما رأيت موضوعاتها موحدة الهدف ، فكان السفر الأول بعنوان : « هكذا علمني وردزورث » لأن مواده من موضوعات الفن والأدب التي توزن بالمعيار الجمالي . وكان هذا السفر ... وهو السفر الثاني ... عن قضية الإيمان والإلحاد ، وكان الثالث بعنوان : « اللغة العربية بين القاعدة والمثال » ، وكان السفر الرابع بعنوان « هموم عربية » - الرياض ، غيراء ، دارة فيصل ١٤٠١/١/٢٦ - وجريدة البلاد أول ما يذكر لأماكن النشر .

وحدث - لدى الطبع تقديم الثاني « لن تلحد » على الأول « وهكذا علمني وردزورث » فقد صدر هذا عن تهامة ، جدة ، مطابع سمر ، ١٩٨٣/١٤٠٤ - الكتاب العربي السعودي (٩٩) ... وبانتظار الكتابين الباقيين .

ويبدو من المقدمات أن كتب - أو مقالات - أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري تعترضها عقبات عند النشر ، تدعو مرة إلى التأخير ومرة إلى التعديل . وليس في الأمر غرابة لأن أبا عبد الرحمن ظاهرة لا تخلو من غرابة في مكانها أو في نظرتها إلى الأشياء ... وهذه النظرة أو هذه الغرابة هي التي تجعل لمقالاته - وخاصة ما جاء في « هكذا علمني وردزورث » طابعاً خاصاً وشخصية متميزة ، وأسلوباً ... يدخلها في الأدب الفني ويقربها من المقالة المبدعة إن لم يدخله فيها .

وهاك سطوراً من المقدمة تُهيئُ لصاحبها مكاناً بين الفنانين مزاجاً وهو أساس - فيما بعد - في تحديد هوية الناتج . قال : (... وهذا العنوان وحي مصادفة محضة لقصيدة لوردزورث ... - وإن كان أسبق مني زماناً - إنه إياي يعني . وجدته يبارك عملاً جليلاً كبيراً لطفل (...) يدور هذا السفر على ... اعترافات ذاتية (...) باعثها الصدق العاطفي أحد ظاهرات الجمال ، وهو خير مسجل لعبث الأطفال الكبار ...) .

هذه العاطفة التي يؤكدُها أبو عبد الرحمن ليست العاطفة التي تتبادر إلى ذهن من
شؤون الحب والغرام وما إليهما من قواعد الشعر الغنائي ، وإنما هي عاطفة ذهنية
— إن صح التعبير ...

إننا لا نطلب عند الرجل الشاعرية الوجدانية ، ولا نطلب اللفظة المختارة الأنيقة
التي تنتظم مع جارثها ضرباً من الموسيقى ... ولا أي تأني آخر يدخل في الترف اللفظي ،
فالرجل من عالم آخر ، عالم العقل والمنطق والإقناع .

— فهو كاتب مقالة تعليمية تقريرية !

— قد يكون ذلك في عدد من مقالاته ، ولكنها ليست التعليمية التي توصل مادة
جاهزة راكدة ، وإنما هي الوسيلة التي تحرك ذهنًا ، ولا التقريرية الهادئة الجامدة
الساكنة وإنما هي تحدّ وطموح وإثارة .

ومن هنا جاء حظّه في المقالة الفنية . ليست تعليمًا ولا تقريراً لأنه عنيف وإن
شئت استفزازي ، يستفزك إن كنت معه ، ويستفزك إن لم تكن معه ، بضربات
متلاحقة تبدو متباعدة الطرفين لديك وما هي كذلك في نفسه . فلا تأمنه إن لأنّ ،
لأنه يلينُ لِيَسْتَدَّ ، ولا تُصَدِّقه إن تواضع ، لأنه يتواضع لغزارة من الثقة
بالنفس ، هي فخر يصل حدّ الخيلاء ثم يرتدّ إلى الألفة والمصادقة . تستخدم العاطفة
خلال عقله ، ويستخدم عقله لِيَبْدُو عاطفة وخلال ذلك خليط عجيب من التجارب
والآراء والمعارف ... مرة قديم جدًّا إلى جديد جدًّا ، ومن شرقي شرقي إلى غربي
غربي ... لا تدري كيف تجمعت في ذاكرته ... وكَمْ قرأ حتى جمعها !! ومن ثمّ
تَسْبِيقُ صورُ تراها غير مألوفة — وربما غير معقولة — ولكنها مألوفة لديه — طوع
يده — قد يذكرك بركي مبارك إذا أردت أن تتذكر روحه — ولا أقول عقله ، وإذا
كان لا بُدَّ من مقابلة . ولا يذكرك بالعقاد على أن الميدان ميدان عقل وثقافة وقراءات ،
ولو كان كالعقاد لوصفناه بالتعليمية ومضيًا .

فن المقالة لديه — إذن — متميّز بالعنوان الفكري لدرجة أن يبدو اضطراباً

وشنوذاً وثقة مطلقة بالذات وما تعتقده هذه الذات ؛ ومتميز - كذلك - بـ (التلاعب المنطقي) إن طلبت بديلاً عن (التلاعب اللفظي) الذي تراه لدى غيره واضحاً أو خفياً ...

وإذا بدأت معه مقالة ... لم تجد بُدّاً من السير معه حتى ينتهي ؛ وعند الانتهاء ، ترضى أو لا ترضى - تضع علامة العجب والتعجب وكأنك تعايشُ (طِفْلاً شَكِيساً) .

بقي أن الشيخ أبا عبد الرحمن بن عقيل الظاهري لم يحدثنا - إذ عَرَفْنَا بنفسه - مكان ميلاده ؛ ولكنه أشار إلى أن في كتاب « هكذا علمني وردزورث » : (اعترافات ذاتية) وافتتحه بمقالة طريفة ذات دلالة على فنه وعقله ومقروئه عنوانها (الطفل الكبير وكفر أبي صير) والطفل الكبير هو هو دون شك ، و (أبو صير ريفٌ يمرح على ضفاف إحدى الترع المناسبة من النيل الخالد) في مصر . (وكفر أبي صير ريف لأسر من القبائل العربية الأصلية المهاجرة من الجزيرة العربية وبلاد الرافدين . اتخذته مخدعاً للحب المحفوف بكلمة الله وخطبة ابن مسعود ! إذ غادرته مودعاً أرض الكنانة مستقبلاً تناثف نجد تمتلئ بقول أبي الطيب :

أَحِبُّكَ يَا شَمْسَ الْبِلَادِ وَبَدْرَهَا وَإِنْ لَأَمْتَنِي فِيكَ السُّهُيَّ وَالْفِرَاقِدُ ..

[العرب : من كفر أبي صير اختار أبو عبد الرحمن زوجته الثانية ، أما مسقط رأسه الذي ولد فيه فمدينة شقراء في نجد] .

ولم يعرفنا عن دراسته . ونعرف أنها أساساً شرعية وقد قال في مقدمة « هكذا علمني ... » (ومؤلف هذا الكتاب من حملة العلم الشرعي شهادته : ماجستير من معهد القضاء العالي في الرياض في التفسير) .

ولاشك أن علمه خارج المادة المنهجية أكثر في المادة المنهجية . أكثر كثيراً فلا تكاد تُحصي أو تلاحق ما قرأ واستوعب من قديم وحديث ، وممنوع ومتبوع ... وذكر لنا في مقدمته تلمذته لمجلة الرسالة ثم تلمذته بأخرة للآداب ...

ويهما من « الرسالة » أنها مدرسة المقالة العربية ، ومدرسة تلوق المقالة والإيجاء
بمزاوتها .

وتذكرني الرسالة بالزيات ، وأذكرها وأذكر الزيات ، بعيداً جداً عن عالم
أبي عبد الرحمن وأسلوبه ، لأذكر الأستاذ عبد العزيز الرفاعي وقد سمعته لأول مرة
يلقي (حديثه) في بغداد — مؤتمر الأدباء العرب السابع ١٣٨٩/١٩٦٩ فكان اختياره
للفظ ، وكانت أناته ازاء الجملة ... مما يذكر بالزيات ... أقول : (حديثه) إشارة
إلى نبرة محببة في صوته تحسب لدى الإلقاء .

الأستاذ الرفاعي لم يجمع مقالاته والملاحظ عليها غلبة التعليم الأدبي والاجتماعي
مع ميل مقصود إلى التطرية . سعيًا إلى كسب القاري في المتابعة . وقد تأتي التطرية
ملحة وفكاهة ، وقد تأتي شجوناً في الحديث .

نخلص إلى أن كتاب المقالة كثيرون ، ونشأوا وترعرعوا وشبوا وشاب جيلان
منهم ، لحقهم كهول وهاجسهم لدى الكتابة الفن ، ويبقى الاختلاف في القدر
المتحقق وذلك رهن بالموهبة والجد والاستمرار ...

ثم شرع هذا الهاجس يَخِفُّ أو يَجِفُّ وعادت الكثرة الكاثرة من المقالات
كتابةً فقط . ترى أنطمع بخليفة لعبدالله جفري ؟

وطبيعي أن يكون للمرأة مكانها من المقالة خلال المدة المحدودة للمعجم ،
وبخاصة لدى أواخرها ، في الأبواب النسائية — الاجتماعية من الصحف ... ثم
ازدادت وتنوعت . وقد تشبثنا ذات يوم باسم خيرية السقاف وسميرة لاري : (خيرية
إبراهيم محمد السقاف ، ولدت في ١٣٦٩/١٢/١٨ % ١٩٥١ بكالوريوس أدب عربي ،
سميرة أحمد لاري ، مواليد جدة ١٩٤٩ ، ليسانس صحافة من جامعة القاهرة) ،
وعُدَّ ذلك فتْحاً بعدما كان من اختفائها في العقود الأولى ، ومن الدعوة إلى تعليمها ،
وربما كتب الرجال بتوقيع نساء دفاعاً عنها وإعلاناً لها ...

وزاد نشاطها ، وصارت لها مجلتها — بعد الحد المحدود — بل مجلاتها (الثلاث) ...
وكثيراً ما جمعت إلى المقالة القصّة ... أو القصّة إلى المقالة ... أو الشعر إلى المقالة ...

ولديّ من الأسماء : فوزية البكر ، رقية الشيب ، شريفة الشملان ، قماشة
السيف ، عهود الشبل (وهي حصّة محمد صالح الشبل) ، فوزية العريفي ، فوزية
أبو خالد ، شيرين حمزة شحاته ، سهيلة زين العابدين ، عابدية إسماعيل خياط ،
منيرة المسعود ، نائلة قسّتي ، جميلة فطاني ، أميمة الحميس ، إيمان الدباغ ، بهية
بوسبيت ، — ينظر دلائل الكاتب السعودي . وتتردد في « المنهل » الجديد أسماء للمرأة
منها : حياة عبد الحميد عنبر وأمجاد محمود رضا ... وغيرهن وغيرهن ، ومنهن
من يعملان على جمع المختار من مقالاتهن لطبعه في كتاب — وتبقى العبرة في المقالة
كما هي في الشعر والقصّة فيمن تبقى وتستمر وتتقدم وتبدع . وليس من طبع الإبداع
الكثرة !

أقول هذا وإزائي كتاب يضم مجموعة مقالات للدكتورة فائزة أمين شاكر
باسم « نبت الأرض » — جدة ، تهامة ، سلسلة الكتاب العربي السعودي (٣٥) ،
مطابع النصر ١٩٨١/١٤٠١ — ٢٦٢ ص . وفي التعريف بالكاتبة المقالة يقول الغلاف
الأخير من الكتاب : ولدت بمدينة جدة عام ١٩٤٠ م .. وتلقت تعليمها الأوّل فيها ..
مارست الصحافة في وقت مبكر من حياتها .. فكانت أول صحفية سعودية تتولى
الإشراف على صفحة نسائية بجريدة عكاظ بين أعوام ١٣٨١ — ١٣٨٣ هـ (؟) .

أول مذيعة سعودية .. قدمت البرنامج النسائي الشهير بعنوان (البيت السعيد) ...

تخرجت (في) كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٦٢ م . سافرت إلى أمريكا
لمواصلة دراستها العليا وتحصلت على الماجستير عام ١٩٦٦ م .. ثم تخصصت على الدكتوراه
عام ١٩٧٢ م وكان موضوع رسالتها : « التطور الاجتماعي والحضاري للدول النامية » .

عادت إلى المملكة عام ١٩٧٧ م وانضمت إلى هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز

— جدة — أستاذة بقسم الطالبات .

واصلت « مشوارها » الصحفي في زاويتها المعروفة بعنوان « حوار » في جريدة « الشرق الأوسط » الدولية ..

اختيرت رئيسة لتحرير مجلة « سيلتي » التي تصدرها الشركة السعودية للتسويق .. حيث استعيرت خدماتها من الجامعة عام ١٩٨٠ م .

تقرأ في الكتاب ، كتاب « نبت الأرض » فترى (الفن) غالباً على قلم الكاتبة ، وتقع على (قطع) هي امتياز في الشاعرية الوجدانية لو درست صاحبته مع الشاعر لما أنكركم عليك منكر .

كتابة المقالة ليست صعبة من حيث هي في (أبسط) دلالاتها التي تقف عند التعبير وحده . وهي حتى في هذه الحال ذات دلالة لدى الحديث عن المرأة اجتماعياً وفكرياً . لقد بدأتُ تبلى ، وكانت لها الأبواب الدائمة في الصحف ، وكان منهن المحررات الدائمات ... ثم دخل القصد الفني ، ووُجد التوفيق أحياناً .

ومن هنا جاء عمل الأستاذ عبد الكريم بن حمد الحقييل في كتابه « من أدب المرأة السعودية » . قالت « العرب » : « مجموعة مقالات لنحو مئة كاتبة من فتيات هذه البلاد ... في ٢٥٦ صفحة وطبع الكتاب في المطابع النموذجية ، في الرياض ، صدر هذا العام (١٤٠٣) ... » .

القصة :

والقصة جديدة على السعودية كما هي جديدة - في شكلها الفني الواقعي - على الأقطار العربية كلها ، ولا بُدَّ لدى البحث في نشوء القصة السعودية أن ترجع إلى تأثير القصة المصرية ، والصحافة المصرية ... وما وصل الحجاز مترجماً إلى العربية ... حتى أحسَّ الأديب الحجازي بأهميتها وألمَّ بشيء من سماتها وشرائطها ورأى ضرورة الكتابة فيها .

وفي عام ١٣٤٩/١٩٣٠ أصدر عبد القدوس الأنصاري : « التوأمان » : « أول رواية صدرت في الحجاز » .

ثم نشر في جريدة « صوت الحجاز » قصة قصيرة بعنوان « مرهم التناسي » في العدد ٧٢ بتاريخ ٨ جمادى الثانية ١٣٥٢/٢٩ أغسطس ١٩٣٣ في باب : « قصص اجتماعية : رواية الأسبوع » .

وفي العدد ٨٢ كتب عنها محمد حسن عواد بما يدل على إلمامه بما هي عليه القصة الحديثة على الرغم من شدته في الحساب الدرجة التهجم وظهور العنصر الشخصي الذي يجور على المعنى المطلوب في الناقد الأدبي الصحيح .

وتُعْتَبَرُ « المنهل » عناية جادة بالقصة - ينظر الكتاب الفضي ١٣٨ - ١٤١ وللأديب الجزائري أحمد رضا حوحو مكانه البارز في القصة والمنهل ، ونذكر معه محمد عالم الأفغاني فيما نشر في المنهل ، وغيرها ، ومما له في المنهل قصة متسلسلة بعنوان : (الكأس الأثرية) نشرت بدءاً من صفر ١٣٦٥ / يناير ١٩٤٦ في العدد الثاني والأعداد التالية حتى العدد الثامن . ونشر فيها سعوديون ، ومن ذلك « فكرة » للأستاذ أحمد السباعي موزعة على العدد الرابع والخامس من المجلد السابع ١٣٦٦ . ثم أصدرها في كتاب .

توقف الأنصاري عند البداية وذهب اهتمامه إلى المجلة والتاريخ واللغة ... على حين مضى السباعي في طريقه القصصي - مع شغله بالتاريخ والصحافة - حتى نشر في ثمانينات القرن الهجري / ستينات الميلادي في جريدة « المدينة » قصصاً قصيرة طليعتها « خالتي كدرجان » فدل على تطور وكتب قصة تقرأ وتعجب وتختار ، ثم جمع قصصه وأصدرها في مجموعة عنوانها « خالتي كدرجان » - أعادت تهامة نشرها في طبعة ثانية وأعلنت عن طبعة ثالثة وهذا ما لم يتهياً لأية قصة كتبها الرواد والشيوخ ...

وثالث « رواية » سعودية صدرت هي « البعث » لمحمد علي مغربي (١٩٤٨ / ١٣٦٧ ؟) ، وقد أعاد طبعها ١٤٠٣/١٩٨٣ بطلب من تهامة .

وكتب محمد سعيد العامودي القصة مبكراً في المنهل ، وكان من أوائل الداعين إلى هذا النوع من الأدب (ينظر المنهل الفضي) ولكنه لم يجمع ما نشره في كتاب . وصدر له مؤخراً عن دار الرفاعي بالرياض الحلقة الأولى من سلسلة « دنيا القصص » التي افتتحتها الدار ، وعنوانها : « رامز وقصص أخرى » ١٩٨٣/١٤٠٣ - هي سبع قصص الأولى (رامز) نشرت أول مرة في جريدة « صوت الحجاز » ١٣٥٥/١١/٢٧ ، والميراث ، وذكرى ، ومأساة أم ، وجزاء ، في المنهل ، والأخيرة (شيلوك الأخير) في البلاد السعودية ١٣٦٦/٨/٢٥ - وكان من المناسب أن تتقدم المجموعة ما كتبه الأستاذ العامودي في المنهل ١٩٧٣/١٣٥٦ مستعرضاً نواحي الضعف في أدب الحجاز ومنها خلوه من القصص ...

ترك الأستاذ العامودي القصة إلى اهتمامات أخرى ، أدبية ولكنها ليست للقصة . ويمكن لباحث في القصة التي صدرت على هيئة كتاب أن يقف عند أحمد عبد الغفور عطار ومحمد عمر توفيق .

وإذا وصلنا حامد دمنهوري وصلنا إلى مرحلة متطورة في الرواية قد تمثل نهاية مرحلة قدر ما تمثل بداية مرحلة تكون رائدة فيها ... وشغل دمنهوري بالإدارة (في وزارة المعارف ، واختارته المنية) ...

وحين دخلتُ الرياض ١٩٦٣/١٣٨٢ (فتحت عيني) على مجموعة « طين ودم » لعبد الرحمن الشاعر فإذا هي جديرة بالقراءة والدلالة على اطمئنان الفن القصصي ، ولكن « طين ودم » بقيت - لصاحبها - من غير غد ... ولئلاً نظلمه نقول : إنه نشرها وهناك (عن مجلة عسكرية) عدداً محدوداً من القصص ، وأنه يستعد لطبع مجموعة ثانية بعنوان « عذاب الحرية وأحذب مفوحة » .

أما الذي يتردد في الساحة ، فيؤاف ، ويوالي التأليف والنشر رواية وقصة فكان إبراهيم الناصر ... وقد ودَّعتُ الرياض ١٩٦٨/١٣٨٨ وهو بارز فيها مقررناً بها وقرأت له « أمطار » ولمحت التّقدم ومضى (بعدي) يوالي النشر والتأليف وإعادة الطبع ...

وكتب آخرون غير قليلين ، منهم من كان له كتاب واحد ومنهم من كان له أكثر من كتاب ، منهم من انقطع ومنهم من استمر رأيتهم في « المعجم » ورأيتنا . - فممن رأيتنا - عبدالله جفري ، وأمين سالم رويحي ، ومحمد زارع عقيل ، وخليل إبراهيم الفزيع ، وأمين عبد المجيد وغالب حمزة أبو الفرج ، ومحمد عبدالله مليباري ومحمود عيسى شهدي ... ، وللقمان يونس نكهة خاصة ولكنه لا يجد في نفسه الشجاعة أو الهمة على الاستمرار ! مع أنه يبذل كثيراً من المستمرين ، ويتميز منهم . وإذا كنا ذكرنا لعبدالله مناع (الدكتور في طب الأسنان ، ولد في جدة ١٣٥٨) لمسات وهي مجموعة قصص ١٩٦٠ فقد فاتنا ذكر مجموعة « أنين الحيارى » ١٩٦٨ .

أما بعد ذلك ، وبعد الحدّ المحدد لنهاية المعجم فقد ازدادت القصص ، ونشأ كتاب جدد ، وإن ظلت القصة القصيرة - كما هو طبعي - هي السيدة السائدة وتعدد أجواؤها ما بين القلب والعقل ، والغاية الاجتماعية المباشرة أو غير مباشرة أحياناً بما تعكس من ضيق أو أزمة وتعريف بتقاليد يراها الكاتب بآلية تحوّل دون التقدّم وبين القصد إلى الفن وأطوار من حالات النفس ... في العقل الباطن وتيار الوعي

وأصدرت مجلة عالم الكتب (مج ١ ، ع ٤ ، ربيع الآخر ١٤٠١ / ١٩٨١) عدداً خاصاً بالقصة في المملكة العربية السعودية لا يستغني عنه دارس . وللدارس أن يتابع الأعداد التالية فيما تذكره من أمور القصة دراسة أو تعريفاً أو إخباراً عن صدور .

ولك أن تلتقط من أسماء المؤلفين - مستعيناً بحبي ساعاتي ومطبوعات النوادي الأدبية وكتاب الدكتور نصر محمد عباس : « البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة » ١٩٨٣ / ١٤٠٣ وكتاب الدكتور منصور الحازمي : « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » : سليمان الحماد ، محمد المنصور الشقحاء ، حجاب يحيى الحازمي ، عبدالله السالمي ، محمد حمد الصويغ ، عبد العزيز صالح مشري ، صالح سالم باقارش ، عاشق عيسى الهذال ، جارا الله الحميد ، عبدالله عبد الرحمن العتيق ، حسين علي حسين ، علي محمد حسون ، عبدالله سعيد جمعان ، حسين هاشم سالم ، محمد بن طلال ، فائز

عبد المجيد ، فؤاد عبد الحميد عنقاوي ، طاهر عوض سالم — هذا غير علوي طه الصافي في « مطلات على الداخل » .

وعُنيَت النوادي والجمعية بالقصة والقصاصين .

ولابدَّ من أن يكون غير هؤلاء ، وأن يكون الذي تحت الطبع لعبد الرحمن العتيق ، وحسين علي حسين وعلي محمد حسون وعبد العزيز أحمد ساب وعبدالله باخشوين قد صدر أو صدر أكثره ، غير ما بقي ويبقى طيّ الصحف والمجلات .

وليس العدد بالقليل ، وتبقى مسألة النوعية العالية خارج دائرة « المعجم » ولابدَّ من الانتظار ، ولابدَّ للقاص السعودي من بحث عن عوالم تساعد على الإبداع والتميز ، على أنك لا تعدم الجودة أحياناً ، والجهد المبذول في أن تأتي القصة فناً .

ونشر الدكتور منصور الحازمي بحثاً قيماً عن « القصة القصيرة في الأدب السعودي الحديث » — عالم الكتب ربيع الآخر ١٤٠١ / فبراير ١٩٨١ ، أعاد نشره في كتابه « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » وسار في استعراضه حتى بلغ جيل الشباب فكان مما قاله : (لم تظهر فيما أعلم ، مجموعات قصصية لجيل الشبان من القصصيين قبل نكبة حزيران سنة ١٩٦٧م ؛ بل إن معظم هذه المجموعات من نتاج السبعينات (...) لقد اختلفت القصة القصيرة على أيدي هؤلاء الشباب اختلافاً كبيراً عما كانت عليه عند أسلافهم من الواقعيين . لم تعد تُعنى بالبيئة المادية أو الواقع الحسي ، بل باللمحظات الشعورية والمواقف النفسية المتوترة . ولم تعد تهتم بالمشاكل الاجتماعية اهتماماً مباشراً ، بل بما قد تعكسه هذه المشاكل من أحاسيس ذاتية غامضة ، لا تبحث عن حل معين ، وإن كانت توميّ إليه أحياناً . والحقيقة أنه من الصعب أن نبحث عن موضوع معين في القصة الجديدة — على الطريقة التقليدية — ذلك لأن الموضوع الحقيقي هو القاص نفسه الذي اقتربت لغته من لغة الشعر : والذي يرى العالم الخارجي من خلال تأملاته وأحلامه وأفكاره التي لا تنظم منطقياً في اتجاه محدد ، وإن كانت تتجمع آخر الأمر حول بؤرة شعورية واحدة .

إن الغربة في المدينة لم تعد غربة مادية (...) بل هي غربة الفكر وغربة الروح ...

إن قصة الخيل الحديد قد أثبتت رغم طفولتها - زمنياً - قدرتها على شق طريقها وفرض وجودها كفن أدبي متميز - ولكنه مزيج من مذاهب شتى تختلط فيه الرمزية بتيار اللاوعي والسريالية واللامعقول (والوجودية) - وهي على الرغم من غموضها وعزلتها وتشاؤمها ، فقد استطاعت - بعض نماذجها الجيدة - أن تفتح آفاقاً جديدة للقصة المحلية لا عهد لها به .

وقد وصف الدكتور الحازمي أبناء هذا الخيل (السبعيني) بالغرباء .

ونذكر أن هذه الظاهرة ليست سعودية فقط ، فما ذكره الدكتور الحازمي يكاد يكون وصفاً دقيقاً للجيل الذي سمي الستيني في العراق . ومثله كان في مصر والشام ...

ونقف قليلاً عند مجموعتين : الأولى لما أثارت من (نقد) والثانية لتمثيلها موجة الشباب « السبعيني » :

١ - الصمت والجدران لسباعي أحمد عثمان - من مواليد السودان ١٩٣٧ ، درس في الخرطوم وانقطع عن الدراسة في السنة الثانية بكلية الآداب . ارتبط عمله الصحفي بجريدة « المدينة » وهو المشرف على صفحتها الأدبية .. - طبعت مجموعته ثلاث مرات وليس هذا بالقليل وحالته نادرة أو فذة في بابها .

أحدثت « الصمت والجدران » حركة أدبية قليلة المثال . قال صاحبها وهو يقدم للطبعة الثالثة - وقد صدرت عن : نادي القصة السعودية : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون - فرع المنطقة الغربية بجدة ، مطابع دار البلاد بجدة ١٤٠٢/١٩٨٢ : (لا أدري كيف أعبر عن إحساسي تجاه هذا الدفق الكبير من الاهتمام بمجموعي « الصمت والجدران » فقد غيّر الكثير من ظنوني ، وشكوكي وقت صدورهما ... لأنها وإن ظهرت في عام ١٣٩٩هـ مجموعة في كتاب - فقد نشرت في جريدة المدينة منفردة منذ عام ١٣٨٥هـ في أزمّة متباعدة ، أو متقاربة ، ونشرت آخرها في عام

١٣٩٠هـ ... ودفعَتْ بها إلى الطبع في ذلك التاريخ .. حيث بقيت في بيروت تحت رحمة الحرب الأهلية سنواتٍ ... ثم بادر نادي الطائف الأدبي فتولى طباعتها في عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .. ثم انتعشت طبعة بيروت فجأة - عن الدار السعودية للنشر - وصدرت في كتاب من القطع الصغير في عام ١٤٠٠هـ .. ونفدت الطبعتان من الأسواق خلال سنتين فقط ..

ومنذ صدورهما في طبعتهما الأولى .. والأتلام تناوشهما .. استحساناً أو استهجاناً أو استحساناً واستهجاناً في آن معاً ..) .

ولسباعي عثمان مجموعة ثانية صدرت باسم « دوائر في دفتر الزمن » ستصدر قريباً .

٢ - الخبز والصمت لمحمد علوان (في الدليل : من مواليد أبها ، خريج كلية الآداب بجامعة الملك سعود) ، صدرت عن دار المريخ ، الرياض ١٣٩٧/١٩٧٧ ، ٨٨ ص . وقد قدم لها الأديب المصري المعروف الأستاذ يحيى حقي مقدمة أظهر إعجابه الشديد بها على أنه من جيل الشيوخ وعلوان في طليعة الشباب السبعيني وما من معرفة بين الأدبيين (الكبير) و (الصغير) .

قال الحازمي : (إن قصص محمد علوان تفيض بالحزن والتشاؤم مما حدا يحيى حقي أن يقول عنها : (هالي مقدار القتامة التي صبتها هذه المجموعة في قلبي ..) وأن يقول أيضاً : (كم أتمنى لهذه النظرة المنصرفة كل الانصراف للدخول أن تتحول - ولو نصف نصف - إلى الخارج أيضاً ، فتتجلى لها الطبيعة والناس ، غير محرومة كل الحرمان من بهاء الصورة) .

ولكن محمد علوان لم ينفرد بهذه الظاهرة . بل هي موجودة في أكثر الأفاضل التي يكتبها رفاقه من الشباب (...) .

ولاشك أن قصتنا القصيرة المعاصرة قد استمدت مما حولها من نماذج عربية

وعالمية (...) ولكن الشعور بالملل أو القلق أو الإحساس بالغربة ليس وفقاً على أعمال (الوجوديين) فقد يكون له ما يبرره في الواقع المعاش في كل زمان ومكان . وينبغي أن نفرق بين (الوجودية) كفلسفة و (الوجودية) كإحساس عام (...) ...

وبرتاح الدكتور الحازمي لثناء (الكاتب الكبير يحيى حقي) - (شيخ القصة القصيرة في زماننا) - على مجموعة محمد علوان (وقد تحول إلى دراسة جادة متعمقة) : (حجم صغير ، بل في أغلبها قصير جداً ، تركيز شديد ، لم يمنعها تنابع التقطيع بسبب الحمل القصيرة المستقلة من أن تملك قدرأ لا بأس به من السيوالة والتدفق . لحنها شمولي ، بعدها عن الافتعال فهي صادقة كل الصدق (...) ذاتية الأسلوب ، النظرة إلى الداخل ، الاهتمام بالمشاعر ، عمق التحليل النفسي ، البراعة في استخدام الرمز ...) .

ويلقى الدكتور الحازمي فيقول : (... أليست شهادته ... بأن هذه المجموعة خير مثل للقصة الحديثة - مما يدعو إلى العجب والاعتزاز ؟ ... الاعتزاز لأن شاباً من بلادنا قد حقق أخيراً ذالك الأمل الذي كنا نتطلع إليه منذ أمد بعيد ، ألا وهو تأصيل فنّ القصة القصيرة في بلادنا ، وكنا لا نفخر بشيء سوى الشعر ...) .

وانظر كم تطورت الحال من « مرهم التناسي » والتوأمان وفكرة ... إلى « الخبز والصمت » ... وإذْ نفق عند نقد الدكتور الحازمي نقول : وكم تطور نقد القصة منذ هجوم العواد على الأنصاري ...

تذكر « عالم الكتب » مج ٤ ع ١ ص ١٤١ لمحمد علوان - الحكاية تبدأ هكذا . الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣/١٩٨٣ - ٩٦ ص : (ضمنها ثماني عشرة قصة قصيرة تتميز بأسلوب رشيق وفكر معبر) .

جاء في « دليل الكاتب السعودي » : محمد علي علوان . مكان الميلاد : أبها . الدراسة : خريج كلية الآداب - قسم الأدب العربي بجامعة الملك سعود بالرياض .

المشاركات الثقافية : الإشراف على الصفحات الثقافية بمجلة البمامة لفترة من الزمن ، وكذلك ملحق أدب وثقافة بجريدة الرياض .

وبانتظار رأي النقاد ، والحازمي خصوصاً ، في بيان الذي حققه قاصتنا الشاب المتميز . وما حققه الآخرون ، وهم كثيرون ، عشرة ، وعشرون ... كم يستمرون ؟ وكم ينقطعون ؟ وكم يبحثون عن تأكيد ذواتهم في عالم آخر ؟ فقد علمنا التاريخ عموماً ، وتاريخ الأدب السعودي خصوصاً — فيما نحن فيه — أن الكثرة لا تعني كثيراً ، وإنما العبرة في الماثرة القائمة على المهبة والاستعداد للتضحية والانسجام التام بين الذات والفن .

ولا يستغني قاريء عن كتاب الدكتور نصر محمد عباس لإخلاص الرجل في المتابعة والملاحقة وقد تعدى المطبوع في كتاب إلى ما تناثر في المجلات والجرائد وإلى ما هو « تحت الطبع » ... وهو يخرج بالسبعين إلى ثمانينيات القرن (الميلادي) تسعينيات القرن الهجري ، ويقف بعد محمد علوان ص ١١٥ عند عبد الله السالم — مكعبات من الرطوبة . الرياض ، دار العلوم ١٤٠١ (١٤٠٠) / ١٩٨٠ . وفتح صدر كتابه البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة « وأسعاً للمرأة القاصة . وقد صار في المملكة من القاصات عدداً وكيفاً ، ما يفرض نفسه على الدارس وإن كان الدكتور عباس قد تابع الموضوع طوعاً واختياراً ...

وأحسب أن القصة باب يتسع لخطوات المرأة تستطيع أن تلوذ به ، ولا يعلنها في الناس كما يعلنها الشعر (الوجداني) ، ولها من عالمها الذي تعيشه ما ينوع ويزين ويثري ... مضافاً إليه عالم الأخباريات والمجتمع كله في تقاليده القديمة — وفيها الغريب المستغرب — وتطوره الجديد الذي يبدو كالطفرة ، وفيه ما يبدو شاذاً ...

ولا يخص هذا الكلام سميرة خاشقجي (من مواليد ١٩٤٠) كما يذكر د. نصر محمد عباس (وفي الدليل ١٥/٨/١٩٤٠ — كثيراً — أو قليلاً فقد رأيناها في « المعجم » وكأنها من عالم آخر ، تكاد تحتوي المراهقة أركانها وزواياه فتتلفه القارئة والقاري

من المراهقين والمراهقات في المملكة وخارجها وربما زاد الخارج على الداخل . قال نسيم الصمادي في مقاله (دراسة أدب المرأة السعودية القصصي) ، الذي نشره في مجلة عالم الكتب مج ١ ، ع ٤ (ربيع الآخر ١٤٠١ / فبراير ١٩٨١) : (... الملاحظ على كتابات سميرة خاشقجي أنها كاتبة عاطفية لا متمية ، تعيش أجواء روائية سينمائية ، وهي تظن أنها تمارس أدباً واقعياً حياً : لأن الواقع في نظرها لا يزيد على العلاقات الشخصية والممارسات الروتينية التي تحكم يومها ، وهي لهذا تتجراً وتقول : (أنا أكتب القصص وأحيا الواقع ، وأكتب الواقع وأنا أعيش القصص (...) وتقول : وما العيب في كتابة القصص العاطفية ؟ ...) — مقالة الأستاذ الصمادي مهمة في بابها ، جادة ، مغلصة ، وسنفيذ منها ، ونجعلها في مراجعنا .

ولسميرة خاشقجي في « دليل الكاتب السعودي » تسعة عناوانات قصصية تاسعها : شجرة الحب .

ويبقى الأمر — فيما عدا ذلك — ونحن في النصف الثاني من العقد التاسع من القرن الهجري / السابع الميلادي وكأننا لا نكاد نجد ما يذكر للمرأة ، وإذا ذكرناه ورد تشبيهاً ... وكانت في ذلك نجاة خياط بمجموعة لها صدرت بتشجيع خاص من الأستاذ محمد حسن عواد وداره المستجدة آنذاك للنشر ومن حبه لرعاية الشباب (والشواب) . ثم ذكرنا خيرية السقاف اعتماداً ما كان لها في الجرائد ... وتفاؤلاً بمستقبل قريب .

ثم اختلفت الحال بعد ذلك ، وكثرت القصصات ، وتعددت مجموعاتهن ... ولم تخلف خيرية السقاف الظن إذ أصدرت « أن تبهر نحو الأبعاد » (الرياض ، دار العلوم ١٩٨٢/١٤٠٢) .

وتناثرت في الصحف والمجلات قصص قصيرة كثيرة لعدد غير قليل من الكاتبات القاصات . ومن اللائي أصلرت « روايات » نذكر — اعتماداً على ما وصل إلينا من الآثار ، وعلى المراجع التي سبق ذكرها — : هند صالح باغفار ، ولها : « البراءة

المفقودة « ١٣٩٢ ، « جروح في جبين الحياة » ١٣٩٨ ، « الهدية » ١٣٩٩ ، « العطاء الأكبر » ١٣٩٩ ، الرحلة الأخيرة ١٤٠٠ — وفي كل كتاب قصة واحدة . ولعائشة زاهر أحمد — « بسمه من بحيرات الدموع ١٩٨٠/١٤٠٠ . ولهدى الرشيد — « غداً سيكون الخميس » ١٩٧٧ . ويذكرها دلائل الكاتب السعودي كذلك « عبث » (رواية) . ويذكر الدليل لهيام محمد الكيلاني « الليل والغرباء » (قصة) .

ولإزائي : « غداً أنسى » للدكتورة أمل محمد شطا والمؤلفة (طبيبة سعودية من مواليد مكة المكرمة ... تعتبر الأدب هوايتها الأولى ... نشرت فعلاً مجموعة من قصصها القصيرة في بعض الصحف المحلية . « غداً أنسى » الرواية الأولى للمؤلفة تلقى فيها الضوء على جانب من صور حياتنا الاجتماعية . وتعتبر الكاتبة على حدّ تعبير الناقد الكبير الأستاذ عزيز ضياء (مفاجأة لي .. وستكون مفاجأة للقاري حين يعيش أحداث روايتها ، وحين يتذوق أسلوبها السهل المتدفق مع سلامته من الخطأ واستقامة عباراته) ... — تهامة ، الكتاب العربي السعودي (٨) ١٩٨٠/١٤٠٠ .

ولقد نهياً لي أن أقرأها واستمتع بها شكلاً ومضموناً . وهي أي القصة — أو الرواية القصيرة — إذا أردنا الدقة في المصطلح — خطوة متقدمة في تاريخ القصة (الرواية) السعودية تنسجم صياغتها مع فكرتها ، وتديرها المؤلفة بحذق وتمكّن ، وكأنها أطالت من قبل — ألفت الروايات العالمية وتأمل بنائها ، كما أطالت تخمير التجربة التي تعرضها ، فجاءت سلسلة جذابة يتعاطف معها القاري ، وينسجم ويرى في قناعة ووضوح ورضا مكان الحنان من النفس الإنسانية ، ومدى ما يمنح — هذا الحنان — صاحبه من قوة وتحمل ، ومدى ما يغير من سلوكه من قساوة إلى دماثة ولطف ولين — والحنان قرين الحب أحياناً .

وأحسب أن الأستاذ عزيز ضياء — وهو الأديب السعودي البارز من الشيوخ الذين واكبوا الحركة منذ بدايتها ، وفقه اللغة الانكليزية وما احتوت من أدب وقصص أصيل — قد وضع (الرواية) في مكانها اللازم — ولم يحامل .

وعجبت - ولم أعجب - للتقدم الذي أحرزته المرأة ، بل (الرواية) كلها .
فإذا كان حامد دمنهوري أسمى حداً جديداً في تاريخ الرواية السعودية فإن أول محمد
شطا حداً جديداً جديد . في روايتها عمق وتشابك ولغة وطواعية .

نفدت الطبعة ... وهي تحت الطبع في إصدار جديد .

وصدر في القصة القصيرة مجموعة « الزحف الأبيض » للطيفة إبراهيم السالم
١٩٨٢/١٤٠٢ .

وذكر الدكتور نصر محمد عباس قصصاً أخرى نشر - وينشر - في
الصحف ، ومنهن من تعد مجموعة للطبع ، أولها مجموعة تحت الطبع : جميلة فطاني ،
جواهر عبدالله العسوس ، جوهرة المزيد ، رقية الشبيب ، شريفة الشملان ، عهود
الشبل ، فوزية البكر ، قماشة الجابر .

ولابدّ من أن يكون قد صدر لمن مطبوع ... ولابدّ من أن تدخل الميدان
قصصاً أخرى ... وذكر الصمادي : حصة التويجري ، وختم مقاله القيم
بتناول كبير .

وفي العدد الأكبر من القصصات من جمعنا القصة إلى المقالة والعمل الصحفي
(مباشرة وغير مباشرة) - ينظر « البناء الفني » للدكتور نصر محمد عباس .

وخلاصة القول أن القصة في السعودية في تكاثر وتنوع لها مجالاتها للنشر وفي
مقدمتها الصحف المتعددة المتنافسة ، وتبقى الدرجة في الجودة والابتكار رهناً بالمثابرة
والاستفادة الجادة من التجربة المحلية متصلة بالتجربة العالمية (والعربية) - وبالاتظار .
وقد تطورت فعلاً ، وزاد حظها من العنصر الفني في الأداء والعنصر النفسي في
المضمون . ولعلها التقت - ولو قليلاً - بمنهج قصص الشباب السبعيني . جاء في
« عالم الكتب » - ذكر أعلاه ، ص ٥٢٥ : (ردّ المحرر الأدبي في مجلة الإمامة على
رسالة وصلته من قماشة السيف قائلاً : أسلوب يشف عن معاصرة إبداعية (...)

تملكين قدرة عجيبة على خلق الحمل الشعرية .. لكن عن طريق التداعيات غير المنظمة ،
والأحلام المبتورة ، حتى أن لغتك تتحول إلى لغة تجريدية تميل إلى طرح الحكمة ،
ورغم كثافة الصورة ، وحضور الشعر مما يساهم في غياب الموضوع .

كتابك تنطلق من اعتبار الحالم كأساس ، ولذلك يأتي الواقع بما فيه من قسوة
وجهامة كشيء عارض) .

مرة أخرى - وليست أخيرة : القصة في تقدم وتطور ، ولا بُدَّ لها من ارتكاز
متين من الثقافة والفكر والمتابعة والجد ، لكي تحقق درجة أخرى ... تحول دون
التوقف أو الفتور أو الاجترار ... أو التراجع .

مع رجاء لمن يجمع - أو تجمع - قصصاً متناثرة في كتاب مراعاة تشبَّهت تاريخ
النشر ومكانه للقصص المجموعة ؛ وفي ذلك خدمة للدارس والناقد .

المسرحية وكتابتها :

وتذكر المسرحية مرتبطة بالقصة أو ملحقاتها ، لأنها مازالت في البداية وإن
اكتسبت مع الوقت مشروعيتها بعد أن كانت صفرراً أو حلماً أو غياباً متصلاً بغياب
المسرح نفسه وربما النظرة غير المحللة له ... وإن تبقى كذلك بعد اليوم ...

ليست السعودية بعيدة جداً عن أخبار المسرح العربي (المصري) وأخبار المسرحيات
العربية (المصرية) ولم يصعب الوقوف على هذه المسرحية أو تلك ، ولا سيما عندما
كانت شعرية بقلم أحمد شوقي ، ومشهدة هذه المسرحية أو تلك والسعوديين - بدءاً
من الحجازيين رَوَّاحُ إلى القاهرة وميجريء ...

بل إن شباب النهضة الأولى في الحجاز رأوا بين ظهرائهم من أدباء العرب
المرموقين من زاول الكتابة المسرحية ويكفي أن يكون من أولئك الشاعر العلم :
فؤاد الخطيب (●) .

قال الزركلي (١٦٠/٥) فؤاد الخطيب (١٢٩٦ - ١٣٧٦ / ١٨٧٩ - ١٩٥٧ ..) :
« ولد ... قرب بيروت واستكمل دراسته في الجامعة الاميركية سنة ١٩٠٤ ... نشر ...
مسرحية « فتح الأندلس - ط » شعرية (١٩١٢) ... مكة ... جريدة القبلة - الملك
حسين - ... الرياض ... - عاهل الجزيرة العربية عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
سعود ... » ذكرناه هنا - وقلما ذكره الآخرون إذ يتحدثون أو يبحثون عن المسرحية
العربية .

وإذا ذكرنا الزركلي ذكرنا صلته المباشرة بالسعودية وأدبائها حتى عاد سعودياً ...
وإذا فاتنا اسمه عند الحديث عن القصة وله فيها أثر ، فلا يفوتنا اسمه هنا وله (قصة
تمثيلية نثرية ... « وفاء العرب » مثلت أكثر من مرة ، ابتداء من سنة ١٩١٤ ببيروت .

أَتَمَّرُ أحاديث الخطيب والزركلي كلها دون ذكر للمسرحية والمسرح ؟ !

ويأتي الشيخ أحمد السباعي - الفقي السباعي - رائد لا يكذب أهله في الأدب
والمجتمع ، في التعليم والفن ... أَلَمْ يَدْعُ إلى تعليم المرأة ؟ أَلَمْ يَدْعُ ويطبق الدعوة
إلى الكتاب المدرسي ... وأشياء كثيرة يهمننا منها هنا ، وأعجبها دعوته إلى المسرح
وخطواته المبكرة فيه ، ولكنها كانت إزاء ما جَدَّ في البلاد وكأنها في غير أوانها
أو ظروفها ، ولا بأس فيبقى للفقي - الشيخ - فضله ، وما أحسبه سكت تمام السكوت
أو أن تكون بذرته من غير نباتٍ وثمر ... وكثيراً ما احتفظت التربة بالبذرة حتى
الوقت المناسب .

وبقي حقه محفوظاً في الأجيال حتى إذا توفي يوم الثلاثاء ١٦/١٢/١٤٠٤ تردد
مع ذكر اسمه : المسرح ، وقرر النادي الثقافي في مكة المكرمة أن يطلق على اسم مسرح
النادي : مسرح أحمد السباعي تقديراً للدور الذي قام به السباعي نحو تأسيس أول
مسرح سعودي في مكة المكرمة .

ثم كان حسين سراج ومسرحيتان . بل مسرحياته الثلاث .

وأحمد عبد الغفور عطار في ترجمته لمفتش كوكول ، وللزناقي الحمر لطاغور
في طبعتين (١٣٥٢/١٩٧١ ، ١٣٩٨) .

ولم تغفل « المنهل » هذا الجانب من أنواع الأدب الجديدة . وقد جاء في المنهل
القصي (ص ١٣٨) . أن في العدد السابع من السنة الأولى (١٣٥٥/١٩٣٧) أقصوصة
تمثيلية بعنوان (الاتفاق الأخير) ، وفي العدد العاشر من أعداد ١٣٦٥/١٩٤٥ رواية
ذات فصل واحد ، للأستاذ عبدالله عبد الكريم الخطيب . ولم يكن مصطاح (المسرحية)
قد بدأ أو استقر ، فكانوا يسمونها رواية ، وربما ميزوها بالتمثيلية شأن الحال في
مصر وغيرها ، وربما سموها قصة وميزوها بالتمثيلية .

ثم كانت « الشياطين الخرس » لعبدالله عبد الجبار وأمكن أن تُعدَّ مسرحية رائدة .
قال إبراهيم هاشم فلالي في « المرصاد » ج ٢ :

(إن القصة والمسرحية بالمعنى المفهوم حديثاً ، دَخِلَتَانِ على الأدب العربي ،
وناشتان فيه ، (...) ومما لاشك فيه أن بلادنا (...) لم تحاول أن تسهم في أدب
المسرحية محاولة جدية ، حتى جاء الأستاذ عبدالله عبد الجبار (...) وأخرج لنا
مسرحيته « الشياطين الخرس » في جرأةٍ وحماسة ... وقد تأثر الأستاذ محمد حسن عواد
بهذه الجرأة بعد قراءته للمسرحية وانفعل انفعالاً شديداً ، وطلب أن يقدم هذه المسرحية ،
ولم يُمانع الأستاذ عبدالله - طبعاً - في ذلك (...) لقد عالج الأستاذ عبدالله في
مسرحيته مهزلة الرجعية والتعصب والملق والرياء والضعف (...) ولا يمتلك النقد
الأدبي في « المرصاد » إلا أن يعتدَّه رائداً جريئاً موفقاً ، ويستحثُّه على مواصلة
كتاباته المسرحية الحقة ، فإنه - إلى الآن - أقدر كتابنا على معالجة هذا اللون المسرحي
الجرى (...) ولعل الأصدقاء التي تجاوبت بها النفوس من مسرحيته هذه تكون حافزاً
له على كتابة مسرحية أقوى فما أكثر المواد الصالحة للمسرحيات في بلادنا) .

لم يكن الأستاذ عبدالله عبد الجبار الأول في تاريخ المسرحية السعودية ، ولكنه
الأول في الجرأة على تناول موضوع حسّاس خطير في صميم المجتمع . ولم يكن الأستاذ

فلالي مالكاً لزمam النقد المسرحي وإنّما تعامل مع المسرحية على أنّها قصة ... وأنّها جريئة ... ومن ثمّ خيَّب الأستاذ عبدالله عبد الجبار المعجبين به ، فلم يستجب للنداء ولم يواصل المسيرة .

وقال الفوزان ٧٠٢/٢ : (وقد كتب أدباء الحجاز الكثير من المسرحيات الشعرية والنثرية ، مثل مسرحية « أصدقاء الظروف » للعاهودي و « الهجرة » للعطار ، و « في غار حراء » لابراهيم فودة ، وغيرهم . ولكن الجميع بقي رهن المؤلفات لم يمثل ...) .
ولو رجعت إلى المعجم لوجدت مادة لموضوع المسرحية عند حسن عبدالله القرشي ، وعبد السلام هاشم حافظ .

ولابدّ من الانتظار ، فما زلنا بعيدين عن العوامل الحقيقية والمفهوم المدني المتدرج ... ويكون للخليج مسرحياته ومسرحه ، في البحرين والكويت ... فضلاً عن العراق ، (والبصرة) ... وتأتي الإذاعة ، ويأتي التلفزيون ... ولابدّ من مناهج محلية تجمع بين التسلية والموعظة ... فكانت ...

ولعل هذا اقصى ما بلغته الحال ونَحْنُ في أواسط ثمانينيات القرن الهجري — أواسط ستينيات القرن الميلادي — ولتلفزيون جدة أثره وفضله ، ومازلتُ أذكر مسرحية شعبية يتردد فيها اسم (شكّاص) ، وهكذا تبدأ الأشياء ، فالمسرحية ، كائنة ما كانت سعودية والممثلون ... سعوديون (حجازيون أول الأمر) ...

ولا تنسَ رمضان ومتطلّبات مناهجيه ، وهنا تبرز (أم حديدجان) وهي — أي هو أبو حديدجان — عبد العزيز الهزّاع — أعجوبة أحكمتها الحاجة ، لابدّ من التمثيل في إذاعة الرياض ، ومن أين لك بالممثلين ؟ وبالممثلات ؟ ! إنَّ رجلاً نجدياً موهوباً في التمثيل ، وتقليد الأصوات وتأليف المسرحيات من الحياة اليومية ومن لاشيء ... يتولى المهمة كلها فيجيد ويحتذب ويدل على قدرة في الابتكار ... ومازال مستمراً ... ولكنه لم يتطور ... وقد مضى عليه ما يقرب من ربع قرن ... وكان يمكن أن يتطور

لو كان في غير ظرفه ، وحسبك أنه كان يمثل وَحْدَهُ فرقة كاملة فيها الزوج والزوجة والجدُّ والجدَّة والأطفال ... على اختلاف في الأصوات والعقليات والأحداث .

ولا يطول الانتظار — بعد اليوم — فالمظاهر المدنية تأخذ طريقها وتزايد ، ويتثبت ما فيها من إمكان الخير . وإذا لم يكن في البلد دور للسينما بمعنى الكلمة ، ففي الألواف وعشرات الألواف من البيوت أجهزة صغيرة للسينما ، تعرض ما شاء أهل البيت من الأفلام ثم جاء (الفيديو) ... والسينما حاجة فنية قائمة بذاتها ، ولكنها تمثيل أيضاً ... ويزداد السفر إلى الخارج ، والدراسة في الخارج ، والاتصال بمناهج التعليم أو أساليب شغل الفراغ ومنه المسرح والتمثيل ... والكويت قريبة جداً بمسرحها وأكاديميتها وما تنقل إلى العربية من روائع المسرح العالمي .

وهكذا تتطور الأشياء في هدوء ... ولا بأس هنا حتى بالبطء ... وتبقى المشكلة الأساس في الممثلين والمرأة ، وتحل مؤقتاً — كما حُلَّتْ في بدايات المسرح في كل مكان — بالرجل ، الولد الذي يتنكر بزي المرأة ، البنت ، كما يمكن الاستعانة و (الاستعارة) من أقطار خليجية سبقت في هذا المضمار .

وكان مناسباً أن نذكر ضمن السعي الفردي أو الطموح الفردي الذي يعبر عن شعور غير فردي بالحاجة إلى الفن المسرحي على وجه سليم ... نذكر عبد العزيز الربيع (●) وقد قصد مصر للدراسة العالية — في الأدب والتربية — ولكنه انحاز — مع ذلك — فردياً ذاتياً إلى المعهد العالي لفن التمثيل العربي في القاهرة ... فأخذ الذي استطاع أن يأخذه — والعبرة في العملية نفسها . وسيعود الربيع إلى التعليم في المدينة ويصل منصب مدير التعليم فيها لسنوات ... ولك أن تتصور مكاناً للمسرح والتمثيل في أحاديثه ومشروعاته ... وتعليمه ... والبقية تأتي .

— تأتي متى ؟

— الآن إن شئت ... مع قليل من الصبر ... وتذكر أولاً أن النوادي الرياضية ذات علاقة بالموضوع ... وتذكر مسارح جامعية ومدرسية وتذكر أكثر من ذلك

قيام الرئاسة العامة لرعاية الشباب ... وصدر قرارها بتأسيس (الجمعية العربية السعودية للفنون) في عام ١٣٩٢ ... ثم تعديل الاسم في غرة عام ١٣٩٨ إلى (الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة) . مقر الجمعية الرئيسي : الرياض ، ولها فروع في جدة ، والطائف ، الدمام ، الأحساء - وتزايد وفي مدة قصيرة جداً لتأسيسها (أصبح يلتف حولها أكثر من ثلاثة آلاف أديب فنان) ، كان ذلك عام ٩٨ - ٩٩ فكيف وكم هم - وهي - الآن ؟

تمهنا الجمعية كلها في دلالة وجودها استجابة طبيعية لشعور حي وحاجة قائمة . وتمهنا بمركزها الرئيس الذي تفرع إلى ست لجان : الثقافية ، لجنة الفنون التشكيلية ، لجنة الفنون المسرحية ، لجنة الفنون الشعبية ، لجنة الموسيقى والغناء ، لجنة الإعلام والنشر ..

و (تعد لجنة الفنون المسرحية العدة لنشاط مكثف من أجل تقديم العديد من العروض المسرحية ذات المستوى الجيد . وعلى هذا الأساس فقد حصلت ... على ثلاثة نصوص لثلاث سهرات ... تنتجها بالتعاون مع التلفزيون في المحطات الثلاث : الرياض ، جدة ، الدمام . ويشترك فيها أعضاء اللجنة في الجمعية وفروعها في المنطقة الغربية والشرقية) .

وكان من نشاطات اللجنة أن قدمت في المركز الرئيسي في الرياض مسرحيتي (طيب بالمشعاب) ، و (آخر المشوار) .

وفي فرع جدة (بتاريخ ٢٥/١/٩٨ هـ تم تسجيل حلقة من مسرح الإذاعة الذي اشترك فيه عشرة من الفنانين ...) . في برنامج (بطاقة دعوة) وحلقة أخرى لفنانين آخرين في الشهر التالي .

وفي فرع الدمام (كان أول عمل ... هو ... مسرحية بعنوان (رقم ٣) ... من إعداد وإخراج ناصر المبارك وشارك فيها عدد من الفنانين البارزين في المنطقة (وقد أنشأ الفرع - فيما أنشأ - قاعة لعمل بروفات التمثيل والأعمال المسرحية) .

وفي الأحساء أجريت التجارب والبروفات اللازمة لعرض مسرحية اجتماعية من ثلاثة فصول بعنوان (عقاقير وعقارات) يشارك في تمثيلها عدد كبير من ممثلي الفرع من الشباب السعودي ، إضافة إلى أن فرع الجمعية بالأحساء يشارك الأندية الرياضية الموجودة بالمنطقة في حفلاتها المسرحية .

ونذكر مسارح تابعة للنوادي الأدبية والجامعية والمدرسية .

كان هذا في عام ٩٨ - ٩٩ وسارت الأمور بعده وطيدة ... ولا بُدَّ من تطور في المسرح والمسرحية ... وقد تتبَّنى رئاسة رعاية الشباب تأسيس معهد للفنون الجميلة لتأني الأشياء جامعة بين هواية والمهنة ، وقائمة على الأسس العلمية ... وقد تتبعت شباباً إلى مواطن المسرح والمسرحية ، وقد تتدبب مختصين بشؤون المسرح والمسرحية ...

وماذا بَيَّنها وبين المعهد المقترح ؟ وعلى ذكر الفنون التشكيلية فقد تطورت الأمور كثيراً ، وكنا قد رأينا في بداية الغيث الفنَّان عبد الحليم رضوى ... وقد ابتعدنا عن الحرام ... وعن رسم الجسم من غير رأس أو بوضع خط قاطع للحياة بين الرأس والجسد ... واعترفت المدارس بالرسم وعُنيَّت به ، وصار الأطفال يدخلون المسابقات ويبدعون فيفوزون بالجوائز .. - وانظر مثلاً دلائل (المعرض الجماعي الأول ، للجنة الفنون التشكيلية بالجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة ٩٨/٥/٢٤ - ٩٨/٥/٣٠ ثم الأدلة الأخرى ، والمعارض الأخرى المتوالية جمعية وفردية - والأدلة كتب ... بانتظار كتب خاصة ، وكتب نظرية وكتب في فلسفة الفن ...

ولا تترك الفنون التشكيلية . ولا بُدَّ من النص على التقدم الذي أحرزه الفن التشكيلي ، وما صار للبلاد من معارض في الداخل والخارج . ومن هذه المعارض ما يرعاه المسؤولون أنفسهم بافتتاحها وتشجيع المعارض فيها واقتناء اللوحات والآثار بأسعار مشجعة .

ثم نذكر دخول المرأة في هذا الميدان ، وقد دخلته من أوسع أبوابه . جاء في

« عالم الكتب » ع ٢ مج ١ ص ٢٤٧ - ٢٥١ عرض الكتاب ألفته الفنانة السعودية صفية بن زقر ، بالانكليزية بعنوان « نظرة فنانة للماضي » وفيه (شهد الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقة تقدمية ملموسة ، حيث نهض نهضة لحتمية تاريخية ... يضم الكتاب مجموعة كبيرة من أعمال الفنانة التشكيلية صفية بن زقر (...) والفنانة صفية بن زقر لها دور لا ينكر في دعم الحركة التشكيلية المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، فهي أول فنانة تقيم معرضاً خاصاً مع زميلاتها الفنانة منيرة موصلي في مكة المكرمة عام ١٩٦٨ ، افتتحه الأمير مشعل ابن عبد العزيز آل سعود أمير مكة المكرمة في تلك الفترة) ... (الفنانة صفية بن زقر ولدت في جدة (...) أقامت ثلاثة معارض شخصية في جدة (...) ومعرضاً في الظهران ، وأقامت معرضاً دائماً في لندن (...) .

وأصدر « المنهل » عدداً ممتازاً لمناسبة بلوغه السنة الخمسين خاصة بالفن (شعبان - رمضان ١٤٠٤ / ١٩٨٤) فيه ما لم نكن نتصوره عن الرسم والنحت والمسرح والموسيقى والفلسفة و (علم الجمال) ، ممن كتب فيه (الكاتب الإسلامي الكبير أحمد محمد جمال) في موضوع (الفن وموقف الإسلام منه) فكان مما قال : إن الإسلام كما يحرص على تقدم المعاني والمضامين عن العقيدة (...) يحرص أيضاً على أن يكون أسلوب عرضها لافتاً للأنظار ولافتاً للأفكار ومؤثراً في القلوب .. وهذا هو (الفن) أداة جمال ريشته ولوحته وموسيقاه . ومضى (الكاتب الإسلامي الكبير) الآخر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار خطوة أبعد في تفصيل أكثر .

هذا غير كلمة طبيعية جداً كتبها د. عبد الحليم رضوى - رئيس الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة ، بعنوان : (الفنون في العالم المتحضر) . ونريد على هذا المقال ، بصدد د. رضوى اسم كتاب صدر له ١٩٨٣ / ١٤٠٤ بعنوان « الحياة بين الفكر والفن » .

ونعود إلى « المنهل » الخاص بالفن لنرى (المسرح الوطني إلى أين ؟) ... ونرى صوراً عالية ومحلية وإسلامية أجيد نقلها على ورق صقيل . وتذكرنا هذه الصور

بما صار شائعاً مألوفاً في الصحافة السعودية ، وفي المجلات خصوصاً (تنظر « الفصيل »
— مثلاً...) ولا تنس النظر في مجلة « سيدتي » — مثلاً — ثم ما كان من فن (الكاريكاتير)
وتزيين الكتب ، والأغلفة خاصة — تنظر مطبوعات تهامة — مثلاً .

وفي المنهل الخاص بالفن مجال للمرأة تقرأ فيه مفهومها للفن ، والتزاوج بين
الأدب والفن ، وتقرأ في هذا المجال : (الأزياء تاريخ وتطور) و (مسرح العرائس) ...
وتقرأ : (لقاء وحوار مع الفنانة فوزية عبد اللطيف — من مواليد جدة ، شاركت في
عدة معارض في الداخل والخارج — وقد تحدثت عن لوحاتها الجديدة ، ورأيها في
الفنانات السعوديات : (الأخوات الفنانات صفية بن زقر وسلمى الكثيري ونوال
مصلي يعبرن في لوحاتهن عن تراثنا القديم وذن يتبعن الفن الكلاسيكي (...) أما
الفنانتان دينا رشدي واعتدال عطوي فهما يتبعان الفن التجريدي (...) أما الفنانة منى
القصبي فإن اتجاهها هو إحياء التراث الإسلامي الزخرفي (...) تحياتي لكل فنانة
تشكيلية أعطت وكرست حياتها لهذا الفن العريق (...) .

ونعود مع « المنهل » إلى المسرح لنقرأ فيه (المسرح الوطني إلى أين ؟) بقلم الدكتور
عبدالله محمد الزيد مدير عام التعليم بالمنطقة الغربية : (... ولقد شاهدت نماذج منها
— من المسرحيات — في الجامعات والحفلات السنوية المسرحية المدرسية ووجدت
أن وضعنا يبشر بخير حقيقي ، وكل الذي نحتاج إليه هو عملية تنظيم سريعة وتنسيق
بين الجهود المختلفة والمبعثرة هنا وهناك حتى يتوحد الاتجاه وتتضافر الجهود لإنتاج
وطني سعودي ...) . وقال الأستاذ محمد سعيد العامودي : (أول ما نبدأ به هو ...
تكوين فريق مسرحي متوفر الكفاءات تمهيداً لقيام المسرح الوطني ، ومهم جداً لقيام
المسرح الوطني) . وقال الأستاذ غالب حمزة أبو الفرج رئيس تحرير جريدة المدينة :
(المسرح في عالمنا اليوم هو مدرسة جديدة) .

وطبيعي أن يدخل شيء من شؤون المسرح والمسرحية في درس النقد الأدبي من
كليات الآداب ، ولكن الحال الخاصة تستدعي تعاون الجامعة مع (الجمعية العربية
السعودية للثقافة والفنون) فيكون فيها — غير الفرق الجامعية القائمة فعلاً — درس
خاص للمسرح والمسرحية ينهض به أستاذ متخصص .

ويهمنا في « المعجم » الكتاب ، ولابدّ من وجود النص المسرحي والتقدم به في الاحتفاظ بالنصوص القائمة وطبعها في كتب وتشجيع الكتابة ورصد الجوائز للفائزين مع تشجيع خاص للمسرحية التي تكتب بالفصيحة . وقد حصل شيء من هذا .

نعود لنذكر (المؤتمر الأول للأدباء السعوديين) (١٣٩٤) ، ولا نذكره لذاته لأنه لم يتعرض للمسرح أو المسرحية وإنما لرى الشيخ حسن سراج (●) وقد رأى نفسه منسياً ، فتألم واستشاط ثم كأنه مر بالبيت القائل :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذِّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

والرجل ثلاثة أعمال سابقة هي ثلاث مسرحيات : الظالم نفسه - (١٩٣٢) ، جميل بثينة (١٩٤٢) ، غرام ولادة (١٩٥٢) فلينبّه إلى وجوده بها ، وليعتب على من نسيه أو نسيها ثم أنّ إدارة تهامة للنشر حاضرة ولكن ليبدأ أولاً بجديد ، وهكذا كانت (الشوق .. إليك) مسرحية شعرية (١٩٨٢/١٤٠٢) ثم ليرجع إلى الذخائر ، وها هي ذي تهامة تصدر « غرام ولادة - مسرحية شعرية » في طبعة ثانية (١٤٠٢ / ١٩٨٢) ، ونسبقي نتظر المسرحيتين الأخريين وقد تقدّأ ، واستحال العثور عليهما .

ثم نذكر عصام خوقير - وهو قصاص لم نورد اسمه هناك ادّخاراً لموضوع المسرحية - وهو صاحب « في الليل لما خلى » بمسرحياته الإحدى عشرة . ثم (السعد وعد) التي سماها « مسرّ - وآية » ولابد من أن يكون له غير هذا ...

ينظر عن المسرحية ، الفوزان ، وتحيل مجلة عالم الكتب على مقالة لعبدالله الماجد بعنوان : المسرحية في الأدب السعودي - قافلة الزيت مج ١٨ ، ع ٨ ، شعبان ١٣٩٠ ص ص ٤٢ - ٤٤ .

وتذكر في عدد ربيع الآخر ١٤٠١ / فبراير ١٩٨١ ص ٥٥٦ لعبدالله بوقس : « المتنبي شاعر العرب » : مسرحية من ثلاثة فصول ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠ هـ - ٧٧ ص .

وتذكر له: الزاهد (درامة تاريخية) عن حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز ،
جدة ، دار الشروق ١٩٧٧/١٣٩٧ ، ١١١ ص - من المسرح الإسلامي .

وفي نظرة في « دليل الكاتب السعودي » ما يزيد العالم بشؤون المسرح والمسرحية،
ففيه مثلاً - لسليمان الحماد (مواليد الرياض ١٣٦٣) : « النص والإنتاج مسرحية
النادي الأدبي بالرياض » ، وفيه لعبد الرحمن الشاعر (حائل ١٣٥١) : « آخر المشوار »
(مسرحية) عرضت على المسرح المحلي ، « حلويات حنظل » مسرحية لم تعرض . ويؤكد
الدليل ما ورد عن آثار عبدالله بو قس (مكة ١٩٣٠) .

إذاً عدت هذه المسرحيات بدايات فهي كذلك ، وهي طلائع وأول الغيث ،
ولكننا نطلب ما هو أكثر فتناً وأصاح التمثيل ، ولا يأتي ذاك دون تفرغ وتخصص
وابتعاث إلى الخارج وانتداب من الخارج ... فقد صار الأمر واقعاً ، وجبَّ البُعدُ .
وننتظر من النوادي الأدبية التفكير الجازم بإنشاء النص المسرحي ، ولا بأس من أن
تُرصد جوائز له ... لتضافر جهودها مع (الجمعية) ... وكان الأستاذ عبد العزيز
الربيع - رئيس نادي المدينة المنورة - يدرك جيِّداً مثل هذه المهمة ، وقد رأينا
عوامل الإدراك في مجرى حياته الدراسية في مصر ثم رأينا أدلتها في مقدمته لكتاب
صدر عن النادي بعنوان : « الفنون التعبيرية - المسرح ، الموسيقى ، السينما » - وإذا
كان الرجل قد توفي ، فلن يموت أثره . ويمكن للنوادي أن تسترشد المحاضرين
المختصين ... أو تتعاون هي والجمعية على إرسال من يدل على (موهبة) في الكتابة
أو التمثيل إلى مواطن المسرح ليطعموا الاستعداد بالعلم ، حتى لو كان الابتعاث
لمدة محدودة لا تشترط الشهادة ...

وفي منهج (الجمعية) و (النوادي) العناية بالتراث الشعبي ... ولهذه العناية في
(المملكة) تاريخ ... وبداية ... لم تخفَ على متصفح « المعجم » ... فلقد (تجمد)
الإبداع الأدبي في الجزيرة قرونًا طويلة بعد عصور الريادة الرائعة والازدهار العجيب .
لقد غاض الشعر ، وقُلْ : غاضت الشاعرية لأن النظم لم يَمُتْ ، والذين يملكون

المفردات الفصيحة .. ويعرفون البحور ويَقْدِرُونَ على الرَّصْفِ الموزون المَقْفَى موجودون على أَيْتَةٍ حال ، وهم في الغالب العلماء (في الدين) والشيخوخ (في النحو واللغة) ، ولا تعدم مع ذلك انفعالاً يدخل الموزون المَقْفَى لحزن أو فرح أو حماسة لمذهب أو دعوة إلى معركة ... ومن ذلك ما صار دواوين ، ومن الدواوين ما طُبِعَ ، ومنها ما سيطع ، ويبقى الأساس في قيمته : التاريخ .

الأدب الشعبي - الشعر العامي - القصص - الأمثال :

أما السائد من النظم ، في نجد والبادية خصوصاً ، فهو باللهجة العامية وقد عرف بالشعر النبط ، وفي هذا النظم - وقل الشعر النبط (أو النبطي) - يمكن أن نجد تجويداً وأصالة ، ودلالة على الشاعرية والموهبة ، ثم إنه عزيز على أهله وسامعيه ، كائناً ما كان ، لأنه مفهوم ولأنه يعايشهم وفيه أحداثهم ومواقفهم وأنسابهم ومشاعرهم ... فهم يحفظون ويتوارثون روايته وكثيراً ما صحب إنشاده إعجابُ المنشيد ، وإعجاب السامعين ، ويبرز فيه أعلام تذكروهم المجالس وتفخريهم القبائل ...

ومن هنا ترى عناية العصر الحديث به ، فتجرد المؤلفون لجمعه وحفظه ودراسته وإخراج الكتب التي تقيه الضياع ... وكانت الكتب غير قليلة وعني الشيخ عبدالله بن خميس (●) به عناية المعجب الواثق من قيمة ما يجمع ويدرس ، ونذكر له كتابه « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » - وقد أعيد طبعه ، ثم « راشد الخلاوي : حياته وشعره - حكمه - فلسفته » ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٩٢/١٩٧٢ - ٣٨٢ ص . وكتاب « أهازيج الحرب وشعر العرضة » الرياض ، ١٤٠٢ - ٣٦٨ ص . ولن يقف الشيخ ابن خميس من الشعر الشعبي عند حد .

وإذا كان سابقاً في الدراسة فقد وجد قبله رؤاداً في الجمع والاستقصاء منهم خالد الفرج وعبدالله خالد الحاتم ومحمد بن يحيى ومحمد العمري ثم « الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة » لناشر مجهول و « الأزهار النادية » ..

ولم يقف الأمر عنده وعندهم وتستمر سلسلة « الأزهار النادية من أشعار البادية »

التي يصدرها محمد سعيد حسن كمال (●) صاحب مكتبة المعارف بالطائف ونذكر
مكتبة النهضة ، وما يؤلفه سعد بن عبدالله بن جنيدل وتصدره له جمعية الثقافة
والفنون عن شعراء العالية خاصة . — من أعلام الأدب الشعبي ، وعبد العزيز الأحيدب ،
وفهد الرشيد ... وبرز أبو عبد الرحمن ابن عقيل في العناية (الصارخة) بما هو عامي
وشعبي ، وفي مقدمته الشعر .

وللشعر النبط غير ما يستعذ به فيه أهله من إحساس بالتجويد ... ما يكون مصدراً
للدراصة التاريخية ، وهذا ما نادى به الشيخ الجامر وكرر النداء بشرط الدقة في ضبط
الرواية والحرص عليها كما هي في لفظها وتركيبها دون زيادة أو تغيير أو تصرف .
ومن إعجاب القوم بالشعر النبط أو من الاستجابة لهذا الإعجاب والاهتمام كان
له في إذاعة الرياض برنامج خاص دائم ...

ولي على هذا وذاك تعليق قصير ونصيحة صغيرة ... أما التعليق فهو أن ليس كل
ما كان نبطياً كان جيّداً أصيلاً فلا بُدَّ من نقده ومن أن يتولى ذلك صاحب ذوق
ومراس ... خدمة لجيل جديد يسمع الشعر النبطي ويرى الإعجاب ... دون أن يرى
مواطني الإعجاب أو أن يرى مواطني الإعجاب .

ثم إنَّ الجيد من شعر النبط عندما يوجد ، يوجد في قديمه أوّلاً ، يتّوَمَّ كان
سائداً ، وله شعراؤه الذين يعدلون شعراء الفصيحة بوجه من الوجوه ، أو هكذا
ينظرون إلى أنفسهم وينظر المجتمع إليهم ... أما هذا الذي ينظمه معاصرون لنا ،
وفي أغلبهم مثقفون ... فهو ليس شعراً نبطاً بمعنى الكلمة ، وأولى أن يميّزَ باسم
الشعر العامي أو ما أشبه ثم إنه كله — أو — جلُّه — فاقيدُ للنكهة الفطريّة التي
يتمتع بها الجيدُ من شعر النبط . وها هي ذي النصيحة تختلط بالتعليق ... : التمييز ،
والتذوق الصحيح ، والحكم العادل ... رأيت كثيراً ما استمعت إلى برنامج الإذاعة
وقلما وقَعْتُ على الجيد المستجاد ، ولكني كنت دائماً أسمع الإعجاب يُكّال
بغير مِكْنال ... للجديد المتكلف المصنوع فضلاً عن القديم لأنه قديم أو مشهور
أو يسجل حادثة غريبة في الحرب أو في الغرام ...

كاد جمعُ الشعر النبط يَسْتَنْفِدُ غايته وَمَنْجَمَه وإنْ بقيتْ بقيةٌ على الأيدي
أن تصل إليه قبل ضياعها ...

ومن التراث الشعبي الأمثال وكان للأستاذ عبد الكريم الجهيمان والشيخ محمد بن
ناصر العبودي في جمع الأمثال المذكور المشكور ... قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ وبعده طبعاً
وإعادة طبع - ومدارها الأول : نجد .

ثم يدخل الشيخ أحمد السباعي الميدان فيكون له : « الأمثال الشعبية في مدن الحجاز »
(تهامة ١٤٠١/١٩٨١) وهو تحت الطبع لدى تهامة ثانية . ويلحق به حسين عبدالله محضر
بـ « الأمثال العامة في مكة المكرمة » - مكة المكرمة ، نادي مكة الثقافي ، مطابع
مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٩ ، يحيى إبراهيم الألمي - « الأمثال الشعبية في
المنطقة الجنوبية » (عسير) ، مطابع الرياض ١٤٠١ .

وما زال الموضوع يحتمل الزيادة في الجهد ... والمملكة أوسع من نجد والحجاز ...
فهناك الشرقية وأمثالها ، وجازان وأمثالها ... وعسير وأمثالها ...

ومع الشعر والأمثال : الحكايات ... ورأينا في المعجم من تنبّه إليها . ونذكر
مرة أخرى الأستاذ عبد الكريم الجهيمان مع محمد سعيد حسن كمال مع فهد المارك ...
وما زال الباب مفتوحاً ...

ونذكر هنا مما وصل إلينا العلم به من ثمرات (جمعية الثقافة والفنون) في سلسلة
(المكتبة السعودية) : « حكايات من الماضي » تأليف محمد بن زبن بن عمير - الرياض ،
مطابع الفرزدق ١٤٠٢ - ٢٢٨ ص . و « مآثورات شعبية » تأليف محمد العبودي -
الرياض ، مطابع الفرزدق ١٩٨٢/١٤٠٢ - ٣٨٨ ص .

وستقوم - وشرعت تقوم - على التراث الشعبي دراسةٌ ودراسات في فنونه
المختلفة وفي دلالاته التاريخية ... وفي طبعاته وصلتها بالفصيحة ... إلى جوار جمع
التراث نفسه في مواقع مازالت غير مشبعة .

ونذكر هنا : « الأدب الشعبي في الجنوب » (تهامة - جزآن) للأستاذ محمد ابن أحمد (●) العقيلي ، أشرفت على إصداره دار اليمامة ، و « معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان » له ، ج ١ ، صدر في منشورات « تهامة » بجدة ...

وللمرأة مكان من التراث الشعبي ، الشعر ، ومن هنا كان كتاب « شاعرات من البداية » للأستاذ عبدالله بن ردّأس ...

وفي المعاصرات من تقول الشعر بالعامية ويرد هنا اسم ساطانة السديري التي رأيناها شاعرة بالفصحى كذلك فهي ندا ، ولها ديوان في الشعر الشعبي - يقول دليل الكاتب السعودي - إنه تحت الطبع ، ويزيد أن لها كتاب « صور من المجتمع » يتضمن حكايات من واقع البيئة السعودية . ويذكر ساعاتي أنه طبع في بيروت ، دار الآفاق الجديدة ١٩٧٥ - ١٤٢ ص .

وطبيعي أن يقع الاهتمام - ومنذ البداية - بالأدب الشعبي على أنه نشاط قام وحدث ، والحرص عليه كالحرص على غيره من مظاهر الحياة فضلاً عما قد يكون فيه من جمال وجودة ... ولا يمرُّ ببالي المعنيين به منافسة اللغة العربية الفصحى أو الجور عليها أو الدعوة إلى العامية بدلاً عنها ...

اللغة - المجمع اللغوي :

هذا هو الطبيعي ، ومع ذلك لا تعدم من يضيق بالعامية حرصاً منه على الفصحى وغيره ، وإذا لم يعلن الضيق عن نفسه صريحاً في هذه الأيام ، فإنه لا بُدَّ من أن يُحسب حسابه ، بل إنه صرح في الماضي القريب يوم كانت السيادة للعامية - والجهل - وكان المخلصون في بداية النهضة تهمهم بقطة الأمة ، والفصحى جزء لا يتجزأ من الأمة ويقظتها فكيف إذا كان القائمون بالنهضة أدباء ويريدونها نهضة أدبية كما هي نهضة سياسية واجتماعية ...

أجل ، هي نهضة باللغة الفصحى بعد كبوة وخمول وضمور ، ولا يكفي

هذا الذي يدرسه (الشيخ) فقط فهم - مهما يبلغوا في العدد - فئة محدودة مقفلة ،
واللغة كيان حي ، يُرَادُ لها العموم ، ويراد لها النص الأدبي المبدع الجديد ،
ومجالات التأليف الواسعة ...

ولك أن تُلِمَ بما كان يكتب في مطلع النهضة في الحجاز قبيل العهد السعودي
وبُعَيْدَهُ لَتَرى الغيرة على اللغة ، ولغة الأدب والكتابة والتأليف ... وكان من
آثار ذلك في « المعجم » كتاب لمحمد سرور الصبان : « المعرض » (ولا تعلم من
أَن تَسْتَشِفَّ خلاله من يمنح العامة أهمية خاصة) ، وكتاب عبد القدوس
الأنصاري : « إصلاحات في لغة الكتابة والأدب » ...

وقد نجح السعي - مع عوامل أخرى - في لغة أدبية تناسب النهضة ، وتدل على
الجدّة ، ولك من أمثلتها ما ورد في كتاب « أدب الحجاز » و « وحي الصحراء » ...
ومن يدري فقد يكون في التنسّب إلى حماية الفصيحة ما ورد عن مصر من دعوات
إلى العامة ... ولكن مصر لم تصلر تلك الدعوة وحدها ، وإنّما صدرت الجيد من
الفكر والإبداع ... والسليم من اللغة في الشعر والنثر ... والتأليف والصحافة ...
والعرب في كل مكان يتأثّرون بذلك ، وينتفعون ... وتحسنت اللغة الأدبية على
وجه ماحوظ ، سبقت إليه الحجاز وشتان بين الشعر والنثر قبل النهضة وبعدها ،
ثم لحقت نجد والشرقية ... والموازنة بين لغة عهدين قائمة والفروق لا تخفى ...

وفي مصر - كما في الشام - مجمع اللغة العربية ... فليكن للسعودية مجمعها
اللغوي وأعلنت الدعوة إليه - وربما كان الأنصاري الأول - أو من الأوائل - في
الدعوة مع كثير من الثقة بالنفس وبالنتيجة . ولكن مجعاً للغة ليس أمراً سهلاً ،
ولابدّ له من عدد من العلماء باللغة يَفْقِهُهُ حقه ، ويقوم برسائنه . ولم يكن هذا
العدد بالمتهيئ ، ومن هنا تصدّى للدعوة من لَمْ يَقْبَلْها على إطلاقتها ... وقد
يكون الأول في التصدّي - أو من الأوائل - الشيخ حمد الجاسر . ووقفت المسألة
عند هذا الحد .

وظلّت تردد بين حين وحين ، ورُبّما أُسِيئَ فهم موقف الجاسر ، فعُدّ

مضاداً للدعوة جملةً وتفصيلاً ، وما هو بذلك ، وحانت فرصة إلى أن يوضح ما هو عليه ، وكأن الدعوة سابقة لأوانها وإن تقدم الزمن بمصلحتها ، وسواء كان هذا أم ذاك فليكن المجمع ، مجمعاً علمياً – على غرار المجمع العلمي العراقي مثلاً – فيه اللغوي واللغويون ولكن فيه – مع ذاك المؤرخ الجغرافي والفقيه ... والطبيب والفيزيائي ... يتعاونون ويتكاملون وقد صار للبلد – بعد ما قطع من خطوات علمية – العدد الذي يفني بالمطلوب ويوفي القصد .

وفي اللغة يذكر من جيل (الشيوخ) الذين أولوها عناية خاصة – وقد فقدنا الأستاذ عبد القدوس الأنصاري – : أحمد عبد الغفور عطار ، أبو تراب الظاهري ، عبد العزيز الرفاعي ، محمد سعيد العامودي ، عبد الله بن خميس – مع الاعتذار عن الجهل بالأعلام الآخرين .

ثم جاء جيلٌ جديد ، جامعي ، طليعته الدكتور حسن شاذلي فرهود ... وآخرون ... ومن الأكثر شباباً الدكتور محمد حسن باكلا ... وآخرون ممن لم تنهياً لي معرفتهم أو تسعفي بهم الذاكرة . ولا تنفصل الدراسات الأدبية عن اللغة ، وللبلد في هذا خير وفير ... ولا تستغني اللغة العربية عن مُتَخَصِّص بلغة أجنبية ... وستجد في عزيز ضياء من يجمع الحسينين . كما يستفيد من محمد إسماعيل الصني وعزت عبد المجيد خطّاب ... ثم يكتمل (المجمع العلمي) ببارزين من العلماء في الفروع المختلفة ويتمكن الدكتور عبد الله الدفاع تمكناً مرموقاً مؤيداً بالمؤلفات اللازمة في مادة التراث العلمي للعرب ... وهكذا يتوزع المختصون إلى أعضاء عاملين ، وإلى أعضاء لجان يدعو العاملون إلى إنشائها .

لم يبق عذر للتأخر – إذَنْ – وقد كثرت المجامع العربية ، ولا بُدَّ من التعاون ولا عجب بعد ذلك أن يرفع الشيخ الحاسر صوته مطالباً بالمجمع العلمي ، وأن يخطو الخطوة الرسمية بتقديم الطلب ... وأفلحت الجهود من حيث الشكل إذ صدر الأمر الملكي بإنشائه (في رمضان ١٤٠٣) وبقي الشروع بالتنفيذ ، وذلك آتٍ ، وسيكون مجمعاً لا يقل عن نظائره في الأقطار العربية إن لم يزد على بعضها من بعض

الوجوه ... وتلتقي المجامع في الخطوط العامة لوحدة العرب ، وتفرق قليلاً لدن توجه المجمع منها لخصوصية القطر الذي ينهض فيه .

ويبدأ حينئذ نشاطه في الدرس والبحث والنشر والتحقيق ... وستكون له مطبعتة ومجلته ومطبوعاته ، ونرجو له سلفاً استمرار النشاط والرفع عن الركون إلى (الهدوء) الذي يحدث لدينا عادة عندما نبليغ هدفاً ما ، وكأن بلوغ الهدف - القريب - غاية في نفسه ، وكل شيء .

رابطة - أو اتحاد - للأدباء :

واقترنت دعوة الشيخ الجاسر بدعوة أخرى ، هي دعوة إلى رابطة الأدباء السعوديين ، لم تتحقق شكلاً مع حصول وجه من مضمونها قبل الدعوة ، ومن ثم لا يستحيل مزج الشكل بالمضمون فلا يوجد بلد متقدم من غير جمعيات أو أندية ، وقد كانت للجمعيات (بواذر) قبل العهد السعودي على شكل أهلي من منتديات ومجالس و (دواوين) بيوت ثم كانت جمعيات ، منها ما رأينا من جمعية الإسعاف ... ولكن لم تكن ذات مفعول ودوام ... ثم سادت النوادي الرياضية أولاً (وأخيراً) ولم يعد بُدُّ من توجهه خاص الأدب ومن اتحاد الأدباء أو رابطة ، والأدباء يريدون ذلك ، والندوة لا بُدَّ لها من أخذ زمام المبادرة ... ولا يخلو قطر عربي من مظهر من هذه الظواهر ... زيادة إلى مجالس لرعاية الآداب والفنون في عدد منها . ومن هنا كان ونحن في أخريات ١٣٨٣/١٩٦٣ قرار مجلس الوزراء رقم ٢٥٨ بتشكيل مجلس أعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب ، ومن ثم قرار وزير المعارف (الشيخ حسن آل الشيخ رئيس المجلس) الموافقة على اللائحة الداخلية . وتم تشكيل المجلس وعين له أمين سر دائم . ولم يسمع مؤلف « المعجم » عما حقق المجلس ، وربما كان ذلك لأن المجلس لم يصدر مطبوعات أو ليُعدَّ صاحب المعجم عن مجرى الأحداث .

والأدباء في تكاثر وتجويد ، ونشاط واطلاع على ما لِرُصَفَاتِهِم في الأقطار العربية من عوامل الاجتماع والالتقاء ، وتلاحظ المملكة ذلك وتدركه ولا بُدَّ من

تحقيق الرغبة بوجه من الوجوه ، وتصريف الشكوى بطريق من الطرق . وكان أقرب ما قام ، دعوة كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة إلى « المؤتمر الأول للأدباء السعوديين » فعقد فعلاً خلال ١ - ٥ ربيع الأول ١٣٩٤ ، وقال الرئيس الأعلى للجامعة وزير المعارف - الشيخ حسن آل الشيخ : (الأدباء هم الأُمَماء على التراث ، والعاملون بكل طاقاتهم وجهودهم لكيما تبلغ أمتهم ووطنهم المتزلة التي تليق بهما ...) .

ومرت الأيام الخمسة في نشاط وحماسة يتعاقب في أثنائها الأدباء على المنصة شعراء وباحثين ومفكرين .. وكانت التوصيات من منهج اليوم الخامس ... وفي التوصيات : أن المؤتمر يُوصي بحصر مصادر الأدب السعودي ، وإنشاء كرسي لمادة الأدب السعودي وإصدار دليل شعري ، وإحداث مؤسسة تتولى النشر - غير التوصية بإنشاء مجمع علمي سعودي .

ولم تكن في التوصيات إشارة إلى مؤتمر ثانٍ ، ولم يُعقد مؤتمر ثانٍ . وكان من محاسن المؤتمر الأول إصدار وقائعه عن جامعة الملك عبد العزيز بخمسة مجلدات تكون مصدراً مُهِمّاً لدارس الأدب السعودي وإطّرافاً من هموم الأديب السعودي . وربما كان في التوصيات نص على إنشاء نظام (الإيداع) .

ولكن (المؤتمر) كائناً ما كان لا يشبع الرغبة ولا يحقق الطموح ... وإذا كانت النوادي الرياضية مرتبطةً بالرئاسة العامة لرعاية الشباب ، فلتُنشأ ، (وقد أنشئت عام ١٣٩٥/١٩٧٥) مؤسسات خاصة بالأدب في طول البلاد وعرضها - قدر الإمكان - ولترتبطُ بالرئاسة العامة - إلى جوار النوادي الرياضية والجمعية العربية السعودية للفنون (وقد تأسست في ١٣٩٣/١١/٢٦ % ١٩٧٣) حتى لو كان في أعضائها شيوخ ورؤاد من أمثال أحمد سباعي ومحمد حسن عواد وعزيز ضياء ، وحمد الجاسر ، على أن تُسمّى نوادي ، فهذا النادي الأدبي في الرياض وهذا في المدينة المنورة ، مكة المكرمة ، جدة ، الطائف ، جيزان (جازان) القصيم ، أبها ... بانتظار فُرُوع أخرى ، الباحة . وقد تكون ذات يوم في تبوك والأحساء

أو القطيف ... تنظر في المعجم مادة نادي ، جمعية ... وللجمعية وقد عدل اسمها في غرة عام ١٣٩٨ إلى « الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة » ثم عدل إلى ... للثقافة والفنون - مطبوعاتها ، وللنوادي مطبوعاتها ؛ وهي كثيرة العدد ، ليست قليلة الشأن مع طموح إلى الأحسن وطمع بالأعمق .

أقول : في هذه النوادي والجمعيات شيء غير قليل من مضمون دعوة الشيخ الجاسر ، ولكنه ليس المضمون كله ، ولا بُدَّ من مزج المضمون بالشكل ، وللشيخ الجاسر آراؤه في تلك الدعوة وتجاربه . وقد أذاعها صريحةً حرصاً على المملكة نفسها ، فقد رأى الأقطار العربية كلها تتمتع بما يسمى رابطة الأدباء (كالكويت) أو اتحاد الأدباء (العراق) ... وهذه الرابطات (الاتحادات) ذات كيان متميز ، وتجري فيما بينها المراسلات والمزاورات ثم لأنهم ليجتمعون من حين إلى حين على شكل منظم - أو طاري - باسم المؤتمر ، ومؤتمر أدباء العرب ، ويكون للاتحاد منها كيان متميز ضمن الإطار العام للأدب العربي . فلمَ وكيفَ تَبْقَى المملكة غريبة على هذا التنظيم ، معزولة عن أخواتها من الأقطار العربية الأخرى ؟ ... ألا يُوجد فيها العدد الكافي من الأدباء ؟ بلى يوجد . ألم يكن أدباؤها مجيدين ؟ بلى . لم تَبْقَ - إذن - إلا الدعوة إلى إنشاء رابطة للأدباء السعوديين وأن يعلن الشيخ الجاسر هذه الدعوة ويكررها مقرونة بالأسباب الموجبة - والشيخ الجاسر حريص على سمعة المملكة ، مؤتمن فيما يقترحه عليها .

وقد يكون في دعوة الشيخ الجاسر استجابة لإحساس يلمسه لدى الشباب خاصة في طماحهم إلى مثل هذه الرابطة (الاتحاد) وكأنَّ النوادي - متفرقةً - لا تُعوّضُ عنها ولا ترفع اسمهم إلى الدرجة التي ينشدونها بين أسماء أدباء الأقطار العربية الأخرى ، ولا تقع لدى المفاتيح موقع الرابطة - الاتحاد - ولا تَسُدُّ مَسَدَهَا .

وأحسب أن خطوة أولى سهلة لتحقيق نحو هذه الرابطة - الاتحاد - هي أن تتكون من النوادي القائمة لجنة عليا تدرس الموضوع وتضع النظام الرابط بينها ، ولتكن هذه اللجنة - أو لجنة منتخبة نظيرتها - الرابطة أو الاتحاد ، وتكوّن النوادي بعد ذلك الرابطات أو الاتحادات الفرعية ...

وتكون للرابطة - الاتحاد - المطبعة والمجلة والمطبوعات ...

ولا بأس في أن يبقى اسم (الرئاسة العامة لرعاية الشباب) هو هو أو أن يتحول إلى (الرئاسة العامة لرعاية الآداب والفنون والرياضة) ... أو أي شيء من هذا ... كوزارة الثقافة التي دعا إليها الشيخ عبدالله بن خميس أو وزارة الثقافة والشباب ...

ونعود فنقول : المهم المضمون وليس الشكل ، والمهم الأعمال لا الأقوال ... وأسمع خلال الإذاعة السعودية وأقرأ في الصحف ... ما يدل على أن (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) بدأت أكثر نشاطاً ، وأن النوادي الأدبية بدأت أكثر نشراً ... وأن صلة إداراتها بالأدباء تضعف شيئاً فشيئاً ، وأنها لم تعمل على استقطاب الجمهور . فإذا صح ذلك ، ولا بُدَّ من أن يصبح شيء منه ، ويطلب الشيء الثاني تحقيق الطموح والرعاية الصحية ، فليس بالصعب تدارس الموقف وتدارك الحال .

والرابطة - أو الاتحاد - آتية على أي حال .

وإذ نصِلُ المجمع اللغوي العلمي والرابطة - الاتحاد ... نتذكر أمراً قد يكون تأخر مكانه من هذا الاستعراض : هو الترجمة . ومفروض بنا أن نقدّر خطرها ونمنحها حقها من الاهتمام إذ شئنا زيادة في التقدم واستدراكاً للفائت واستفادة من تجارب الآخرين ، واختصاراً للوقت ودلائل على الإبداع في الأدب والفن والعلم ... والفكر ...

الترجمة .. والمترجمون ..

ونبدأ بالبداية ...

وكان في العرب الذين عملوا مع الملك حسين من يجيد لغة أجنبية أو أكثر ، ومثلهم الذين عملوا مع الملك عبد العزيز ، ومنهم من تكرر وجوده في العهدين ...

وتفخر « المنهل » وهي تستعرض فتوحاتها في الكتاب الفضي لها (١٣٦٩ / ١٩٦٠) بعنايتها بالترجمة وتذكر بين الأسماء الأولى في هذا المضمار محمود عبد الوهاب

(ولد بمكة المكرمة وتعلم بمدارسها . وقد أسهم مدة من الزمن في الصحافة المحلية بمقالاته الأدبية والتاريخية . ثم تفرغ للعمل التجاري بمكة المكرمة - المنهل الخاص) .

ثم جاء (نصر) من خارج البلاد الجزائري : أحمد رضا حوحو (●) وما ترجم فيها من قصص .

وربما كان في المنهل آخرون ... ولا بُدَّ من أن يكون آخرون ونحن نعرف من أدبائها محمد علي قطب (●) .

وكان الصحافة تهمل أمر الترجمة إهمالاً تاماً إن لم تكن قد أهملته ، فهكذا هي كما رأيتها في ثمانينيات القرن الهجري / ستينيات القرن الميلادي . ومضى الأمر على ذلك ... ولكنه بدأ أخيراً - وربما منذ - خمسة الأعوام الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري / ١٩٧٥م يستيقظ ، فإنك واجد المترجمات في هذا العام في مجلات الفيصل ، الحفجي ، إقرأ ، اليمامة ، المجلة العربية . وربما غنيت بالترجمة الأعداد الأسبوعية من الجرائد .

وكننت أدعو - وأنتظر - أن تستخرج تلك الترجمات من قلب المجلة (أو المجلات) لتكون كُتُباً ، وليبَعَمَّ النَّفْعُ ، ولم أكن على ضلال ، ولا بُدَّ من أن يكون آخرون على هذا الرأي . ومن هنا كان طلب الأستاذ عبد الرحمن المعمر (وهو أديب ، مؤلف وأحد صاحبي دار ثقيف للنشر والتأليف) إلى الأستاذ محمد علي قطب أن يسمح يجمع ونشر ما نشر له بمجلة المنهل من قصص مترجمة ، فاستجاب ، فكان الكتاب الذي صدر في شوال ١٣٩٨ / سبتمبر ١٩٧٨ باسم « كانتفرستان وقصص أخرى » . أثّرَ هذه كل ما ترجم الأستاذ محمد علي قطب ؟ لم لا يترجم لنا جديداً ؟ لم لا ننشر القصص الأخرى التي ترجمها غيره في « المنهل » أو في غير المنهل ؟ فملك ثروة وفائدة وكتب .

ورأينا في المعجم أحمد عبد الغفور عطار ومن ترجماته « الزنابق الحمر » لطاغور ، والمفتش لغوغور (جوجول) ... ولكن الأستاذ عطار ابتعد عن الأدب

— إنشاء وترجمة — شيئاً فشيئاً وتحول إلى اللغة والإسلاميات والتاريخ والسياسة .
وفي هذا التحول كانت ترجمته لبروتوكولات صهيون — وقد بلغت ط ٨ .

ويقفز إلى الذهن في خفة ورصانة اسم الأستاذ عزيز ضياء (●) وقد تكرر الحديث عن عمله الجيد باللغة الانكليزية ، وربما زيد على الانكليزية : الفرنسية والتركية . ولا غرور ، فهو أديب مرموق بالعربية ، وتنهياً له أن يعيش اللغة الانكليزية ويغرم بأدبها وفكرها وما نقل إليها من آداب أخرى ...

الأستاذ عزيز ضياء ما باله لا يُترجم ؟ ولا ينشر ما يترجمه في كتاب . إنه من مواليد ١٩١٤ وقد تقدم شيئاً في السن ونال من الشهرة الأدبية ما نال ... أما تراه قد ترجم ونشر هنا وهناك دون أن يباغ علمي ما ترجم أو نشر ؟ ممكن ... حتى إذا قارب القرن الرابع عشر أن ينتهي وقامت دار تهامة للنشر والتوزيع استشارته فكان أن أصدرت له النافع والطريف والممتع ، وكان قلمه مُتميّزاً بين ما صدر في الأقطار العربية . لا بُدَّ من أن يكون في الذي نشره بعد ١٤٠٠/١٩٨٠ ما كان ترجمه من قبل ... والذي صدر له كثير جليل استدركناه في المعجم رغم تأخره عن الحد المحدود للنهاية . وعزيز ضياء ، سيد ؟ قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ دون شك . ولقد رأيت له في المعجم : « عهد الصبا في البادية » ، و « النجم الفريد » ، و « قصص من سومرست موم » ، و « قصص من تاغور » ج ١ ثم رواية جورج أورويل « العالم عام ١٩٨٤ » (في شعبان ١٤٠٤ / مارس ١٩٨٤) — ، وبانتظار المزيد ، فما قلم الأستاذ بقاصر وما دار تهامة بمقصرة . ولا تنس ما نشرت له من حكايات مترجمة للأطفال وما ستشره منها . وهي في حدود عشرين قصة وتزيد .

وتهامة نفسها نشرت لحمزة بوقري : « بائع التبغ » (مجموعة قصصية) سلسلة الكتاب العربي السعودي (٢٩) ، جدة ، دار الأصفهاني للطباعة بجدة ١٤٠١ — ١٩٨١ — ١٣٥ ص . (وبالمناسبة ، مناسبة أسف خبر وفاته ، وقد فقدنا الأستاذ حمزة بوقري مرتين ، وكانت الثانية النهائية بعد أن استأنف نشاطه الأدبي في التأليف وأصدر : « محمود تيمور والقصة القصيرة » عام ١٤٠٠ عن دار الرفاعي) .

وزادت تهامة أن أسهمت جادة في التأليف عن قضايا سعودية باللغة الانكليزية فكانت لها في ذلك سلسلة خاصة ، ومما نشرته (Who's Who) (وقد أفدنا منه في طبعته الثالثة) .

وأحسب أن المثقف السعودي لم يطمئن تمام الاطمئنان إلى جدوى الترجمة وإلى مفعولها في إذكاء الفكر وإثراء الإبداع وتقريب المعرفة ... أحسب لأنتي أرى كثيراً من الشباب المثقف المتخصص يعود من جامعات أوروبا وأمريكا ومعه الشهادات العالية والعليا ، وفي تخصصات مختلفة منها ، ما لا يكاد يمرُّ بيّال ... ولكن الترجمة وكأنها هي هي ، تراوح في مكانها فضلاً عما في البلاد من جامعات ، وما في هذه الجامعات مع أقسام للغة الانكليزية ... وأساتذة للأدب الانكليزي نفسه ...

وأستطيع أن أعدّد من الأسماء الكثير المجيدين بدءاً من زملائي الكرام الأوائل في جامعة الملك سعود : أحمد محمد الضبيّيب ، منصور إبراهيم الحازمي ، محمد عثمان الصالح ، عبد العزيز عبدالله القدّا ، محمد عبد الرحمن الشامخ ... ثم من جاء بعدهم وبعدهم وانتهاء بما لا نهاية له .

أَتَلَفْتُ فلا أجد إلا القليل ، على ما في هذا القليل من جودة تزيد في الأسف وتُضَاعِفُهُ . وفي الكثيرين منهم لم يترجم رسائلته ، وقد ترجم الحازمي قسطاً منها - فيما يبدو - وترجمها الشامخ أقساطاً موفقة ثم أصدرها كاملة ، موسعة ، تكرر طبعها ثلاث مرات ، ط ١ ، ١٩٧٥/١٣٩٥ ، ط ٣ ، ١٩٨٣/١٤٠٣ ... ونبقى ننتظر ، ولم يخيبنا الضبيّيب إذ ترجم عن ت . م جونستون كتاب « دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية » (١٩٧٥/١٣٩٥) .

ذكرنا الزُملاء العائدين من انكلترة ، وليست الانكليزية وحدها المقصودة بالترجمة ، ومن الزُملاء الدكتور أحمد خالد البدلي الذي حصل على الدكتوراه من جامعة طهران في ١٣٨٦/١/٢٤ في « دور الشعر الفارسي في الدعاية المذهبية من منتصف القرن الخامس الهجري إلى أواخر القرن السابع في إيران » .

الدكتور علي جواد الطاهر

(للحديث صلة)

الحيوانات في بلاد الرّولة

(*)
[للمستشرق ألويس موزل (ت . ١٩٤٤م)]

تعريب : د. محمد بن سليمان السديس]

الحيوانات الآكلة لِلْهُوم :

تستوطن المراعي التي يرتادها الرّولةُ حيوانات شتّى ، فيعيش الفهدُ بخاصّةٍ على المرتفعات شمالَ شرقيّ منخفض السّرحان ، وكذلك في نواحي (العزّل) .

والقُرْطَةُ حيوانٌ مفترسٌ شبيهٌ بالقطّ الوحشيّ ، فلا يختلف عنه إلا في كونه أضخم حجماً ؛ ولونه أصفر قاتم ؛ وله أذنان مصلومتان ، تنتهيان بخصلة من الشعر الطويل المستقيم ، يستوطن (الحجره) و (اللّبة) . وهو يربص بالغزلان ، ويخفي نفسه عادة في شجرة (الحِمْرِي) . وإذا حرك النسيم الشّجر اهتزت الشعيرات التي على أذنيه ؛ فتندفع الظباء وتدنو منه ، فيقفز على متونها ، ويغرس برائنه في حناجرها ، ويمتصّ دماءها .

وتسكن أعداد كبيرة من الضباع (المفرد : الضّبعة) جحوراً في سلسلة (الطّويل) . وهي تجنّب في النهار ، لكنها تجوب الأرجاء كلها ليلاً ، فتفتح الأجداث ، وتلتهم الجثث ، وتهاجم الإبل الجرحى أو العليله ، بل وتفترس الرّضع وهم يبيكون . ولها ثلاثة فراعل أو أربعة^(١) . وإذا رأى البدو أثراً جديداً لضبع قُرب جُحْرٍ أحاطوا به ، وأحضروا رِشاء طويلاً ، وعقدوا في طرفه أنشوطه ، وطلبوا من أحدهم دخول الجحر للبحث عنها . فيُدخل الصيّاد يده اليسرى

في الأنشطة ، ويزحف على بطنه ، وَيَجْرُ الحبل خلفه ، ويتحسس يديه في كل جهة حذرًا بحثاً عن الحيوان . وحالما يمسك بها يصيح : إنها ليست هنا ! هذه ليست هي ! ليست هنا ! لقد عثرت على قطعة شَنُّ بالٍ ، لكنها ليست هنا ! (*) . ويضع في الوقت نفسه الأنشطة في عنق الضبع ، ويزحف خارجاً . وبعد إيماءة مُتَّفَقٍ عليها يَجْرُ رفاقه الضبع خارج الجُحْر ، ويدبحونها ، ويأكلون لحمها .

ولحمُ الضباع الصغار ، التي يكون عمرها نحو ستة أشهر ، والتي تعيش مع أمها بخاصة شهية .

وأَسنان الضبع إذا عُلِّقَتْ حول العنق تحمي الأطفال من الأسقام المختلفة . وإذا مُزِجت مَرارة الضبع بِماء وشُرِب خفف حرارة الحمى (٢) ! .

والذئب مُولَعٌ أَيْمًا بإيلاعِ بزيارة الكهوف والصدوع الصخرية . وترحف الذئبة داخل جحر الضبع المهجور حين تكون على وشك ولادةٍ وحسب .

أما من حيث اللَّونُ فإن الذئبَ لَيُكَيِّفُ نفسه للمحيط الذي يستوطنه . فهو بُنِّيٌّ غامق (أسحم) في المناطق البركانية ، وبُنِّيٌّ خفيفٌ مُشْرَبٌ بِخضرةٍ (أزرق) في صحراء النفود ، ورماديٌّ مُشْرَبٌ بِزرقاء (أشهب) في سهول الحِمَّاد والأودية .

وتستخدم جلود الذئاب لعمل الرِّبَابَات (المفرد : الرِّبَابَة) أو (الفَيُولَات) ذات الوتر الواحد التي يضحى لها عندئذٍ نَعْمَةٌ مرتفعة (٣) .

وتجلب عينُ الذئبِ سعرًا باهضًا جدًا لأنها تَحْمِي من أعظم الأخطار (٢) . والذئب يفهم كلام البشر فهمًا تامًا ، فقد كان هو في وقت ما إنسانًا ، وكان اسمه سرحان ، وكان يمتلك الأغنام والماعِزَ قاطبةً ، فاقترب خطيئة كبرى مُسَخَّ بسببها ذئبًا ، واستولى الإنسان على ماشيته ؛ لكن الذئب ما فتى حتى الآن يَبْعُدُ

المَعَزَ والأغنام ملكه الذي لا يشاركه فيه مشارك .. وَيُكِينُ عِداً للرعاة وكلاهم ،
لأنهم يحولون بينه وبين الاستمتاع بماله .

قال ذئبٌ ، ذات مرة ، لكلبٍ غمٌّ : (اللَّيْلَةُ عَشَايَهُ رَاسُ مَالٍ) أي :
سَأَتَعَشَى اللَّيْلَةَ مِنْ مَالِي ! ، فأجاب الكلب : (إِلَيَا عَشَوْنِي هَلْبِي أَفِيكَهَا لَا
تَذُوقَهَا !) أي : إذا عشانِي أهلي فسأمنع ما لهم من أن تذوقه ! .

أمّا من لم ينل الكلبُ عِشاءً كافياً فإنَّ الجوع يضطّره لِلْعَسِّ في أرجاء الحيِّ
التماساً للطعام ، فيتمكن الذئب من نهب كل ما تطلبه نفسه .

خرج بدويٌّ مرةً على جملة طلباً للغنيمة ، فلقى ذئباً منطلقاً مثله في التماس
غُنْمٍ ، فاتفقا على أن يتعاونَا كأخوين (تَخَاوَوَا هُوَ وَالذَّيْبُ) ؛ فأقَعَى الذئبُ
على البعير خلف الراكب . وحينما نام الراكب تولى الذئب رعي البعير . ولما دَنَوَا
من تَلٍّ عالٍ (مِرْقَابٍ) تَرَى من قمته أَمَاكِينَ قَصِيَّةً ، زحف الذئب إلى أعلا
التَّلِّ وأجرى (مَسْحاً) شاملاً للأرض من شتى نواحيها . وأخيراً ملح إبِلًا
لقبيلة معادية ترعى ، فَيَسَّمَا شَطْرَهَا حَدَرَيْنِ ، ثم ترك الراكب جملةً في
أُخْدُودٍ مُنْزَوٍ ، وانسَلَّ مع الذئب نحو الإبل . عدا الذئب على الرِّعاء الذين
ما أن رأوه حتى قبضوا على أسلحتهم ، وانطلقوا إثره ، وقد تعالت صيحاتهم .
وما أن اختفوا عن الأنظار حتى انتقى البدويُّ أفره الإبل وركبه قاصداً الأخدود .
أما الذئب فمضى قائداً الرعاة بعيداً عن قطيعهم ، ثم عاد إليه مسرعاً ، وغرس
برائته في حلقِ قَعُودٍ كان مُغَطًىً بجلدِ قَعُودٍ آخر ، ثم جرَّه إلى الأخدود .

(يسمى جلد القمود من هذا النوع (بو) (4) وإذا ولدت ناقة قوية ، كانت تحلب مدة طويلة حلياً
وافراً ، ولدت حواراً ضعيفاً ، فصله المالك عن أمه وذبحه ، وربط قطعة من جلده حول رقبة قعود آخر ونحوه ؛
فتشم أم القمود الذبيح الجلد ، وتخاله ابنها ، وتمكنه من الرضاع ، وبذلك لا يحف لبها مع حزنها ، بينما
تستمر أم البعير الحي في معاملته كما لو كان ابنها . فتبتئ كل من الناقتين الحوار وترضعانه ، وللمالك
أن يحلب كلا منهما) .

وحالما لمحت الناقتان حوارَهُمَا وقد مضى به الذئب ، انطلقتا في إثره ،

ودخلتا الأُحدود وَخَيْدًا^(٥) ، حيث عقلهما البدوي ، ثم ساقهما غنيمَةً باردة إلى قَطِينِهِ . أما رفيقه الذئب ، الذي لم يشأ أن يجازف بحياته بدخول القَطِينِ ، فكمن في صدعِ صخرةٍ قريب ، وانتظر أن يأتيه البدويُّ بنصيبه ، وذلك ما غفل الأخير ، على أيةِ حال ، عن فعله ! . وبعد يومين شرع الذئب يعوي : (عَوَّو ، عَوَّو ، عَوَّشْتِي !) . فنحر البدويُّ في الحال إحدى الناقتين ، وأحضر الأُعماء والتَّحَرَّ والقوائم ووضعها للذئب وراء القطين .

وبعد أن تحدث البدويُّ في بيت الشيخ عن هذا الأمر أبلغ الحضور بأنه سوف يعاقب من يمس رفيقه الذئب بأذى .

وكان في الحيِّ فتى يتعلم الرماية . فلما رأى الذئب نَسِيَّ التَّهْدِيدِ ، وصوب بندقيته نحوه فأرداه صريعاً . فما كان من البدوي إلا أن انتقم لأخيه الذئب وقتله به . وقد قال كبار السن جميعاً : إنَّه كان مصيباً . وقد شرح البدي [موقفه قائلاً] :

(تَخَاوَيْتُ أَنَا وَذَيْبِ سِرْحَانَ ، يَا وَيَّاهُ خَوَيْتِي مَا خَلَّتِي خَوَيْتِي)^(٥) .

أي (لقد تَأَخَّيْتُ وَذَيْباً سِرْحَانَ فَيَا وَيْلِي إِنْ أَخِي الْآخِرَ لَمْ يَدْعُ هَذَا الْآخِ) ! .

والسَّيِّبُ هو ولد الضبع من الذئب . ويعيش في الأراضي المتاخمة لبشر (الشَّقِيق) . ويهاجم البشر وإن لم يُهَيَّجْ .

والظَّرَبَانُ (الظَّرَبُول) حيوان أصغر من الكلب ، له مَنِّ أصفر باهت ، وبطنٌ أسودٌ ، ورأسٌ كلبٍ ، وأسنانٌ كَأَسْنَانِ الْإِنْسَانِ ، وذيل طويل ، ولجلده رائحةٌ مميِّزة ، وهو يقيم في جحور يحفرها لنفسه ، ويلتهم البرابيع والفئران والحرايِبَ .. إلخ . ولحمه يؤكل .

وإذا وجد بدوي ظَرَبَاناً مُخْتَبِئاً في جُحْرِهِ صاح به : (كُرَّ الظَّرَبُولُ كُرَّ الظَّرَبُولُ) أي : قَرِّ أَيُّهَا الظَّرَبَانُ ! قَرِّ أَيُّهَا الظَّرَبَانُ ! .

ويعيش الثعلب (أبا الحصين ، الثعلب ، أو الغريري) في كل مكان في منطقة الرولة . وإذا رُوي أثره في الصباح في الطل أطلقَ كلبُ صيدٍ (سَلْقَةِ) في أثره . ويؤكل لحم الثعلب المصيد^(٥) .

ويحمل الثعلب ضَغِينَةً شديدةً لبني البشر لمطاردتهم له ، ويتهمهم بنكران الحميل . لقد وجد آدمُ الأبُ الأولُ لبني البشر كُلَّهُم ، ذات مرة ، أفعواناً نصف متجمد خلف جنة عدن . وقد هزته الشفقة فوضعه في صدره ، وعاد به إلى جنته . ولما شعر الأفعوانُ بالدَّفءِ ، وأبْلَ من سَقَمه ، صاح بآدم : عُدْ بي حالاً إلى حيث أخذتني ! إنَّ عائلتي هنالك ! وإن لم تحمِلني وتعدُ بي الآن فلألدَغَنَكَ ! . ولم يستطع آدم تذكُّرَ البقعة التي التقط الأفعوان فيها بعينها . فظل يسير تارةً إلى الأمام ، وتارةً إلى الخلف ، ومعه الأفعوان الذي ظل يصيح : ليس هذا موطن أسرتي ! عُدْ بي إلى هناك حالاً ، وإلا فسألدغك ! .

وقد سرَّ آدم ، الذي بلغ منه الإعياء والخوف مبلغهما ، أن لقيهما ثعلبٌ ، فعرض على الأفعوان أن يكون الثعلبُ حكماً بينهما ، فوافق .

جلس آدم أمام الثعلب مجلس المدعي ، وشرع في إيضاح القضية ، لكن الثعلب قاطعه قائلاً : اصمتْ حتى يحضر خصمك . (قال) : إن خصمي هنا . قال الثعلب : إني لا أراه ! قال الأفعوان : أنا هنا . أنا مضطجع على بطن آدم تماماً ! . قال الثعلب : إذا كنت خصم آدم (قَبِيلِهِ) فعليك أن تجلس في مواجهته (قَبِيلِهِ) ، وإلا فلن اعترف بك بهذه الصفة . حسناً قال الأفعوان : إذن سأزحفُ خارجاً .

خرج الأفعوان من تحت ثوب آدم وجلس أمامه . ثم قال الثعلب : ساسميك أيها الإنسان (نَيْصُوب) فتيقَّظَ لفهم كل شيء ! . أمسك برأس الأفعوان يا نَيْصُوب ، به ! . لكن (يا نَيْصُوبُ به) تعني : (أوه . ضربة عليه) .

فهم آدم ما أراد الثعلب ، وقبض على هراوته التي كان لها عَجْرَةٌ ثقيلة (قنا) ، وهشَّم بها رأس الأفعوان .

ومذ ذلك الحين وأبناء آدم يقتلون كل أفعى يقع عليها نظرهم . لكن لما بدأوا يطاردون ذرية الثعلب أيضاً ، ويأكلون لحومها ، اشتكى الأخير قائلاً : (أخسر يا أسود الرأس ! ليه اتناكر ، تيسلى المليح !) أي : يا للعار عليك يا أسود الرأس ! ليم أطارد ؟ ! أذلك لأني جوزيت لعملى المعروف) (١) .

ويعلم الثعلب أنه يود مسالة الجميع ، لكنه في الحقيقة يرغب في خداع الجميع ! . فقد قام مرة - مثلاً - ببعث رسالة للغراب : (أبغى أكرم لك) أي : يسعدني أن أقيم وليمة لك . قال الغراب : (زين أكرم) أي : حسناً اصنع لي (كرامة) أي (وليمة) . فقام الثعلب بغلتي عصيدة وصبها على صخرة منفرشة ، ثم دعا الغراب ، فجاء ، فحثة الثعلب قائلاً : (أفليح يا صاحبي) أي : تفضل يا صاحبي ! وبدأ في الحال يلحق العصيدة السائلة على الصخرة (الصفا) بينما لم يستطع الغراب الجائع رفع شيء بمنقاره . فقال في نفسه : هذه إذن هي ضيافة الثعلب الحسنة ! . لكنه لم يسد للثعلب استيائه ، ودعاه للتشريف بزيارته لتناول تمرات حلوة الطعم . فسأل لعاب الثعلب ، إذ كان شغوفاً بالتمر الحلو ، لكنه لم يكن يجد إلى جنبها سبيلاً لكونها مدلاة من علو لا يستطيع الوصول إليه ، ولطالما كان يرغب في عقد صداقة مع الغراب من أجلها وحسب ! .

ألقي الغراب أطيب التمرات وأنضجها في جوف شجرة متشابكة الأغصان ، ذات أشواك طيول حداد (قتادة) ، وقال عندئذ للثعلب : (أفليح يا صاحبي) : فأخذ الثعلب يطوف بالشجرة محاولاً استخراج ولو ثمرة واحدة بلسانه أو بقدمه دون طائل . لقد جرحت الأشواك قدميه ، فظل يرقب الغراب الذي كان يستدني التمرات ثمرة تلو ثمرة بمخالبه ، ثم يلتقطها بمنقاره .

ومذ ذلك الحين اعترف الثعلب بالغراب على أنه نيد مساوٍ له .

والثعلب مغرم بأكل الحبوب ، لذلك دعا القنفذ (القمفند) والجمع القنافذ) لمشاركته في حرث حقل وبذر قمحاً ، فوافق القنفذ ، وشرع مع أفراد

أسرته (لديه أربعة وعشرون طفلاً) في العمل ، فحرثوا التربة ، وبذروا القمح ، وتولوا حراسته من المعتدين . وكان الثعلب يأتي من حين لآخر ضاحكاً ليلقي نظرة عليهم وهم يكدحون ، ولم يُعْنِهمُ أية إغاثة . لقد قطع لهم على نفسه وعداً بأن يتولى حصاد القمح ودَوَسَهُ وذَرَايته ، لكنه ترك هذا العمل أيضاً للقنفذ .

فلما ديسَ القمحُ وذُرِيَ ، قال الثعلب للقنفذ : ستتسابق ، ومن يَسْبُقُ صاحبه من جحري إلى كُوم القمح فالقمح كله له . نحن صديقان فليمَ نَقْسِمُهُ ؟ فهز القنفذ رأسه موافقاً . وكان شروق شمس اليوم التالي هو موعد بدء السباق .

وفي الليل أحضر القنفذ زوجته وصغاره الأربعة والعشرين إلى كوم القمح ، وأسند زوجته عليه ، ومضى رأساً إلى جُحْرِ الثعلب ناصباً أطفاله في أماكن بعينها على طول الطريق حتى وصل إلى الجحر وحده .

— يا والدي الثعلب ! لقد طلعت ذُكاء ، ألن تعدو ؟ .

— أَعُدُّ أَنْتَ فسادركك ! .

— حسناً سأعدو .

ولما عَمَّ الدفء وجَفَّ الطلّ — أي في وقت الضّحى — قفز الثعلب من وجاره وصاح : أين أنت يا قنفذ ؟ ! .

— هنا . قدام وجهك ! .

وقد دهش الثعلب لرؤيته القنفذ أمامه . وانطلق مهرولاً بكل ما استطاع من قوة ؛ وكان القنفذ ما فيّ أمامه ؛ فاشتد عاديّاً لكن القنفذ ما فيّ أمامه .

وكان جسم الثعلب يتفصد عرقاً عندما دنا من كوم القمح ليُلْفِي القنفذ قاعداً عليه ! .

وهكذا انتصر القنفذ على الثعلب ! .

وشاءت الثعالب يوماً مصادقة الكلاب . وبعد أن اجتمعت وتحدثت معاً ، كتبت رسالة طويلة وصفت فيها حبّها للكلاب ، وإخلاصها لها ، إضافةً إلى شغفها بالسلام وتعلقها به . وبعثت تَتَفُلاً (ثعلباً شاباً) ليسلم الرسالة إلى زعيم الكلاب . وما كادت قدما الثعلب الموفد تَطَّانَ حدود بلاد الكلاب حتى لحظه الحَرَسِيُّ . فانطلقت إثره خمسة كلاب . فصاح الثعلب قائلاً : إنه أتى ليفاوض الكلاب من أجل السلام ، وأراها الرسالة ، لكنها لم تصدقه . فألقى الرسالة إليها لعلها تقرأها . لكن الكلاب مضت في الهَرِير والاندفاع خلفه غاضبةً دون إعارة الورقة البيضاء أدنى اهتمام . لقد ابتهج الثعلب المندوب لأن نجماً بجلده ؛ وفرّ لا يَلْتَوِي على شيء ، ووَصَلَ إلى أصحابه والدم يسيل من الجروح الكثيرة التي أصابته ، والعرق يغطي جسده كله . ولما استعاد نشاطه سألته الثعالب : وماذا عن الرسالة ؟ فأجاب : لم تصدّقها الكلاب . قالت الثعالب : ماذا ؟ ! لم تصدّقها ؟ ! فليَمَ إذن ختمناها بِخَتَمِنَا ؟ ! قال : إن الكلاب لا تَحْفِلُ بِخَتَمِكُمْ . لقد أريت خمسةً منها الرسالة ، ولم يك من بينها من يحسن القراءة أو الكتابة ، لكنها جميعاً تحسن أن تَهَرَّ وتَعَضَّ كما ترون مني ! .

الحيوانات الكبيرة آكلةُ العُشْب :

يعيش (البِيدَنُ) أو (الوَعْلُ) ذو القرون الطويلة القوية في جبال (الرَوَاقُ) و (الشامَه) و (الطَّوِيل) و (الهُوج) . وإن هبط إلى السهل لم يَنْجُ من الكلاب ، لكنه في الجبال لا يُبَارَى . ويتقفر الصيادون آثاره الحديدية في طريقه ليلاً إلى المرعى ، فيكمنون في صدع صخريٍّ وينتظرون مروره . ويخرج أحياناً خمسةً نَقَرٍ أو أكثر لصيده ، فيتقدم أحدهم في موازاة قمة الجبل ، ويسير الباقيون بحذاء جانبه ، ويكون بين كل منهم والآخر مسافة معينة ، ويُجدُّون البحث في النهار عن المكان الذي تأوي فيه الوعول إلى الراحة .

وللوعل بَصَرٌ كليلٌ جيداً ، لكنه يتمتع بحاستيّ سمع وشمٌ جيدتين .

وتحمي الأنثى صغارها بِرَوْقَيْهَا .

ويصل حجم بقرة المها أو (بقرة الوحش) إلى حجم عجلٍ قد أتمَّ عامه الأول . وهي بيضاء ، ولها قرنان مستطيلان حادَّان تذود بهما عن نفسها الكلاب . وهي شديدة الولع بزيارة الحفر الشبيهة بالقموع (المحاقن) الموجودة في صحراء النفود نهاراً ، أما في الصيف ، حين لا يقطن البدو في النفود ، فإنها ترعى بحرية تامة حتى في وضح النهار ، بينما لا تخرج للرعي في موسم الأمطار إلا ليلاً ، وتكون خائفةً تترقب ؛ وإن هُيِّجَتْ شَرَدَتْ يوماً تاماً دون توقف .

وبَصَرُ المها كَلَيْلٌ ، فيستطيع القانصُ الذي يرتدي لباساً أبيض اللون أن يدنو منها إلى أن يصبح على مرمى البندقية إن تقدم في اتجاه مضادٍّ للريح ، وخلف جوادٍ أبيض أو بغير .

ويدعى الذكر منها (ثور) ، والأنثى (بقرّة) ، والصغير (عَجِلٌ) .

ولحمها ذو طعمٍ لذيذٍ جداً .

وتتخذ من الجلد الثَّقِرْبُ والألحفة . ويتخذ البدو قُمْأَزَا (دَرَقِيَه) من الجلد السمين الذي في قفا عنق المها (المعروف بالعرَّعَرَّة) ، لحماية اليد من جراح السيوف .

وتؤلف الأطباء (الظَّيِّي) أسراباً كبيرة (جَمِيلَه) في الحَمَّاد ، وفي منطقة (المناظير) في حدِّ تَدْمُرُ الجنوبي بشكل خاص .

ويسمى الذكر (تَيْسٌ) ، والأنثى (عَنَز) . والصغير (خِشَف) أو (غزال) .

وإن كان الغزال أبيض فهو (رِيَم) ، وإن كان بطنه أبيض ، وظهره يميل إلى الصفرة فهو (عِفْرِي) ، وإن كان ذا صبغة قرنفلية فهو (حِمْرِي) .

وخَيْرُ قَنَاصِيِ الأطباء رجالُ قبيلة الصَّلَيب . وطريقة قنصهم المفضلة أن يشترك في عملية القنص رجلان يقوم أحدهما بالحوَّش (حَوَّاش) ، والآخر

بالصيد (قنّاص) . والذي يتولى تَهْنِيجَ الطّباءِ وحَوْشِها يلفُّ حول ركبتيه ومرفقيه جُلُوداً (حَبَّابَات) ، ويزحف نَحْوَ سرب الطّباءِ مُحَاوِلاً حَوْشِها نحو الرامي الكامن . ويصيدان عادةً من عشرة إلى عشرين ظبياً في اليوم الواحد .

وتُحَاشُ الطّباءُ في (المناظر) نحو حظائر عديدة ، فيبنى حائط حجري يبلغ ارتفاعه نحو متر ونصف على شكل العدد ثمانية (8) دون مِلاط . ولا يبنى من الدائرة السفلى إلا نصفها ، وتترك فتحة ضيقة (ثَنِيَّة) أو (ضيق) حيث تلتقي الدائرتان . وتكون أجزاء الحائط التي تغلق الحلقة العليا أقصر قليلاً في أماكن متعددة من أجزاء الحائط الأخرى . وتحفر حفرة يترأوح عمقها بين المترين والثلاثة عند كل من هذه الأماكن خارج الحظيرة . ويُحَاشُ سربُ الطّباءِ بِحَذَرٍ إلى الدائرة السفلى التي لم يتم بناؤها . ويجري ذلك سريعاً لأن أحد الحائطين على بعد نحو ألف خطوة من الآخر . فتتقدم الطّباءُ بهدوء في بادئ الأمر ، لكن بعد أن يصيبها الذعر ، فيما بعد ، تعدو بخذاء الحائطين محاولة أن تنفذ بأسرع ما يمكن من خلال الفتحة الضيقة في الدائرة العليا المقفلة إقفالاً تاماً ؛ وحالما تعدو داخله تنفعل الفتحة الضيقة ، ويهجم عليها كلب صيد (سَلْقَه) ، فتظل الطّباءُ المدعورة تعدو حول الحائط . وتقفز عليه من لدن أقصر موضع منه . فتساقط في الحُفَرِ التي خارج الحظيرة .

ويقال : إن الطّباءَ تَحْلُمُ بالفتحة الضيقة التي تمرق من خلالها إلى هلاك محقق (الضيق)^(٧) . وإذا شاء بدوي إيقاف ظبي فأرَّ صاح به : (الضيق يا غزال !) أي : إن الفتحة الضيقة أمامك أيها الغزال ! فيتوقف الغزال في الحال ويلتفت .

وإذا لمح بدوي — وهو يؤدي عملاً هاماً — غزالاً فإنه يتفرق من سوء الطالع . ويصيح : (غزال ! غزال ! وشراً زال !) .

الحيوانات الصغيرة :

تستوطن الأرناب أنحاء بلاد الرواة كلها . وتكون بيضاء بياضاً قرنفلياً

في صحراء النفود ، وسوداء في الأراضي البركانية ، وصفراء صفاراً رمادياً في الحماد ، ومن هنا لا يمكن تمييزها عن محيطها . ويسمى الذكر (خُرَزَر) ، والأنثى (عِدْنِه) ، والصغير (خُرُنِق) . ولا يصل حجم الأرنب إلى مثل حجم الأرنب البرية الأوربية . وهي تطفئ ظمأها بالطلّ فقط ، كالغزال وبقرة الوحش .

وإذا دنا إنسان من الأرنب التَصَقَّتْ بالأرض ، أو اختبأت وراء جُحُر في مرج كثيف الشجر ، ولا تبدي حراكاً حتى وإن اقترب الإنسان منها اقتراباً تاماً ، لكنها إن تبينت أن الإنسان قد عاد فإنها تلمس النجاة بالاندفاع كالسهم .

قيل إن الأرنب تفتخر قائلة : (أنا الشَّرْماء ، بفقاعة القرما ، مشبيع أثنين وملغم الثالث) أي : أنا الشَّرْماء (أي ذات الشفة المشقوقة) ^(٨) ، في السهل ذي النباتات الجافة ، مُشْبِعة أثنين ومُسيلة لعاب الثالث . أو قائلة : (أنا شَجِيرَتِي خَفِيَّة ، ووَبِيرَتِي ضَفِيَّة ، ولا يَشُوفُنِي كُودُ راعي البليَّة) أي شَجِيرَتِي - أي التي أختبئ تحتها - خفية ، ووَبِيرَتِي - تصغير (وَبَرَة) دافئة ^(٩) ، ولا يراني سوى من يريد ابتلائي ^(١٠) .

وإذا نفرت الأرنب صاح بها الرولة : (وَبَرَة وَبَرَة ، وبالنار مِنشَبَره) أي : (أَيْتُها الأرنب ! أَيْتُها الأرنب ! النار مأواك !) .

وإذا عَرَضَت الأرنب للقانصين بالصقور صاحوا : (عَرَضَتِينَا لِحَيْر ، وعَرَضْنَاكَ لِلطَّيْر) أي : (إن اعترضك دَرَبَنَا لَفَعَالٌ حسنٌ ، لكننا سنعرضك للبازي) .

ويستوطن الخنزير البري منطقة تَدْمُر ، وضواحي الأزرق ، دون غيرها ، حيث يكمن في الأجسام السبخة . ويدعى الذكر (شِهْل) ، والأنثى (شِيْبِه) ، والخنزير الرضيع (قرونوص) . ويستخدم الرولة كلمة (تهزير) بدلاً من (خنزير) . ولحم الخنزير الوحشي يؤكل على وجه العموم ^(١١) .

و (صيد الطَّسْعَة) حيوان آكل للعشب ، حجمه حجم حَمَلٍ عُمُرُهُ ستة أشهر ، ولونه رمادي ، ويقال : إن أسفل رأسه يشبه أسفل رأس الكبش ، وأعلاه يشبه أعلا رأس الإنسان . ولا يكاد يوجد إلا في حدِّ (النِّفود) . ولحمه لذيد جداً .

ويستوطن الثوبُرُ الجبالَ التي يقطنها الوعل نفسها .

و (النَّيْصُ) متوفر بوجه خاص في المناطق المحيطة بـ (القَعْرَة) حيث تكون الكهوف والفجوات الصخرية العديدة ، ذات الأحجام المتنوعة مأوى له ، وهو إذا جُرِحَ هاجم الإنسان عضاً وجرحاً . ولحمه لذيدٌ جداً (!!) .

ويصاد القنفذ أيضاً لأن لحمه ذو طعم شهويٍّ جداً . ويربَط جِلْدُهُ حول أعناق الإبلِ السريعة الإجفال ؛ ويقال : إنه بعد شهر من ربطه لا يعود الخوف يعرف طريقه إلى قلوبها (٥) .

والجُرْدِي - بالبدال المهملة - نوع من اليرابيع (كذا !) كثير الأصناف (١٢) . وهو يخفر حفراً عميقة في المرتفعات ، ويصنع لها ممرات على شكلٍ يمنع الماء من اختراقها حتى خلال أغزر الأمطار . ولحمه ليس بلذيد .

والجربوع (أو : اليربوع) نوع ذو أصناف عديدة ، وهي أصغر من سابقتها حجماً . وتؤثر حفر جحورها في الأراضي المنبسطة ذات التربة الرملية الناعمة . وتصنع ممرات طويلة تميزها تحت السطح مباشرة ، وتعرف هذه الممرات بـ (النُّطَاقَة) ؛ وإذا دخلت جحرها سدَّتْ مدخلَهُ مباشرةً بكوم صغير من الطين (قَصْعَة) خوفاً من الثعابين . فكوم الطين هذا أمانة لا نخفي على أن اليربوع في بيته .

وإذا أراد البدويُّ صيده ثَبَّتَ عَصِيّاً أو أعواداً في المسر في مواقع متعددة ، ثم انتظر إلى أن يتحرك أحدها ، وهذا يبين له أن اليربوع يحاول الخروج زحفاً

فيقتله بعصاه ، أو يطرؤه . وإذا لم يستطع الانتظار وطي الممرات (فهَدم سقفاها)
ليخرج الجربوع . فإذا أخفق البدوي في إصابته بالعصا التي يرميها فإنه غالباً
ما يحترق سقف الممر مذعوراً ويفر .

إن لحم اليربوع لذيد جداً ، فهو كالحم الفروج . يسلخ الجلد ، ثم تشوى
(الذبيحة) كلها مع الأمعاء ، ويلقى بأسفل القدمين وحسب .

فَأَخَرَّ اليرْبُوعُ (الجِرْدِي) فقال : (أَنَا الْجَرْبُوعُ ابْنُ الْمَرْبُوعِ ، مُعَشِّي
عَشْرَةَ مَعَ عَشْرَةٍ ، وَقَصَّالِيْمِي عَلَى الشَّجِرَةِ) أي : أَنَا الْجَرْبُوعُ ابْنُ الْمَرْبُوعِ ،
مُعَشِّي عَشْرَةَ (مع عشرة آخرين) (١٣) ، مع أن قوائمي ملقاة على الشجرة .
وقال أيضاً : (لَوْ إِبْدَيْتُهُ طُولَ رِجْلِيَّةٍ مَا تَدَحَّقْتِي كُلَّ عَبِيَّةٍ !) أي :
لو كانت بداي بطول رِجْلِي لما استطاعتُ عناقُ الخيل أن تدركني ! .

فقال الجِرْدِي : (أَنَا الْجِرْدِي ابْنُ الْجِرْدِي ، رَمَّاي الْمَلْبَسِ بِالْخَبَارَى !)
أي : أَنَا الْجِرْدِي ابْنُ الْجِرْدِي ! أَنَا الَّذِي أُلْقِي الْفَارِسَ الْمُسْتَلْتِمَ فِي جُحُورِ الْفَرَانِ ! ..
ذلك أنه إذا وقعت حوافر الحصان على جمر جِرْدٍ عميق تعثر وطرح راكبه أرضاً .

كانت أنثى اليربوع توصي صغارها . فمما قالتها :

فَزُ بِنَفْسِكَ إِنْ شُفِيتْ ضَيْمٌ وَخَلَّ الدَّارَ تَنْغِي لِمِنْ بَنَاهَا
الدَّارَ تَجِدُ دَاراً أَخِيرَ مِنْهَا وَرَوْحَكَ لَمْ تَجِدْ رَوْحَ سَوَاهَا

أي : انجُ بنفسك إن رأيت ضيماً ، واترك الدار تبكي على من بناها
أما الدار فستجد خيراً منها ، وأما نفسك فإن تجد نفساً سواها

الْيَاحِلَ الثَّقِيلَ بِدَارِ قَوْمٍ وَمَا لِلْسَّاكِنِينَ إِلَّا الرَّحِيلُ (١٤)

ويعيش الفأر في كل مكان . وهو يدخل البيوت ويذهب بالطعام ، بل إنه
أحياناً يقرض حتى الناس وهم نائمون . وأنشد بدوي :

١ - أَنَا اسْهَرْتَنِي تَالِي اللَّيْلِ فَاَرَهُ تَاخُذُ زَهَابِي بِمَ جِحْرَةٍ تَوْدِيهِ

- ٢ - ضَرَبْتُهَا قَصْدِي لَهَا بِالْفِقَارَةِ
 ٣ - وَأَدْخُلْ عَلَى حَصْنَانِ وَشَيْخِ الْوَبَّارَةِ
 ٤ - أَمَا أَنْتَ يَا ظَرْبُولَ مَا بَكَ حِمَارِهِ
 من جُودٍ مِلْحِي رَاحَ دَمَّةُ يَبَارِيهِ
 وَاللَّهِ يَضِيعُ مِنْ يَنْخَلِّي عَوَانِيهِ
 أَقْصَى جُودِكَ بِطَارِفِ الْجُحْرِ تَقْلِيهِ

أي :

- ١ - لقد أسهرتني في آخر الليل فأرة تأخذ طعامي وتنقله إلى جحرها ،
 ٢ - ضربتها (برصاصة) قاصداً إصابة فقارها ، ولجودة ملح بندقيتي فقد أصابتها الرمية وذهبت بدمها مع الملح .
 ٣ - وسأستجير بالثعلب والوبر ، أضاع الله من يَنْخَلِّي عمن يستجير به !
 ٤ - أما أنت أيها الظَّربَان فلا خيرَ ولا شجاعة فيك ، وأقصى ما تصل إليه شجاعتك حَدٌّ جُحْرُكَ

كان بدويٌّ نائماً في الخلاء خلال غارة له . وكان زاده موضوعاً على مقربة منه ، فاستيقظ ووجد فأراً يسرق منه ؛ وليخوفه صَوَّبَ فوهة بندقيته ، التي كانت محشوةً ملحاً فقط ، نحو أعلى ظهره لكي يسفع شعر جلده ، لكن الملح كان حديداً ، فاخترق الجلد ، وانسفلك الدم في الحال . ولخوف البدوي من انتقام الفئران لجأ إلى الثعلب طالباً جواره ، وإلى رئيس الوبر (جمع الوبر) المشهورة بعدم التخلي عن مَحْمِيَّهَا (عوانيه) ، والذين يشملون الجار (القصير) ، والرفيق في السفر (الخوي) ، والضيف ، بالإضافة إلى اللاجي إليهم المستجير بهم (الدَّخِيل) ؛ فعاتبه الظَّربَان (الظَرْبُول) لعدم لجوئه إليه في الفلاة ، لكن البدوي أزورَّ عنه ساخراً بقوله إنه (أي الظربان) حتى حين يسرح إلى المرعى لا يجروا على الذهاب إلى أبعد من حدود جحره ، فمن أين له الشجاعة ليحميه بها من انتقام الفئران !

وتنحسر الفأرة قائلة : (أنا الفأرةُ بِنْتُ الفأرة . قَطَعَتْ يَنْدِيَّةُ المِحْفَارَةَ) .. أي : شَوْهَ يَدَيَّ النَّمِيعُول !

وَأَلَدُ أَعْدَاءِ الْفَرَّانِ ، بِلَا مَنَازِعَ ، الْهَرُّ .

كَانَتْ أُمُّ الْفَرَّانِ تَخْشَى أُمَّ الْقَطْطِ . وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَتْ تَزْحَفُ فِي سَقْفِ بَيْتٍ فَلَمَحَتْ الْقِطْعَةَ فِي أَسْفَلِهِ ؛ وَلِشِدَّةِ دُعْرِهَا تَحَدَّرَتْ أَقْدَامُهَا ، وَذَكَرَتْ اسْمَ اللَّهِ ، كَمَا يَذْكُرُ الْأَطْفَالُ اسْمَ اللَّهِ إِذَا عَثَرُوا تَمَاماً^(١٥) ، وَقَالَتْ : لَيْتَ حَمَيْتَنِي يَارَبُّ مِنْ هَذَا الْكَائِنِ ، فَلَنْ أَطْلُبَ حِمَايَتِكَ مَرَّةً أُخْرَى ! . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَازْدَرَدَهَا الْقِطْعَةُ فِي غَمَضَةِ عَيْنٍ ! .

وَمَرَّةً عَقَدَتْ الْفَرَّانُ اجْتِمَاعاً عَامِئاً ، وَاتَّفَقَتْ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُقْلَدَ كُلُّ قِطْعَةٍ جَرَساً صَغِيراً يَحْذَرُ الْفَرَّانُ . فَاِبْتِاعَتْ أَجْرَاساً صَغِيرَةً كَثِيرَةً ، وَدَعَا رَئِيسُهَا (كَيْبِيرُ الْفَارِ) أَشْجَعَهَا لِلتَّقَدُّمِ لِتَعْلِيقِ الْأَجْرَاسِ فِي أَعْنَاقِ الْقَطْطِ . وَحَتَّى الْآنَ لَمْ يَتَقَدَّمْ (لِأَدَاءِ هَذِهِ الْمَهْمَةِ) فَأَرُّ وَاحِدٌ . وَظَلَّتِ الْأَجْرَاسُ مُلْقَاةً فِي مَخْزَنِ الْفَرَّانِ . وَمَا بَرِحَتْ الْقَطْطُ تَعَذِّبُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَائِسَةَ .

وَيَسْتَوِطِنُ حَيَوَانَ الْخُلْدِ (الْخُلْدِ) مُنْخَفِضُ السَّرْحَانِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ ، وَهُوَ ذُو لَوْنٍ رَمَادِيٍّ قَلِيلٍ .

كَانَ خُلْدٌ قَاطِئاً مَعَ بُومَةٍ وَ (رَقِيعِي)^(١٦) وَضِفْدَعٍ (ضَفْعَةٍ) وَعَثَّةٍ (شِرَارَةٍ) ، وَنَزَلَ بِهِمْ مَرَّةً ضَيْفٌ ، فَظَلُّوا سَاهِرِينَ عَلَى رَاحَتِهِ قِيَاماً بِوَاجِبِهِ لِأَنَّهُ كَانَ ضَيْفَهُمْ جَمِيعاً . وَلَمَّا ظَهَرَ نَسْجَمُ الصَّبَاحِ ، سُرِقَتْ مَطِيلَتُهُ . وَمَا كَادَ مُضِيَّةٌ وَهُوَ يَطْبِقُونَ أَجْفَانَهُمْ حَتَّى أَيْقَظَهُمْ عَوِيلُهُ . فَاِنْطَلَقُوا لِلْبَحْثِ عَنِ الْبَعِيرِ الْمَسْرُوقِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَبَحِثَ عَنْهُ الْخُلْدُ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَالْبُومَةُ فِي الْأَمَاكِنِ الْخَرِبَةِ ، وَ (الرَّقِيعِي) بَيْنَ قِطْعَانِ الْإِبِلِ فِي الْمَرَاعِي ، وَالضِفْدَعُ فِي الْمَاءِ ، وَالْعَثَّةُ (الْفَرَّاشَةُ) بَيْنَ الثَّيَابِ وَالسَّجَادِ .

وَلَمْ تَكُنِ الْعَثَّةُ سَعِيدَةً لِإِخْفَاقِهَا حَتَّى الْآنَ فِي الْعَثُورِ عَلَى أَيِّ أَثَرٍ لِلْبَعِيرِ ، فَالْقَتَتْ نَفْسَهَا فِي النَّارِ قَائِلَةً : (النَّارُ وَلَا الْعَارُ) .

الطير الآكلةٌ لِلحَم :

يقسم الرولة الطير إلى : (طَيُّور) و (حُمَر) . ويقصد بالطيور كُلُّ ما يأكل اللحومَ من الطير :

الصقور والبَيَّزرة^(١٧) :

أهم ممثل للطيور الصقُر الذي غالباً ما عُرِف بأنه (طير) .

ويشترى الرولة صقور الصيد من الحَضَرِ المقيمين في (الشَّيْخِ مسكين) و (الرَّحْبِيَّة) الذين إما أن يختاروا الصقور الصغيرة ، أو يصيدوا التامة النمو .

وخير صقور الصيد (الحرَّ) . ولونه بُنِّي مشرب بِحُمْرة (أشقر) ، وعلى ذيله نقط بيض عديدة (ثُرَيَّات) ؛ أو بُنِّي غامق (أدْبَس) ؛ أو حتى أسود . ويدعى الصقر الذكر (شَبُّوط) والأنثى (شِبْهَانَه) .

ويرى البدو أن الصقر الصغير يمكث جنيئاً أربعين يوماً ، وأربعين يوماً قبل تفقيسه من البيضة ، ولا يُتَبَيَّنُ ما إذا كان سيَطير أو لا إلا بعد أربعين يوماً أخرى : (أَرْبَعِينَ يَوْمَ فَيَبُضُّ ، وأَرْبَعِينَ يَوْمَ بَيَضُّ ، وأربعين يوم يَطِيرُ ولا يَطِيرُ) .

وأحسن الصقور الصغيرة أي القرائيس بُدْعَى (زين النادر) ، ويليه في الأصالة (ليزيز النادر) ، ويأتي في الدرجة الثالثة من حيث الأصالة (القطْعِيَّة) والذي لا خير فيه بَتَّاناً هو (التَّبْع) .

ويُزَوَّدُ الذكرُ الأنثى والصغار بالطعام . ويجلب الحُبَّارِيَّات (الحَبَّاري) والأرانب إلى وكره .

وإن سقط الصقر الصغير خارج العُشِّ لم يُقِمَّه من سقطته ويَعْتَن به إلا الذكر .

وإن مات الذكر فحسب الأم سعادةً أن تستطيع إمداد صغارها ونفسها باليرابيع والفئران التي ليست بمطعم طيب للصغار .

وخير وقت للخروج بالصقور الصغيرة حين تسمي قادرة على إطعام نفسها .

ويقدم بائع الصقور لها القوت إلى أن تستكمل بنية أجسامها فيبيعها البدو .

ويتطلب صيد الصقور المكتملة النمو جهداً أقل : يبحث صائد الصقور (الطراح) عن بقعة بين الصخور ملائمة ، ويعدُّ فيها لنفسه مخبأً ، ويضع أمامه حجرين أو ثلاثة ، ويربط بين الأحجار شبكة صغيرة ، ويلقي عليها طيناً ، ويصلها إلى مخبئه بخيط ، ويربط غراباً وقليلاً من ريش وحمامة في حبلٍ دقيق . ويربط الغراب بخيطٍ دقيقٍ إلى حجرٍ كبيرٍ بين المخبئ والشبكة ويوفر له ماء وطعاماً . ويبقى هو في مخبئه مع الحمامة منتظراً إلى أن يسمع نقيق الغراب الذي يُنبئ بأن الصقر يحوم فوقه ؛ فيسجُرُ الغراب بحذرٍ ورفقٍ إلى الداخل ، فيبقى الريش في مكانه مربوطاً بالحبل ، بينما تقع الحمامة قرب الشبكة ، فإذا طرح الصقر نفسه على الحمامة جرَّ الصائدُ الخيطَ فسقطت الشبكة وقبض على الصقر ، وخاط جفنيه في الحال (يقطب الطير) . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة يستأنس الصقر بعض الشيء ، (يُؤالَف) فيمكن حينئذٍ فك الخيوط .

ويبيع صياد الصقور ما لم يكن مدرباً منها بمبلغ يتراوح بين ثماني مجديباتٍ وعشرين مجدية للصقر الواحد (أي من ٧,٢٠ من الدولار إلى ١٨ دولاراً) .

ولابدَّ أن يُدرَّبَ البدويُّ الصقر بنفسه . ويكون لدى الشيوخ بصفة عامة عبدٌ يُدرَّبُ لهم الصقور ، ويصيد معهم . وإذا رغب الشيوخ في الصيد بأنفسهم فعليهم أن يكثروا من الاشتغال بالصقور ، وإلا فلن تألفهم ، ولن تعود إليهم بصيدها .

ويحتاج الصقَّارُ إلى قاعدة خشبية يصل علوها إلى نحو ٤٠ سم ، ولها رزةٌ

حديدية في أسفلها ، ومغطاة بالجلد من أعلاها . ويعيش الصقر على هذه القاعدة (المَرَكَبَة) . ويربط في كل من ساقيه أنشودة جلدية (سَبَق) ، تمتد منها سلسلة (مَرَبَط) تصل إلى حوالى منتصف القاعدة . ويستطيع الصقر التحليق قليلاً ، وهو على قاعدته لكنه لا يستطيع الطيران بعيداً . ويرتدي الصقر خوذة جلدية صغيرة (بُرْقَع) على رأسه ، يمكن سحبها إلى أسفل لتغطي عينيه ، وربطها تحت منقاره حول عنقه لئلا يخلعها بمخالبه .

وقبل غروب الشمس بقليل يلبس القنّاصُ قفّازَ جلدٍ خشنٍ (دِيس) بيده اليمنى ، ويحبل أنشودات السلاسل ، ويولج فيها حبلاً دقيقاً طويلاً ، ويضع الصقر على يده اليمنى ، ويظل يدعوّه باسمه ، ويؤرّججهُ إلى الأمام وإلى الخلف محاولاً جعله يطير . فيرتفع الصقر ويأخذ بدورٍ فوق القنّاص . ويربط الرجل طرفَ الحبل الآخرَ بوترٍ مثبتٍ تثبيتاً قوياً ، ويأخذ خُرْجاً بيده اليسرى ، وقطعة لحم بيده اليمنى ، ويومئ بالحمة إلى الصقر داعياً إياه باسمه . فإن لم يقع الصقر على الحبل وطئ الرجل الحبل إلى أن يندفع الطائر نحو اللحم .

وإذا عاد الصقر بنفسه بعد تدريبه عدة أيام فإنه يدعُ حُرّاً طليقاً كما ولدته أمه ، ثم يأتي بأرنب تكون قد رُميت وجُرحت ، أو كُسرَتْ إحدى رجلَيْها ، ويُطلق (يَهْد) الصقر وكتبَ صيدٍ (سَلَقِه) عليها . فإن أنشب الصقر فيها برائته تركها كلّها له .

وإذا صاد الصقر عدة أرناب جرحى بمعاونة كلب الصيد وأكلها خرج القنّاص به للصيد . فيربطه بسلسلة صغيرة خلف رجل البعير ، ويأخذ معه خُرْجاً ، ويدعو كلب الصيد . ويركب البعير ذاهباً وراء القطّين . فإذا ما أثار الكلب أرنباً أو حُبَارَى فإن الصياد يحلّ رباط الصقر ، ويأخذه بيده اليمنى ، ويركب بعيره . ويمضي منطلقاً وراء الكلب . ويرسل الطائر على الصيد . ويظل الصقر يتلفت يميناً ويسرةً ، ويرفرف بجناحيه (يَفْرَفِر) . وحين يلمح الفريسة

تخرج يطير إثرها ، فيمسك بالحبارى في الحال ، لكن الأرنب تنسل^٥ ، في العادة ، بعيداً وتختفي^٦ ، وبذلك تنجو من مفارقه .

فإذا انقضَّ الصقر على الأرنب من علٍ عبَّر عن ذلك بـ (الطيرُ يَدْلِه) ، فإن أفلح في إنشابه برائته في متنها (علَّق) ، ركب القناص إثره بكل ما استطاع من قوة ، وغَطَّاه هو وفريسته بعباءته ، وربَّت (يَطْبُطِب) على ظهره صائحاً : (كِشْ كِشْ) ، ويحاول نزعها من على ظهرها (تَنْشِشْ) . ويتسلم الصقر قسطه من الفريسة داخل البيت ، ولا يتسلمه أبداً في البرِّ خارجه .

ويستطيع الصقر المدرب تدريباً جيداً أن يصيد في اليوم عدداً من الحباريات يصل إلى العشر . وعدداً من الأرناب يصل إلى العشرين ؛ لكن ذلك عند وفرة الصيد وحسب .

إن قلة من القناصين تستطيع الاحتفاظ بصقورها ثلاثة أشهر أو أربعة ، لأنها جميعاً تنيه ؛ ولا تعود في شهري فبراير ومارس ، لا سيما إن التقت بصقور بريّة .

والشاب البدوي متعلق بالصيد بالصقور والكلاب السلوقية . فإنه حينئذ يستطيع التمتع بحرية أكثر ، ويدنو من حبيبته ، ويخادتها ، أو يقدم إليها ما لديه من هدية ، ولذلك فهو يتغنّى قائلاً :

يَالَيْتَ لِي جَرَوًا وَيَالَيْتَ لِي طَيْرٌ وَقَعَيْدٌ يَنْسَفُ عَلَيْهِ الشَّدَادُ
نَجِيٍّ مَا بَيْنَ السَّلَفِ وَالْمِظَاهِيرِ وَنَشَلِّي الْجَرَوًا وَالطَّيْرُ غَادِي^(٥)

أي :

ياليت لي كلبه صيِّدٍ وباليث لي صقرًا ، ووقودًا نشد^٥ عليه الرَّحْل !
فناثي راكبين بين جنود الشيخ والعشيرة الطاعنة ، ونرسل كلبه الصيد ، ويكون الصقر قد سبقها .

الجرَّوا : أنثى عائلة الكلاب السلوقية .

يتقدم جنود الشيخ المحاربون (السِّلَف) في العادة ، أمام القافلة بنحو كيل أو كيلين (كيلو مترٍ أو كيلو مترين) . وتعدو (الجَرَّوا) في المقدمة مهيَّجَةً الأرانب وطير الحبارى التي تفر من الخطر خلف السلف ، لكن القبيلة الطاعنة تصدها . وبهذا يكون للصقر الجيد خير فرصة للصيد بين الركب من الجنود والجمال حاملة الأثاث .

الطَّيْرُ عَيًّا بِالْفَزْيَعِي بِصِيدٍ يَا تَلِيَّ عَيًّا بِصِيدِ الْحَبَارَى
لَوْأَ حَسَايِفُ نَقْلَتِهِ عَلَى أَيْدِي مُمَسِّحِ الرِّيْضَانِ عَقْنِ الطَّيَارَا

أي :

لقد امتنع الصقر يا (الفزيعي) أن يصيد . يامن امتنع عن صيد الحبارى !
يا أسفاه على نقلي إياه على يدي . إنه كـ (مُمَسِّحِ الرِّيْضَانِ) ذلك الطائر الرديء الطيران .

يمسك القناص بالصقر ، ويضعه على يمينه التي يغطيها قُفَّازٌ من جلدٍ ، ويحل السلسلة من قدمه ، ويجبره على الطيران بتحريكه إلى الأمام وإلى الوراء بيده ، وإذا كَلَّتْ يَدُ نَقْلِهِ إلى اليد الأخرى ، ويعيد الكرة .

(مُمَسِّحِ الرِّيْضَانِ) : طائر من آكلات اللحوم شبيه بالصقر .

الطَّيْرُ يَا عَمَّارُ يَا كَاسِبَ الثَّنَا اللَّهُ وَلَا لَهُ جِرَّةٌ نِهْنِدِي بِهِ
غَدَّتْ بِهِ عَرْدًا مِنَ الْقَرَانِيصِ حَايِلُ عَامِينَ شَاتٍ مُخْتًا بِجَرِيدَةٍ (٥)

معنى البيتين :

أَعَمَّارُ يَا كَاسِبَ الثَّنَا ! ، لقد ذهبت بصقرنا شَيْهَانَةً قَوِيَّةً (قرناصة : قرناصة) ، حائل لم تفرخ ، فَمُخِّئُهَا مَا فَيُّ بِسَاقِيهَا صَيْفِينَ وَشَتَائِينَ . وليس للصقر أثر (كالحوانات التي لا تطير) فنستهدي به (على مكانه) .

القرناسة (الجمع القرائص) : هي أنثى الصقر ذات النمو المكتمل .

الجريد : سيقانُ الصقر من المخالب إلى الركب .

ظلت أنثى الصقر هذه دون أزواج (حايلاً) عقيماً سنة (صيفين وشتائين) . ويرى البدو أن المخ ، وبخاصة ما تجمع في الساق وحوله يخرج من جسم الطائر أثناء التزاوج .

طيرٌ أخرى آكلةٌ لِلدَّحْم :

(الجليمه) : طائر من آكلة اللحم ، أصغر من الصقر ، لكنه أكبر من (الباشق) . وتعرف (الجليمه) أيضاً بـ (الكَحْلَا) . وهي من ضروب الصقور (هكذا) ، وتصيد الحُمُرَ بمختلف أنواعها — أنظر ص ٣٧ — ٤١ — من الأصل الانجليزي وتبحث عن القطا بصفة خاصة .

مِسِيحَ الرِّبْضَانِ^(٥) : — وهو ضَرْبٌ من الصقور ، شغوف بصيد (الجربوع) .

الباز : وهو صقر العصافير . والحديَّة : الحِدَاة . العقاب : النسر .

إنه لا الباشق ، ولا الجليمه ، ولا حتى الصقر نفسه بآمن من ذلك الصنف من العقبان المسمى (الجيرْدَان) .

ويُقْتَنَصُ النَّسْرُ (الجمع : النسور) ، وبخاصة أصناف (الحَبَشِي) ويؤكل لأن لحمه مفيد ، فأَكُلُ سَبْعَ قِطَعٍ مِنْهُ مَجْفُفَةً فِي الشَّمْسِ خَيْرُ عِلَاجٍ لِلرَّثِيَةِ (الروماتزم) والبواسير . وينبغي أن يزدرج المريض هذه القِطَعِ السبع معاً . ثم يلتحف بسبعة ألحفة ، وَيَعْرِقُ ، وسوف يعينه الله^(١٨) .

وتُهاجر (الرَّحْمَه) عند ابتداء هطول أمطار الخريف . ولا تعود حتى ابتداء موسم (السَّمَاك) . ويرحب البدو بعودتها مسرورين ، لعلمهم أنه خلال

عشرة أيامٍ أو خمسة عشر سيكون ثمّة طقسٌ أدفاً . ولا تقبل (الرّخمة)
التخلي عن غنيمتها ، وتبذل كل ما أوتيت من قوة للإبقاء عليها . ومن هنا قيل :
(تَوَخَّمْ تَوَخَّمَة الرّخمة) أي : فلانٌ يحرص على الشيء حرص الرّخمة .

(السَّعْدِي) أو (أبو سعد) : هو اللقلق .

(الغرّاق) - بسكون الراء - : طير الماء .

ونمة من الغربان أنواع ثلاث : (زاغ البَقْع) - بتسكين القاف - : وهو
أصغر الغربان ، ولونه أسود ، ويميل لون صدره إلى الزرقة أو الخضرة ؛
و (الجَبْعَا) : أكبر قليلاً ، وله ذيل قصير ، ولحم لذيذ الطعم (هكذا !) ؛
وغراب (العَقْعَق) : وهو أكبرها .

وتصحب هذه الأنواع الثلاثة كلّها الإبل متوغلةً في الخلاء . وتلتقط من
أجسادها القردان (القَرَاد) والحلّم (بفتح اللام جمع الحَلَمَة وهي صغار
القردان ^(٥)) . لكنها أيضاً تحفر الدبّر أي القروح التي تحت القتب . ولهذا السبب
يطردها الرعاة ، فإذا رأوا غراباً على بعير صاحوا به : غَرَبُ ! غَرَبُ !
أي : طيرٌ إلى المناطق غير المأهولة . أو : (مِخْيَرِيْزُ يَبِيْطُ لِهَاتَكَ !) أي : عسى
أن يَخْيَرُ المِخْرَارُ لهاتك ^(٦) !

وإذا قام إنسان برحلة هامة ورأى غراباً واحداً . فإنه يندب حظه قائلاً :
(يا قِرْدَ الْعَيْنِ جَاهُ الْغُرَابِ وَحِيد !) أي : آه . إنّ العين التي يأتيها الغراب
وحيداً ستنهك من البكاء ! . إنه يعلم أن سيلافي حظاً سيئاً ، ولذا فإنه يختار
العودة من حيث أتى ^(٥) . أما إن رأى غرابين فإنه يهتف : (يا حَظَّ الْعَيْنِ
مِنْ جَنَّةِ الْغُرَابِينَ) ^(٦) ، أي : ما أسعد العين التي يأتيها الغرابان ! . أو : ما أسعد
عين من يأتيه غرابان .

وصغار الغربان أكثر احتشاساً من كبارها ، فقد كان غرابٌ هريمٌ يوصي

ابناً لحفيد له قائلاً : يا بُنيَّ ، لا تثق بالبشر ! فإذا رأيت امرأً يدنو منك فطيرٌ
حالمًا ينحني ، فربما رفع حجراً ورماك به فأجابه : لا تخافنَّ عليَّ من الإنسان
يا جدِّي ، فإنِّي لن أنتظر إلى أن ينحني ، بل سأطير حالمًا يقع عليه بعصري . لماذا ؟
لأنه ربما يكون حالملاً حجراً في يده فيستطيع إذن رميَّ به دون أن يحتاج إلى
الانحناء ! .

الطَيْرُ غَيْرُ الْآكَلَةِ لِلْحَمِّ :

إن الطيرَ غيرَ الآكلةِ للحمِّ المعروفةَ بـ (الحُمُر) هي :

(الحُبَارَى - الجمع الحُبَارِي) : نوع من الـ bustards ، لونها رمادي
قاتم ، وبعض ريش جناحيها وذيلها بيض . وهي كاللدجاجة المتوسطة الحجم .
وهي تعدو عدوًّا سريعاً لكن طيراتها سيِّءٌ . وهي مواعهٌ بزيارة السهول
والوديان المغطاة بالنباتات العمرة (الدائمة الاخضرار) . وأكثر ما تقتاتُ
البذورَ والبراعم الطرية .

وإذا خافت اختبأت تحت شجرة .

وهي لا تطير حتى يدنو منها عدوها . وتطير قريباً من الأرض مسافة مئة
خطوة أو مئتين ، ثم تقف هنيهة ، وتُقلع ثانية عدة خطوات ، ثم تستكن مرة
أخرى تحت شجيرة أو لوح مائل . وإنه لعسير على المرء الدنو إلى أن يبيت على
مرمى منها ، لأنها تطير طيراناً متواصلاً ، ولا يستطيع إعباءها إلا راكبُ فرسٍ
شديد التحمل .

وعدوُّ الحُبَارَى اللدودُ الصقرُ الذي يرقب حركاتها وسكناتها من علٍ ،
فإذا استقرَّ قرارها انقضَّ عليها كالبرق الخاطف .

وقد كانت الصقور في بادي الأمر تخشى الحُبَارَى^(٢١) ، لأنها أكثر منها عدداً :
وحلَّ صقرٌ جريحٌ ، ذات مرة ، ضيفاً عليها ، فاستقبلته بترحابٍ ، وأطعمته ،

وعالجته حتى أبَلَّ من دائِه . وقد لاحظ الصقر أن الحباري لم يعتدّن أية اجتماعات معاً ، لذلك سأل ربة مثنوّه مستغرباً : إلى أية قبيلة تنتمين ؟

— نحن (قوم) الرُّنّارة .

— ومن شيوخكم ؟

— أنا الشيخه .

لكن جارة لها ، سمعت الحوار فهتفت : أبداً ! أبداً ! : بَلْ أنا الشيخة ! ، فاعترض عليها طائر كان في تلك اللحظة ، صافئاً جناحيه في الفضاء ، قائلاً : ماذا ؟ كيف يكون ذلك ؟ بل أنا الشيخ .

لقد سعد الصقر بأبما سعادة ، لأنه قال في نفسه : حتماً لن أرهب هؤلاء ، فان بهاجمْنِي جميعاً أبداً . وسوف أقوى على اقتراسهنّ واحدةً تِلْوَ واحدةٍ . وإن ذلك سيكون أسرّ عليّ من صيد صغار الطير وحسب : كما هي عليه الحال ، حتى الآن . ومنذ ذلك الحين والصقر (الطير) يأكل (الحباري) .

وتسخر الحُبّارَى من الصقر قائلة : (أنا الحُبّارَى ، بَارِض قَفَّاراً ، حِسَّ الرّعِيانُ يَقْزُرُنِي ، ما تَقْوَاني يا مَسْكِينِ !) أي : أنا الحُبّارَى ، بَارِض قَفَّرٌ ، أصوات الرعاة تُورِقني ، لن تستطيع قهري أيها المسكين ! . فيجيب : (أنا حَرٌّ لِكَ ، مذكور لِكَ ، مَكْهُولُ العَيْنِ بِنِلا نِيلِ !) أي : أنا الأَمِيرُ عَلَيْكَ (٣٢) ، لي عَيْنانِ حادّتانِ جدّاً مع أنّي لا أكملهما .

الحُبّارَى : (أنا الحَيَّةُ ، تَحَتَّ الصُفْيَّةُ ، ما تَقْوَاني يا مَسْكِينِ !) أي : أنا الحَيَّةُ تَحْتِ الصُفْيَّةِ (تصغير الصفاة) ، لن تقهرني أيها المسكين .

الصقر : (أنا القَرَّايُ ابْنُ القَرَّايِ ! أَقْرَأُ الحَيَّةُ ما تَجْنِي) . أي : أنا القارِئُ ابْنُ القارِئِ ، أَقْرَأُ القُرْآنَ على الحية فلا تمسني بِسوء (٣٢) .

الحبارى : (أنا السَّحْلَةُ^(٢٤) ، برَّاسُ النَّخْلَةِ ، ما تقواني يامِسْكِينِ !
أي : أنا التمرة برأس النخلة ... إلخ) .

الصقر : (أنا الرِّقَايُ ابنُ الرِّقَايُ أَحْسَنُ الشوكِ بسكيني !) أي : أنا
راقي تَخْلُ ابنُ راقِي نَخْلٍ ، أَخْضِدِ الشوكِ بسكيني ! (أي وأصل إليك) .

وتستوطن النعامُ النَّفُودَ ، بصفة رئيسة ، ولا سيما الجزء الشمالي الغربي منه ،
وكذلك غرب (العَلَيْسَمِ) ، وفي ضواحي (الطَّوِيلِ) ، وفي (العَرَبِيقِ) ،
وفي (الغُوبِطِ) . وتذهب النعام في الفصل الجاف بعيداً إلى الشمال ، فتصل إلى
أماكن نائية كضواحي تَدْمُرَ مثلاً .

ويُدْعَى الذكر (ظَلِيمِ) أو (مُظْلَلِ) لكون ريشه رمادياً قاتمًا ، وتُدْعَى
الأنثى (رَبْدَا) ، والصغار (رِيلان) .

وتبيض الأنثى في فصل السَّمَاءِ من عشر بيضاتٍ إلى ثلاثين في أَدَاجِيٍّ غير
عميقة في الرمل . ويدعى كَوْمُ بَيْضِ النعام (دِحْوُ) . وحالما توضع البيضة الأولى
تبدأ حراسة الأُدْحِيَةِ ، ويقول الرولة : إن الذكر يجرسها نَهَاراً بينا تطعمها
الأنثى ، وتقوم هي خلال الليل بالحراسة . وإذا وضعت البيضة الأخيرة دَحَرَجَتْ
ثلاث بيضاتٍ أو أربعاً على بعد خطوة واحدة من الأُدْحِيَةِ . ولا يُعْبَرُ الطائر
هذه البيضات اهتماماً ، بل يقلب البيضات الأُخْرَى ، ويحجم عليها خلال الليل
ويُدْفِئُهَا . أما الذكر — الذي يظل عند الأُدْحِيَةِ أثناء النهار — فلا يحجم على البيض
لأن الشمس تُدْفِئُهَا ، لكن الأنثى تقيها برودة الليل بجسمها وريشها . ويقال :
إن البيض يفقس بعد واحد وعشرين يوماً ، وإذا ذاك ينقر الذكر البيضات المروكة
جانباً فيفتحها واحدةً بعد واحدة ، ويدع الطيور الصغيرة تَطْعَمُ محتواها .
فإذا فرغت من أكل ما في تلك البيضات ذهبت إلى المرعى تحت حماية أبويها .
وتقودها دائماً أمُّها ، بينا يسير أبوها وراءها ، ويحميها من الذئاب والضباع
والنُسُور .

وللنعامة حاسةٌ سمعٌ كليلَةٌ جدًّا ، لكنها ممتازةُ البَصَرِ . ويكون صيدها أبَسَرَ قَرَبَ أَذْهِبِهَا . وإذا لم تكن ثمة رِيحٌ فَإِنَّ أثر النعامة يكون يَبِينًا جدًّا في الرمل . ويتفَقَّرُها الصياد ، مخْتَبِئًا وراء كل شجيرةٍ ، زاحفًا على بطنه ، وبذلك يدنو منها . وإن أحسَّت الأنثى ، من بعيدٍ ، بأية حركةٍ مشتبِهٍ بها من الشجرة أو القانص فرَّت بالسُرْبِ كله ، فلا يكون حتى لِأَسْرَعِ الجِيَادِ طاقةٌ باللاحاقِ بها في الرمال . أما قَرَبِ الأُدْحِيَّةِ فَإِنَّ القانص يرمي الطير التي يطاردها خلسةً . وشحم النعامة المعروف بـ (الزَّهْمِ) علاجٌ لِأَسْقَامٍ شتى .

● (القَنْدَرَةُ) : طائر قرنفلِي اللون ، في نحو حجم الدجاجة . يطير طيرانًا رديئًا ، ويعدو عدوًّا أخرق . ويستوطن النفود وحسب ، وبخاصة المنحدرات ذات الميل الشديد المحيطة بالحُفَرِ .

● (القَطْرَةُ) : أكبر من الحبارى . وهي قليلة الطيران جدًّا . وإن هاجمها الصقر استلقت ودافعت عن نفسها بمخالبها .

● (الطَّرْشَةُ) : طائر قائم اللون ، في مثل حجم البطة الصغيرة . تعيش أزواجًا وحسب في (الحماد) . وهي صماء لا تسمع البتة .

● (البَوَّةُ) : في مثل حجم نصف القندرة . وثمة نوعان منها يستوطنان الحماد : (الكِدْرِي) منهما هو الأكبر والأكثر سوادًا .

● القطا : وتعيش داخل الصحراء طالما كانت الغدران والبرك الطبيعية مكتظة بمياه السيول ، فإذا جفَّتْ هاجرتُ إلى طرف الصحراء على مسافة مئة كيل (كيلو متر) من الماء العِدِّ (الذي له مادة لا تنقطع) .

والقطا ، و (الحَجَل) - انظر الصفحة التالية - . والحمام هي الطيور الوحيدة التي ترد الماء بانتظام بعد شروق الشمس وقبل غروبها .

ولا تضع القطة بيضها قرب مورد ماء ، بل في وادٍ ناء تغطيه الأعشاب

والشجر ، فتحفر حفرة صغيرة قرب شجرة ، وتضع ثلاث بيضات أو أربعاً رمادية اللون ، وعليها نقط قائمة ، وتكون في مثل حجم بيضة الحمامة . وترك هذه الطيور أفاحيصة فقط عندما تطير نحو المنهل ، وإلا فإنها تمكث دائماً على مقربة منها .

ويكون في مثل تلك الأودية عادةً ألف أفحوص في الأقل . وإذا فقست الصغار شرعت تعدو هنا وهناك كالفراريج الصغيرة التي تفوق الحصر ، وتبحث عن البذور .

ولا تطير القطاة وحدها أبداً ، بل دائماً ضمن سربٍ وإذا لم يتحسّر السرب أكثر من عشرة من الطير فإنه يعرف به (فرس) ، وإلا فهو (رَف) .

ويعبر البدو عن دهشتهم من أن القطاة حين تطير نحو منهل ، حتى إن كان على بعد مئة كيل (كيلومتر) لا تنبه أبداً ، ولا تنحرف عن الخط المستقيم ، ولذلك يقولون عن الدليل البرت الحاذق الذي يعرف القلاة المنبسطة معرفة ممتازة إنه (دليل قطاوي) .

والقطاة مغرمة كثيراً بدخول الأحياء حيث تبحث عن الحبوب .

ويعلم بوصول القطا مباشرة في طول الحي وعرضه ، لأن سماع هتافها : (قطا قطا) ممكن دوماً .

ويقول البدو : (جانا القطا له فرقطة ، لا بارك الله بالقطا) . أي : جاءنا القطا له صياح شديد ... إلخ .

و (القسيروان) ضرب من القطا ، لكنه أصغر منه . والنصف الخارجي من جناحه أسود .

● الحجل : ولا تستوطن إلا منخفض السرحان حيث يتوفر الماء في كل مكان . وتكون أسراباً من ثمان إلى ست عشرة . وتكمن تحت الأشجار في الأيام الحارة .

ويدعو الذكر سربه كله بصياحه : (قُور ، قُور ، قُور) ، وبذلك يتنبه السرب فيخرج طائراً ، لكنه سرعان ما يعود ثانية ويختفي .

وإذا أراد بدوي منعها من الفرار صاح : (حَوَّجِلُوا ، حَوَّجِلُوا ١١) .

● (المَرَبِي) : ضرب من الحجل ، صغير الحجم . ولا يعيش هذا النوع في أسراب ، بل أزواجاً ، وتطير طيراناً حسناً .

● (السَّمَقَمَق) : طائر ذو لون رمادي قاتم ، في مثل حجم الحمامة الصغيرة . وهو طويل العنق والساقين . ويققات السمك في البحيرة القريبة من (الأزرق) .

● (الصَّبْرِي) : يجمع الحبوب والحشرات ، لكنه ينقر صغار الجرذان والبرابيع أيضاً .

● (ذَبَّاحُ أُمِّه وأبوه) : أي قاتل أمه وأبيه . وهو المدهد .

(السَّمُونَه) : طائر صغير رمادي قاتم . يتسلل بين الشجيرات .

● (الفَسِي) : طائر صغير ذو بطن أبيض ، وظهير أسود . يطير على رؤوس الشجيرات والأشجار وحسب .

● (الصَّغُو) : طائر صغير شبيه بطائر الحسون (أو العصفور الدوري Finch) عندنا (أي في شرق أوروبا) . ويميل ضرب منه للصفرة ، ومنه ضرب أسود ، وآخر أبيض .

● (الجَرَجَرَه) .

● (الشَّعِيلَه) .

● (الرَّقِيعِي) : الخطَّاف ، أو السنونو (Swallow) .

● (الصَّفَارَى) .

- (الذَّهَيْن) : طائر بُنِّي اللون ، قامه . أصغر من الهدهد .
- (السَّمَرَمَر) .
- (مِلْهِيَةُ الرِّعِيَان) .
- (أُمّ طَوِيْق) : القُمْرِيَّة . وتستوطن الواحات دون سواها .
- (الخَضَارِي) : يستوطن بساكن النخيل دون سواها .
- (المَقْطَع) : يأكل الرطب .
- (أُمّ سَالِم) : طائر صغير لونه لون الرماد . وهي تطير دائماً قرب الإبل . وإذا طارت على ارتفاع عَشْرَةِ أمتارٍ أو خمسة عشر متراً بدأت تَشْرِقُ فتَهْبِطُ في الحال . وصوتها جميل جداً .

جاءت أُمّ سالم مرةً إلى النملة ، وسألتها : (أعطيني عشاءً لأطفالي !) . فتخلصت النملة منها قائلة : (إليك عني !) ، أنا هَمِّي الحَصَايِدُ ، وإِنْتِ هَمُّكَ الْقَصَايِدُ ! (. أي : حين كنت مهتمةً بجمع الحبوب من الحقول الحصيد ، كان كلُّ هَمِّكَ الغناء وترديد القصايد . فأجابتها أُمّ سالم : (أنا يومٍ من أيام طُرْبِي ، يَسْئَلُكَ يَا مَحْزُوقَةَ الذَّنْبِ !) أي : إن يوماً واحداً من أيام أنسي لخير منك يا ذات الذنب المشدود ! .

الزَّوَاحِف :

يُبْدِي الرَّوْلَةُ اهتماماً أكثر بما يلي من الزواحف :

- الضَّبُّ : ويعرف أيضاً بـ (أَبُو حَمْد) . وكثيرون لا يعدونه من الزواحف ، لأن له أربع أقدام يستطيع استعمالها جيداً .
- والضب ضرب من السحالي كبير الحجم ، وله سبع فقرات ، وخمسة أظافر في كل قدم . وذيله أطول من جسمه الحقيقي .

وهو يقتات النباتات وحسب . ويهوى الاضطجاع في الصدوع التي بين الصخور .

ويحرص البدو حرصاً شديداً على تقفُّره ، وإذا صادوه قلبوه ظهرًا لبطنٍ لِيُبْذَكُوهُ ، فيرفع يديه ليحمي نفسه . ويظل لحم الضب الذَّبِيح يرتعش طويلاً . وطعم لحم الضب لذيد .

ويدفن البدو - في العادة - الضب في الرمل ، ويوقدون عليه ناراً ، وبعد نحو ساعة يزيجون النار والتراب عنه ، ويقلبونه ، ويدفنونه ثانية ، ويشعلون ناراً أخرى فوقه .

وقد كان الضَّبُّ أصلاً رئيس الزواحف قاطبةً ، لأنه هو أول من دعاها إلى الصلاة ، وعلمها كيف تركع وتسجد في صلاتها . ولما بدأ البشر في التكاثر بَثَّ الضب عيونه في أوطانهم ليعرف ما لديهم من عتادٍ حربيٍّ ، وما الطريقة المثلى لخوض الحرب معهم . فأبلغته العيون ، الذين لم يكونوا غير أبنائه الحقيقيين ، ما رأت وسمعت ، فأدرك أن ليس في استطاعتهم محاربة بني آدم ، وأن من الخير له الاختباء عنهم . وتطبيقاً لذلك طفق يخفر جحوراً عديدة لنفسه ولأسرته الكثيرة العدد ، ولم يخبر سائر رعيته بشيء من ذلك . وكان جبينه كله ، حين يعود من عمله إلى المجلس ، رمادي اللون لما عليه من طين وغبار . فلما سأله صحابُه : ما الذي جعل جبينك رمادياً ؟ أجاب : الصلاة الدائمة التي أسجد أثناءها كما يجب . وذات يوم أقبل حرس الحدود يعدون صائحين : لقد أقبلت العرب بكلاهما وعتادها ! . فاخْتَبَأَ أبو حَمْدَ وأسرته في الحال ، في الجحور المُعدَّة ، فلم يمسس أياً منهم سوءٌ .

● الأفاعي : يقسم الرواة الأفاعي إلى : (حَيَّةٌ) و (دابَّةٌ) . وتطلق الكلمة الأولى على أية أفعى قصيرة ، والأخرى على أية أفعى طويلة سامة كانت أو غير سامة . ويستعمل الاسم الأخير دائماً في الشعر للشعابين السامة .

ومن بين الحيات القصار يخشى الرولة (الأفاعي) التي تستوطن المناطق الصخرية ، بالإضافة إلى (البترا) و (الحصف) اللتين تستوطنان الصحراء الرملية . ولا تزحف الأخيرة إلا في الليل ، وتدفن نفسها ، خلال النهار ، في الرمال فلا تظهر إلا أطراف رؤوسها .

ويختص (الحنيش) من بين الحيات الطوال بكونه ساماً جداً . وطوله متر . وتغطيه بقع ملونة . ومن عادته العوم في البرك والغدران .

ويقيد الجلد الرقيق (السلب) الذي تخلعه الحية في علاج أدواء العين المختلفة .

ويأكل الرولة كلهم الحيات الطوال . ويطعمون الإبل التي تعاني من آلام المعدة المعروفة بـ (الغش) ، ومن تخر العظام (الرئيس) ، لحم الحيات القصار .

● (الحرذون) : وهو الحرباء . ويشمس ، في الأماكن المشمسة ، ويهز رأسه للمارة .

● (ابا الطحيج) : وهو أصغر من الحرذون ، ولا يستوطن إلا النفود حيث يختبئ في الرمل مبرزاً رأسه دون سائر جسده .

● (الملس) : زاحف شبيه بالحرذون . يوجد أيضاً بالنفود . وعليه بقع سوداء وحمراء . والشيوخ الذين يعانون من العنة يأكلون لحمه بعد تجفيفه في الشمس وسحقه .

● (السليمانى) أو (الجليمانى) ، و (الحبسنية) : ضروب من السحالي غير مؤذية .

(البعري) أو (البيرى) : سحلية سامّة من سحالي النفود . وإذا عض إنساناً بات الإنسان ضحيراً ، فلا يستطيع اللبث في مكان واحد ، فإن كان مضطجعا في الظل حنّ إلى الشمس ، فإذا حمل إلى الشمس أراد الظل . ومن هنا

يقواون فيمن يعدو من مكان لآخر : (هُو قَرِيصُ الْبَرِيصِي ؟) أي : أَلَدَغَهُ
بَرِيصِي (سَامٌ أْبْرَص) ؟ .

● العقرب (٢٥) .

الحشرات :

تزور الحشرات التالية بلاد الرولة :

● العنكبوت : وهي سامة .

● النحل : وتكون في الأقاليم الصخرية بخاصة . وهي مخلوقات ضئيلة الحجم ،
ولدغتها ضعيفة . ولِعَسَلُهَا طعم حامض .

وإن وجدَ شخصٌ خَشَرَمًا من النحل (٢٦) حاول الوصول إلى العسل .

وهناك لغزٌ شائع : (قَافِرُ الْآرْضِ مُرْعَاها ، وما ذاق الناسُ لَحْمَها ،
الا وَلَدَها يَأْكُلُهِ كَيْلٌ مِّنْ جَاهِ) أي : قَفَرُ الْأَرْضِ مُرْعَاها ، ولم يذق الناس
لحمها ، لكنَّ وَلَدَها يَأْكُلُهِ مِنْ جِأه . الجواب : النحلة .

● (الْقُعَيْسِي) : صنف من كبار النمل . ويعرف أيضاً بـ (شيخ النمل) .
وهو موضوع اللغز التالي : (يَأْكُلُ الشَّعِيرُ ، وَلَا هُوَ بَعِيرٌ ، يَأْكُلُ الثَّبِينُ
وَلَا هُوَ حُمَارٌ ، يَخْرُقُ الدَّارُ وَلَا هُوَ فَارٌ ، أَسْوَدَ اللَّيْلِ وَلَا هُوَ لَيْلٌ) .

● النمل : وهو الـ Ant العادي . وهناك منه ثلاثة أصناف : (طَيَّارٌ) ،
و (فَرَسِي) . و (ذَرٌّ) .

● الْآرْضَه : قارضة الخشب . حشرة صغيرة أكبر من النملة قليلاً . وتأكل
كل ما تصل إليه .

التعليقات

- (٥) هذا فصل من القسم الأول من كتاب (أخلاق عرب الرولة وعاداتهم) للمستشرق التشيكوسلوفاكي ألويس موزل (١٨٦٦ - ١٩٤٤م) الذي يقوم الكاتب بتعريبه ، كما يقوم بتعريب القسم الثاني الدكتور عبدالله بن علي الزيدان . وهو الفصل الثاني في الكتاب وعنوانه هناك : (الحيوانات) . وقد أضفنا هنا (في بلاد الرولة) ، والمقصود ببلاد الرولة الأراضي التي يقطعونها في شمالي بلاد العرب ، ويقع بعضها في الوقت الحاضر في المملكة الأردنية الهاشمية ، ومنها منطقة (الريشه) .
- (١) فراعل جمع فربعل ، وهو ولد الضبع .
- (٥) مخاطبة الضبع بمثل هذا الكلام معروف عند العرب قديماً ففي كلام للإمام علي : أتريد أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال : دباب ، دباب ، ليست هاهنا ! حتى يخل عرقوبها ثم تخرج « تاريخ ابن جرير » : ٤٥٦/٤ طبعة دار المعارف بمصر (العرب) .
- (٢) إن الاعتقاد الخرافي بنفع بعض الأشياء إذا علقت على عضو ، أو ربطت به سائد للأسف في كثير من المجتمعات الإسلامية . ونشاهد في الوقت الحاضر ، بعض المسلمين يربطون بأصابعهم مثلاً أو حول سيقانهم خيطاً ممتقدين فيه دره ضرر ما . ولا ريب أن شيوع الوعي والاطلاع على مصادر الشريعة كفيل بمحو أمثال هذه الخزعيلات .
- (٣) الفيول Viol نوع من آلة الكمان الموسيقية .
- (٤) في الأصل : (والقعود من هذا النوع) . فقد سقطت كلمة Skin أي جلد قبل «The Young Camel» .
- (٥) الوحيد : ضرب من سير الإبل .
- (٥) : هذا بيت من الشعر ، صدره مختل الوزن . وكلمة (ياوي) فيما يظهر للتعجب والاستحسان (العرب) .
- (٥) لحم الثعلب حرام أكله ولا يأكله من البادية سوى الصلب ، وكذا النيص والقنفذ والجردني ، أما الخنزير فلا يأكل لحمه المسلم . والصقر من جوارح الطير فلهذا لا يؤكل لحمه .
- (٦) كذا ترجم المؤلف العبارة إلى الانجليزية ، والاختلاف واضح بين النصين ، ومعنى آخرها : لم تنكر وتنسى الجميل ؟
- (٧) أي لخوفها منها فإنها تترامى لها حتى في الأحلام .
- (٨) ترجم المؤلف كلمة (الشرما) بـ (البيضاء) ، وهو وهم .
- (٩) هذا تعريب ترجمة المؤلف لمعنى (ضفيه) ، مع أن المتبادر إلى الذهن أن المقصود (ضافية) أي (سابغة) . ففعل الكلمة (دفيه) لا (ضفيد) كما وردت في الأصل .
- (١٠) ترجم المؤلف (راعي البلية) بـ (راعي الإبل) ، وهو وهم ظاهر .
- (١١) إن من يعرف البادية لن يصدق مثل هذا الزعم البتة ، فهما فشا الجهل بين القوم فلن يصل بهم إلى جهل أن هذا اللحم محرم بنص الكتاب !
- (٥) (وهذا من الخرافات المحرمة شرعاً - العرب) .
- (١٢) الجردني : الجرذ . وهو ضرب من الجرذان ، متوسط الحجم عادة .
- (١٣) ما بين المعقوفين إضافة ضرورية ، إذ سقطت من الأصل ترجمة (مع عشرة) سهواً كما يبدو .

- ومعنى العبارة : إنني أكفي لإطعام أربعين شخصاً ، دون أن تكون قوائمي ضمن لحمي المقدم لهم .
(وكلمة قصائمي عند عامة أهل نجد : قصائلي : أرجل الجراد وأجنحته - العرب) .
- (١٤) هذا البيت أصله بيت من الشعر العربي الفصيح معروف سائر على الألسن ونصه :
إذا حلل الثقليل بأرض قوم . فما للساكنين سوى الرحيل
(وكذا الأربعة الأبيات التي قبله . وفيها تحريف أدخل بوزنها) .
- (١٥) من عادة المسلمين على اختلاف أعمارهم ذكر الله عند انتشار أو السقوط ، ولا معنى لأن يخص الأطفال في هذه الحكاية الخرافية بذلك .
- (١٦) الرقيعي : طائر بحجم المصفر . وسيرد ذكره في آخر هذا الفصل حيث قال عنه المؤلف بأنه (الخطاف) أو (السنونو) .
- (١٧) البيزرة والبزدره : تربية الصقور والصيد بها .
- (١٨) مختل الوزن ويستقيم صدره (حتى نجي بين السلف) - العرب .
- (١٩) وهذا مختل الوزن أيضاً .
- (٢٠) اسمه كما سمعته في البادية : مسح الریشان ولكنهم يدغمون الميم الأولى بالثانية ويشددونها ، لأنه وقت طيرانه حين يشاهد ما يصيد يقرب من الأرض فيميل جناحه حتى يكاد يمسحها . والريشان عندهم جمع روضة عند العامة - العرب) .
- (٢١) هذا بطبيعة الحال ، حسب ما هو شائع لدى الرولة .
- (٢٢) المعروف عند عامة أهل نجد أن الحلم كيار القردان ، لا صغارها ، وإن ورد في كتب اللغة القول الأول ، والصواب ما ورد عن الأصمعي وهو من أعلم العلماء بأحوال البادية ، انظر مادة (حلم) في « تاج العروس » - العرب) .
- (٢٣) شرح المؤلف العبارة بما ترجمته : احذر المخيريز - تصغير الخراز - ! إنه سيخز لهاتك ! . وقد ابتعد عن مدلولها . فهي دعاء عليه لا تحذير له .
- (٢٤) التشاؤم بالغراب - أو التفاؤل برؤيته - من عادات أهل الجاهلية التي أبطلها الإسلام - العرب) .
- (٢٥) جنه : جنبها : أي جنبها . يحذف الرولة ، كثيرهم من أهل شمال الجزيرة ، بل وحتى حائل والقصيم ، الألف من هاء التثنية ، ويقفون على الهاء .
- (٢٦) تستعمل (حبارى) في اللغة العربية للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث . انظر لسان العرب (حبر) .
- (٢٧) هذا تعريب ترجمة المؤلف الحرفية للعبارة ، وكلمة (حر) لا تعني (أمر) بل : (أصيل) أو (نبيل) .
- (٢٨) كانت ترجمة المؤلف للعبارة بما تعريبه : أنا ساحر حيات ! ابن ساحر حيات . ساحر الحية فلا تؤذي ! (!!) .
- (٢٩) وردت (سحله) في الأصل هكذا (Shala) أي (سحله) . لكن أنى للسحلة بفرع النخلة ؟ . ثم أن المؤلف ترجمها بـ (الثمرة) والتمر يقال لها (السحله) وهي قريبة لفظاً من (السحله) لكن (السحله) هي الإناء لا الثمرة ، كما ترجمها المؤلف . و (السحله) لا تؤولف بتجعة مع (النخلة) .
- (٣٠) هكذا أورد المؤلف المقرب ضمن الزواحف ، والأولى أن ترد مع الحشرات .
- (٣١) الخشرم : جماعة النحل ونحوه .

رحلة الوزير الشرقي الإسحاق المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣هـ

- ٣ -

ومكة شرفها الله بلدة قد وضعها الله بين جبال مُحدّقة بها ، وهي في بطن وادٍ مقدس ، كبيرة مستطيلة ، تسع من الخلائق عدداً لا يحصيه إلا الله عز وجل ، قال ابن جبير الغرناطي^(١) بعد ما ذكر كثرة ما يجتمع بها من الركاب الوافدة إليها من سائر الآفاق في أيام الموسم كلها ما نصه : فمن الآيات البينات أن يَسَعَ هذا الجمع العظيم هذا البلد الأَمِينُ ، الذي هو بطن وادٍ سَعَتْهُ غَلَوَةٌ أَوْ دُونُهَا ، ولو أنَّ المدن العظيمة حَمَلَتْ عليها هذا الجَمْعُ لَصَاقَتْ عَنْهُ ، وما هذه البلدةُ المكرمةُ فيما تختص به من الآيات البينات في اتساعها لهذا البشر المعجز إحصاؤه ، إلا كما شَبَّهَتْهَا العلماء حقيقة في أنها تتسع لوفودها اتساع الرَّحِمِ لمولودها ، وكذلك عرفات وسائر المشاهد العظيمة بهذا البلد الحرام ، عظم الله حرمة ، ورزقنا الرحمة فيه بكرمه وفضله .

ومن عجيب أمرها شرفها الله ، ما جعل الله لها في قلوب عباده من المحبة الصادقة التي تحملهم على الوفاة عليها ، واعتقاد العودة إليها ، ولو كان لهم في ذلك ضَرْبُ الرَّقَابِ ، وذهابُ الأموال ، وتقطعُ الأسباب ، تسترق القلوب ، وتسبي عقول ذوي النُهَى ، حتى يقولوا : ما مَسَّنَا من لُغُوبٍ ، فالغائب عنها متشوقٌ إلى رؤية مغناها ، والقاطن بها لا يملُ سكناها ، ولا يتبرم من عيشها ، ولو كان يَمُصُّ فيه النوى ، ويراها العيشة الراضية أعلاها لا أدناها ، متاعاً إلى حين ، ولو دام على هذا الضنك سنين ، على أنها كما قال الله عز وجل ﴿ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ ﴾ فلمؤمن لا يضيق له بها ذرعٌ ، يَسْتَسْهِلُ في ذلك القرب وتلك القرية مَضَضَ الغربة ، وما يلقاه فيها من عَرَقِ القرية ، وفي أهلها بعض جفاء ، والتواء عن الأحكام المشروعة ، وإذابة للحجاج ، وإن كانت

ممنوعة ، وشكاسة أخلاق ، تُخْلِقُ ثوبَ المروءة ، أيَّ إِيْخْلَاقٍ ، وأهل المدينة المشرفة خيرٌ منهم ، فيما يؤثر عنهم ، لو كانوا يعلمون ، والمدينة أفضلُ ثم مكة مما قاله العالمون ، وقد شاهدنا من صعاليك الحجاج ، الذين لا يملكون بَغْلَةً ولا بَلْغَةً ، ولا يحدون من العيش بُلْغَةً ، من يقول : له حجتان وثلاثة حجج ، وأكثر ، وهو على تلك الحال في الحلِّ والترحال ، سوى ما ترشَّحُ له بَعْضُ أَكْثَفِ الْمُتَصَدِّقِينَ ، وقليل ما هم ، وهو مع ذلك لا يملُ من الثواء ، ولا يكوده حر الصيف ، ولا برد الشتاء ، ولا يخلو الرجل من المداس ، والبدن بما بقي من اللباس ، ما آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْمَعُهُ ، موَكَّلٌ بِفَضَاءِ الْأَرْضِ يَذَرُّهُ ، فما يُسَلِّمُ على أهله حتى يُودَّعَ ، على بعد المرجع ، وما ذاك إلا حكمة من الله وتصديق لدعوة نبيه إبراهيم عليه السلام ، هذا مع قيام أسباب آخر نُبِيْحٍ أو توجب التأخرَ عن الحج في هذه الأزمنة من عادية الأعراب ، وامتهان الترك للحجاج ، وإذْلالِهِمْ لهم في المصادر والموارد ، ومصادرتهم في الأموال والأمتعة ، وقبض الخراج منهم عَن بَدِّهِمْ صَاغِرُونَ ، وقد شاهدناهم - قبح الله سعيهم - وَكَلَّوْا على مُمَّاكَسَةِ الحجاج على أحمالهم يهودياً من اليهود ، وقبض ذلك مَرَّتَيْنِ ، وربما احتاج - لعنه الله ولعن من وجهه - إلى كشف بعض الخيام ، بل إلى الْحُرْمِ ، لاستخراج ما عسى أن يكون قد غُيِّبَ من الأحمال ، التي يُثْبِتُ نَهَايَتَهَا في ديوان المكوس ، التي لا ترتضيها أطايبُ النفوس ، ويكفيهم مهانةٌ وَقَلَّةُ دِيَانَةٍ ، اتَّخَذُوهُمْ بَيْتَ اللَّهِ حَرَامَ سَبَبٍ لِلْمَعِيشَةِ الْحَرَامِ ، بما يتساقطون عليه ، ويتهافتون عليه عند وُلَايَتِهِمْ وأكابر مجرميهم ، من طلب التولية على الأعمال المكسية ، التي يزعمون أنها قوام كسوة الكعبة المرضية .

وإذا كانتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ في مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ هذه قریش في جاهليتها ، عندما أرادوا أن يبنوا البيت الحرام ، تعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يُدْخِلُوا في بنائه مالا حراماً ، فبالله من هذه الأوباش ، أراذل الغُرِّ الذين اتخذوا مال الله دُولاً وعباد الله حَوَلاً ، قطع الله دابرهم ، والحق بأولهم إلى العذاب آخرهم ، وقطع بدعهم بسيف الأشراف ، أهل البيت الذين تولى الله تطهيرهم تطهيراً .

لطيفة - نزل الراكب بعض المعاطن السماء عندهم بالبنادر ، فقام إليه الغزُّ واحتجزوه وحجروه عن المغاربة ، حتى لا يصل واحدٌ منهم إلى شربة ماء ، حتى يَرَوُوا وتَرَوُوا إبلُهم ودوابهم ، فتقدم جماعة من أعيان الراكب إلى شيطانهم المسمى بسطانهم ، فرغبوا إليه أن يخصصهم بئر واحدة ، أو بناحية منها يدلون فيها دلاءهم مع الغز ، فأنعم لهم بذلك ، وعين لهم بئراً ، فما تلبث المغاربة بها يستقون إلا يسيراً ، حتى أقبلت إليهم الغزُّ بالعِصِيَّ والدَبَائِيزِ والسيوف ، فأزاحوهم عنها ، واحتازوها لأنفسهم ، وصعاليك الحجاج المغاربة رجالاً ونساءً ، يستقون فما يُسْقَوْنَ ، وكنت أنا عبدالله لما تأخَّرَ عنا السَّقاءُ بهذا المنع ، ورأيت صبيّاً لنا صغيراً يتَلَوَّى من العطش ، أخذتُ ديناراً من الذهب ، أريد أن أَشْتَرِيَ به شربة ماء من البندر ، فما وجدتها ، فلما أعياني الطلاب ، جئتُ أميرَ الحاج المصري وقمه الله (٢) - أعني الأمير - وهو يعرفني ، ووجدته قاعداً على حوض ، والأولى (؟) تختلف بين يديه على حوض يسقي إبله ، فقلت له : يا أمير احتجنا شيئاً من الماء ، والله ما وجدناه حتى بالشراء ، وأريتهُ الدينار ، فضرب بدقنيه إلى الأرض ، وأولاني أذنّاً صمّاً ثم عاودته ، وقلت له : أنت أمير وتعرفني ، أنا طالب علم ، وأيضاً أوجب وأسبقُ ؟ حرمةُ آدميٍّ أو الحمل ؟ فاستنكر مقالتي ، وأخذته العزة بالإثم فانصرف عنه ، وبفس ما وكَّيتُ عنه أمرَ الغزِّ وأغراهم بالمغاربة وذادُوهم ، كما تذاذ غرائبُ الإبل عن الماء . فهذا بعضُ ما رأيتُ من قساوة قلوب هاؤلاء الأعاجم ، وقلة مبالاتهم بالمسلمين ، وما أراهم إلا يقولون في أنفسهم مقالة ملاعين اليهود وأهل الجحود والتغيير والتبديل ﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ قلت : فمن قال من علماء المغرب والأندلس بسقوط الحج عن أهل بلده واعتقده ، فاعتقاده صحيح لهذه الأسباب ، وإيماءٌ يُصنَعُ بالحجاج ، ممّا لا يرتضيه الله عز وجل قدراً أو جَدَ الرخصة فيه على غير هذه الحال ، فكيف بارتكاب المخاوف والأوجال . قلت : وفي « مناسك الحج » للشيخ خليل ما نصه : وتُشترط في الاستطاعة الأمنُ على النفس والمال من لصوصٍ أو مكّاسٍ ، إذا كان يأخذ ما يُجْنَحِفُ به . وفي سقوطه يأخذ المكّاس ما لم يُجْنَحِفْ قولان ، ورجَّح

بعضهم عَدَمَ السقوط ، وقال أيضا : وبعضهم يعي المسافرين للحج يرى أن نفس السفر مُبِيحٌ للتيَمُّ ولو كان على الماء ، وهو جَهْلٌ عظيم ، بل بعضهم يتساهل في الصلاة بالكلية ، وليت شعري كيف يترك خمس فرائض كُلَّ يوم مِثْلَ يوم لفريضة واحدة ، بل بعضهم إنما هو في غير الفريضة ، حتى تجد بعض الناس إنما يفعل ذلك عادةً أو فرجةً أو صناعةً أو ليقول : لي كذا وقفة ، وكان سنة كذا وكذا وسنة كذا وكذا انتهى . قلت : وقول الشيخ رحمه الله مئة يوم يعني - والله أعلم - فيمن حجَّ من مِصرَ لأن ذلك حسابهم في أيام سفرهم للحج ذهاباً وإياباً ، لا يزيدون عليها ولا ينقصون ، وهم على ذلك إلى الآن ، وإنما إذا اعتبرت من يحج من المغرب أو من غيره فحسابه غير يسير ، وحسابه على ذلك التساهل في شأن الصلاة ، ولو تأخيرها عن وقتها عَسِير ، وقوله : أو صناعة من الناس من يحترف بالسفر إلى الحج ، فيسافر خدماً أو قِسْماً أو عكاًماً أو ضَوْثِيّاً ، أو غير ذلك بأجرة معروفة ذهاباً وإياباً ، ورأينا بعض مَنْ هذه حرفته من المغاربة ، يخدم من مصر إلى مكة ، ومن مصر إلى طرابلس ، ثم يرجع إلى مصر ، ويقعد بها أو يبتديء سفر آخر إلى الحجاز ، وهذه عادتهم ، وديَدُ نُهُم ، منهم من يحصل في ذلك مع متابعة الأسفار على شيء من الدنيا ، ويعمل منها رأس مال يَتَجَرُّ به ، ومنهم وهم الأكثر من لا يبارك له في شيء من ذلك ، وما حصل بيده في شهر أو أكثر يتلفه في ساعة أو أنزر ، وما رأيتُ متلفاً للمال مثل مصر ، فإنَّ شهواتها كثيرة ، ومفاسيدها والمعصوم من عصم الله .

قلتُ : وليتحقق المتحقق ، ويعتقد الصحيح الاعتقاد ، أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب ، لأنهم على جادة واضحة ، لا بُشَيَّاتَ لها ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء متشعبة وبدع ، وفرق ضلالة وشيغ ، إلا من عصمه الله من أهلها^(٣) ، أما أهل المغرب فعلى مذهب الإمام مالك ، في الفروع ، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الاعتقادات ، سالمين من الشبهات والنزعات ، والنشيعات والنزوات ، وعِلْمُ علمائِهِ سالمٌ من التخليط ، والتدليس رواية

صريعة ، ودراية صحيحة ، كل عالم منهم فيهما رئيس ، يشاركون في العلوم كلها ، فقهاً وحديثاً وأصولاً وتفسيراً وإعراباً ، وغير ذلك ﴿ جزاء من ربك عطاءً حساباً ﴾ على أن المشرق اليوم فيما رأينا وخبرنا ما بقي به من تشدد إليه الرجال في طلب العلم ﴿ الله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ .

رَجَعُ : ولَمَكَة شرفها الله ثلاثة أبواب حسبما ذكره غير واحد : (٤)

أولها : بابُ المِعْلَى ، ومنه يُخْرَجُ إلى النَجْبَانَةِ المباركة ، وهي الموضع الذي يعرف بالحُجُون ، وعن يسار الماشي إليها جبلٌ في أعلاه ثنيةٌ عليها علم شبه البرج ، يخرج منها إلى طريق العُمرة ، وتُعرف تلك الثنية بِكَدَاءَ ، وهي التي عني حَسَّانُ بقوله في شعره :
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِن لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءَ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح للمهاجرين والأنصار : « ادخلوا من حيثُ قال حسان » فدخلوا من تلك الثنية ، وهذا الموضع أيضاً الذي يعرف بالحُجُون هذا الذي عناه الحارثُ بن مُضَاضٍ الجُرْهُمِيُّ بقوله :

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا
أَنَيْسٌ وَلَمْ يَنْسُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

قلت : يُضْرَبُ المثلُ بغربته وغربةِ قيس بن زهير ، قال الشاعر :
غُرْبَةٌ لَمْ تَكُنْ كَغُرْبَةِ قَيْسٍ بَنِي زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ
وقال المَعَرِّيُّ :

فَلَا يَبْكُ مَكِّيٌّ لِفَقْدِ حُجُونِهِ لِكُلِّ بِلَادٍ مَصْرَعٌ وَحُجُونُ
وبالجبانة المباركة مدفنُ جماعةٍ من الصحابة والتابعين ، والأولياء والصالحين ، قد دثرت مشاهدُهم المباركة ، وذهبت عن أهل البلدة أسماؤهم ، وفيه الموضع الذي صلبَ فيه الحجاجُ بن يوسف - لعنة الله - عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قالوا : وكان عليه بناء مرتفع ، فهدمه أهلُ الطائف ، غيرَ أنهم على ما كان يُجَدِّدُ من لعنة صاحبهم الحجاج المذكور ، وعن يمينك إذا

استقبلت الجبَّانةَ مسجدًا في مسيل بين جبلين ، يقال : إنه المسجد الذي بايَعَتْ فيه الجَنُّ للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى الباب المذكور طريق الطائف ، وطريق العراق ، والصعود إلى عرفات ، جعلنا الله ممن يفوز بالموقف فيها ، وهذا الباب المذكور بين الشرق والشمال ، وهو إلى الشرق أُمَيْلٌ .

ثم باب المَسْفَلِ وهو إلى جهة الجنوب ، وعليه طريق اليمن ، ومنه كان دخولُ خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح .

ثم باب الزَّاهِر ، ويُعرف أيضا بباب العُمرة ، وهو غربي ، وعليه طريق مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطريق الشام وطريق جدَّة ، ومنه يُتَوَجَّهُ إلى التَّنْعِيمِ ، وهو أقرب ميقات المعتمر ، يخرج من الحرم إليه على باب العمرة ، ولذلك أيضا سُمِّيَ هو بهذا الاسم ، والتَّنْعِيمُ من البلدة على فرسخ ، وهو طريق حسن فسيح ، فيه الآبار العذبة التي تسمى بالشَّيْبِيكَةِ ، وعندما تخرج من البلدة بنحو ميل تلقى مسجداً بإزائه حجرٌ موضوع على الطريق كالمصطبة ، بعلوه حجرٌ آخر مُسْنَدٌ فيه نَقْشٌ دائِرُ الرَّسْمِ ، يقال : إنه الموضع الذي قعد فيه النبي صلى الله عليه وسلم مستريحاً عند مجيئه من العمرة ، فيترك الناس بتقبيله ومسح الخدود ، وحقٌّ ذلك^(٥) ويشدُّون إليه لِيَتَنَالَ أجسامَهُمْ بركةً لِمَسِّهِ .

ثم بعد هذا الموضع بمقدار غلوة تَلْقَى على قارعة الطريق من جهة اليسار للمتوجه إلى العمرة قَبْرَيْنِ قد علتَهما أكوام من الصخر عظام يقال : لهما قبراً أبي لب و امرأته ، فما زال الناس في القديم إلى هَلُمَّ جَرًّا يتخذون سنة رجمهما بالحجارة ، حتى علاهما من ذلك جبلان عظيمان ، وكنت حين توجهت للعمرة ، استصحبت معنا صبيّاً من أهل مكة ، بل هو تعلق بنا يُرِينَا أفعال العمرة على عادة صبيان مكة في تعلقهم بالحجاج ، رغبةً فيما ينالون منهم من القضة ، فحين مررنا بالقبرين قال : تَعَالَ تَرَجُمُ ، وأنا تاني بالأحجار فقلت له : اذْهَبْ بنا . وسرتُ مُعْرِضاً عن القبرين ، فأنا رأيت أن الاشتغال برجمهما لا يُفِيدُ شيئاً ، ولا ورد فيه شيءٌ من كتاب أو سنة ، والصبي عَدَّ

ذلك الامتناع مني تنقصاً إذ خالفتُ المألوف ، ولو كان ذلك بمحضر جماعة من أهل البلد ، وخشيت الإنكار عليّ لفعلتُ ، إذ لا ينبغي للإنسان أن يرتكب ما يوجب طعناً عليه ، لا سيما في أمر ليس في فعله محذور .

لطيفة - والشّيء يُذكرُ بالشيء - ذكر بعض الأعلام من الأئمة المالكية أنه دخل بلدة السّدل (*) ، فيها من شعار الرافضة : قال : فكنت أقبضُ في صلاتي لئلاّ أرمي بالرفض .

قلت : ويزعمون أنّ أحدَ هذين القبرين أبو رُغال .

قال العبدري^(٦) : ولا أتحقّقُ شيئاً من هذا ، فإنّ أبا رُغال من ثقيف ، بعثه أهلُ الطائف دليلاً على الكعبة ، لإبرهنة ملك الحبشة ، حين أراد هدمها فلما نزل المُغمّس مات أبو رُغال ، فترجّم قبره هنالك إلى اليوم قلت : وقد قال جرير في مناقضاته للفرزدق :

إذا مات الفرزدقُ فارجموهُ كترجيمكم ليقبر أبي رُغال

قال العبدري^٦ : والمُغمّسُ على يمين المصلّي بعرفة ، وليس منها بعيداً ، وقد سألتُ عنه شيخاً من أهل البلد ، فأشار إلى ناحية اليمن ، وأنت مستقبل القبلة ، وقد وهِمَ فيه الأستاذ أبو القاسم السهيلي - رحمه الله - فذكر أنه من مكة ، على ثلثي فرسخ ، وذلك ما لا يصح . وليس المغمس من الحرم ، ولا وصل أصحابُ الفيل إلى الحرم ، بل المرويّ خلاف ذلك ، وهو أنهم لما نزلوا بالمُغمّس برك الفيل ، فكانوا إذا وجهوه إلى ناحية الشام ولى يهزول ، وإذا ردّوا إلى اليمن فعل كذلك ، وإذا وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإن صحّ الحديث الذي ذكره السهيلي وأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد قضاء الحاجة وهو بمكة خرج إلى المُغمّس على ثلثي فرسخ ، فمعناه أنه يخرج إلى ناحية المغمس ، لا أنه يصل إليه ، ولعل التقييد بثلثي فرسخ إنما كان لمسافة المذهب ، لا لمسافة المغمس ، ولا يصح غير هذا والله أعلم . اللهم إلا أن يكون في الحرم موضع آخر يقال المغمس ، غير الذي انتهى إليه أبرهة ، ومات به أبو رغال ، وما أظن ذلك كائنًا والله الموفق .

وبعد ما تسير عن القبرين المذكورين مقدارَ مِيلٍ تَلْقَى الزَّاهِرَ^(٧) وهو مبنى على جانبي الطريق ، وقد أُحْدِثَ فيه مَظَاهِرٌ ، وسقاية للمعتمرين ، وعلى جانب الطريق دَكَّانٌ مستطيل يصف عليه كيزانٌ ومراكن مملوءةٌ للوضوء ، وهي القصاري الصغار ، وفي الموضع بئر عَذْبَةٌ تُمَلَأُ منها المظاهر المذكورة ، فيجد المعتمرون فيها مرفقا ، وعن جانبي الطريق في هذا الموضع ، جبال أربعة ، جبالان من هنا وجبالان من هنا ، يُذَكَّرُ أَنَّهَا الجبال المباركة التي جعل إبراهيم عليه السلام عليها أَجْزَاءَ الطير ثم دَعَاَهُنَّ ، حسبما حكى الله عز وجل عنه ، عند سؤاله إياه ، وحول تلك الجبال الأربعة جبال غيرها . وقيل : إِنَّ التي جعل إبراهيم عليها الطير سبعة منها والله أعلم .

وبعد مجاوزة الزاهر المذكور ، تمرّ بالوادي المعروف بذي طَوَى ، والذي حُكِيَ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، نزل فيه عند دخوله مكة ، وكان ابنُ عمر رضي الله عنه يغتسل فيه ، وحيث يدخلها ، وحوله آبَارٌ تعرف بالشُّبَيْكَة ، وفيه مسجد يقال : إنه مسجد إبراهيم عليه السلام ، فتأمل بركة هذا الطريق ومجموع الآيات التي فيه ، والآثار المقدسة التي اكتنفته .

ثم تجيز الوادي إلى مضيق تخرج منه إلى الأعلام التي قد وُضِعَتْ حَجَرًا بَيْنَ الحِلِّ والحَرَمِ ، فما داخلها إلى مكة حَرَمٌ ، وما خارجها حِلٌّ ، وهي كالأبراج مصفوفة كبار وصغار ، واحد بإزاء آخر ، وعلى مقربة منه تأخذ من أعلى جبل يعترض عن يمين الطريق في التوجه إلى العمرة ، وتشق الطريق إلى أعلى جبل عن يساره ، ومنه ميقات المعتمرين ، وفيها مساجدُ مبنية بالحجارة ، يصلّي المعتمرون فيها ، ويحرمون منها ، ومسجد عائشة - رضي الله عنها - خارج هذه الأعلام بمقدار غُلُوتَيْنِ ، وإليه يصل المالكيون ، ومنه يحرمون ، وأما الشافعيون فيحرمون من المساجد التي حول الأعلام المذكورة ، وإنما مسجد عائشة - رضي الله عنها - مسجدٌ ينسب لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

← (للحديث صلة) ←

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

- ٧ -

قَنَورُ

— بفتح القاف والنون والواو ، شدة وآخره راء — كذا ورد هذا الاسم مضبوطاً ضَبْطَ قَلَمٍ في مخطوطات كتاب « بلاد العرب » وهو غير الموضع المتقدم ذكره قال (١) — بعد ذكر الرمادة وتقدم تحديد موقعها — : (ثم بَيْنَ طُوَيْلِيعَ والرمادة مائة يقال لها قَنَورُ ، وهي لبني مناف بن دارم) . انتهى .

وطُوَيْلِيعُ يعرف الآن باسم الضَّبْعِيَّاتِ كما سبق إيضاح هذا ، والرمادة تقع غربه في أسافل الصَّمَّانِ .

→ الخواشي :

- (١) رحلة ابن جبير — ص ١٣٢ — طبعة دار الهلال في بيروت ١٩٨١ م .
- (٢) فوق كلمة (وقم الله) : كذا . وكأن الكاتب استشكل الكلمة ومعناها : أذله الله وقهره .
- (٣) القول لابن جبير في رحلته — ص ٤٩ — إلى كلمة (من أهلها) .
- (٤) ملخص من رحلة ابن جبير — ص ٧٨ — إلى جملة : (وكنت حين توجهت للعمرة قد استصحت معنا صبياً) .
- (٥) لا يجوز شرعاً تقبيل شيء من الأحجار — حاشا الحجر الأسود من أحجار الكعبة المطهرة — ولا دليل يثبت ما تتناقله العامة عن هذا الحجر وعن غيره من الأحجار التي تنسب إلى الرسول صل الله عليه وسلم ، ولو صح ذلك لكان السلف الصالح أول من اعتنى بها .
- (٥) السدل إرخاء اليدين في القيام للصلاة ، والسنة وضمهما فوق الصدر والكف اليمنى فوق الكف اليسرى ، ولكن المالكية لا يرون هذا بل يرون سدلها على الجنتين .
- (٦) صاحب الرحلة وكلامه هذا فيها .
- (٧) رحلة ابن جبير — ص ٧٩ — إلى (لعلني بن أبي طالب رضي الله عنه) .

قَوّ

بفتح القاف بعدها واو مشددة - : في «معجم البلدان» : وقال أبو زياد الكلابي :
 قَوّ واد بين اليمامة وهجر ، نزل به الخطيئة على الزبرقان بن بدر ، فلم يُجْهَزه فقال :
 أَلَمْ أَكُ نَائِباً فَدَعَاؤْتُمُونِي فَخَانَتَنِي الْمَوَاعِدُ وَالِدُعَاءُ
 أَلَمْ أَكُ جَارِكُمْ فَرَكْتُمُونِي لِكَلْبِي فِي دِيَارِكُمْ عُوَاءُ
 أُحِيلَ عَلَى الْخِيَاءِ بَطْنُ قَوّ بنات الليل فاحْتَمِلَ الْخِيَاءُ
 وعد الهمداني (٢) في ديار نعيم : قَوَيْنَ ، وقرار قَوّ . وقال في وصف طريق
 البحرين إلى اليمامة ، بعد أن ذكر الصمان (٣) : ثم ترجع إلى طريق زَرْيٍ قاصداً إلى
 اليمامة ، عن يسارك الدُّبَيْبُ ماءً ، وأنت جائر الصَّحْصَحَانِ ، وعن يمينك ماء
 يقال له الدُّحْرَضُ ، ثم تقطع بطن قَوّ ، ثم السمراء وهي أرض سَهْبٌ ، ثم تأخذ
 في الدهناء .

وفي «معجم البلدان» الصُّلْبَانِ : واديان في بلاد بني عامر . قال ليبد - وأورد
 شاهداً تقدم في الصُّلْبَيْنِ ، وقول نصرٍ أَنَّ المقصود الصُّلْبُ وموضعاً آخر فَعَلَّبَ
 الصلْبَ لأنه أعرف . وفي الشاهد :

نقى جحشاننا يجماد قَوّ خليطٌ لا ينام إلى الزَّيَالِ
 وأمكنه من الصُّلْبَيْنِ حَتَّى تَبَيَّنَتِ الْمُخَاضُ مِنَ التَّوَالِي

فمفهوم قول ليبد قُرْبَ جِمَادٍ قَوّ قُرْبُهُ من الصلب . أما قول ياقوت عن
 الصليين وأنهما من بلاد بني عامر فلعله مبني على كون ليبد منهم ، ولكن الشاعر
 كثيراً ما يذكر من المواضع ما هو خارج عن بلاد قومه .

وأورد صاحب كتاب «الأغاني» (٤) من قول المرقش الأصغر من قصيدة طويلة
 يصف ظُعناً :

تَحْمَلْنَ مِنْ جَوِّ الْوَرَيْعَةِ بَعْدَ مَا
 تَعَالَى النَّهَارُ وَانْتَجَعْنَ الصَّارِئِ

سَلَكْنَ الْقُرَى وَالْجِزْعَ تُحْدِي جِمَاهُهَا
وَوَرَّكْنَ قَوًّا وَاجْتَزَعْنَ الْمَخَارِمَا

وقد ورد اسم قَوٌّ كثيراً في شعر جرير فمنه (٥) :

كَأَنَّكَ لَمْ تَسِرْ بِجَنُوبِ قَوٍّ وَلَمْ تَعْرِفْ بِنَاطِيرَةِ الْخِيَامَا
عَرَفْتَ مَنَازِلًا بِجِمَادِ قَوٍّ فَأَسْبَلْتَ الدُّمُوعَ بِهَا سِجَامَا

وقال (٦) :

عَفَا قَوٌّ وَكَانَ لَنَا مَحَلًّا إِلَى جَوِّي صَلَاحٍ مِنْ لُبِّي

وقال (٧) :

تَبَاعَدَ هَذَا الْوَصْلُ إِذْ حَلَّ أَهْلُهَا بِقَوٍّ وَحَلَّتْ بَطْنُ عِرْقٍ فَعَرَّعَرَا

وقال جرير أيضاً (٨) :

أَمِنْ دِمْنٍ بَلَيْنٍ بِيْطْنِ قَوٍّ بَكَيْتَ لَهَا وَشَجُوَ مَا شَجَاكَمَا ؟

وقال (٩) :

ذَكَرْنَا مَا نَسِيتَ غَدَاةَ قَوٍّ وَقَدْ يَهْتَاجُ ذُو الطَّرَبِ الْوُصُولُ

وقال (١٠) :

قَفَا عُوجًا عَلَى دِمْنٍ بِرَهْبِيَا فَحَيُّوا رَسْمَهُنَّ ، وَإِنْ أَحَالَا
وَشَبَّهْتُ الْحُدُوجَ غَدَاةَ قَوٍّ سَفِينِ الْهِنْدِ رَوْحَ مِنْ أَوَالَا

قَوٌّ : ما بين النَّبَاجِ وَالْعَوْسَجَةِ . وَأَوَالُ بِالْبَحْرَيْنِ .

جَعَلْنِ الْقَصْدَ عَنْ شَطِيبٍ يَمِينًا وَعَنْ أَجْمَادِ ذِي بَقَرٍ شِمَالًا

— إِلَى أَنْ قَالَ — :

أَحِبُّ الظَّاعِنِينَ غَدَاةَ قَوٍّ وَلَا أَهْوَى الْمُقِيمِ بِهِ الْحِلَالَا

وقال جرير أيضاً (١١) :

أَلَا حَيُّ الدِّيَارِ بِسُغْدٍ لِنَسِي أَحِبُّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارَا

لَقَدْ فَاضَتْ دَمْعُكَ يَوْمَ قَوْ لَيْسَ كَانَ حَاجَتُهُ ادِّكَارًا

إلى أن قال - :

إِذَا مَا حَلَّ أَهْلُكَ يَا سُلَيْمَى بِدَارَةِ صُلُصْلٍ شَحَطُوا الْمَزَارَا

وقال (١٢) :

فَلَوْ كُنْتُ عِنْدِي يَوْمَ قَوْ عَذَرْتَنِي بِيَوْمٍ زَهْتَنِي جِنُّهُ وَأَخَابِلُهُ

وقال (١٣) :

أَلَا حَيَّ بِالْبَرْدَيْنِ دَارًا وَلَا أَرَى كَدَارٍ بِقَوْ لَا تُحْيَا رُسُومَهَا

وورد اسم قَوْ في رَجَزِ الْعَجَّاجِ (١٤) :

فَصَادَفْتُ مِنْ خَشْرَمٍ أَلْصَاصَا
فَأَصْبَحُوا غَاصُوا بِهَا مَغَاصَا
لِبَطْنِ قَوْ أَوْ نَسُوا فَيَاصَا

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ (١٥) :

فَبَطْنُ السُّلَيْيِّ فَالْسَّخَالُ تَعَذَّرْتُ فَمَعْقُلَةٌ إِلَى مَطَارٍ فَوَاحِيفُ
فَقَوْ ، فَرَهْبًا فَالسَّلِيلُ فَعَاذِبُ مَطَافِيلُ عُوذِ الْوَحْشِ فِيهَا عَوَاطِيفُ

قَوْ - مع أنه علم مرتجل كما حسب ياقوت ، وليس وصفًا - فإنه يطلق على أودية متعددة ففي شمال الجزيرة ، غرب تيماء وادي قَوْ وهو مشهور ومعروف الآن ، حددت موقعه في قسم شمال المملكة - ص ١١٢٤ - .

وفي شرق القصيم وادٍ ذكره صاحب كتاب « المناسك » وحاول تحديد موقعه صاحب كتاب « معجم القصيم » فذكر أنه المعروف الآن باسم (قُصَيْبَا) .

وفي المنطقة الشرقية موضع يعرف باسم قَوْ ، كما يتضح من النصوص المتقدمة ومما جاء في كتاب « النقاظ » (١٦) : يقال فيه فَرُوقُ قَوْ ، وهو الموضع الذي وقع فيه يوم الفُرُوق بين بني عيس وبين بني سعد بن زيد مناة .

ولعل الواقعة حدثت في الفروق الموضع الذي لا يزال معروفاً ، ثم امتدَّت إلى قَوَّ ، كما يفهم من تحديد الهمداني المتقدم لِقَوَّ ، فهو بعيد عن الفروق وذلك التحديد واضح في أنَّ قَوَّاً يقع شرق الدهناء بقربها ، يسار منهل حرص الذي أصبح الآن بلدةً ، وقد تكون أعالي وادي قَوَّ بقرب الدهناء ، وأن أسفله يمتد إلى الفروق . ومهما يكن فالموضع ليس معروفاً الآن بهذا الاسم - على ما بلغني .

أما النصوص الشعرية التي أوردت فقد يكون من بينها ما لا ينطبق على قَوَّ موضع الحديث ، إلاَّ أن كونه في بلاد بني تميم ومن بين أصحاب النصوص من هو منهم ، فقد أوردت شعره للاستئناس به .

وقول الخطيئة الذي أورده ياقوت لا أراه ينطبق على الموضع المقصود ، لأنَّ الزبرقان حين قصده الخطيئة كان على (بنان) في اليمامة ، وإنما أراد الخطيئة قَوَّاً الذي في بلاد عبس ، وهو الذي في بلاد القصيم .

وقد ورد اسم قَوَّ بصيغة التثنية في قول ذي الرُّمَّة :
جَادَ الرَّبِيعُ لَهُ رَوْضَ الْقَذَافِ إِلَى قَوَّيْنِ ، وانْعَدَلَتْ عَنْهُ الْأَصَارِيْمُ
وتقدم القول بأنَّ روض القذاف وقَوَّيْنِ من بلاد بني سعد ، وأنَّ القذاف في شِقِّ حَزُوَا - أي شرق الدهناء ، حيث حدد الهمداني موضع قَوَّ .

القُوتُ

جاء في شرح قول ابن مُقَرَّبٍ :
كَمْ بِالْعَشِيرَةِ مُذْ تَوَلَّى مَاجِدُ من سَابِقٍ بَعَثْتُمْ وَمِنْ بُسْتَانِ
أن أهل الأحساء أثناء فساد حكم ماجد بن محمد بن علي بعثوا إلى الأمير علي ابن الحسين بن عبدالله بن علي فأدخلوه البلد ، وحاصروا ماجد بن محمد في القوت حتى أخرجوه منها ، وملكها علي .

فهل كلمة (القوت) صحيحة ؟

أخشى أن تكون من وضع شارح الديوان ، وأنه كان متأخراً إلى الزمن الذي انتشرت فيه كلمة (الكوت) بمعنى الحصن في القرن العاشر ، متأخراً عن زمن ابن المقرب وهو أول القرن السابع ، فاستعمل الكلمة بالقاف (القوت) .

القُسُوسُ

قال في « نخبة الدهر » : بلاد البحرين ، ويسمى القوس ، وهجر اسم واقع على مجموعه ، وليس باسم مدينة ، ومن أمصاره الأحساء ، وهي القصبة ، وتعرف بأحساء بني سعد ، يحيط بها غوطة نخل . انتهى .

وقال الهجري^(١٧) : مَوْتِيبُ أحد جِزْعِيَّيْنِ ، والجِزْعُ الآخرُ النُّخَيْنِ والقوس وهما أعظم من مَوْتِيبٍ ، والمَوْتِيبُ جِزْعٌ من يَبْرِيْنِ الذي يلي الفلج ، والجِزْعُ الآخر الذي يلي البحرين ، وبين الجزعين مبدأة للإبل ، العشرة أميال . انتهى .

وكلام الهجري أوضح من كلام صاحب « نخبة الدهر » فقد أوضح أن القوس هو جِزْعُ يَبْرِيْنِ الموالي للبحرين ، أي الجانب الشرقي . ويبرين واحة معروفة طغت الرمال على كثير من جوانبها .

القُوع

رأيت في أحد البيانات^(١٨) الموضوع باللغتين العربية والانجليزية - القوع : من قُرَى القطيف ، ولست على يقين من صحة الاسم فقد يكون محرفاً .

قَهْدِيَّةُ

— بفتح القاف وإسكان الهاء وكسر الدال المهملة وفتح المثناة التحتية مشددة وآخره

هاء — : موضع يقع غَرْبَ العقير ، وفيه رمالٌ تدعى نَقَا قَهْدِيَّةَ ، ينحرف عنه طريق العُقَيْرِ إلى الأحساء نحو الجنوب ، فيه أغار آل مِرَّةَ والعُجْمَانُ على قافلة قادمة من ميناء العُقَيْرِ إلى الأحساء ، ومعها جند من الأتراك لحمايتها ، فقتلوا منهم نحو الخمسين ، ونهبوا القافلة ، وذلك في سنة ١٣٢٠ ، — وذكر الشيخ عبد العزيز

ابن صالح العلجي هذه الوقعة في قصيدة مدح بها السيد طالباً النقيب حين ولاه الأتراك الأحساء في تلك السنة قال فيها :

وَمِنْ عَسْكَرِ السَّاطِئَانِ خَمْسِينَ غَادَرُوا
عَلَى وَهْدَاتِ الرَّمْلِ يَجْرِي صَدِيدُهُـا^(١٩)

وفي كتاب «دليل الخليج»^(٢٠) أمُّ الذَّرَّ على بعد ميل في الشمال الشرقي من البُسَيْتَيْنِ ، بقرها مجموعة من الروابي حيث كان في سنة ١٩٠٢ رجال من آل مُرَّةَ تنتظر فرقة تركية حربية ، ففاجأها بعد ذلك عند قَهْدِيَّة . وفي سنة ١٩٠٦ تكرّر الحادث .

قَهْدِيَّة

بالفتح وإسكان الهاء وفتح الواو وآخره هاء - : مُشَاشٌ يقع غرب دوحة مُنَيَّفَةٍ . وشرق الطَّرِيْفَةِ ، الواقعة شرق بلدة النُّعَيْيْرِيَّة ، وهو من موارد قبيلة العوازم .

قِيَاص

قياس موضع ورد ذكره في رجز للعجاج ، تقدم في الكلام على قَوِّ ، وتقدم ذكر الاسم في حرف الفاء (قِياس) . ويفهم من ذكره مع قَوِّ وقوعه في نواحي الصَّمَانِ ، ولم أجد من المراجع ما أتمكن به من ضبط الاسم ، فضلاً عن تحديد موقعه.

الْقَيْصُومَةُ

- على لفظ واحدة الْقَيْصُوم ، وهو نبات قريب الشبه بالشَّيْخ ، شجيرته ذات أغصان دقيقة ، ترتفع عن الأرض قدر الذراع ، ولونها أشهب ، وورقها صغير ، ورائحتها طيبة - : واسم القيصومة يطلق على مواضع ، ولعله من صفات الأمكنة التي تُنَبِّتُ القيصوم ، ثم أصبح عاماً لتلك المواضع .

منها قيصومة قَيْصَحَان - وقد حددها في قسم شمال المملكة من « المعجم الجغرافي »

ص ١١٢٩^(٢١) - وقد ورد ذكرها في كتاب « المناسك » في وصف طريقي البصرة إلى المدينة بما نصه^(٢٢) - : بعد ذكر الوقاء - : (ثم يُؤخَذُ في الحَزْنِ على مياه يقال لها القيصومة ، وقنة ، وحومانة الدراج ، حتى يخرجون على أبرق العَرَاف ، ثم يمضون إلى بطن نخل) .
والقيصومة هذه لا تزال معروفة .

ومنها قيصومة ورد ذكرها في « بلاد العرب »^(٢٣) . وكتاب نصير ، و « معجم البلدان » بما ملخصه : ثم أعظم ماء لِيَصْبَةَ بالبادية الدَّجْنِيَّتَانِ ، وهما ماءتان عظيمتان ، ليس بينهما ميل يقال لهما الدَّجْنِيَّةُ والقيصومة - إلى أن قال - : وتَعَشَّارُ فوقهما ، وهذا كله في ناحية الوشم ، وقال : والدَّجْنِيَّتَانِ وراء الدهناء ، قريب منها ، ولما أورد ياقوت كلام نصير - ويظهر أن مصدره كتاب « بلاد العرب » أضاف إليه قائلاً : هذا لفظه إلا أنَّ الوَشمَ موضع باليمامة في وسطها ، والدهناء في وسط نجد ، فكيف يتفق ؟ والواقع أنَّ استشكال ياقوت لذكر الوشم هنا في محلِّه ، فمفهوم قريبهما من الدهناء يستلزم كونهما شرق جبل عارض اليمامة ، والوشم غرب هذا الجبل بمسافة بعيدة . وأقرب ما ينطبق عليه تحديد المائتين المذكورتين أنهما الدَّجَانِيَّةُ والقاعية ، من مياه العَرَمَةِ في شمالها ، ووصف موقع تَعَشَّار بأنه فوقهما يدل على أنه خارج الدهناء غرباً ، على مقربة من العرمة .

وَقَيْصُومَةُ تقع شرق الدهناء ، أصبحت الآن قرية تابعة لإمارة الحَفَرِ ، وهذه لم أر لها ذكراً قديماً ، وهي أشهر ما يعرف الآن لوقوعها على خط ضَخِّ النفط من شرق البلاد إلى الشام - الأردن ولبنان - وتقع في الجنوب الغربي من بلدة الحَفَرِ وسيلها يفيض في واديه المعروف باسم (الباطن) وهي في الضفة الشرقية من وادي فُلَيْج الجنوبي . (بقرب خط الطول : ٤٦/٥° وخط العرض : ٢٣/٢٨°) . وكانت روضةً ، فلما مُدَّ خطُّ الأنابيب في عشر السنين من القرن الماضي أنبِطَ فيها ماء غزير ، واتُّخِذَتْ مركزاً من المراكز التي استقرَّ بها المشرفون على ذلك الخط . وهناك مواضع أخرى تسمى القيصومة غير ما تقدم ذكره .

- انتهى حرف القاف ويليه حرف الكاف (كاظمة) .

ما اتفق لفظه واختلف سَمَاهُ من أَسْمَاءِ المَوَاضِعِ

للإمام محمد بن موسى الخازمي (٥٤٨/٥٥٨هـ)

- ٣٣ -

٢٠٤ - بَابُ جَلَّالٍ ، وَحِلَالٍ ، وَحِلَالٍ وَخِلَالٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - يَفْتَحُ الْجِيمَ وَتَشْدِيدُ اللَّامِ - : اسْمٌ لِطَرِيقٍ نَجْدٍ إِلَى مَكَّةَ ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا : مِثْقَبٌ وَانْقِعَاقٌ ، وَفِي حَدِيثِ الْهَرَمَاسِ ابْنِ حَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : التَّقَطُّ شَبَكَةٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَلَّالِ بِقُلَّةِ الْحَزْنِ ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقُلْتُ : أَسْقِنِي شَبَكَةً عَلَى ظَهْرِ جَلَّالٍ . - الْحَدِيثُ - ذَكَرَهُ النَّصْرُ ابْنُ شُمَيْلٍ^(٢) .

الحواشي :

- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) : ٣٥٤ . | (٢) : « صفة جزيرة العرب » : ٣٢٣ . |
| (٣) : ٢٨١ . | (٤) : ١٢٨/٦ طبع دار الكتب . |
| (٥) ديوانه : ٢٢٢ . | (٦) : ٣٥٢ . |
| (٧) : ٤٦٨ . | (٨) ديوانه : ٥٩٩ . |
| (٩) : ٧١٧ . | (١٠) : ٧٤٨ . |
| (١١) ديوانه : ٨٨٦ . | (١٢) : ٩٦٥ . |
| (١٣) : ٩٨٥ . | (١٤) ديوانه : ٣٤٤ . |
| (١٥) « معجم ما استعجم » رسم (برك) . | (١٦) : ص : ١٠٧١ . |
| (١٧) أبو علي الهجري وأبعائه في تحديد المواضع : ٣٨٩ . | |
| (١٨) « أسماء أمكنة عربية » من وضع شركة (أرامكو) ذكرته في المقدمة ص ١٢ . | |
| (١٩) : « تاريخ الأحساء » : ١٨٧/١ . | (٢٠) في الكلام على منطقة المقيبر . |
| (٢١) أنظر « العرب » ص ٦ ص ٨٥٧ . | (٢٢) : ٦٠٤ . |
| | (٢٣) : ٢٩٠ . |

وَأَمَّا الثَّانِي : - أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ وَاللَّامُ مُخَفَّفَةٌ : -
بَعْضُ نَوَاحِي الْبَيْمَنِ ، لَهُ ذِكْرٌ^(٣) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ - بَفَتْحِ الحَاءِ وَاللَّامِ وَالْبَاقِي نَحْوُ مَا قَبْلَهُ : - صَنَمٌ
لِبَنِي فَرَازَةَ^(٤) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ : - أَوَّلُهُ خَاءٌ مَكْسُورَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ مَا قَبْلَهُ : -
مَوْضِعٌ بِحِمَى ضَرْبَةٍ فِي دِيَارِ بَنِي نَفَاثَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كِلَابٍ^(٥) .

٢٠٥ - بَابُ جَمَلٍ ، وَحَمَلٍ^(٦)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بَفَتْحِ الْجِيمِ وَالْمِيمِ : - بِشَرْ جَمَلٍ بِالْمَدِينَةِ ،
لَهَا ذِكْرٌ فِي الْحَدِيثِ^(٧) ، .

وَلَحِيْ جَمَلٍ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَهُوَ إِلَى الْمَدِينَةِ
أَقْرَبُ ، وَهُنَاكَ احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حَجَّةِ
الْوَدَاعِ^(٨) .

وَلَحِيْ جَمَلٍ أَيْضًا : - مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَقَيْدَ ، عَلَى
طَرِيقِ الْجَادَةِ بَيْتَهُ وَبَيْنَ قَيْدَ ثَلَاثُونَ مَيْلًا^(٩) .

وَلَحِيْ جَمَلٍ : جَبَلَانِ بِالْيَمَامَةِ فِي دِيَارِ قُشَيْرٍ^(١٠) .
وَعَيْنُ جَمَلٍ : قُرْبُ الْكُوفَةِ^(١١) .

وَأَمَّا بَدَلُ الْجِيمِ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ : - قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : هُوَ اسْمُ جَبَلٍ
فِيهِ جَلَانٌ يُقَالُ لَهُمَا طِمِرَانٌ ، وَقَالَ :

كَأَنَّهَا وَقَدْ نَدَلَّى النَّسْرَانُ
وَضَمَّهَا مِنْ حَمَلٍ طِمِرَانُ
صَعْبَانِ عَنْ شَمَائِلٍ وَأَيْمَانِ

وَقَالَ غَيْرُهُ : حَمَلٌ فِي أَرْضِ بِلَالِقَيْنِ^(١٢) .

وأيضاً : جَبَلٌ قُرْبَ مَكَّةَ (١٣) .

واسمُ نَقَاً مِنْ رَمَلٍ عَالِيَج (١٤) .

الحواشي :

- (١) في كتاب تَصَرُّفٍ في باب الحاء : (باب الحلال والحلال والخلال وجلال) .
(٢) هذا تَصَرُّفٌ كَلَامٌ تَصَرُّفٌ . ولم يترد الحازمي في تعريف المواضع الأخرى على ما في كتاب تَصَرُّفٍ . وأورد باقوت كلام تَصَرُّفٍ وأضاف : ولا أعرف معناه ، وخبرنا رجل من ساكني الجبلتين أن جَلَالاً رَمَلٌ في غربي سَلَمَى ، وحدّه من جهة القبلة غُوطةٌ بني كَامٍ ، ومن الشمال اللوى ، ومن الغرب عَرَفَجَاءُ ، وشرقيهُ بَقْعَاءُ . قال الراعي :

بَيْتُ بَاغِرَاهَا بِرَيْسَةٍ بَعْدَمَا بَدَأَ رَمَلٌ جَلَالٌ لَهَا وَعَوَاقِفُهُ

— أي نواحيه — ثم أورد باقوت حديث الهرماس بنصفه ولم يزد سوى قوله : والشبكة والشباك الآبار المجتمعة . انتهى . وأورد البكري في « معجم ما استعجم » في رسم (جلال) ورسم (قلّة الحزن) الحديث بهذا النص : روى التضر بن شميل عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جدّه أنه لفظ شبكة على ظهر جلال بقلّة الحزن ، في خلافة عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين أسقيني شبكة على ظهر جلال بقلّة الحزن . فقال الزبير بن العوام : إنك يا أخا تميم تسأل خبيراً قليلاً . فقال عمر : ما هو خير قبل قبرتان من ماء وقربة من لبن تُغاديان أهل بيت من مضر بقلّة الحزن ، لا ، بل خير كبير قد أسفاكه الله ، الشبكة واحدة الشباك ، وهي آبار منجورة قرية القعر يفضي بعضها إلى بعض ، وجلال جبل معروف ، وقوله : قربة من ماء وقربة من لبن : يريد أن الإبل ترد الماء وترعى بقرية فيأتيهم الماء واللبن . انتهى . وقد ترجم الحافظ ابن حجر الميراس في « تهذيب التهذيب » فذكر أنه روى عنه التضر بن شميل ، وأنه نسي عتير ، خرج له أبو داود وابن ماجه ونقل عن أبي حاتم قوله : شيخ أعرابي ، لم يرد عنه غير الضر ، ولا يعرف أبوه ولا جدّه .

مما تقدم يتضح أن اسم جلال يُطلق على موضعين : أحدهما الرمل الذي حدّده باقوت وهذا غرب جبل سَلَمَى ، ويمتد شرقاً حتى بقعاء ، وسَلَمَى وبقعاء لا تزالان معروفتين بمنطقة حائل ، سَلَمَى أحد جلي طيء ، وبقعاء قرية معروفة . ولا صلة لجلال هذا بما ورد في كتابي تَصَرُّفٍ والحازمي . الثاني : جلال الطريق الذي ورد فيه خبر الميراس ، وهو — كما يفهم من هذا الخبر — يستند من العراق ماراً بالحزن ، غرقاً بلاد بني العنبر الواقعة بامتداد وادي فذحج (الباطن ، باطن الحفر) حتى الدهناء ، التي يجتازها الطريق إلى نجد ، ولهذا فإن عبارة (طريق نجد إلى مكة) فيها إيهام ، إذ الحزن ، بل بلاد بني العنبر كلها يفصل بينها وبين نجد الدهناء وهي تقع شرق نجد ، وشرقها يقع الحزن ، ومكة تقع غرب نجد . ومثقب والقصاع طريقان يمتدان من شرق الجزيرة — العراق والبحرين — إلى غربها .

- وللمستشرق (الويس موسل) كلامٌ حول تحديد طريق جلال أورده في قسم (شمال المملكة) من كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » بنّاه على وهمٍ وخلط بين جلال وغلل .
(٣) نص كلام تَصَرُّفٍ : الحلال .. بكسر الحاء — صُغْعُ بَسْمَانٍ . انتهى . وقال باقوت في « معجم البلدان » :

خلال' - بالكسر وتخفيف اللام - : من نواحي اليمن . ثم قسّر الكلمة تفسيراً لغوياً ولم يزد . ومع تنصّي المسدّاني في « صفة جزيرة العرب » فلم أره ذكر هذا الموضع . ولا أدري من أين أتى الحازمي بقوله عنه (له ذكر) .

(٤) خلال' - صنم بني فزارة ذكره ياقوت ، ويظهر أن مصلوه كتاب الحازمي ، ومصدر الحازمي ما جاء في كتاب نصير : الحلال' - بالفتح صنم لبني فزارة . ولم يذكر ابن الكابي في كتاب « الأصنام » في طبعته التي وصلت إلينا هذا الصنم ، ولم أر له ذكرًا فيما اطلعت عليه من الكتب .

(٥) خلال : أورده نصر معرّفًا : الحلال - بقاء مكسورة - : بحمي ضريبة ، من ديار نقتانة بن عبدالله ابن كلاب . وفي « معجم البلدان » : خلال' - بكسر أوله بلفظ الحلال الذي يستخرج به قذى الأسنان - : موضع بحمي ضريبة ، في ديار بني نقتانة بن عدي بن كيتانة . انتهى . وهذا يصحح خطأ وقع في كلام نصير والحازمي ، إذ بنو نقتانة ليسوا من بني عبدالله بن كلاب ، بل من بني عدي بن الدليل بن كنانة ، ولكن خطأ آخر لم يصحح ، وهو أن بني نقتانة ديارهم في تهامة بعيدة عن حمي ضريبة الواقع في نجد ، وبنو كلاب من سكانه قال المجري : وقد دخل في حمي ضريبة حقوق لسبعة أبطن من بني كلاب ، وهم أكثر الناس أملاكًا في الحمي ، ثم حقوق غني - ٣٥٨ - أبو علي المجري ، وأبناؤه في تحديد المواضع . فهل اسم نقتانة بطن على بطن من بطون بني عبدالله بن كلاب أو أن الاسم محرف ١٢ على أن اسم خلال قد ورد في شعر الليد ، أورده البكري في « معجم ما استعجم » ولكن يفهم منه أنه يقع في جنوب نجد ، بقرب قضيب ونختم ، إن لم يكن الاسم مصحفًا ، وما أكثر التصحيف في كتاب البكري - رحمه الله - .

(٦) في كتاب نصر في حرف الهاء : (باب حتمل وحتمل وحتمل) .

(٧) عند نصير : بئر جتمل في المدينة ، في حديث جهنم . انتهى . وفي « معجم البلدان » : بئر جتمل في حديث أبي جهنم في المدينة . أمّا البكري في « معجم ما استعجم » فقال في رسم لحي جتمل : وبهذا الموضع احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط رأسه وهو محرم - رواه مالك - وهي بئر جتمل التي ورد ذكرها في حديث أبي جهنم بن الحارث ابن الصمة قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من بئر جتمل ، فلقية رجل فسلم عليه فلم يرد النبي عليه حتى أقبل على الحداد فمسح بوجهه وبذبه ، ثم ردّ عليه السلام . رواه البخاري . وقد قيل : بئر جمل ماء آخر بالمدينة . انتهى . فقول البكري عن لحي جمل أنه بئر جتمل خلط بين موضعين ، ولكنه استدرك بجملة : وقد قيل إلى آخرها .

ورأوي الحديث هو - كما في « الإصابة » - ٢٠٨ الكنتى و « تهذيب التهذيب » - أبو جهنم بن الحارث بن الصمة النجاري الأنصاري ، اختلف في اسمه فقيل : عبدالله وقيل : الحارث ، ويقال : أبو جهنم ، وهو صحابي ، روى عنه الجماعة .

وبئر جمل أطال السهودي في كتاب « وفاء الوفاء » الكلام عليها ، وأورد بعض طرق الحديث المتقدم ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب نحو بئر جمل ليقضي حاجته ، فلقه رجل مقبل ، فسلم عليه ، وفي رواية النسائي : أقبل من نحو بئر الجمل ، وهو من العقيق ، قاله المجد ، قال : وهي بئر معروفة بناحية الجرف بإخير العقيق ، وعليها مال من أموال أهل المدينة . قال : ويحتمل أنها سميت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حفرها . قلت : وهي غير معروفة اليوم ، ولم أر من سبق المجد بكونها بالجرف غير ياقوت . هذا من كلام السهودي ، وهو من أهل القرن التاسع ما يدل على أنها جهلت منذ ذلك العهد .

(٨) لَحْيٌ جَمَلٌ ويحوز كسر اللام - : يطلق هذا اسماً على كثير من الجبال والآكام التي تشبه في مَنَظَرِهَا لَحْيَ الْجَمَلِ ، ومنها الموضع الذي احتجم الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب في قول الحازمي ، وقال نَصْرٌ : بين السُّقْيَا والمدينة . وفي « معجم البلدان » : لَحْيٌ جَمَلٌ هي عقبة الجُحْفَةِ على سبعة أميال من السُّقْيَا . وقد فُسِّرَ في حديث الحكم بن بشَّار في كتاب مُسْلِمٍ أنه ماء . وحدَّد صاحب كتاب « المناسك » المسافة بين العَرَجِ وبين لَحْيِ جَمَلٍ على هذا النحو : من العرج إلى الطَّلُوبِ أحد عشر ميلاً ، ومن الطَّلُوبِ إلى السُّقْيَا ستة أميال ، فمن العرج إلى السُّقْيَا سبعة عشر ميلاً - ثم ذكر بعض المواضع التي بين العرج والسُّقْيَا وبعد أن ذكر الطَّلُوبِ قال - : وعلى ميل من الطَّلُوبِ مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بين لحي جمل - ثم أورد حديث الاحتجام ، وأورد له رواية : أنه صلى الله عليه وسلم بالقاحِ ، وذكر أن القاحَةَ قبل السُّقْيَا بميل . وذكر السَّهْرَوْدِيّ في « وفاء الوفاء » من المساجد النبوية مسجد لَحْيِ جَمَلٍ ، ونقل عن الأَسَدِيِّ قوله : وعلى ميل من الطَّلُوبِ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع يقال له لَحْيٌ جَمَلٍ ، والطَّلُوبُ بئرٌ بعد العرج بأحد عشر ميلاً ، والسُّقْيَا بعد الطَّلُوبِ ستة أميال .

وعلى ما تقدم يتضح أن مكان الاحتجام يقع في الطريق القديم إلى مكة من المدينة ، بعد العَرَجِ الوادي الذي لا يزال معروفاً بنحو اثني عشر ميلاً وقبل السُّقْيَا بخمسة أميال ، والسُّقْيَا هذه تعرف الآن باسم (أم البركة) جَمْعُ بَرَكَةٍ ، بالسكان الراء . وعلى مقربة من أم البركة هذه تلعة كبيرة تدعى الآن اللَّحْيِ ، سيلها يفيض في وادي تَعْمِيْنٍ ، أحد روافد وادي القاحَةِ الوادي الذي تقع أم البركة في أعلاه . وأرى أنَّ أعلى تلك التلعة هو الموضع المعروف بلحي جمل .

(٩) لَحْيٌ جَمَلٌ - أو لَحْيًا جَمَلٌ - الذي بين المدينة وقيد كلام الحازمي في تحديده هو نصٌ كلام نَصْرٍ ، ومثله في « معجم البلدان » إلا أنَّ تحديد المسافة بينه وبين قَيْدِ عشرة فراسخ ، ومعروف أن الفرسخ ثلاثة أميال ، فهي ثلاثون ميلاً . ولعل أصل الكلام عن هذا الموضع ما جاء في كتاب « المناسك » - ٥١٥ - قال : نسبة المنازل التي كان الناس يزلونها بين قَيْدِ والمدينة قديماً تعرف بطريق الأخرجة ، وأماليه بالليل الأول : من قَيْدِ إلى الأخرجة سبعة وعشرون ميلاً ونصف ، وعلى أربعة عشر ميلاً من قَيْدِ منازل للأعراب فيها نخل وآبار ، ماؤها غليظ ، يقال للموضع أَبْضَةٌ ، وخلف أَبْضَةَ بثلاثة أميال ونصف عن يسار الطريق هضبات يقال لها هَضَبَاتُ أَبْضَةَ . على بعضهن صخرتان منفردتان ليس بمسكهما شيء ، لَمْ يَزَلَا على ذلك ، نسي أحدهما جمل ، والأخرى جميلة ، ثم لَحْيٌ جَمَلٌ على ستة أميال من الأخرجة ، وبينهما بثران وأبيات للأعراب ، ومن لَحْيِ جَمَلٍ إلى بريد إرمام خمسة أميال ونصف . انتهى . وفي كتاب « وفاء الوفاء » : لَحْيًا جَمَلٌ جبل بطريق قَيْدِ على ستة أميال من الأخرجة . قال الأَسَدِيُّ : سُمِّيَ بذلك لأنهما نَشَرَا وامْتَدَّا واقترب ملتقاهُمَا فَتَشَبَّهَا بِاللَّحْيَيْنِ . انتهى . وبفهم مما تقدم أن هذا الموضع يقع بَعْدَ قربة أَبْضَةَ - التي لا تزال معروفة - للمتجه إلى المدينة بإحدى وعشرين ميلاً ، وأن المسافة بينه وبين قيد الواقع شرق أَبْضَةَ ثلاثة وثلاثون ميلاً ونصف ميل . وأنه غرب بلدة سَمِيرَاءَ غير بعيد عنها . إذ الطريق الذي يقع عليه هذا الموضع بدع سَمِيرَاءَ الواقعة على طريق الحج الكوفي جنوباً .

(١٠) هذا نصٌ كلام نَصْرٍ : ومثله في « معجم البلدان » وأسمُ أَرَّ تحديداً لموقعهما ، ولكن بلاد بني قُشَيْرٍ تقع في جنوب اليمامة غربي الطرف الجنوبي من جبل العارض (طَوْرٍ) وفي بلاد الأنلاج وما حوفا .

(١١) قال نَصْرٌ : عين جمل : من طُفُوفِ القرات ، قرب الكوفة ، سُمِّيَ من أجل جَمَلٍ مات هناك ، أو لأن الماء الذي به نُسِبَ إلى رجل اسمه جمل . وكقول نَصْرٍ ورد في « معجم البلدان » في رسم (جمل) وجاء في رسم (عين) : عينٌ جمل بنواحي الكوفة من النجف قُرب الصُّفُفُطَانَةِ ، وهي مع عدة عيون يقال لها العيون ، في كتاب العزيزي : من البصرة إلى عين جمل إن أراد الكوفة ثلاثون ميلاً ، ثم إلى عين

صَبَدُ ثَلَاثُونَ مِيلًا .

(١٢) حَمَلٌ : قال نَصْرٌ : بفتح الحاء والميم - جبل يُدْعَى كَرُوعَ أَعْفَرَ ، وهما في أرض بَلْقَيْنَ من أعمال الشام ، وأورد ياقوت قول الحازمي ونَصْرٍ غير منسوبين ، وزاد : وقال العمراني : جبل بالشام في شعر امري القيس ، ورواه السُّكْرِيُّ عن الكلبي بالجيم فقال :

تَذَكَّرْتُ أَهْلَ الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَنتَ عَلَى جَمَلٍ مِنَّا الرُّكَّابُ وَأَعْفَرَا
بَلْقَيْنَ : بنو القين بن جَسْر بن أسد بن وَثْرَة من قضاة ، وبلادهم قديماً كانت تمتد من شمال الحجاز إلى أطراف الشام (بلاد شرق الأردن) فيما بين تَيْمَاءَ جنوباً حتى بلاد كلب إخوانهم في النسب جنوب وادي السرحان (قراقر وادي السرّ قديماً) ومن بلادهم شَجْر ، الوادي المعروف الآن باسم (فجّر) والعلمان ، سلسلة الجبال المعروفة باسم (الطَّبِيق) ومن هذه الجبال جوش والعلم وحمل وأعفر ، وقد يطلق على الأخيرين اسم العلمين ، ففي «معجم البلدان» : شَجْرُ ماءٍ لَبِي الْقَيْنَ بِإِقْبَالِ الْعَلَمَيْنِ حَمَلٌ وَأَعْفَرٌ ، بين وادي القرى وتيماء . انتهى . والرَّجَزُ الذي أوله :
كَأَنَّهُا وَقَدْ تَدَلَّى الشُّرَّانُ .

نسبه ياقوت في رسم (حمل) من «معجم البلدان» للشماخ ، ونسبه البكري في «معجم ما استعجم» - رسم أعفر - للأجلح بن قاسط الضبابي ، وزاد : ماءٌ خَلِيجٌ مَدَّةُ خَلِيجَانِ . وهو من ارجوزة في تسعة وعشرين بيتاً في «ديوان الشماخ» - ٤١٠ - منسوب للجعل ، بدون تعريف بهذا ، وفي آخره (يا ابن جليح كن دليل الركبان) .

(١٣) قال نصر : - عن حَمَل - : جبل قرب مكة عند تَحْلَةَ اليمانية . انتهى . ولم يذكره ياقوت . ونحلة اليمانية الوادي المعروف الذي يسمى الآن اليمانية من أشهر الأودية القريبة من مكة ، من روافد مَرَّ الظهران (وادي فاطمة) .

(١٤) هذا نَصْرٌ كلام نَصْرٍ ، وقال ياقوت في «معجم البلدان» : حمل موضع في رمل عالي ، قال الشماخ :
كَأَنَّهُا لَمَّا اسْتَفْلَ الشُّرَّانُ وَضَمَّتْهَا مِنْ جَمَلٍ طَيْرَانُ
مع أنه أورد في رسم (حَمَل) بالحاء المهملة ما نصه : حَمَلٌ - بلفظ الحَمَل من الشاء - : قال أبو منصور : هو اسم جبل فيه جبالان ، وأنشد للراجز : كأنها - إلى آخر ما تقدّم .

وزاد نَصْرٌ في هذا الباب : حَمَلٌ قَائِلًا : وأما بالجيم وسكون الميم موضع في كتاب بني نَصْر بن معاوية ، لا أدري هو اسمه ، أو سَكَنَ لضرورة الشعر ، قال : أهل عَمَقَ والجَمَل .

هذا نَصْرٌ ما في كتاب نَصْرٍ بحروقه . ولم يذكره ياقوت في عمله من «المعجم» . وفي «تاج العروس» :
وَالْحَمَلُ - بفتح فسكون - : موضع في ديار بني نَصْر بن معاوية ، عن نَصْرٍ . انتهى .

□ « مواد لتاريخ الوهابيين » :

يعتبر بوركهارت من أشهر الرحالة الأوروبيين الذين زاروا البلاد العربية في أول القرن التاسع عشر ، وقد زار بلادنا فكان مما دخله من مدنها مكة والمدينة وينبع فوصفها وصفاً مفصلاً في كتاب ألفه عن رحلته نشر سنة ١٨٢٩ باللغة الإنجليزية ، وألف كتاباً ثانياً دعاه « ملاحظات على البدو والوهابيين » نشر باللغة الإنجليزية أيضاً سنة ١٨٣١ .

ووصف الدكتور عبدالله الصالح العثيمين - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - بوركهارت بأنه كان مُحَايِداً فيما أورده في كتابه الثاني بدرجة كبيرة ، ولعلّ هذا مما دفع الدكتور عبدالله إلى تعريب ذلك الكتاب باسم « مواد لتاريخ الوهابيين » والدكتور عبدالله في ذلك لم يقف عند حدّ التعريب بل أضاف ملاحظات وتعليقات قيمة ، صحح بها ما وقع فيه الرحالة الغربي من أخطاء ، ولهذا يعتبر عمل الدكتور عبدالله تعريباً وتصحيحاً - إضافة مفيدة إلى مصادر تاريخ بلادنا في القرن الثالث عشر الهجري .

وقد وقع هذا المؤلف في ٢١٢ صفحة ، مطبوعاً طباعة حسنة طبع (شركة العبيكان للطباعة والنشر) في الرياض سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

□ « شقراء » :

هو عنوان مؤلف حديث عن هذه المدينة الكريمة التي تحمل هذا الاسم وهي قاعدة الوشم في نجد ، ألفه الأستاذ الكريم الدكتور محمد بن سعد الشؤيعر من أهل تلك المدينة .

ويظهر أن الدكتور قد أعدَّ العُدَّة لإصدار كُتُبٍ عن مدن المملكة حيث جاء هذا الكتاب بحمل رقم (٢) من (فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية) .

والكتاب يتحدث عن كل ما له صلة قديماً وحديثاً بمدينة شقراء مما اطلع عليه المؤلف الذي رجع إلى نحو ٨٥ مرجعاً جمع منها معلومات قد لا يتيسر لغيره جمعها فجاء هذا الكتاب في أكثر من أربع مئة صفحة بطباعة حسنة - وصدر عن (دار الناصر للنشر والتوزيع في الرياض) سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م) وطبع في المطابع الأهلية للأوفست .

□ - « عيار الشعر » :

وحقق الأستاذ الكريم الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - كتاب « عيار الشعر » تأليف محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (المتوفي سنة ١٣٢٢ هـ - ١٩٣٤ م) مستدرکاً ما وقع في مطبوعة الدكتور محمد زغلول سلام من أخطاء ، معتمداً على المخطوطة التي اتخذها الدكتور سلام أصلاً له ولكن سلاماً لم يحسن قراءة بعض نصوصها ، وقد أشار الأستاذ عبد العزيز إلى ذلك في هوامش الكتاب ، كما أشار إلى أن مطبوعة (دار الكتب العلمية في بيروت) ما هي سوى مَسْنُخٍ لمطبوعة الدكتور زغلول .

من هنا يطعن الباحث إلى أن مطبوعة الدكتور عبد العزيز المانع هي خير مطبوعة يمكن الاعتماد عليها تحقيقاً وجودة طبع ، وكما ل فهارس ، مع ترجمة مفصلة للمؤلف ، جاء ذلك كله في ٢٦٨ صفحة . وقامت بنشر الكتاب (دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض) سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

□ - « لباب الإعراب » :

هو كتاب كما وصفه محققه الأستاذ بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن : من المختصرات المشهورة في علم النحو ، حاول صاحبه أن يجمع فيه خلاصة مما في «المفصل»

للزنجشري « والكافية » لابن الحاجب مضيفاً إليه آراء ومساائل نادرة من أصول ابن السراج ونُكِّتاً من أمالي ابن الشجري .

أما المؤلف فهو محمد بن محمد بن أحمد الاسفراييني المتوفي سنة ٦٨٤ .

والمحقق الفاضل قد أفرغ في عمله من الجهد ما برز أثره واضحاً في كل صفحة من صفحات الكتاب ، بحيث يعتبر عمله شرحاً له ، وقد جاء في خمس مئة وثمانية وستين صفحة ، وقامت (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع) بنشره فصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م) طباعة حسنة في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض .

□ — « ديوان تأبط شرّاً وأخباره » :

تَأَبَّطَ شَرّاً لقبُ شاعر جاهلي مشهور هو ثابت بن جابر من قبيلة فَهْمٍ بن عمرو بن قيس عَيْلَانَ بن مُضَرَ ، القبيلة التي لا تزال معروفة باسمها ، ومقيمة في منازلها فيما قبل الإسلام أو فيما حول تلك المنازل في عصرنا الحاضر .

وقد تصدّى الأستاذ علي ذو الفقار شاكر لجمع شعر هذا الشاعر وأخباره فكان له من ذلك حصيلة طيبة ، جاءت في مجلد بلغت صفحاته (٤٢٤) — صدر عن (دار الغرب الإسلامي) سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) عن (مطبعة المتوسط) في بيروت طباعة جيدة ورقاً وحروفاً .

وحبباً لو أن الأستاذ الفاضل أكمل عمله بوضع فهرس للكتاب ، ولعله يتدارك ذلك في طبعته الثانية .

وكنت قبل بضع سنوات اقترحتُ علي أحد الطلاب في جامعة الرياض — حين استشارني في موضوع يقوم بدراسة لنيل درجة جامعية — أن يقوم بدراسة شعر شاعر احدي القبائل المعروفة في بلادنا ، وسميتُ له قبيلة (فَهْم) وقدمتُ له نسخة مصورة مما جمعه ابنُ جِنِّي من شعر تأبط شرّاً ، عن مجموع في مكتبة (دير الاسكوريال) ولا أدري ماذا فعل .

(ج ٦،٥ س ٢٠ ذوالقعدة / والحجة ١٤٠٥هـ - آب وأيلول (أغسطس/سبتمبر) ١٩٨٥م)

جاشة : أشهر أسواق تهامة قديماً

هذا الموضوع التاريخي الذي ألف ياقوت الحموي أعظم كتاب وصل إلينا في تحديد المواضع بسبب البحث عن ضبط اسمه - أليس جديراً بأن يُحدّد ويُسَمَّنَ موقعه ؟ .

قال ياقوت في مقدمة « معجم البلدان » : (وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب أني سئلت في سنة خمس عشرة وست مئة عن حُبَّاشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي ، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، فقلت : أرى أنه حُبَّاشة - بضم الحاء - قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة لأنَّ الحُبَّاشة الجماعة من الناس من قبائل شَتَّى ، وَحَبَّشْتُ له حُبَّاشة أي جمعت له شيئاً ، فأنبرى لي رجل من المُحدِّثين وقال : إنما هو حَبَّاشة بالفتح - وصمم على ذلك من غير حجة ، فأردتُ قطع الاحتجاج بالنقل - إلى أن قال : فألقيَ حينئذٍ في روعي افتقار النعالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً) . إلى آخر ما ذكر .

ثم إنه موضع ورد في ذكره من الأخبار والآثار التاريخية ما لا ينبغي لطالب العلم أن يجهله ، فقد نقل الإمام ابن عبد البر في كتابه « الاستيعاب » في ترجمة زيد بن حارثة عن عالم مكة الزبير بن بكار الزبيري وعن عمه مُصْعَب : (كان زيد بن حارثة أصابه سبَاء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حُبَّاشة ، وهو سوقٌ بناحية مكة كان مَجْتَمِعاً للعرب يتسوقون بها كل سنة ، اشتراه حكيم لخديجة بنت خويلد ، فودعته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة ، وهو ابن ثمان سنين ، فتمنَّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فكان يُدعى زيد بن محمد ، حتى نزل قول الله تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ .

وأورد البكريُّ في « معجم ما استعجم ^(١) » عن حُباشة : وهي أكبر أسواق تهامة وكانت تقوم ثمانية أيام في السَّنَةِ ، قال حكيم بن حِزَام : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضرها واشتريت فيها بَنَزاً من بَنَزِ الجاهلية .

ولعلَّ أوفى وصف لسوق حباشة وصل إلينا ما أورده مؤرخ مكة الأزرقى في كتاب « أخبار مكة ^(٢) » ونصه : (وحباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق ، من صدر قَنَوْنَا وحَلِيٍّ ، بناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليال ، وهي آخر سوق خَرِبَتْ ، من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند ، فيقيمون بها ثلاثة (؟) أيام ، من أول شهر رجب متوالية ، حتى قتلَت الأزدُ والياً عليها من غنيٍّ بعثه داود بن عيسى بن موسى في سنة سبع وتسعين ومئة ، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها ، فخرَّبها ، وتركت إلى اليوم) .

ويظهر أنَّ ياقوتا — رحمه الله — لم يطلع على كتاب الأزرقى لأنه لم يذكر عن حباشة سوى قوله : — بعد ذكر المعنى اللغوي للكلمة — : وحُباشة سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري : لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ أشدَّهُ وليس له كثير مال ، استأجرته خديجة إلى سوق حُباشة ، وهو سوقُ بَيْتهامة ، واستأجرت معه رجلاً آخر — وساق الحديث وأورد بعده خبراً يتعلق بسوق آخر يسمى حباشة — يظهر أنه من أسواق المدينة قبل الإسلام — ولم يذكر موقع حباشة من تِهَامَةِ .

وما ذكره الأزرقى في تحديد ذلك السوق واضح ، فوادي قَنَوْنَا ووادي حَلِيٍّ لا يزالان معروفَيْنِ ، وهما بناحية اليمن بالنسبة إلى مكة ، إذ كل ما هو يمينها يسمى يَمناً ، ولا يزال هذا معروفاً في عهدنا ، فبادية مكة وما حولها يطلقون اسم الشام على ما هو واقع شمال مكة ، واليمن على ما هو واقع جنوبها ، ومن ذلك

تقسيمهم قبيلة هذيل إلى هذيل الشام وهذيل اليمن ، يعنون هذيل الساكنين شمال مكة ، وهذيلاً بمنها .

وقبيلة بارق التي يقع سوق حباشة في بلادها لاتزال معروفة مستقرة في مواطنها القديمة التي هي في غور سراة عَنَزٍ وَالْحَجَرِ^(٤) ، وهي أزدية قحطانية ، صريحة النسب من مازن بن الأزد ، وقبيلة بارق أخت قبيلة ألمع التي لاتزال في بلادها القريبة من بلاد بارق ، وقد تحدثت عنها في كتاب « في سراة غامد وزهران » .

ويحد بلاد هذه القبيلة من جهتي الشرق والشمال بلاد بني شهر من الحجر من الأزد أيضاً .

وبارق بلادهم منتشرة في صدور قنونا ، وما حولها من فروع الأودية .

ووادي قَنُونًا من أشهر الأودية التي تخترق تهامة حتى تبلغ البحر عند ميناء القنفذة .

وهذا الوادي لا يلي وادي حليٍّ — كما يُفْهَم من كلام الأزرقي — ، بل يفصل بينهما وادي يَبَّة — (يقع وادي قَنُونًا على خط العرض : ١٩/١٠° وجنوبه وادي يَبَّة على خط عرض : ١٩/٠٠° — ثم وادي حلي : ١٨/٤° — على وجه التقريب) .

والأودية الثلاثة مشهورة قديماً ومعروفة الآن .

ويظهر أن موقع السوق من صدر قَنُونًا هو حيث يتسع حوض الوادي بمجاورته ما كان يحصر مجراه من الجبال ، وامتداده في سهل تهامة المتسع لتزول الكثير من الناس ممن يحضر ذلك السوق السنوي الشهير من مختلف الجهات .

وهناك في الأرض البراح ملتقى للطرق المسلوكة قديماً وحديثاً ، حيث تقع قرية تدعى (الأحد) إذ يقام فيها سوق أسبوعي كل يوم أحد ، لا أستبعد أن يكون

موقع سوق حُبَاشَة القديم بقرب هذه القرية ، وأنه أعيد بعد تخريبه من قبل أمير مكة داود بن عيسى ، والتخريب - إن تم - يصدق على ما فيه من مَبَانٍ ، والملاحظ في الأسواق التي لا تستمر زمناً طويلاً عدم الحاجة إلى المباني ، بل الاكتفاء بالبيوت المنصوبة كالخيام ونحوها مما يسهل نقله عند انتهاء زمن السوق الذي لا يزيد على أيام .

ثم إن من عادة القبائل أنها تستعيد ما قد تحتاج إليه عندما تقوى على استعادته ، ومن المعروف أن سيطرة الدولة العباسية على هذه البلاد بدأت في الضعف منذ أول القرن الثالث الهجري ، وأنها لم تتمكن من إخضاع جميع قبائل الجزيرة .

ويقع سوق حُبَاشَة على ما ظهر لي بقرب خط الطول : ٤١/١٢° وخط العرض : ١٩/١٠° شرقي بلدة القنفذة بنحو عشرين كيلاً .

ونحسن الإشارة إلى أن الأزرقي أشار في كتابه إلى العلة في عدم شهرة سوق حباشة وأنه لم يرد ذكره كثيراً مع أسواق العرب المشهورة وهي أنه لم يكن في مواسم الحج ، ولا في أشهره ، وإنما كان يقام في شهر رجب .

أما قول الأزرقي عن السوق : (يقيمون بها ثلاثة أيام) فإنه لا يتفق مع قول البكري أن مدة الإقامة ثمانية ، ولعل هذا أعْدَل القولين ، فثلاثة الأيام قصيرة بالنسبة لإعداد ما يلزم لنزول السوق وتعاطي البيع والشراء فيه .

وما أسهل تصحيف كلمة (ثمانية) بـ (ثلاثة)

حمد الحاسر

الحواشي :

- (١) رسم حباشة .
- (٢) « أخبار مكة وما فيها من الآثار » : ١٩١/١ .
- (٣) الهمداني في « صفة جزيرة العرب » : ١٢١ .

حياتنا الأدبية الحديثة

من خلال دراسة مظاهرها نشأة وسيراً وتطلعا

- ٢ -

رسائل جامعية (بغير العربية) :

وأنظر في المجلد الأول من السنة الأولى من « مجلة كلية الآداب » بجامعة الرياض (١٣٩٠/١٩٧٠) فأرى من الرسائل الأدبية : رسالة الدكتور عزت عبد المجيد خطاب : دراسة التاريخ النقدي لقصيدة روبرت براوننج المعروفة باسم « الخاتم والكتاب » في الفترتين ١٨٦٨ - ١٨٨٩ و ١٩٥١ - ١٩٦٨ - من مدرسة الدراسات العليا ، جامعة نيومكسيكو ، أغسطس ١٩٦٩م / ١٣٨٩هـ .

الدكتور محمد صديق العوضي - « أبو نواس وفارسياته وتأثيره في الأدب الفارسي » جامعة طهران ١٣٨٩ .

ولو سرنا أكثر لوجدنا المزيد ففي الجزء الثالث (١٣٩٤/١٩٧٤) : الدكتور محمود إسماعيل صيني : « نظم الجملة في لهجة الحضر بالحجاز » من جامعة جورج تاون) ، الدكتور محمد حسن باكلا « دراسة القوانين الصرفية والصوتية وبخاصة في اللغة العربية » من جامعة لندن .

والمسألة تطول ، وقد حصل المطلوب وهو بيان غزارة العالمين بلغات أجنبية وتوافرهم ... مقابل قلة تقرب من الجذب في الترجمة (الأدبية - هنا) .

وتدخل المرأة عالم اللغة الأجنبية ، ويجب أن تدخل ، وإذا دخلت حوسبت قليلاً . وكُنّا في « المعجم » تشبّهنا بالسيدة فاطمة المنديلي منتظرين المزيد ، وقد حصلت على الماجستير ، ولم نترجمها أو نترجم غيرها . ثم حصلت على الدكتوراه بـ « الصراع بين الأسطورة الشعبية والواقع » : دراسة بطولات المسرحيات عند جون ميلنجتون سينج « (من جامعة القاهرة ١٣٩٧) فزدنا انتظاراً ... وفي ميدان المسرحية خصوصاً .

وتحصل الدكتورة مريم البغدادي على الدكتوراه من فرنسا (فيما يبدو) ويكون لها نشاط أدبي ملحوظ (يقترن بمؤسسة تهامة ... بجدة) ، وتقدم لنا - مما يدخل في الترجمة : « شعراء التروبادور » وأصله : Trobadors et 'Cours d'Amour

من تأليف La Fitte - Houssa وسلسلة Que Sais - je ، باريس .

وكنْتُ أودُّ لو أنَّها قدمت الترجمة مَحْضاً ، وتحتفظ بدراستها التمهيدية
لكتاب خاص بموضوعها — ونبقى ننتظر ترجمة رسالة الدكتوراه .

أملنا بالترجمة كبير ، وترجمة رسائل الماجستير أو الدكتوراه في مقدمة ذلك ،
ونقرن الأمل هذا بتأليف في موضوعات أجنبية مختارة في خدمة الفكر العربي
وثقافته ونقدمه ... والذي حصل في هذا المجال قليل ، لم يبلغ علمنا منه إلا ما صدر
مقترناً بتهامة للنشر في جدة ، وقوامه كتابان : الأول ، للدكتورة مريم بغدادي
بعنوان « المدخل في دراسة الأدب » (١٤٠٢ / ١٩٨٢ - ١٦٨ في سلسلة الكتاب
الجامعي رقم) ١٥ (...) وفصوله السبعة تقوم في الأصل ، وفي حدود ما يحتاج
إليه القاري العربي ، على ما حققه الفكر الأدبي الغربي في مسيرته الثريّة ، ولكن
الأستاذة المؤلفة لم ترجع فيه إلى المصادر الأجنبية .

الثاني : كتاب الدكتور عبد الوهاب علي الحكمي — « الأدب المقارن » (دراسة
في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوربية) — تهامة ، جدة ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ —
١٢٨ ص ، في سلسلة الكتاب الجامعي (١٩) ... وهو في جملته لا يشبع حاجة
القاري إلى الموضوع ، وربما خَرَجَتْ بعض مواده عن صميم عنوانه ، ثم إنه
ليس على مستوى شهادتي الأستاذ الحكمي : (سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية
حيث تحصل على ماجستير في الأدب الانجليزي ، وحصل على درجة الدكتوراه في
الأدب الانجليزي والأدب المقارن) . ولا بأس ، فالكتاب يطمعنا برؤية الرسالتين
مترجمتين ، راجين ألاّ يَجُورَ العمل الإداري (عميد القبول والتسجيل بجامعة
أم القرى بمكة المكرمة) على الفعل العلمي ثم التأليف والترجمة والنشر وإلاّ فما
تقصّر الأيدي — لا مالا ولا علماً — عن النشر وإثراء المطبوعات . وقد جار العمل
الإداري قبْلَه على كثيرين ، وسيجور كذلك بعده .

وورد للأستاذ عزيز ضياء ، في كتابه « جسور إلى القمة » استثمار خاص للعلم بالفكر الغربي عن طريق اللغة الأجنبية مباشرة . ويذكر الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري مادة أجنبية في ثنايا كتبه — ولا سيما : « ان تُأخذ » . ولكنه يصل إليها عن طريق المترجم إلى اللغة العربية .

ومسألة الترجمة ومترجماتها تطول ، ونقف عند هذا الحد ... لقول كلمة في الجامعات السعودية ، فمكائنها من الكتاب — المطبوع مَرْمُوق ... وقد صارت سبعا نرجو لها التوطد والتركز والرصانة المتصلة وبلوغ السمعة العلمية المطلوبة . وأكثر ما عُنِيَ المعجم ضمن حُدُوثِهِ بِجَامِعَةِ الْمَلِكِ سَعُود ١٣٧٧ / نوفمبر ١٩٥٧ (الرياض) ثم جاءت فكرة جامعة الملك عبد العزيز الأهلية بجدة والسعي إلى تحقيقها ، ثم كلية البترول والمعادن في الدمام . وكليات هنا وهناك للغة العربية والشريعة في الرياض ومكة والمدينة مرتبطة بالشؤون الدينية أو بوزارة المعارف .

الجامعات السعودية :

وما نُودِعُ الحَدَّ الأعلى لمدى المعجم (١٣٩٠ / ١٩٧٠) حتى تتزايد الجامعات وتزايد كلياتها من كل نوع وتكون :

جامعة الرياض (وقد عاد إليها اسمها الأول : جامعة الملك سعود) لمناسبة الاحتفال بربع قرن على تأسيسها .

جامعة الملك عبد العزيز — جدة (وقد صارت رسمية) .

جامعة البترول والمعادن — الدمام .

جامعة الملك فيصل في الأحساء والدمام .

جامعة أم القرى في مكة المكرمة .

وتكوّنَ لهذا وزارة جديدة ، هي وزارة التعليم العالي .

وتكون جامعتان أخريان إسلاميتان (دينيتان) : الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض : وهي وإن سميت (جامعة) وبهذا الاسم عام ١٣٩٤/١٩٧٤ فإن نواتها الأولى وعدد من كلياتها ومعاهدها سبقت التسمية ففي عام ١٣٧٠/١٩٥٠ تأسس معهد الرياض العلمي (لغة العربية والشريعة) ، وفي عام ١٣٧٣هـ أنشئت كلية الشريعة في الرياض ، وأعقبها في عام ١٣٧٤هـ إنشاء كلية اللغة العربية . وقد أدّى ذلك إلى إنشاء جهاز مشرف على الكليتين والمعهد أطلق عليه : الرئاسة العامة للكليات والمعاهد . وفي عام ١٣٩٤/١٩٧٤ تحوّلت الرئاسة العامة إلى جامعة ...

وتضم الجامعة حالياً كليات ومعاهد عليا هي : كلية الشريعة ... وكلية اللغة العربية ... والمعهد العالي للقضاء الذي أنشئ عام ١٣٨٥هـ ، والمعهد العالي للدعوة الإسلامية ، وكلية أصول الدين ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وقد افتتحت ثلاثتها في عام ١٣٩٦ . وجميع هذه الكليات في الرياض . وللجامعة فروع في أبها والقصيم والمدينة المنورة والأحساء - عن عالم الكتب مج ٥ ع ١ رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤ .

وكانت المرأة تلتحق بالجامعة انتساباً من الخارج ثم تأسست لها كليات أو أقسام خاصة بها من الجامعة .

ورأت الرئاسة العامة لمدارس البنات حاجتها - ضمن ظروف البلد وتقاليده - مأسسةً إلى كليات خاصة بها في الآداب والتربية والعلوم ففتحتها في الرياض وغيرها كالأحساء وأبها والقصيم .

وصار لعدد من الكليات دراسات عليا للماجستير أو للدكتوراه ...

ولعدد آخر - وكأنّ هذا تميّز للمملكة بين الأقطار العربية - عمادات خاصة بشؤون المكتبات تشرف كما هو طبيعي على المكتبات وتُصدر الفهارس والمجلة ، ولها مطبعة خاصة بها ، ومطبوعات - تزيد أو تقل - حسب نشاط الجامعة عموماً وعميد المكتبات خصوصاً . وقد ذكرنا بصدد جامعة الملك سعود أمثلة من هذه

المطبوعات ، ومنها من تأليف الأساتذة ، ومنها رسائل الدراسات العليا للطلاب وللطابات كذلك .

جاء في « عالم الكتب » أن جامعة الإمام محمد بن سعود تهتم بالدراسات العليا ... فهناك معهدان تقتصر الدراسة فيهما على مرحلتى الماجستير والدكتوراه فقط ، هما المعهد العالي للقضاء والمعهد العالي للدعوة بالرياض . و ... جميع كليات الجامعة فتحت باب الدراسات العليا ... أن جامعة الإمام محمد بن سعود تعد أول جامعة في المملكة العربية السعودية تهتم بالدراسات العليا ، وقد بدأ الاهتمام منذ إنشاء المعهد العالي للقضاء في عام ١٣٨٥ هـ .

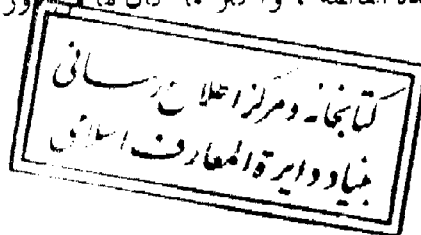
وللجامعات الأخرى — باستثناء جامعة الملك فيصل في الأحساء والدمام — دراساتها العليا ، درجة الماجستير ... وفيها ما يستعد لمنح الدرجة الأعلى .

وقد عمل الأستاذ يحيى ساعاتي قائمة بالرسائل التي نوقشت في الجامعات السعودية ومنح أصحابها درجة الماجستير أو الدكتوراه (١٣٨٩ — ١٤٠٠ هـ) — تنظر في عالم الكتب مج ٢ ، ع ٢ شوال ١٤٠١ / أغسطس ١٩٨١ ، بانتظار قوائم أخرى — في المجلة نفسها للأعوام التالية ... وعما كان من شأن جامعة الملك فيصل في الموضوع .

ويقفهم من الجدول والتعليق عليه أن الجامعات التي منحت الدكتوراه هي : جامعة الإمام محمد بن سعود (٤) ، جامعة الملك عبد العزيز — فرع مكة (٣) ، الجامعة الإسلامية (١) .

ونلتقط من رسائل الدكتوراه — فيما يتعلق بالأدب واللغة : « علي بن مقرب العيوني — حياته وشعره » . حاز به الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود ، كلية اللغة العربية : علي بن عبد العزيز الحضيبي سنة ١٤٠٠ — وقد طبعت الرسالة في السنة التالية . بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٨١/١٤٠١ — ٤٥٩ ص .

وللمرأة حصتها من هذه القائمة ، وأكثر ما كان لها من دور — كما هو طبيعي —



في التربية والتعليم (كلية التربية بمكة التي كانت تابعة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة) : هند بدر ، ريماء الجرف ، ابتسام جفري ، نوال روااس ، نادية عبيد - والموضوع العام هن : دروس اللغة الانكليزية في مرحلة المتوسطة .

وفي جامعة الرياض : نورة صالح الشمالان - « شعر أبي ذؤيب الهذلي » ١٣٩٨ - وقد طبع ، كما طبعت رسالة سعاد عبد العزيز المانع « سيفيات المتنبي » - تنظر جامعة الرياض . ومن رسائل كلية الآداب فيها : رسالة وفيقة عبدالمحسن الدخيل - « وصف الحيوان في الشعر العربي القرن الثاني » : سنة ١٤٠٠ .

وسنرى رسائل للمرأة في قسم التاريخ ... والتربية ...

وفي غير الرسائل ورد في إصدارات تهامة : سلسلة مطبوعات : « التخلف الإملائي » تأليف الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي .

وللجامعات فيما يذكر - مراكز بحث تنشر وتحقق . ولك أن ترجع على سبيل المثال إلى مطبوعات مركز أم القرى ، ومركز الإمام محمد بن سعود ... ومركز المدينة . بين إصداراتها وتحقيقاتها كتب مهمة .

وتبقى ملاحظتان صغيرتان : الأولى : الحرص الدائم على المستوى العالي : الثانية : إيصال المطبوع - وقد بُذِلَ عليه ما بُذِلَ - إلى من يهمه أمره بالشكل المناسب ...

وإذا كان في بداية الأمر ما يدعو إلى شيء من العجلة وقليل من التسهل ... فقد زال ذلك الدافع اليوم ولا بُدَّ من التَّشَدُّدِ لدى القبول والدى التخرج ولدى منح الماجستير أو الدكتوراه ... وقبول الكتاب للطبع ... وفي قبول البحوث التي تنشرها المجلة - فهي وجهٌ مُبَاشِرٌ من وجود الكلية - أو القسم . وكانت مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض منذ عددها الأول ١٣٩٠/١٩٧٠ وجهاً نَبِيْراً . ومثالاً يُقْتَدَى ... ومازالت كذلك ... وفي المجلات الأخرى ما يُجْعِدِي

وينفع ويرضي ... ولكن فيها ما يدعُو إلى إعادة النظر والتأمل والتريث - وربُّ
توقُّفٍ خَيْرٍ من تَعَجُّلٍ !

المجلات في المملكة :

هذه المجلات الجامعية .. وقد تكاثرت : ومثلها المجلات الأخرى أهلية
أو رسمية .. ووقف « المعجم » عند ١٣٩٠/١٩٧٠ وأبرز ما فيه مجلتان أهليتان
محترمتان : الأولى « المنهل » وقد أنشئت سنة ١٣٥٥/١٩٣٧ وظلّت تُعَدُّ السَّيَرِ
مع شيء من عناء وتعب يبدو عليها ، وفقدت عميدها الأستاذ عبد القدوس
الأنصاري وهي تقترب من عامها الخمسين وعمل والده الأستاذ نبيه على تنشيط
المجلة بعده وإعادة الشباب إليها : وهو ماضٍ في ذلك . وظهر التقدم محسوساً
وبانتظار نتائج أكثر قبل إصدار الحكم . وربط الأستاذ نبيه بالمجلة سلسلة منشورات
وكأنه يريد أن يجعل من المنهل مجلة وداراً إلى جوار المكتبة العامة التي خصص لها
ركناً مهماً من عمارة « المنهل » . والثانية « العرب » مجلة الشيخ حمد الجاسر وقد
صدر عددها الأول في رجب ١٣٨٦ / تشرين الأول ١٩٦٦ م ، وهي نشطة غنية
عجيبة في عالم المجلات . وإذا قلت إنها مجموعة كتب وقلت إن مؤلِّف أكثر
تلك الكتب هو الشيخ الجاسر صاحبها نفسه لم تحطيه ولم تبالغ ، وأنه ماضٍ في
سبيله ويتقرب بها من عامها العشرين .

ثم مجلات أخرى ذُكِرَتْ في مكانها مثل « قافلة الزيت » (وقد صارت :
القافلة) ، ومجلة الحج ... وقد صار اسمها « التضامن الإسلامي » ومن المجلات
ما لم تطل إقامته ...

ثم قامت بعد الـ ١٣٩٠/١٩٧٠ مجلات محترمة منها المتخصصة ، وللأدب مكانه
من تخصصها وهي مجلة « الدارة » - مجلة دورية تصدر عن دار الملك عبد العزيز
 بالرياض ، العدد الأول ، ربيع الأول ١٣٩٥ / مارس ١٩٧٥ ومازالت توالي
الصدور ، أربعة أعداد في العام الواحد ، محافظة على مستواها .

ومنها العام وفي رأس ما يُذكر منها : « المجلة العربية » - شهرية ، بلغت العدد

ال ٧٧ في شهر جمادى الثانية ١٤٠٤ / آذار (مارس) ١٩٨٤ م من سنتها الثامنة من مسيرة لم تخل من عثرات .

« والفصل » - وهي شهرية، أكثر رواجاً ، وتنوعاً - بلغت العدد ٨٧ في رمضان ١٤٠٤ / حزيران (يونيو) ١٩٨٤ م من سنتها الثامنة . واستطاعت أن تجد لها سوقاً خارج المملكة قراءة وكتاباً ... وقد يكون لرئيس تحريرها الأديب القاص : علوي طه الصافي فضل لا ينكر في ذلك ...

وتصدر المجلтан عن قاعدة رسمية دون أن يبدو الوجه الرسمي عليهما ، وهذا من الحسنات التي تضاف إلى أمثالها .

ثم أَطَلَّتْ علينا في المتخصصة مجلة نادرة المثال كبيرة الأهمية في عالم « المعجم » هي مجلة « عالم الكتب » - مجلة متخصصة تصدر أربع مرات في السنة تهتم بالكتاب وقضاياها . المؤسسان : عبد العزيز الرفاعي وعبد الرحمن المعمر . رئيس التحرير : يحيى محمود ساعاني . العدد الأول ، رجب ١٤٠٠ / مايو ١٩٨٠ ومازالت توالي الصدور ... ونتمنى لها التغلب على العقبات من أجل الدوام ومن أجل الكتاب .

والمجلات كثيرة أسبوعية وشهرية وفصلية ... أذكر منها : « اقرأ » ، « الخفجي » ، « الشباب » ، الشرق ، المكتبات والمعلومات العربية ، « المنار » رابطة العالم الإسلامي ، الجيل ، المجلة ، السعودية ، اللقاء العربي ...

وما لا يكاد يُحصى من المجلات المتخصصة التي تصدر عن مؤسسات متخصصة جداً علمية وإدارية وتجارية ... الخ . وللسكك مجلتها ، وللطيران ، وللوزارات ... الخ . ومن هذه : ابن سينا ، أطلال ، الاقتصاد ، الأمن ، أهلاً وسهلاً للخطوط الجوية ، البحوث الإسلامية ، التأمينات الاجتماعية ، التجارة ، تجارة الرياض ، التجارة والصناعة ، التوثيق التربوي ، التوعية الإسلامية ، الجندى الإسلامي ، حماة الأمن ، الخليج العربي للبحوث العامة ، الدفاع ، الصقور ،

عالم الصناعة ، عالم السعودية (الخطوط الجوية) ، عالم الكتب والمكتبات ، الغرفة التجارية ...

وللمكفوفين حظهم من الصحافة .

ولك أنْ تَعُدَّ نحواً من عشرين مجلة سنوية متخصصة أو إخبارية نصف شهرية تصدر عن كليات الجامعات .

ولم يكن الطفل منسياً ، وقد رأينا طاهر زنجشري يصدر في جدة : الروضة ١٣٧٩/١٩٥٩ دامت نحواً من ثمانية أشهر . ثم جرت محاولة أخرى قامت بها مؤسسة عكاظ في جدة إذْ أصدرت « حسن » ١٣٩٥/١٩٧٧ دامت أكثر من ثلاث سنوات وتوقفت . وإن تقف المحاولات وإن يستحيل النجاح ، وتعوض في الوقت الحاضر سلاسل من الكتب تلقى نجاحاً تميّزت بها (تهامة) و (شروق) - ينظر يعقوب اسحق في « عالم الكتب » مج ١ ، ع ٤ ، ص ص ٥٥٢ - ٥٥٤ .

وللمرأة مكانها من المجلات (الجديدة) : الضياء مجلة جمعية النهضة النسائية (١٣٩٧/١٩٧٧) ، « والشرقية » ورئيسة تحريرها : سميرة محمد خاشقجي (منذ ١٣٩٨/١٩٧٨) ، « سيدتي » ورئيسة تحريرها الدكتورة فائنة أمين شاكر (منذ ١٤٠١/١٩٨١) .

الجرائد السعودية :

ومع المجلات تأتي الجرائد ، وقد شهد صاحب المعجم السنة الأولى من عمله في الجامعة ١٣٨٣/١٩٦٣ مواد نظام المؤسسات وجرائد المؤسسات وقد بدأت بحماسة ملحوظة :

المدينة المنورة ، البلاد ، عكاظ ، الندوة ، اليمامة (أسبوعية) الرياض ، الجزيرة ، اليوم ، الدعوة (أسبوعية) وزاد العدد بعد ١٣٩٠/١٩٧٠ فكان - فيما كان - المسائية (يومية عن مؤسسة الجزيرة) ، الشرق الأوسط ... ولكنه لم يَزِدْ كثيراً وإنما الذي زاد هو الفن الصحفي في الإخراج وتعدّد الأبواب وتعدّد الصفحات

وزيادة النسخ المطبوعة والملاحق ، ومنها ما كان للجزيرة والرياض وللإمامة .
وللمحق « اليوم » اسم خاص هو « المربد » . وتولى حديثاً الأستاذ خليل الفزيع
رئاسة تحرير « اليوم » والأمل به - وهو الأديب القاص المجرب - كبير في نهوضها .
وفي خَبَرٍ أن إمارة عسير تَسْتَعِدُّ لإصدار صحيفة باسم « السراة » ...
والمطابع التي استوردتها المؤسسات .

(ينظر عن المجلات والجرائد كتاب « الدوريات الخليجية » بغداد ، مركز
التوثيق الإعلامي ١٤٠٢/١٩٨٢) .

وفي مقابلة إذاعية جرت (في ٢ رمضان ١٤٠٤) مع الدكتور حمود البدر
- مواليد الزلفي ١٣٥٨ ، وكيل جامعة الملك سعود المتخصص بالصحافة - أورد
ما يشير إلى رضاه عن الصحافة السعودية في ناحية الإخراج (الشكل) ، وما يُهيب
بالصحفي السعودي إلى أن يكون أكثر حَرَكََةً ومتابعة شخصية ... من الاعتماد
على ما يصل إليه جاهزاً وهو وراء مكتبه ، ومن هنا كان التشابه الكبير بين جريدة
وجريدة . ولعله يشير بذلك إلى حاجة من حاجات العمق (المضمون) .

النقد الأدبي :

وما قاله عن مجموع النواحي ... يرد عن الناحية الأدبية - وأولَى أن يترد -
وصحيح أنَّ هناك أخبار الأدب والأدباء وتعريف بالصادر ، وملاحظات تريد
أن تكون نقداً ... ولكن الموجود أقل من المطلوب ، ولا يؤهل لوصف الصحافة
الأدبية بالنشاط والابتكار ، وما يتردُ فيَّها على أنه نقد [ليس] بالنقد الأدبي ،
والفكر الأدبي - وهو ما يقال في الصحافة العربية كلها .

ومعلوم أن المجال الأول للنقد الأدبي هو الصحافة ، هو ما يكتب على صفحاتها
ثمرة لدراسة الدارس ، وتخصص المتخصص ، وعلم الأستاذ ... على أن يأتي
رَصِيْناً ، موضوعياً ... فيه عمق وتحليل ، ودلالة الذوق السليم ... والهدف
البناء - على كل حال .

ولعل النقد الأدبي في حالة الحاضرة يعمل على أن يحقق شيئاً من ذلك ، ويسعى ،
ويدّعي ، ويتكثّر ... ويخطو خطوة ... إلّا أن ناتج الجمع يبقى ضئيلاً ،
ولم يبقَ عُدْرٌ ولم يَعُدْ طِفْلاً ... ولك أن ترجع بميلاده الحديث إلى ما قبل
العهد السعودي أيام كانت « القبلة » (ومن حرّرها من العرب) و « بريد
الحجاز » والشباب المتوثب الساعي إلى المجد في الإبداع الأدبي والعمل على النهضة
بعواملها ومراعيها .

ثم كان العهد السعودي — ومازال الكلام متصلاً بالشباب الحجازي — فلم
تنقطع الحركة — وإن توقفت بعضهم ، ووجد بعضهم موضوعاً جديداً — وظل
الشباب في جِدّه ، وفي الجِد ينظم الشعر ويحرر المقالة ويبثُّ الفكر الأدبي في المعنى
والمبثى كما تلقاه من التجربة العربية إذ يقرؤها في الصحف أو في الكتب ...
ولم تكن قليلة الشأن ، ولم يكن تلقفه إياها من دون مناقشة وشخصية وإضافة
تناسب مع الظرف الخاص والبيئة الخاصة مع الشعور العربي العام ... — ولك أن
تقرأ أطرافاً في ذلك في كتابتين تكرر ذكرهما هما : « أدب الحجاز » و « وحي
الصحراء » ... وليس وحيدتين في بابهما ولكنهما مما يمكن تيسرُهُ والوقوف
عليه ، خصوصاً بعد أن أعيد طبعهما . وفي جريدة « صوت الحجاز » صور أخرى .

لقد خاض الشباب في الموضوعات كلها : اللفظ ، التركيب ، اللعب اللفظي
ومحاربتة ، الخواء الفكري والسخرية منه ، السلاسة مع المتانة ، الوطنية ، القومية ،
التجديد ... وربما اختلفوا في جزئيات من التجديد ، وربما اختلفت مُجَدِّدُونَ
مُتَطَرِّفُونَ مع قداماء متطرفين — كما هي طبيعة الأشياء ، وكثيراً ما أذكى
النَّارَ شابٌ مندفع جدياً كـ محمد حسن عواد ... يريد أن يكون الأدب الحجازي
— ثم السعودي — زعيماً يُشار إليه بالبنان ، وقد يكون العقاد قدوة له . والحقُّ
أنه يمتلك عناصر كثيرة تؤهله ، وكتابه « خواطر مصرحة » وإن كان (ثورة) ،
وعراكاً ... فإنه ليس بالحدث العابر في حياة فتي مثله ، وحياة حركة فتيّة كالتي

كانت ... على أن العواد لا يصاح مثلاً في النقد الأدبي لأنه ينطاق من انفعال ويبقى عند الانفعال — ينظر كتابه : « تأملات في الأدب والحياة » (١٣٥١ — ١٣٥٥) .

الأدباء — الشعراء — هم هم النقاد ... ويتبادلون الإطراء مرّةً ، والذمّ مراراً ، ويشتدّ التناؤش ، ويتحزّبُ هذا لهذا وذلك لذلك فيكون العواد في وادٍ مثلاً ، وحزمه شحاته في وادٍ آخر — مثلاً ... ولك أن تسمي ما يجري معارك ، وهي غير قليلة تكون موضوع بحث في الدراسة مع تنبه خاص للتواقيع المستعارة ولا غرو أن غابت أسماء من « أدب الحجاز » كان حقها أن تذكر . وأسماء من « وحي الصحراء » كذلك ... وحتى من كتاب عبد السلام طاهر الساسي : « شعراء الحجاز في العصر الحديث » — وتنظر مقدمته .

وكان الأدباء كثيرين ... ولك أن تعيد نظرة إلى هذه الكتب الثلاثة . ومنهم من كان ينتظر أن يبقى في الرأس (وأذكر مثلاً) عبد الوهاب آثي ... ولكنه الزوى (توفي في جمادى الآخرة ١٤٠٥ مارس ١٩٨٥) .

وأدار آخرون وجوههم عن الأدب إلى الإدارة مرّةً ، وإلى التجارة مرات ... وممن كان اسمه يرد مقدماً : عبد اللطيف النشار . واختفى اسمه .

ويذكر للعواد ثباته الأدبي ... حتى تأسيسه النادي الأدبي بجدة ... حتى الموت

ومن رأي العواد أن خير من يوصف بالناقد الأدبي الحق بين أدباء المملكة هو (عزيز ضياء) — وآسف أني لم أقف على نقد الأستاذ ضياء .

كان الشباب — وهذا شأن الشباب — حركة دائبة وطموحاً ونشاطاً ، وانعكس ذلك على نتائجهم الإبداعي وعلى نتائجهم الفكري والنقدي . ولا بدّ من تطرّفٍ وحماسة ... ومن ثمّ حدة وتعصب وشدة ... وخروج عن المقصود ودخول فيما ليس من الأدب نفسه إلى أمور شخصية وإلى حزازات خاصة ...

ويبلغ الأمر حدّ التنبيه إلى الخطر المحدق وضرورة التعقّل ... وإذا كانت

« المنهل » قد فتحت صدرها للنقد الأدبي ، وصارت مصدراً لا يستغني باحث عنها .. فإن من مفاخرها قولها : إنها دعت إلى وقف هذه الحملات ، والمهاثرات .

ولبيان مكانة « المنهل » من « النقد » نخصص الكتاب الفضي (١٣٦٩ / ١٩٦٠) فصلاً بعنوان « بحوث النقد » (ص ص ١٣٣ - ١٣٥ - قال : لمجلة المنهل أسلوب خاص في النقد ... ويخال بعض من لا يُدَقِّقُونَ في الأمور أنها خالية في أكثر الأحيان من النقد ... ولكن الحقيقة الواقعة أنها مليئة بألوان النقد ... نقد الأدب ... نقد المجتمع ... نقد الحياة ... ولكن بأسلوبها الخاص ... والنقد فيها أخفَى من ديبب النمل .. وقد تستعمل (أدب التقية) فيما تريده من نقد ... وهي لا تُجَابِهُ المنقُود بالنقد المرّ المثير ، وذلك لضمان حسن توجيهه وحسن تنبيهه ... وقد قال الله تعالى لرسوله : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وبعُدْ بالنقد عن المهاترة التي كثيراً ما رأينا النقد يوصل إليها حتى ولو كان نقداً موضوعياً .. ومع ذلك لم يسلم المنهل من عقارب المهاترات ...) .

ثم شرع يستعرض البحوث : (وأول نقد لأثر أدبي حديث في الحجاز كان موجهاً لكتاب « وحي الصحراء » (...) فقد أشار المنهل في استعراضه للكتاب إلى أن هناك بعض مقالات وقصائد ومقطوعات لم تَسْمُ إلى أوج الكمال والتّضج في الكتاب . نشر ذلك في العدد الثاني من السنة الأولى الصادر في محرم ١٣٥٦ - مارس ١٩٣٧ .

وثاني نقد فيه كان موجهاً إلى صميم (الأدب الحجازي) يومئذ (...) وثالث نقد وُجِّهَ من المنهل إلى الأدباء (...) بعنوان (أدب النفس وأدب الدرس) (...) ونقد المنهل كبار الأدباء المصريين إبراهيم عبد القادر المازني ، زكي مبارك ، طه حسين) ... ولأول مرة في تاريخ الأدب السعودي الحديث يوضع الأدباء في (قفص الاتهام) .. نشر في ذلك سلسلة مقالات بدّ أنْ بعدد صفر ١٣٦٥ / يناير ١٩٤٦ بقلم الأستاذ عبدالله عبد الكريم الخطيب .

ويمضي المنهل يستعرض بحوثه ويفخر بموضوعيته وترفعه عن المهاترات ، ويمكن لفخره أن يعكس ظاهرتين غير محمودتين في النَجْو الأدبي ، وفي النقد الأدبي : الذاتية والمهاترات . وعدّ « المنهل » من أوّلياته (ص ٨٩) : أنه (أول صحيفة وطنية قاومت نزعة أدب المهاترات ، بكل ما أوتيت من جهد قولاً وعملاً حتى أطفئت جمره هذه الجرثومة الوبيلة أو كادت من صحافتنا وأدبنا (أخيراً) ... فلا يصح إلا الصحيح) .

وأشكّ في أنها ماتت بمعنى الكلمة ولكنها خفّت ، وكادت تُطفأ ... وبسير تاريخ النقد الأدبي في هذه الطريق ، وهو دليل حيوية - على أيّة حال . وتبقى الحيدة سائدة فيه وكأنها شرط في النقد مع محاولات لتخفيفها أو إخفائها ومع البعد الممكن عن المسائل الشخصية ... ولا أدل على بقاء الشدة من « المرصاد » الذي كتبه إبراهيم هاشم فلالي في نقد أدباء متقدمين في الصدارة مثل : القنديل ، ضياء الدين رجب ، محمد حسن فقي ، حسين سرحان ، حسين عرب ، محمد حسن عواد ... الخ .

ويذكر أن الفلالي اعتدل في الجزء الثاني ومال إلى الثناء ... - ينظر « المرصاد » و « مرصاد المرصاد » و « نقد المرصاد » وقد صدرت في كتاب واحد عن النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٠ في طبعة جديدة .

وتكون صحيفة « الأضواء » بجدة والقائمين عليها صفحة أخرى من تاريخ النقد الأدبي ، وكان على القائمين نُضج وفيهم حيوية ... ولا بُدّ للدارس من وقفة عند عبد الفتاح أبو مدين هذا القادم من ليبيا ومعه ثقافة أخرى ولغة أخرى ... وتقف عند كتاب « أمواج وأنباج » كما تقف عند « المرصاد » والقائمة تطول

ولابد من عودة جادة إلى الصحف ، مع وقفة متأملّة لمعرفة أصحاب التواقيع المستعارة ... وإفادة مما صدر متأخراً من مقالات مجموعة في كتب ... وملاحظة أن الشباب الذين صاروا كهولاً - شيوخاً - لم يتوقفوا عن (مناوشة) بعضهم ،

ولم يتوقف الطالعون بعدهم عن مناوشتهم ... والفلاحي مثل من هؤلاء وكان الأذواق تتغير والأماكن تضيق بأهلها ... ولا يلبث المتقدم أن يسوءه المتأخر . وها هو ذا حسين سرحان يكتب في جريدة البلاد السعودية (١٣٦٩) : نفسية جديدة بلحيل جديد : (... أتيح لي مرات وكرات بلا قصد مني أن أتصل بفئات من شباب هذا الجيل من موظفين وغير موظفين فلم أشهد فيهم خلة تملح أو تستطاب (...) جيل جديد يريد أن يساير زمنه ، وأن يسبقه أيضاً في أكثر الأشواط ، بلا أهبة تامة ، ولا استعداد كامل (...) .

وتجد مثل هذا لدى محمد حسن فقي في مقال : « الحالة الأدبية عندنا » - وحي الصحراء ص ص ٤٤٢ - ٤٤٤ : (ألمح بين عدد يسير من الشباب ظاهرة خطيرة على كيان نهضتنا الأدبية الحديثة ، هذه الظاهرة هي حبهم للظهور وتكالبهم على الشهرة الكاذبة ...) .

وما نحن بصدد التاريخ الكامل للحركة ...

ولكني أدركت الصحافة السعودية في ثمانينيات القرن الهجري / ستينيات الميلادي فلم يلفت نظري شيء اسمه النقد الأدبي على وجه صريح ... مع أن الحياة الأدبية قد تطورت وتوسعت وجذت فيها أجيال ولم يبق الحجاز وحده في الحداثة ، فقد لحقت به المناطق الأخرى في الشرقية والوسطى ... والجنوبية وصدرت عنها وفيها الكتب والدواوين ...

ومن يدري فلعله المدوء النسبي الذي أعقب عاصفة من جدال وربما نزاع بين شبوخ وشباب ، وحرص على المكانة وسعي إلى الصعود ، ثم كان شعر عمودي وشعر حر ... وكان غموض وسمات من السريالية والرمزية ...

من يدري ... ؟ (ينظر الفوزان ج ٣) ولكني لم أدرك الماضي حياً ... وربما كان لصدى هذه المذاهب ودالاتها على الجديد والتجديد أثر في بناء كتاب « شعراء نجد المعاصرون » على اهتمام خاص بالرومانتيكي والواقعي ... والرمزي والسريالي ...

ولا يعدم المتبع دليلاً على (الحساسية) ... وكأنَّ نأقذك الأدبي يَمَسُّ كرامتك ،
رأيت ذلك في موقف للأستاذ عبدالله بن خميس من الأستاذ عبدالله نور ؛ أما
الخلاف على جيم جدة بين الجاسر والأنصاري فكان يخرج بأصحابه عن الهدوء
المطلوب منهما والمتنظر من علمهما ... في غير ذلك .

وربما كان الغالب على النقد - إن وُجِدَ - عين الرضا ، والوقوف عند
الحسنات ، وتكبير هذه الحسنات أحياناً . ولا تعدم أن تحس أن وراءها صاحب الأثر
المنقود نفسه .

يمكنك أن تصف حال النقد عموماً بالهدوء ... وإذا لم تلمح وراء الهدوء
تحفزاً لخطوة جديدة ونشاطاً جديداً ... فإنك ستقتنع بالخطوة الجديدة عندما تقع
والنشاط الجديد عندما يقع ... وإذا كنت قد بعدت عن البلد ... فلك من كتاب
الأستاذ يحيى محمود ساعتي ما يعوضك شيئاً في الاستدلال ، نقصد كتابه : « الأدب
العربي في المملكة العربية السعودية - بيلوجرافيا » - الرياض ، دار العلوم ١٣٩٩ /
١٩٧٩ فإنك واجدٌ دليلك في عنوانات المقالات التي ياتقطها ويعين تاريخها ومكان
نشرها من مجلة أو جريدة أو كتاب ... وربما لمحت وراء ذلك - مع متابعات
متقطعة بعيدة - نُضجاً أكثر ، وعمقاً نسبياً ، وجديداً من الثقافة الواردة من
قراءات لأدباء عرب ولترجمات ...

شرع النقد (يلم نفسه) ، ويثبت مكانه ، ويعرب عما يجب أن يكون عليه ،
وشرع يتابع الأنواع المتعددة ، وقد يبدو (مُنْتَظَرًا) ... وقد يميل عدد من أصحابه
إلى ضرب من التخصص ، وتناول القصة في ذلك نصيباً وافياً ... كما اتضح فيما
نشر الدكتور منصور الحازمي مفرقاً ثم في كتاب فأطمعنا بالزيادة والاستزادة .

وتكون « الصمت والجدران » لسباعي أحمد عثمان دليلاً آخر (لبوادر)
النضج والوقفة المناملة وقُلْ : المسؤولية ... وحسناً فعل الأستاذ عثمان إذ ألحق بالطبعة
الثالثة من مجموعته ما قيل فيها من كلمات ، ولم يدل في مقدمته القصيرة على الخطوة

المشار إليها في تاريخ النقد وإنّما دلّ كذلك على الخطوة التي تحقّقت في موقف المنقود ، فلم يعد ذلك المستثار المستشاط (كأنه مجروح الكرامة ، النادم على أنه لم يأخذ للأمر أهبيته) . قال : (... والواقع ... أن اهتمام الأقلام الناقدة ، أو غير الناقدة — بمثل هذا الحرص — على العمل الأدبي الذي يطرح في الساحة ... أمرٌ يدل على عافية فكرية ، وصحوة أدبية ، في كثير من مثل هذه المناسبات .. وقد حرصت على أن أستفيد من كل كلمة ... معي ، أو ضدي ...) .

ولشهادة الأستاذ عثمان لديّ دلالة خاصة فقد كان — وما يزال — محرراً في جريدة المدينة يوم كنت في الرياض ... وعليه فقد رأى ما رأيت — أو رأيت ما رأى — من سير الأحداث في عالم النقد الأدبي ... وقل : عافيته وصحته ... وإذا قرأت كتاب الدكتور منصور إبراهيم الحازمي : « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » قلت : كم نحن بعيدون — أي متقدمون — عن نقد محمد حسن عواد لمرهم التناسي . لقد تقدمنا كثيراً ، فهذا نقد قصصي بمعنى الكلمة .

وحصل في نقد الشعر شيء من هذا ، فقد تطور — كما تطور الشعر — ولكننا نبقى ننتظر كتاباً مناظراً لفن القصة من الدكتور الحازمي (أو من غيره) ! وحال الشعر أكثر عنفاً وأدعى إلى الجدل ! والصراع بين قدماء وجدد يكاد يكون صارخاً . وليس هذا للتعجب ، وإنما لإثبات التحسن في السير أن يكون من سلب مع الإيجاب ، وما ينتظر أن يصدر لدى خلاف — ولا أريد أن أقول : عراك أو صراع — بين جيل وجيل ، وبين شباب يبلغون في مفهوم التجديد درجات مختلفة يداخلها ادعاء وفراغ ، وسعيٌ لاحتلال مكان ليس لهم ... رغم وجود من يمتلك الثقافة والأصالة ... ومن ثمّ تهدأ الأحوال ويأخذ كل حقه ... ويذهب الزبد جفاءً ، ويبقى ما ينفع الناس ...

لا أشك ...

ولابدّ من أن أذكر الباب الذي فتحه الشيخ الجاسر على مصراعيه في مجلة العرب لنقد المؤلفات والتحقيقات خاصة ما كان منها قائماً على تاريخ المملكة

وأدبها وقبائلها ومواقعها — وعلمه في ذلك عجيب غزير يصعب أو يستحيل أن يتبهاً لغيره . . . وبلج البابُ معه باحثون آخرون .

ثم

الدراسات الأدبية ... وقد رأينا أطرافاً منها ، أي من تقدمها ...

ثم

تحقيق المؤلفات القديمة :

التحقيق ، ولا بد من وقفة خاصة عنده — ولنتذكر أننا هنا نتابع تيارات الأنواع الأدبية ، وهي أهم ما تقوم عليه الخاتمة لأن البحث الأدبي كان الدافع الأساس إلى المعجم ... ولأنه — بعد ذلك — يمكن أن يكون مثلاً لغيره من مظاهر الحياة الفكرية في التأليف والطبع ، مكثفياً من الوقفة عندها بالإشارة للماحة — .

وتأخر التحقيق العلمي في الأدب (واللغة) ولم يدخل في مهمات الأديب السعودي الأساس ، وكأنه اكتفى بما كان يتبهاً منه في العالم العربي الواسع ، والعالم الإسلامي ، بعد الذي عمله المستشرقون ومعه ...

والشيخ الخاسر سباق في أشياء كثيرة وكان يعنى خصوصاً بشعر يلاقه خلال بحثه وقراءاته فيسجله ويُبَيِّنُه ، ويصدره — في العرب تبعاً في مجلته « العرب » منذ السنة الأولى : عبدالله السلولي ، الصمة القشيري ، جحدر العكلي ، يزيد بن الطثرية ، القحيف ، عروة بن أذينة ... — ينظر كتابه « مع الشعراء » .

وقد نال حسن شاذلي فرهود الدكتوراه من جامعة لندن في يولييه ١٣٨٦/١٩٦٦ بتحقيقه كتاب « الإيضاح » لأبي علي الفارسي — مع مقدمة تحليلية — في جزئين . ثم عاد وعين في قسم اللغة العربية من كلية الآداب من جامعة الرياض (الملك سعود) فطبع الجزء الأول ، ثم الثاني وبينهما تحقيقات أخرى ، وبعدهما كذلك — ينظر

وحقق الدكتور أحمد محمد الضبيب (●) كتاب « الأمثال » لأبي فييد مؤرَّج بن

عمر السدوسي ونشره في العدد الأول من مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (١٣٩٠ / ١٩٧٠) - وله اليوم تحقيق لكتاب الميداني : « مجمع الأمثال » مُعَدُّ للطبع .

وعني الدكتور حسن محمد باجودة - إلى عنايته بالتفسير والتأمل الحديث في سور من القرآن الكريم - بتحقيق الشعر . فكان له في ذلك أكثر من كتاب ، عرفت منها :

ديوان عبدالله بن رواحة - دراسة وجمع وتحقيق ١٣٩٢/١٩٧٢ - ١١٦ ص .

ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوبي الجاهلي ١٩٧٣ - ٩٩ ص .

ديوان أحيحة بن الجلاح - دراسة وجمع وتحقيق ١٣٩٩/١٩٧٩ - ٩١ ص .

وأصدر د. محمود حسن زيني : قصيدة البردة لكعب بن زهير ، شرح أبي البركات ابن الأنباري - دراسة وتحقيق ، جدة ، تهامة ١٤٠٠/١٩٨٠ - ١٤٨ ص .

وعني الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل بالقُشَيْرِيَّينَ فجمع شعرهم وأصدره محققاً سنة ١٣٩٨ باسم « شعراء أبي قُشير » .

كما أصدر ديوان الصَّمة بن عبدالله القُشَيْرِي ، الرياض ، النادي الأدبي ١٩٨١/١٤٠١ - ١٩٢ ص (بعد أن نشرته مجلة « العرب » س ٢ ص ١٢٧) .

ولعلاء الدين أغا : ديوان أبي النجم العجلي ، صناعة وشرح : الرياض ، النادي الأدبي ١٩٨١/١٤٠١ - ٢٨٥ ص .

وتوجه الدكتور عبدالله بن عبد الرحيم عسيان إلى « الحماسة » - حماسة أبي تمام - فحققها وصدرت في الحلقة (١٤) من منشورات المجالس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ٦٢٤ ص .

ثم حقق كتاب « معاني أبيات الحماسة » للحسين بن علي الثمري (المتوفي سنة ٣٨٥) وقد عوّل فيه على شرح أحمد بن أبي رياش القيسي ، وقد صدر عام ١٤٠٣ (١٩٨٣) عن مطبعة المدني بالقاهرة في ٣٢٨ ص . وله - غير ذلك في التحقيق - : أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز ١٤٠٠ ، الاجتهاد في طلب الجهاد لابن كثير ١٤٠١ .

وصدر عن دار العلوم بالرياض : حسن عيسى أبو ياسين - شعر همدان وأخبارها ١٩٨٣/١٤٠٣ - ٤٥٥ ص .

وتوجه باحث آخر (أردني يعمل في السعودية) هو عبد الحميد محمود المعيني فجمع وحقق أشعار بني تميم في الجاهلية ، بريدة ، نادي القصيم الأدبي ١٤٠٢ / ١٩٨٢ - ٤٩٥ ص . الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه .

وللدكتور ناصر بن سعد الرشيد : شعر يزيد بن الطثيرة .

وللأستاذ عمر بن محمد سليمان القطان : شعر معن بن أوس المزني ...

وهناك تحقيقات مهمة في الشعر والأدب وفي غيرهما ، صدرت ، خصوصاً ، عن مراكز البحث في الجامعات ، ومن أساس رسالتها : إحياء التراث .

ونرجو أن يفيد المحقق السعودي من خيرة تجارب سابقيه من عرب وغير عرب ، وأن يحذر أن يقع فيما وقع فيه سابقون من عجلة وتكرار ومن تدليس ومن بذل الجهد فيما لا يستحق الجهد ... وتحقيق المحقق - إنَّ عالم التراث واسع وغني . والمنافسة والسرعة والكسب الحرام لا تجدي صاحبها نفعاً .

وللمحقق السعودي مجال خاص في تراثه القريب .

وقد رأينا الخدمة التي أدّاها سعد بن عبد العزيز الرويشد بجمعه « العقد الثمين من شعر ابن عثيمين » (١٣٧٥) . وعلمنا خبر تحقيق محمد بن سعد بن حسين

ديوان بن بُلَيْسَهْد ، وهناك من يحقق ديوان سليمان بن سحمان .. ولعبد الرحمن ابن إبراهيم زين العابدين الحفظي (جمع وتحقيق) : شعر آل الحفظي بعسير ومعاصريهم . أبها . النادي الأدبي .

وأحسب أن نشر التراث القريب واجب ... ومازالت آثاره مخطوطة ، وكم من مرة أشير إلى دواوين شعراء المدينة مع بيان مكان وجودها ... ديوان الأسكوبي ، ديوان الزالمي ، ديوان البَيْتِي ، الجداوي ، محمود شويل ... وشعر بَرَّادَة ، والصحَّاف ، والعُمري وغيرهم ممن يعرفهم الدكتور الفوزان والدكتور عبدالله الحامد - جيداً في سلبهم وإيجابهم .

دواوين شعر لم تنشر :

وأحسن دار تهامة إذ أصدرت حمزة شحاته « الرجولة عماد الخلق الفاضل » بعد أن كدنا نفقد الأمل في الظفر به . وأعل الدار تعمل على إصدار شعر شحاته مجموعاً في ديوان ، ومقالاته وكلماته الثرية في كتاب ، كما أصدرت له « رفات عقل » ورسائله إلى ابنته - ان تراث حمزة شحاته تراث إبداع وفكر .

وأعلنت تهامة عن قرب صدور ديوان حسين عرب .

وليس من الصحيح أن يبقى شعر الغزاوي - وقد غادر صاحبه الدنيا - من غير جمع وتحقيق (وشرح المناسبات) ، فإنَّ هذا الشعر - والشاعر - مَعْلَمٌ من معالم الأدب الحجازي - السعودي في خيره وشره ، وسلبه وإيجابه ، رضينا أم لم نرض . ولا ندري - وندري - لِمَ لَمْ يُصَدِّرْهُ صاحبه في حياته وهو المتمكن مالاً وجاهاً ومنزلة !

يحدثنا الأستاذ الشاعر محمود عارف في « المنهل » (ذو الحجة ١٤٠٣ / ١٩٨٣) فيقول : إنه (ولد أوائل القرن الرابع عشر بمكة المكرمة ، توفي يوم الاثنين الموافق ١٤٠١ / ٦ / ٢٢ ، ويعتبر طليعة شعراء الجيل الأول ، وأنَّ ورثته أهدوا مكتبته إلى (جامعة أم القرى) . وقد ترك زهاء أربعين صندوقاً من الكارتون الورق مكتظة

بالثروة الأدبية وهي عبارة عن آلاف الصفحات مطبوعة بالآلة الكاتبة تحتوي على مختلف الموضوعات في الأدب والمغة والتاريخ والتحقيقات والشذرات ومعظمها قد نشر في الجرائد والمجلات المحلية . ويقال : إن هذه الكنوز الأدبية موجودة حالياً لدى سعادة السيد ياسين علاّف ابن أخت الغزاوي وشقيق الشاعر إبراهيم علاف (...) وربما يكون حجم الشعر الغزاوي يزيد على عشرة دواوين ضخمة . وحجم النثر يتجاوز اثني عشر مجلداً ...) .

وآن الآوان لجمع ما تناثر من شعر حمزة شحاته في ديوان جامع مانع ... وجمع دواوين أحمد قنديل ، مع ما لم ينشر له ، في ديوان واحد . وشرع محمد حسن عواد في إصدار ديوان موحد ومضى قبل أن يتم المشروع . وأحسب أن شعر محمد عمر عرب الذي صدر في طبعتين من « الشجرة ذات السياج الشوكي » في حاجة إلى الإكمال والتحقيق .

وفي الحديث الأسبوعي الذي يعده الدكتور محمد بن سعد بن حسين بعنوان « المكتبة السعودية » علمنا أن الأديب عبد الإله جدع — وهو شاعر على النمط الحديث — أصدر المجموعة الشعرية الكاملة لدواوين أبيه : محمد إبراهيم جدع ، وهي خمسة : وحي الشاطيء ...

وأشار الدكتور محمد بن سعد بن حسين إلى المجموعة الكاملة لشعر محمود عارف كذلك — كان الحديث ، الجمعة مساء ١٤٠٥/٣/٧ . ١٩٨٤/١١/٣٠ — والبرنامج نافع في باب المطبوعات السعودية .

وحسناً فعل عبد الوهاب آشي إذ عاد مؤخراً إلى شعره فأصدره في « شوق وشوق » ، وحسناً يفعل حسين عرب إذ (يقوم حالياً بإعداد مجموعة من قصائده ليصدرها في أول ديوان له) حسناً فعل وإن جاء العمل متأخراً — ولد الآشي سنة ١٣٢٣ وتوفي في ١٧ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ ، وولد عرب سنة ١٣٣٨ — والمُهمُّ العمل والجمع والإصدار .

ومهم كذلك الجمع التام ، وتذليل القصائد بتاريخ النشر ومكانه ، والأمانة المطلقة ، ورد التواقيع المستعارة إلى حقيقتها ، ولا خوف في ذلك ولا ضير ، ومن حق الشاعر أن يشرح المواقف ويبين ملابساتها وأن يعترف حيث يكون تناقض وحدوث ما لم يَعدُّ يرتضيه أو يخشى أن يذكره ... من حقه وواجبه لأنه إن لم يفعل اليوم فسيفسُخفي حقيقة أو يضيعها ، وإن يعدم — غداً — محققاً مدققاً يظهر المخفي ، كما لا يعدم من يفسر الأشياء بغير ظروفها وحقائقها فيخسر صاحبها من حيث قدر الربح !

ثم لِمَ لَمْ يكمل محمد حسن فقي ما بدأ الخطوة الأولى منه بـ « قدر ... ورجل » ؟ ولم لم يجمع حسين سرحان دواوينه ... في ديوان واحد ؟ !

ويبقى مشروع متكامل يتجرّد له محقق أمين هو « ديوان الشعراء المقلين » من طلائع النهضة الحجازية : محمد صبحي ، محمد صلاح خليدي ، عبد القادر عثمان ، عبد الوهاب التّشار ، محمد سرور الصبان ، أحمد العربي ، حسين سراج ، عبد الحق النقشبندى ، عبدالله عمر بلخير ، عبّيد مدني ، حامد دمنهوري ، محمد سعيد العامودي (في غير الرباعيات) .

ويمكن أن يتعاونَ على هذا المشروع المجدي أكثر من محقق ، وقد يؤدي التعاونُ إلى تعليل علمي للقلة في الشعر ، أو في ترك الشعر ... والتوجه إلى غيره وغير الأدب من شؤون الحياة وسلّم مراقبها . ويحسن المباشرة العاجلة بالعمل لوجود عدد من هؤلاء الشعراء في الأحياء . وقبل أن تضيع الجرائد وتحفى المعالم — ولهم في كتب « أدب الحجاز » ر « وحي الصحراء » و « نفثات من أقلام الشباب الحجازي » منطلق أول .

وفي غير الحجاز شيء مما في الحجاز شعراء ممن كانوا قبل المملكة ... أو بعدها ، في نجد وفي غير نجد : الشرقية ، الجنوبية ... فأين ديوان حمد الحِجّجي ، ولم لم يجمع شعر محمد العامر الرميح ... رليم لَمْ يَصْدُر مَقْبَل العيسى — ١٣٧٦ — شعره في ديوان ؟ وأين دواوين محمد سعيد الحنيزي ؟ وغيرهم وغيرهم !

والقائمة تطول . واسنأ بصدددها وإنما هي تذكرة للمحققين ... وللشعراء الأحياء كذلك . والدكتور محمد بن سعد بن حسين عارف بالمخطوطات النجدية ومظان الدواوين منها .

وليست المسألة مسألة الشعر وحده ، وإنما النثر ، والكتب المؤلفة ومازالت مخطوطة هنا وهناك ، عرضة للضياع . وقد ذكر - مثلاً - الفوزان : « اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة » و « تراجم علماء جدة » ... ومثلهما مثلهما الكثير في أنحاء المملكة المترامية الأطراف . وللمحققين فيها ندوة عن التنافس أو التدليس . وعليهما واجب لا يقع على من سواهم .

جمع مقالات المقلتين من الكتاب :

ونذكرهم بجمع المقالات في كتب بأسماء أصحابها المكثرين ؛ فإذا كانوا مقلتين ألفت بين مجموعة منهم في كتاب واحد . وبعودة عابرة إلى « أدب الحجاز » يجدون عبد الوهاب آثي ، محمد جميل حسن ، حامد كعكي ، عثمان قاضي ، محمد البياري ، محمد علي رضا ، محمد عمر عرب ، عبد الوهاب النشار ، عبدالله فيدا ، محمد شيخ حمدي ، محمد سرور الصبان ؛ ونظرة أخرى إلى « وحي الصحراء » : حسين خزندار ، عمر صيرفي ، عبد السلام عمر ، عبد الحميد عنبر ، محمد حسن كتي ...

وتجد أسماء أخرى في المناطق الأخرى من المملكة ... وعلى الأحياء منهم واجب (المبادرة) إلى الجمع والنشر ؛ أمّا الأموات فينبو عنهم المحققون .

ولابدّ خلال هذا وذاك من جمع ديوان خاص بالشعر المنشور فيه : أحمد سباعي ، عزيز ضياء ، عبد القدوس الأنصاري ، محمد حسن عواد ، ... ويمكن أن يكون هذا الجمع جزءاً من رسالة للماجستير - أو الدكتوراه - مسبوقة بدراسة الظاهرة في سيماتها وعواملها وحياتها وموتها ...

أما الجهد الذي بذله الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي في « ديوان السلطانين »

و « ديوان القاسم ... ابن هُتَيْمِل » فهو مشكور ولكنه ليس التحقيق المطلوب لأنه اختار واختصر وحذف ... وكأن غرضه التاريخ أولاً .

وزاول الأدباء — والكتاب — أنواعاً أدبية صغيرة ، تاتي مرة مع المقالة ومرة مع القصة ، ولا تخلو أحياناً من نكهة شاعرية في حدود ما لصاحبها من قلم سيال وخيال ، وما يمكن أن يسكبه فيها من عاطفة أو تأثر ... زاولوها على قلة ، ولكنها تذكر ، وقد تتقدم مع الزمن .

السيرة الذاتية :

ومن هذه ما يُعَدُّ من السيرة الذاتية (الكلام عن النفس في مسرد حياة صاحبها) ، ويرد هنا اسم الشيخ أحمد سباعي وقد راينا له « أبو زامل » الذي صار في طبعة ثالثة : « أيامي » — وفي تعدد طبعاته ما يدل على أهميته مضموناً وشكلاً . ويعرض الشيخ السباعي أطواراً من حياته مرتبطة بمجتمعها في مؤلفات أخرى وهو جريء نقاد ، ذو قلم وملاحظة ...

ويذكر لمحمد حسن فقي كتاباً مازال مخطوطاً يتحدث فيه عن نفسه وحياته على ما يشبه منهج طه حسين في « الأيام » — يا حبذا لو طُبِع !

وينشر عبد العزيز الربيع : « ذكريات طفل وديع » . ولو عاش لكتب ذكريات الكهل وذكريات الشيخ — وكان لديه الكثير من شؤون الحياة والفكر والعلم والأدب مما يقوله .

ويؤلف كتاب أحمد قنديل « الجبل الذي صار سهلاً » ضرباً من السيرة الذاتية مختلطة تمام الاختلاط بالأحوال الاجتماعية في مرحلة من مراحل حياته ومراحل التاريخ . والجبل هو جبل (كرا) الذي كان يعترض (الصعود والتزول من الطائف وإليه) ثم شقَّ طريقاً عَبَرَهُ وَذَلَّلَهُ ...

قال المؤلف في صدره : (ليس هذا الذي تقرأ هنا — قصة ولا هو رواية — بالمعنى الحديث ، ولعله .. نوع من .. حكاية مطلقة (...) هو سوانح مبثورة ..

ذكريات متناثرة .. (..) إنه أوراق خريف تَتَحَات .. وتساقط من شجرة
عمر مكتوب !!) .

وفي هذه الكتب المؤلفة في السيرة الذاتية ما يعرض عرضاً تاريخياً فقط كما
يكتب أي تاريخ دون قصد إلى الإخراج الأدبي لأنَّ المهم الأول - والأخير -
هو الحدث .

ومن أوائل ما يذكر في هذا « هذه حياتي » أحمد حسن كتي (أو حسن محمد
كتي) ، وقد أعاده في طبعة ثانية موسعة .

ويدخل في هذا « ذكريات » أحمد علي التي نشرها في المنهل أولاً ثم جمعها في
كتاب - يا حبذا لو زاد فيه . ثم « ذكريات مدرس » لعبد الرحمن بكر صباغ ...

وفي المذكرات ترد « مذكرات طاب » للدكتور حسن نصيف - وقد طبع
ثلاث مرات دليلاً على اهتمام القارئ به وإشارة إلى طراوة أدبيته فيه ويمكن أن
يَسْمَتْ إلى قائمته ما ألفه محمد عمر توفيق في كتابيه : « أربعون يوماً في المستشفى »
و « من ذكريات مسافر » .

ترى أليكتب شيوخ الأدب ذكرياتهم ؟ ولم لا ؟ ، وفيها نفع عميم ، ومتعة
عميمة .

ولا نعدم في طول الصحافة وعرضها ، قديمها وحديثها ، وفيما حصل من
مقالات مجموعة في كتاب من صفحات من الحياة ومن الذكريات ، منها ما عرض
صرفاً ، ومنها ما سعى صاحبه إلى التاوين الأدبي .

كتب الرحلات :

وإذ ذكرنا « من ذكريات مسافر » نذكر للجاسر : « رحلات » ، ولعبدالله
الحقيل « رحلات وذكريات » - طبع مرتين . والكتب - هنا - يغلب عليها
التسجيل ، وقد يسعى صاحبها لاصطياد حادثة تلفت النظر بغرابتها .

ومن أوائل ما يذكر من ثمرات الرحلات كتاب فؤاد شاكر « رحلة الربيع »
وقد طبع مرتين ، وكتاب محمد عمر رفيع : « في ربوع عسير » .

وبقيم الشيخ حمد الجاسر كتبه عن مناطق المملكة ومواقعها على المشاهدة العينية
والرحلة إلى المكان نفسه . وفي هذا « التاريخ » تذكر ريادة لمحمد عبدالله بن بليهد في
« صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » — إلا أن هذه تاريخ وجغرافية
ولا حَظَّ يذكر للطابع الأدبي ... في العرض ، وإن كان ذا قيمة أدبية بما أورد
فيه من شواهد الشعر وما بين لما ورد من هذه الشواهد من مواقع مازالت قائمة
أو درست .

الرسائل الأدبية :

و « الرسائل » ضرب آخر يُعْنَى بها الدارس الأدبي — فضلاً عن المؤلف
المعجمي والباحث . والمقصود بها ما يتبادله أهل القلم من رسالة أوجواب رسالة
تُكوِّنُ مصدرًا لا يستهان به في الدراسة وقد عُنِيَ الغربيون بجمعها في كتب خاصة .
أما إذا صدرت الرسائل عن أديب يسعى إلى التلوين الأدبي فإنَّها تكتسب أهمية
خاصة في الأدب — الإنشائي — الإبداعي ...

ولا شكَّ في أن لأدباء السعودية حظاً وافراً من هذه وهذه ... ولكن ليس
لدينا منها على هيئة كتاب إلا رسائل لحمزة شحاته كان يكتبها إلى ابنته أصدرتها
تهامة — بعد وفاته — بعنوان « إلى ابنتي شيرين » — وقام حمزة شحاته قلم أديب
يجمع الرأي إلى عمق لغة عرضه .. ووصف للأحوال والأشياء والعواطف ...
مما يدخله في النوع الأدبي .

الفلسفة في كتابات الأدباء :

وفي عودة متأخرة — لا بُدَّ منها — إلى كلمة (الفلسفة) نلاحظ أن الكلمة
لم تكن غريبة عن السن — وأفلام — الرعيل الأول والثاني من أدباء الحجاز وهم
يغترفون من الكتب — والمجلات — الواردة إليهم من مصر والشام وغيرهما ،
وحسبك أن يكون من ذلك مجلة « المقتطف » فضلاً عنَّ كان يرد عليهم من
أدباء العرب ومفكرهم ، وما كان يتهياً لهم لدى سفر أو معرفة للغة أجنبية .

وقد يكون محمد حسن فقي أكثر الأدباء استعمالاً للكلمة — غير ما يغلب من روحها على شعره — ولو رجعت إليه في « وحي الصحراء » لرأيت له قصيدة بعنوان « فلسفة الطيور » و « كرامة صغيرة في فاسفة التشريع » .

وصدرت له حلقة في سلسلة المكتبة الصغيرة في يوليه ١٩٨٠ / شعبان ١٤٠٠ فإذا عنوانها « فيلسوف » وإذا به يقول في تقديمها : (... مجموعة ، مما استطعت العثور عليه من مقالات كنت أنشرها في الصحف المحلية تحت عنوان (فيلسوف) .. وإن كنت لم أستطع أن استخرج منها إلا القليل ..

ولقد كنتُ بدأتُ في كتابة هذه المقالات منذ أكثر من عشرين عاماً بجريدة « البلاد » (...) ومنذ سنوات قلائل ، طلب مني الكثيرون من أصدقائي ، وقراء المقالات الأقدمين — طلبوا إليّ بإلحاح ، أن أعادَ كتابتها ، فاستجبتُ لرغبتهم وعاودت كتابتها (...) .

ولا تعدم أدلة أخرى عند كتاب آخرين ... والذي قرأه حسين سرحان كثير ... ومثله معاصروه .

ثم تتوالى الكتب المصرية (خاصة) بين مترجمة أو مؤلفة أو معدة عن أصول غربية ... وتصل إلى المملكة دون شك ، ومن ذلك : « قصة الفلسفة — اليونانية » ، « قصة الفلسفة الحديثة » ... مؤلفات عبد الرحمن بدوي ... الأهواني ... « الفلسفة الإسلامية » لديبوير ... مؤلفات في الحضارة الإسلامية في طليعتها آثار أحمد أمين ، وفي الفلسفة الإسلامية ... غير ما نشر وحقق من آثار الفلاسفة المسلمين بمن فيهم ابن رشد ... و « التّهافت » و « تهافت التهافت » .

تصل هذه الكتب بأساليب شتى ، ويقبل عليها القراء ، ومن القراء من يستطيعها أكثر من غيرها ... فالإنسان الواثق من نفسه — ومن دينه — لا يخشى الاطلاع وإشباع نهْمِهِ إلى المعرفة — ولا أقول : كل ممنوع متبوع ، فما علمتُ منعاً لهذه الكتب . وحين ألف الشيخ عبدالله ابن خميس كتابه « راشد

الخلاوي « لم ير ما يمنع من دراسة ما سماه : فاسفته . ولم يكن الخلاوي فيلسوفاً ، وإنما المهم استعمال الكلمة (الفاسفة) .

وفي الأدباء - والمفكرين - من يجيد لغةً أجنبية ، ومنهم من نهياً له أن يدرس خارج المملكة ، وفي جامعات حديثة ... منها الجامعة الأمريكية ببيروت ، مثل أحمد عبد الجبار ، حسين سراج ... ولا تسئل عن عزيز ضياء فنظرة واحدة إلى كتابه « جسور إلى القمة » وتلتقي بديكارت ، ورؤوسو والدوس هكسلي ... وابن سينا والفارابي ... ناهيك عن عشرات ومئات وألوف الشباب الذين درسوا مبتعثين أو على حسابهم في أوربة وأمريكة ... ونخرج بهم إلى ما هو أوسع من الحجاز ، إلى المناطق كلها ...

وأبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري - وقد رأيناه ورأينا اسم : محمد بن عمر - ظاهرة خاصة في موضوع الفاسفة ، في انقحه إن أردته فلسفة ، وفي الفلسفة الفلسفة إن خرجت إليها من الفقه والفكر ، وله في ذلك : « ديكارت بين الشك واليقين » ، الرياض ، مطابع الشرق الأوسط ١٣٩١ - ٥٦ ؛ وله (بالاشتراك) : « الفناء الباقي في رباعيات الخيام وغرامه أو فاسفة الكوز » ١٣٩٨ ، غير « النظرات اللاهثة » ، و « النظرات اللاهية » .

ولعل أبرز ما تبرز به الظاهرة كتابه « ان تأخيد » (١٩٨٣/١٤٠٣) - وقد رأيناه - وقد كان مقالات موزعة في الجرائد قبل عشرين سنة . وجعل مداره إذ جمعه : الإيمان والإلحاد . وقال : (لم يكن الغرض من هذا السفر ملاحقة شبهة الملاحدة ، وإنما كان الغرض تحرير العقل من أغاليظ الفكر وإقناع الناس بثمرة الإيمان بالله وبشرعه .

ولهذا كان العنوان : « ان تأخيد » ، تفاؤلاً وثقة باستجابة العقول المنصفة لموجبات الضرورات الفكرية) .

تقرأ في الكتاب فتلتقي بأرسطو ، وهنري ، ومل ، وباركلي ، ومالبرانش ،
وسارتر ، والديالكتيك ...

يدهشك بسعة المعرفة ، وغزارة المقروء ويثير عجبك للثقة بالنفس وبالعقيدة
التي لا يخشى عليها أن يزكزلها أي فيلسوف ، فضلاً عن انتفاعه أحياناً بما كان
(المؤمنين) منهم من أدلة ...

وإذا كان ديكارت لديه فيلسوفاً كبيراً ، فإنه لا يلبث أن يعصره ويضيق
عليه الحناق على مرأى منك ومسمع ، صدقته أم لم تصدقه . وهُنا ، هُنا سرُّ
أسلوبه وخروجه من التعليم إلى التأثير الأدبي بالمقالة : الاستفزاز يبدو وكأنه مع
الفيلسوف حتى في مفارقتها العقيدة ، وما هي إلا أن يضرب عنه فإذا هو في صميم
العقيدة ، وأنت تتابعه مجتذباً إليك بالإثارة العقلية والانفعال الذهني ... وطمعاً
بآخر المطاف .

من أين لأبي عبد الرحمن ابن عقيل هذه الفلاسفة (الغربية) ؟ لقد قرأها مترجمة
ومُعَدَّةٌ ، مقالات وكتباً ، وكان عثمان أمين دلياله البارز إلى ديكارت ... لقد قرأ
أكثر مما تتصور ... ونأسف أنه لم يكن ذا عام بلاغة أوربية .

لقد قال في كتابه ما قال على النهج المناسب لتركيبه العقلي ... وعَدَّلَ تسمية
كتابته بالذي رأيناه ، ولو أردنا أن نتدخل ونتوسع لقلنا إن « ان تاحد » تعني إنك
لن تُلحِدَ إذا قرأتَ الفلاسفة ... حتى ما كان فيها من فلسفة الملاحدين والماديين .

ولم يكن مرتاحاً من المعرِّي ...

ولعلك واجدٌ خلاصة موقفه من الفلسفة في مطلع مقالته (ص ٤٧) : الفكر
المعتزلي حيث قال : (لايزال شعور العامة الإيمان الشديد بعدم جدوى الفلسفة
(...) وفلاسفة المسلمين الذين دخلوها من أوسع أبوابها (...) فإذا كان رأيي
أن في الفلسفة خيراً كثيراً وكنتُ شديد الإيمان يجدواها وإنما أصطدم بشعور شعبي

بَيِّنَ أَنْ هَذَا لَا يَهْمِي إِذَا كَانَتْ بَرَاهِينِي عَلَى حُدُودِ الْفَلَسَفَةِ - ضَرُورِيَّةَ فَأُولَ مَا أَسْتَنْدُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى أَنَّ الْفَلَسَفَةَ الْحَدِيثَةَ دَفَعَتْ بِأُورْبَا إِلَى حَيَاةٍ عِلْمِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ ، فَالْمَذْهَبُ التَّجْرِبِيُّ فَتَقَ آفَاقًا بَعِيدَةً فِي مَضْمَارِ الْإِخْتِرَاعَاتِ وَالْمَصْنُوعَاتِ وَالطَّبِّ وَالتَّشْرِيحِ وَالْإِتِّجَاهَاتِ الْعَقْلِيَّةِ ، مُحَصَّنَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْخِرَافَاتِ فِي الْأَدَبِ وَالتَّصَوُّرَاتِ وَمُرُورِيَّاتِ التَّارِيخِ وَإِنْ لِلْمَنْهَاجِ الدِّيكَارْتِي يَدًا بِيضَاءَ فِي التَّأْلِيفِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ ، الَّتِي اتَّسَمَتْ بِطَاوِعِ التَّجَرُّدِ وَالِاسْتِفَاضَةِ فِي الْبَحْثِ وَالِارْتِبَاطِ بِالْمَوْضُوعِ وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّنْسِيقِ وَالْأَصَالَةِ الْفِكْرِيَّةِ . وَمَا الْفُنُونُ النَّظَرِيَّةُ الْجَدِيدَةُ وَالتَّنْظِيمَاتُ الْإِدَارِيَّةُ وَالِاِقْتِسَادِيَّةُ الَّتِي تَعِيشُهَا الدُّوَلُ الرَّاقِيَّةُ الْيَوْمَ إِلَّا نَتَاجُ فِكْرِ فِلَسْفِي عَتِيدٍ .

وَالْبَرَهَانُ الضَّرُورِيُّ الْآخَرُ الَّذِي أُعْتِمِدَ عَلَيْهِ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْفَلَسَفَةِ أَنَّ الَّذِينَ حَمَلُوا عَلَيْهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا لَمْ يَقِفُوا عَلَى ثَبَتِهِمْ إِلَّا بِتَعْقِيدَاتٍ فِلَسْفِيَّةٍ فَمَا لَتَفَلْسُفُ أَمْرٌ لَا يَبْدُ مِنْهُ . قَالَ أَرِسْطُو - حَسْبَمَا نَقَلَ عَنْهُ الْمُرْجَمُونَ - : إِذَا لَزِمَ التَّفَلْسُفُ وَجِبَ أَنْ نَتَفَلْسُفَ ، وَإِذَا لَمْ يَلْزَمْ التَّفَلْسُفُ وَجِبَ أَيْضًا أَنْ نَتَفَلْسُفَ حَتَّى نُنْشِثَ عَدَمَ لَزُومِ التَّفَلْسُفِ (.

وَلَا بُدَّ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَقِيلِ الظَّاهِرِيِّ حَسَابُ خَاصٍ مَعَ الْقَصِيمِيِّ - وَقَدْ مَرَّ مَعْنَا فِي « الْمَعْجَم » أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ النَّجْدِيُّ ، وَأَنَّهُ حِينَ أَلَّفَ « هَذِي هِيَ الْأَغْلَالُ » لَقِبَ بِمَلْحَدِ الْقَصِيمِ - إِنَّ الْقَصِيمِيَّ بِاخْتِصَارِ نَجْدِيٍّ يَتَفَلْسَفُ وَكَأَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَتَّبِعُ مَعَهُ قَوْلَ أَرِسْطُو .

لَقَدْ أَطَالَ حَسَابَهُ مَعَ الْقَصِيمِيِّ بَدَأَ مِنْ ص ٢٨٣ . وَجَاءَ فِي التَّوْتُطَةِ (ص ٢٨٤) : (مِنْذُ نَشَرِ الْقَصِيمِيِّ) كِتَابَهُ « الْعَالَمُ لَيْسَ عَقْلًا » يَبْرَهُنَ فِيهِ عَلَى أَنَّ إِلَهَهُ الْمَادَّةُ الْعَمِيَاءُ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِخُطَابٍ مَفْتُوحٍ إِلَى الْمَادَّةِ ، نَشَرَ فِي كِتَابِهِ « كَبْرِيَاءُ التَّارِيخِ فِي مَآزِقِ » ثُمَّ أَخَذَ يَهْدِمُ أَدْلَةَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ بِقَدَمِ كِتَابِهِ « هَذَا الْكُونُ مَا ضَمِيرُهُ » ؟ ... أَخَذَ شَعُورَهُ يَتَكَاثَرُ بِخُطُورَةِ الْأَمْرِ (.

وَفِي ص ٣٠١ (بَعْدَ كِتَابِ « هَذِي هِيَ الْأَغْلَالُ » اسْتَقَرَّ فِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ

القصيمي في المجموعة التالية من كُتُبِه : « الإنسان يعصي لهذا يصنع الحضارات »
« فرعون يكتب سفر الوجود » . « كبرياء التاريخ في مأزق » . « هذا الكون
ما ضميره » ؟ « أيها العار إن المجد لك » . « العرب ظاهرة صوتية » . « العالم ليس
عقلاً » أو صحراء بلا أبعاد . « عاشق لعار التاريخ » . « أيها العقل من رآك » ...
ولي مع هذه الكتب وقفة ... وفي لاية ١٣/١٠/١٩٧٤ أهدى إليّ المؤلف جملة من
كتبه بمنزلي في (جاردن سيتي بالقاهرة ...) .

وفي ص ٣٠٢ : (ولقد قرأت كتب القصيمي بعد ذلك بتمعن فلم أجد فكراً
جديداً متحرراً من بصمات أساطين الفكر والإلحاد . وإنما وجدت طراوة أسلوب -
مع ضعف اللغة - والقدرة على المغالطة والإثارة) .

وبعد فأبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ظاهرة تكاد تكون خاصة فريدة
وكننت ذكرت في صلب « المعجم » أنه يتشبه بأبي تراب الظاهري ودافعي إلى ذلك
الغرابية عموماً ، والإغراب اللغوي خصوصاً ، أما هنا فأقول : إنَّ الفرق بين
الأدبيين الظاهريين كبير ، ويبدو لنا أن أبا عبد الرحمن أوسع أفقاً وعلماً ، وأعمق
في أشياء لم يطرقها أبو تراب ، وربما في أشياء طرقتها أبو تراب ومنها الظاهرية
ممثلة بابن حزم ... وأبو عبد الرحمن أصغر سنّاً ، وبمناخه الابن من أبي تراب .

ومع أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ونحن في الفقه والفلسفة نقف عند
« القائمة » التي مر ذكرها بالرسائل فنجد في رسائل الماجستير : أسس النظرية
الماركسية - عرض ونقد في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود
(١٤٠٠) ؛ والدين والفلسفة المادية في كلية الشريعة بمكة المكرمة (١٣٩٦) ؛
والمدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية في كلية أصول الدين أيضاً (١٣٩٩) .

ولابد من أن يكون قد جد بعد الـ ١٤٠٠ جديد ، ويكون الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل - على هذا - جزءاً من حركة عامة قد يعد هو طليعتها ... ورائدها .

ويسلمنا أبو عبد الرحمن إلى الفلسفة بعناها العام ، وإلى ما اشتغلتُ الحضارة

الإنسانية منها على مرّ الزمن ، ومن ذلك : علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الاقتصاد ، علم السياسة ... التربية ...

وإذا جئنا إلى هذه (العلوم) على أنها فلسفة أو من الفلسفة رأينا آثارها في المملكة لدى مُبْتَعَثِينَ أو دارسين على حسابهم في أوربة وأمريكا وبعض من البلاد العربية ... وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - نظرت إلى السعوديين أساتذة في الجامعات وفي المؤسسات ، ونظرت إليهم في المؤلفين : وأنهم ليجدون مكانهم في « معجم للمطبوعات » يبدأ بعد ١٣٩٠/١٩٧٠ وكنا تَشَبَّهْنَا تَحَبُّهًا بالدكتور حسن علي خفاجي في علم الاجتماع ، ثم لم يَلْبَثْ أن أَلْفَ وأصدر وثنتي عليه الدكتور عبدالله الخريجي ... ولا بُدَّ مَنْ مُثَلَّثٍ ومربّع ... وخمسة ومسدسة ...

والأمور في تطور وازدياد ... ومعها الكيمياء والفيزياء والطب والصيدة ... والطاقة ... والفلك ...

نكتفي - هنا - بهذا القدر من الخطوط العريضة للمسيرة الأدبية وبما تيسر لنا من موادها على القرب والبعد ، لنقول كلمة - على وجه الاختصار - عن الجوانب الأخرى من الحياة العلمية ومطبوعاتها ، وربما كانت خطوط من المسيرة الأدبية تفسر أموراً من الجوانب الأخرى وتلتقي وإياها ، وتسير معها متوازية ، متلاصقة أحياناً ... ضمن تطور جملة الحياة الحديثة في العصر الحديث .

التاريخ وعلم الأنساب :

وأقرب ما يذكر إلى الأدب : التاريخ ، وإذا بدأنا بنجد ، ونذكرنا النواة الحيّة في أديها : شعر النبط ، ذكرنا أن النواة الحية من التاريخ تركزت في الأنساب ؛ والعناية بالنسب جزئية لا يتجزأ من الحياة ما سادت القبيلة ، ولصق الناس بأرض معينة محدودة ، لا يكادون يبرحونها فيبعدون إلى الاختلاط بغيرهم ويدوبون في مجتمع حضري للمدن ... ولا يكادون يفتحون أبوابهم لغريب ... ومع النسب نسبة يحفظون ويروون ويُسْتَشْهَدُ بهم . ويظل النسب الهاجس الأول مع الإسلام

ومع ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ لأنه لدى أهله ليس نقيضاً للإيمان أو غفلة عن الإسلام ، ولكنها التقاليد والأعراف وطبيعة العيش .

ويمكن نقل علم النسابة من الحافظة إلى الورق ، ولا تعدم في المخطوطات ما يدل على هذا - وستطبع هذه المخطوطات وطبع الكثير منها الذي رأيناه في « المعجم » باسم التاريخ .

والنسب ذو صلة بالتاريخ ... فإذا قامت دَعْوَةُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت هي وما صاحبها من اتفاق مع آل سعود ، وما تخللها من غزوات ... عاملاً للتاريخ قد يقف عندها ويتوسع فيها ويزيد عليها ومن هذا وذاك كانت المخطوطات التي خلفها الفاخري ، وابن غنام ، وابن بشر ، وابن عيسى ... بانتظار من يتنبه إليها ، وينشرها كيفما اتفق أو محققة ، وهذا ما حصل على مرّ الزمن خلال الحدّين المحدودين للمعجم وبعد الحد الثاني فيما يخص الفاخري ، وما زال العمل مستمراً وربما عثر على مخطوطات عدّت في المفقودات ، وربما صرّحت الأُسُرُ التي تدخر منها ما تدخر ورائة فقدمتها لمن يهمهم أمرها خاصة بعد أن يطمئنوا إلى ما تكسبهم من مجد ... ولا تفضح أسراراً لقوم لا يناسب فضحهم في أبنائهم ...

النَّسَبُ وتاريخ المنطقة خلاله ، وتاريخ الدعوة ... أولئك شاغلُ أهل نجد .

وشغِلُ أهل الحجاز بتاريخ الإسلام والنبوة والخلفاء ، وكان من أبرز المؤرخين قبل ١٣٤٤/١٩٢٥ ودخلوا المعجم تمهيداً حيناً ، وأصلاً حيناً لدخول طبع كتبه في منظوق المعجم : أحمد زيني دحلان . ونجد في (التمهيد) أسماء أخرى ...

ثم جاءت التجربة العلمية في النشر على يد أديب - باحث فلسطيني هو رشدي ملحس إذ حقق - وجود في التحقيق - : « تاريخ مكة » للأزرقي .

وتقدم في التأليف أحمد سباعي فأحسن في « تاريخ مكة » وقد تكرر طبعه

دلالة على مكانته ، ولكن المؤلف لم يستطع السير بتاريخ مكة فيدخل العهد الذي عاصره جيداً وعاشه ولو استطاع لسدّ فراغاً كبيراً ، حتى لو عرضه بهدوء ولباقة لما يعرف عن المؤلف من أمانة وثقة بالرأي والتفكير مع تمكن من القلم وقدرة على اللغة - فهو أديب شيخ في الأدباء كما هو شيخ في التاريخ ...

وألّف حسين محمد نصيف « ماضي الحجاز وحاضره » فأصدر جزءاً ولم يصدر الثاني .

ولو ألّف والده الشيخ محمد حسين نصيف - وهو الذي عاصر العهدين على جانب كبير من النفوذ والوجاهة - لأدى خدمة كبيرة . ولكن المطلب صعب ... وفي مذكراته ومقالاته بعض الغنى .

وياحبذا لو نشرت مذكرات ظلت معلومة - أو مجهولة - منها ما كان لخير الدين الزركلي ، ومنها لفؤاد الخطيب ، ولا بد من أن يكون لغيرهما ما لهما .

وخدم التاريخ المعاصر آخرون ذكر منهم المعجم : فؤاد حمزة (لبناني الأصل) ، وحافظ وهبه (مصري الأصل) ومحمد عمر رفيع ... وفؤاد شاكر ، وعبد القدوس الأنصاري ، وأحمد عبد الغفور عطار ... وخير الدين الزركلي (سوري الأصل) - وكلهم عاصر الملك عبد العزيز وأعجب به غاية الإعجاب ، ومنهم من عاش في معيته .

ويُرَدُّ في المؤلفين حسين باسلامة وأمين مدني (توفي في ١٦ شعبان سنة ١٤٠٤ هـ) (١٧ مايو ١٩٨٤ م) ، محمد عمر توفيق ، محمد سعيد العامودي ... عمر عبد الجبار ...

ونذكر بصدد التحقيق « إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام » لعبد الكريم القطبي بتحقيق أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي . ونُحِيل إلى ما ذكرنا من كتب التاريخ مقرّنة بأسماء المكتبات ولا سيما المكتبة العلمية بالمدينة ، وإن كان

الذي يصدر عن المكتبات نشرًا فقط ، وطبعاً لمخطوط أو طبعاً لمطبوع ولا نبحت وراء ذلك عن تحقيق علمي — ولا بُدَّ من الانتظار ...

ولا بُدَّ من نصٍّ على اسم أمين مدني وقد رأينا عزمه وجهده في « موسوعة العرب في أحقاب التاريخ » وجرى فيها شوطاً ، ولكن المشروع ضخم ، وقد توفي في شهر شعبان ١٤٠٤ دون أن يتمه تاركاً قسماً مما أنجزه مخطوطاً ينتظر من يتصدى لطبعه — ولد أمين عبدالله مدني بالمدينة المنورة ١٣٣٠ هـ .

ولو عُدْنَا إلى نجد ، ولم تَعُدْ نجد في مهزل لوجدنا الشيخ حمد الجاسر عالماً في التاريخ — تاريخ العرب كله ، والجزيرة كلها — فهو علامتها ، وتاريخ نجد بخاصة ، ومن آثار عمق النجديّة فيه هذه العناية التي لا تنفك بالنسب ، ولعلها ازدادت و (تفاقمت) في السنوات الأخيرة استجابة لاهتمام القاريء النجدي بها ، وغير القاريء كذلك . ثم لا بُدَّ من تسجيل الحقائق قبل أن تزول شواهدنا .

والجاسر (مدرسة) إلى ذلك في التحقيق القائم على العلم الرصين الواسع والدراية العجيبة بفك رموز المخطوط ، ومن ثم نقل علم المخطوط إلى المطبعة الحديثة وقد زال من اللبس وصحح الخطأ ... من غير لغو في الحواشي ، وادّعاء لما لم يكن . بعد سعي طويل في البحث عن المخطوطات .

ولكن الشيخ الجاسر شُغِلَ بما قبل المعاصر عن المعاصر ، مع ثراء حياته ، وعمق علاقاته ونفاذ آرائه — أتراه يحتفظ بمذكرات يقول فيها كل شيء ، مما يرضي أناساً ويسخط آخرين ، ولكنه يَرْضِي الحقيقة على كل حال ، مع التحليل الذي يعرفه امرؤ عَرَكَ الأيام وخَبَرَ الأحداث عن قرب ، وسمع الروايات عن أفواه طاهرة ... ورائدُهُ الحقيقة .

وشغله « النسب » في الأيام الأخيرة ، ولقي كتابه « أنساب الأسر المتحضرة في نجد » نجاحاً لم يكن يتوقعه ، وفي ذلك دليل على أن مسألة النسب مازالت حيّة .

والقائمة تطول ونذكر - مع هذا - مؤرخ جازان محمد بن أحمد العقيلي ، ومؤرخ عسير هاشم سعيد النعمي . ولسنا بصدد الفهرسة قَدَرًا ما تكون بصدد النقاط الأساس والمراحل الرئيسة أو ما أشرنا إليه من الخطوط العريضة ...

وتقدم في البحث التاريخي جيل جديد تأمّل في العموم على الجيل السابق وانعكست عليه اهتماماته ، ولكنه اختلف - قليلاً أو كثيراً - بعد ذلك بدراسته الجامعية خارج المملكة وفي انكلترا خصوصاً ...

ويأتي في الطليعة الدكتور عبد العزيز الخويطر وفي قسم من رسالته تأليف ، وفي قسم تحقيق - وقد طبعا متفرقين متباعدين . الثاني منهما : « الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر » . والملاحظ أنه غير مركز تخصصه إلى تاريخ المملكة ...

ثم عاصرنا من الزملاء الدكتور عبد الرحمن الطيّب الأنصاري وقد عاد بالدكتوراه من جامعة ليدز ١٩٦٦/١٣٨٦ « دراسة نقدية ومقارنة لأسماء الأعلام للحيانية » وأبدى من النشاط في البحث والكشف درجة عالية ، وما زال كذلك .

وكان عبدالله بن صالح العثيمين آنذاك - فيما أذكر - قد أنهى دراسته في قسم التاريخ من كلية الآداب بجامعة الرياض مستعداً لبعثته إلى انكلترا ، وقد وفّاه حقها وحصل على الدكتوراه من جامعة أدنبره ١٩٧٢/١٣٩٢ : « محمد بن عبد الوهاب وأعماله » . وعاد الدكتور عثيمين نشطاً وأثنى الجاسر على جهوده مراراً تأليفاً وتحقيقاً ، وقد ترجم الدكتور رسالته ونشرها ، وهو الآن في الطليعة من المختصين وفي المقدمة من النشيطين .

ومن الفضلاء الذين عادوا أيام كنا نعمل في الجامعة : الدكتور محمد سعيد الشعفي برسالته : « الدولة السعودية الأولى » - جامعة ليدز ١٩٦٧/١٣٨٧ .

ثم عاد الدكتور عبدالله عقيل العنقاوي برسائلته : « تنظيمات الحج ودوره في عصر الماليك » جامعة كمبردج ١٣٨٨/١٩٦٨ ، ثم عاد الدكتور صالح محمد العمرو برسائلته : « الحجاز تحت الحكم العثماني ١٨٦٩ - ١٩١٤ » - جامعة ليدز ١٩٧٤/١٣٩٤ .

هؤلاء (بعض) ممن وصل إلينا خبرهم ، وغيرهم كثيرون - ويبقى العمل والنشاط في النشر والتأليف ، وفي ترجمة (الرسائل) في الأهل .

ويختلط التاريخ بالمواقع الجغرافية وبلغ في ذلك الجاسر المبلغ العجيب المدهش ، ويذكر في ذلك من الباحثين الكبار عبد القدوس الأنصاري ... وعبدالله بن خميس ... واختار الأستاذ عبدالله الناصر الوهبي - الأمين العام للجامعة الرياض في أيامنا - هذا الميدان موضوعاً لدراسته في انكلترا للدكتوراه ، وقد حصل عليها من جامعة لندن في يونية ١٣٨٩/١٩٦٩ وعاد برسائلته : « شمال الحجاز في كتابات الجغرافيين العرب ٨٠٠ - ١١٥٠ م » وبقي لنا أن ينقلها إلى العربية ويزيد بما هو أهله وماله من ذهّنٍ وقلم ...

وعدد العائدين المتخصصين بالتاريخ في تزايد ، وتفتح لهم الجامعات صدورهما وتحاول أن تُغريهم - كما تُغري أهل الاختصاصات الأخرى لتجتذبهم من سحر الإدارة ...

وللتاريخ نصيبه الوافي من المجلات ، وتكون مجلّتا « المنهل » و « العرب » ضرورياً من التاريخ ومن البحث التاريخي والنقد التاريخي فهما في رأس المراجع بل المصادر الحديثة ... وقلّت أكثر من مرة : إن « العرب » ليست مجلة كما هي المجلة في أذهان الناس من شرقيين وغربيين ، إنّهّا نَسِيحٌ خاصٌ ، إنها مجموعة كتب ، وقل مجلدات من كتاب واحدٍ ضخم في تاريخ الجزيرة ومواقعها وأنسابها ... وتصويب لفضائح وقع فيها الباحثون الآخرون والمحققون ... وقلناها - وأكثر - بقلم واحد ... لعلامة واحد .

ثم جاءت - بعد الحد المحدود للمعجم - « الدارة » ببحوثها الرصينة ...
ولا تنسَ المجلات الجامعية ... بل إن داراً للنشر هي « دار المريخ » في الرياض
(ص.ب ١٠٧٢) تولت نشر « العصور » وهي (مجلة نصف سنوية تُعنى بالتاريخ
والآثار والحضارة ... تصدر عن مكتبها في لندن) .

مع ملاحظة عامة ، هي أن المؤرخين ومحققي التاريخ وأساتذة التاريخ عُنُوا
أكثر ما عُنُوا - بالتاريخ الماضي ، والماضي القريب على وجه الخصوص وكلما
أرخوا الأحداث التي يعيشونها والمجتمع الذي يتطور أمام أعينهم ... على حين كان
السلف التجدي يؤرخ زمنه ، والسلف الحجازي همّ بذلك وكاد ... وكأنَّ
المؤرخين المعاصرين - على أصنافهم - تخلوا عن مهمة تاريخ عصرهم للصحافة
اليومية ولوزارة الإعلام . ومن يدري فلعلهم يؤلفون ولا ينشرون ولعلهم يكتبون
مذكراتهم التي ستحيل غداً تاريخاً ...

قلتُ : أريد أن أقفَ عند التاريخ طويلاً في تطوّر التأليف فيه والدرس
والتحقيق ... فلنذكر للدكتور الأنصاري فضله - عابرين - في التنقيب وما
أقام للتاريخ من جمعية ... ومتحف ... وجُهدَه في اكتشاف آثار (الفأو)
مع إحالة في أمور الآثار والتنقيب على وزارة المعارف .

ولنُشيرَ إلى أن أبا عبد الرحمن ابن عقيل لم يبقَ بمنأى ، فطفق ينشر سلسلة
دراسات ونصوص في البيوتات العربية الحديثة - « آل الجرباء في التاريخ والأدب » .
و « العجمان » و « أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء » .

وتنبّه الشيخ محمد علي مغربي - وهو أديب معدود في جيل رائد غابَ عنّا
مُدَّةً ثم عاد - إلى جانب من التاريخ يحفظ التقاليد التي آلت إلى الزوال ، ويترجم
- عن معاشة - لأعلام من المجتمع قدّموا خدمات لبلادهم ، فأصدر ما رأينا
من « ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة » و « أعلام
الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة » وما أحسبه استفاد رصيده ، فنحن بانتظار

المزيد ، وبانتظار أن يقتدي به مناظروه في أنحاء المملكة فينقلوا إلى الورقة مافي ذاكرتهم ونحزونهم عن المجتمع الذي عاشوا فيه والأحداث التي شهدوها ، والأعلام الذين واكبوهم - وذلك من أنفع وأطرف ما يكون . فهل ؟ أرجو .

ومن طرائف سبل البحث التاريخي الكتاب الذي أصدره كمال الكيلاني بعنوان « صور من حياة الملك عبد العزيز يرويها طلال بن عبد العزيز » - الرياض ، مطابع حنيقة للأوفست ١٤٠٢/ ١٩٨٢ ، ١٦٠ ص في ١٦ فصلاً . يبدو أن المؤلف قد أعد الكتاب من أوراق وتسجيلات صوتية عقدها مع راويته الأمير طلال بن عبد العزيز - عالم الكتب ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، ص ٤٧٦ .

وشرعت الجامعات السعودية تخرج حملة الماجستير في التاريخ ، وهناك القوائم بالخاصين على هذه الشهادة وبأسماء موضوعاتهم - تنظر مثلاً بمجلة « عالم الكتب » ...

ويلفت النظر - دون أن يكون مثار تعجب - إقبال المرأة على التاريخ ، أي التأليف في الموضوعات التاريخية للحصول على شهادة عالية داخل المملكة . ولك أن تُلقي نظرة على سلسلة « رسائل جامعية » من مطبوعات إدارة النشر في مؤسسة تهامة (جدة) لترى أمثلة ذوات دلالة :

« الحراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول » - ثريا حافظ عرفة .
« الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت » - موضي بنت منصور بن عبد العزيز .
« العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن » - أميرة علي المداح . « تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف » - فوزية حسين مطر . « الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة » - نورة بنت عبد الملك آل الشيخ .

هذا في قائمة تهامة . وطبعي أن يكون قد طُبِعَ لدى غيرِها غيرُها . وأوردت « عالم الكتب » مج ١ ع ١ ص ٢٢٨ : مديحه أحمد درويش - تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين . جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة (١٩٨٠م) - ٢٢٤ ص .

ولقيت « الصحافة » في المملكة تاريخها ورأينا من مؤلفيها في « المعجم » - وإن جاء التأليف بدءاً من حافة المعجم الأخيرة (١٣٩٠/١٩٧٠) ، فرأينا محمد عبد الرحمن الشامخ ، وعلي حافظ ، ومحمد ناصر بن عباس في كتابه « موجز من تاريخ الصحافة » الرياض ١٣٩١/١٩٧١ ، ومنصور إبراهيم الحازمي . ودخلت الدرس الأكاديمي في فروع التخصص فكان كتاب هاشم عبده هاشم : « الاتجاهات العددية والتنوعية للدوريات السعودية » . نهاية ، جدة ١٤٠١/١٩٨١ .

والذي أُلِّف في الصحافة قَسَمٌ ، وقَسَمٌ جيداً وقد تكلم الأستاذ علي حافظ عن تجربة ومعايشة ... وننتظر من الدكتور الحازمي الاستمرار في مشروعه .

ثم لا بُدَّ من مواصلة الدرس وتثبيت المعاصر جيداً بعد ١٣٩٠/١٩٧٠ تهيئةً دراسياً علمياً في حينه قبل أن يصير ماضياً .. شكلاً ومضموناً ... مع ضرورة البحث في العوامل المؤثرة بين التجارة والسياسة زيادة على الثقافة والعلم بأصول المهنة ...

المؤلفات العلمية ودور المرأة فيها :

وتتشعب المعرفة كما هو ضروري بتشعب الحياة الحديثة ومصادرنا ومراميها وتنوع اختصاص المبتعثين رسمياً أو الدارسين على حسابهم الخاص وتعدد الجامعات السعودية نفسها ، ولك أن تعدّ - فيما تعدّ - من هذه الاختصاصات ما بين (الإنسانيات) والعلم الصرف نظرياً وتطبيقياً ... التربية ، علم النفس - علم الاجتماع ، الجغرافية . المكتبات ... الكيمياء ، الفيزياء ، الرياضيات ، الطبوغرافيا . الصيدلة ، الطب ... الخ .

وكنا قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ لانكاد نرى شيئاً منها ، وما كان من متخرجين فهم الرواد والبداية ولم يكن من التأليف إلا النادر جداً وتشبّثنا باسمين أو ثلاثة من الكيمياء أو الرياضيات تشبّثاً ...

ونقول هنا : مع زيادة المتخصصين . وقيام الجامعات ... فإن التأليف في

المبادئ العلمية قليل جداً ، أقل من المنتظر دون شك . وماذا لو تَرَجَّم (الدكاترة)
وأصحاب (الماجستير) رسائلهم قبل أن تتقدم ... ؟! ولو حوَّلَ الأساتذة
دروسهم كُتُباً ؟ ويمكن أن يشمل السؤال أهل الجغرافية ... ونالت المكتبات
قسماً واضحاً وعناية متميزة ونذكر جهود الدكتور عباس صالح طاشكندي
والدكتور يحيى محمود ساعاتي ... وغيرهم كثير ...

ونالت المرأة نصيباً من هذه التخصصات ، محدوداً ولكنه يزداد .

وتمنح البلاد الماجستير في التربية ، ويمكن أن تلتقط في قائمة مطبوعات تهامة
سلسلة رسائل جامعية : « النظرية التربوية في الإسلام » - آمال حمزة مرزوقي .
« الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية » - ليلى عبد الرشيد عطار . « دراسة ناقدة
لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام » - فتحة عمر حلواني .

ولابدُّ من أن يكون قد صدر في غير تهامة غيرها ... جاء في « عالم الكتب »
مج ٤ ع ٢ : مائة محمد حامد الأفندي - « المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية
وتعليم المرأة » دراسة في اجتماعيات التربية ، مطبعة على المجتمع السعودي (مدينة
الرياض) . الرياض ، دار العلوم ١٤٠٣/١٩٨٣ - ٢٣٢ ص .

وجاء في « دابل الكاتب السعودي » : لعابدية إسماعيل خياط : « دور التعليم
العالي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمملكة العربية السعودية » ١٤٠٣ . وقد
يكون المخطوط أكثر من المطبوع ... رأينا لدى وقفة عند الجامعات حاصلات
على الماجستير في قضايا اللغة والأدب .

وذكرت تهامة كذلك : « تقييم النمو والنشوء » للدكتورة ظلال محمد رضا ،
و « التصنيع والتحضر في مدينة جدة » الأستاذة عواطف فيصل يباري .

والخاتمة إذ تؤكد نشاط المرأة ، وإذ تفرِّزُه عما سواه ، وتكاد تقف عنده في
نهاية كل اتجاه من اتجاهات المعرفة فضلاً عن الاتجاهات الأدبية ... لا لِيَتَفَرَّقَ

بين جنسين ... ولو كان هذا النتاج قد حصل كله - أو مثله - قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ لنخلفت أسماء النساء المؤلفات خلال أسماء الرجال حيث يحكم حرف الهجاء ، كما حدث مثلاً لسميرة خاشقجي ، و « ندا » ونجاة خياط ... أما هنا ، في الخاتمة فإن التمييز يأتي للدلالة على مدى التقدم ، والمرأة مقياس التقدم في مثل أقطارنا خاصة . التقدم عموماً ، وتقدم المطبوع خصوصاً وهو ما نحن فيه .

وفي الذي أوردته الخاتمة دلالة على ما لم نورده ، وعلامة إلى ما سيأتي ويكون . وليس من أغراض الخاتمة الاستقصاء ... وإن كانت ترحب به عندما يتهأ !

كَمْ نحن بعيدون عن جهلها أمس ! وعن نقاش بين حلال أن تتعلم شيئاً قليلاً وبين حرامه . وعجيب أن يجرى ذلك ، كأن لم يكن للمرأة في الإسلام مكان من التعلم والعلم ، ولم تكن في الأقل (شَهْدَة) في المحدثات اللاتي تلقين الحديث عن شيوخ وتلقى رجال الحديث عنها (ينظر عنها وفيات الأعيان لابن خلكان) .

وهي ليست غائبة في التراث القريب ولك أن تنظر - مثلاً - في « المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر » تأليف الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير ، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي ، وأحمد علي ، نادي الطائف الأدبي ١٣٩٨/١٩٧٨ ... تنظر فترى أم الحسن الطبرية - وطبريات أخريات كثيرات ، وفاطمة الزبيرية ، .

وما بالموضوع مَجَالٌ لإطالة فقد انتهى الأمر ووصل إلى ما يجب أن يصل إليه فإذا وجب تعلم المرأة حسن مع ذلك أن تكون معلمة ، والعلم لا يقف عند حدٍّ ، وإنَّمَا المهم صلاحه وفلاحه . وإذا كنت في تقاليد تحترمها وتحتجج خلاها من أن تعرض زوجتك على طبيب رجل ، أليس من الأجدى أن توجد المرأة الطبية ... وهكذا ، وهذا هو الذي حصل ... وإذا لم تفتح الجاهات السعودية أبوابها للسعوديات وَجَدْنَ أبواباً في العالم كله ... ولم تعد انكثرة أو أمريكا بعيدة المتناول .

هذا الذي حصل ، والخير فيما حصل ... وسيسير الأمر من حسن إلى أحسن ،
وفي شُعبٍ لا بُدَّ له من السير فيها ... ويكفي ما تنبّهت له الرئاسة العامة لتعليم
البنات من إنشاء الكليات اللازمة ، وما هو من شأن الانتساب وغير الانتساب .
أجل ، لقد تقدمت المرأة في مضمار العلم تقدماً ملحوظاً ، ومن العلم :
الكتاب ، أقول : ملحوظاً ، وهو أكثر من ملحوظ ، وأقولها ولو تصوره قبل
١٣٩٠/١٩٧٠ وقد تصورت شيئاً منه ، لما بلغت الذي تحقق .
ونترك الموضوع وقد نعود إليه .

عَوْدٌ إِلَى الفِلسَفَةِ :

وتسأل عن (الفلسفة) ؟ وأقول : إنك لا تجد كتاباً واحداً بهذا الاسم ،
وربما لم يكن في الجامعات كلها درس بهذا الاسم ومتخصص سعودي لهذا الاسم .
وأحسب أن الحذر في ذلك يعود إلى ما ترتبط به اللفظة من شؤون الفلسفة اليونانية
ثم الأوروبية على مرّ العصور ، وإلاّ فقد وُجِدَتْ في التاريخ الإسلامي ، ووُجِدَ
معها الفيلسوف المسلم أو المسلم الفيلسوف حتى أولئك العلماء الفقهاء كالغزالي
وابن حزم فإنهم كانوا (فلاسفة) من حيث لا يعلمون لأنهم طرّقوا موضوعاتها
ولكن من وجهة نظر خاصة وقل : إسلامية .

وخير ما يقال في هذا المقام ما نفيده من وجهة نظر الشيخ - شيخ الجامع الأزهر -
مصطفى عبد الرزاق في كتابه القيم : « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » الذي أثبت
أنّ المسلمين عرفوا الفلسفة وزاولوها على مرّ العصور ، زاولوها معنى ودلالة دون
الاسم ، وما الفقه إلا فلسفة ، وإذا شئت أن تدرس الفلسفة الإسلامية على حقيقتها
وأصالتها فتدوّنك الفقه الإسلامي ...

العلوم الدينية :

وللفقه حظّه في الدرس الديني والتأليف الديني قديماً وحديثاً ، خارج الجزيرة
وداخلها ، في غير السعودية ، وفي السعودية ...
والبحث في الكتاب الديني يطول ، و « المعجم » في قسط كبير منه - والقسط

الأكبر من عقود تاريخه الأولى قائم على مؤلفات الشيوخ والعلماء - ولم تكن كلمة العلماء لتطلق على غير الشيوخ المتبحرين في العلم الديني : من فقه وتفسير وحديث ... وقد رأينا مكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآله من الكتاب ... المطبوع . والشيوخ الآخرين . وفتح الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتحاً بالعودة إلى السلفية بعد أن دخل في التقاليد والعادات ما ليس من العقيدة ، والعودة تستدعي المحاجة ... وإطالة النظر في التراث (أحمد بن حنبل ، ابن تيمية ، ابن قيم الجوزية) ... وعلى نهجه سار آله وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه ... - وكثرت في ذلك الكتب ، وكان نصيب المطبعة منها كبيراً ...

وبدا ونحن في أوائل ثمانينات القرن الهجري / ستينات الميلادي - أن الكتاب الديني لم يعد على قوته وقد يظنه ظان قد توقف أو كاد . وقد تكون الرؤية خارجية أو نسبية : وأنها حصاة - أو تحصيل - لأن الكتاب الديني لم يعد وحده في الميدان - كما كان . فقد تكاثرت مطبوعات الميادين الأخرى من أدب وتاريخ وما إليهما . ثم إنك لم تعد ترى شيوخاً يؤالون التأليف مثل عبد الرحمن آل سعيدي ولا تجد تفسير للقرآن الكريم كالذي عمله ابن سعدي أو عبد الحميد الخطيب المكي أو فيصل آل مبارك . أما المشروعات الضخمة التي يتولاها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم في مطبعة أم القرى (الحكومية) فهي باقية ولكن ليست على النشاط التي كانت عليه . وأكثر ما في المكتبات كتيبات تبنت أغلبها مؤسسة النور للطباعة والتجليد . ولا شك في أن أكبر شيخين عالمين في المملكة هما : محمد بن إبراهيم آل الشيخ (سماحة مفتي الديار السعودية) ، وعبد العزيز ابن باز . وللشيخين الكبيرين مؤلفاتهما ولكنهما في جملتهما ليست بتلك التي تُضيف كثيراً إلى السياق الفقهي ، وأكثر ما فيها أجوبة عن أسئلة وفتاوى في قضايا يستفتي عنها الناس ... وقيل في الثناء على الشيخين أن علمهما فوق كتبهما ، وأغزر من كتبهما .

وكان في البلد مؤسسات دينية ذات طابع حديث هي المعاهد والكلليات ،

ولكنها إن كانت فاعلة في التدريس وتخرج المدرسين فإنها لم تكن كذلك في التأليف وطبع المؤلفات .

لأبْدُ إِذَنْ من التنبيه : وملاحظة مستجدات العصر والتوجه لها بمثلها ، ومن مستجدات العصر تعليم البنات فليكن إِذَنْ بشرط إشراف (سماحة المفتي) عليه ، وهكذا تَمَّ الأمر ... ومضى يتطور... فاكتملت الابتدائية واكتملت دُورُ المعلمات والثانويات ... وبانتظار المزيد دون انتظار لأيّ مظهر من مظاهر المقاومة التي برزت في أول الأمر .

وحصل المزيد من المستجدات في البحوث طبق منهج البحث .

وإذا كان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قد توفي يوم ٢٤ رمضان ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م وخلفه ولده إبراهيم (المولود - حسب Who's سنة ١٩٢٩ ، خريج كلية الشريعة ١٩٥٦ وقد صار وزيراً للعدل بعد برهة من إنشاء الوزارة سنة ١٩٧٥) .

فقد أسند للشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز « رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد » .

ولأبْدُ من (جامعة) فكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وكان مع الجامعة منهج البحث الحديث ، وعمادة شؤون المكتبات ، ومطبعة ، ومجلة ، ومركز بحث ، وسلاسل مختلفة من الكتب لمختلف الحاجات والأعمار غير الطبعة الكاملة لمؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤلفات ومحاضرات عنه ... ثم التدرج الحديث في سُلَّم العلم ، ومعنى ذلك الماجستير وقد أُحدثت الدرجة ونالها كثيرون في الشريعة واللغة العربية والقضاء العالي .

ثم الدكتوراه وقد أُحدثت كذلك .

وهكذا استأنف الكتاب الديني وجوده وحضوره ونشاطه واستعان بمنهج

البحث على أبعاد ما يناسب عقلية العصر والقاري الحديث ... أو ما صار معلوماً
أو ما لم تعد حاجة إليه من موضوعات تحريم حلق اللحى والدخان والسفر إلى بلاد
الكفر ... وحكم تارك الصلاة ... والرسم ... والتصوير الفوتوغرافي ، وشكل
الأرض ... والفضاء الخارجي .

وفي الإذاعة والتلفزيون وسائل لجواب السائلين . والشيخ ابن باز يتلقى الأسئلة
في كل مكان وزمان وعن طريق التلفون وجريدة الدعوة ويحجب عنها بإسهاب .

وفي الإذاعة منهج يومي دائم طويل العمر اسمه : (نور على الدرب) .

وقبل الشيوخ في ستينات القرن الهجري / ثمانينات الميلادي التلفزيون لما فيه
من نفع وما يمكن أن يستثمر عن طريقه ... ومضت البرامج تتوالى بين جدة والرياض .
ولقى افتتاح محطة له في القصيم (في بريدة) مقاومة لم تلبث أن أحبطت لأنها
لم تأت من شيخ كبير مسؤول ...

وهكذا تلتقي الأمور ... وإذا قبلنا الإذاعة ، وقد قبلناها فعلاً لما فيها من
نفع ومجالي استثمار ... فإن التوقيت الذي تسير عليه المملكة لا يؤدي الغرض في
الخارج الذي يسير على توقيت آخر ... فالتغيير الساعة ، وقد تغيرت بشرط
أن يُذكر الغروبي مع الزوالي والتاريخ الهجري قبل الميلادي .

هكذا ... ولم تعد حاجة إلى النص على كليات للبنات في التربية والآداب
والعلوم تابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات التابعة (سابقاً) لدائرة سماحة مفتي المملكة ...
مع قبول تلقيها العلم في الكليات الأخرى بأسلوب يناسب التقاليد وضمن مظاهر
الحشمة والوقار ... — وتتقدم المرأة إلى الماجستير والدكتوراه ...

وقد كان للتداول بين الحكومة والشيوخ ... — وقل : لما للأسلوب الحكيم الذي
يتفاهم به الملك فيصل مع مفتي الديار السعودية — أثره في حل المشكلات واتخاذ
القرارات ... وتنفيذها ...

الانسجام بين شؤون الدين وتغيرات العصر :

ونريد أن نتخلصَ إلى تكييفٍ ومساوقةٍ وانسجامٍ بين شؤون الدين والدنيا أي بين تغيرات العصر... وأعقب ذلك - فيما نتحن فيه من أمر المعجم - تجددٌ في نشاط التأليف ، وتوسع في دائرته ، وكان فيه التحقيق والبحث التاريخي والمناقشة الفكرية ولم يقتصر هذا على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ... فمنه ما كان في جامعة المدينة المنورة ، ومنه ما وسع الأفق خارج هاتين المؤسستين ... ويحضرني هنا اسم الأستاذ محمد حسن باجودة إذ حصل على الدكتوراه من انكلترا برسالة عنوانها « الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام » . تهامة ، جدة ، ط ٢ ، ١٩٨٣/١٤٠٣ - ٥٦٢ ص . وكانت من الجدة بحيث استوعبت القديم والجديد ، وفي القراء من حسِب المؤلف مستفيداً من مدرسة التحليل النفسي أو متأثراً بها ... - ثم كانت له سلسلة من التأملات في السور ...

وكان المؤرخ أو المحقق أو المتحدث يحذر الاقتراب من كتب ذات ارتباط بالدين فيما لا ترضى عنها الدعوة أو فيما كان فيها أو في مؤلفيها من مخالفة معروفة للدعوة أو صاحبها .

وقد كان للحذر دواعيه ... وخففت تلك الدواعي أو زالت ، وجدت نظرة لم تلبث أن حلت محلها ، فقد صار الرأي أن الحذر يُبقي الأشياء كما هي ، وخير منه نشر رأي المخالف مع مناقشته وبيان الخطأ والصحيح بصدده . ومثل على ذلك « كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » بخط ، أو من تأليف حسن جمال الريكي . الكتاب غير مرغوب فيه لأنه يقول في الشيخ ما لا يرضى . ولكن ذلك لم يمنع أن يحقق ويطلع كما هو - خارج السعودية ، وينفذ - بشكل وآخر - إلى السعودية نفسها مع كلام المحقق لا ترتضيه السعودية إذ وصف المؤلف بالعدالة الموضوعية وقول الحق أكان للشيخ أم عليه .

وهنا رأت السعودية الوجه الآخر لما كانت ترى الأشياء عليه ، أي أن تتبشى هي نشر الكتاب وتحقيقه مع التعليق على ما فيه من أحداث وآراء ، وهو ما جرى

بأمر من وزير المعارف - الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ - بأن يتولى المهمة الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ففعل ، وصدر الكتاب عن دار الملك عبد العزيز (١٣٩٦) .

أعداء الدعوة ومؤلفاتهم :

ولقيت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في حينها على الأقل - الأعداء ، كما لقيت الأنصار ، وفي الأعداء من هم قريبون من الشيخ نفسه ، نجديون كما هو نجدى . وإذا كان وجود هؤلاء الأعداء حقيقة - وهو ما يحصل في كل دعوة وحركة - فإن القائمين على شؤون الدعوة كانوا يحذرون الاقتراب من الأعداء ، ويتجنبون ذكرهم وربما حرموا ذلك على غيرهم أو حَظَرُوهُ . وهذا يحدث - كذلك - في كل دعوة ويبدو مقبولا طبيعياً ، ولكنه لا يستمر حتى النهاية ، فلا بُدَّ من يوم تبدل الظروف ويمكن إعلان الحقيقة كاملة دون خوف أو وجل . وهذا ما حدث فعلاً .

ومن أبرز المعادين : الشيخ عبد الله بن محمد بن حُصَيْنِد صاحب كتاب « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » . كنتُ أعثر - أحياناً - باسمه أو باسم كتابه فلا أجد من يزيدني علماً به ، وأعجب من ذلك أن يذكر كتابه هنا وهناك وربما استشهد بسطور منه ، ويبقى - مع ذلك - مخطوطاً ، عُرْضَةً للتلف ، وأكثر ما يثير الاهتمام أنه في طبقات الحنابلة ، والعنوان يدل على انسجام المؤلف والمذهب ، وهو حنبلي ولاشك . والشيخ محمد بن عبد الوهاب حنبلي .

وجاء الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ يؤلف كتاباً قيماً ذا نهج حديث في التعريف بمشاهير علماء نجد ، فرأيتُه ينقل عن صاحب « السحب الوابلة » ورأيتُ أكثر من حاشية تقول : جاء في « السحب الوابلة .. » وهذا يعني - عندي - أن الكتاب ليس مُحَرَّماً ، وإلاً فكيف يذكره الشيخ وهو من آل الشيخ . وربما رأيت له ذكراً كذلك عند الشيخ حمد الجاسر مع حذر ماحوظ .

ويتقدم شيخ آخر ، عالم فاضل ليؤلف كتاباً ضخماً مهماً بعنوان « علماء نجد

خلال ستة قرون « هو فضيلة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام - العضو القضائي في محكمة تمييز الأحكام الشرعية - فإذا به يفتح - منذ المقدمة - صدرأً أوسع من المعتاد ، ويقدم رأياً لم يكن مألوفاً ، لا لأنه مقتنع بما قاله الأعداء منسهل في متابعة الأنصار ، وإنما (العلمية) في منهجه ، فكتابه « علماء نجد » وأولئك المعارضون علماء على أية حال ، وكل ما في أمرهم أنهم علماء معارضون ، ولا تتم للكتاب المطابقة بين الاسم والمحتوى دون الوقوف عندهم ، رلاً بأس بعد ذلك من أن يبين موقفهم ، وقد يبين الإيجاب في علمهم إذا رآه . وللقارى أن يرى رأيه .

قال في المقدمة (ص ٢٠ - ٢١) : (... ثم إني في كتابي هذا ترجمت لعلماء كثيرين ممن عارضوا الدعوة السلفية (...) ترجمت هؤلاء المعارضين المعادين لا لرصاً لمذهبهم ولا ارتياعاً لمسلكهم وإنما ذكرتهم لأني مؤرخ يجب عليه أن يسجل ما جرى ويُدوّن ما صار ، ولا يتمكن من تعديل المنحرف ولا تقويم المعوج ثم إنّ اعوجاج مسلكهم وانحراف طرقهم لا يحملني على رميهم جميعاً بالجهل وقلة التحصيل العلمي وهم على خلاف ذلك فقد بلغ بعضهم من العلم مبلغاً كبيراً ولكن استيعاب العلم شيء والاهتداء به شيء آخر ...) .

هذا نمط من (العلمية) فيه فتح لباب .

وسأل (ص ٢١) : (لماذا خصّصت التراجم بعلماء نجد ؟ وأجاب : (... يعلم الله تعالى أنني (والحمد لله) من أبعد الناس عن العصبية الضيقة والمذهبية والوطنية المحدودة حين خصصت هذه التراجم بالعلماء النجديين دون غيرهم من علمائنا في الحرمين الشريفين أو في الأحساء وفي غير ذلك من أنحاء بلاد الحبيبة العزيزة ...)

وهذا نمط من (العلمية) يتسق مع الباب السابق . ويتسق مع العقلية التي صار إليها الجيل الجديد المعاصر . بل يطلبها . بعد أن زالت الدواعي على الأقل . فلو ترجم الشيخ البسام لعلماء وأهل علماء لما رضي منه العصر ، وربما لقي

الاعتراض عليه . ولو لم يبين السبب العلمي الصحيح لعنايته بعلماء نجد ... لكن في المؤاخذة من يطالبه بالسبب أو يظن به الظنون .

وهنا ، هنا يأتي الجواب الذي انتظرته طويلاً كلما (عثرت) بكتاب « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » أو بمؤلفه (ابن حُمَيْد) فمن هو ؟ ولم لم يُنشر كتابه ؟ الجواب في ٨٦٢/٣ - ٨٧٠ : (الشيخ محمد بن عبدالله بن حُمَيْد : ... نشأ في بيئة علمية فنشأ محباً للعلم ... سافر إلى مكة للترود من العلم ... ثم سافر إلى اليمن ومصر والشام والعراق فأخذ عن علماء هذه الأنظار ... ثم عاد إلى مكة ... عُيِّنَ لإمامة المقام الحنبلي في المسجد الحرام وإفتاء الحنابلة فيها وكان معظماً ... وقد أُنْتِنَى عليه علماء عصره ومن بعده ...) . ما تقدم هو الصحيفة البيضاء ... أما الحياة القائمة والصحيفة السوداء فهي أن المترجم بحكم وظيفته تبسّع الدولة العثمانية التي حاربت العقيدة السلفية ... فإنه في مؤلفه - « السحب الوابلة » - قد ضرب صفحاً عن الترجمة لأنصار الدعوة بل لم يكتف بهذا القدر حتى تناولهم بالتجھيل والتضليل عند كل مناسبة ... - توفي بالطائف ... عام ١٢٩٥ ... » .

لم يحدد الشيخ البسام المعارضين في مقدمة كتابه ، ولكنك تجدهم في درجة على حين لا تجدهم في كتب أخرى منها كتاب الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ . ومن أولئك : محمد بن عبد الرحمن ابن عفاق ومحمد بن عبدالله بن فيروز ، والشيخ محمد بن علي بن غريب وقد أعاد إليه بالوجه العلمي كتاباً طبع منسوباً - خطأ - إلى الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، هو الكتاب الذي طبع باسم : « التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق » .

وهناك مسألة حساسة جداً يتجنبها الباحثون من قبل ، ويحاولون أن يصفوها ضمن تجنبهم وبعميل من حساسيتها بما لم تكن عليه ، تلك مسألة موقف أخي الشيخ من أخيه أي موقف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ فقد كان منافياً للدعوة . وهذا ما لا نقاش فيه ولكن الباحثين

يعرضون الحال على أن الشيخ سليمان رجع عن منافاته واعتذر إلى أخيه ، وهم يرون في ذلك إرضاءً لحُماة الدعوة والمتنفذين فيها ... أما الشيخ البسام فلم يقع فيما وقع سابقوه ، وكان أكثر صراحة وجرأة فأثبت أن الشيخ سليمان ظل على منافاته ولم يرجع عنها ولم يعتذر - وهذا ما كان صعباً أن يقال كما قاله الشيخ البسام - ينظر البسام - « علماء نجد خلال ستة قرون » .

وكثر نقل الشيخ البسام من كتاب « السحب الوابلة » والاستشهاد بنصوصه ... ولم يخالف في فعله ورأيه جهة دينية عليا ، ولم يقدم كتابه إلى الطبع إلا بعد أن (أجزى طبعه من رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ... بتاريخ ٢٠/١٠/١٣٩٤ هـ) - والرئيس هو الشيخ عبد العزيز بن باز .

ولم يَعدْ ، إذنْ ، كتاب « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » للشيخ محمد ابن عبدالله ابن حميد في موضع [النهي عن] الاقتراب منه والأخذ عنه والانتفاع به . ثم لم يَعدْ الكلام على من نابذوا الدعوة أو عادوها في موقع الخوف .

ونعود إلى الشيخ حمد الجاسر وهو الذي عرف « السحب الوابلة » جَيِّدًا ، وتابع اتساع النظرة ، وأعجبه « علماء نجد خلال ستة قرون » ... فإنه خطأ خطوة أخرى بأن استل من « السحب الوابلة » كتاباً كاملاً نشره في « العرب » (س ١٢ ص ٦٤١/٧٣٦) .

وهكذا صار « السحب الوابلة » حقلاً محروثاً ، وصار ابن حُمَيْدٍ اسماً مألوفاً ... ولم تبق إلا الخطوة الأخيرة في تحقيقه ونشره كاملاً ... كما نشر الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ « كتاب لمع الشهاب » . وإذا لم يتولَّ تحقيق « السحب الوابلة » محقق من أهل الدعوة ربما تولاه من ليس منها كما فعل أبو حاكمة في « لمع الشهاب » .

والمهم المهم في هذه المسيرة بيان الأفق الذي اتَّسع إليه البحث الديني ، والمنهج

الحديث الذي أخذ به ، ولو لم يفعل ذلك لصعب أن يكسب العوذ الذي كسبه من الأجيال الجديدة . والمهم المهم في عالم « المعجم » ما انبثق عن هذه الحال من موضوعات وكتب ورسائل ... وإن كان ذلك بعد الـ ١٣٩٠ / ١٩٧٠ على وجه الواضح ...

اتساع مجال التأليف (دائرة معارف) :

ويعضي الطموح بالمؤلف السعودي إلى حدود بعيدة بعد أن تشعبت تيارات التأليف ، وكثر المؤلفون ، ومنهم من ألف بالانكليزية . ومنهم من ترجم عن الانكليزية ، ومنهم من ترجم إلى الانكليزية . والقافلة سائرة . ورأينا النوادي الأدبية وما يرتجى منها ، و (المجمع) المنتظر ... والجامعات ... وكأن آن الأوان لعمل ضخم جامع تتعدى مادته حدود المملكة جغرافية وتاريخاً ، وهو مشروع (دائرة المعارف العربية الإسلامية) وقد بدأت الخطوة الأولى منه بتأليف اللجنة التأسيسية من الدكتور أحمد محمد الضبيب ممثلاً عن جامعة الملك سعود . والدكتور محمد الرتيب عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والأستاذين عبد العزيز الرفاعي وعبدالله حمد الحقييل . اللجنة محترمة ينتظر منها الجدل ثم لا بد من التنفيذ . وإلا فقد سمعنا عن مثل هذه المشروعات في أقطار أخرى . ولا يصعب على دور النشر المحلية تنفيذ المشروع . ويكفي أن يكون فيها مثل (تهامة) و (الشروق) .

التناسق في اوجه الحياة العامة :

نلاحظ في خلاصة خطوط الخاتمة التوازي والتلاقي في خطوط الحياة للمملكة العربية السعودية ، الحياة العامة وفيها العمارة والتجارة والبترول وتحلية مياه البحر وراحة الحاج وتنظيم مياه زمزم وشق الطرق ... ونشوء وزارات جديدة ، ودخول (دكاترة) في الوزارات ... ، وما هو من الحياة العامة في الرياضة وكرة القدم . والإذاعة والتلفزيون ، والفنون التشكيلية (والمسرح) والجمعية العربية للثقافة والفنون والنوادي الأدبية ، وما هو من الحياة الخاصة بالمعنى الذي نريده لموضوعنا في التأليف : الأدب ، التاريخ ، علوم الدنيا ، علوم الدين ، الجامعات ، البعثات ، عمادات شؤون المكتبات ، وما هو مرتبط بالعام قائم على الخاص : الطباعة ، الصحافة ، مكتبات السوق ، دور النشر ... ولا يجري شيء في البلاد داخلاً

وخارجاً دون علم السلطة العليا وتوجيهها ومتابعتها . وكل يجزي بقدر مقدر ...
وقد أسَّسَ هذا عبد العزيز منذ البداية . وكان واضحاً أيام فيصل .

وربما خفيت هذه الحال من التنظيم المدني على كثيرين في الخارج . وربما
جهلها هؤلاء الكثيرون وبقُوا على انطباعهم عن الصحراء والبدواة .

أذكر مرة أن جامعة الملك سعود تعاقدت ذات يوم من عام ١٣٨٣/١٩٦٣
تعاقداً شخصياً مع أساتذة انتدبتهم ، ومضى هؤلاء الأساتذة يؤدُّون واجِبَهُمْ
سنة بعد سنة .

وغازط ذلك التعاقد أعداء هؤلاء الأساتذة في بلادهم ، فأجمعوا أمرهم وتعاقبوا
على فترات متقاربة ولمناسبات مختلفة (يخوفُون) المسؤولين في المملكة مغبةَ
التعاقد ، ويقدمون في ذلك أسباباً مختلفة حيناً . ولا تضير الجامعة حيناً ...
ويظهرون بمظهر الناصح المخاض الأمين ... فما اقموا أذنأ صاغية . وكان المسؤولون
يُرحَّبُونَ من صدورهم إزاء ما يسمعون ، وربما قالوا لهم : أليكم بقية منهم ؟
ولم يكفُّوا حتى بلغت الحال إلى ما لا بُدَّ معه من الجواب البليغ .

وكان الجواب :

— وماذا تحسبوننا ؟ أغافلون نَحْنُ عن أمورنا ؟ (...) إننا نَعْتَرِزُ هؤلاء
الأساتذة ، وقد راقبناهم فما رأينا منهم إلا الخير وخدمة الجامعة خدمة حقّة .

روى المسؤول ذو الجواب البليغ الواقعة كما هي في لقاءه مع أولئك الأساتذة
وهم يزعمون العودة إلى بلادهم بعدما تبيَّنت إقامةهم على خمسة الأعوام . وزاد
في عبارات التكريم ما قد تأتي مناسبة لذكرها .

تجري أمور الدنيا في المملكة بعلم وتخطيط وتقدير بما يجب أن يكون قبل
فوات الأوان ، وبالأسلوب المناسب ضمن الظروف القائمة والحاجة إلى توطيد
الحكم .

أما أمور الدين فهي بيد أهلها ولكن « المملوكة » منذ أيام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لدن التفائيه (سنة ١١٥٧هـ) في الدرعية بأمرها (الإمام) محمد بن سعود ، شركة وتكاتف . ومن هُنَا كانت حكمة الملك فيصل في المداولة مع مفتي الديار السعودية من آل الشيخ ، والحكمة في إيصال ما يحسن أن يكون وَيَقْتَنِعُ به الشيوخ ، ومن ذلك ما رأينا من تعليم البنات وإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات تابعة لمفتي الديار ، والتلفزيون ، والساعة الزوالية في الإذاعة مع الغروبية (العربية مع الغربية) ، والتاريخ الميلادي مع التاريخ الهجري ... وأشياء كثيرة في الجامعة والمعاهد ، وفي المطبوعات والمؤسسات الصحفية ... واستمرت القاعدة ... ولا تلبث البذرة أن تنبت ، والنبت أن يُثْمِرَ ، والثمر هو ما تراه مرتفعاً عن تربة تراها حيناً ولا تراها أحياناً .

نشر الكتاب وطبعه :

والمفروض بالعام أن يكون رسمياً ، وهو كذلك في صحيحه وغالبه بمعنى أنه تابع للدولة في وزارتها أو رئاستها ومؤسساتها التابعة لمجلس الوزراء ، فهي التي تخطط له ، وهي التي تصرف عليه وتقيم أودته مالياً بالقدر الذي ترسمه ... وهذا ما هو حاصل ، وقد كنت أترى في البداية ما طُبع على نفقة الملك عبد العزيز ... والملوك والأمراء بعده ثم كانت وزارة المعارف ، ووزارة الإعلام ، والجامعات ، ... والزراعة والعدل ...

والمفروض بالخاص من موضوعنا في الكتاب وطبعه أن يكون أهلياً ، وهو كذلك ، فالمؤلفون من أدباء ومؤرخين ... وفقهاء يختارون موضوعاتهم ويرجعون إلى مصادرها ، ويسودون ويبينون .

ثم تأتي مرحلة الطبع أو التفكير الجدّي بالطبع ، وكانت مرحلة صعبة في تاريخها الأول . فما في البلاد مطابع تذكر ، والموجود قليل جيداً ومُكَلَّفٌ جيداً ويبقى بعد ذلك طريق الطبع في الخارج : مصر ، سورية ، لبنان ... وما هو بالطريق المتيسر فتكاليفه باهظة ، والمؤلف تحت رحمة أصحاب المطابع في الابتزاز واضطراب المواعيد ... والعلم الأكيد بقدر من الخسارة المالية في نهاية المطاف .

قال أحمد سباعي : (... إنَّ الأديبَ ضائعٌ ، وأخْصُ بالذِكرِ منهم إخواننا المؤلفين . (...) إن المؤلف منهم يُرْهِقُ أعصابه شهوراً أو سنواتٍ إذا اقتضى الأمرُ حتى إذا انتهى من التأليف والطبع تحوَّلَ إلى سائلٍ يستعطي من يُساعده على الثراء ، لا ليتقاضى أتعاب الشهور والسنوات التي عاناها في التأليف بل حسبه أن يستعيد ما أنفقَه كَرَأْسَ مال .

إن استعادة رأس المال يا إخواني دونه خَرَطُ القتاد ، فأكثر المؤلفات لا يَسْتَفِدُ ربعها أو نصفها إلاَّ بعد جهد شاق (...) لهذا فهو ضائع ... وهو خَلِيقٌ بالتشجيع (...) - « سباعيات » / ١١٧ - ١١٩ .

وقال في مكان آخر (« سباعيات » ٨٣/٢ - ٨٦) : (... كنت أتمنَّى لو أجدُّ من يثبت لي أن مؤلفاً أديباً واحداً في بلادنا استطاع أن يظفر بنصف ما أنفق على طبع مؤلفه لِأَقِيسَ وإياه الحجة على خطإ كل الأدياء وقصورهم عن إبراز ما ينتجون .

إنَّ بلادنا لا تبِيع المؤلفات إلاَّ في نحو أربع مدن وبضع قرى كبيرة لا تتجاوز أصابع اليد ، وإنَّ معدَّل ما يباع في كل مدينة لا يتجاوز مئة نسخة لأديب سارت باسمه الركبان — كما كان يقول أجدادنا القدامى — وضجَّت الصحف بشهرته كما يتحدث شبابنا المحدث . (...) لقد صدرت الطبعة الأخيرة من « تاريخ مكة » وساعدني في الإهداء الواسع — والحمد لله — على نفادها . وصدرت لي بعدها عدة مؤلفات أهديتُ منها وبعثتُ بعضها وعندما شكَا نفر من سعرها أعلنت التخفيض شهراً كاملاً فلم يحقق ذلك ما يصح أن يسمى رواجاً . ومع هذا استطيع أن أوكد أن حظِّي من رواج الكتب ربما فاق حظ البعض فكيف حال هذا البعض (...) .

وشكا السباعيُّ من الاستهداء ، وكثرة الذين يرون من حقهم أن تُهدى إليهم

النسخ ...

والسباعي شاهد عصره . والحال التي عرضها هي التي كانت السائدة ، وتُرىنا من ثمَّ سَبَباً للأدباء الذين أداروا ظهورهم للأدب مبكراً في وظيفة رسمية يحصلون عليها قبل فوات الأوان ، أو في مهنة حُرَّةٍ تَصِلُ بصاحبِها إلى أن يكون تاجراً مرموقاً ...

ولم تكن الشكوى خاصة بالسباعي ... فلا بُدَّ من أنها كانت قاسماً مشتركاً بين أحاديث الأدباء ... ومادة للنشر عند الحاجة ، ورأيُنَا للأستاذ حسين سرحان شيئاً منها ...

وظل الموقف من الكتاب السعودي قائماً على الفتور ، وربما الاستهانة . لمدة طويلة ، وعلى أيدي أصحاب المكتبات السعودية أنفسهم فيما يستوردون ويعرضون . ويرفضون ... وقد رأيتهم خلال إقامتي في الرياض (١٣٨٣ - ١٣٨٨ / ١٩٦٣ - ١٩٦٨) لا يحفلون بالكتاب السعودي ، ولا يفتحون له نافذة في معروضاتهم . ولا يكادون يُلبَّسُون أيَّ طاب له ... وقد شغلوا بالمطبوعات اللبنانية والمصرية عن المطبوع السعودي حتى عن الكتاب السعودي المطبوع في الخارج ! وكم سألت عن دواوين أحمد قنديل - وهي حديثة الطبع في لبنان - فما رجعت من السؤال بطائل ! فكيف الآخرون ؟ !

وحين عاد الدكتور عبد الرحمن الشامخ بعد انتهاء دراسته في انكلترا وتعيينه في كلية الآداب بجامعة الرياض صدمه الموقف فكتب سنة ١٣٩٢ مقالة بعنوان (كاتب الحي) جاء فيها : (إذا رأيتَ ما تعرضه المكتبات التجارية في بلادنا حَسِبْتَنَّا أُمَّةً لا تسهم في القول إلا قليلاً . وإذا بحثت عن مؤلفات رجال الفكر والأدب عندنا فلن نجد منها إلا بضعة كتب ألفت بها أيدي المكتبيين في ركن قصي من أركان مكتباتهم ...) - وفي العنوان إلماح إلى القول المشهور المأثور : مغنية الحي لا تطرب ..

الحال مؤلمة مزرية ، حال هو ان الكتاب السعودي على أهله السعوديين ، ولكنها

تُرِيئُشًا — كذلك — فضلَ الذين ثبتوا في الميدان ... ومواصلة (النضال) رغم الحسارة ... وحتى يصلوا إلى الحال التي تليق بالمؤلف ... وقد وصلوا فعلاً ، ومتهَدُّوا السبيل لجيل من أبنائهم . ومنهم ، وفي مقدمتهم السباعي نفسه . أَلَمْ يُعَدِّدِ المؤلفات ؟ ألم يطبع تاريخ مكة ثلاث طبعات ... ويصل في آخر المطاف إلى إعادة طبع أكثر مؤلفاته — ثم كانت الجائزة التقديرية التي منحتها الدولة هذا العام (محرم ١٤٠٤ / ١٩٨٣) لثلاثة هم السباعي والجاسر وابن خميس . والجائزة ضخمة مادياً ومعنوياً .

لقد عَانَى الرُّوَاد كثيرًا في سبيل توطيد التأليف والطبع ، ورأينا السباعي نفسه يصير صاحب مطبعة (مطبعة قريش) ... ومثله كانت معاناة الآخرين ، ولنا أن نقدِّر صبر الأنصاري وهو ينشيء « المنهل » ويعمل على إقامة أودها وتثبيت أركانها وقد استطاع . ولا بُدَّ من قابلية خاصة لديه واستعداد مبكر وإلا فهو يحدِّثنا عن أثر مبكر لديه هو « التوأمين » : الرواية الأولى التي صدرت في المملكة سنة ١٣٤٩ / ١٩٣٠ ، طبعها في دمشق — مطبعة الترقى بالقيصرية . وكان عدد النسخ التي طبعت منها ألفي نسخة نفدت كلها في ظرف ثلاثة أعوام ..

ولنا أن نَعُدَّ هذه حادثة شاذَّة لا تُتمثل القاعدة أبدًا ، ولا بُدَّ من أن يكون في عوامل رواج الكتاب المغربي التربوي الأخلاقي الوطني وضرب من (الدعاوة) العلمية له إذا استنفر له إدارات المعارف .

كان لا بُدَّ من الطبع في الخارج ، وكانت مصر أوَّل ما يَتردُّ على البال . ورأينا أول مطبوع هو « أدب الحجاز » تأليف محمود سرور الصبان سنة ١٣٤٤ / ١٩٢٥ بالمطبعة العربية في القاهرة لصاحبها : خير الدين الزركلي ...

وتوالى الطبع ... في مصر . ويتردد اسم مطبعة المدني ، مطبعة الباني الحلبي (دار إحياء الكتب العربية) ، مطبعة الإمام ، دار القلم ، دار الكتاب العربي . مطبعة مصر شركة مساهمة ، دار التأليف ، دار سعد ، دار مصر للطباعة ، السعادة ،

دار النيل ، دار المعارف ، ممفيس ، دار الفكر العربي ، الأخبار ، الرسالة ،
الفجالة ، الجبلاوي ، دار وهدان ، العربي ، الناشر العربي .

وكان للمنازل والمطابع دور كبير في طبع الكتب الدينية خاصة ، عادت على
المطبعين بالربح الوفير .

ولم ينقطع الطبع في القاهرة ، ولكنه تضاعف كثيراً كثيراً . ومن أسماء المطابع
المتأخرة : دار الجليل ، دار الاعتصام ، الدجوي ، دار العالم العربي .

ولدمشق مكان مبكر يذكر ، وقد رأينا طبع « التوأمين » بمطبعة الرقي ١٣٤٩ /
١٩٣٠ واحتفظت الرقي بنسبة كبيرة ثم الهاشمية لصاحبها محمد هاشم الكتبي ،
وابن زيدون ، والمطبعة العمومية ، النضال ، زيد بن ثابت ، دار البيان ، خالد
حسن ، اليقظة .

ويسمى (المكتب الإسلامي) سعيًا دينيًا فيبلغ ...

وفي بيروت : دار الكتب ، دار العلم للملايين ، المكتب التجاري ، دار
الثقافة ، دار الفكر ، دار مكتبة الحياة ، الكشاف ، المكشوف ، القباني ، الوفاء ،
دار العودة ، مؤسسة الرسالة ، دار الآفاق .

وتضاءلت المطابع الهندية منذ السنوات الأولى ، وانقطع ذكرها انقطاعاً تاماً .
وتذكر « النجف » في العقود الأولى . ولم تنل (العواصم) الأخرى إلا في حدود
كتاب واحد : بغداد ، طهران ، عدن ، في وقت مبكر . ثم الدوحة بعد ١٣٩٠ /
١٩٧٠ .

وجرت في السنوات الأخيرة محاولة لإصدار سلسلة من الكتب السعودية في
تونس ، ومن ذلك ما صدر لطاهر زغششري وعبدالله جفري ومحمد أحمد باشميل .
إنَّ الحاجة إلى الطبع خارج المملكة أصبحت أقلَّ من القليلة ؛ فلقد تعددت
المطابع في المملكة ، وتوافرت هياتُ أحدث وأرقى وسائل الطبع ... زدْ على
ذلك ما قام في المملكة من دور للنشر لها مؤهلات الدور الحديثة بما في ذلك ما تُسهله

لمؤلف من أمور الطبع ، وما تحقّقه له من حصة الربح المالي ... — لقد بلغت المطابع ودور النشر إلى ما لم يمتدّ إليها خيال الذي يُعنى بالكتاب السعودي ، وهو في ثمانينات القرن الهجري / ستينات القرن الميلادي ... ولا تسَلَّ عمّا جرى في حوالي القرن الخامس عشر الهجري قبيله وبعده ... وفي جدول عمله الأستاذ يحيى ساعاني (عالم الكتب مج ٤ ، ع ١) لحركة التأليف والنشر في المملكة خلال عام ١٤٠٠هـ يبيّن أن الذي طبع خلال ذلك العام خارج المملكة (٤١) عنواناً من أصل ٣٣٥ أي ما يساوي ١٢٪ وأحسبها الآن لا تزيد على ١٪ غير قليل .

ونعود إلى ما كنا فيه حيث تركنا المؤلف السعودي يعاني (الأمرين) من الطبع ، وأقل ما في عوامل المرارة قلة المطابع الوطنية ، وضعف إمكانات الموجود منها ، وارتفاع التكاليف . أجل ، لقد امتلك الأهلون — تدريجاً — وسائل الطبع والنشر ، وقد رأينا جمعاً من هذه الكتب وعليها أسماء المؤلفين وأسماء المطابع ، والمكتبات ... والناشرين .

هذا حاصل ولاشكّ ، ومن المؤلفين من يعتمدون على أنفسهم اعتماداً كلياً في الصرف على الكتاب اعتمادهم عليها في التأليف — وهذا أعلى الدرجات فيما نحن فيه ضمن النظام القائم — وهو حاصلٌ فعلياً على وجهٍ يذكر ، وقد أورد على سبيل المثال — المثال فقط — مؤلفات الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، ومؤلفات الأستاذ حمد الجاسر ، ول هؤلاء نظائر جزءاً أو كلاً وإن كنا نرى القاعدة أكثر انطباقاً على مؤلفين من طبقة الشيوخ من الرعيل الأول والثاني منها انطباقاً على الذين جاءوا بعدهم — مع علامة من التعجب إذ تَرى بيّن هذا الجيل من اممتلكوا من مادة الأدب والعلم ما يؤلف كتاباً أو ديواناً وامتلكوا معه المال — والمال الغزير أحياناً — ولكنهم لم يتقدّموا خطوة في الطبع والنشر !

إنّ الذين جاءوا بعدهم يؤلفون كذلك ، ولكنهم يعتمدون أكثر ما يعتمدون لدى الطبع على وسائل لا يقوم الصرف فيها من (جيبيهم) الخاص كأن تكون

جهة رسمية أو جهة أهلية ، ولانذكر هذا من باب الاعتراض ، وإنما من باب إقرار ما هو واقع على وجه من الظهور ، وفيه من المستجاد ما فيه ... مع مَحذُورٍ صغير هو ما يدفع المؤلف إلى التفكير بالربح أكثر من التفكير بالتأليف ، وما يدفعه إلى الاعتماد على (الغير) أكثر من الاعتماد على النفس ، ثمَّ إنه لا يفكر بالقارئ قدر تفكيره بالجهة التي ستولى طبع كتابه ، أو تعضيد طبعه ، أو شراء كمية كبيرة منه ، في رغباتها وأهدافها وشرائطها ... وربما ساعدت هذه الجهة مالياً لمعنى المساعدة دون أن يكون الكتاب مما يهمها ويغرض النظر عن الجودة والرداءة .

ثم إذا حدث لهذه الجهة أهليةً كانت أم رسمية ... داعٍ إلى الفتور في الطبع والنشر ، انعكس هذا الفتور على التأليف والمؤلف . أما القراء فلم يَكُونُوا طرفاً رئيساً في القضية ، والذي يقرأ منهم كان يجد الكتاب بسعر مقبول ، فإذا ارتفع السعر استغلى الكتاب وتردّد في الشراء أو انصرف عن اقتنائه ، ولا يجد حينئذ — المؤلف مُسَوِّغاً للاعتماد على نفسه ، ومن ثمَّ لا يجد المسوغ في التأليف أمّا لو كانت العلاقة وطيدة بين المؤلف والقارئ — منذ البداية — ولا تدخل بينهما الجهات الخارجية من رسميةً وشبه رسمية وأهلية إلا بحدود العامل المساعد ، والوسيط الذي يَمُدُّ يده لإسناد الاثنين بقدرٍ مقدر من نظرة تسعى بهما إلى الوقوف على أقدامهم والسير بعد ذلك في قوّة وثقة ... لو كانت لما تأثر موقف المؤلف كثيراً . ومعنى هذا وجوب أن تَسْتَقِرَّ تقاليدُ يكون فيها للمؤلف قراء يتابعونه ويسألون عنه ويطلبون كتابه .

قد تكون الفكرة — هنا — غير واضحة ، وقد يعود بعض من غموضها إلى جِدَّتِهَا ، ووجوب التأمل طويلاً فيها ، وأن يشترك كثيرون ممن يعنيه أمر الكتاب في التأمل والمناقشة ... وكأني أريدُ أن أقول : إنه لا بُدَّ لنا من السعي الطبيعي لإيجاد القارئ الطبيعي ، فإذا وُجِدَ استمرت سوق الكتاب مهتمّاً يعرض للجهات الخارجية من عوامل قد تدعو — منطقياً — إلى الفتور . إن من صحة

المطبوعات أن تستَحِيلَ تقليداً شعبياً ، ولا بأسَ بعد ذلك — أو قبل ذلك — من رعاية رسمية — أو أهلية — في حدود النظرة المستقبلية السليمة المدروسة .

دور النشر في المملكة :

وهنا يأتي دور الكلام في الخاتمة على دور النشر . وقولنا : يأتي دور لا يعني جودة الكلام عليها فلقد رأينا ذلك على وجه خاص في المقدمتين الثانية والثالثة ، فضلاً عما انبث خلال « المعجم » وكانت الدور في كثرتها وتكاثرها تدل على نفسها ... وقد رأينا (تهامة) تبرز — بعد الحد المحدد — أمراً مدهشاً ، لافتاً للنظر ، عجيبياً ... وفاتنا أن نذكر دار الشروق قبلها . وكلتاها في جودة .

ولو بدأنا بالبداية — بعد التمهيد ، لوقفنا عندما نشر (على نفقة) مميزات مكان الملك عبد العزيز ثم آله والأثرباء من وجهاء البلاد وفيهم حسن شربتي ... ومحمد سرور الصبان وغيرهما وغيرهما . وكانت لذلك النشر ضرورته ، ثم زالت الضرورة تدريجياً بانتظام المؤسسات الحكومية وقيام الوزارات . ولكن مؤسسات الحكومة — في مثل النظام القائم في المملكة — ليست دور نشر بالمعنى الصحيح . إن دار النشر هي جهة أهلية يقصدها المؤلف بمخطوطه ليتفق وإياها على طبعه ونشره وتوزيعه بعد الاتفاق على حصته المالية لقاء جهده . وهذه غير تلك ، وغير « المكتبة » التي تختار كتاباً تحسبه رائجاً (من التراث عادة) وتطبعه وتذيعه وتحتكر ربحه — وقد رأينا منها أمثلة غير قليلة ...

إن دور النشر بالمعنى الاصطلاحي حديثة النشأة في البلاد ولعل النشأة متأثرة بالدور اللبنانية خاصة . ولا بأس بالنشأة المتأخرة ، إن كان التأخر فيها طبيعياً ، فنشأة الدور تستدعي خطوات سابقة عليها ، وقد تهيأت تلك الخطوات على مر الزمن ، وكان آخرها (دار اليمامة) بمعنى من المعاني ، والدار السعودية بمعنى آخر من المعاني ؛ وتمثل الاثنان خطوات ذات بال ، جديرة بالذكر ، وهما آخر ما شهدنا في المملكة قبل وداعنا إياها (١٩٦٨/١٣٨٨) وحتى الحد المحدود لنهاية المعجم (١٩٧٠/١٣٩٠) . ومن ثم لا ندري السبب الدقيق — لبعدها عن موقع الأحداث —

لتكاثر دور النشر بعد ذلك ، وتنوعها ، وتوزعها على المدن الكبرى من المملكة ولاسيما جدة والرياض ، ولك أن تقول الرياض وجدة ... وقد عددنا بعضها : ويمكن أن نستدرك ونزيد ونستعيد - مع إمكان القوات والنسيان والجهل وهو كثير - ولا بُدَّ من أن يكون الريح - أياً كان مصدره - في أسباب هذا التكاثر . ولا بُدَّ من أن يدخل المصدر الرسمي على رأس تلك الأسباب .

في الرياض - غير دار اليمامة ، ومؤسسة اليمامة الصحفية ، ومؤسسة الجزيرة الصحفية ، ... والدعوة - :

دار الوطن ، دار العلوم ، دار المريخ ، دار الرفاعي ، دار الأشبال ، دار الأصالة ، دار الرسالة ، دار الرشيد ، دار الرياض ، دار الصحراء ، دار طيبة ، دار اللواء ، دار الناصر ، دار نجد ، دار الهدف ، دار اليقين ، الدار الوطنية ، الشركة السعودية للتجارة ، عالم الكتب ، دار الكتاب الجامعي ، دار الكتاب العربي ، دار المعارف السعودية ، مؤسسة خدمة العلم ، مؤسسة الأنوار ، دار الفیصل ، دار الهداية ، دار أمية ، الفاخرية ، مكتبة المعارف ، وكالة تبر - غير ما تنشره الوزارات والجامعات .

وفي جدة ، غير مؤسسة تهامة التي لم تمر فرصة دون الإشارة إلى إدارة النشر والمكتبات فيها والإعجاب بها - ونذكر هنا : ان مدير الإنتاج فيها هو الأديب سباعي عثمان - ، وغير الدار السعودية التي كانت قبل ١٣٨٨/١٩٦٨ : دار الشروق وهي نشطة جداً . سبقت تهامة في الظهور . قال ساعاتي في كتابه « حركة التأليف والنشر ١٣٩٠ - ١٣٩٩ ص ١٨٣ : (تعد جامعة الرياض أكبر جهة نشر في المملكة العربية السعودية حيث نشرت ٦٤ عنواناً (...) وتأتي دار الشروق بجدة في المركز الثاني إذ بلغ عدد ما تمكنا من إحصائه من منشوراتها حوالي ٤٨ عنواناً ولعلها نشرت أكثر من ذلك ... أغلب منشوراتها ذات صبغة أكاديمية بحتة .

ويحتل المركز الثالث نادي الطائف الأدبي الذي نشر حتى الآن أكثر من ٣٦ عنواناً ...) .

حتى إذا تأسست إدارة النشر في تهامة بذت ما سواها ففي بحث للأستاذ يحيى ساعاني (عالم الكتب ، مج ٤ ، ع ١ ، رجب ١٤٠٣ / أبريل ١٩٨٣) بعنوان : حركة التأليف والنشر في المملكة خلال عام ١٤٠٠هـ يضع جدولاً بما نشرته دور النشر والهيئات الرسمية داخل المملكة .

تأتي على رأسه تهامة وقد أصدرت (٢١) عنواناً ، يليها النادي الأدبي في الرياض ، (١٨) عنواناً ، وجامعة الملك سعود ، في الرياض (١٨) عنواناً كذلك ، فدار الشروق (١٧) عنواناً ، والدار السعودية (١٧) عنواناً كذلك فجامعة الإمام محمد بن سعود (١٣) عنواناً ... الخ .

ومن دور النشر في جدة : شركة مكنتات عكاظ ، مكتبة المدني ، محمد سعيد باعشن وعبد الحميد مشخص ، دار البحوث العلمية ، دار المجمع العلمي ، مؤسسة الرجاء للتجارة ، مؤسسة القنديل للتجارة .

وأحدث دار فيها هي دار القبلة للثقافة الإسلامية ، استهلت مطبوعاتها بالجزء الأول من كتاب لأبي تراب الظاهري عنوانه : « ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى والبلايا » ، مطابع سحر د . ت (١٤٠٤ / ١٩٨٤) .

وفي مكة المكرمة : دار مكة ، دار الرائد ، مؤسسة هديل ، مكتبة الثقافة ... دار عكاظ .

وفي المدينة المنورة : مكتبة الثقافة ، طيبة ، المكتبة العلمية ...

وفي الطائف : دار الزايدي ، دار تقيف (ونذكر أن صاحبها الأديب عبد الرحمن المعمر) ، دار الحارثي .

وفي الدمام : دار الإصلاح .

هذا ما وصل إلى العلم - وهو ليس كل شيء - غير ما نشرته الجهات الرسمية (كالمعارف ، والدفاع ، والإعلام ، والزراعة ، والداخلية ، والحج والأوقاف) والجمعية والنوادي والجامعات ودائرة الملك عبد العزيز والمعاهد (مثل معهد الإدارة) ، والمؤسسات الدينية . وما نشرته المكتبات مثل مكتبة التوفيق ، الحرمين ، العلمية ، الرياض الحديثة ، المعارف .

وليس من غرضنا الإحصاء - وما ذاك بمستطاعنا لو أردنا إليه - وإنما أردنا إلى الأمثلة ذات الدلالة . ويحسن الرجوع إلى كتاب ساعاتي « حركة التأليف والنشر » ...

لقد تكاثرت دور النشر على شكل لافِت للنظر ، ولو قلت : إنها زادت عدداً (ونشاطاً محلياً) على ما في أي قطر عربي آخر لما أبعدت (حتى لو أدخلت في حسابك مصر وربما لبنان) والمسألة تدعو إلى الدهشة أحياناً ؟ !

المطابع في المملكة :

ودور النشر تتصل بالمطابع وتعتمد عليها ، والمطابع تسد الحاجة بعض الشيء فكانت المطبعة الرسمية أم القرى (الحكومة) في مكة ، ومطابع الأصفهاني (الأهلية) في جدة مع مطابع أقل شأنًا ! مثل شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر . ومكة ... وربما المدينة ، والدمام خصوصاً يوم كان المؤلف السعودي يفكر بالطبع في مصر أو لبنان قبل أن يفكر بالطبع محلياً حبّاً بنشر أوسع ، وإخراج آثق . وسيعرّ أُرخص ... ، ثم زادت المطابع بازدياد الحاجة أو شعور أهلي بدلالة وجودها ، كالذي جرى في الرياض ، فكانت مطابع الرياض .

وبقي - مع هذا - الطبع في الخارج هو السائد في الكتاب ويكفي أن (دار الإمامة) التي كان صاحبها (الشيخ حمد الجاسر) أساساً في قيام مطابع الرياض . لم يجد ما يسد حاجته إلا في لبنان (إن لم يكن لدوافع أخرى) ومثل دار الإمامة ،

الدار السعودية للنشر ... مع أن العدد قد زاد نسبياً ، وكان من مطابع مدينة الرياض :
مطابع نجد التجارية ، ومطابع الفرزدق ... وشركة مطابع الجزيرة ، ومؤسسة
النور - غير مطابع الجيش .

ثم توسعت وتطورت مطابع الأصفهاني ...

وجاءت المؤسسة الصحفية وفي صميم نظامها إنشاء المطابع التي تعتمد عليها
وقد شرعت تُنشيء الجديده أو تُحسِّن القديم .

ولك أنْ تَعُدَّ التَّطَوُّرَ في ذلك طبيعياً ضمن أسبابه الموجبة الموضوعية ...
كما عده صاحب المعجم وهو قريب منه .

ثم لم يلبث الأمر أن خرج عن مدى تصور البعيد عنه - وحتى القريب أحياناً -
وكان ذلك على اتصال مباشر مع تكاثر دور النشر فالمطابع تبحث عن مادة
تطبعها ، وهي تطبع المادة التي تبحث عنها دور النشر لنشرها ، ومعنى هذا كثرة
المؤلفين والمؤلفات من كل نوع من أنواع المعرفة ، وفي تلك الأنواع غير الجديد .
القريب العهد الذي يُعاد طبعه ، والمخطوط القديم الذي يُحقَّق . ويسند المؤلف
غير دور النشر : مؤسسات رسمية علمية أهمُّها الجامعات وفي عدد منها عمادات
شؤون المكتبات ، والمطبعة ، ومراكز البحث (والتحقيق) . ولا تنس النوادي
الأدبية والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ... وغير هذه وتلك ...

وقد وقفنا على عدد من دور النشر ، ووقفنا عند المطابع قد تستدعي ربط
المطابع الجامعية بدور النشر في وجه من الوجوه ، مع فارق الأساس الرسمي لها
وأنها تبذل للمؤلفين جليلاً وتذيع مطبوعاتها هدايا وما أشبه .

إن مطبعة كمطبعة جامعة الملك سعود (مطابع جامعة الملك سعود) تطبع - غير
الكتب - « فهرس معرض الرياض الدولي الخامس للكتاب » ١٤٠٣/١٩٨٣ بـ ١٢٦٠
صفحة من قطع كبير وإتقان منقطع النظر . هي مطبعة - أو مطابع - كبيرة الشأن .

وتزداد المطابع على أية حال ...

ولو ذكرتُ المطابع التي تتعامل معها إدارة النشر بمؤسسة تهامة (جدة) وحدها لكان في عددها - لو استطعت الدقة في ضبطه - دلالة ، وهذا الذي نهباً منها : في جدة : شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، مطابع النصر ، سحر ، المطبعة العربية ، الروضة ، دار البلاد ، دار العلم للطباعة والنشر ، دار عكاظ للطباعة والنشر ، دار الأصفهاني - وربما غيرها .

ومن مطابع جدة مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، مطابع البنوي ، مطابع مؤسسة القنديل ، مطابع دار المجمع العلمي ، مطابع مؤسسة الرجاء ، أوفست المدينة ، دار الفنون .

وفي هذه المطابع ما لم يكن له وجود أو احتمال وجود قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ .

وتكثر المطابع في الرياض على ما لم يكن يمتد إليه يوماً خيال - أو حلم - الشيخ حمد الجاسر ... فبعد الذي رأينا ، ومطابع اليمامة ، ومطابع مؤسسة الجزيرة ، تأتي مطابع إذا فالتنا حصرها فلا يفوتنا ذكر ما نهباً لنا منه : مطابع الشرق الأوسط ، شركة الطباعة العربية السعودية ، المطابع الأهلية للأوفست ، مطابع وإعلانات الشريف ، مطابع القصيم ، المطبعة اليوسفية ، المطابع الوطنية الحديثة ، مؤسسة الأنوار ، مطابع المنطقة الوسطى ، مطابع دار الهلال ، مطابع النصر الحديثة ، مطابع الخالد للأوفست ، مطابع الإشعاع ، مطابع الأمل ، مؤسسة المنار للطباعة ، مطابع بحر العلوم ، مطابع اليمامة ، مطابع البادية للأوفست ، مطابع حنيقة ، مطابع المجد التجارية ، مطابع أبو نزار ، مطابع مرامر ، مطابع النهضة ، مطابع بطاقة دعوة ، مطابع الشمس ، مطابع السفراء (سفير ؟) ، مطابع صقر الجزيرة ، مطابع الوطن الفنية ، مطابع البكيرية ، مطابع الشهري ، مطابع الفصيل التجارية ، المطبعة النموذجية ، مطابع السامر ، مطابع دار العلوم ، مطابع القوات المسلحة .

قال ساعاتي : (تضم مدينة الرياض وحدها أكثر من سبعين مطبعة تتفاوت مستوياتها) .

وإذا ذكرنا مطابع جدة والرياض علينا أن نتصور أحدث ما في الأحدث في عالم الطباعة . وفي الخبر : أن « الشرق الأوسط » تستعمل الأقمار الاصطناعية . ثم إن المطابع القديمة لا بُدَّ من أن تطور نفسها ولم تلبث مطبعة الزايدي في الطائف أن صارت مطابع الزايدي .

وفي مكة قامت - غير ما رأينا من مطبعة الحكومة ، وقریش والثقافة - دار مكة للتأليف والنشر فقامت معها ولها دار مكة للطباعة ، وتوسعت مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ... مع مطابع قد تكون صغيرة أو أصغر ، أعرف منها : زمزم ، مطبعة النهضة الحديثة ، الوفاء .

وفي المدينة المنورة : مطابع الرشيد ، المصحف .

وفي الشرقية ، في الدمام مطابع المطوع ، المطابع الفنية ، مطابع التريكي .

وفي أبها : مطبعة العسيري ، وفي حائل : المحيسن ، وفي جازان : الأمل (؟) . قال الشيخ حمد الجاسر (العرب ، شوال ١٣٩٢ / تشرين الثاني ١٩٧٢) : (ومنذ سنتين قام (...) الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي المؤرخ المعروف بإنشاء مطبعة في جازان قاعدة ذلك الإقليم الواقع في تهامة في الجنوب الغربي من المملكة ...) .

(وفي هذا العام وجدت الطباعة في مدينة أبها قاعدة بلاد عسير (...) فأنشئت مطبعتان في تلك المدينة إحداهما باسم الإقليم ، والثانية باسم الوديعه) .

ولسنا بصدد الإحصاء والدقة . ولسنا قادرين على ذلك لو أردنا ، ولا بُدَّ من القول هنا ، كما كان بصدد دور النشر ، والمكتبات ، من دراسة خاصة يتوجه إليها متخصص ... لأهميتها وقبل فوات الأوان - وعُذراً عن الخطأ أو السهو .

وتتضافر العوامل ليكثر المطبوع ، ويتعدّد الكتاب ، وأنواع المطبوعات الأخرى ...

ولا تعجب حينئذ أن تقوم في البلاد مجلة متخصصة محترمة كمجلة عالم الكتب...

وتقام المعارض ومنها المعرض الدولي الذي يقام في جامعة الملك سعود ...

وكان مؤلف المعجم يسأل عن السبب في هذا الازدهار - أو ما يبدو ازدهاراً - ويصعب مثله أن يقع عليه واضحاً أكيداً. ولكن الذي لاشك فيه أن هذه المطابع وتلك الدور ما كانت لتقوم لو لم يكن في البلاد مؤلفون وكتب ومخطوطات ، ولو لم يكن في تلك الكتب الجاهز المعدّ للطبع أو ما ينتظر (لمسات) قبل الطبع.. وإلا فماذا تطبع المطابع وماذا ينشر الناثرون ؟ هذه بديهية .

ولابدّ من أن يكون مثلها الاستنتاج السهل بأن الدور تبيع مالياً ، لأنها قبل كل شيء مؤسسات تجارية ، حتى ما كان منها راجعاً للمالك أديب (والأدباء الذين أسسوا دور نشر في السعودية ليسوا قليلين ، ولا يحسن أن تمرّ الظاهرة دون إشارة إليها ، ودعوة إلى دراستها لتمييزها في موضوعها) .

بديهي - وواجب أن تبيع مالياً دور النشر .

ويتأسّس على ذلك أن المؤلف يبيع كذلك .

تلك أمور يمكن أن يصل إليها البعيد - فضلاً عن القريب - وهي أحوال دالة على نفسها ، ويكفي أن وصفتها بالبديهيّة .

ترويج الكتاب وتسويقه :

يبقى بعد ذلك أمران ليسا بديهيّين جيّداً :

الأول : القاريء - أو القراء - فهل القاريء السعودي يستوعب كل ما تنشره دور النشر السعودية فضلاً عما يترد إليه سهلاً من الخارج وهو غير قليل ؟ ويدخل في الاستيعاب كل معانيه حتى المالية .

لاشك في أن المثقف السعودي قاريء جيّد ، ولكن الشك في الكمية (والعدد) وليس الموضوع - هنا - موضوع الكيفية والنوع . وهو قادر - عموماً - على الأثمان المالية للشراء ، إذا أراد حتّى لو بدأ سعر الكتاب الواحد غير رخيص .

ومع هذا ، يبقى الشك في العدد ، وربما فاق المطبوع قدرة القراء وعددهم وأبواب تلقيهم . أنا لاشك في أن هناك مؤلفين يفرضون - أو فقرضوا - أنفسهم ، وأن هناك موضوعات مُعيّنة كذلك ، ولكنني أحسب أن المطبوعات أكثر من القراء ، وقُل : أكثر من الذين يتقدمون طوعاً للشراء من المكتبات .

ويزيد من تضيق هذا الباب أن دور النشر السعودية على كثرتها ونشاطها تبقى محليةّة تطبع وتنشر لقراء من البلاد نفسها ، ومهما يكن عدد القراء أو الذين يشترّون الكتاب منهم كبيراً فإنه يبقى دون المطلوب الذي يسدّ النفقات ويوفر الأرباح - ولا تقتنع دور النشر بأرباح قليلة وإلا لما كانت بهذا العدد ، ولوجدت إلى الأرباح طرقاً أخرى خارج عالم الطبع والنشر .

لم تفكر هذه الدور جدّياً في إخراج الكتاب السعودي عن محليّته . لقد نجحت كثيراً في (جمالية) الإخراج ، ولكنها بقيت تدور - أكثر ما تدور - في موضوعات محلية - وقُل سعودية - قلما كسبت - النطاق الواسع الذي يهيي لها سوقاً خارج المملكة زد على ما يضرب عادة على الأسواق الخارجية من أنطقتة صعبة الاجتياز لدى التصدير ، والذى التفاهم على العملة الصعبة (أو السهلة) .

وأستدرك وأقول : إن في هذا العدد الضخم من المطبوعات السعودية ما يمكن أن يتخذ صفة العموم ، وأن يتهم قارئاً عربياً أو غربياً بهذا العموم الذي يعنى به وإن كان هذا قليلاً (أخذاً بالتزايد ... قليلاً كذلك) ...

ثمَّ أَسْتَدْرِكُ وأقول : إن من الباحثين والقرّاء خارج المملكة سواء في الأقطار العربية أم في العالم من يَهْمُهُ أن يَقِفَ على خُصُوصِيَّةِ بَلَدٍ مَّا . ولاشكَّ في أن في المطبوعات السعودية خصوصية مَّا ...

ثمَّ هناك ما هو أوسع في الدلالة ، فليس هناك كتاب يُصدَّر وكتاب لا يصدَّر ، لأنَّ المفروض بأي كتاب عربي أن يكون له مكان مَّا في أي قطر عربي ، ومعنى هذا أن تَتَكَوَّنَ لجنة أو مؤسسة خاصَّة تأخذ على عاتقها إيصال الكتاب السعودي إلى الأقطار العربية وإلى من يَهْمُهُمَّ أمره خاصَّة ، بكل الوسائل من التجارة والمقايضة إلى المعارض إلى الإعلان إلى الإهداء ...

وَيَبْدُو لي أنني أطرق موضوعاً لم تمنحه دورُ النّشر حقَّه في خدمة الكتاب ، وخدمة الدار ، وخدمة الثقافة العربية كلها ، وكأنَّها رُضِيَتْ بالرَّبح وهو حاصل من أقصر طريق ، ولعلها حاولت مرَّةً أو مرتين فتراجعت عند أوَّل مُشَبَّط . والذي يُصِرُّ يصل كما حصل - مثلاً - لمجلة « الفيصل » ، وما يمكن أن يحصل جداً لمجلة « عالم الكتب » لو ...

إنَّ مسألة تسويق الكتاب مسألة أخرى تُثِيرُهَا وَجَدِيرٌ أن يتدارسها أهلها ، ولكنها ليست مسألة أخرى لنا في حدود خاتمة لمعجم المطبوعات العربية - السعودية .

ونعود إلى الأمر الثاني ، وهو الحكوميَّة ، وهي أساسٌ في أرباح دور النّشر (والمطابع والمؤلفين) ، ومعلوم جدًّا أنها تُقدِّم في ذلك تشجيعاً مالياً كبيراً بقواعد صارت مقررة يعرفها الناشر والمؤلف ويستفَعُ بِهَا إلى أقصى الحدود ... وفي الحكومة جهاتٌ مختلفة من الوزارات والرئاسات والمؤسسات ، والتشجيع المالي المجزي يَرِدُ مرَّةً مُباشرة ومرة غير مباشرة ، ولكنه يَرِدُ على كل حال .

وهذا موضوع جدير ببحث خاص ، ويستطيع أن يقول الذي يعرفه عن قُرْب الكثير النافع ... والحكومة مشكورة على تشجيعها ، ولكن للحكومة ظروفها

وسياستها ومشاكلها الأخرى الأهم لديها ثم إن الكثرة في دور النشر والمطبوعات - في هذه الحالة - لا ترصد علمياً المستوى الثقافي الشعبي ، وهنا نعود إلى ضرورة تكوين القاري والاعتماد عليه ، وأول خطوة في تكوينه أن يرد العزم الأكيد في مخطط الناشرين والمؤلفين والمشجعين .

قضايا المطبوعات كثيرة ، جديرة بالإثارة فضلاً عن الدراسة والبحث ، وفي المملكة من وسائل الدراسة ما يمكن أن يصل إلى كثير من الحقائق ، ويكفي ما في جامعاتها من عمادات لشؤون المكتبات ، وما في أقسامها من أقسام للمكتبات ... ومع العمادات والأقسام أساتذة مُتَخَصِّصُونَ درسوا (الكتاب) على أصوله ، وحصلوا فيما درسوه الشهادات اللائقة من ماجستير ودكتوراه ، من مصر أو من أمريكا أو أوروبا أو من غيرها . في كتاب أصدرته جامعة الملك سعود ، عمادة شؤون المكتبات بعنوان : « مستخلصات رسائل السعوديين لدرجة الدكتوراه » الرياض ، العمادة ، ١٤٠٣/١٩٨٣ يشتمل على (٣٩٣) ، منها (٣٩) باللغة العربية ، والبقية باللغة الانكليزية - تنظر عالم الكتب مج ٥ ، ع ١ ، ص ٢٥٧ . تضاف إليها التجارب الخاصة بمطبوع بعينه في نشأته وتطوره ، وما هو خَيْرٌ وما لا يُراد له من نشر ... فعليهم تقع المسؤولية في البحث وإليهم نُشير وبهم نكتفي ... ونختصر ، وإلا فالكلام كثير والمسألة تطول ... - والأقربون أولى بالمعروف .

لقد سارت المطبعة قدماً ، وزادت دور النشر تكاثراً ونشراً ... كما سارت مكتبات البيع قدماً وتكاثراً واهتماماً بالكتاب السعودي . فخنفت الشكوى أو زالت . ولم يعد المجال واسعاً إزاء مقالة الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ (كاتب الحي) بل إن الذي حصل تحقيق لمطلبه حين قال : (... ولكني أعتقد أنه لن ينقذ كتابنا المحلي من وضعه ...) إلا أن تُنشأ مؤسسة كبرى تتولى توزيع المؤلفات المحلية وتنفق على نشر ما ترى نشره منها . ولاشك في أن هذه المؤسسة ستكون قادرة على أن تضمن للكتاب المحلي مكاناً ملائماً في معظم مكتباتنا التجارية ، وأن تُقنّع رواد هذه المكتبات بأن علماءنا ومفكرينا لم ينتجوا بضعة كتب فحسب ، ولكنهم

قد أَلْفُوا في علوم الدين واللغة والأدب والتاريخ وشؤون الفكر الأخرى ما قد
تمتليء به رفوف المكتبات في بلادنا ، ولا سيما إذا ما ساعدت هذه المؤسسة في
نشر ما خُطَّ ، وإعادة طبع ما نفذ وتشجيع ما سُود .

لقد تحقق هذا وما هو أكثر منه ؛ فلقد تأسَّست أكثر من مؤسسة واحدة ؛
وفي المؤسسات ما فتحت مكتبات تجارية لنفسها ، ومنها ما طبع كتباً في العلوم
الصرف ، وشرع بطبع لمؤلفين من خارج البلاد ... ويُحاول - ولا بُدَّ - من أن
يصل - إخراج الكتاب المحلي عن محليته موضوعاً وسوقاً .

عَتَبٌ ورجاء .. !! :

وبعد : فقد قال مؤلف «المعجم» أكثر من مرَّة : إنه وفَّر ٩٠٪ لحدِّي كتابه بين
١٩٢٥/١٣٤٤ - ١٩٧٠/١٣٩٠ ولا بُدَّ من أن يحسب للـ ١٠٪ الباقية حسابها ،
ورجا القراء من كل نوع التَّفَضُّل بالتعاون على تسديد ما ببيان النقص وتعيرين
المصدر إلى الكمال وإلا فَمَهْمٌ طرف - وليس دجواله - في تحمل المسؤولية قال
ذلك وقد عاش قريباً من جملة المادة في السعودية نفسها وهنا يَرِدُ مكان الإشارة
إلى ظاهرة قد تكون سعودية وقد تكون عامة ، خلاصتها أنك نشرت مادة المعجم
في مجلة « العرب » على حلقات لأسباب في رأسها طمعتك بالانتباه على الخطأ ،
والإسهام في ردِّمِ المَبُوءَةِ ، والتطوع في مائة الأساس ، وأنتك أعلنت ذلك منذ
البداية و (ظَلَمْتَ) في كل حلقة تطلب ملاحظات القراء و (تستجديها) ، وكان
الحاصل قليلاً ... جداً . هذا وَجْهٌ من الظَّاهِرَةِ : أما الوجه الثاني فإن الحاصل
القليل الذي يَرِدُ إليك يفتقر عادة بحالة خاصة هي أن القاري لا يُنبِّهك إلا إلى
خطئ يتصل بشخصه مباشرة مع علمه بنظم أكبر . وقدُرتَه على نفع أعم .
ويحضرنى هنا مثل الأستاذ محمد حسن كتيبي . وهو أديب حجازي (ولد في مكة
المكرمة سنة ١٣٢٩) وله في « وحي الصحراء » صورة ونماذج ثرية واسعة تغنم
الكتاب - بعد أن فات ذكره في « أدب الحجاز » . والأستاذ الكتيبي عارف بخير

بالكتاب السعودي والحجازي خصوصاً ، وكان يقفُ على « العرب » وعلى حلقات « المعجم » في العرب ويقفُ خلال ذلك على نقص يستدعي السدَّ ، وخطباً يتطلب التصويب . وانتظرتُ ولمْ أفزُ . وجاء تسلسل اسمه الكريم من المعجم ووقع خطأ – لا أدري كيف – فجاء لدى التعريف به (أنه عمل مُدرّساً بالمدرسة الصولتية بمكة) فانبرى – حينئذ – مشكوراً ونبّه إلى أنه عمل في مدرسة الفلاح وليس في الصولتية . ففرح المؤلف وخفَّ يَصَحِّح ويستدرك . ويقول في نفسه : لا بُدَّ من أن يكون في حلقات المعجم أغلاط أُخرى ، وإنَّها لكائنة ولكن المشكلة في الذين يتفضّلون بالتثنية .

هذا ما قاله في نفسه آنذاك ، وقد مرَّ على الحادث ستان أو أكثر ، عاد بعدها يُحوِّلُ الحلقات كتاباً وإذا به هو نفسه يرى من الفوات الكثير ، والخطأ الكثير ، ويصحح هو نفسه ما يُشيرُ عجبه ، وكان جميلاً لو نسبَّه إليه الغيُّون أنفسهم ، العارفون ، العالمون... ترى ما ضرَّ لو نبّهه مُنبِّه مثلاً على فوات اسم : عبد الهادي محسن الفضلي ؟ أكان عليه أن ينتظر طويلاً ، فيصدر « دليل الكاتب السعودي » (١٤٠٤ / ١٩٨٤) ليقراً أنه من . واليد الأحساء ١٣٥٤ وحاصل على الدكتوراه ، ويعمل أستاذاً مشاركاً اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة الملك عبد العزيز بجدة . وهو عضو إداري في النادي الأدبي الثقافي في جدة . ويذكر مؤلفاته ، ويهمننا منها – تاريخياً – « مبدأ الاشتقاق في اللغة العربية ١٣٩٠ هـ » وله مؤلفات أخرى متأخرة عن هذا التاريخ : « مختصر النحو » « مختصر الصرف » « القراءات القرآنية » « اللامات » « في علم العروض » . ويذكر أنه حصل على الماجستير برسالته « أسماء الأفعال والأصوات » ١٣٩٠ هـ وعلى الدكتوراه بـ « قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية » ١٣٩٥ ، وأن « مختصر النحو » طبع سبع مرات . ويحتمل أن تقع الأولى ضمنَ حدود المعجم أو على حدوده . ويذكر ساعاتي « مختصر النحو » . جدة . دار الشروق ١٩٧٦ – ٢٦١ ص .

الأستاذ الفضلي – هنا – مثلٌ واحدٌ على الفوات ، يدل على ما سواه . وتقع

مسؤولية الإخلال على مؤلف المعجم والفضلي نفسه ، وقرأءة مجلة « العرب » كذلك .
واليوم ، وقد أصلح ما أصلح واستدرك ما استدرك وزاد ما زاد ، مازال هو هو كما
بدأ أول مرة يرجو ويُلِحُّ في الرجاء بالتنبيه على النقص ، والإشارة إلى المصدر
الذي يسدُّ الخلل - ولا يَبْئُس . وَلَا يَفُوتُهُ أن يكرر الشكر لمن تفضل فدّل على
غائب ورفع من بناء .

هذا ما قاله مؤلف مفرد (غريب) وما عاناه ... ولكن الذي يقوله أبناء البلاد
من الباحثين في الموضوع وما يعانونه ليس بالقليل فطالما شكّا الأستاذ يحيى ساعاتي من
قعود المؤلف السعودي عن عونته في أعماله الخيرة .

المؤلف الغريب فرّدت ، والمواطن السعودي فرد كذلك فما ظنّك بمؤسسة
نشطة قوية متنفذة كالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون وقد عزمت جادة على
صنع « دليل الكاتب السعودي » فما جاء عملها كما تريد ، وسجّات شكواها
في مطلع كتابها « دليل الكاتب السعودي » - الرياض ، مطابع الفرزدق التجارية
١٩٨٤/١٤٠٤ - ٣٠٤ ص - فقالت : (... كانت الجمعية قد بعثت أكثر من ألف
رسالة مع استمارة البيانات الخاصة بهذا الدليل ، إلى كتابنا وكاتباتنا للمشاركة في
هذا العمل ، كما أعلنت عنه في الصحف المحلية ، ثم أرسلت استعجالات للذين
لم تصل ردودهم . وكاد هذا المشروع - على أهميته - يتأخر تنفيذه طويلاً لعدم
وصول كل الردود ...) .

وحسناً فعلت إذ أصدرت الذي تهيأ لها ليكون أساساً تكمله وتصلحه في
طباعات قابلة كما وعدت : (ومن هنا فكرنا في أن يصدر الدليل في طباعات متتابعة ،
وما هذه الطبعة سوى بداية ، وستعقبها أخرى مزيدة) راجياً أن تكون الطباعات
القابلة أكثر تفصيلاً في حياة الكاتب وأكثر - أيضاً - في الكتاب نفسه في نوعه
وتاريخ طبعه ، وموضوعه ، وعدد صفحاته ...

الوصية باستمرار تأليف هذا المعجم :

ويأتي - حينئذ - وقت الوصية - وهي جزء من هذه الدعوة ومُتَمِّمٌ لها

ولعمله . فهذا آخر عهد المؤلف بالمطبوع العربي السعودي ، وقد بدّل ما وسعه من جهد ، واستنفد ما أمكنه من وسائل ، وهو إذ يودع الدنيا (دنيا المعجم - والموت حق) يوصي بالآلا يَقِفَ المعجم من الحد الزمني حيث وقف (١٣٩٠/١٩٧٠) فهو أقرب إلى أن يكون حلقة أولى تتبعه حلقة ثانية في الظروف القائمة (وثالثة ... ورابعة ... على مرّ الزمن وتوالي الأجيال ...) .

تبدأ الحلقة الثانية من ١٣٩١/١٩٧١ ... ويمكن أن تقف عند ١٤٠٥/١٩٨٥ فقد جدّ خلال هذه السنوات الـ ١٥ ما يُكوّنُ مادة كافية ، ويمكن أن تمتدّ قليلاً قليلاً بحيث تستغرق (٢٠) عاماً ، أو (٢٥) عاماً حسب طاقة الأخ - أو الابن - الذي يتولى تنفيذ الوصية - وخَيْرُ البِرِّ عاجِلُهُ .

وأعلم - وأنا أُقِرُّ وأُعترفُ في حال من الصحة والعافية - أن شيئاً من هذا قد عمِلَ وأُقصِد ما أُلْفِه الأستاذ يحيى محمود ساعاني في كتابه « حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية ١٣٩٠ - ١٣٩٩ » ، وأعلم كذلك أن الأستاذ (الدكتور) ساعاني يُعِيدُ النَّظَرَ في كتابه فيستدرك ويُصَحِّحُ ويزيد ... وأعلّم إلى ذلك تَخَصُّصَ الرجل في الكتاب وهوايته فيه وأقْدَرُ خلال ذلك ما يمتلك من (بطاقات) بما يصدر ...

أَعْلَمُ هذا ، ولكني في وصيّتي أُريدُ منهجه في « حركة التأليف والنشر » إذ يذكر اسم المؤلف واسم الكتاب ، ومكان الطبع ، وتاريخه ، وعدد الصفحات ... وهو ما سمّيته العمل الببليوكرافي (المكتبي) الصّرف ... وأريدُ ما هو أزيد ، فما هو في منهج « المعجم » العتيّد ، فألْزِمُ مُنْفَذَ الوصيّةِ بِمَا أُلْزِمْتُ بِهِ نَفْسِي مما ليس يَلْزِمُهَا ، فَبَعْدَ السَّيْرِ على حروف الهجاء لأسماء المؤلفين (أو المحققين أو المترجمين ...) يرد التعريفُ بالكتاب في موضوعاته ومنهجه وسطور من المقدمة والخاتمة ... وبيان صلته بما سَبَقَ إنْ وُجِدَ ، وما لَحِقَ للمؤلف نفسه

أو لغيره ؛ ويتردُّ بعضُ ما قيل فيه إيجاباً أو سلباً ؛ وما يمكن أن يتَّهياً قوله لصانع المعجم في حدود علمه ورأيه من غير مبالغة أو مجازفة ؛ وربط ما في الحلقة الثانية بما في الحلقة الأولى لدى وجود الرابط ... وأشياء أخرى تكررت الإشارة إليها أو يستنبطها استنباطاً ويبتكرها ابتكاراً إذا كانت له تجربة في البحث والتأليف ، أو يضع نفسه موضع الباحث إذا لم يكن ... وأن ينشره حلقات في مجلة تعرف قدر الكتاب ، ويطلب التنبيه على الخطأ ، ويرحب بما يرد إليه ومن ثمَّ يُقدِّم كتابه إلى الطبع ... مستعداً لتلقي الملاحظات ، سائراً قدماً إلى الحلقة التالية ...

وإنِّي أقرُّ وأعترفُ في حالة من الصحة والعافية أنَّ هذا عملٌ صعبٌ ، وأنَّ تجاوب المؤلفين فيه قليلٌ ، ولكنني أقرُّ وأعترفُ أنَّ الحلقة الثانية ستكون أنقى وأقلَّ صعوبة من الحلقة الأولى التي تعاملت مع مادة فيها ضائع كثير وفقيد كثير وضمن تجربة جديدة أصابها ما يصيب أية تجربة جديدة من تعثر أو تدأخل أو اضطراب تبقى آثارها مهما يحاول صاحبها التخفيف منها . ثم إنه عمل مفيد جيداً ، ولا بُدَّ من أن يكون ، ولتُبينُ يُصنَّع والمادة متوفرة والشباب مساعد خير من أن يبحث عنه في الزوايا والظلمات بعد فوات الأوان .

والمسألة مسألة موسوعة مكتبيَّة ، تخدم الباحث خدمةً جليَّةً . إلى جوار كونها معجماً مكتبيّاً .

وبإمكان النوادي الأدبية والجمعية العربية السعودية أن تُقدِّمَ خدمات خاصة في هذا الباب للعدد الكبير الذي تضمه من الأدباء والمؤلفين . وما يحسن أن تحتفظ به هي - وأية جمعية أو مؤسسة أخرى - من (استمارات) خاصة بكل عضو من أعضائها ، فاسيحة لمؤلفاته مكاناً خاصاً واسعاً ... وإذا كانت الجمعية قد أصدرت « دليل الكاتب السعودي » فقد أدركت أهمية أن يكون للكاتب السعودي دليل .

وبعد : فإن هذا الذي رآه القاريء في المقدمات والتمهيد وفي صلب المعجم وخاتمته خاصاً بقطر عربي بعينه (هو المملكة العربية السعودية) ليس خاصاً به بكل معنى الكلمة ، وإن الخبرة التي انبثقت منه أو فيه هي سعودية وليست بنيت السعودية وحدها ، فالكتاب السعودي — هنا — هو المدار ووسيلة الإيضاح ، ومركز الاهتمام والتجربة . وطِماح المؤلف أبعدُ ، ودعوته أوسع . والمؤلف إذ يُخصُّ الكتاب العربي — السعودي بما يبْدُو جهداً خاصاً فإنه لا يَدَّعي لنفسه فضلاً ، وإنما الفضل للكتاب نفسه حيث وفّر له الفرصة التي يُعَرِّبُ فيها عن نفسه ، والمَجْلَى الذي يَسْتَغِلُّ فيه هوايته ويتصرف بما تهَيَّأ له من خبرة ... إنه بِحُبِّ الكتاب وهذا كل ما في الأمر ، وهو الشاكر الفضل — وكان (أدكار ألن يو) يقولُ الشُّعْرَ شَفْفاً .

علي جواد الطاهر

بغداد — الجادرية	يوم الاثنين ١٠/٣/١٤٠٤ هـ	يوم الخميس ٨/٣/١٤٠٥ هـ
٩٢٣/١٥ ق ٢٥	١٩٨٤/٧/٢ م	١٩٨٤/١٢/١ م

لهم عذر .. ولكن .. !

عتب أستاذنا الكريم (ص ٣٦٦ وما بعدها) على القراء في بلادنا ، وانصب عتبه على ما اعتبره ظاهرة قد تكون خاصة بهم ، من سمّاها عدم التجاوب مع الكاتب من خلال ما نشر في هذه المجلة طيلة خمسة عشر عاماً وفي نحو سبعة وخمسين نصلاً ، عن « معجم المطبوعات العربية في المملكة » حيث دعا ورجا وألح أن يُنَبَّهَ على الخطأ أو القصور ، وألح إلى جوانب من ذلك مما لم يلق من أولئك القراء اهتماماً بها .

من حق أستاذنا الجليل أن يعتب ، ولكل معنٍ بدراسة تلك الظاهرة أن بأسى ويأسف لتغلغلها في النفوس ، وقد قبل : (العرب لا يقرأون) وهذا أكثر انطباقاً على مثقفي هذه البلاد في موقفهم حيال هذا المعجم المنبثق من ثقافتهم ، المتصل بحياتهم الأدبية ، فكانوا أولى بالاهتمام به من غيرهم ، ومن يدري ؟ فقد يبدو من بينهم بعد بروزه من يتخذ منه موقفاً آخر .

أفترى لهاؤلاء من عذر ؟ أجل ... ولكنه عذر ... وكفى !

تاريخ المدينة المنورة

لعمر بن شبة النميري (١٧٣ / ٥٢٦٢ هـ)

[انظر « العرب » س ١٩ ص ٥٨٩ وما بعدها]

- ١ -

وَأَمْضَيْتُهُ أُسْبُوعاً كُنْتُ فِيهِ فِي الْقَاهِرَةِ (من اليوم الثالث من جمادى الآخرة ١٤٠٥ إلى العاشر) أثناء انعقاد (المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية) أقابل الجزء الثالث من كتاب ابن شبة في أخبار المدينة على صورة مخطوطته ، حيث بدأت من الصفحة الخامسة عشرة بعد المئة وانتهت إلى الصفحة الخامسة والسبعين بعد المئة .

ولا داعي لتكرار القول بأن صعوبة قراءة المخطوطة كانت سبباً في استغلاق معرفة كثير من الكلمات ، مما اضطر المحقق الفاضل إلى الاستعانة بكتب أخرى لمحاولة معرفتها . وبإليته وقف عند هذا الحد من حيث الاستعانة بتلك الكتب ، بل إنّه اتخذ منها مادة يرجع إليها لإكمال ما يراه من نقص في مباحث الكتاب ، وهو نقص في المخطوطة ، كان عليه أن يشير إلى مواضعه بدون أن يتصرّف في أصل الكتاب فيلحق به ما ليس منه ، بحيث لا يُستطاع القول بأنّ النصّ الوارد في مطبوعة كتاب ابن شبة هو من كلام ابن شبة نفسه ، ومن هنا تنعدم الثقة بصحة النسبة إلى هذا العالم الذي يُعدّ من أئمة علماء التاريخ والأدب القدماء عند الرجوع إلى هذه المطبوعة من كتابه الذي يعتبر من مصادر التاريخ الإسلامي الأولى ومن أمثلة ذلك :

١ - تسع صفحات، بعنوان (موافقانه رضي الله عنه) أدخلها المحقق في ترجمة عمر بن الخطاب ، وليست من الكتاب - من ص ٨٥٩ إلى ص ٨٦٨ .

ولم يوضح أنها من إضافاته التي نقلها عن كتب منها ما أُلّفَ بعد ابن شبة بقرون .

٢ - سبع صفحات - بل تريد - تتعلق بوفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - نقلها المحقق من تاريخ ابن جرير ، وذكر أنها برواية ابن شبة ، فأدخلها في صلب الكتاب ، وكان ينبغي أن توضع في الحاشية (ص ٩٣٢/٩٢٤) .

٣ - صفحة أكمل بها بياضاً في الأصل ، نقل ما فيها عن «مسند الإمام أحمد» تتعلق بوفاة عمر رضي الله عنه (ص ٩٣٦/٩٣٧) .

٤ - ست صفحات تحوي نصوصاً تتعلق بوفاة عمر ، نقلها المحقق من كتب مختلفة (ص ٩٤٣/٩٤٩) .

٥ - خمس صفحات عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أضافها المؤلف لِيَسْبُدَّ بها أخبارَ عثمان التي وردت في الأصل مبتورة (٩٥١/٩٥٦) .

٦ - نقص في الأصل بمقدار صفحة ونصف - كتب في الهامش (ورقة واحدة) وقد أكمل المحقق النقص من كتاب «شرح نهج البلاغة» وأشار إلى ذلك (ص ١٠٤٦/١٠٤٧) وتبدأ الزيادة من جملة : (فلإني جئتُك أستعذرك) إلى جملة : (حتى مات رحمه الله) .

٧ - أما الزيادات التي لا تبلغ الصفحات مما أضافه المحقق إلى أصل الكتاب ووضعه بين أقواس فهي من الكثرة بحيث لا يتسعُ المقام لإبرادها .

ولقد كان من أثر مقابلة هذا الجزء من كتاب ابن شبة أن مرّرتُ بكلماتٍ وجُمَلٍ ظهر لي أنّها لا تتفق مع ما أوردهُ المحقق الفاضلُ في مطبوعته ، مع أنه قد اكتسب من طول معاناة مطالعة المخطوطة ما يَسرُّ له سهولة قراءتها ، وإدراك مميزات الرسم في كتابتها . ولكن هذا لا يمنع من القول بأن عدم وضوح

تلك الكتابة حال دون صِحَّتِها في مواضع يسيرة : أو هكذا اتَّضَحَ لي ، مما سأعرضه للقاري الكريم ، إكمالاً لما بدأتُ به من الحديث عن هذا الكتاب ، وقد استغلقتُ عليَّ قراءة كثير من الكلمات ، فلم أُشيرَ إلا إلى ما اتضح لي وجه الصواب فيه — غالباً — .

١ - ص : ٧٨٧ : — في خبر الحُطَيْيئةِ : (فجُعِلَ في تَقْيِيرِ بشرٍ ، ثم أُلْقِيَ عليه حفصه) . وفسر المحقق الحفص . ولكن الذي في الأصل (خَصْفَةٌ) الصاد قبل الفاء . والحروف مهملة : والخَصْفَةُ هنا أنْسَبُ ، وهي الحَصِيرُ .

٢ - ص : ٧٨٨ — في شعر ابن الحمامة — : (لقد دار هذا الأمر) . كلمة (دار) في الأصل (رات) وقد تقرأ (راث) بمعنى أبطأ .

وفي الصفحة : (ويدعى رياح) . وفي الأصل : (وتدعى رياح) على اسم القبيلة .

وفي الصفحة : (إن الرمضاء قد أحرقت قدمي . قال : بُلُ في موضعهما تبردان) كلمة (تبردان) في الأصل : (يبرد لك) . أي الموضع .

وفي الصفحة : (فأنْفِيت الأمانة لم يَخْشُها) . وفي الأصل : (فأنْفِيتُ الأمانة لم يَخْشُها) . وهو الصواب ، والبيت مشهور ، من شعر النابغة الذبياني .

٣ - ص : ٧٩٠ : (قيس بن غيلان) . وفي الأصل : (قيس بن عيلان) — بالعين المهمله — وهو الصواب — انظر « تاج العروس » رسم (عيل) .

٤ - وفي ص : ٧٩١ : (أن إبراهيم شكاً إلى ربه ذراً في خُلُقِ سارة) وفسر المحقق (ذراً) قائلاً : أي شيئاً قليلاً . ولكن الكلمة في الأصل ليست واضحة ، وهي إلى (ذَرَبًا) أقرب . والذرب حِدَّةُ اللسان وسلطته ، والذربةُ من النساء السَّليطة اللسان — على ما في كتب اللغة .

٥ - ص : ٧٩٣ : (ولا تدرعوا نساءكم القُبَّاطِي فإنه إن لم يشف فإنه يصف)
وفي الأصل : (... القِبْطِي ، فإنه إلّا يشف فإنه يصف) .

وفي الصفحة : (فلقِي علقمة بن عُلَاثة عمر رضي الله عنه خالداً) والصواب
- كما في الأصل : (فلقِي علقمةُ بنُ عُلَاثة عُمَرَا - رضي الله عنه - ليلاً بعد
ما نزع خالداً) .

٦ - ص : ٧٩٤ : (يعني ما كان في قاب علقمة) . وفي الأصل : (عَنَى
ما كان في قلب علقمة) .

٧ - ص : ٧٩٥ : (قال : وادّأ : ما هما ؟) كلمة (وادّا) في الأصل ليست
مشكلة ، وقد تقرأ (وإدّا) .

وفيهما (مال هنة) . وفي الأصل (مَاهِيَةٌ) ، وهي الخادمة ، لا كما فسرهما
المحقق في الحاشية .

وفي الصفحة : (وأمرنا ، أو قال : وحسابنا على الله) . في الأصل : (وأجرنا)
بدل (وأمرنا) بدون نقط .

وفي الصفحة : (ما كان حديث علقمة إياك وقت البارحة) كلمة (وقت)
هي أشبه بكلمة (منذ) .

وفي الصفحة : (قال يعزره) ليست كما في الأصل التي هي أقرب إلى (يَتَعَدُو)
أي يتجاوز حده .

٨ - ص : ٧٩٦ : (الملققة : الحلبة) والذي في الأصل : (اللققة : الرنّة) .
والرنّة صَوْتُ الحزين وهي المرادة هنا . كما يفهم من أول الحديث .

وفي الصفحة : (عبدالله بن نافع بن ثابت الزبيدي) . وما في الأصل يقرأ -

(الزيري) - بالراء لا بالدال - وهو الصواب ، فثبت هو ابن عبدالله بن الزبير
« تهذيب التهذيب » : ٥٠/٦ -

وفيها : (طلحة بن عبدالله) والصواب كما في الأصل : (طلحة بن عبيدالله)
الصحابي الجليل .

وفيها : (فعل الجليل أضاع الحق من كتب) .

وكلمة (الجليل) بدون إعجام في الأصل ، ولهذا تقرأ (الخليل) بالخاء وهي
أنسب .

٩ - ص : ٧٩٧ : (أوفوا الطحين ، واملكوا العجين) . كلمة (أوفوا)
صوابها - كما في الأصل - : (أدقوا) أي اجعلوه دقيقاً .

وفي الصفحة : (إذن أمسكك ، لما قيل فيك ، وما في قومك) ونص ما في
الأصل : (إذن أمسكك لما فيك ، فيك ما في قومك) .

١٠ - ص : ٧٩٨ : (كذب النسَّابون ، ما يرجون قول الله تعالى : ﴿ وَقُرُونَا
بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ . في الأصل بدل (ما يرجون) : (فأين) وبها يستقيم الكلام .

وفي الصفحة كما في ص ١٠٠٦ : (حدثنا الخزامي) والكلمة غير معجمة
الحروف في الأصل . ولكن الاسم ورد (الخزامي) على الصحيح في الصفحات :
١١١١/١١١٤/١١١٥ وغيرها وهو ابراهيم بن المنذر الخزامي ١١١٦ - نسبة إلى
خزام بن خويلد الأسدي القرشي - انظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » : ١/١٦٦

١١ - ص : ٧٩٩ : (أي بني حلفت تغشانا ، حلفت تاتينا) كلمة (حلفت)
في الأصل (جعلت) .

وفي الصفحة : (أثبت في رؤوسنا ما هدى الله وأنتم) ما في الأصل يقرأ :
(إنما أنبئت في رؤوسنا ما ترى الله وأنتم) كذا .

١٢ - ص : ٨٠٠ - (تبكي بشجوكم) وفي الأصل : (تبكي لشجوكم)

- وفي الصفحة من قول عمر لأبي هريرة : (أو لألْحَقَنَّكَ بأَرْضِ الطَفِيحِ) .
كلمة (الطَفِيحِ) هي إلى (الطَبِيحِ) أقرب وهذا الخبر أورده أبو زرعة في تاريخه - :
٥٤٤/١ عن السائب بن يزيد بلفظ : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة :
لَتَتَرُكَنَّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لَأُلْحِقَنَّكَ بأَرْضِ
دَوْسٍ ، وقال لكعب : لَتَتَرُكَنَّ الأحاديث أو لَأُلْحِقَنَّكَ بأَرْضِ القردة .
وأورده الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ٦٠٠/٢ وابن كثير في « البداية والنهاية » :
١٠٦/٨ - بهذا اللَّفْظ ولعل كلمة (الطَبِيحِ) أو نحوها مما استغلق فهمه على أحد
رواة الحديث فلجأ إلى المعنى .

وفي الصفحة : - في خبر كعب الأحبار - : (أو لألْحَقَنَّكَ بأَرْضِ القرية)
كلمة (القرية) غير واضحة ، ولكن القاف تحتها كسرة ، ويظهر أن الدال
اختلطت بالهاء ، وأن الصواب (القِرْدَة) كما ورد في الكلام على أول الخبر .

١٣ - ص : ٨٠١ : (أصبح أهلُ الرأي أعداءَ السننِ ، أَعْيَيْتَهُمْ أَنْ
يَعْمُوهُمْ ، وتَفَلَّتَتْ أَنْ يردوها ، فاستقوها بالرأي) . كلمة (يردوها) في الأصل
(يرووها) وهي أظهر معنى .

١٤ - ص : ٨٠٢ : (انزعوا تفاريقه ، يعني أقماعه) . وكأمة (تفاريقه)
مهملة من الإعجام ، وصوابها (ثفاريقه) بالثاء المثناة ، واحِدُهَا ثَفْرُوقٌ ،
وهو قِمِيعُ التمرة وما لصق به .

- وفي الصفحة : (ثم إني لأترك اللحم وهو عندي) . والذي في الأصل :
(ثم إني لا أترك اللحم وهو عندي) .

١٥ - ص : ٨٠٣ : (لا أفعل شيئاً مما يقولون) . وفي الأصل : (مما
نقولون) وهي المناسبة لسياق الكلام .

١٦ - ص : ٨٠٥ : (يدفع الشيء ليشتهيه سنة) وفي الأصل (يشتهيه)
بلا لام ، وهي المطابقة لسياق الكلام ، فهو يتركه مع رغبته فيه ، لا لكي يأتي
الوقت الذي يشتهيه فيه ، والمقام مقام الإخبار عن زهد عمر

وفي الصفحة : (هان علي شيء أصلح به قوما) . وكلمة (علي) أضافها المحقق
والكلام مُسْتَقِيمٌ بدونها .

١٧ - وفي ص : ٨٠٦ : (عن عبدالله بن أبي سليمان عن عطاء) . وفي
الأصل : (عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء) . وهو الصواب ، إذ عبد الملك
ابن أبي سليمان العرزمي من الرواة عن عطاء بن أبي رباح - انظر « تهذيب التهذيب » :
٣٩٦/٦ .

وفي الصفحة : (أو يردوا عليكم فيثكم) . وهي : (وَيَرُدُّوا عَلَيْكُمْ فِيثَكُمْ) .
١٨ - ص : ٨٠٧ : (إن عاملك فلانا ضربني مئة سوط) . وفي الأصل :
(عاملك فلان قام فقال : يضرب مئة) .

- وفي الصفحة : (ولا تُجَمِّرُوهم في البعوث) وفي الأصل : (ولا تُحَيِّرُوهم
في البعوث) . ومعنى الكلمتين واحد .

١٩ - ص : ٨٠٩/٨٠٨ : (وكان ذا صوت ونكاية) . وغير المحقق كلمة
(صوت) بكلمة (سوط) وأشار إلى هذا في الحاشية . وكلمة الصوت في هذا
الموضع صحيحة ، ففي كتب اللغة ورد الصوت بمعنى الصَّيْتُ يقال : صوت
وصييت أي ذكَّرتُ حسن .

٢٠ - وفي ص : ٨٠٩ : (من جميع ما أفاء الله علينا) . والذي في الأصل :
(من جميع ما أفضي علينا) .

٢١ - وفي ص : ٨١٠ : (غاضبا بغير إذني) . وهي - كما في الأصل - :
(عاصياً بغير إذني) .

وفي الصفحة : (وأعادها عمر ثم قال) . وفي الأصل : (وأعادها ثلاثاً ، ثم قال) .

وفي الصفحة : (وإن العدو لكبير) والكلمة الأخيرة غير معجمة الحروف ولهذا تقرأ (لكثير) . وهي في هذا الموضع أنسب .

٢٢- وفي ص : ٨١١ : (فمشيتُ إلى جنبه أغبطه) . وكلمة (أغبطه) هي المناسبة هنا . والكلمة غير معجمة الحروف .

وفي الصفحة : (قبح الله تلك القصعة ، ما أحيلَ لنا ما قد أصبنا منها) . وفي الأصل : (قبح الله تلك القصعة ، فإننا قد أحل لنا قد أصبنا منها) كذا .

٢٣- وفي ص : ٨١٣ : (فاحتبس عليه بالهزل) و (فاحتبس بالهزيل) . وفسر المحقق الكلمة بقوله : (لعل المراد بالسмир المؤنس المفاكه) الخ . وصواب الكلمة في الموضعين (بالمنديل) لكي يمسح أثر الطعام ، فلما تأخر إحضار المنديل مسح بلحية الرجل عبد المسيح ، فشكاه إلى عمر ، ولهذا قال له : (ثم مسحت بلحيته) الخ .

٢٤- وفي ص : ٨١٥ : (ثم غدونا إلى المسجد) وهي : (وغدونا إلى المسجد) .

وفي الصفحة : (فخرج إلينا سعد وهو بدم أهل الخيرة والمخالفة) . وكلمة (الخيرة) في الأصل (النجير) . والشجيرة هو الموضع الذي تجمع فيه أهل الردة في حضر موت ، والقوم الذين شكوا سعد بن أبي وقاص . الوارد ذكرهم في هذا الخبر هم من أهل حضر موت ، بزعم الأشعث بن قيس الكندي الحضرمي . وكان ممن ارتد فأسير ثم أسلم .

٢٥- وفي ص : ٨١٨ : (إنه مرةً إليك عياض) . والذي في الأصل : (اندس إليك عياض) .

٢٦- وفي ص : ٨٢٠ : (هم كقيداح الحصير . فيها الأعضل ... وسعد

أمامها ، يقيم ميلها ويعمر عضاها) . كلمة (الأعضل) في الأصل : (الأعصل)
و (أمامها) : (يتابعها) و (عضاها) : (عضلها) . والأعصلُ - لغةً -
السَّهْمُ الْمُعْوَجُّ .

- وفي الصفحة : (وقد قال قائل . قال) . وفي الأصل : (وقد قال قائل
قالةً) .

٢٧- وفي ص : ٨٢٢ : (يضرب يديه فلا ينشب - أي ينقب -) والذي
في الأصل : (يضرب يديه فلا تنشب أن تنقب) . والضمير راجع إلى اليدينِ
فهي التي تصاب بالنَّقَبِ أي يَرِقُّ خُفَّاهما فَتَحْفَيَانِ .

٢٨- وفي ص : ٨٢٤ : (فلما هزه خلجه ... وقال : قبح الله من عملك
هذا) . كلمتا (هزه) و (عملك) في الأصل : (أحضره) و (علّمك) .

٢٩- وفي ض : ٨٢٥ : (تلوح صلعته في الشمس ، لا حقبة ولا خشبة) .
والكلمتان الأخيرتان ليستا واضحتين في الأصل ، إلا أن الأولى تقرأ (لاصقه)
وما بعدها (ولاحسه) بدون نقط .

وفي الصفحة : (وطاؤه فروة كبش كرمي) . و (كرمي) في الأصل أقرب
إلى (نجدي) بدون نقط وفيها : (وحقية نمرة) وفي الأصل : (وحقيته نمرة) .

وفي الصفحة : (فركب بغير سرج فأهزته) . وفي الأصل : (فركبه بغير
سرج ، فأهتزَّ به) .

- وفي الصفحة : (عن محمد بن سوقة عن ابن صالح) . وفي الأصل :
(عن أبي صالح) وهو الصواب ، محمد بن سُوْقَة الغنوي الكوفي يروي عن أبي صالح
السَّمان ، كما في « تهذيب التهذيب » : ٢٠٩/٩ -

وفيها : (على بغير أحمر ، بقتب) . والكلمة الأخيرة تقرأ (مقببا) .

وفي الصفحة : (وفي يساره نمرة) . وفسرها المحقق بأنها شملة ، أو بردة .
ولكن الكلمة في الأصل (عَنَزَة) مهملة من الاعجام ، والعَنَزَةُ - بالتحريك -
رُمُحٌ قصير .

٣٠ - وفي ص : ٨٢٧ : (وكان صاحب إمرة) والصواب : (وكان صاحب
أمره) .

٣١ - وفي ص : ٨٢٨ : (ثم وكد عمر رضي الله عنه) . كلمة (وكد)
في الأصل (ذكر) وهي المناسبة هنا .

وفي الصفحة : (عليك ميرة الجيش) . وفي الأصل : (عليك نصرة الجيش) .
وفيها : (والعسار علينا) . وتقرأ (والفساد علينا) .
وفيها : (من يهد الله) وهي : (من يَهْدِيهِ الله) .

٣٢ - وفي ص : ٨٢٩ : (فلنحدثه عنها فنعيره ثيابا) . وكلمة (فلنحدثه)
في الأصل تقرأ (فَلَئَنخُدَّعَهُ) ويفهم من القصة صِحَّةُ هذه الكلمة .

٣٣ - وفي ص : ٨٣٠ : (فربما أرخى فأخذ الحبل منه) . وفي الأصل (فربما
أرخف ، فأخذ الحبل منه) . وكلمة (أرخف) من معانيها أرخى .

٣٤ - وفي ص : ٨٣٢ : (مَاآلَوْا ألبسته قوما من الناس لسترهم) . كلمة
(قوما) في الأصل (فياماً) ولم توضع الهمزة والكاتب يحذفها في كثير من الكلمات ،
مثل (الفى) في (النقي) و (مايه) في (مئة) . والفثام الجماعة من الناس .

٣٥ - وفي ض : ٨٣٤ : (يفترش بطحاء يبوسة ووسادة بردعة) . وصواب
الجملة كما في المخطوطة : (يفترش بطحاء ، ويتوسد بردعة) .

وفي الصفحة : (قد أرهقه البردُ) . والذي في الأصل : (قد أدلقه البرد) .

وتقرأ (قد أذلقه البرد) بمعنى أفلقه . أما تفسير المحقق للكلمة (أرهقه) أي حملة ما لا يطيق فأراه لا ينسجم مع المعنى المراد من سياق الكلام .

٣٦- وفي ص : ٨٣٨ : (لثَكَّلْتُ بك) . هي (لَنَكَّلْتُ بك) كما في الأصل .

٣٧- وفي ص : ٨٤٠ : (جاءني ببينة) . والصواب - كما في الأصل : (جاءني ببنيه) .

وفي الصفحة : (أفتاركهم ناللة : لا أبالك) وفي الأصل : (أفتاركهم أنالك ، لا أبالك) .

وفيها : (أنَّ عمر رضي الله عنه حمى الرَّبْدَةَ ، وأنَّ عثمان رضي الله عنه حمى السَّرَفَ) وفسَّرَ المحقق كلمة السرف بأنه المكان الذي أعرس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميمونة ، على ستة أميال من مكة . وهذا خطأ ، فصواب الكلمة (الشرف) - بالشين المعجمة - وهو موضع مشهور في عالية نجد ، وكان من الأحماء المشهورة قبل الإسلام وبعده ، أما سَرَف - بدون تعريف - فلم يكن من الأحماء .

٣٨- وفي ص : ٨٤١ : (فمكث أشهراً صحيحاً) . والذي في الأصل : (فمكث شهراً صحيحاً) .

٣٩- وفي ص : ٨٤٢ : (إني وجدت مع عبدالله بن عمر ريحَ شراب) . الصواب - كما في الأصل - : (عبَّيدالله بن عمر) فَعُمِّرُ له عدد من الأولاد أفضلهم عبدالله بن عمر .

٤٠- ص : ٨٤٣ : (لتمسكن لسانك) في الأصل : (لتيكمان لسانك) ولعل الكاتب أراد أن يكتب (لتملكن) كما في « طبقات ابن سعد » .

٤١- ص : ٨٤٥ : (حاشا في إمارتينا أحداً غيره) . كلمة (حاشا) قريبة من (حابينا) ولكنها غير معجمة الحروف .

٤٢- وفي ص : ٨٤٦ : (لا يُضْرَب سكرانٌ حتى يصحو إلاَّ إمامٌ فإنه إذا صَحَا امتنع) . كلمتا (يصحو) و (صحا) في الأصل : (يصح) و (صح) .

- وفي الصفحة : (ابن حنظلة الرزقي الأنصاري) . وفي الأصل (الزرقي) وهو الصواب ، لأنه من بني زُرَيْق .

وفيهما : (يا ابن أبيه) . والذي في الأصل : (يا ابن أُميمة) .

وفيهما : (الجارود العبدلي) والصواب ما في الأصل : (الجارود العبدي) .

٤٣- ص : ٨٤٧ : (بني رباح بن يربوع بن حنظلة) و (خصيُّ بني رباح) . وفي الأصل - في الموضعين (رباح) بالياء ينقطة واحدة ، ولكن كاتب الأصل لا يَهْتَم كثيراً بإثبات النقط . وهذا الاسم (رباح) بالياء المثناة التحتية - كما في كتب النسب ، وكما ضبطه علماء اللغة - انظر « تاج العروس » رسم (روح) .

٤٤- وفي ص : ٨٤٩ : (قدامة إنها) . وفي الأصل : (قدام فإنها) .

- وفيها : (استهَام عبد الرحمن) وفي الأصل : (استُهِمَ عبد الرحمن) .

- وفيها : (فتسكن بُصْرَى) . والذي في الأصل : (تُدَمِّنُ بُصْرَى) .

وهي كلمة فصيحة كقول عبيد بن الأبرص :

مَنْزِلٌ دَمَنَّهْ أَبَاؤُنَا المُو رِثُونَ المَجْدَ في أُولَى الليالي

- وفيها : (أَنْ تَوْفِيَا) وكانت في الأصل : (أَنْ تُلَاقِيَا) فغيَّرها المحقق

اعتماداً على كتابين ألفا بعد ابن شَبَّة بقرون ، مع أنه ورد في أول البيت : (وَأَنْتَى تَلَاقِيهَا) فناسب ذكر (التلاقي) في آخره .

٤٥- وفي ص : ٨٥٠ : (ثم نزل بها فهانت عليه) كلمة (نزل) في الأصل

(مذل) ومعناها لغةً ضجر ، وهي هنا أقرب معنى ، لأنه سُم منها وكرهها .

- وفي الصفحة : (يعلى بن منبه) . والصواب : (يعلَى بن مُنْبَةَ) وهي

أُمُّهُ ، وأبوه أُمَيَّة - انظر ترجمته في « الاصابة » وغيره . من كتب تراجم الصحابة -

٤٦- وفي ص : ٨٥٢ : (قالت : نعم ، رفش : بدرهمين ، بالحبشية تقول : أجري بدرهمين) . كلمة (أجري) في الأصل : (أجر) .

٤٧- وفي ص : ٨٥٣ : (فضر بها أذنى الحد من مئة جلدة) . والصواب - كما في الأصل : (فضر بها أذنتي الحديتين : مئة جلدة) . إذ أعلاههما الرّجْمُ - كما هو معروف .

٤٨- وفي ص : ٨٥٤ : (البيعة ثم الخير) . في الأصل : (البيعة ثم الخير) الباء بنقطة واحدة - والخبر هو المناسب هنا ، لأن عمر سأل : أجتئنا بظهر ؟ فأجابه : أبابعك ثم أخبرك .

٤٩- وفي ص : ٨٥٥ : (أَكُلُ الْمُسْلِمِينَ تَدَّهِنُ بهذا) . وكلمة (تدهن) في الأصل مهملة الحرف الأول ، ولهذا تقرأ (يَدَّهِنُ) لِتِلَاثِمِ كلمة (كل) . - وفيها : (حدثني همام بن إسماعيل قال حدثني العلاء بن بشير) . وفي الأصل : (ضمّام بن إسماعيل قال حدثني العلاء بن كثير) وهو الصواب ، - كما يتضح من ترجمة الأخير في « تهذيب التهذيب » : ١٩١/٨ - .

- وفي ص : ٨٥٦ : (أن رجلاً نَعَى عمر بن الخطاب فاستوقفه) . كلمة (نعى) صوابها في الأصل : (لقي) ولا داعي لتفسير المحقق لكلمة (نعى) .

- وفي الصفحة : (وإني لا أَرْضَى له عَمَلًا) . والذي في الأصل : (وإني لأَوْرِضُ له عملاً) . أي أَهَيَّءُ له عَمَلًا . وفي الحديث : لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُورِضْهُ مِنَ اللَّيْلِ - أي لَمْ يُهَيِّئْهُ وَلَمْ يَنْوِهِ .

٥٠- ص : ٨٥٧ : (قال عبدالله بن جعفر بن برقان) . في الأصل : (قال عبدالله عن جعفر بن برقان) فالقائل - كما يظهر من أول الخبر - هو عبدالله ابن المبارك رَآوِيًا عن جعفر .

٥١- ص : ٨٥٨ : (مِمِّمْ وَيَنْحَلْ) وأشار المحقق إلى أنه أضاف كلمة

(مِمَّ) ولكن الأصل لا يحتاج إلى إضافة ، فَتَنْصُ ما فيه : (لِمَ وَيَنْحَكْ) .

٥٢ - ص : ٨٦٩ : (قال أي عوف بن مالك كأنَّ الناس اجتمعوا) .

والصواب ما في الأصل : (قال : رأى عوف) الخ .

- وفي ص : ٨٧١ : (والمسلمون يضيعون به) . وهي : (والمسلمون مطبفون به) .

- وفيها : (رأيت فيما يرى النائم ... ستارا نزل من السماء بقدر الناس ،

ففضلهم عمر بثلاث قصبات) . كلمة (ستارا) في الأصل بدون نقط ، وقد تُقرأ

(سَبَّاراً ... يُقَدَّرُ الناس) . ويورد علماء اللغة : مفازة لا تُسَبَّرُ أي لا يعرف

قدر سعتها . وخير كثير لا يُسَبَّر ، وأمر عظيم لا يُسَبَّر . أفلا يكون السبَّار

من هذا ؟ !

وفيها : (فعدوت بها على عمر) . (وهي فعدوت بها) الخ .

٥٣ - وفي ص : ٨٧٤ وص : ٨٧٥ :

قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا فَوَائِحَ فِي أَكَامِيهَا لَمْ تَفْتَسِقِ

كلمة (فوائِح) في الأصل (بوائِح) بدون نقط وتقرأ (بَوَائِح) جمع بائجة ،

وهي الداهية - نصَّ على ذلك علماء اللغة كصاحب « اللسان » وصاحب « تاج

العروس » وأورد الأخير البيت في رسم (بوج) .

وفيها : (نخل الناسُ هذه الأبيات شَمَّاخَ بنِ ضرار ، أر جماع بن ضرار)

وكلمة (جماع) في الأصل ليست كما وضع المحقق ، ولا شك أن الصواب (جزء)

وقد يكون طرف الزاي اختلط بالهمزة فأشبهت العين ، وانظر ترجمة الشماخ في

كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام .

٥٤ - وفي ص : ٨٧٥ :

فَمَنْ يَسْنَعُ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ

لِيُدْرِكَ مَا أُسْدَيْتَ بِإِلْمَسٍ يُسَبِّسِقِ

كلمة (أسديت) في الأصل : (سديت) .

٥٥ - ص : ٨٧٦ : (رماني رماه الله) . الصواب - كما في الأصل : (رماه رماه الله) إذ المَرْمِيُّ عمر ، وليس المتكلم .

- وفيها : (ثم يذكر قائم الليل حين يأخذ في النقصان .. وتنام الشمس) الخ .
كلمة (قائم) لا تطابق ما في الأصل التي قد تكون (تام الليل) .

٥٦ - وفي ص : ٨٧٩ : (قد قَضَّتْ أضْلَاعَهُ) كلمة (قَضَّتْ) في الأصل : (قَضَّتْ) على الفاء نقطة واحدة ، من القَضُّ أي كسر الشيء وتفريقه .

وفي الصفحة : (قال قلت خيرا يقول :

وإنْ يَرْجِعِ النُّعْمَانُ نَفْرَحَ وَنَبْتَهِجَ
وَيَأْتِ مَعَدًّا مَلَكُهَا وَرَبِيعُهَا

والذي في الأصل : (قال : قلت حين يقول :

إنْ يَرْجِعِ النُّعْمَانُ مَعَدًّا يُسْرُهَا وَرَبِيعُهَا
٥٧ - وفي ص : ٨٨٠ :

وإنْ يَهْلِكَ النُّعْمَانُ تُعْرَمَعِيَّةٌ وَيُلْقَى إِلَى جَنْبِ الْفِتَاءِ قُطُوعُهَا
وفي الأصل : تُعْرَمَطِيَّةٌ
وفيها :

على إثر خَيْرِ النَّاسِ إنْ كَانَ هَالِكًا وإنْ كَانَ فِي جَنْبِ الْفِتَاءِ ضَاجِعِيَّهَا
وكلمتا (هالكا) و (الفتاة) في الأصل : (هلكا) و (جنب الفراش) .

وفي الصفحة : (أَلِيقُرْبَى فِي قَرَابَتِهِ) وفي الأصل : (التمس) والتاء غير منقوطة .

حمد الجاسر

(للحديث صلة)

رحلة الوزير الشرقي الإسحاق المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣هـ

—٤—

ذكر المسجد الحرام والبيت العتيق أدامه الله :

قلت : أردنا التبرك بذكر بعض أوصاف المسجد الحرام ، وأحوال البيت العتيق شرفه الله ، إلا أن ما شهدناه عياناً مما لا يحتاج فيه إلى زائد على الرؤية ، ومنها ما لم نباشر حقيقته وغايته مما يحتاج إلى كتيل بالذراع أو بالشبر لضيق الوقت علينا ، ولكن اكتفينا بوصف من باشر ذلك بنفسه ، وتولى تحقيقه من العلماء الذين يوثق بهم ، حسبما نورد ذلك إن شاء الله . فنقول : وبالله الاستعانة على الإبانة : إن البيت المكرم له أربعة أركان ، وهو قريب من الترييع ، قال العلامة ابن جبّير^(١) : وأخبرني زعيم الشيبين الذين إليهم سدانة البيت وهو محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن من ذرية عثمان بن طلحة بن شبة بن طلحة ابن عبد الدار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب حجابة البيت ، أن ارتفاعه في الهواء من الصفح الذي يلي يقابل الصفح وهو من الحَجَرِ الأسود إلى الركن اليماني تسع وعشرون ذراعاً ، وسائر الجوانب ثمان وعشرون بسبب انصباب السطح إلى الميزاب ، فأول أركانه الركن الذي فيه الحَجَرُ الأسود ، ومنه ابتداء الطواف ، ويتقهقر الطائف عنه لِيَسْمُرَ جَمِيعٌ بدنه به ، والبيت المكرم عن يساره ، وأول ما يلتقى بعده الركن العراقي ، وهو ناظر إلى جهة الشمال ، ثم الركن الشامي ، وهو ناظر إلى جهة المغرب ، ثم الركن اليماني وهو

ناظر إلى جهة الجنوب ، ثم يعود إلى الركن الأسود وهو ناظر إلى جهة الشرق ، وعند ذلك يُتِمُّ شوطاً واحداً ، وباب البيت المكرم في الصفح الذي بين الركن العراقي وركن الحجر الأسود ، وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار محققة ، وذلك الموضع الذي بينهما من صفح البيت يسمى المُلتَزَم ، وهو موضع استجابة الدعاء . والباب الكريم مرتفع عن الأرض بِأَحَدٍ عشر شبراً ونصف ، وهو من فضة مذهبة بديع الصنعة ، يستوقف الأبصار ... وَعِضَادَتَاهُ كَذَاكَ ، والعتبة العليا كذلك أيضاً ، [وعلى رأسها لَوْحٌ ذهب خالص ، لإبريز في سعته مقدار شبرين ، وللباب نقّارتاً فضة كبيرتان ، يتعلق عليهما قفل الباب] وهو ناظر لجهة الشرق ، وسعته ثمانية أشبار ، وطوله ثلاثة عشر شبراً ، وغلظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار ، وداخل البيت المكرم ، مفروش بالرخام المجزّع ، وحيطانه رخام كلها مجزّع ، قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج ، مفرطة الطول ، وبين كل عمود وعمود أربع خُطَطًا ، وهي على طول البيت متوسطة فيه .

مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم (٢) :

وهو حَجَرٌ مُغَشًى بالفضة ، وارتفاعه مقدار ثلاثة أشبار ، وسعته مقدار شبرين ، وأعلىه أوسع من أسفله ، وأثر القدمين المباركتين وأثر الأصابع المكرمة بَيِّنٌ . قال ابن جبير : رأيناها وصُبَّ لنا فيهما ماءٌ زمزم فشربناه ، وتبركنا بذلك كله نفعا الله به ، ولم يُقَدَّرْ لنا نحن التبرك بهما على هذه الصفة في هذه الوجدادة :

فَمَيَّا دَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

نسأل الله تعالى أن يحقق رجاءنا بتيسير الرجوع إلى هذه الأماكن المطهرة ، حتى نستدرك ما فاتنا في هذه بمنه وكرمه آمين .

[وبين الباب الكريم والركن العراقي] حَوْضٌ طوله اثنا عشر شبراً

وعرضه خمسة أشبار ونصف وارتفاعه نحو شبر ، يتصل من قبالة عضادة الباب التي تلي الركن المذكور ، آخِذاً إلى جهته ، وهو علامة موضع المقام مدة إبراهيم عليه السلام ، إلى أن صرفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الموضع الذي هو الآن مُصَلَّتِي ، وبقي الحوض المذكور مَصَبّاً لماء البيت إذا غُسِلَ ، وهو موضع مبارك يقال : إنه روضة من رياض الجنة ، والناس يزدحمون للصلاة فيه ، وموضع المقام الكريم هو الذي يُصَلَّتِي خلفه يقابل ما بين الباب الكريم والركن العراقي ، وهو إلى الباب أُمَيْلُ بكثير ، وعليه قبة خشب في مقدار القامة أو أزيد قليلاً مركنة مُحَدَّوْدَةً ، بديعة النقش ، سعتها من ركنها الواحد إلى الثاني أربعة أشبار ، وقد نُصِبَتْ على الموضع الذي كان فيه المقام ، حوله تكيف من حجارة ، نصبت على حرف كالحوض المستطيل في ارتفاعه نحو شَبْرٍ ، وطوله خمس خُطاً ، وعرضه ثلاث خُطاً وأُدْخِلَ المقام إلى الموضع الذي وصفناه احتياطاً عليه ، وبينه وبين صفح البيت الذي يقابله سبع عشرة خطوة والخطوة كلها فيها ثلاثة أشبار ، ولموضع المقام أيضاً قُبَّةٌ مصنوعة من حديد ، موضوعة هنالك جانب قبة زمزم ، فإذا كان في أَشْهُرِ الْحِجِّ وكثر الناس ، رفعت قبة الخشب ، ووضعت قبة الحديد ، فتكون أحمل للازدحام .

ومن الركن الذي فيه الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ إلى الركن العراقي أربعة وخمسون شبراً ، ومن الحجر الأسود إلى الأرض ستة أشبار ، فالطَوِيلُ يتطامن إليه ، والقصير يتناول إليه .

ومن الركن العراقي إلى الشامي ثمانية وأربعون شبراً . محققة وذلك داخل الْحَجَرِ ، وأما من خارجه فمنه إليه أربعون خطوة وهي مئة وعشرون شبراً محققة ، ومن خارجه يكون الطواف .

ومن الركن الشامي إلى الركن اليمني ما بين الركن الأسود إلى العراقي لأنه الصفح الذي يقابله .

ومن اليمني إلى الأسود ما مِّنَ العراقي إلى الشامي داخل الْحَجَرِ ، لأنه يقابله أيضاً .

وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة ، منها سودّ وسُمُرٌ وبَيْضٌ
قَدْ أُلْصِقَ بعضها إلى بعض ، واتسعت عن البيت بمقدار تسع خُطًا إلا في الجهة
التي تقابل المقام فإنها امتدّت إليه حتى أحاطت به .
وسائر الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض .

وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة ، وربما اختلطن بالرجال وهو
الغالب .

وبين الركن العراقي وبين أول جدار الحِجْرِ مدخلٌ إلى الحِجْرِ ، سعته
أربع خُطًا هي ستة أذرع ، محققة ، وهذا الموضع الذي لم يُحَجِّرْ عليه هو الذي
تركت قريش وهو ستة أذرع حسبما وردت به الآثار الصحاح ويقابله عند الركن
الشامي مدخل آخر على مثال ذلك ، ودَوْرُ جدار الحِجْرِ تسع وعشرون خطوة ،
وهي أربعة وتسعون شبرًا محققة من داخل الدائرة ، وبين جدار البيت الذي
تحت الميزاب إلى الذي يقابله في جدار الحِجْرِ على خط استواء يشق وسط الصحن
المذكور أربعون شبرًا ، وسعته من المدخل ست عشرة خطوة وهي ثمانية
وأربعون شبرًا ، ودَوْرُ الجدار رخام كله مجزّع بدیع الإلصاق ، وقد لُزَّتْ
فيه قضبانٌ صفر مذهبٌ وصنع منها في صفحتها أشكال شطرنجية متداخلة بعضها
على بعض ، وفي ارتفاع جدار هذا الحجر الرخامي خمسة أشبار ونصف وسعته
أربعة أشبار ونصف ، وداخل الحِجْرِ بلاط ينعطف عليه الحِجْرُ كأنه ثلثا
دائرة وهو مفروش بالرخام المجزّع ... والميزاب في أعلى الصفح الذي على
الحِجْرِ المذكور وهو - والله أعلم - فيما قيل لنا من صفر مذهب ، قد خرج إلى
الحِجْرِ بمقدار أربعة أذرع ، وسعته مقدار شبر ، وهذا الموضع تحت الميزاب
أيضا مظنة استجابة الدعاء بفضل الله تعالى وكذلك الركن اليماني ويسمى المستجار .

وتحت الميزاب في صحن الحِجْرِ بمقربة من جدار البيت الكريم قبر
إسماعيل صلى الله عليه وسلم ، وعلامته رخامة خضراء مستطيلة على شكل
محراب ، يتصل بها رخامة خضراء مستديرة غريبة المنظر ، وإلى جانبه مما يلي الركن
العراقي قبر أمه هَاجِرَة - رضي الله عنها - وعلامته رخامة خضراء مستديرة ،

سعتها مقدار شبر ونصف ، يتبرك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر ،
وحقَّ لهم ذلك ، لأنهما من البيت العتيق وقد انطبق على جسدين مقدسين
مكرمين نورهما الله وبين القبرين المقدسين سبعة أشبار .

وقُبَّةُ زمزم تقابل الركن الأسود ، ومنها إليه أربع وعشرون خطوة ،
والمقام المبارك الذي يُصَلَّى خلفه عن يمين القبة ، ومن ركنها إليه عشر خطًا ،
وداخلها مفروش بالرخام الأبيض الناصع ، وتَنُورُ البئر المباركة في وسطها
ماثلا عن الوسط إلى جهة الجدار الذي يقابل البيت المكرم ، وعمقها إحدى
عشرة قامة ، وعمق الماء سبع قامات على ما يذكر ، وباب القبة ناظر إلى المشرق ،
وباب قبة العباس ناظر إلى الشمال ، وتلي قبة زمزم من ورائها قبة الشراب ،
وهي منسوبة لسيدنا العباس — رضي الله عنه — والقبة العباسية لم تَحُلْ عن نسبتها
الشرابية لأنها كانت سقاية الحاج ، وهي حتى الآن يَبْرَدُ فيها ماء زمزم ويخرج
مع الليل لِسقي الحاج في الدوارق كل دورق منها ذو مقبض واحد ، وتنور
بئر زمزم من رخام ، قد ألصق إلصاقا لا تحيله الأيام ، وأفْرَغَ في اثنا عشر رصاص ،
وكذلك داخل التنور ، ودوره أربعون شهرا ، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف ،
وغلظه شبر ونصف . وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر ، وعمقها
نحو شبرين ، وارتفاعها من الأرض خمسة أشبار ، تُملأُ ماءً للوضوء ،
وحولها مصطبة دائرة ، يرتفع الناس إليها ، ويتوضؤون عليها .

والحجر الأسود المبارك ملصقٌ في الركن الناظر إلى جهة الشرق ، ولا
يعرف قدر ما دخل منه في الركن ، وقيل : إنه داخلٌ في الجدار بمقدار ذراعين
— قاله ابن جبير الغرناطي في رحلته — وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد ، فيه
[أربع] قطع ملصقة ، ويقال : إن القرمطي — لعنه الله — كان الذي كسره وقد
شُدَّتْ جوانبه بصفيحة فضة يلوح بصيص بياضها على بصيص سواد الحجر ،
ورونقه الصقيل ، فيبصر الراي من ذلك منظرا عجيبا هو قيد الأبصار ، وللحجر
عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفم ، حتى يود اللائم ألا يقلع فمه عنه ،

وذلك خاصة من خواص العناية الإلهية ، وكفى بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنه يمين الله في أرضه » نفعا الله باستلامه ومصافحته — وأوفدَ عليه كل شيق إليه بمنه .

وفي القطعة الصحيحة من الحجر ما يلي جانبه الذي يلي يمين المستلم له إذا وقف مستقبله نقطة بيضاء صغيرة مشرقة تلوح كأنها خال في تلك الصفحة المباركة ، وفي هذه الشامة البيضاء أثر : إنَّ النظر إليها يَجْلُو البصر ، فيجب على المقبل أن يقصد بتقيله موضع الشامة المذكورة ما استطاع .

والمسجد الحرام يطيف به ثلاث بلاطات على ثلاث سواري ، من الرخام ، منتظمة كأنها بلاط واحد ذراعها في الطول أربع مئة ذراع ، وفي العرض ثلاث مئة ذراع فيكون تكسيره محققا ثمانية وأربعين مرجعا . وما بين البلاطات فضاء كبير ، وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرا ، وقبة زهزم خارجة عنه وفي مقابلة الركن الشامي رأس سارية ثابتة [في الأرض ، منها كان حد الحرم أولاً وبين رأس السارية] وبين الركن الشامي المذكوران وعشرون خطوة ، والكعبة في وسطه على استواء من الجوانب الأربعة ما بين المشرق والجنوب والشمال والمغرب وعدد سواربه الرخامية — قال ابن جبير — : التي عددها بنفسه أربع مئة سارية وإحدى وسبعون سارية حاشا الحصينة التي منها في دار الندوة ، وهي التي زيدت في الحرم ، وهي داخلة في البلاط الآخذ من الغرب إلى الشمال ...

وللحرم سبع صوامع أربع في الجوانب الأربعة ، وواحدة في دار الندوة ، وأخرى على باب الصفا [وهي أصغرها وهي علم لباب الصفا] ، وليس يصعد إليها لضيقها ، وعلى باب إبراهيم صومعة ...

والبيت العتيق مبني بالحجارة الكبار الصم السمر ، قد رُصَّ بعضها إلى بعض ، وألصقت بالعقد الوثيق لصاقا لا تحيله الأيام ، ولا تقصمه الأزمان .

ومن آياته البينات أنه قائم وسط الحرم كالبرج المُشَيَّد، وله التنزيه الأعلى، وفيه نُتُو يسير، يظهر بعد التأمل... [وحمام] ^(٣) الحرم لا تُحْصَى كثرةٌ، وهي من الأمن بحيث يُضرب بها المثلُ، ولا سبيل إلى أن تنزل بسطحه الأعلى حمامةٌ ولا تحل فيه بوجهٍ ولا على حال، فترى الحمام تتجلل على الحرم كله فإذا قربت من البيت عرجت عنه يمينا أو شمالا، والطيور سواها كذلك. وفي بعض أخبار مكة أنه لا ينزل عليه طائر إلا عند مرض يصيبه فإما أن يموت أو يبرأ، فسبحان من أورثه التشريف والتكريم، وقال الشاعر ^(٤) :

والمؤمنين العائذات الطير ترقبه رُكبان مكة بين الغيل والسند

ومن عجائب اعتناء الله تبارك وتعالى بهذا البيت المبارك أنه لا يخلو من الطائفين ساعة من النهار ولا وقتاً من الليل، فلا تجد من يخبر أنه رآه دون طائف به، فسبحان من كرمه وعظمه.

وللحرم أربعة أئمة سُنيَّة، وكان قبل هذه الأزمنة خامس لفرقة الزيدية ^(٥)، وكان أشرف البلدة على مذهبهم وهم يزيدون في الأذان: (حيَّ على خير العمل) إثر قول المؤذن: حيَّ على الفلاح، وهم روافض سبابون، والله من وراء حسابهم وجزائهم. فأول الأئمة السُنيَّة الشافعي - رحمه الله - وكان هو المقدم فيما سلف من الأزمنة، لأنه المقدم من الإمام العباسي، وأما اليوم فالإمام الحنفي أقوى مذهباً لما أن الترك على مذهبه، وصلاة الإمام الشافعي خلف مقام إبراهيم، وله حطيم حفيظ، ثم المالكي - رحمه الله - وهو يصلي قبالة الركن اليماني، وله محاريب حجر تشبه محاريب الطريق الموضوع فيها ثم الحنفي - رحمه الله - وصلاته قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له، وهو أعظم الأئمة أئمة وأفخرهم آلة من الشمع وسواها. ثم الحنيلي - رحمه الله - وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحد وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ولا حطيم له.

ذكر أبواب الحرم الشريف :

في كل جهة أبواب جملتها تسعة وثلاثون : وباب بني شيبه في ركن الحائط الشرقي من جهة الشمال أمام باب الكعبة متياسرا ، وفي جهة الشمال باب الندوة ، ودار الندوة قد جعلت مسجداً شارعاً في الحرم ، مضافاً إليه ، وهي مقابلة لِلْحِجْرِ والميزاب ، وفي جهة الغرب بابُ العمرة وهو من أجمل أبوابه ، وهنالك مدرسة مليحة لها علوة وسفل ، وفي جهة الجنوب باب الصفا وهو في ناحية الركنين الأسود واليماني ، وكلاهما إلى ناحية اليمن . وفي « الموطأ » عن عبيد بن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر : رأيتك لا تمسُّ من الأركان إلا اليمانيين - الحديث (١) وهذه الأربعة الأبواب أشهر أبواب الحرم ، ونسبة هذه الجوانب إلى الجهات ليس على الحقيقة ولكن على التقريب ومراعاة الأكثر ، إذ الكعبة غير موضوعة على مسامنة حقيقة الجهات بل فيها انحراف .

واعلم أنَّ المسجد الحرام صانه الله تعالى لم يُسَنَّ قديماً ، ولا كان حول البيت حائط ، وفي البخاري عن عمرو بن دينار وعبدالله بن أبي يزيد قالوا : لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمرُ فبنى حوله حائطاً ، قال عبدالله : جدره قصير فبناه ابن الزبير ، قال بعضهم : والمسجد الحرام ذو ما دار بالكعبة وهو المصلى ، ويطلق على الكعبة ، وهو الظاهر من حديث أبي ذرٍّ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مسجد على ظهر الأرض وُضِعَ أولاً ، قال : « المسجد الحرام » ، قال ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » قال كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » فظاهر قوله (وُضِعَ) أنه أراد المبنى وهو البيت بلا مرية في قوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ لأن القبلة البيت ، وكان المسجد الحرام - على ما ذُكِرَ - غير محجّر ، والدور به محيطة فاشترى منها عمر دياراً فهدمها ، ووسع المسجد ، وامتنع بعض الناس من البيع فوضع لهم الأثمان في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد ، وقال لهم : فناء الكعبة إنما نزلتم

عليها ، ولم تنزل عليكم ، وأحاط بالمسجد حائطاً قصيراً ، ثم كثر الناس فصنع
عثمان كما صنع عمر فأكثرُوا الشكوى وهاجوا به فقال لهم : قد فعل عمر مثل
ما فعلت فلم يتصح أحد .

الصفاء والمروة :

قال في كتاب « نشق الأزهار في أخبار الأقطار » جبال الصفاء والمروة بين
بطحاء مكة المشرفة ، وقال الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾
وتقدم سبب مشروعية السعي بينهما في حديث ابن عباس من قصة أم إسماعيل
عليه السلام . قال أدل اللغة : الصفا الحجر الصلد الأملس ، والمروة حجارة
بيض رقاق ويقال هي حجارة القدّاح ، قال امرؤ القيس :
كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تَشْدُهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يَنْتَقُونَ بِعَبْقَرٍ

قال في الكتاب المذكور : الصفا والمروة رجل وامرأة قد زنيا في الكعبة
فمسخهما الله حَجَرَيْنِ فوضعوا كل واحد منهما على الحجر المسمى باسمه
حتى يعتبر كل من رآهما . وجاء في الحديث أنّ الدابة التي هي من أشراط الساعة
تخرج من الصفا ، وكان ابن عباس يضرب بعصاه الصفا ويقول : إنّ الدابة
تسمع قرع عصاي هذه ، وباب الصفا أحد أبواب الحرم المشهورة ، والواقف
به يرى الحَجَرَ الْأَسْوَدَ ، إن لم يحل بينه وبينه حائل ، وهو الذي يخرج عليه
إلى السعي ، وكل وأفيد إلى مكة — شرفها الله — يدخلها بعمره فيستحب له
الدخول على باب بني شيبه ، ثم يطوف سبعا ، ويخرج على الصفا ، ويجعل
طريقه على الأسطوانتين اللتين أمر المهدي — رحمه الله — بإقامتهما .

والصفا أربعة عشر درجا ، وهو على ثلاثة أقواس مشرفة ، والدرجة العليا
متسعة كأنها مصطبة ، وقد أحْدَقَتْ به الديار ، وفي سعته سبع عشرة خطوة
وأدراج المروة خمسة ، وهي تقويس واحد كبير ، وسعتها سعة الصفا سبع
عشرة خطوة ، وجميع خطا الساعي من الصفا إلى المروة أربع مئة خطوة

وثلاث وتسعون خطوة ، وما بين الصفا والمروة مَسِيلٌ ، هو اليوم سوقٌ حافلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر المبيعات الطعامية ، والساعون لا يكادون يخلصون من كثرة الزحام ، وحوانيت الباعة يمينا وشمالا ، وما للبلدة سوق منتظمة سواها إلا البزازين والعطارين فهم عند باب بني شيبه تحت السوق الكبيرة ، وبمقربة تكاد تتصل بها .

وعلى الحرم الشريف جبل أبي قبيس وهو في الجهة الشرقية يقابل ركن الْحَجَرِ الْأَسْوَدَ ، وفي أعلاه رباط مبارك ، فيه مسجد وعليه سطح مشرف على البلدة الطيبة ، ومنه يظهر حسنها وحسن الحرم واتساعه ، وجمال الكعبة المقدسة القائمة وسطه . قال ابن جبير : وقرأت في « أخبار مكة » لأبي الوليد الأزرقى أنه أول جبل خلقه الله عز وجل وفيه استودِعَ الْحَجَرُ مِنَ الطوفان ، وكانت قريش تسميه الأمين ، لأنه أدنى الْحَجَرِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفيه قبر آدم صلوات الله عليه ، وهو أحد أخشي مكة ، والأخشب الثاني الجبل المتصل بقميعة في الجهة الغربية . وفي جبل أبي قبيس موضع موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند انشقاق القمر له بقدرة الله عز وجل ، وناهيك بهذه الفضيلة والبركة ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء حتى الجمادات من مخلوقاته لا إله سواه .

ومن جبال مكة المشهورة بعد جبل أبي قبيس جَبَلُ حِرَاءَ ، وهو في الشرق منها على مقدار فرسخ أو نحوه ، مشرف على مِنَى ، وهو مرتفع في الهواء عالي القنة وهو جبل مبارك كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتنابه ويتعبد في غار فيه ، واهتزَّ تحته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسْكُنْ حِرَاءَ فما عليك إلا نَبِيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيد » وكان معه أبو بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما . وَيُرْوَى : « اثبتْ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » وكان عثمان رضي الله عنه معهم ، وأول آية نزلت من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في الجبل المذكور ، وهو آخذٌ من الغرب إلى الشمال ، ووراء طرفه الشمالي جبَّانة المِعْلَا التي تقدم ذكرها ، وسُورُ مكة إنما كان في القديم

من جهة المعلا ، وهو مدخل إلى البلد ، ومن جهة المسفل وهو مدخل أيضا إليه ،
وأما من جهة باب العمرة وسائر الجوانب فجبال لا يحتاج معها إلى سور ،
وسورها في هذه الأزمنة قد تهدم إلا آثار باقية .

ذكر بعض مشاهد مكة شرفها الله وبعض الآثار بها^(٧) :

لا شكَّ أنَّ مكة - شرفها الله - كلها مشهد كريم ، يكفيها شرفا
ما خصها الله من مثابة بيته الكريم ، وما سبق لها من دعوة الخليل إبراهيم ، وكفاها
أنها منشأ النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي آثره الله بالثشريف والتكريم ، وابتعثه
بالآيات والذكر الحكيم ، فهي مبدأ الوحي ، ومبدأ نزول التنزيل ، وأول مهبط
الروح الأمين جبريل ، وكانت مثابة أنبياء الله ورسله الأكرمين ، فمن مشاهدتها
التي عاينّاها قبة الوحي ، وهي في دار خديجة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ،
وفيهما كان ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بها ، وقبة صغيرة أيضا في الدار
المذكورة ، فيها كان مولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وفيها أيضا ولدت هي
سيّدتي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، رضي الله عنهما ، وهذه المواضع
المقدسة المذكورة مغلقة مصونة ، بنيت بناء يابق بمثلها ، ومن مشاهدتها الكريمة
أيضا مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مسها جسمه
الطاهر ، بُنيَ عليها مسجد . والموضع المقدس الذي سقط فيه صلى الله عليه
وسلم ساعة الولادة السعيدة المباركة ، التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين .
محفوظ بالفضة ، فيالحا تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط أطهر الأجسام . ومولد
خير الأنام ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام . وسام تسليم .

يفتح هذا الموضع المبارك ، فيدخله الناس كافة متبركين به . في شهر
ربيع الأول ، وفي يوم الاثنين منه ، لأنه كان شهر مولد النبي صلى الله عليه
وسلم ، وفي اليوم المذكور ولد صلى الله عليه وسلم . وتفتح المواضع المقدسة
المذكورة كلها ، وهو يوم مشهود بمكة . وتفتح المواضع المباركة للحجاج وقت
الحاج ، دائما يتبركون بها ، ويتنعمون بمشاهدتها .

ومن مشاهدتها الكريمة دار الخيزران ، وهي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله فيها سرّاً مع الطائفة الكريمة المباركة للإسلام ، من أصحابه رضي الله عنهم حتى نشر الله الإسلام منها على يد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكفي بهذه الفضيلة .

ومن مشاهدتها أيضاً دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهي اليوم معروفة بمكة ويقابلها جدار فيه حجر مبارك ، يتبرك الناس بلمسه ^(٨) يقال : إنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز عليه . وذُكر أنه جاء يوماً صلى الله عليه وسلم إلى دار أبي بكر رضي الله عنه ، فنادى به ولم يكن حاضراً فانطق الله عز وجل الحجر المذكور ، وقال : يا رسول الله ليس بحاضر ، وكانت من إحدى آياته المعجزات صلى الله عليه وسلم ^(٩) .

ومن جبال مكة التي فيها أثر كريم ، ومشهد عظيم ، الجبل المعروف بجبل ثور وهو في الجهة اليمنية من مكة ، على مقدار فرسخ أو أزيد ، وفيه الغار الذي أوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه الصديق رضي الله عنه ، حسبما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز . قال ابن جبير ^(١٠) : وقرأت في كتاب « أخبار مكة » لأبي الوليد الأزرق ، أن الجبل نادى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إليّ يا محمد إليّ يا محمد فقد أويت قبلك سبعين نبياً ، وخصّ الله عز وجل نبيه فيه بآيات بينات ، فمنها أنه صلى الله عليه وسلم دخل مع صاحبه على شق فيه ثلثا شبير ، وطوله ذراع ، فلما اطمأننا فيه أمر الله عز وجل العنكبوت فاتخذت عليه بيتاً ، والحمام فصنعت عليه عشّاً وفرخت فيه ، فأنهى المشركون إليه بدليل قصاص للأثر ، مستاف أخلاق الطرق ، فوقف بهم على الغار وقال : ما هنا انقطع الأثر فأما صعيد بصاحبكم من هنا إلى السماء ، أو غيض به في الأرض ، ورأوا العنكبوت ناسجةً والحمام مفرخة فيه ، فقالوا : ما دخل ما هنا أحد فأخذوا في الإنصراف فقال الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله لو وَاَجَبُوا عَلَيْنَا فَمَ الْغَارُ ما كنا نصنع ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو

ولجوا علينا فيه كنا نخرج من هنا » وأشار بيده المباركة إلى الجانب الآخر من الغار ، ولم يكن فيه شقٌ ، فانفتح للحين فيه بابٌ بقدره الله عز وجل وهو سبحانه قدير على ما يشاء ، وأكثر الناس يتتابون هذا الغار المبارك ، ويتجنبون دخوله من الباب الذي أحدث الله عز وجل فيه ، ويرومون دخوله من الشقّ الذي دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم تبركا به فيمتد المحاول لذلك على الأرض ، ويبسط خدّةً بإزاء الشقّ ، ويولج يديه ورأسه أولاً ، ثم يعالج إدخال سائر جسده ، فمنهم من يتأتّى له ذلك بحسب لطافة بدنه ^(١١) ، ومنهم من يتوسط بدنه فم الغار فيروم الدخول أو الخروج فلا يقدر ، فينشب ويلقي مشقة وصعوبة حتى يُتَنَاول بالحدب العنيف من ورائه ، فالعقلاء من الناس يجتنبونه لهذا السبب ، ولا سيما ويتصل به سببٌ آخرٌ مُخْجِلٌ فاضحٌ ، وذلك أن عوام الناس يزعمون أن الذي لا يسع عليه ويمتسك فيه ليس لرشدة ^(١٢) ، جرى هذا الخبر على ألسنتهم حتى عاد عندهم قطعاً على صحته ، لا يشكّون فيه ، فيحسب المنتشب فيه الأمر حقاً لما يكسوه من هذا الظان الفاضح المخجل ، زائداً إلى ما يكابده من لُزٍّ في ذلك المضيق ، وإشراف على المنية توجعاً ، وانقطاع نفّسٍ ، وبرح ألمٍ ، فالبعض من الناس يقولون في مثل : (ليس يصعد جبل أبي ثور إلاّ ثور) .

وعلى مقربة من هذا الغار في الجبل بعينه عمود منقطع من الجبل ، قد قام شبه الذراع ، بمقدار شبه القامة ، وانبسط له في أعلاه شبه الكف ، خارجاً عن الذراع ، كأنه القبة المبسوطة ، بقدره الله عز وجل ، يستظل تحتها نحو العشرين رجلاً ، وتسمى قبة جبريل صلى الله عليه وسلم .

ذكر شيء مما خص الله به مكة من الخيرات والبركات : ^(١٣) :

هذه البلدة المباركة استجاب الله فيها دعوة خليله إبراهيم في قوله ﴿ فاجعلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ ﴾ إلى ﴿ يشكروا ﴾ فالأفئدة إليها متجذبة من سائر الأقطار جَبَنَدَ الحديد حجارة المغناطيس ، فترى الناس يأتونها أبداً أفواجا من كل فج عميق ، ومن كل بلد سحيق ، لا يصدّهم عنها صاد ، ولا يحول بينهم وبينها

الموت الزؤام ، وأما رزقهم من الثمرات التي تُجسبى لهم من كل شيء فبرهان ذلك ظاهر ، ودليله باهر ، متصل إلى يوم القيامة وما رآه كمن سمع أقلد وجدي فليبرهن... فما أضيع البرهان عند المقلد

فهى أكثر بلاد الله نعما وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر، ولو لم يكن لها من المتاجر إلا وقت الموسم الذي يجتمع فيه أهل المشرق والمغرب ، فيباع فيها في يوم واحد فضلا عن سائر الأيام من الأمتعة وأنواع البز وأنواع الجواهر واليوافيت والذخائر النفيسة ، والثياب الهندية ، والأواني الصينية ، ومن أنواع الطيب كالمسك والعنبر والكافور والزباد والعود والعقاقير ، وغير ذلك ما لا يدخل تحت الحصر ، ولا ينضب ، ولو فرّق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق الحافلة النافقة ، دَعَ عَنْكَ مِصْرَ وَغَيْرَهَا . وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات فشيء تغص به الأسواق ، وقد أدركنا شيئا من فاكهتها وخضرها ، فرأينا شيئا عظيما طعما وحسن مذاق . وحدثونا عما لم ندركه بها من الفواكه الصيفية والخريفية ، وأنواع البقول بما لا مزيد عليه في الوصف ، وكل فواكهها عجب ، ولا سيما البطيخ له فيها خاصة من الفضل عجيبة ، وذلك لأن رائحته أعطرُ الروائح وأطيبها ، يدخل به الداخل عليك فتجد رائحته العبيقة قد سبقت إليك ، فيشغلك الاستمتاع بطيب ريّاه عن أكلك إيّاه ، وبها غسل أطيب من الماذي الذي يُضربُ به المثل ، ويعرف عندهم بالمسعودي ، وأنواع اللبن فيها في نهاية من الطيب ، قبح الله أهل مصر الذين يغشون اللبن في ضرع الحيوانات ، وأذكر الفجّار بما فيهم ليحذرهم الناس . وأما الحُلُوف فيصنع بها منها أنواع غريبة من العسل والسكر المعقود ، على صفات شتى ، حتى أنهم يعملون بها حكايات جميع الفواكه الرطبة واليابسة ، يتصل منها أسمطة بين الصفا والمروة ، لم يشاهد أحدٌ أجملَ منظراً منها بمصر ولا بسواها ، قد جُلِيَتْ على منَصَّاتٍ كأنها العرائس ، تراها منضدة ملونة ، تلوح كأنها الأزهار حسنا ، تقيّد الأبصار ، وتستترل الدرهم من صيّا صيّنه والدينار ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ وهذه الفواكه تجلب إليها من الطائف وهي على مسيرة ثلاثة أيام منها على الرفق

والتَّؤدَّةِ ، ومن قرى حولها ، وأكبر هذه المواضع موضعٌ يعرف بالهَدَّةِ ، هو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلا ، وهو من نظر الطائف ، ويحتوي على قرى كثيرة^(١٤) ومن بطن مَرٍّ وهو على مسيرة يوم أو أقل ، ومن نَخْلَةٍ . وهي على مثل هذه المسافة ، ومن أودية تقرب من البلدة كعين سليمان وسواها . قد جلب الله إليها قوما من المغاربة ذوى بصارة بالفلاحة والزراعة ، فأحدثوا فيها بساتين ومزارع ، فكان أحد الأسباب في خصب هذه الجهات . وذلك بفضل الله عز وجل وكريم اعتنائه بحرمه الكريم وبلده الأمين^(١٥) .

وأما لحوم ضأنها فقد وقع الاتفاقُ ممن تطوف الآفاق ، وضرب نواحي الأقطار أنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا ، وما ذاك - والله أعلم - إلا لبركة مراعيها ، هذا على إفراط سمنه ولو كان سواه من لحوم البلاد ينتهي ذلك المنتهى في السمن للفظته الأفواه سهوة^(١٦) ودسماً ولعافته وتجنبتة ، والأمر في هذا بالضد . كلما زاد سِمَنًا زادت الشهوة فيه رغبة ، والنفس له قبولاً . فتجده حينئذ رخصاً يذوب في الفم قبل أن يُلَاكَ مضغاً ، ويسرع لحفته عن المعدة انضماماً . وما ذاك إلا من بركة البلد الأمين ، والله يجعل فيه رزقا لمن تشوق إلى بلد الله الحرام ، وتمنّى هذه المشاهد العظام ، والمناسك الكرام بعزته وقدرته .

ومن البركات التي خص الله بها هذا البلد الأمين ماء زمزم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له » . وهذا الماء المبارك في أمره عجب ، وذلك أنك تشربه عند خروجه من قراره فتجده في حاسة الذوق كاللبن عند خروجه من الضرع . وتلك من الله آية وعناية ، وبركته أشهر من أن تحتاج لوصف واصف ، ومن الأمور المجربة في هذا الماء المبارك أن الإنسان ربما وجد مَسَّ الإعياء وفطور الأعضاء إمّا من كثرة الطواف أو عمرة يعتمرها على قدميه أو من غير ذلك من الأسباب المؤدية إلى تعب البدن ، فيصب من ذلك الماء على بدنه ، فيجد الراحة والنشاط لحينه ، ويذهب عنه كل ما كان أصابه . وأما الاقتيات به فأمر شاهدناه وذقناه بل أكلناه ، فإنه يقوم مقام الطعام

على كل حال ، وقد أخبرني بعض الناس ممن قدم معنا حاجاً من مصر أنه حج في بعض السنين الماضية، وكان ضعيف الحال، بادي الإقلال ، فكان يظل صائماً ويفطر على ماء زمزم ، ويصبح صائماً فعل ذلك أياماً ، حتى قبض الله له من تولى إطعامه . ويحكى أن أهل مكة كانوا في الجاهلية إذا أصابتهم سنة ، وأعوزهم القوت يلجأون إلى زمزم فيأتي الرجل بأهله وأولاده إلى زمزم يسقيهم منه وقت عشائهم ووقت غداثهم والله رؤوف رحيم .

(للحديث صلة)

الحواشي :

- (١) رحلة ابن جبير - ص ٥٢ - ومنها أكل نقص بعض الحمل بما وضع بين مريعين [...] .
- (٢) رحلة ابن جبير - ص ٥٥ - .
- (٣) بياض في الأصل وأكل من رحلة ابن جبير .
- (٤) هو النابغة الذبياني ، وفي ديوانه : (تمسحها) بدل (ترقبه) .
- (٥) رحلة ابن جبير - ص ٧٠ - إلى الكلام على الصفا والمروة - مع إضافة جمل يسيرة عن الإمام الحنفي .
- (٦) انظر الحديث بطوله في كتاب « القرى لقاصد أم القرى » للطبري محب الدين - ص ٦٩ - .
- (٧) من رحلة ابن جبير - ص ٨١ - .
- (٨) التبرك بالصالحين يكون بالافتداء بأعمالهم الصالحة لا بما ينسب إليهم من مواضع نسبة الله أعلم بصحتها ، ولو ثبت لم يحز شرعاً التبرك بها .
- (٩) لو كان من المعجزات المذكورة علماء السلف الذين ألفوا المؤلفات فيها ، ولكن ما يتعلق بهذا الحجر من الأخبار بما تتناقله العامة من الأخبار الخرافية .
- (١٠) رحلة ابن جبير - ص ٨٣ - .
- (١١) في رحلة ابن جبير (قضاة) .
- (١٢) أي ابن زنا .
- (١٣) رحلة ابن جبير - ص ٨٦ - مع تغيير بعض العبارات بإبدال أو حذف واختصار ، وزيادات يسيرة .
- (١٤) في « رحلة ابن جبير » - ص ٨٨ - : (.. ومن قرى حولها ، وأقرب هذه المواضع يعرف بأدم ، هو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلاً وهو من بطن الطائف ، ويحتوي على قرى كثيرة) .
- (١٥) من كلام ابن جبير - ص ٨٩ - .
- (١٦) في رحلة ابن جبير - ص ٨٨ - : (للفظته الأفواه زهواً ، ولعافته وتجنبتة) .

أشعار الخليل الحسين بن الضحاك

الحسين بن الضحاك من شعراء الدولة العباسية الذين لم تصل إلينا دواوينهم . غير أننا نجد شعرهم في مصادر الأدب والتاريخ . وأبو علي صاحبنا هذا بأهليّ بالولاء ، ولد بالبصرة وبها نشأ ، ثم ارتحل إلى بغداد وأقام بها في عصر الرشيد والأمين والمأمون ، ثم تحول إلى سامراء حين مُصِّرت ، فصارت حاضرة الدولة العباسية في عصر المعتصم ، ومكث فيها في أيام الواثق والمتوكل ومن خلفه من الخلفاء وتوفي في خلافة المستعين سنة ٢٥٠ .

عرّف الحسين الخليل بلهوه وعبثه ومجونه ، وشعره في كتب الأدب والتاريخ يفصح عن هذا ، وربّما لم نقع على شيء يخرج عن هذه الأشتات العابثة الالهية ، قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمته في « الأغاني » : إنّ أبا نواس كان يأخذ معاني الحسين بن الضحاك في الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نواس ، وله معاني في صفتها أبدع فيها وسبق إليها فاستعارها أبو نواس .

وجاء في أخبار أبي نواس لابن منظور : « قال أبو عبدالله أحمد بن صالح ابن أبي نصر : كان أبو بحر عبد الرحمن بن أبي المدهد شاعراً مُجِيداً ، وكان لا يكاد يقول شيئاً إلاّ نُسِبَ لأبي نواس ، وكذلك الحسين بن الضحاك . وقد غلب^(١) الكثير من شعرهما .

وشعره يدخل في جمليته في باب (الظرف) ، وهو في ظرفه ومجونه متجنب

للفحش وهجر القول ، متين اللفظ رصينه مع رقة لا تفدح في هذه الرصانة .
تواتيه قريحة خِصْبَة ينطلق فيها على سجيته .

وقد فطن الأستاذ عبد الستار فراج إلى أدب الخليل فجمع أشعاره ، كما جمع
أشعار غيره ممن لم تصل إلينا دواوينهم فكان له من ذلك مجموع في أشعار المجنون
ومثله في أشعار قيس بن ذريح وأشعار جميل بن معمر .

وقد جاءت « أشعار الحسين الخليل » في مجموع لطيف ذيله بأخباره التي
وردت في مصادر الأدب^(٢) . وكان لي أن استمعت بهذا المجموع ، الذي وجدت
من الفائدة أن أقف عليه قليلاً فأقول :

١ - جاء في الصفحة (١٩) قول الشاعر :

ما بين بطنٍ بثيرانٍ حللتُ به إلى الفراديس إلا شوبُ أُنْذاء

وقد شرح الأستاذ فراج (بثيران) في حاشيته فقال : بثيران والفراديس أسماء
مواضع ، وأراد اسمي موضعين ، ثم قال : ورويت بثيران (بتقديم التاء على الباء) ،
ثم قال : وليس في « معجم البلدان » بثيران ولا بثيران . أقول : وليس في غير
« معجم البلدان » من كتب البلدان الأخرى هذا الذي أثبتته جامع الكتاب . والذي
أراه أن الباء في (بثيران) حرف الحذف ، والأصل « ثيراب » وهو اسم موضع
ذكره ياقوت وغيره ، وهكذا يكون الأصل (بثيراب) .

٢ - وجاء فيها أيضاً البيت :

فَعَدَّ هَمْلَكَ عَنْ طَرَفٍ يَمَارِسُهُ جِلْفٌ تَلَفَّعَ طِمْرًا بَيْنَ أَحْنَاءِ

وقد شرح جامع هذه الأشعار الكام الصعب في البيت فقال في (الأحناء) :
جمع حِنُو ، ومن معانيه العود المعوج من الرحيل والسرَج ، وهو في السرج
ما يسمى القربوص .

أقول : صحيح أن الحنو يفيد هذا المعنى ولكننا لا ندرك مكانه من (الطمر) ،
فهل تكون الأحناء شيئاً يتصل بحواشي الطمر من طيات اللباس واثنائها ؟ أو كأن
الشاعر أراد أن يقول : إن الجلف قد تلفع بثوب خلّق ! مُلَقَّف .

٣ - وجاء في الصفحة (٢٠) البيت :

ففي غدٍ لكّ من زهراء صافية بطيّرناباذ ماء ليس كالمساء

أقول : والصواب : طيز ناباز بالزاي وهو موضع بين الكوفة والقادسية كانوا
يجمعون فيه للشراب ، كما ورد اسم الموضع بالراء في الشرح أيضاً .

٤ - وجاء فيها أيضاً البيت :

فاستنفض القطر ما وشى المصيف لها واستبندلت جدّداً من بعد أنضاء

وقال الأستاذ فراج في شرح (أنضاء) : النضو الثوب الخلق وجمعه أنضاء !!

أقول : ليس في معاني النضو هذا الذي ذكره جامع الأشعار ، لأن النضو
هو البعير المهزول أو الناقة ، وقد يستعار مجازاً لكل شيء متعب مستهلك ، وفي
استعمال الشاعر ما يفيد هذا على سبيل الاستعارة .

٥ - وجاء في الصفحة ٢١ البيت :

فُضَّتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصِفِيهَا عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي جَفْنٍ مَرَّهَاءَ

وقال الشارح : والمرهء : المرأة التي لم تكتحل ..

أقول : و (المرهء) في البيت هي المرأة التي لم تكتحل . وقد أشار الأستاذ
فراج إلى أن أبا نواس أخذ هذا المعنى فقال :

أني بها قهوة كالملك صافية كدومة مئة منحتها الحسد مرهء

أقول : والمرهء في بيت أبي نواس هذا هي العين وليست المرأة . وقد يتوسع
في المرهء فتدلّ على المرأة التي لم تكتحل .

٦ - وجاء في الصفحة ٢٢ البيت :

لم يبقَ من شخصها إلا توهّمه فآشئ منها إذا استثبت كالألاء

وقد علق الشارح على قول الشاعر كالألاء فقال : الألاء قد يكون مقلوب
الآل وهو السراب ولم أجد الألاء بمعنى الآل في كتب اللغة ، وقد تكون الألاء
ممدودة من (لا) النافية ...

أقول : ولا وجه أن تكون (الألاء) مقلوب (آل) ، وليس في البيت ما يعين
على هذا بلّكه أن هذا القلب لم يؤثر عن علماء اللغة ، ولم يرد في كتب القلب .
وهو من غير شك (لا) النافية وقد مُدَّتْ للقافية كما مُدَّتْ للوزن في شواهد
كثيرة . والبيت يشير إلى أن هذا هو المراد .

٧ - وجاء فيها أيضاً :

رَبْحَانَةُ النفس تُهَوَّى عند شَمَّتِيهَا جاءتْ بذلك روايات ابن دَنْحَاء

وقد علق الشارح على (ابن دحء) في البيت فقال : لم نعثر في كتب اللغة
أو كتب المضافات تعريفاً بابن دحء ولعله اسم لحمّارٍ في زمانهم .

أقول : هذا الذي ذهب إليه ظن الأستاذ الشارح من أنه اسم لحمّار صحيح .
ولكن الصواب : ابن دَنْحَاء و دَنْحَاء هذا كما في البيت هو من (دَنْحَا)
السريانية . وهو علم عند النصاري مازال معروفاً في أسمائهم . وقد يكون بالضم
فيقولون : (دنحو) . والاسم من (الدنج) من أعياد النصاري : وهو من (دَنْحَا)
السريانية ومعناها الظهور أي ظهور المسيح لبني قومه يوم معموديته . وقد جاء
ذكر (الدنج) في « الآثار الباقية » ص ٢٩٣ . و « المخصص » ١٣/١٠٣ . والمعرّب
ص ١٥٤ . وذكره أبو نواس في شعره الحمري . وقد ورد في معجم البلدان
٣١٤/٣ قول المعتمد :

بالدبّر بالعلثِ ورهبانيه بين الشعانين إلى الدنج

٨ - وجاء في الصفحة ٢٤ البيت :

بَارَبٌ قَدْ أَمْلَكْتَ مِنْ (بَابِك) فَاجْعَلْ لِي لِيَتَوَنِّيْلِهِمْ الْعُقْبَى

وقد علق الشارح على (بابك) وأشار إلى أنه الخُرْمِي وهو الذي شغل الدولة العباسية في عهد المأمون والمعتصم بتمردِهِ . وقد توسع الأستاذ فراج في الكلام على فتنه بابك هذا ، ولكنه لم يُعرف (توفيل) ملك الروم وسكت عنه ، ولتوفيل هذا مكان في الحرب التي شنها المعتصم ففتح بها عمورية المشهورة .

٩ - وجاء في الصفحة ٣٣ البيت :

لَمَّا اصْطَبَحْتُ وَعَيْنُ اللَّهِ تَرْمَقُنِي قَدْ لَاحَ لِي بَأَكْبَرُ فِي ثَوْبٍ بَذَلْتِهِ

أقول : والصواب : بَذَلْتُهُ بكسر الباء .

١٠ - وجاء في الصفحة ٣٧ قول الشاح :

قال في دير سابِر (كذا) ، وكأن الشارح أخذ اسم الدير من بيت للشاعر في القصيدة التي وردت في الصفحة نفسها :
في دَيْرِ سابِر والصباح يا-وح لي

أقول : واسم الدير (دير سابور) والشاعر قد اكتفى بالضم عن المد لاقتضاء الوزن ، ودير سابور قد ورد في « معجم البلدان » و « الديارات » و « مسالك الألبصار » .

١١ - وجاء في الصفحة (٣٩) قصيدة أبي نواس الحائية ، وقد سمح الشارح فأثبتها مع أشعار الخليل ليشير إلى أنها كحائية الخليل وأنَّ أبا نواس أخذ منها بعض معانيه (كذا) .

أقول : كان على الشارح أن يذكر القصيدة في المامش .

١٢ - وجاء في الصفحة ٤٠ في آخر بيت من قصيدة أبي نواس الحائية التي
أشرنا إليها :

صفراء تفتّرس الفراس فلا ترى منها بهين سوى السُّبُباتِ جراحا
أقول : لا وجه للفراس ، والصواب : النفوس ، وهي كذلك في ديوان
أبي نواس .

١٣ - وجاء في الصفحة ٦١ قول الشارح :

وقال في دير عَمَر (كذا) مريونان

أقول : إن الجمع بين كلمة (دير) وكلمة (عمر) من أوهام الشارح ذلك
أن (الدير) هو (العُمُر) بضم العين لا فتحها كما أثبت الشارح . وقد عرض له
هذا لأنه وجد في « معجم البلدان » (دير مريونان) ووجد في (الديارات) و (عمر
مريونان) فأضاف الأول إلى الثاني .

١٤ - وجاء في الصفحة ٦٨ تعليق للشارح على قطعة من ثلاثة أبيات هجا فيها
الشاعر جرّاحاً مخنثاً اسمه نصير ، وقد كان البيت الثالث :

هل لك أن نلعبَ في قرشنا نقلابَ الطير المراعيش

قال الشارح في الكلام على هذا البيت : يعني بذلك (...)

أقول : ما كان أغنى الشارح عن هذا التعليق البذيء .

١٥ - وجاء في الصفحة ٧٩ :

لم يفعلوا بالشَّطِّ إذْ حَضَرُوا ما تفعل الغيرةُ الأتِفُ

أقول : لم يتَّجه لي شيء واضح من البيت ، ولا أدري ما علاقة العجز بالصدر ،
ولم يتوقف الجامع وهو يشبّه البيت بل اكتفى بشرح الفعل : أتِفْ بأنف .

١٦ - وجاء في الصفحة ٨٥ البيت :

هَرَّتْ بِطَارِقُهَا هَرِيرَ ثَعَالِبٍ بُدِهَتْ بِزَّارٍ قَسَاوِرِ طُورٍ أَقْرِ

وقد شرح الشارح القساور فقال : هم الشجعان .

أقول : والقساور جمع قَسُورٍ أو قَسُورَةٍ ، أي الأسد ، والكلمة بهذا المعنى

الحقيقي في البيت .

١٧ - وجاء في الصفحة ٨٨ البيت :

كَشَفْتُ عَنْ وَرَّةٍ مُزْعَفَسَةٍ فِي لَيْنٍ صِينِيَةٍ مِنْ الْفَلَكِ

وقد علق الشارح فقال : الفلك التلُّ من الرمل وكثيراً ما تشبَّه العجيزة في الضخامة واللين بكثيب الرمل ، أو أنها : الفلك وهو جنس من الثعالب فروته من أحسن الفراء ...

أقول : ولا مكان للفلك في البيت وبعده قول الشاعر (صينية) وهذه تشعر أن

(الفرو) منسوب إلى الصين ، وهو أجود ما يكون .

١٨ - وجاء في الصفحة (٨٩) البيت :

سَقَى اللَّهَ بِالْقَاطُولِ مَسْرَحَ طَرْفِكَ

وقد علق الشارح على القاطول فقال :

القاطول اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة .

أقول : إن قول الشارح : كأنه مقطوع من دجلة يشير إلى أنه بحث في (قطل)

فوجده بمعنى (قَطَعَ) فذهب إلى ما أثبتته في الشرح .

وما أظن أن يكون هذا هو الأساس في التسمية ، والذي أراه أن مادة (قَطَلَ)

معروفة في العبرانية والسريانية وهي بمعنى (قَتَلَ) في العربية . ولفظ (قاطول)

اسم فاعل في السريانية ، ولعل التسمية جاءت من اسم موضع سبق النهر أو أن الموضع قد سمي باسم رجل هو (قاطول) .

وبعد فهذه جملة وقفات أفدتها من قراءتي لهذه الأشعار الممتعة .

ومن الفيد أن استدرك أبياتاً عدّة وجدتها للحسين الخليع في كتاب « التحف والهدايا » للخالدين (ص ٩٧) كتب بها إلى يوسف الكاتب ليلة عيد ميلاد السيد المسيح يستهديه شمعاً :

وليلة ميلاد عيسى المسيح قد ظالبتني بميثاقها
فهذي قدوري على نارها وفاكهي ملء أطباقها
وبنتُ الدنان فقد أبرزتُ من الحدر تجلى لعشاقها
فكن مهدياً لي فدتك النفوس فجودك ممسك أرقامها
نظائير صفراً غدت فتنةً باطف أنامل حذاقها
ومثل الأفاعي إذا ألهمت وللروم زرقعة أحداقها
ولم أرَ من قبلها أنفساً تذيبُ الجسوم بإحراقها
وإن مرضت لم يكن برؤها بشيء سوى ضرب أعناقها

الدكتور إبراهيم السامرائي
كلية الآداب - الجامعة الأردنية

الحواشي :

- (١) كذا ولعلها (سلب) .
- (٢) نشرته (دار الثقافة في بيروت) في ١٥٨ صفحة سنة ١٩٦٠ م .

الأعراف اليمينية والقضاء البدوي

- ١ -

[كانت مجلة « العرب » تحدثت من ٢٠ ص ١٢١ - عن الكتاب الذي ألفه الدكتور يوسف شلحدين « اليمن تاريخاً وحضارة » . وقد طلبت من الأستاذ الكريم إتخاف القراء بفصل معرب من ذلك الكتاب الذي ألف باللغة الفرنسية ، فأفضل مشكوراً بهذا البحث] .

قوطة : تفضل ... الشيخ حمد الجاسر فطلب من كاتب هذه السطور أن يوافيه بترجمة لفصل من فصول الكتاب الذي نشره باللغة الفرنسية عن اليمن تحت عنوان : « العربية الجنوبية : تاريخها وحضارتها » ، وهو يقع في ثلاثة أجزاء من الحجم الكبير .

وإني مع شكري العميق لصاحب مجلة العرب على اهتمامه بهذا المؤلف لأبدي من الإقرار بأن هذا الطلب أوقعني في حيرة شديدة . أولاً لأن فصول الكتاب متماسكة ، كل واحد منها مرتبط بالذي سبقه ويمهد البحث للذي يليه . ولذا يصعب عزل بعضها عن بعض إلا إذا تصرفنا بالترجمة . وثانياً لأن (الانثروبولوجيا) الثقافية علم له اصطلاحاته وتعبيره الخاصة . ولعل علماء اللغة العربية أوجدوا الألفاظ والمرادفات للإعراب عن مقتضيات هذا العلم الحديث . ولكنني أقر بكل تواضع بأنني أجهلها . وحدّثت أن قرأت مقالة باللغة العربية عن النظرية البنيوية . وكأني به كُتِبَ باللغة اليابانية أو الصينية . بل إني قرأت يوماً بعض مقتطفات من بحث لي ، تُرجمت إلى اللغة العربية فالتوى علي فهمها ! ولذا رأيت أن أختار فصلاً سهلاً المنال . وإن كانت النظرية العلمية التي أفترحتها لفهم التطور الاجتماعي غير ماثلة فيه . ولعله من المناسب أن أغتنم الفرصة لأقدم عرضاً وجيزاً لها .

لقد شغلت النظرية البنيوية عالم الفكر رديحاً طويلاً من الزمن ضفت سنوه على العشرين ، وهي وإن كانت اليوم آخذة بالتقلص فإن لها عدداً من المناصرين

والاتباع على الرغم من الانتقاد الشديد الذي تعرضت له منذ أوائل السبعينات .
والواقع أن هذه النظرية التي تستهوي العقل بشدة منطقتها لا تُفسّر كبير شيء
لأنها لا تربط النتائج بأسبابها بل تكتفي غالباً برد الأمور إلى جذورها الأساسية .
ويحال لأول وهلة أنها نظرية حديثة ، أما الحقيقة فإنها تعود إلى مبادئ قديمة قال
بها سابقاً أهل اللغة . وعندما ردّ علماء العروض الشّعْرَ إلى بحور من طويل وبسيط
وكامل ... وضعوا الأسس الأولى للنظرية البنيوية . ومن الغرابة بمكان أن نجد في
كتاب « سرّ الليالي في القلب والإبدال » للمؤلف اللبناني الكبير أحمد فارس الشدياق
بعض مبادئ البنيوية اللغوية التي قال بها العالم السويسري فردينان دي سوسور
بعده بعشرات السنين ^(١) .

وليس هنا مقام البحث عن هذه النظرية المعقدة وإن كان العمل بها يبدو سهلاً
لأول وهلة . ولكننا لم نأخذ بها على الرغم من المحل الكبير الذي تشغله في الدراسات
(الانثروبولوجية) لأنها تحمل الناحية التاريخية . والواقع أن المقابلين على هذه الدراسات
أولوا كل اهتمامهم الشعوب البدائية . والمعروف عنها أنها تعيش على العادات
والتقاليد ، وأن ليس لها تاريخ مكتوب ولا تحفظ منه غير المتقول سماعاً وأخذ
الناس أباً عن جدّ . فمن الممكن والحالة هذه أن يهمل الباحث الاجتماعي الشواهد
التاريخية إذ لا سبيل إليها . ولكنه إذا أكب على دراسة أمم عرفت الكتابة منذ أقدم
العصور التاريخية فلا بُدَّ له عندئذٍ من الرجوع إلى كتب التاريخ ليقارن الحاضر
بالماضي ليعلم كيف تمّ تطور الأوضاع الاجتماعية على مرّ الزمن .

وهناك غيرها من النظريات لا مجال لعرضها هنا . وقد ضربنا صفحاً عنها لأنها
لا تتماشى مع الأوضاع الخاصة التي تمتاز بها الشعوب العربية كما بيناه في المقدمة
العامة ، وأخذنا بالنظرية التطورية الجديدة وهي تحالف النظرية التطورية المعروفة
في نقطتين : أولاً أنها لا تزعم أن الإنسانية في تطورها تمرّ دائماً بنفس المراحل ؛
وثانياً أنها تسلّم أن تطور الإنسان يتم على خطوط مختلفة ، على حسب البيئة الخاصة
التي تحيط به والعوامل الإنسانية الخارجية . وعلى الجملة فإن في كتاب « العربية

الجنوبية » محاولة لفهم الخصائص الاجتماعية استناداً إلى عاملين أساسيين هما أكبر أثر في الاختلاف الثقافي بين الأمم ، وهما المحيط الجغرافي والتاريخ الذي يستقي من عناصر سابقة للتاريخ .

ولهذه الأسباب درسنا أولاً ، في الجزء الأول والثاني ، تاريخ العربية الجنوبية وحضارتها . أما الجزء الثالث فهو يهتم خاصة بـ (الانثروبولوجيا) الثقافية والاجتماعية . وهذا ميدان واسع الأرجاء لأنه يتناول بالبحث جميع مظاهر الحياة الاجتماعية اللاشعورية وأعني بها ما يأخذه الإنسان عفواً عن المحيط الذي يعيش فيه مثل اللغة التي يتكلم بها ، والمعتقدات الدينية والشعبية ، والعادات والتقاليد والأعراف والمراسيم وأسلوب المعيشة والفنون الشعبية ... وأمام تعدد المواضيع لابدّ للباحث من اختيار أكثرها أهمية ، لاسيما التي يستدل منها على الخصائص الاجتماعية مثل التركيب الطبقي ونظام القرابة والزواج والقضاء القبلي والفن المعماري والصناعات اليدوية .

وبناء على ما تقدم رأيت أن أقدم لقاري مجلة العرب الفصل السادس من الجزء الثالث ، وفيه بعض الملاحظات عن الأعراف اليمنية وصلتها بالقضاء البدوي .

(للبحث صلة) يوسف شلحد

باريس : المركز القومي للبحث العلمي :

الحواشي :

- (١) أحمد فارس شدياق ، سر الليالي في القلب والإبدال ، ج ١٠ ، ص ٤ وما بعدها ، وأيضاً ص ١١ ؛ الأستاذة ، ١٢٨٤ هـ . وكذلك للمؤلف نفسه : « أعجب العجب في خصائص لغة العرب » . ولاشك أن الشدياق أخذ عن ابن جني نظرية الاشتقاق الأكبر وأكته وسماها وأضاف إليها بعض المبادي التطورية في نشوء اللغات ، ويقرر أيضاً بعض مبادي البنيوية اللغوية .

ما اتفق لفظه واختلف سَمَاه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الخازمي (٥٤٨/٥٥٨٤)

— ٣٤ —

٢٠٦ — بابُ جُمَالٍ ، وَجَمَّالٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ — : بَلَدٌ نَجْدِيٌّ ،
قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

صُدُورُ دُوْدَانَ فَأَعْلَى تَنْصُبٍ فَالْأَشْهَبَيْنِ فَجُمَالُ فَالْمَحَجِّ

قال الأودِيُّ : دُوْدَانُ : وَادٍ وَالْأَشْهَبَانِ بَلَدٌ وَجُمَالُ : بَلَدٌ ،
وَالْمَحَجُّ : طَرِيقٌ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي : أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مُفْتُوحَةٌ ، ثُمَّ مِيمٌ مُشَدَّدَةٌ : —
جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ^(٣) .

٢٠٧ — بابُ جُمُودٍ ، وَجَمَمَدٍ^(٤)

أَمَّا الْأَوَّلُ : بِضَمِّ الْجِيمِ وَالْمِيمِ — : جَبَلٌ قال زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو
ابْنُ نَفِيلٍ الْعَدَوِيُّ :

نُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحاً نَجُودُ بِهِ وَقَبَلْنَا سَبَّحَ الْجُودِيَّ وَالْجَمَمَدُ

قاله أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى^(٥) .

وَأَمَّا الثَّانِي : - بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالْمِيمِ - : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ
مَدِينَةِ السَّلَامِ ^(١) .

٢٠٨ - بَابُ الْجَمَاءِ ، وَالْخَمَاءِ ^(٧)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بَعْدَ الْجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ مِيمٌ مُشَدَّدَةٌ وَبِالْمَدِّ - :
مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ وَهِيَ نَاحِيَةُ الْعَقِيقِ إِلَى الْجُرُفِ ،
قَالَ الْوَاقِدِيُّ ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْمَغَازِي ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ
وغيره فِي يَزْمٍ أَحَدٌ : وَسَارَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي جَمْعِ قُرَيْشٍ
حَتَّى طَلَعُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَّالَيْنِ وَنَزَلُوا بِطْنِ الْوَادِي إِلَى قِبَلِ أَحَدٍ .

وَقِيلَ : بِالْمَدِينَةِ جَمَاءُ الْعَاقِرِ ، وَجَمَاءُ تَضَارِعَ ، وَجَمَاءُ أُمِّ
خَالِدٍ ، جِبَالٌ ثَلَاثَةٌ ^(٨) .

وَأَمَّا الثَّانِي - أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ - : فِي أَشْعَارِ كَلْبٍ ^(٩) .

الحواشي :

- (١) فِي كِتَابِ نَصْرِ : (بَابُ جُمَالٍ وَجَمَالٍ وَحَمَالٍ) .
- (٢) قَالَ نَصْر : مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ - فِيمَا أَحْسَبَ - وَلَمْ يَزِدْ . وَقَدْ وَرَدَ بَيْتُ حُمَيْدٍ فِي دِيْوَانِهِ - ٦٣ - بِهَذَا اللَّفْظِ
صُدُورُ دَوْدَانَ فَأَعْلَى تَنْضُبٍ فَالْأَشْهَبَيْنِ فَجَمَالٍ فَالْمَجْعِ
وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْمِمْنِيُّ قَائِلًا : الْبَيْتُ فِي الْبَكْرِ - ٣٥٥/٢٤٥/١١٨ - وَدَوْدَانُ قَالَ الْبَكْرِيُّ
- فِي كَلَامِهِ عَلَى دُورَانَ - : وَرَدَ فِي شِعْرِ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ (دَوْدَانَ) بِدَالَيْنِ مَهْمَلَيْنِ ، وَأَنَا مِنْهُ أَوْجَرُ (أَوْجَلُ)
وَأَطْلَعْتُ دُورَانَ - ثُمَّ أَوْرَدَ الْبَيْتَ بِرَوَايَةِ دُودَانَ ، وَدُورَانَ وَادٍ يَقَعُ فِيمَا بَيْنَ قُدَيْدَةَ وَالْجُحْفَةِ ، وَتَنْضُبٌ هُنَا
قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ بِأَعْلَى نَخْلَةٍ ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ وَنَخْلٌ ، وَالْأَشْهَبَانِ : ثَنِيَّةٌ أَشْهَبُ وَهَمَا جَبَلَانِ مُتَقَابِلَانِ
بِنَجْدٍ . وَجَمَالُ : قَالَ الْبَكْرِيُّ : إِنَّهُ بِلَدٍ . وَبَجَجَ : مَاءٌ لَبَنِي عَيْسَ . انْتَهَى تَعْلِيقُ الشَّيْخِ الْمِمْنِيِّ وَلَكِنْ يَلَاظُ
أَنَّ الشَّاعِرَ عَطَفَ أَسْمَاءَ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِحُرُوفِ الْفَاءِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَقَارُبِهَا ، وَالْمَوَاضِعُ الْوَارِدَةُ فِيمَا نَقَلَ الشَّيْخُ
الْمِمْنِيُّ مِنْ تَعْرِيفِهَا مُتَبَاعِدَةٌ ، فَدُورَانَ وَتَنْضُبُ فِي تَهَامَةٍ ، وَالْأَشْهَبَانِ فِي نَجْدٍ ، وَتَنْضُبُ - الْمَاءُ الَّذِي لَيْسَ -
فِي حِمَى ضَرْبَةٍ فِي نَجْدٍ ، كَمَا أَوْضَحَ ذَلِكَ الْمَجْرِي . ثُمَّ إِنَّ بِلَادَ الشَّاعِرِ فِي جَنُوبِ نَجْدٍ ، وَأَسْفَلِ
الْحِجَازِ الْجَنُوبِيَّةِ خَارِجَةٌ عَنْ تَهَامَةٍ ، وَرَوَايَةُ الْحَازِمِيِّ لِلْبَيْتِ (الْمَجْعِ) .

ويظهر أن ياقوتاً اطلع على كلام الحازمي فقد قال في «معجم البلدان»: «جُمَالُ» بالضم والتخفيف — موضع بنجد ، في شعر حميد بن ثور الهلالي . وقال : دُودَانُ — يَدَالِيْنِ مهملتين الأولى مضمومة — : وادٍ ، في شعر حميد ، وقد ذُكِرَ في جُمَال ، ودُودَانُ : قبيلة من بني أسد ، وهو دُودان بن أسد بن خزيمه . انتهى . ولكن قوله : وقد ذكر في جُمَال يستدعي التساؤل : هل ما وصل إلينا في مطبوعة «المعجم» ناقص ؟ فليس فيه ذكر لدودان ؟ .

(٣) قال نصر : جَبَلٌ من تناصيب في ديار بني كلاب . وكذا قال ياقوت . وكذا وردت (تناصيب) هنا بالتاء ، ولكن نصراً قال أيضاً في (باب الباء) : يَنَاصِيبٌ .. وما أوله باء تحتها نقطتان وبعد الصاد المهملة باء تحتها نقطتان : أجل متحاذيات ، في ديار بني كلاب ، أو بني أسد بنجد ، ويقال : بالالف واللام ، وقيل : أَقْرَنَ طوال حمر بين أضاح وجبلة ، بينها وبين أضاح أربعة أميال ، ويخط أبي الفضل : التناصيب : جبال وبتر بن كلاب ، منها الجمال ، وماؤها العذبة . انتهى . وذكرها ياقوت : يناصيب ، ونقل كلام نصراً .

وفي كتاب «بلاد العرب» — ٢٠٨ — في الكلام على بلاد بني وبر بن الأصبط بن كلاب — : ومن بلادهم التناصيب ، وهي جبال ، ومما يُسَمَّى منها حِمَال ، قال الشاعر :

هَلْ تُؤَيِّسُنْ مِنْ جَانِبِي حِمَالٍ — مِنْ طُعْنِ يَحْمُودِيْنَ كَالسَّيَالِ
وبلاد بني وبتر في عالية نجد ، غرَبَ جنوب ضريبة .

(٤) لم أرَ نصراً بَوَّبَ لهذا .

(٥) قال البكري في «معجم ما استعجم» : الجُمْدُ — بضم أوله وثانيه ، وهكذا ذكره سيبويه — إلى أن قال : وهو جبل تلقاء أسنمة المقدمة الذكركر ، قال الناصب :

وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ أَنْفَاءُ اسْنَمَةِ — وَعَنْ عَيْنِهِمْ الْاَنْفَاءُ وَالْجُمْدُ
وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَقَبْلَنَا سَبْعُ الْجُودِيِّ وَالْجُمْدُ

وقال عن السَّعْدِ : هما سَمْدَانِ فَالسَّعْدُ غَيْرُ مُضَافٍ مَاءٍ لِبَنِي حُورَةَ مِنْ التَّيْمِ ، قال

أَرْطَاةُ بْنُ سُهَيْلٍ :

عُوجًا نُسَلِّمُ عَلَى اسْمَاءَ بِالسَّعْدِ — مِنْ دُونِ أَقْرَنَ بَيْنَ الْقُورِ وَالْجُمْدِ

وأورد في رسم (فيحان) ليعبيد بن الأبرص :

فَالْجُمْدُ الْحَافِظُ الطَّرِيقَ مِنَ الزَّيْغِ ، فَصَحْنُ الشَّقِيقِ فَلَا مَلُ .

وأشار إلى وجود صلة بين (الجُمْد) المذكور في الأشعار التي أوردتها ، وقال : إنه جبل تلقاء أسنمة ، غير أنني أرى أن الجُمْدَ المذكور في شعر نَصِيب وأرطاة وعبيد — وَصَفَ لِلأَرْضِ الصَّلْبَةِ وَلَيْسَ اسْمُ جَبَلٍ ، فالوصوفون في شعر نَصِيب جعلوا أنفَاء أسنمة شمائلهم ، وهي في الطرف الشرقي من رمال الدهناء مما يلي وادي الباطن (فلتح قديماً) وتركوا الأرض الجلدة وبعض الرمال يمينهم وسلكوا الطريق المتجه غرباً إلى البسوة (بُريكة الأجردي) — وهو طريق الحج الكوفي القديم — والجُمْدُ في كلام أرطاة وعبيد هو الأرض الجلدة ، أو كما ذكر ياقوت في «معجم البلدان» — رسم جُمْدَان — : والجُمْدُ أضعف الأسماء . وقال عن الجُمْدِ — بضمثين — : قال أبو عبيدة : هو جبل لبني نَصَر بنجد ، قال زيد بن عمرو العذوي ، وقيل : ورقة بن نوفل — في أبيات أولها — ثم أورد البيت — ومعه تسعة أبيات — وقال : وقد ذكر طفيل العنوي في شعره موضعاً يسكون الميم ، ولعله هو الذي ذكرناه ، فإن كُنْ ما جاء على فَعْلٍ يجوز فيه

فَعْلٌ ، نحو عُسْرٍ وَعُسْرٍ ، وَيُسْرٍ وَيُسْرٍ ، قال :
وَيَا الْجُمْدَ إِنْ كَانَ ابْنُ جُنْدُعَ قَدْ نَوَى
سَبَّيْ عَلَيْهِ بِالصَّقَائِحِ وَالْحُجُبِ
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْأَكْثَمَ - كما ذكرنا في جُمْدَانَ - انتهى .

وقال نصر في مفردات حرف الباء : بُشَّ جِلَّ لَبِيْ نَصْرٍ وَكَذَا الْجُمْدُ .

جبل بني تَصْرٍ الوارد في كلام أبي عُبَيْدَةَ ونصر ذكره صاحب كتاب « بلاد العرب » - ص ١٢ -
في كلامه على بلاد بني تَصْرٍ بن معاوية بن بَكْرٍ بن هَوَازِنَ ، فقال : ولَبِيْ تَصْرٍ من الجبال : الْجُمْدُ
وَبُسٌّ ، وبلاد هاوِلاء في أسافل أودية الحجاز الواقعة بقَرْبِ الطَّائِفِ شماله ، وَبُسٌّ لا يزال معروفاً
يُشَاهِدُ رأي العين من قرية عشيرة ، وهو جانب بارِزٌ من الحرَّةِ أَسْوَدَ ، أما الْجُمْدُ فلم أعرف عنه شيئاً .
وزيد بن عَمِيْرٍ بن ثَقَيْلٍ من بني عَنَدِيٍّ بن كَعْبٍ بن لُؤَيٍّ ، من قُرَيْشٍ ، ابنُ عَمٍّ عمر بن
الخطاب ، وكان ممن فارق عبادة الأوثان في الجاهلية وَتَحَدَّثَ ، ومات قبل نزول الوحي على رسول الله
صلَّى الله عليه وسلم . وأخبر عنه الرسول بأنه مات على دين إبراهيم . وابنه سعد بن زيد من العشرة المبشرين
بالجنة ، وقد ترجم ابن كثير في « البداية » : ٢٣٧/٢ - زيداً فأطال في ترجمته .

(٦) قال ياقوت في « معجم البلدان » : الْجُمْدُ - بالتحريك - : قرية كبيرة ، كثيرة البساتين والشجر والمياه ،
من أعمال بغداد ، من ناحية دُجَيْلٍ ، قرب أَوَانَا ، ينسب إليها محمد بن أحمد بن عبد الله الجَمْدِي ،
ثم ذكر من روى عنه ، وأرخ وفاته سنة ٥٨٥ - ولم يذكر السمعاني ولا ابن الأثير في كتابيهما في الأنساب
هذا ولا تلك القرية .

(٧) في كتاب نصر : (باب الْجَمَاءِ ، وَالْحَمَاءِ ، وَحِمَى) .

(٨) قال نصر : أما بالجمع وتشديد الميم والهمزة - : اسم لِكُلِّ من أَجْبِلُ ثلاثة بالمدينة : جَمَاءُ العافر ، وَجَمَاءُ
تَضَارِعَ ، وَجَمَاءُ أُمِّ خَالِدٍ . وَأَطْلُنُ في ديار طَيِّءٍ ما له هذا الاسم . انتهى .

وقال ياقوت في « معجم البلدان » : - بعد ذكر المعنى اللغوي - : وَالْجَمَاءُ جُبَيْلٌ من المدينة على
ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الحُرُفِ . ثم نقل عن الرُّمَيْشِيِّ : الْجَمَاءُ جُبَيْلٌ بالمدينة ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ
لأنَّ هناك جبلين هي أقصرهما فكأنَّهما جَمَاءً . ونقل عن كتاب المهلبِيِّ : الْجَمَاءُ اسم هضبة سوداء ، وهما
جَمَاوَانِ عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة . قال حسان بن ثابت :

وَكُنَّ بِأَكْثَافِ الْعَقِيقِ وَيُسَيْدِهِ
بَحْطُ مِينَ الْجَمَاءِ رُكْنًا مُلْتَمِئًا

ثم نقل عن كتاب ابن الفقيه الهمداني وغيره فأطال . وقد أوفى الكلام على الْجَمَاءَاتِ السَّهْدِيَّةِ
في كتاب « وفاء الوفاء » حيث عقد لها فصلاً خاصاً ، ومما ذكر يتضح أن عمران المدينة قديماً كان قد
بلغها حيث اتَّخَذَ بعض الأعيان قصوراً بقرىها ، فيما بينها وبين العقيق ، وأورد بعض الأخبار الدالة
على أن في الجماعات آثاراً تدلُّ على قدم العمران في ناحيتها . وَالْجَمَاءَاتُ جُبَيْلَاتٌ لا تزال معروفة الآن ،
وعمران المدينة بلغها .

(٩) قال نصر : وأما بالبناء المعجمة - : في أشعار كالب ، وبالشام موضع يقال له الْحَمَّانُ - بزيادة نون - لا أعلم
أهما موضعاً (ن) أم غَيْرَ اللفظ . انتهى .

وقال ياقوت في « المعجم » حَمَاءُ موضع جاء في أشعار بني كلب بن وبرة - ولم يزد على هذا سوى الضبط -
وقال أيضاً : - حَمَّانُ بفتح أوله وتشديد ثانيه - : من نواحي البَتْنِيَّةِ ، من أرض الشام ، وقال أيضاً :
خَمَّانُ - بكسر أوله وآخره نون وتخفيف ثانيه - : جبال في بلاد قضاة على طريق الشام - كذا قال

العمرائي وأخاف أن يكون الذي قبله وقد صحفه ، على أنه ذكرهما جميعاً . انتهى .

وقال البكري في « معجم ما استعجم » : الخَمَاءُ - بفتح أوله وتشديد ثانيه ممدود - : موضع معروف . !! خَمَّانٌ - بفتح أوله وتشديد ثانيه على وزن فعلان - : جبل المذكور في رسم تَرْبَانَ ورسم رَهَبِي . وخَمَّانٌ أيضاً : موضع آخر بالشام ، قال حَسَّان :

لِمَنِ الدَّارُ أَفْقَرَتْ بِمَعَانٍ بَيْنَ شَطْطِ التَّيْمُوكِ فَالْخَمَّانِ
وأضيف : أما ما ذكر البكري في رسم تَرْبَانَ ، فهو قول حسان بن ثابت :

يَكَادُ يَعْلِيَاءُ الْعَقِيْقُ خَسْرَانَهُ يَحْطُ مِنْ الْخَمَّانِ رُكْنًا مَلَمَلَمًا
كذا أورد البيت ، وهو في « معجم البلدان » - رسم الخَمَاءُ - :

وكان بأكثرَافِ العقيقى وَيَبْدُهُ يَحْطُ مِنَ الْخَمَاءِ رُكْنًا مَلَمَلَمًا
فالخَمَاءُ هي التي على جانب العقيق ، وهي الواقعة بقرب تَرْبَانَ الوارد في قول حسان بعد البيت المتقدم :

فَلَمَّا عَلَا تَرْبَانَ وَانْهَلَّ وَدَقُّهُ تَدَاعَى ، وَأَلْقَى بِرُكْنِهِ ، وَتَهَدَّمَا
وأورد البكري - في رسم رَهَبِي - قول الأسود بن يَغْفَر - النَّهْشَلِي :

فَلَمَّا أَنْ تَمَرَّ عَلَى شُرَيْبٍ وَخَمَّانٍ ، وَتَنْتَحِي الشَّمَالَا
وإِذَا أَنْ تَزَاوَرَ تَحْسَوُ رَهَبِي وَتَنْتَعِلُ الشَّقَائِقَ وَالرَّمَالَا

- وقال بعد إيراده - : وهذه مواضع كلها متدانية . انتهى . والشاعر يصف أطلعانا منجهة من شرق الجزيرة إلى غربها وهي شرق رَهَبِي . وشرق الشقائق والرَّمَال من الدَّهْمَاء ، فإذا صَحَّتْ كلمة (خَمَّان) في هذا الشعر ، فهي اسم موضع آخر شرق الجزيرة غير الذي في الشام بِقُرْب مَعَان .

(١٠) وزاد نصر في الباب : الحِمَى بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم والقصر - : بَلَدٌ بِمَنَ اللِّحَارِثِ بْنِ كَعْب . وَحِمَى الرَّبْدَةِ مَوْضِعٌ ، وَهُوَ الَّذِي كَثُرَ النَّاسُ فِيهِ عَلَى عَثْمَانَ ، وَحِمَى فَيْدٌ مَشْهُورٌ ، وَهُوَ وَحِمَى ضَرْبَةٌ أَشْهَرُهَا ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ جِبَالٌ تَكْتَنِفُهَا ، تُسَمَّى الْأَخْيَلَةَ وَالْأَخَائِلَ . انتهى . وقد أوفى المجري - فيما نقل عنه السهمودي في « وفاء الوفاء » الكلام على هذه الأسماء ، وكلها واقعة في نجد ، ولا تزال أكثر معالمها معروفة .

تطبيع

في ج ٧ ، ٨ ، ١٩ وقع تطبيع (أخطاء مطبعية) زها هو صوابها :

ص	سطر	خطأ	صواب
٥٦٩	١٩	آل أبي عويمر	العوارض (بني عمارض)
٥٦٩	٢٢	عيسى بن حسيل	عيسى بن حسيب
٥٦٩	٢٢	غزاي بن جرير	غازي بن جبريد
٥٦٩	٢٣	عناق بن حويص	عناق بن حويث
٥٧٠	١٩	زيحان بن مالي	زيدان بن مالح
٥٧٠	٢٠	مشنسي بن جرو	مشنسي بن جرود

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم

أنيف النبهاني .. لا النشلي

(انظر « العرب » س ١٩ ص ٨٢١)

(وجه الأخ الأستاذ مروان العطية رسالة إلى الأستاذ الأديب الشيخ عبد العزيز الرفاعي - جاء فيها) :

قرأت بمحكم الممتع (من هو أنيف النبهاني ؟) في مجلة « العرب » (س ١٩ ص ٨٢١) فاستمتعت وأفدت وهو كما قال شيخنا حمد الجاسر : بحث شيق ممتع يحلو الحديث حوله . ووجدتني مدفوعاً للكتابة حول الموضوع حيث علقت فيما مضى - تعاليق وملاحظات فأحببت أن أسجلتها ليستمع بها النفع :

١ - جاء في « الحماسة البصرية » تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان - : ١ / ١١٩ - وأخرجها عن مخطوطات صحيحة عثر عليها نفيسة وقعت له ، وبذل جهداً مشكوراً في ترجمة شعرائها وتخريج أبياتها .
وقال أنيف بن زَبَّانَ النشلي :

١ - وَلَمَّا التَقَى الصَّفَّانِ واشْتَجَرَ الْقَنَا
نَهَالاً . وَأَسْبَابُ الْمُنَابَا نِهَالُهَا

٢ - تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ ذِلَّةٌ
وَأَنَّ أَعِزَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا

٣ - فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّقْفَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ
بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا

٤ - دَعَوْ لِنِزَارٍ . وَانْتَمَيْنَا لِطَيٍّ
كَأُسْدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

- ٥ - وَلَمَّا التَّقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ بَيْنَنَا
لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُوَّالَهَا
٦ - وَلَمَّا عَضَيْنَا (٢) بِالسَّيُوفِ تَقَطَّعَتْ
وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالَهَا
٧ - فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرَّمَاكِ عَلَيْهِمْ
قَوَادِرُ ، مَرَبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا
٨ - وَلَمَّا تَدَانَوْا بِالرَّمَاكِ تَضَلَّعَتْ
صُدُورُ الْقَنَاسِ مِنْهُمْ ، وَعَلَتْ نِهَالُهَا

وقال المحقق : لم أجد له ترجمة . وذكر التبريزي « الحماسة » (٨٧٠) أنه التبهاني ، لا النهشلي ، وهو الصواب ، فنبهان من طيء ، والشاعر يذكر أنه من طيء في البيت الرابع .

ثم قال المحقق ، في تخريج هذه الحماسة : الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، في « الكامل » ١ : ٩١ لأعرابي من بني سعد [سَمَّاهُ المبرد توبة بن مُضَرَّس] والبيتان : ١ ، ٢ فيه أيضاً ٣ : ١٣٩ (غير منسوبين) ، الحصري ١ : ٣٥٧ ، « المجالس » : ٣٤٣ - ٣٤٤ (غير منسوبين فيهما) ، « الخزائن » ٤ : ١٤٦ لأثال بن عبدة ابن الطبيب والأبيات : ٣ : ٨ مع أربعة في « الحماسة » (التبريزي) ١ : ٨٨ - ٩٠ . والبيتان : ٤ ، ٥ في « الأشباه » ١ ، ١٤٢ . والبيت : ١ في « التنبهات » : ١٠٤ ، ١٧٣ مع آخر (غير منسوب في الموضعين) . والبيت : ٢ في « المحتسب » ١ : ١٨٤ (غير منسوب) .

وبهذا نجد الأستاذ عادل سليمان يضيف أحياناً جديدة غير موجودة في الطبعة الهندية ويزيد تخريجات جديدة للنص المحقق .

- ٢ - ونجد العلامة عبد القادر البغدادي يقول في كتابه « خزائن الأدب » :
١/١٤٦ : (والعرب تمدح بالطول وتذم بالقصر ، قال أثال بن عبدة ابن الطبيب :

ولمّا التقى الصَّفَّانِ واختاف القنا نهالاً ، وأسباب المنصايا نهالهما
تبيّن لي أنّ القماعة ذِلَّةٌ وأنّ أعزّاء الرّجال طيولها
يريد أن القنا وردت الدم ولم تُشمنّ وذلك أن النّاهيل الذي يشرب أول شربة
فإذا شربَ ثانيةً فهو عاتلٌ .

وقوله : نهالُها أي أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده .

٣ - ويقول العلامة عبد القادر البغدادي في كتابه : « شرح أبيات مغني
اللبيب » : ٦٧/٤ - ، ما قاله في « الخزانة » إلّا أن الاسم تصحّف في المطبوعة إلى :
(أثال بن عبدة بن الطويل) وهذا من غرائب تحقيق الكتاب ، وهو حافل بمثل
هذه العجائب .

٤ - قال عبد القادر بن عمر البغدادي في كتابه « حاشية على شرح بانت
سعاد لابن هشام » : ٥٣٩/١ تحقيق نظيف محرم خواجة (قوله : فإنّ أعزّاء
الرجال طيولها : صوابه : وأنّ أشدّاء الرجال طيولها ، وهو شاذّ قياساً
واستعمالاً لأنّ القياس والاستعمال طوال ، وكذا أنشد المبرد في أول « الكامل »
ثم قال : وأنشدني غير واحد : وأنّ أشدّاء الرجال طيولها . وليس هذا بالحيث ،
ولمّا قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم : ثياب وحياض والواحد
ثوب وحوض ، وهذا جيّد ، اسكون الواو في الواحد فأما في مثل طوال فإنما
يجوز على التشبيه بهذا وليس يجيد لتحرك الواو في الواحد وأنشدني مسعود بن
بشر المازني :

لهم أَوْجُهُ بَيْضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ طِيَالٌ وَمِنْ سَيْمًا الْمُلُوكِ نِجَارٌ
ومجاز هذا في النحو ما وصفت لك . انتهى . وهذا المصراع عجز وصدرة :
تبيّن لي أنّ القماعة ذِلَّةٌ وأنّ أشدّاء الرجال طيولها
وهو من قصيدة تقارب أربعين بيتاً ، لأنّيف بن حكيم الطائي النبهاني قالها في
وقعة المُنْتَهَبِ ، كذا قال ابن السيد في حاشيته على « كامل المبرد » وأورد منها
ثلاثة أبيات وعزاها إلى أعرابيّ من بني سعد ، وردّ عليه ابن السيد بأنّه كيف يمكن

ذلك وقد قال الشاعر فيها : (وانتمينا لطيء) وأورد أبو تمام منها في أوائل « حماسته » بيتين أو ثلاثة . وساق منها صاحب « الحماسة البصرية » ثمانية أبيات وهذا مطلعها :

تذكَرْتُ حُبِّي واعتراكَ خيالُهَا وهيهاتَ حُبِّي ليس يُرجى وصالُهَا
وحُبِّي - بالضم والقصر - اسم محبوبته ، وهذه الأبيات الثلاثة التي اقتصر عليها المبرد :

ولما التقى الصَّفَّانِ واختلَفَ القنَا نِهالاً وأسبابُ المنايا نِهالها
تبينَ لي أنَّ القمءاءَ ذِلَّةٌ وأنَّ أشداءَ الرجال طوالُهَا
دَعَوْا بِالسَّعْدِ وانتمينَا لِطِيءٍ أسودُ الشَّرَى إقْدامُهَا ونِزالُهَا
قال المبرد : قوله نِهالها ، إنما يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تُدْنِ ذالك أنَّ الناهل الذي يشرب أول شربة فإذا شرب ثانية فهو عَالٌ . يقال : سقاه علاً بعد نَهْلٍ وعَللاً بعد نَهْلٍ ، والعالةُ لا حاجةَ بها إلى الشُّربِ ، إنما يعرض عليها تعذيباً ، قال : وأسبابُ المنايا نِهالها أي أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده . انتهى . قال ابن السيد : الصحيح أن النihal العطاش والهاء عائدة على القنا لا على المنايا ، أي أن عطاش الرماح أسبابُ المنايا أنها تُحبِبُ الرِّيَّ من الدماء ، والناهل يكون العطشان ويكون الرِيَّان ، وقد جمع الشاعر اللغتين ، وجعل المبرد الضمير عائداً على المنايا ، وهذا من المواضع التي خَطَّأهُ فيها علي بن حمزة البصري . وقوله : تبين لي ، ألخ : هو جواب لما ، وأنَّ مع معموليها فاعل تَبَيَّنَ ، والقمءاءة - بفتح القاف والمد - : مصدر قَمَّؤُ الرجلُ - بضم الميم مهموز الالم - أي صار قَمِيئاً على وزن فَعِيل ، وهو الصغير الذليل الحقير ، وإنما كانت القمءاءة ذِلَّةً لأنه لا يهابه أحدٌ . وقوله : وأنَّ أشداءَ ، ألخ ، هو جمع شديد ، وروى بدله أبو عمر الزاهد غلام ثعلب : وإنَّ أعزاء الرجال . قال المبرد : العرب تمدح بالطول وتضع من القصر . ثم أورد أبياتاً وحكايات مناسبة ، وقوله : أسودُ الشرى ، أي كإقدام أسود ، وروي أيضاً : كأُسْدُ الشرى . وهو موضع كثير السباع ، وقد أورد علي بن سليمان الأخفش عَشْرَةَ أبيات من هذه القصيدة

وشرحها في « الكامل » بعد إيراد المبرد الأبيات الثلاثة . قال ابن المستوفي في شرح أبيات « المفصل » : الشاعر هو أنيف بن زبَّان النبھاني من طيء وهو إسلامي .

وأنيف - بضم الهمزة وفتح النون على وزن مصغر - الأنف ، وزبان : بالزاي المعجمة وتشديد الموحدة ، ونبهان : بفتح النون وسكون الموحدة وقال مُغلُطاي في « الثغر الباسم » ، وفي هامش الكامل : قال الوزير في « الإيناس » :
وأثال بن عبدة بن الطَّبَّيب القائل :

ولما التقى الصفان واختلف القنا البيت (١) .
واسم الطبيب زيد بن مالك ، انتهى . هذا ما رأيته والله أعلم .

٥ - قال صاحب « الإيناس » - ١١٠ (وص ٢١٢ طبعة دار اليمامة) :
واسم الطبيب : زيد بن مالك بن امرئ القيس بن مرثد بن حنظلة بن سبيع ابن عبد نهم بن جشم بن عبيشمس . وقد قيل في نسبه غير ذلك ، إلا أنني كذا وجدته بخط إسحاق وعرضه على علماء دهره ، وأنا به أوثق ، ووجدته بخطه : عَبَّ الشَّمْسُ ، وهذا يوهمني أنه كان يقول : عَبَّ شَمْسُ ، بكسر الباء ، لأن اللفظ بذلك يقارب اللفظ بصورة الكلمة من خط إسحاق .

وهذا الذي في تميم لا يقال فيه إلا عَبَّ شَمْسُ ، بفتح الباء ، كما قيده ابن حبيب . وبسكونها ، كما قيده ابن الكلبي . وأصله : عبد شمس ، أي : حبها ، أي : ضوؤها . والعين مبدلة من الحاء .

وقيل : عب الشمس : لعبها .

وإما أن يكون أصله : عبء ، بالهمز ، والعبء : العدل والنظير .

من المراجع :

١ - الإيناس : للوزير المغربي ص ١٨٠ .

٢ - « تاج العروس » (شمس) .

سورية - دير الزور : مروان العطية

الحواشي :

(١) : (العرب : وأورد في « الإيناس » - ص ٢١٤ - : بيتين بعده هما :

تبين لي أن انقضاء - البيت -

هتفتا لسعد واعتزونا لطيء أسود الشرى - البيت - .

رمح الجُمَيْلَات في فرسهم

قرأتُ للشيخ عبدالله بن محمد بن خميس في كتابه « من أحاديث السَّمَر »
ص : ٣٤ - قوله عن (رمح الجُمَيْلَات في فرسهم) فظهر لي أنه - حفظه الله
لم يتمكن من معرفة قائله ولا معرفة بلد القائل أو قبيلته .

وحيث أن هذا المثل من التراث الذي ينبغي أن يعرف ويُعرَفَ للقراء الكرام
كتبت هذا :

صاحب المثل : هو فيصل الجُمَيْلِي من قبيلة سُبَيْع من بادية رَنْيَّة . .
حدثني ثقة من كبار السَّن في رَنْيَّة وممن يدعي الانتماء بالأصل إلى فيصل
المذكور^(١) .

قالوا : إنَّ مَنْ يُعرف اليوم باسم (الصَّنَادِحَة^(٢)) الفخذ الموجود الآن في
عداد عشيرة المراغين من الزكور من سُبَيْع الغلباء هم في الأصل من ذُرِّيَّة
(الجُمَيْلِي) وهناك آخرون منهم أيضاً يُدْعَوْنَ (السَّنَادِي) في الهدَّار من
الأفلاج وفي الوادي ونواحيهما وهم مرافقون هناك للدواسر . ولكننا نعرفهم وهم
يعرفوننا ونحن منهم وهم منَّا . وإن كانت المنازل متباعدة - فكلنا من سبيع - .

وقالوا : كان الجُمَيْلِيَّ فيصل وأخوه هِجْرَس من أصحاب الإبل في
البادية بناحية الشمال من رنية في الطرف الشمالي الغربي من عرق سُبَيْع^(٣) مما يلي
الحمار . في أناس من قومهم . وكانوا يردون . ووردهم المعروف اليوم باسم
(اللُّمَيْسَة^(٤)) بانسَيْن - وكان فيصل أكبرَ سِنًا من هِجْرَس . وكان مُتَزَوِّجًا من
ابنة عم . وله منها أولاد وكانوا صغاراً . وذات يوم ورد فيصل وأخوه هِجْرَس

المذكور بإبلهما الماء . وبعد أن شربت الإبل وارتوت من الماء — أخذت ناحية من المعطن ، كعادتها بعد الشرب . فذهب هجرس خارج الإبل لبعض شأنه ، وبقي فيصل بجانب البئر . فقال في نفسه : سأعمل عملاً أختير به أخي هجرس لأعرف منه هل يُحِبُّني أم لا . فترع ثيابه ووضعتها إلى جانب البئر وقرب حجراً كبيراً فرماه في البئر ثم اختفى في مكان لا يراه فيه أخوه . فلما عاد هجرس ولم يشاهد أخاه نادى فلم يُجِبْه أحد ، فنظر إلى البئر فرآى الثياب ، فأسرع بالنظر إلى قعر البئر فرآى الماء متحركاً مزبداً . وذلك من أثر رمية الحجر فيه فلم يشك بأن أخاه قد وقع في البئر . فرمى بنفسه وهو لا يحسن السباحة ، فغرق . وجاء فيصل مسرعاً لإنقاذه . ولكن بعد فوات الأوان حيث وجده قد مات ففجع بسوء عمله وتفكيره . وقد عرف أنه هو الذي سبب وفاة أخيه بدون ذنب فندم ندماً شديداً وعزم على عدم رؤية أهله وأولاده وقومه بعد هذا الحادث المؤلم . فترك بلاده . وذهب منها ناحية الشرق مُتَخَفِياً بين العرب ، سائراً معهم ، حتى استقر به الأمر مع حيٍّ من قبيلة تغلب وصار معهم أول أمره خادماً لأمرهم وهم لا يعرفون من حاله شيئاً ولا يسألونه عن أمره . فقال : فيما آل إليه من حال :

عَوْدَتْ عُنُقُ مِرَافِقِ الْهَجَرِ حَشَّاشٌ^(٥) ،
وَهَجَسِي أَنِّي ابِيعَ (التفق) لي بَشُومِي^(٦)
وَاجِبِ لَزَيْنَاتِ الْخَلَاخِيلِ بِفِرَاشِ ،
وَأَنَافِي مِنْ عَالِيَاتِ الرَّجُومِ

ثم دارت الأيام : — كانت حوادث الغزو والنهب والقتل شعار ذلك الزمان . فأُغِيرَ على القوم الذين هو فيهم وهم غَارُونَ . فشارك الحميلي في صدِّ الغارة فأظهر شجاعة وفروسيّة نادرَتَيْنِ لفتتا أنظار القوم إليه مما أكسبه احترامهم وتقديرهم له بعد ذلك . فقال له أميرهم : أطلب ما تُريدُه ! فطلب الزواج من ابنته (جهم) فحقق رغبته وبقي معهم وأنجبت له (جهم) ثلاثة بنين .

ثم إن القوم أخذوا يغارون منه فدرس عليه بعضهم حتى ظهر له أن بعض سفهائهم يقول : إن فيصل ليس له أصل (ضائع أصل) فعز ذلك في نفسه فعزم على الرحيل إلى بلاد قومه وقد بلغ من العمر أرذله وأصبح أبناؤه رجالاً . فأخبر زوجته بما عزم عليه من رحيل وخيرها في الذهاب معه أو البقاء في أهلها فاختارت البقاء : — فقال يوصيها : —

يا (جهم) وان زاعننا عنك نية
لا تأخذين غمري على شان ماليه
ولا تأخذين عودي قد أقفني شبابه
لا تأخذين الا رجلي مجرب
حاذور مقلول الرجال حذار !!
يحطك جوف الصائبات غبار
يموت وعياله عليك صغار
رُمحه نهار الكائنات كسار

ثم قال : أيضاً — يصف طريق العودة وموضع بلاده :

أنا الحميلي والحميلي فيصل
لهن ظلال في الضحي طارداته
يا ديرتي يا جاهلين وصوفها
ياما حلكي وردة حنايا بفاطري
عليها فتي وفتي^(٩) من الغضا
يحيها مال من الحمان حمان ضلفع
ويجيها من يعومه مال وارد
يا ديرتي فيها ثمانين عيلم
على دالتهات كاتهن جمال
ومستبيعات في العصور ظلال
منها العروق النائفات شمال^(٧)
لياليج محال لها وعمال^(٨)
وعليها من فتي العرين ظلال
مال يتلوه قب كالسيال^(١٠)
مال أوي والله مال^(١١)
واثمانها الآلاف يوم تكال^(١٢)

وهي أطول من هذا .

ثم رحل بأولاده وبإبله عن القوم وفارق جهماً وسار إلى بلاده ناحية رنية . ولما قُرب منها . وأصبح في طرف العرق فما يليها في الموضع المسمى (الخليج^(١٣)) قال : لأولاده : أقيموا هنا وأنا سأذهب وأعود إليكم . فركب جواده وسار يبحث عن أولاده الذين تركهم ، حتى اهتدى إلى موضعهم . ولكنهم لم يعرفوه

لطول العهد . وقد ظنوا أنه قد مات ، ولكن أمهم أخذت تلحظه وتطيل النظر إليه ، فقالت لهم : هذا أبوكم الحميلي . فلم يصدقوها . فقالت : إن فيه عادة إذا ناوله أحد الإناء وهو واقف خلفه لا يتناوله دون أن يلتفت . فجربوا ذلك فكان كما قالت ، ولما تمّ التعارف قال لهم : لست لكم بأب مادام الأعداء يرعون دياركم منذ ثلاثة أيام ولا أحد منكم يعلم بهم وكان يعني أبناءه الذين أمهم جهم .

فسألوه عن هؤلاء الأعداء . فأشار إلى موضعهم فلما أصبحوا شتّوا الغارة عليهم . أمّا هو فتأخّر قليلاً عنهم ثم لحق وقد بدأت المعركة بينهم . وعند اللقاء أرسل أحدُ المغيرين رمحه فأصاب فرساً لأحد أبناء جهم وثبت فيها الرمح عالِقاً . فصاح فيصل قائلاً : العافية - العافية (رمح الجُمَيْلات في فرسهم) فصارت مثلاً حتى الآن، يضرب للقوم يأتهم الأذى من أنفسهم، وتسمّ التعارف والتصافي بعد أن علموا من والدهم بكل ما جرى وبقوا زمناً في كنف والدهم حتى توفي فعاد أولاد جهم إلى موطن أخوالهم ، واستقروا هناك ، وهم كما ذكرنا اليوم - ناحية الأفلاج في الهدار ووادي الدواسر .

رّنية : فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي

الحواشي :

(١) فضلت نقل القصة عن له صلة نسب أكيدة بالحميلي ، كالمرحوم بنيان بن الرصيصر بن فلاح توفي وعمره نحو مئة عام ومسلط بن مسلط . يبلغ من العمر فوق ٨٠ عاماً كان عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رنية .

(٢) الصنادحة : هم : الفلاليج وآل سويد .

(٣) يعرف قديماً برملة بني عبدالله بن كلاب انظر « بلاد العرب » للأصفهاني .

(٤) اللبسة - بئر قديمة تقع في الحمار ، وهي من بني غي في الغرب ومن غرب جهة الشمال . والحمار حزن تمتد فيه أبارق وأبراث ويقع شمال العرق مما يلي جبل ظلم وطريق نجد إلى الحجاز القديم .

وعن اللبسة - حدثني مسلط قائلاً : إنه باعها رجل منهم في الماضي يدعى : هجيرس على

أحد رجال البادية في ناحيتها وفي عهد ابن لؤي أمير الخرمة حدث فيها نزاع وخصومة فأرسل لنا ابن لؤي رسولا بشأنها ونحن في رنية لأنه يعلم أنها كانت لنا .

(٥) يأتي بأنواع الأعشاب للحيوانات .

(٦) العصا . والتفق (تفنك - تركية) : البندق .

(٧) العروق : مفردا عرق : وهو يقصد عرق سبيع .

(٨) حنايا : اسم بئر لهم تقع على ضفة وادي رنية مقابل نهاية جبل سلي شمالا مما يلي مجرى الوادي وهي مشهورة تردها البادية وهي بئر زراعية أيضاً . أنظر ص ١٦٨ من الكنوز الشعبية .

(٩) الفمي : هنا بمعنى الظل : والغضا والعرين من أشجار الحمض الكبيرة التي تكثر في وادي رنية ومازالت .

(١٠) قب كالسيال : الخيل : والحمان : مجموعة أبراث في حقف رمال حنجران شمالا ويقابلها شمال شرقي جبل زناير وبينها وبين ضلفع حبال رمل حنجران .

(١١) يعومة : يضم أوله وثانيه ، كأنه أخذ من العوم . والجمع يعايم وهن هضاب مركزة في قف من الأرض مرتفع . ولعل اسمهن مشتق من صفتين والعرب قد تطلق من الأسماء ما يوافق الصفات . وهن شمالي مدينة رنية على بعد ٣٥ كيلا فقط يتوسطان الشهاب الكبيرة المنحدرة من المرتفعات الشمالية الغربية من رنية والنازلة إلى عرق سبيع وعندهن جرت عدة وقائع بين قبائل سبيع وقبائل من قحطان ومن يام وغيرهم . وذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وما بعده ولذلك ذكر يطول .

قال شاعر من سبيع :

يا طير يا لي في (يعومه) تثنى دوك اللحم أرهوه ربع مناير

وقال شاعر من يام ، يتأسف لما أصاب قومه ، في يعومه :

يا حيفاً يا غلماً فسي يعومه كلتهم الرضا وذوب الفتايل

وذلك أن الوقعة جرت في اشتداد الهاجرة بعد حصار بدأ من أول النهار .

(١٢) عيلم : غزيرة الماء ، وهي آبار زراعية مشهورة مثل الرجع وجلجل وحنايا والحفائر وغيرها أنظر صحيح الأخبار ص ١٢٠ ج ٤ والكنوز الشعبية ص ١٦٨ .

(١٣) الخليج : بسكون الياء (؟) على صيغة التصغير (؟) .

هو جزء من وادي رنية ينشعب منه عند الحد الغربي من المعمور من الروضة قاعدة رنية ناحية الشمال الشرقي ، وسيله يغمر منازل الأهالي في المدينة من الغرب إلى الشرق وفيه يصب وادي الأغر يأتي له من الشمال الغربي ويصب فيه في وسط المدينة وعندما يخرجان ناحية الشرق منها يسمى (الخر) يذهب ناحيته حتى تحويه رمال عرق سبيع من كل ناحية فيربح ماؤه ، ويبقى وله عطوف فيها مراعى جيدة للبادية وهو في الشرق من رنية على بعد ٢٥ كيلا أنظر « الكنوز الشعبية » ص ١٣٣ ج ٣ .

□ « جمهرة النسب » :

هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤هـ تقريباً ، يعتبر إمام علم النسب وأكثر ما وصل إلى الباحثين في عصرنا وأهمها ، مما خلفه هذا العالم في هذا العلم . وقد قامت لجنة التراث العربي في الكويت ، فشرعت في نشر كتاب « جمهرة النسب » من تأليف ابن الكلبي بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج ، فصدر الجزء الأول سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) بحوي من أول الكتاب إلى آخر نسب هذيل (انظر العرب س ١٩ ص ١٣١) ويظهر أن العمل توقف ، وقام بعد ذلك الأستاذ محمود فردوس العظم بنشر الكتاب بطريقة تغاير الطريقة المعهودة ، ذلك أنه عمد إلى الكتاب فصار ينسخه بخط يده ، ثم ينشر ما نسخ مصوراً مضافاً إليه تعليقات وحواش كثيرة . من أهمها : التعليقات التي في دواش من مخطوطة « مختصر الجمهرة » في مكتبة راغب باشا في اسطنبول .

وقد صدر الجزء الأول من عمل الأستاذ محمود فردوس العظم ومراجعة الأستاذ محمود فاخوري وتقديم الدكتور سهيل زكار ، صدر الجزء الأول في ٤٣٤ صفحة من القطع الكبير .

ويحوي مما في الجمهرة إلى ذكر المغتربات من بني هاشم بعد نسب بني طابخة ابن الياس بن مضر .

وصدر الجزء الثاني على طريق الجزء الأول من حيث النسخ والتصوير في ٤٢٨ صفحة كبيرة حاوياً لأنساب قيس بن عيلان بن مضر . وربعة بن نزار بن معد . وأول نسب الأزد .

وفي الجزءين تعليقات للمحقق الفاضل نقلها من أمهات الكتب المعروفة . واعلمها من (لزوم ما لا يلزم) .

ومهما يكن فإن إخراج هذا الكتاب الذي يعتبر أهم مصدر للباحثين في علم الأنساب من القرن الثالث الهجري إلى عهدنا - يضيف ذخيرة قيمة لمصادر الثقافة العربية ، باعتبار علم الأنساب هو الأساس الأول الذي قام عليه علم التاريخ عند العرب .

□ « فضائل بيت المقدس » :

وقام الأستاذ محمد مطيع الحافظ ، بنشر كتاب « فضائل بيت المقدس » للإمام محمد بن عبد الواحد المقدسي المتوفي سنة ٦٤٣ . عن نسخة مخطوطة بقلم المؤلف في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وقد جاء الكتاب في ١٣٦ صفحة بطباعة حسنة . يحوي ترجمة للمؤلف عن أسرته ونشأته ومؤلفاته ، ووصف كتابه في ٢٦ صفحة من صفحات الكتاب ، وصدر عن دار الفكر مطبوعاً في المطبعة العلمية بدمشق سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

□ « فضائل المدينة » :

رسالة ألفها أبو سعيد الفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي اليميني المكي المتوفي سنة ٣٠٨ ، وقام بتحقيقها الأستاذان محمد مطيع الحافظ ، وغزوة بدير ، وجاءت مع مقدمتها وفهارسها في ٧٢ صفحة من القطع الصغير . ومعروف رأي علماء الحديث في أحاديث الفضائل ، والمحققان الفاضلان أضافا إضافات نافعة في تخريج الأحاديث إذ مؤلف الكتاب يوردها بأسانيد بروايته هو ، وأصل المخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق والرسالة مفيدة في موضوعها لكثرة ورود أحاديثها في كتب تاريخ المدينة المنورة ، منسوبة إلى الجندي مؤلف الرسالة المذكورة .

□ « السلوك في طبقات العامة والماوك » :

هذا الكتاب يعد من مصادر تاريخ اليمن من حيث الأحوال السياسية ، ومن حيث تراجم الأعيان ، ومؤلفه هو محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي - بفتح النون . نسبه إلى مدينة الجند - الشافعي : المتوفي سنة ٧٣٢ ، بدأ كتابه بعد الكلام على التاريخ ،

وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باختصار ، فذكر ولاية اليمن في عهد الرسالة ، ثم استمر في تسجيل تاريخ ذلك القطر دولاً وتراجماً إلى عصره . وقد قام مؤرخ اليمن في هذا العصر العلامة المحقق محمد بن علي الأكوع الحوالي بتحقيق الكتاب ، فصدر الجزء الأول منه ، في ٥٥٢ صفحة ، وينتهي بترجمة ابن الخطاب الزبيدي ، المتوفي سنة ٦٦٥ م. دانياً بحواشٍ توضح ما يحتاج إلى توضيح من تعريف بعض المواضع وترجمة بعض الأعلام وإيضاح معاني بعض الكلمات العامية اليمنية .

ويظهر أن الأستاذ الجليل المحقق لم يصحح تجارب الطبع ولهذا وقع في الكتاب من التطبيع ما حُرف به بعض الأسماء .

وصدر الكتاب عن وزارة الإعلام والثقافة في صنعاء . وهو الحاقة الثانية عشرة من سلسلة (مشروع الكتاب) وتاريخ الطباعة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) بدون ذكر اسم المطبعة ويظهر أنها في بيروت .

□ « معجم الأسماء الجغرافية » :

ويقوم الأستاذ الدكتور أسعد سليمان عبده - في قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الملك سعود - بجهد مشكور في مواصلة الدراسات الجغرافية عن بلادنا وإمداد الباحثين بشمار طيبة لهذه الدراسات منها :

١ - معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية ويعني بها إحدى وعشرين خريطة تغطي كافة أراضي المملكة وأجزاء من الأراضي والبحار المحيطة بها بقياس رسمها ١ : ٥٠٠.٠٠٠ . رسمت في أزمنة مختلفة من سنة ١٣٧٥ إلى سنة ١٣٨٢ وقد قام الدكتور أسعد بدراستها دراسة دقيقة واستخرج منها أسماء المواضع ورجع إلى مؤلفات قديمة وحديثة الاستفادة منها في تصحيح بعض تلك الأسماء وقدم دراسته في كتاب يقع في ٤٨٤ صفحة رتبت الأسماء على حروف المعجم . ثم ذكر موقع كل اسم وتحديد هذا الموقع بخطوط الطول والعرض ثم وصفه

هل هو قرية أو جبل أو بئر أو غير ذلك ، ثم الإشارة إلى الكتاب الذي رجع إليه في دراسة الاسم .

ويحوي هذا المعجم من الأسماء الجغرافية المكتوبة على الخرائط ٧٤٥٣ اسماً .

٢ - معجم أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية على خريطة جزيرة العرب . وهو صنو الكتاب الأول وهو خاص بالأسماء المكتوبة على خريطة جزيرة العرب (مقاس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠) التي أعدت من قبل مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية وشركة الزيت العربية الأمريكية تحت رعاية المملكة العربية السعودية ووزارة الخارجية في طبعتها الثانية سنة ١٩٨١/١٤٠١ .

وقد نقلت الأسماء الجغرافية المكتوبة على الخريطة ضمن حدود المملكة مع تحديد موقع كل مكان بدرجات العرض والطول وذكر المكان : (جبل - وادي - مكان مسكون) . وقد رجع الأستاذ الدكتور إلى كثير من الكتب الحديثة التي عنيبت بتحديد الأماكن وضبطها في المملكة ورتبت على الحروف الهجائية وحاول الأستاذ تصحيح كثير من الأسماء بإيراد الاسم الصحيح بعد ما هو مكتوب في الخريطة ، وجاء هذا الكتاب في ١٣٢ صفحة .

وطباعة الكتابين حسنة وصلحوا سنة ١٩٨٤/١٤٠٤ عن (مكتبة المدني للطبع والنشر والتوزيع) في جدة .

٣ - وقد نشر الأستاذ الدكتور أسعد كتاباً ثالثاً يتعلق بتصحيح الأخطاء الواقعة في الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة الإحدى والعشرين التي خصص كتابه « معجم الأسماء الجغرافية » الأول لذكرها - أفردا في كتاب خاص معتمداً في التصحيح على المؤلفات الحديثة من أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وغيره من المؤلفات .

ولاشك أن جهد الدكتور أسعد في هذه الناحية جهد جدير بالتقدير لما له من أثر نافع في هذه الناحية العلمية التي تصدى دراستها وللتأليف عنها .

(ج ٧، ص ٢٠ - محرم / صفر ١٤٠٦ هـ - أيلول / تشرين أول (سبتمبر / أكتوبر) ١٩٨٥ م)

كشف الكجيب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور - ١ -

أتخفي الأستاذ الدكتور عبدالله عبد الرحيم عُسَيْلان عميد شؤون المكتبات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنسخة مصورة من رسالة أَلْفَهَا أَحَدُ علماء المدينة عن إحدى الحوادث التي جَرَّتْ فيها عام ١١٩٤ هـ فرأيتُ في طرافة موضوعها ، مع نُدرَةِ المؤلفات المتعلقة بتاريخ طبية الطيبة منذ القرن التاسع حتى عهدنا - ما رغبتُ في إطلاع القراء عليها .

مؤلف الرسالة : لم أجد - فيما بين يديّ من المراجع - ما تتّضح به معالم حياة المؤلف سوى لمحات تبيّنَتْها من الرسالة ، أو قرأتها في كتاب طبع حديثاً مجهول المؤلف بعنوان « تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر » نشرته دار الشروق في جدة ، سنة ١٤٠٤ هـ .

فهو في طُرّة الرسالة السيد زين العابدين بن السيد محمد البرزنجي ، ووالده كما يفهم من فحوى مشاركته في الأحداث العامة التي وقعت في تلك الحقبة من أعيان المدينة . وزين العابدين لقب أما الاسم فهو - على ما ورد في كتاب « تراجم أعيان المدينة » محمد^(١) وسياق نسبه هكذا - كما يفهم من هذا الكتاب : السيد محمد زين العابدين ابن محمد الهادي بن حسن بن عبد الكريم بن محمد بن رسول البرزنجي .

وأُسرة البرزنجي من أشهر الأسر المدنية منذ استوطن مؤسسها السيد محمد بن رسول في المدينة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري إلى يومنا هذا .

ومن مشاهير هذه الأسرة - بل من مشاهير علماء عصره - محمد بن رسول البرزنجي . الذي وصفه أحد مترجميه بأنه مجدُّ القرن الحادي عشر^(٢) ، ولد في شهرزُور في شمال إقليم كُردِستان في ربيع الأول سنة أربعين وألف^(٣) ، وقرأ على والده وعلى علماء بلاده ، ودخل أكثر المدن الإسلامية ، وتلقى العلم عن علمائها ، ثم استوطن المدينة ، وتصدَّر فيها للتدريس ، وصار من سراة رؤسائها - كما قال عنه صاحبه وتلميذه ابن فتح الله الحلبي المكي في كتابه « فوائد الارنحال ونتائج السفر^(٤) » : علامة المعقول والمنقول ، وإمام أهل الفروع والأصول ، ألف التصانيف العجيبة منها وهو أجلُّها « أنهار السلسيل » في شرح أسرار التنزيل - للبيضاوي - و « الإشاعة في أشراف الساعة » ثم ذكر بعض مؤلفاته ، وأشار إلى حادثة وقعت له بالمدينة - لم يوضحها - بل ذكر أن أكابر المدينة رفعوا أمره إلى القاضي ، وأراد بعض المتعصبين قتله ، فحبس أياماً ، إطفاء للفتنة ، ثم خرج إلى مكة ومنها سار صعبة الحج الشامي إلى بلاد الروم - يقصد الترك - وكانت له منزلة عليّة عند كبارها لتكرّر ذهابه إليها ، فشكى ما حصل له من أناس من أهل المدينة، وأخرج فيهم أوامر سلطانية على ما أراد ، ورجع إلى المدينة ، ومرض قبل وصوله إليها أياماً ، ومات ظهر اليوم الذي وصل في أوله . وكانت وفاته في غرة المحرم سنة ثلاث ومئة وألف . انتهى ملخصاً وهذا هو جدُّ الأسرة البرزنجية ، الجدُّ الثالث لزين العابدين محمد صاحب الرسالة . ومن مشاهيرها أيضاً : جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن محمد ، وهو من أبرز علماء المدينة وله مؤلفات كثيرة ، وقد نشرت له في مجلة العرب^(٥) رسالة بعنوان « النفح الفرجي في فتح جيته ججي » . وهو عمُّ صاحبنا الذي نتحدث حوله . أما جده حسن فكل ما أعرف عنه ما ذكره صاحب كتاب « تراجم أعيان المدينة » من أنه توفي بمصر ، وذكر من مؤلفاته « نفثة المصدور » و « النجم الثاقب » في المولد .

ثم اطلَّعتُ في رسالة « الأخبار الغريبة » ، في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة « أن حسناً ولد سنة مئة وألف وتوفي مخفياً في بيت السيد محمد النحال بمصر ،

سنة خمس وأربعين ومئة وألف (١١٤٥ هـ) ورثاه السيد جعفر البيتي المدني بفصيذة وردت في الرسالة المذكورة ، ذكر فيها أنه مات بالطاعون .

وكان قد هرب إلى مصر حين أمرت الحكومة التركية بقتله وبقتل والده عبد الكريم - الجدل الثالث لصاحب الرسالة - بسبب وقوع فتنة بين أهل المدينة وبين أغوات الحرم في سنة أربع وثلاثين ومئة وألف لخَّصَ خبرَها صاحب كتاب « خلاصة الكلام »^(١) « بأنَّ رَجُلًا من توابع الأغوات رغب التوظيف في وظيفة عسكرية فامتنع كبار العسكر من تحقيق رغبته ، لأنه كان موظفًا فوقعت منه خيانة فأخرج من العسكرية ، فأصرَّ الأغوات على توظيفه ، فانضم أهل المدينة إلى كبار العسكر في عدم إدخاله العسكرية فاتَّسع الأمر حتى آل إلى القتال ، وبدأ به ذلك الرجل وأعوانه من الأغوات وبعض قبائل حرب ، فَرَفَعَ الأمرُ إلى قاضي الشرع ، فأرسل للأغوات بمنعهم من الفتنة وبطلب حضورهم لمجلس الشرع فامتنعوا من الكفِّ ومن الحضور عند القاضي ، فسجَّلَ عليهم أنهم عُصاة بُغَاة يجب قتالهم ، فشرعت العساكر وأهل المدينة في ذلك ، وضيَّقوا عليهم ، وقُتِلَ في تلك الفتنة أشخاص من الفريقين ، وعُطِّلَتْ صلاة الجماعة في المسجد النبوي ، فجنحوا للسلم ، فامتنع العساكر وأهل المدينة إلَّا بعد إحضار الأغوات القائمين مع الرجل - واسمه علي قنا - وحبسهم في قلعة السلطان ، بالوجه الشرعي ، ثم يُرَفَعُ أمرهم إلى نائب السلطان في الحرمين الشريفين وهو أمير مكة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد ، فحضر خمسة من الأغوات كانوا رأس تلك الفتنة فَحَبِسُوا في القلعة ، ورفع الأمر إلى الشريف مكة ، فطلبهم إلى مكة لإقامة الدعوى ، فوصلوا ، وحضر معهم مفتي المدينة السيد محمد أسعد ، وجماعة من أعيان المدينة ، فعقد الشريف مبارك لهم مجلساً حضره من جاء من المدينة . وقاضي مكة ، ووالي جدة إبراهيم باشا ، ومفاتي مكة وجماعة من علمائها وأعيانها ، فأقيمت الدعوى ، وثبت الخطأ على الأغوات ، فأمر الشريف مبارك بحبسهم في داره حتى يرفع الأمر إلى الدولة ويأتي الجواب ، فعجاء بتنفيذ الحكم الذي حكم به قاضي المدينة على الأغوات ، وأجروا عليهم العقوبات المحكوم بها من عَزْلٍ أو نفي . ثم مازال الأغوات يسعون في

الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ، ووسطوا لذلك الوسائط ، ورحل بعضهم إلى أبواب السلطنة حتى انتقموا من كثير منهم . وكان من جملة من اتَّهِم بدخوله مع أهل المدينة في هذه القضية العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن محمد البرزنجي وابنه حسن ، وكان الأغاوات عرضوا للدولة أسماء أولئك الجماعة ، الذين اتَّهِمهم في الدخول في تلك الفتنة ، فجاء الأمر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفي آخرين ، فكان السيد عبد الكريم وابنه حسن من جملة المأمور بقتلهم ، ففرَّ ولده قبل مجيء الأمر إلى مصر ، وبقي والده بالمدينة فصعب عليهم قَبْضُهُ بالمدينة ، فحَسَّنَ له بعض أعدائه الخروج إلى مكة ، فلما وصل إليها قبض عليه وزير جُدَّة أبو بكر باشا ، وأنفذه إلى جدة ، وحُبِسَ بالقلعة ، ثم أمر بقتله ، فقتل خَسَفًا ، ورُمِيَ في سوق جُدَّة يوماً كاملاً ، ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس ، وغُسِّلَ وكفن ، ودُفِنَ بجدة ، وهرعت الناس إلى جنازته ، وقبره مشهور ، يعرف عند أهل جُدَّة بالمظلوم ، وكان قتله في ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومئة وألف . انتهى .

ووالد المؤلف من أعيان أهل المدينة ، كما يفهم من مشاركته في الأحداث المذكورة في الرسالة ، هذا عن بعض سلف المؤلف ، وعنه هو فقد ذكر صاحب « تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر ^(٧) » — بعد إيراد اسمه ما نصه : (المدفون بِسُوَيْس ، بِرَبَّةِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَرِيب ، له :

١ — مولد — نونية — . ٢ — مِعْرَاجِيَّة .

٣ — نظم أهل بدر — همزية — .

ابن السيد محمد الهادي ، وإسماعيل في بغداد . انتهى . ولم يَزِدْ في النسخة المطبوعة من الكتاب « تراجم أعيان المدينة » عنه أكثر من هذا . ومع أنه ورد فيه الإشارة إلى أن وفاته — بَلَّ قَبْرَهُ — في السُوَيْس ، إلا أنه ليس لتاريخ وفاته ذكر . ويتضح من رسالته أنه من خطباء المسجد النبوي وقد أورد خطبة له ، لها صلة بالموضوع .

ويظهر أن انغماس الرَّجُل في غمار الحوادث التي وقعت في المدينة - ومنها الحادثة التي أَلَفَ عنها رسالته - كان من الأسباب التي أبعدته عن وطنه ، خوفاً من أن يصيبه ما أصاب جَدَّهُ عبد الكريم ، ويظهر أنه سافر إلى مصر في آخر سنة ١١٩٦هـ حين تصالح الشريف سرور مع أمير الحج الشامي محمد باشا ، الذي كان ضالعا مع أهل المدينة في أول الأمر ولكنه بعد أن جرى الصلح بينه وبين سرور قبض على ثلاثة من رؤساء عسكرها وثلاثة من أعيان أهلها من أهل النفوذ فيها .

ولما انتقل إلى مصر جُهِلَتْ أخباره ومنها تاريخ وفاته ، بينما كثير من أقرانه ومعاصريه من ذوي المراتب الدينية في المسجد النبوي كالخطباء - تصدَّى مؤلفو كتب التراجم لإيراد تراجمهم ، ولكن كثيراً من أولئك المؤلفين ينطبق عليهم قول الشاعر :

والناسُ أعوانُ مَنْ وَالَّتَهُ دَوْلَتُهُ وهُمْ عليه إِذَا عَادَتَهُ أَعْوَانُ

حتى صاحبه ومعاصره الشيخ عبد الرحمن الأنصاري صاحب كتاب « تحفة المحيين والأصحاب » ذكر الأسرة البرزنجية وسمَّى مشاهيرها سواه . مع أن صاحب الرسالة استشهد ببيتين من شعر الأنصاري . ويستطيع القاريء أن يَسْتَشِفَّ أسلوبَ المؤلف ، ويَلَمَّحَ جَوَانِبَ - وإن لم تكن واضحة - من منزلته العلمية من رسالته هذه التي حاول أن يبرز من خلالها بمظهر الكاتب المتأنق في أسلوبه ، بالتزامه السَّجْع ، وإيراد بعض المحسنات اللفظية ، فوقع - بسبب ذلك الالتزام - في كثير من الأخطاء النحوية ، واستعمال كلمات أعجمية تغلغت في اللغة العربية من أثر استيلاء الأتراك على الحجاز منذ أوائل القرن العاشر الهجري .

بل إن المؤلفَ بدا في رسالته هذه غارقاً في تَيَّارِ الحمود ، كحالة أهل عَصْرِهِ - إلاَّ مَنْ عَصِمَهُ الله منهم - ولهذا ملأ رسالته هذه بعبارات التعلق بالمصطفى - عليه أفضل الصلاة والتسليم - تَعَلُّقَ المستجير المستنجد ، الذي لا يَفَرِّقُ بين ما يجب

أن يُصَرَّفَ خالصاً لله وحده ، وبين ما هو لرسوله ، فلاستجارة والاستغاثة والدعاء ، وطلب النصر على الأعداء ، من أمور العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى ، والرسول عليه الصلاة والسلام تَجِيبُ مَحَبَّتُهُ وِطَاعَتُهُ وتعظيمه باتباع أوامره واجتناب ما نهى عنه والتنبيه في جميع أمور الدين بشرعه ، الثابت بنصوص الكتاب الكريم وبالصحيح من أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام .

وقد تَرَدَّدَتْ حين ظهر لي من صنيع المؤلف ما أوضحتُ ، في نشر رسالته بين أمرَيْنِ :

هَلْ أَهْمِلُهَا لما تحويه من أراء ، قد يكون في نشرها ما يعين على ترويجها . وفيها ما يكاد يُدْمِي القلبُ أَسَىً من حالة بعض المنتسبين إلى العلم في ذلك العصر من الجهل المطبق ، وفيها ما قد يؤثر في مدارك من لم يهبه الله فهماً وتمييزاً ، وقد يما كان علماء السلف يُحَدِّثُونَ من قراءة كتب أدل البدع والأهواء ، خوفاً من التأثير بما فيها من الآراء الباطلة ١٢ .

أَمْ أَنْشُرُهَا وأشير إلى ما يجب التنبيه عليه مما تحويه من عبارات صَدَرَتْ من مؤلفها عن جهلٍ ، وَمَنْ يَدْرِي فقد يكون المؤلف ممنْ لَوْنَبَهَ إلى ما تحويه مِنْ خَطَأٍ لِبَادِرٍ إلى قبول الحق ، بل قد يكون ممن رَجَعَ وَأَنَابَ إلى الله مما تحويه تلك الرسالة من أخطاء ، فإنه لا يعرف خاتمة أمره إلا علام الغيوب ، الذي وسعت رحمته كل شيء . ثم إنَّ إِبْضَاحَ الخَطَأِ في أيِّ مُؤَلَّفٍ كانَ - من الأمور الواجبة على من عرف ذلك الخطأ ، لِيَتَلَّأَّ بِسُتْمَرِ التَّمَادِي فِي انتِشَارِهِ ، وفي هَذَا دِفَاعٌ عن المؤلفِ بالحيلولة بينه وبين مشاركة من تأثَّرَ بِأَرَاثِهِ بالإثم .

وهل عَدَمُ قيامي بنشر هذه الرسالة يخولُ دُونَ وقوعها في أيدي القراء ؟ لقد أصبح من الميسور لكل قارئ أن يتمكن من الاطلاع على أي كتاب يريد الاطلاع عليه بسهولة ويُسرٍ ، وأصبح من السهل الحصول على آلاف النسخ - بل أكثر من الآلاف - في أقصر مُدَّةٍ ، وبأيسر كَمَافَةٍ ، ولهذا تساوى الأمران

بالنسبة للقاريء الذي إن لم يجد الكتاب منشوراً بواسطة (المطبعة) فسيستطيع الاطلاع عليه مُصَوَّراً ، بمتنهي السهولة واليسر . وإذَنْ فَمِنْ الْخَيْرِ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ وَقَدْ نُبِّهَ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ خَطَأٍ ، لِيَحْذَرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ .

ولهذا أَقْدَمْتُ عَلَى نَشْرِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَكَانَ الْحَافِيزُ إِلَى نَشْرِهَا - فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ - مُعَاجِلَتَهَا نَاحِيَةً مِنَ النِّوَاحِي التَّارِيخِيَّةِ ، تَوَشَّكُ أَنْ تَكُونَ مُجْهُولَةً ، تَتَعَلَّقُ بِأَهْلِ طَبِئَةِ الطَّبِئَةِ ، فِي عَصْرِ قَلَّ أَنْ يَجِدَ الْبَاحِثُ فِي تَارِيخِهِ مِنَ الْمَوْلفَاتِ مَا يُعْنَى بِإِبْرَازِ مَعَالِمِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَيَهْتَمُّ بِإِيضَاحِ جَوَانِبِهَا ، وَإِنَّمَا أَكْثَرُ مَوْلفَاتِ مُؤَرِّخِي ذَلِكَ الْعَصْرِ تَكَادُ تَكُونُ مُنْصَبَّةً عَلَى حَيَاةِ الْأَعْيَانِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ .

وَالْحَادِثَةُ الَّتِي أُلْفِتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَنْهَا قَدْ تَنَاوَلَهَا بَعْضُ مُؤَرِّخِي ذَلِكَ الْعَصْرِ مِنْ ذَوِي الصَّلَةِ بِالدَّوْلَةِ مِنْ حَيْثُ صِلَتِهَا بِأَمِيرِ مَكَّةَ الَّذِي وَقَعَتْ مِنْهُ الْحَادِثَةُ ، فَأَوْضَحَ ذَلِكَ الْمُؤَرِّخُ الْأَمْرَ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ هُوَ جَانِبُ أَحَدِ الطَّرْفَيْنِ ، فَجَاءَتْ الرِّسَالَةُ لِإِيضَاحِ الْجَانِبِ الثَّانِي ، وَالْمُؤَرِّخُ الْمُنْصَفُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ فِي قَضِيَّةٍ مَّا ، مَا لَمْ تَتَوَفَّرْ لَدَيْهِ الْآرَاءُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِهَا مِنْ جَمِيعِ النِّوَاحِي .

وَمَا تِلْكَ الْحَادِثَةُ سِوَى أَثَرٍ مِنْ آثَارِ الْفَوْضَى الَّتِي عَمَّتِ الْبِلَادَ مِنْ جَرَاءِ سُوءِ الْإِدَارَةِ ، وَالْجَهْلِ بِالطَّبِيعَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِسُكَّانِهَا مِنْذُ أَنْ بَسَطَتِ الدَّوْلَةُ التَّرْكِيَّةُ نَفْوذَهَا ، وَسَيْطَرَّتْ عَلَى جَمِيعِ شُؤُونِهَا طَبِئَةُ حُكْمِهَا الَّذِي اِمْتَدَّ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ عَامٍ ، كَانَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ أَلْعُوبَةَ فِي شُؤُونِهَا الْإِدَارِيَّةِ بِأَيْدِي ذَوِي النِّفُوذِ وَالصَّلَةِ بِتِلْكَ الدَّوْلَةِ .

يُصِفُ الْعِيَاثِي فِي رِحْلَتِهِ حَالَةَ الْحُكْمِ فِي طَبِئَةِ الطَّبِئَةِ حِينَ زَارَهَا سَنَةَ ١٠٧٢هـ - قَبْلَ تَأْلِيفِ تِلْكَ الرِّسَالَةِ بِأَكْثَرِ مِنْ قَرْنٍ ، وَالدَّوْلَةُ التَّرْكِيَّةُ كَانَتْ أَشَدَّ عَنَاقِيَّةً وَاهْتِمَاماً وَأَقْوَى التَّفَانِ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ مِنْهَا فِي الْعَصُورِ الَّتِي خَلَفَتْهُ . فَيَقُولُ ^(٨) : وَعَلَى طُولِ إِقَامَتِي بِالْمَدِينَةِ لَمْ أَذَرِ كَيْفَ تَصَرَّفَ الْوَلَاةُ فِيهَا . وَلَا مِنْ لَهِ التَّصَرُّفِ التَّامِ ، فَإِنَّ شَيْخَ الْحَرَمِ - وَهُوَ كَبِيرُ الْخَدَّامِ - تَنْفِذُ أَحْكَامِهِ ، وَكَبِيرُ الْعَسْكَرِ السَّاكِنِينَ بِالْقَلْعَةِ أَمِيرٌ أَيْضاً ، وَابْنُ عَمِّ السُّلْطَانِ زَيْدٍ ^(٩) ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ النَّائِبُ عَنْهُ فِي النَّظَرِ فِي

مصالح البلد كذلك ، والأمير الذي تنسب إليه إمرة المدينة من الشرفاء الحسينيين كذلك ، والحاكم الذي يسجن ويضرب ويقتل ويؤدب ، هو من خدام السلطان أيضاً) .

بل إن طبقة (الأغوات) وهم الخصيان الموقوفون على خدمة الحرم - قوي نفوذهم ، حتى أصبحوا يتصرفون بالشؤون العامة وبتصريف الأمور في هذه المدينة الكريمة ، ولم لا ؟ وشيخهم (من عبيد السلطان ، يؤتى به من القصر السلطاني في اصطنبول ^(١٠)) فلم لا يكون (ذا كلمة نافذة في المدينة ، تنفذ أحكامه ، وتمضي تصرفاته في القوي والضعيف ، والشريف والمشروف ويطأ عقبه الكبراء والأشراف) . ولم لا تكون طائفته (الأغوات) لا يحكم فيهم سلطان ولا غيره ولا يكون لأحد عليهم ولاية - كما قرر العياشي .

لقد أصبح هاؤلاء يتدخلون في جميع شؤون أهل المدينة ، بل قد تمتد أيديهم إلى ما ليس لهم من الحقوق ، بحيث بلغ التذمر من تصرفاتهم أن أحد علماء المدينة وهو غرس الدين الخليلي ثم المدني المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ حين قام برحلة إلى اصطنبول سنة ١٠٤٨ هـ - عرض خلالها شكوى أهل المدينة على الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) من شيخ الحرم - شيخ الأغوات ، وطلب إزالة الخصيان من المسجد النبوي . بقصيدة جاء فيها ^(١١) :

شيخاً على حرم النبي العبداني
فَهُمْ هُمْ لا خيرَ في الحبشان
لا يشبعون من الحطام الفاني
شاكينَ من هَمٍّ ومن أحزانِ
أدرى بيطيشِ السادة الخِصيانِ
صدقات خير للفقير العاني
ما ساءهُم من أسهم الحرمانِ
مُسْتَنْزَهاً من ذَا الحطامِ الفاني
فَاخْصُوا لنا شيخاً من البيضانِ !!

لا نجعلنَّ على المدينة أسوداً
وكذلك الحبشان أيضاً منهم
قومٌ لهم طبعٌ شديد زائدٌ
لولا المخافة منكم لأتوكُمُ
ما كلُّ ما يُدرى يقال وأنتمُ
يستترئون لأخذ ما قد جاء من
فيُصيبُ أهلَ الفقر من صدقاتكم
فانظر لنا شيخاً قبيحاً صالحاً
إن لم يجزُ إلا خصباً أسوداً

ويكررُ الشكوى من تسلط الأغوات وشيخهم ، إبراهيم الخياري المدني المتوفى سنة ١٠٨٣ هـ في رحلته ، إذ يقول مخاطباً السلطان - عن أهل المدينة (١٢) - :

بأمل من إحسانكم أن تَرَوْا	في شأنهم ما يقتضيه المقام
من كون شيخ الحرم اللدّ سَمًا	من (الأغاوات) بذاك المقام
وفِعْلُهُمْ ليس كما ينبغي	من حفظ جيرانٍ لذي الاحترام
وقد أتوا يرجون إحسانكم	والمنهل العذب كثير الزحام
بأن تُولُّوا لَهُمْ حازمًا	ذا فطنة تسمو ، وعقل تَمَام
فأدر كونا وأصيحوا لنا	وبلغونا قصدا والمرام
وخلِّصونا من أناسٍ لهم	عَقْلٌ كطِفْلٍ لم يَنْتَلِهِ الْفُطَام

وبين يديّ الآن رسالة عنوانها « الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبية » ألفها السيد جعفر بن حسين بن يحيى الحسيني المدني ، ويظهر أنه من أهل القرن الماضي لأنه ينقل عن مؤلفات لبعض علمائه ومنهم أحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ ويقول : إنه لخص ما في الرسالة من مسودة تاريخ ... العالم الخطيب عبد الرحمن بن حسين بن علي الأنصاري المدني ، الذي وجدته بخطه مخروماً ، وفيه من الوقائع التي وقعت في المدينة ما لا يوجد في غيره من المؤلفات .

وقد سرد في هذه الرسالة حوادث وَقَعَتْ في المدينة يدور أغلبها على سوء تصرف مشايخ الحرم من (الأغاوات) فما ذكر من تلك الحوادث :

١- في سنة ١١١١ حين تولّى مشيخة الحرم شاهينُ أحمد أغا سنة ١١٠٨ قال : وفي أيامه حصلت الواقعة العظيمة بين بني عليٍّ وأهل المدينة في حرة بني قُرَيْظَةَ سنة ١١١١ (احدى عشرة بعد المئة والألف) وقال : بعد أن أجمل خبر الحادثة : فأصل الفساد كله من مشايخ الحرم .

٢- سنة ١١٣٤ وشيخ الحرم أيوب أغا (من الأغاوات) وقعت فتنة عرفت

عند أهل المدينة باسم (قصة العهد) وأورد قصيدة للسيد جعفر البيتي (١١١٠ - ١١٨٢ هـ) جاء فيها :

فَجَرَتْ هُنَاكَ صَبِيحَةٌ بِرَقَى إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ عَجَاجُهَا بَلْ يَعْتَلِي
وَطَعَتْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ عُصْبَةُ الْـ أَغْوَاتِ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ وَالْجُهْلِ
ومنها :

إِنَّ الْمَدِينَةَ حَلَّ فِيهَا مُنْكَرٌ لَا يُرْتَضَى وَالْجَوْرُ فِيهَا قَدْ جَلِي
وحادثة الأغاوات هذه هي التي قُتل بسببها السيد عبد الكريم البرزنجي في
جدة المشهور بالمظلوم ، وقد تقدمت الإشارة إليها .

٣- وفي سنة ١١٤٨ في زمن شيخ الحرم بك بشير آغا ، أورد صاحب الرسالة
خبر فتنه بسبب هذا الأغا ، ملخصها قوله : وفي زمن شيخ الحرم بك بشير
آغا وقعت فتنه عظيمة بين أهل المدينة وأغاوات الحرم ، فأدخل شيخ الحرم الأعراب
من قبيلة حرب المسجد النبوي ، وأغلق أبوابه ، وأطلعهم على المناير ، فصاروا
يرمون بالرصاص الناس فيصيب من حول المسجد ، واستمر ذلك خمسة وأربعين
يوماً ثم أورد قصيدة للسيد جعفر البيتي مطلعها :

قِفُوا تَنْظُرُوا آثَارَ مَا صَنَعَ الظُّلُمُ
وَجُوسُوا خِلَالَ الدَّارِ تَنْبِيَكُمْ الْأُكْمُ
وفيها يقول :

سَلُّوا كُلَّ دَارٍ بِالْمَدِينَةِ مَا الَّذِي
لَقِينَا فَعِنْدَ الدَّارِ مِنْ أَهْلِهَا عِلْمُ
سَلُّوْهَا عَنِ الْأَعْرَابِ كَيْفَ تَسَنَّمَتْ
ذُرَاهَا وَكَيْفَ النَّهْبُ وَالْهَتَكُ وَالْغُنْمُ
وَكَيْفَ أُعِيدَتْ وَقَعَةُ الْحَرَّةِ الَّتِي
إِلَى هَذِهِ الْأُخْرَى تُضَافُ وَتَنْضَمُ

ومنها :

وفي كُلِّ مسكينٍ فقيرٍ ووالدٍ
حزينٍ ومولودٍ أُصِيبَتْ بِهِ الأُمُّ
وأرملَةٌ جاعَتِ ثلاثينَ ليلَةً
وعَشْرًا بِهَا الخوفُ المبرحُ والعُدْمُ

٤- في سنة ١١٥٥ قال صاحب الرسالة في الكلام على فتنة عبد الرحمن أغا الكبير : وهو الذي صارت في زمنه الفتنة العظيمة المشهورة بفتنة (كابوس) وقال عن سببها : إن عثمان بك أتى بمال الغلال فأخذه ، ومنع كل ذي حق حقه ، بعد أن اتفق مع رؤساء عسكر القاعة ، فحصل احتكاك بين أناس تزعمهم رجل عسكري يدعى حسن كابوس ، وبين من في القاعة ، ثم انتهى الأمر صلحاً إلا أن شيخ الحرم ومن معه أثاروا الفتنة التي شارك فيها بعض أهل المدينة ، وقتل من قُتل منهم كما قتل حسن كابوس الذي عُرِفَت الفتنة به ، فأرسل شيخ الحرم إلى أمير مكة الشريف مسعود يستنجد به ، ولكن مسعوداً أرسل إلى أمير المدينة سراً ، يحرضه على شيخ الحرم إن لم يُخرج أهل القاعة ، فعرف شيخ الحرم ذلك ، فأرسل إلى هزاع شيخ قبيلة حرب ، واستماله بالمال ، ليرد عنه المدد الذي أرسله الشريف مسعود لأمر المدينة ، فجمع هزاع من قُدر عليه ، وهجم على الذين أرسلهم أمير مكة في رابع ، فقتل منهم من قتل وهرب الباقون ، واستدعى شيخ الحرم وهو عبد الرحمن أغا استدعى مشايخ حرب ومنهم هزاع وعبيد ، ومكنهم من المدينة فأخربوها ونهبوها ، وجلا أكبر الناس إلى المناخة ، واستمر الحال على ذلك إلى شهر رجب سنة ١١٥٦ ، فأرسل الشريف مسعود ، وسعى في الصلح بينهم ظاهراً ، وكان مُبَاطِناً لأهل القاعة ، فتمت بينهم الهدنة إلى أن وصل الحاج الشامي إلى المدينة ومعه (فرمان) بعزل عبد الرحمن أغا شيخ الحرم ، ونصب عبد الرحمن أغا الصغير .

وأورد صاحب الرسالة قصيدةً طويلةً للسيد جعفر البيه مطلعها :
بَكَى عَلَى الدَّارِ لَمَّا غَابَ حَامِيهَا وَجَرَ حُكَّامُهَا فِيهَا أَعَادِيَهَا

قال فيها :

سَيِّئِينَ يَوْمًا أَقَامُوا فِي مُحَاصِرِهَا قَتَلًا وَنَهَبًا وَهَدْمًا فِي صَيَاصِبِهَا
ومنها :

يَا شِدَّةَ لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ يَكْشِفُهَا وَغُمَّةَ لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ يُجْلِيهَا
يَا آلَ عُثْمَانَ عَيْنٌ فِي مَمَالِكِكُمْ مَطْرُوفَةٌ لَطَمَتَهَا كَفٌّ وَالْيَهُمَا
أَمْنَتُمُوهَا فَضَاعَتٌ عِنْدَهُ سَفَهَا وَيَلُ الْأَمَانَةَ مِمَّنْ لَا يُؤَدِّيْنَهَا
خَمْسُونَ عَامًا لَنَا وَالظُّلْمُ يَلْحَقُنَا نُقَارِعُ الْبَدَوَ فِيهَا أَوْ نُدَارِيْنَهَا

هـ - وأشار مؤلف الرسالة إلى وقوع فتن في المدينة منها في سنة ١١٨٧ (فتنة جماعة القممجمي) وصفه بأنه (كتنخدا نوبتجان) واسمه محمد جلبي بن مصطفى بن محمد أغا بن جعفر بن مصطفى باشا ، وكان قد حدث بين رؤساء الجنود الذين في القلعة شقاقٌ تدخل فيه شيخ الحرم علي أغا ، فأمر بحبس بعض من شارك في ذلك الشقاق ، فافترق رؤساء الجند الذين في القلعة فرقتين مما اضطر شيخ الحرم إلى عزل بعض رؤساء الجند ، وأيده في ذلك (الكتنخدا محمد قمقمجي) ولأن الفرقة المخالفة لرأيه من العسكر نفروا منه ، وتوجهوا إلى القاعة ، وصاروا مع جماعتهم ، فأرسل شيخ الحرم إلى أمير مكة أحمد بن سعيد يعرفه بهذا الأمر ، فوصل منه رسول فاجتمع العساكر ، وحكام المدينة وأعيانها ، في (دكة الأربعين) كما هي العادة - وهي دكة الأغاوات داخل الحرم - فقرأ عليهم كتاب أمير مكة وفيه : الأمر بعدم التعرض للجند ، والأمر بإرسال الجماعة الذين حصل منهم الفساد . ولكن أهل القلعة أبوا من إرسالهم وبعد نزاع طويل ، اصطلحوا ظاهراً مع شدة الاختلاف بين (الوجاقات) مما سبب وقوع فتنة بين (وجاق القلعجية) و (وجاق النوبتجية) وأبلغ الأمر إلى أمير مكة الشريف سرور بن مساعد في أول ولايته ، فطلب من شيخ الحرم ومن (الكتنخدا) محمد قمقمجي ، أن يبعث مسبب الفتنة ، فرأى القممجمي التوجه بنفسه إلى الشريف مسعود ، وطلب منه إحضار

خصومه ، ولكن لم يحضر أحدٌ منهم ، وأثناء وجوده عند أمير مكة حدثتُ حادثةٌ في المدينة ، اجتمع العساكر على إثرها وتوجهوا إلى شيخ الحرم ، واتفقوا معه على عزل القمممجي وتعيين من يحلُّ محله ، فعين مكانه أحمد مكي ، واتفق (الوجاقات الأربعة) والأغاوات وعبيدهم وشيخ الحرم على أنهم عُصْبَةٌ واحدة ، وأن لا يمكنوا القمممجي من دخول المدينة ، فلما بلغه ما حدث ، وكان الشريف له مُسَاعِدٌ أرسل معه وزيره وبعض أعيان رجاله ، وبعث إلى بدوي شيخ حرب بأن يعينه ، فخرج قاصداً المدينة ، فوصل حرّة النّقا ، فبعث إليه أهل المدينة بِمَنْعِهِ من الدخول ، فترل جماعته بالنّقا ، وتوجه هو إلى العوالي وقباء والقرى التي بأطراف المدينة يستنجدهم ، فأجابوه ، وأخيراً تَمَّ للقمممجي ومن معه دخولُ المدينة حتى دخلوا المسجد ، وعلّوا فوق المنائر ، وأطلقوا منها رصاص البنادق ، فلما شاع خبرهم فتح أهل القلعة قلعتهم ، فحدثت مناوشات ، بين الفريقين .

قال صاحب الرسالة : (واستمر الحرب بينهم ثلاثة أشهر كواهل ، وصار المسجد النبوي بيت الفسوق بعد أن كان بيت العبادة ، إلى أن وصل الحاج الشامي) وكان واليهم محمد باشا بن العظم .

ولما وصلَ الجُرفَ طلع إليه (الكتخدا) محمد قمقمجي بجماعته و (الكتخدا) أحمد مكي بجماعته ، وكان محمد باشا مفوضاً من طرف الدولة ، ورأى ميسل الشريف سرور إلى (الكتخدا) محمد ، فعينه في المنصب ، وأخذ (الكتخدا) أحمد معه إلى مكة ، وسلمه للشريف ، وأطفأ نارَ الفتنة — إلى أن قال — : وكان نصب القمممجي وعزل المكي وتفسيره على غير رضا من أهل المدينة وغيرهم ، ولما رأى شيخ الحرم ما صار كتب (عروضاً) وحطَّ على القمممجي ، وذلك باطلاع من جميع أعيان المدينة ، وأرسل تلك (العروض) مع الأفندي تاج الدين الياس مفتي المدينة ، وكان بينه وبين الشريف عداوة ، فتوجه صحبة الحاج الشامي ، ورجع في آخر عامه ، ومعه الأوامر السلطانية بعزل القمممجي وتفسيره ، ونصب

أحمد مكّي ، والكنّ الشريفَ لمْ يَأْذَنْ له في المجيء إلى المدينة إلا بأن يلزم أدبه ويلتزم بيته ، (وأن يكون في المدينة طليقة يعني حكمه لمن أطلقه) فجاء إلى المدينة وأوفى بما التزم

ثم أشار صاحب الرسالة إلى وقوع ضجة أثناء صلاة الجمعة نشأت عن صوت (طَبَسْنَجَةٍ) عَبَثَ بها رجل من جماعة القمقمجي وسط المسجد ، قال : وعَجَلَتْ (الأغاوات) إلى دَكَّتِيهِمْ فَأَخْرَجُوا منها السلاح لأنّ هذه عادتهم ، فصارت مأوى للفجور بعد أن أُسِّسَ بِنائِهَا على التقوى ، وأغلقوا باب السلام ، فصار ازدحام على باب الرحمة مات فيه نحو ثلاثين رجلاً ، وحدث قتال بين فريقي القمقمجي والمكي في المسجد وفي المحكمة السلطانية والمدرسة الكائنة برباط السلطان المطلّين على المسجد قال : فصاروا يترامون ، هؤلاء من نفس المسجد ، وأولئك على المسجد ، وقُتِلَ رأسُ الفتنة على ما يقال الجاوش علي قالي وغيره ، وطال بينهم الحرب ، وصار المسجد مأوى للفسوق والعصيان ومنع منه أهل الإيمان — كذا قال — .

ثم ذكر أن أمير مكة الشريف سروراً أرسل السيد حسن العلوي فوصل إلى المدينة لخمس بقين من شعبان سنة ١١٨٩ ، فعقد بينهم الهدنة إلى مجيء الحاج الشامي ، ثم ذكر وصول الأفندي تاج الدين الياس بالأمر بعزل القمقمجي وحمله إلى الدولة وتسفيره ، وأنه قُبِدَ وغُلِّ وذُهِبَ به إلى مكة ، والكن أميرها الشريف سروراً منع أمير الحج من الوصول إلى مكة إلا بعد أن يسلمه القمقمجي فكان ذلك . فأذِنَ له في العودة إلى المدينة وأسَرَّ إليه بأنه سيأتي لنصرتة . هذا ما ذكر صاحب الرسالة ومنه يفهم سبب الحادثة التي أَلْفَ عنها البرزنجي رسالته .

الشريف سرور أمير مكة المكرهه :

يحسن إيراد ترجمة مجملة لهذا الأمير الذي أَلْفَتِ الرسالةُ عما وقع منه .

هو سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن مَحْسِن بن حسين بن حسن ابن أبي نُصَيٍّ ولد سنة ١١٦٨ تقريباً ، وتولى إمارة مكة في شهر ذي القعدة سنة ١١٨٦ ، وكان عمره نحو ثمانى عشرة سنة ، انتزع الإمارة من عمه أحمد بن سعيد ، بعد أن حاربه نحو سبع سنوات ، وجرى بينهما خمس عشرة وقعة انتهت بانتصار سرور ، فقبض على عمه وسجنه في ينبع ، ثم في جدة ، حتى توفي في السجن . وإلى أحمد بن سعيد هذا وجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدعوة بكتب أرسلها إليه يدعوه إلى قبولها فلم يستجب .

أما الشريف سرور فقد أمضى سني إمارته في عراك مع عمه ومع بعض القبائل كحرب وهذيل ، ولم يتجاوز حكمه الحرمين ونواحي الطائف .

وقد وصفه الأستاذ الزركلي بأنه كان حازماً شجاعاً صَعْب المِرَّاس . ومكث في الإمارة على ما ذكر دحلان خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام .

وقد كان النفوذ في المدينة بيد ولاية الأتراك من شيخ الحرم الذي هو رئيس (الأغاوات) ومن كبار العساكر الذين تبعهم تلك الدولة من اسطنبول . ولهذا فكان أمير مكة كثير التحرش بأولئك الولاة باعتباره ينظر إليه بأنه (سيّد الجميع) وأن أمور الحجاز راجعة إليه .

وقد تقدم إيضاح موقف الشريف سرور من القممجي الذي أتى أمر السلطان بعزله ، ولكن الشريف كان ضالماً معه ، فأطلقه من أسر أمير الحاج الشامي وأعاده إلى المدينة ووعدته بالنصرة .

ومن هنا تتضح أسباب الحادثة التي ألفت عنها الرسالة .

قال صاحب « الأخبار الغريبة » : فما كان يوم خامس رجب سنة ١١٩٤ إلا والشريف سرور قد وصل المدينة فجأةً بخيله ورجاله وعدته وآلات قتاله ، فخرجوا إليه ملاقين ، وللعفو طالبين ، فتلز العنبرية وأنزل (عرضيه) المناخة السلطانية ، وهو مُنْطَوٍ على قُبْحِ النية ، فأتوا إليه في الحجرة الشريفة ، وطلبوا

من مراحمه أن يسمح عنهم فقال لهم : عفا الله عما مضى . فخرجوا فَرَحِينَ ، وأصلح بينهم وبين القممجي ، ومكث بالمدينة أياماً ، وأشاع أن قصده الظعن إلى أن ظهرت منه الخيانة يوم ٢٦ رجب ، حين دعا جميع حكام المدينة ، فأتوا إليه ، فما راعهم إلا وقد دهمتهم الرجال ، وكبّلوهم في القيود والأغلال ، فحين عاين أهل القلعة هذا الأمر ، أغلقوا الباب على من في داخلها ، وصوّبوا المدافع والبنادق من الأبراج على (عرضي) الشريف . انتهى .

ويظهر أن هذا العمل ممن في القلعة افتتات على أهل الحقل والعقد من أهل المدينة ، قام به بعض الغوغاء ومثيرو الشغب كما يتضح من قول صاحب « الأخبار الغريبة » : وما كان بها غير نحو عشرين من الرجال وما بقي فأراميل لا يُحصون وأطفال ، وما بقي من أهل القلعة فمستقرون على العهد ولم يظنّوا بأنه مُضمير للنفاق ، وإلا لكان له ولهم شأن .

وأشار صاحب الرسالة إلى أن محمد مصطفى بن الكتخدا محمد قمقمجي كان هو المحرك لهذه الفتن ، وأعانه قوم آخرون ، وكان انتظر من سرور إنجاز وعده بنصب والده (كتخدا نوبتجيان) كما كان أولاً — فلم يفعل .

وأشار أيضاً إلى أن محمد مصطفى وبعض من ساعده زوروا كتاباً على أعيان أهل المدينة ، موجّهاً إلى شيخ قبيلة حرب ، يدعونه لمحاربة الشريف من خارج المدينة وهم من داخلها .

ويذكر كيف دُبِّرَت حيلة وصول الكتاب إلى الشريف سرور قال : فلما قرأه طلعت عيناه في أمّ رأسه ، فأرسل إليهم ودعاهم ورماهم في الحبس .

ثم وصف ما جرى مِمَّنْ في القلعة من رمي (صيوان) الشريف وخيامه وبيوته بالمدافع ، حتى هدموا عليه بعض منازل ، وحرقوا غالب (عرضيه) وما فيه ، فصارت جماعة الشريف يعملون على القلعة أنواع الخدع — ووصف شيئاً من أعمالهم — إلى أن ضاق الشريف سرور بما وقع عليه من الشرور ، وعزم على السفر ، وكان عنده رجل مغربي يدعى الساحر فأرشداهم إلى حيلة ، استطاعوا بها خرق

سُورِ القلعة من ناحية باب الصغير قال : وأذَرَعُوهم قتلاً وسلباً وفتكاً ونهباً ،
وهتكوا المحرمات ، وأسروا الرجال والبني والبنات .

ثم ذكر مسير سرور من المدينة بعد أن أخذ خمسين رجلاً من أهلها أسرى ،
ووضع في القلعة نحو أربع مئة من اليمن ، وعيّن وزيراً عليهم محمد بن ... العدواني
المضايفي ، ولما وصل إلى مكة أمسك بعضهم عنده في النكال الشديد ، وأرسل
بعضهم إلى القنفذة ، وبعضهم إلى الهند وبعضهم شتتهم في البلاد ، واستمروا
كذلك إلى أن فرج الله عنهم .

مما تقدم يتضح أن حالة الفوضى التي عَمَّتِ المدينة في ذلك العهد كان من
آثارها ما دعا أمير مكة إلى أن يستعمل العنف والشدة مع أهل هذه المدينة الكريمة ،
وكان الأولي بل الواجب ألاّ يأخذ البريء بذنب المُسيء ، وأن يسير في
معالجة تلك الأمور بثبوت وحكمة ، ولكن يظهر أن هذا الأمير من طباعه العنف ،
ومن أبرز صفاته الصرامة كما يتضح من مواقفه مع عمه حتى سلبه الملك .

ويورد ابن عبد الشكور في كتابه المخطوط عن « الأشراف أمراء مكة » وبعده
أحمد دحلان في كتابه المطبوع « خلاصة الكلام » وهوامها كما هو معروف وميلهما
مع الأشراف - يوردان الخبر بما يفهم منه أن الشريف سرورا حين توجه إلى
المدينة كان قد استعدّ بالقوة والرجال ، فكان معه سبعة آلاف وخمسمئة من
الرجال ، ومن الخيل مئتان وخمسون مما يدل على أنه كان يتوقع حرباً . وها هو
ملخص ما أورده ابن عبد الشكور ، ونقله دحلان بعد حذفٍ سَجَعِهِ - :
فلما مرَّ ببَدرٍ ذكر له أهلها أن لهم عوائد منها معلوم ثلاث سنين مما كان
يدفعه أمير الحاج المصري ، ولكنه لم يستجب لطلبهم ، فحدث بينهم مناوشة
قتل منهم أربعة عشر نفرأ ، وأخذ أربعين رجلاً رهائن ، ثم لما وصل المدينة قابله
أهلها في العنبرية ، وخطّ رحله في المناخة ، وجاءه (الأغاوات) و (الكواخي)
وشيخ الحرم وطلبوا منه السماح فسمح .

ثم إنَّ قبيلة حَرْبٍ ومنهم من اعترضه في بَدْرٍ ، حدثتهم نفوسهم بأن يقاتلوه في المدينة فطرح عليهم العيون ، فصَادَقُوا نَجَاباً خارجاً من المدينة ومعه كتب من (الكواخي) لِقَبَائِلِ حَرْبٍ ، يَحْثُونُهُمْ عَلَى الْقُدُومِ إِلَيْهِمْ بِصَدَدِ الْحَرْبِ ، فلما قرأها أحضر شيخ الحرمِ و (الكواخي) وسألهم عنها فأنكروا معرفتها ، وقالوا: إنها مزورة ولو كانت ممهورة فقال : إن كنتم صادقين فأعطوني القلعة تحت يدي ، فامتنعوا فأعاقهم عنده ، وأرسل شيخ الحرم لأهل القلعة يطلبها منهم فوجدهم قد تَرَسَّوْهَا بِالرِّجَالِ ، وتعذروا بأننا رمينا عند (سيّدنا) بالزور والبهتان ، ولا نسلمها ما لم يأتنا منه الأمان فقال لهم شيخ الحرم : خذوا هذه الْمُحَرَّمَةَ أماناً لكم ، فلم يفتن إلا ورمي الرصاص عليه كالطر ، وكان هذا مفتاح الشر ، فلما رأى ذلك قبض على الثلاثة (الكواخي) الذين عنده (أغات) القلعة ، وحطَّهم في الحديد ، وابتدروا بالرمي على بيته عن قَصْدٍ ، فنقل أهله إلى بيوت بعيدة عن القلعة ، ووقع القتال بينهم من ليلة المعراج واستمر ثلاثة أيام ، وأرسل عسكرياً تَرَسَّوْا البيوت التي حول القلعة من كل جانب ، وكانت هي السبب في إظهار عجز من في القلعة ، ثم جلس في بيت من البيوت المقابلة للقلعة ، وصار يحرض الرجال ، ويحثهم على سرعة الرمي حتى بدا العجز فيهم . فطلبوا الأمان ، ودخل القلعة العربانُ والعساكر ، فنهبوا جميع ما فيها من الأثاث والنقود وأنواع السلاح ، وكان غالب أكابر أهل المدينة وضعوا في القلعة عزيزَ أسيانهم الثمينة ، فذهبتْ شَدَرًا مَذَرًا . ومكثوا أياماً ينهبونها ، وحفروا أرضها حتى أخربوها ، وأمر بنهب بعض بيوت معلومة خارج القلعة ، فَتَنُهِبَتْ في الحال منها بيت أحمد مكِّي وكان فيه مال جزيل ، وبيت أمين ميكائيل ، وبيت مفتي المدينة تاج الدين الياس ، ووجدوا فيه من معتبرات الكتب ما يضيع فيه القياس — تقدمت الإشارة إلى سفر هذا المفتي إلى اصطنبول بطلب تنحية (القممجي) وتعيين أحمد مكِّي ضد رغبة سرور — ثم لما تَمَّ له ما تَمَّ قام بأمورها بغير تراخي ، وألَبَثَ من طرفه الوزير و (الكواخي) وأسكن وزيره بداخل القلعة ، وهَمَّ بالنجعة ، فنصب خيامه

بالتَّقا ، وأسر من أهل المدينة نحو خمسين وُضِعُوا في الحديد وأطلق رُبَطَاء قبيلة حرب ، وأخرج (فرماناً) سلطانياً بعزل أحمد أغا شيخ الحرم .

مجتمع المدينة أثناء تلك الحوادث :

• ليس لدى الباحث من المصادر ما يستطيع أن يتبين منه بجلاء صورة المجتمع المدني أثناء حوادث ذلك العهد ، ولكنه لن يعدم بعض اللوحات التي يَسْتَشِفُّ من خلالها ملامح عن تلك الحوادث .

ومعروف أن أيَّ مجتمع لا ينضوي تحت قيادة قوية ، تشيع فيه الفوضى وخاصة حينما تتنازع اتجاهات مختلفة ورغبات متباينة ، كما هي الحال في تلك المدينة الكريمة التي تتحكم في شؤونها جهات مختلفة في الأهواء متباينة في الآراء ، متعددة المقاصد ، مختلفة الرغبات . فهناك ولاية الأتراك من رؤساء الجند وكبار الموظفين كشيخ الحرم (شيخ الأغاوات) والفتي التركي ، وهناك من يمثل أمير مكة الذي هو حسب العرف في ذلك المجتمع (سيد الجميع) بما أولته الدولة التركية ظاهراً من رعاية ، وإن كانت في الباطن تبسط العون لولايتها من قواد عسكريها ول كبار من توليهم بعض الشؤون في المدينة كشيخ الحرم ، مِمَّا يَحُدُّ من نفوذ ذلك الأمير ، ويقوي سلطة أولئك الولاة والحكام ، لهذا فليس بدعاً حين يتضح من استقراء تلك الفتن التي حدثت أثناء العهد التركي الطويل ، أن أهل المدينة كانوا متفرقي الأهواء ، منهم من يميل هواء مع ولاية الأتراك . وهؤلاء في الغالب ذوو الصلة المباشرة بالدولة التركية من كبار الموظفين كالمفتي ، ومنهم من يرى في أمير مكة لما له من نفوذ ولما تظهره الدولة إزاءه من تقدير يراه الجدير بأن تسند إليه أمور المدينة .

وهناك آخرون يدركون من سوء تصرف كُلٍّ من تقدمت الإشارة إليهم ما يدعو للسعي لإزالة نفوذهم ، وقد ينضمُّ إلى هؤلاء أو أولئك من ليس لهم من الرأي بل من المصلحة سوى إثارة الشغب وإحداث الفتن .

وكل ما تقدم جدير بالدراسة والتفصيل مما ليس هذا محله .

قبيلة حرب :

يتكرر كثيراً اسم هذه القبيلة أثناء الحوادث التي وقعت في المدينة منذ القرن الثالث حتى عصرنا الحاضر ، ولا يتعني الباحث هنا سوى ما له صلة بحوادث عصر الرسالة التي نتعرض بهذا البحث لمضمونها ، وهو القرن الثاني عشر الهجري .

كانت تلك القبيلة مسيطرة على الطريق فيما بين المدينتين الكريمتين مكة والمدينة ، وكانت في الغالب تعيش عيشة البداوة ، وإن وُجد لها في تلك المنطقة قرى وأماكن استقرار ، إلا أنها من الضعف بحيث لا تستطيع القيام بحاجة السكان بما تنتجه زراعتها ، ولهذا فكانت الحياة بين أولئك السكان تقوم على ممارسة بعض الأعمال اليسيرة ، كجلب الخطب والفحم للمدن ، وبيع ما يحتاج إليه الحجاج من علف وغيره من حاصلات تلك القرى ، يضاف إلى هذا نقل أولئك الحجاج بين المدينتين الكريمتين . وكانت الحياة في ذلك العصر تسودها الفوضى لضعف نفوذ الدولة الحاكمة ، فحين تقسو الحياة على السكان — وما أكثر ما تقسو ، إماماً بقحط ، أو بمرض يأتي على أنعامهم — فيضطروهم الفقر وتُلْجِئُهُم الحاجة إلى أن تمتدَّ أيديهم لأخذ ما يسدُّ رمقهم — والفقر قرنه الرسول صلى الله عليه وسلم بالكفر فاستعاذ بالله منهما — من هنا كان لا بُدَّ من اتخاذ الوسائل لحماية الحجاج الذين يمرُّون بالطريق المذكور ، فكان أن قررت الدولة التركية مقابل ذلك للعشائر التي يمر الطريق ببلادها مبالغ من المال ، هي وإن كانت قليلة إلا أنها تساعد أولئك السكان الذين يتولون حماية الحاج ونقلهم وإرفاقهم بما يبيعون عليهم مما يحتاجون .

ولكن بعض ذوي النفوذ من أمراء الحاج كان يتعرض لما هو مقرر لأولئك ، بل قد يقوم بهذا أمير مكة نفسه ، وهو المفروض بأن يكون ممن يعنى برعاية حقوق أولئك الضعفاء من مواطنيه ، وقد يكون ما هو أدهى من هذا هو أن يسعى هذا الأمير لدى أولئك المطلوب منهم حماية الحاج بأن يتعرضوا لهم بالأذى ، ليتخذ من ذلك وسيلة يتدرَّعُ بها إلى تحقيق بعض رغباته وطلباته من الدولة التركية لكي

يقوم بحماية الحاج (انظر « العرب » س ١٢ ص ٣٥٥) وقد يقوم هذا الأمير بأخذ ما هو مقرر للعشائر ، بحجة أنه سيدفعه لهم ، فلا يفعل ذلك ، وهذا ما يسبب لُجُوءَ مَنْ يُحَرِّمُونَ مما يعتبرونه حقاً واجباً لهم بالتمرد والعصيان ، وهذا ما حدث من قبيلة حرب مع أمير مكة الشريف سرور .

ولقبيلة حرب مع أشراف مكة وولاية المدينة وأمرأء الحج الشامي والعراقي ، تاريخ طويل ، هو بحاجة إلى أفرادهم بمؤلف .

لقد كانت قبيلة حرب تقوم بحفظ الطريق بين مكة والمدينة ، أو كما قال العصامي — « سمط النجوم العوالي » ج ٤ ص ٥١١ — : (وكان عليهم الدرك في حفظ الطريق من عسفان إلى المدينة) وكانت مشيختهم منذ القرن الحادي عشر ، وقد يكون قبل ذلك في آل مُضَيَّان من الظواهر من المراوحة من بني سالم من حرب ، وكان شيخهم سنة ١٠٧٨ على ما ذكر العصامي (شيخ العرب وسلطانها) أحمد بن رحمة بن مُضَيَّان ، واستمرت رئاسته إلى ما بعد سنة ١٠٨٥ ، وقد جرى في عهده سنة ١٠٨٤ قتال بينه وبين شريف مكة الشريف بركات كان الظفر فيها للأخير إذ قال العصامي — ٥٢٧/٤ — عن هذه الواقعة : استيحت ديارهم ونهبت أموالهم وهلك نساؤهم وأطفالهم وقتل خيارهم .

ونكتفي بإشارات موجزة إلى ما له صلة بالحادثة التي ألفت فيها رسالة « كشف الحجب والستور » كان لقبيلة حرب من المقرر لها عند أمير الحج المصري مبلغ من المال ، فاجتمع رئيس الحج المصري وبدوي بن عيد بن مضيان شيخ القبيلة في مجلس الشريف سرور في ٢٠ ذي الحجة سنة ١١٩١ هـ ، فأراد التوفيق بينهما فأبى بدوي ابن عيد ، وتوعد أمير الحج (الصنjq) ثم علم أنه أخطأ ، فذهب إلى أمير الحاج الشامي ليطلب منه التوسط لدى الشريف في العفو عما صدر منه في مجلسه ، فأظهر قبول الرجاء ، ولكنه أمر بالقبض على الشيخ بدوي وأمر بأن يجلس في قَبْرِ تحت الأرض ، فطال بقاءه في الحبس ، ومرض ، وأصيب بالجدري ومات في الحبس

على ما ذكر ابن عبد الشكور ، ودحلان في كتابيهما ، وكان هذا من الأسباب التي دفعت قبيلة حرب إلى الخروج عن طاعة الشريف بعد أن عين بدآي بن عيد شيخاً لها ، فازدادت قسوة الشريف على هذه القبيلة أو كما قال ابن عبد الشكور : (وعامل العرب بالقتل والصباح ، وأخذ الأرض منهم والبطاح) .

وفي سنة ١١٩٣ على ما ذكر دحلان وهو شريفي الهوى - « خلاصة الكلام » ص ٢١٦ قال : بعد الحج تعرض جماعة من حرب مراد بك (صنjq) الحج المصري وكان معه جملة من شيوخهم رهائن بعد ما مرّ تلك الجهات ، ولم يُعْطِهِمْ في ذلك العام شيئاً من المعاليم التي لهم .

ثم كانت الحادثة التي سبقت ما جرى من سرور نفسد على أهل المدينة ولمخصصها : أنه في شهر جمادى الأولى سنة ١١٩٤ ، سار سرور من مكة فأقام في جدة ثمانية أيام ثم سار حتى بلغ بَدْرًا ، فتلّقه أهلها بتقديم الهدايا ، ويظهر أنهم أوضحوا له امتناع أمير الحج المصري عن دفع ما لهم من المعلوم وطلبوا منه ذلك .

قال ابن عبد الشكور : ادعوا أن لهم عوائد من الملوك إذا مرت بهم وقوانين وأنه أخذ عليهم من (الصنjq) معلوم ثلاث سنين .

إذن فالشريف قد أخذ ما هو مقرر لهم من أمير الحاج المصري قال : فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام فنار الحرب بينهم ، واستمر ثلاث ساعات ، فانتصر عليهم ، وقتل منهم أربعة عشر نفرًا ، فدخل شيوخهم بين الفريقين ، وأصلحوا ذات البين ، على أن يعطيهم أربعة عشر ألف قرش ، وأن يعطوه ربايط منهم فسلمهم التقدّر المعلوم . وأخذ منهم أربعين رجلاً رهائن ، قال : ولما وصل إلى الحمراء أمسك بولد نصار بن عطية ، وكان قد حاول الهرب فوضعه في الحديد مع الرهائن ، وتأكدت العداوة بينهم إلى أن قال بعد أن ذكر انتهاء سرور من زيارة المدينة : وأما رهائن حرب فقد شدد عليهم غاية التشديد ، وزاد فيهم القيود والحديد ، فلما بلغ ذلك قبائل حرب حنقت نفوسهم ، فأعاقوا جميع الزوار ،

ومنع نصّار بن عطية زوار مكة وجدة والطائف وغيرها من البلدان ، حين وصلوا إلى الخيْف من الذهاب إلى المدينة ، فرجعوا إلى مكة ، وأرادت قبيلة حرب أن تهاجم الشريف سروراً وهو في المدينة ، ويظهر أنه خشي من ذلك فسار من غير الطريق المارّ ببلادهم — بعد أن استولى على القلعة ووضع فيها من جنده من يحميها ، وأشاع عند سفره بأن طريقه سيكون على قبيلة حرب . قال ابن عبد الشكور : ثم توجه من طريق الشرق قصراً للشّرّ ، أي أنه سلك الطريق النجدية إلى مكة المكرمة وأطلق رهائن قبيلة حرب .

ويظهر أن أحد مشايخ حرب وهو نصار بن عطية ، أراد الذهاب إلى مصر ليشكو الشريف سروراً الذي كان أمسك ابنه فحبسه ، فأوعز سرور لوزيره في ينبع لرصد نصار ، فقتل وجيء برأسه إلى أمير ينبع ، وذلك في سنة ١١٩٥ ، فهرب ابنه إلى قبيلة حرب ، فاستصرخها فجاءت إلى ينبع ، وأحاطت بالوزير فهرب ، فتم لها الاستيلاء على ينبع ، فحاول نزاعها ، ولكن قبيلة جهينة ساعدت حرباً فلم يستطع سرور الاستيلاء عليها .

كانت هذه الحوادث بين سرور وبين قبيلة حرب إزهاصات ، لما هو أعظم منها ، مما كان سبباً لاستيلاء الدولة السعودية الأولى على بلاد الحجاز ، فبعد موت سرور واستيلاء أخيه غالب على حكم الحجاز بسنين ، وفد آل مضيّبان رؤساء قبيلة حرب ، وهما بادي وبدّاي أبناء بدوي بن مضيّبان ومن تبعهم من عربانهم ، وفدوا على الإمام عبد العزيز ، وبايعوه ، فأرسل معهم من يعلمهم فرائض الدين ، فأجمعوا على حرب المدينة ، فزلوا عواليها وبَنَوْا هناك قصراً ، ضيقوا به على أهل المدينة بقطع ما يصل إليهم حتى طال الحصار عليهم ، فكتبوا إلى سعود بن عبد العزيز وبايعوه في سنة ١٢٢٠ على ما أوضح ابن بشر في كتابه « عنوان المجد » .

بعد ذلك لم يجد الشريف غالب أمير مكة بدّاً من طلب الصلح من سعود فتم ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض عشائر حرب لم تشارك أهل المدينة أثناء حوادث أهلها مع سرور ، ومنهم بنو علي ، وبنو السَّقَر ، ولعل السبب في ذلك أن أكثر هؤلاء كانوا مستوطنين في المدينة ، وكانت لهم صلات مع ولاة الأتراك فيها .

نهاية تلك الحوادث :

يظهر أن أمير الحج الشامي كان ضالعا مع أهل المدينة ، فقد مرَّ أن سرورا أخذ من أهل المدينة سنة ١١٩٤ نحو خمسين رجلاً ، وسافر بهم إلى مكة فطلب أهل المدينة من أمير الحج الشامي محمد باشا العظم التوسط في إطلاقهم ، فرفض ذلك الشريف ، وأرسلهم من مكة إلى العابدية ، ثم أطلق خمسة وعشرين منهم سنة ١١٩٥ ، وأرسل الباقين إلى القنفذة ليكون حبسهم هناك .

وفي سنة ١١٩٦ زال ما بين أمير الحج الشامي وبين الشريف مكة من خلاف فانفقا وتعاهدا داخل الحرم .

وقبل ذلك بزمن يسير طلب سرور إحضارَ المحبوسين من القنفذة وحبسهم في جدة ، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة ١١٩٦ ، ويقول ابن عبد الشكور : إنه حبسهم في بيت الوزير ، ولم نعلم لذلك سبباً غير التقدير — كذا قال ، ولكنه لم يذكر عاقبة أمرهم .

أما أمير الحج الشامي ، فإنه بعد صاحبه مع الشريف قبض على كبار الجند (الكواخي) وعلى ثلاثة من رؤساء أهل المدينة من أهل الصولة ، ويظهر أن هذا باتفاق مع أمير مكة .

وفي ١٧ شوال سنة ١٢٠١ ، دخل الشريف سرور المدينة فتلقاه أهلها بالتعظيم والاحلال — على ما يقول ابن عبد الشكور ودحلان ، وأقام هناك حتى وصل الحج الشامي ، وما تعرض لأهل المدينة بنقض ولا حل ، ولا تولية ولا عزل ، ثم عاد إلى مكة .

تاريخ المدينة المنورة

لعمر بن شبة النميري (١٧٣ / ٥٢٦٢)

— ٢ —

٥٨ — وفي ص : ٨٨٢ : (ما أخرج هذا منك إلا هَمَّ . قال : نعم فويل لهذا الأمر) . كلمتا (نعم فويل) صوابهما — على ما في الأصل : (هَمَّ طویل) .
٥٩ — وفي ص : ٨٨٣ : (والله لئن وليها يحمل) والذي في الأصل : (لان والله يحمل) .

هذه لمحات مما حدث في تلك الفترة التي أُلِّفَتِ الرسالة عن حداثتها وبعدها بزمن يسير ، مما يعتبر امتداداً لها ، والموضوع بحاجة إلى دراسة أعمق ، وقد يكون في هذه الإشارات ما يوضح بعض جوانب تلك الحادثة .

(للبحث صلة) حمد الجاسر

الحواشي :

- (١) : ١١٩ .
- (٢) : « شعراء الحجاز في القرن الثاني عشر » للدكتور عايض الراددي — ص ٦٤٣ .
- (٣) : « سلك الدرر » : ٦٥/٤ وفي كتاب « شعراء الحجاز » : — ٢٨٤ — أنه ولد (١٠١٤) ولعل هذا تطبيع — أي خطأ مطبعي — .
- (٤) : نسختي المخطوطة — الورقة ٣١٠ وما بعدها .
- (٥) : انظر العرب السنة الثانية عشرة ص ٣٥٧ .
- (٦) : ١٧٣ .
- (٧) : ١١٩ .
- (٨) : « ماء الموائد » رحلة العياشي : ٣٠٩/١ .
- (٩) : يعني الشريف زيد بن محسن أمير مكة .
- (١٠) : رحلة العياشي ٣٠٥/١ .
- (١١) : « خلاصة الأثر » ٢٤٧/٣ .
- (١٢) : رحلة البخاري « تحفة الأدباء وسلوة الغريب » : ٣٣٣/١ .

وفي الصفحة : (أبو بكر العَلَمي) . وفي الأصل : (أبو بكر العَلَمي) .
وورد الاسم ص ٩١٧ (العَلَمي) كما في الأصل .

٦٠ - وفي ص : ٨٨٤ : (إلاًّ نفس يُغْدَى عليها) . والصواب : (إلاًّ تنفس
يُغْدَى عليها) .

وفي الصفحة : (فلتن يكن خيراً) . والذي في الأصل : (فلتأن يكون خيراً) .
وفيها : (كافر الغضب فكأنه لو ملك شيئاً) الخ سقط هنا مما في الأصل بعد
كلمة (الغضب) : (وأما عثمان) ولا يستقيم بدونها الكلام .
وفيها : (على شيء أعياه فيه . فسألنا قتادة ما هو ؟ فقال : حِفَّتُهُ) .
والكلمة الأخيرة في الأصل : (خفة) .

٦١ - وفي ص : ٨٨٥ : (رأيت أن قد ضيع بأمر الأمة أعظم من ذلك) .
والصواب كما في الأصل : (رأيت قد ضيّع ؟ فأمرُ الأمة أعظم من ذلك) .

وفي الصفحة : (لو كُنتَ غلاماً يَشَانِيكَ غِلْمَانٌ مِثْلُكَ حتى بلغم السنّ)
كلمة (يشانئك) هي إلى (شانفك) أقرب صورة ، والقاء لا نقطة فوقها وقد تقرأ
عيناً أو قافاً . وقد تكون الكلمة (شارفك) فلصق طرف الراء بالقاء .

٦٢ - وفي ص : ٨٨٧ : (يضيق الغار بأحد يحفو ويقسو ويغلظ فيعيننا ، وليس
أحد ولي من القبائل شيئاً من أمر الناس إلاّ حام على قرابته ، وقرى في عينه) في
هذا الكلام كلمات غير واضحة ، وغير مطابقة لما في الأصل ، ومنها (وقرى في
عينه) فكأنها : (ومرا في وعائه) .

٦٣ - ص : ٨٨٨ : (حدر عمر رضي الله عنه من مكة) . كلمة (حدر)
صوابها : (صدر) كما في الأصل .

٦٤- وفي ص : ٨٨٩ : (أنا ضربتهم بيدي هذا) كلمة (هذا) صوابها ما في الأصل : (هذه) .

٦٥- وفي ص : ٨٩٠ : (ارفقوا عليّ) . في الأصل : (اربّعوا عليّ) . ومعناها توقّفوا وانتظروني .

- وفي الصفحة : (ما فعل عُبَيْثَةُ ؟ قالوا : هو بالحباب ، قال : إنّ بالحباب لَرَأياً) . كلمة (الحباب) في الأصل مهملّة من الإعجام ، ولهذا تُقْرَأ (الحِيناب) بالنون بعد الجيم ، وهذا هو الصواب ، إذ الجِينَاب اسم موضع مشهور ، له ذكر في الأخبار والأشعار ، وكان من منازل بني فزّارة قوم عُبَيْثَةَ ، وفيه جَمَعَ جمعاً من غَطَفَانٍ ليزحفَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة سبع من الهجرة ، فأرسل إليهم سرِيَّةً بقيادة بشير بن سعد ، فانهزموا - كما ذكر ذلك علماء السيرة ، كابن سعد في « الطبقات » : ١٢٠/٢ - وغيره ، والجِينَابُ أرض واسعة تقع بين خَيْبَرَ وتَيْمَاءَ وتَبُوكَ ووادي القُرَى . وتعرف الآن باسم الجهراء - انظر « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » قسم شمال المملكة - ص ٣٤٠ وما بعدها .

٦٦- في ص : ٨٩٤ : (رجال قد حلوا من الليل) . كلمة (حلوا) تقرأ (صلّوا) وهي المناسبة لسياق الكلام .

٦٧- وفي ص : ٨٩٩ : (قال ابن المبارك حديثه ، وحدثني أبو جعفر) . وفي الأصل : (قال ابن المبارك في حديثه : وحدثني أبو جعفر) .

٦٨- وفي ص : ٩٠٠ : (وأفرق ستة . فبصر به رجلان) . والذي في الأصل : (وأفرق ستة ، وقبض له رجلان) والكلمات بدون نقط .

٦٩- وفي ص : ٩٠١ : (مات من الذين جرحوا سبعة) . وكلمة (جرحوا) في الأصل : (جرح) نغیرها المحقق ، ولها وجه من الصحة حيث يعود الضمير إلى قاتل عمر ، فقد جرح اثني عشر رجلاً .

٧٠- ص : ٩٠٥ : (انظر من هاؤلاء فاتهم . فإذا صُهِيبَ) . تُقْرَأ
الجملة كما في الأصل : (انظر مَنْ هاؤلاء . فَاتِيهِمْ فإذا صُهِيبَ) .

٧١- وفي ص : ٩٠٦ : (إِنِّي أَعَزِّمُ عَلَيْكَ ، قال : عليك من الحق)
وصواب الجملة - كما في الأصل : (إِنِّي أَعَزِّمُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ من الحق) .
وفي الصفحة : (فأما عينيك فلن أملكهما) . والذي في الأصل : (قالت :
فلن أملكهما) بدون ذكر العينين .

٧٢- ص : ٩٠٨ : (أن كعباً قال : فكان في بني إسرائيل) . كلمة (فكان)
في الأصل : (كان) .

٧٣- ص : ٩٠٩ : (حدثنا وهيب بن جرير) . في الأصل : (حدثنا وهب
بن جرير) : وهو الصواب - انظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » : ١٦١/١١ .
٧٤- وفي ص : ٩١٠ : (ما نراه مغش عليه) . والذي في الأصل : (مانراه .
مسجاً عليه) .

٧٥- وفي ص : ٩١١ : (فخرج من جروحه) . وهي (فخرج من جرحه) .
وفيها : (أبو هلال المراسي) و (المراسي) تقرأ في الأصل (الراسبي) وهي
الصواب ، فأبو هلال هذا محمد بن سليم نزل في بني راسب في البصرة فنُسِبَ إليهم ،
على ما جاء في « تهذيب التهذيب » : ١٩٥/٩ - .

وفيها : (إن كان علي بأس فقد قتلت) . جملة (فقد قتلت) أضافها المحقق
ومكانها بياض ، وأشار إلى ذلك . والذي في الأصل : (إن كان علي بأس من
قتلني) والبياض مقدار كلمتين .

- وفي الصفحة : (فدعونا طبيباً من الأمصار) . والكلمة الأخيرة في الأصل :
(من الأنصار) .

٧٦- وفي ص : ٩١٢ : (فلما نظرت إليه ضعفت بدنه ، فقال : يا بُنَيَّةُ
إنَّما يبكي الكافر) . وكلمة (ضعفت بدنه) تقرأ : (صَعِفَتْ بِرَنَّتِهِ) . من الصعق
وهو شدة الصوت بالبكاء .

٧٧- وفي ص : ٩١٣ : (دخل رجل على عمر رضي الله عنه وهو يَأْلَمُ) .
كلمة (يَأْلَمُ) في الأصل : (نَائِمٌ) بدون نقط ، وظاهر الخبر لا يدلُّ عليها
بل صلته بالألم أقوى ، ولكن هكذا في الأصل .

٧٨- ص : ٩١٦ - بعد السطر السادس - سقط من المطبوعة ما نصه :
(حدثنا عَمْرُو بْنُ قَسْطٍ . قال : حدثنا الوليد بن مسلم عن أبي جابر عن سليمان
ابن يسار أنه حدث أباه وهو يسمع أن الوليد بن عبد الملك سأله : أيسأل الخليفة
يوم القيامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنَّ عمر رضي الله عنه قال : لو هلك حمل
على سني الفرات ضَيْعَةً ، لَخِفْتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللهُ عنه يوم القيامة . قال الوليد :
أو كذبت ؟ قال : أو ذاك) . وكلمة (سني الفرات) كذا في الأصل ولعلَّ صوابها
(سقي الفرات) .

٧٩- ص : ٩٢١ : (حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا عاصم بن محمد عن أبيه) .
كلمة (محمد) شبيهة بكلمة (عمر) فالكاتب يكتبهما متشابهتين ، وعاصم بن عمر
ابن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أشبه بأن يكون هو المقصود ، لأنه من
الرواة ، ولأن الخبر يتعلق بجده عمر بن الخطاب .

وفي الصفحة : (لو أنَّ بَنِي وَبَيْنَهُ عَرْضِي الْمَدِينَةِ) كلمة (عرضي) غير معجمة
الحروف ، وتقرأ : (عَرْضَتِي) . والعرضتان - عرضتا العقيق - معروفتان في
المدينة عند المتقدمين من العلماء .

٨٠- ص : ٩٣٤ : (فرجع فأخبره فقال : قاتله الله) إلى (صَلَّوْا صَلَاتَكُمْ)
الكلام بين الجملتين مما زاده المحقق وكان بياضاً في الأصل وأشار إلى ذلك ، ولكن
يلاحظ أنَّ نَصَّ ما في الأصل : (فرجع فأخبره ، فقال : ما كانت) ثم بياض
بمقدار ثلثي سطر ، وبعده (ألا نقتلهم ؟ قال : أَبْعَدَ ما صَلَّوْا صَلَاتَكُمْ) فما
زاده المحقق لا ينسجم مع الكلمتين اللتين في أول البياض وفي آخره .

وفي الصفحة : (ثم استخلفت فقال : ثم الشهادة) . والذي في الأصل : (ثم استخلفت فعدلت ، ثم الشهادة) .

٨١- وفي ص : ٩٣٦ : (ورفع رأسه ننظر إليه) . وفي الأصل : (ورفع رأسه فننظر إليه) . ولعل ما هُنا تطبيع .

وفي الصفحة : (فخطب الناس : إني رأيتُ كأنَّ ديكاً أحمر نقر في نقرة أو نقرتين فما لبث إلا الجمعة حتى طعن ، فأذن للناس) ثم حديث طويل أضافه المحقق من كتاب « المسند » بعده حديث جاء فيه : (فدخل علي فكشف الثوب عن وجهه وقال : رحمة الله عليك) إلى (بصحيفته ، أو بمثل صحيفته) .

ونصُّ ما في الأصل : (فخطب الناس) ثم بياض نحو ثلاث كلمات وبعده (نقر نقرة أو نقرتين ، فما لبث إلا) ثم بياض نحو كلمة وبعده : (الجمعة حتى طعن) ثم بياض يتسع لثلاث كلمات ، واكن في الهامش : (لعل هنا نقص ورقة أو نحوها) ثم بعد البياض : (عليُّ وهو مُسَجَّى فكشف الثوب عن وجهه ، وقال : رحمة الله عليك أبا حفص ، فوالله ما بقي أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ أن التقى الله بصحيفته منك . حدثنا زهير بن حرب ، قال حدثنا جرير عن بيان عن وبرة عن أبي جعفر قال : لما مات عمر رضي الله عنه ، وتسجَّى بثوبه على السرير ، قال علي : هذا أحب الناس إلى أن التقى الله بصحيفته ، أو بمثل صحيفته) .

٨٢- ص : ٩٣٨ : (فقال : هو هذا مآل أبي بكر رضي الله عنكما) . في الأصل : الميم من (مال) ليست واضحة و (أبي بكر) : (أبو بكر) و (عنكما) : (عنهما) .

٨٣- في ص : ٩٣٩ : (من هذه اليمانية الحمر) الحاء مهملة في الأصل : (الحمر) . والكلام يتعلق بوصف بُرْدَةٍ لا صلة له بالخُمُر .

- وفي الصفحة : (قبع رأسه بالبرْد) . وتقرأ في الأصل : (قنع رأسه بالبرد) أي غطَّى ، وهو أظهر وأوضح .

٨٤- وفي ص : ٩٤٢ : (فظننت أني دعوت بذلك) . والذي في الأصل :
(فظننت أني وعظت بذلك) . وهذا أوضح ، فقد ظنَّ أن ما رآه في منامه
موعظة له .

٨٥- وفي ص : ٩٤٣ : (فقال حذيفة رضي الله عنه : اليوم ترك النَّاسُ
حافة الإسلام . وأيم الله لقد جار هاؤلاء القوم عن القصد) ثم صفحات كثيرة
أضافها المحقق إلى ص ٩٥٦ حيث الخبر المبدوء بجملة : (حدثنا محمد بن سنان قال
حدثنا أبو عوانة) أما نصُّ ما في الأصل فهو : (فقال حذيفة رضي الله عنه)
ثم يياض يسع ثلاث كلمات وبعده : (حلقة الاسلام) ثم علامة انتهاء الخبر دائرة
في وسطها نقطة . ثم من أول السطر : (حدثنا موسى بن اسماعيل) ثم يياض نصف
صفحة ، وليس في آخر هذه الصفحة تعقيبية - أعني الكلمة التي تصلها بما بعدها ،
ولكن في هامش الصفحة التي بعدها : (مكتوب على بعض أصل هذه الكراريس

من سيرة سيدنا عثمان - رضي الله عنه - أنها من الجزء السادس ، وهذا الكراريس
لعله أولها سقط أوله وجميع هذه الكراريس إلى آخر الكتاب من الجزء السادس
- ثم كلمة غير واضحة - فيه تحبيط فيحرر من مواضع البياضات إن وُجِدَتْ
نسخة) .

وقد اكتفى المحقق بأن يكتب في حاشية ص ٩٤٣ : (ورد في هامش اللوحة
بخط قارىء : (هنا نقص كبير) .

ولم يَرِدْ في المطبوعة ما جاء في أول الورقة الـ (١٤٠) من المخطوطة ، ونصّه :
(أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عثمان بن عفَّان - رضي الله عنه - إلى مكة ،
فأجازه أبانُ بن سعيد ، فقال له : يا بَنُّ عَمِّ أراك منحسها (؟) أسبل كما يُسْبَل
قومك . قال : هكذا يتزَّيرُ صاحبُنَا إلى أنصاف ساقه .

حدثنا محمد بن سنان) الخ .

٨٦- وفي ص : ٩٥٦ : (وعليه ملاءة صفراء قد رفعها على رأسه) ومع

أن المحقق ذكر ما اعتمد عليه في صحة هذا الخبر إلا أن كلمة (ملاءة) في الأصل :
(ملية) أي مُلَيَّئَةٌ تصغير مُلَاةٌ ، ففي « تاج العروس » - ملأ - : (وفي حديث
قيلة : وعليه أسمالُ مُلَيَّئِينَ تصغير مُلَاةٍ مثناة مخففة الهمز . انتهى إذن (مُلَيَّاة)
صحيحة .

- وفي الصفحة : (أول نعل رايتها متسعة نعل رأيتها على ابن عفان) . كلمة
(متسعة) وإن وردت في المصدر الذي سماه المحقق إلا أنها غير واضحة المعنى ،
وقد تقرأ في الأصل (متسعة) أي ذات نِسع ، ولعل المراد القِبال - كما سيأتي
في خبر بعد هذا - .

٨٧- وفي ص : ٩٥٧ : (أولُ نَعْلٍ رَبَّتْ بِقَتَالٍ واحدٍ نَعْلُ عثمان) .
ويفسر المحقق (رَبَّتْ : بمعنى استغلق) . والخبر وتفسيره غير مفهومين . وما في
الأصل يُقرأ (أولُ نَعْلٍ رُبِّيَتْ بِقَبَالٍ واحدٍ نَعْلُ عثمان) . وقَبَالُ النَعْلِ
السير الذي يقبل من أعلاها إلى السير الذي يَوْسَطُهَا ، بين الأصبع والتي تليها ،
والنَعَالُ الحجازية ذاتُ قِبَالَيْنِ ، وغيرها بقبالٍ واحد إلى عهدنا .

٨٨- وفي ص : ٩٥٩ : (عن أنس قال : إن المقام كان كذلك على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم) . في الأصل بياض في أول هذا الخبر ، فأكمل نقصه
المحقق بأن أضاف بقية سنده ومِنه : (عن أنس قال إن المقام) ولكن الذي في الأصل
بعد البياض (تقام . فكان كذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم) فكلمة
(المقام) ليست في الأصل ، بل (تقام) من الإقامة ، والضمير يرجع إلى الصلاة
وبقي الخبر عن إحداث الأذان في عهد عثمان ، لا كما فهم المحقق حيث علق على
الخبر أنه في حديث قيام النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه بصلاة العيد ثم الخطبة
بعد الصلاة - كذا - .

٨٩- في ص : ٩٦٠ : (إنما كان أذان وإقامة ، والأذان إذا خرج الإمام
يحدث) أضاف المحقق إلى هذا : (الناس عن أسعارهم وعن مرضاهم) وقال في

الحاشية : (بياض في الأصل والمثبت عن « تاريخ الخلفاء » للسيوطي) الخ . ولكن لا بياض في الأصل وكلمة (يحدث) مهملة الحروف ، وبعدها علامة تمام الكلام دائرة في وسطها نقطة .

٩٠ - وفي ص : ٩٦٢/٩٦٣ : (ثم يقرأ آخر سورة النساء آية ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ .. (. وأدركتُ عُمَرَ وعثمان) الخ . والذي في الأصل : (ثم يقرأ آخر سورة النساء) ثم كلمة غير واضحة في الأصل وليست آية وبعد (الكلاله) : (ثم ينزل ولا يستغفر ، أدركت عمر وعثمان) الخ .

٩١ - ص : ٩٦٦ : (كأنما أنظر إلى جارية سوداء حَمَمَهَا عبد الرحمن حيث طلقها هي أم أبي سلمة) . والذي في الأصل : (كأنما أنظر إلى جارية سوداء حممها عبد الرحمن أم أبي سلمة حيث طلقها) .

٩٢ - وفي ص : ٩٦٩ : (أخذهم معاوية) في الأصل (أحدهم معاوية) أي أحد البنين الأربعة المذكورين في الخبر .

٩٣ - ص : ٩٧١ : (والله إني لمظلوم مَسْنَعِيٌّ علي) وكلمة (منعي علي) في الأصل : (يبغى علي) الياء تحتها نقطتان وفوق الغين نقطة واحدة ولكن وسطها مفتوح .

- وفي الصفحة : (إنه لك وحق) . وفي الأصل : (إنك لك وحق) .

٩٤ - وفي ص : ٩٧٢ : (عن قطن بن خليفة) . وهو في الأصل (قطر) وصواب الاسم (فطر) بالفاء بعدها طاء مهملة فراء - انظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » : ٣٠٠/٨ . .

- وفيها : (إما جئناك لأمر) . وهي كما في الأصل : (إننا جئناك لأمر) . وفي الصفحة : (ثم شهد عليه الإيمان) . والذي في الأصل : (لم يشهد عليه إلاَّ إيمان) .

٩٥- وفي ص : ٩٧٣ : (قال : وما أنت وهذا) . وفي الأصل : (قال : فيم أنت وهذا) .

وفيها : (حصن أبو ساسان) وتقدم في أول الصفحة (حصين بن المنذر) وصوابه (حُصَيْن) بالخاء المهملة بعدها ضاد معجمة - تصغير حصن - صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين ، وفيه يقول :
لِمَنْ رَايَةٌ سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ : قَدَّمْتُهَا حُصَيْنٌ تَقَدَّمَا
وحُصَيْنٌ هذا مترجم في كتب الرجال لأنه من رواية الحديث .

٩٦- وفي ص : ٩٧٤ : (لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحَدَّ قال : أبصرتني اليوم بشهادة قوم لَيَقْتُلُنَّكَ عاماً قابلاً) . كلمة (أبصرتني) صوابها - كما يفهم من سياق الكلام - (أَتَضَرِّيُّ) .
وفي الصفحة - من شعر أبي زُبَيْدٍ :

وَلَحَرَّمْتُ لِحَمْلِكَ الْمُتَعَصِّيَ - ضِلَّةٌ ضَلَّ حِلْمُهُمْ مَا اغْتَالُوا
كلمة (المتعصّي) في الأصل : (المتعضا) أي المقطع أجزاء .

وفيها : (لينالوا الذي أرادوا فنالوا) . كلمة (الذي) في الأصل (التي)
٩٧- وفي ص : ٩٧٥ : (لا يطغى في سريرته ولا علانيته) . كلمة (يطغى) في الأصل : (يطعن) بدون نقط . وهي الصواب .
وفيها :

نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ سَفَهًا : أُرِيدُ بِكُمْ وَمَا يَدْرِي
وكذا في الأصل ، ولكن كلمة (أريد بكم) يظهر أن صوابها : (أُرِيدُكُمْ)
لِتَلَاتِمَ (وقد تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ) .

وبعد هذا البيت في الأصل ولم يَرِدْ في المطبوعة :
فَأَبَوْا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ أَدْنَوْا لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

٩٨- وفي ص : ٩٧٦ : (والجميع إلى افتراق) وكلمة (افتراق) في الأصل :
(فراق) .

وفي الصفحة : (عن عاصم بن عمر عن قتادة) وكلمة (عن) الأخيرة كأنها
(بن) .

٩٩- ص : ٩٧٧ : (حتى ظننّا أنها قد حُدّت) . كلمة (حُدّت) قد
تقرأ (هَمَدّت) وهي أنسب في المقام .

١٠٠- وفي ص : ٩٧٨ : (عن نافع بن جبير أن ابن عباس) . وفي الأصل
(أن نافع بن جبير أخبر أنّ ابن عباس) .

١٠١- وفي ص : ٩٨٠ : (فدُفِعَتْ إلى عثمان) . في الأصل : (فرُفِعَتْ
إلى عثمان) .

١٠٢- وفي ص : ٩٨٢ : (وأنّ يُزَوِّجَهَا كُفْنًا وإنّ كانَ بَفِتَالٍ)
كلمة (بفتال) في الأصل : (لساك) لام بعدها فاء أو قاف ثم حرف غير منقوط
وآخرها كاف واضحة ، وأراها من أخطاء كاتب الأصل ، وأن صوابها (بِقِبَالٍ)
يوضحُ هذا ما في كتاب « أنساب الأشراف » : ١٣/٥ - الذي نقله المحقق :
(وإن كان بشراك نعله) والشراك والقِبَالُ من سُيُور النّعلِ .

وفي الصفحة : (فأثنى عمر رضي الله عنه يعتلي المنبر ، ضرب بإحدى يديه على
الأخرى وقال وكبر) . ونصُّ الأصل : (فإنّ عمر رضي الله عنه اعلى المِنْبَرِ
يُكَلِّمُ النَّاسَ ، ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال وكرر) .

- وفي ص : ٩٨٣ : (ابسطي حيوتك) . كلمة (حيوتك) ليست ما في
الأصل التي تقرأ (حولك) إلّا أن الواو أقرب إلى الراء وبعدها لام وكاف .

هذه الجملة ليست واضحة الكتابة في الأصل .

١٠٣- وفي ص : ٩٨٤ : (هيهات سبقتك الفيدرية امرأة عبيدالله بن معمر) .

كلمة (الفيدرية) لاشكّ أنّها غير صحيحة ، وتقرأ في الأصل : (العبدرية) وهي

الصواب ، فامرأة عبيدالله بن معمر هي فاطمة بنت طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار ، وهي أم عمر بن عبدالله - انظر كتاب « نسب قريش » لمصعب الزبيري - ٢٨٨ - .

١٠٤- وفي ص : ٩٨٥ : (كنت أمة لعثمان الزيب غُدوة فيشره عشية) وتكررت كلمة (امة) في هذه الصفحة وفي التي تليها ، وفسرها المحقق تفسيراً واضحاً : (امة : أعرك) . ولكن الكلمة وردت في الأصل في كل المواضع (امة) الباء والعين مهملتان ، وقد تكون من أخطاء كاتب الأصل . وفي الصفحة : (تخلطين فيه رهو) و (خلطت فيه رهو) . وفسر المحقق بقوله (الرهو : طعام يؤخذ السبل ويدق ويلت في اللبن) ، ولكن أية صلة لهذا الطعام بنبيذ الزيب ؟ إن كلمة (رهو) تقرأ في الأصل : (زهو) بإعجام الزاي ، والزهو البسر الملوّن وهو مما يشخذ منه النبيذ . فلعلها كانت تخلط الزيب بالزهو .

١٠٥- وفي ص : ٩٨٦ : (وكان حمران من سبي قديم على عثمان - رضي الله عنه - من نجير باليمن ، فكان يخدمه ، وأسلمه إلى الكنات) . كلمة (من نجير) ليست كما في الأصل التي تقرأ (عمر باليمن) ولا شك أنها تحريف (عين التمر) فحمران هذا أصله من النمر بن قاسط ، وهو من سبي عين التمر ، - انظر « الميزان » للذهبي : ٦٠٤/١ و « تهذيب التهذيب » لابن حجر : ٢٤/٣ - وكلمة (الكنات) في الأصل فوق التاء نقطتان ، والكلمة غير واضحة المعنى ، وأرى صوابها : (الكتّاب) . لأن حمران كان كاتباً .

١٠٦- وفي ص : ٩٨٧ : (يا رومية إذا غيّرت حلتي فلا تدخلي علي) . صواب الجملة - كما في الأصل - : (يا رومية : إذا عركت فلا تدخلي علي) أي إذا حضت .

وفي الصفحة : (وأنا أعوق كل يوم) . صوابها (وأنا أعرق كل يوم) - ظننت أن (عركت) : (عركت) بالقاف من العرق .

— وفي الصفحة : (فشَقَّ لِإِزاراً مَطَرِيّاً) . كلمة (مطريا) صوابها (قطريّاً)
بالقاف — والأُزُرُ القَطَرِيَّةُ كانت معروفة في ذلك العهد ، وهي منسوبة إلى
قَطَرِ البلاد المعروفة .

١٠٧ — وفي ص : ٩٨٨ : (ربما يَزَعُ السلطان) الخ . كلمة (ربما) كانت
في الأصل (لَمّا) فغيَّرها المحقق ظانّاً أن الصواب ما وضع مكانها ، ولا داعي
لتغييرها فهي صحيحة .

— وفي الصفحة : (زبيد بن السلط) . وفي الأصل : (زبيد بن الصلت) .
— وفيها : (كلمتكم في هذه النرد فلم أذكر أحرقتموها) . وتقرأ في الأصل :
(فلم أركم أخرجتموها) . وفي أول الخبر : (فمن كانت في بيته فليخرجها) .
١٠٨ — وفي ص : ٩٩٠ : (فعَدَّ له تسعين ديناراً ، وقال : حتما) وردت
كلمة (حتما) أربع مرات ، وهي في الأصل بالصاد (صُتْمًا) وهي الصواب ،
ومعناها كاملة تامّة ، ففي « تاج العروس » : والمُصَتَّمُ المكْمَلُ ، يقال :
أعطيته ألفاً صُتْمًا ومُصَتَّمًا قال زهير :
صحيحات ألف بعد ألف مُصَتَّم .

١٠٩ — ص : ٩٩١ : (أنَّ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَّانِ قدم على عثمان ، وكان
يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، وأفرعنَ باختلافهم
بالقراءة فقال) وأشار المحقق إلى ما في الأصل من بياض وغموض في إحدى
الكلمات ، والأمر كما قال ، ولكن نصُّ ما في الأصل يقرأ : (أن حذيفة بن
اليمان قدم على عثمان وكان يقري أهل — ثم بياض — العراق ، وامرئ حذيفة
باختلافهم قال كات فقال) كلمتا (افرعن) و (كات) غير واضحتين ، وفوق
الناء حرف (ط) وهي علامة يضعها الناسخ فوق ما لا يتضح له من الكلمات .
وكلمة (امرعن) قد تكون : (أخبر عثمان) لأن الكاتب لا يثبت الألف في
عثمان ، ولا ينقط الحروف .

— وفي ص : ٩٩٢ : (أن حُدَيْفَةَ بن اليمان قدم من غزوة غزاها بفرج أرمينية ، فحضرها أهلُ العراق وأهلُ الشام) . وفي الأصل — بعد كلمة أرمينية — : (فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان رضي الله عنه ، فقال : أدركِ الناس . قال وما ذاك ؟ . قال : غزوتُ بفرج أرمينية فحضرها) الخ .

١١٠ — وفي ص : ٩٩٤ : (ولا تجعلوه) وهي : (فلا تجعلوه) .

وفيهما : (فكتبوه على قوله) وهي : (فيكتبوه على قوله) .

وفيهما : (مَنْ أعرب الناس ؟ . قالوا : زيد بن ثابت) والصواب ما في الأصل : (مَنْ أعرب الناس ؟ . قالوا : سعيد بن العاص ، قال : مَنْ أكتبُ الناس ؟ قالوا : زيد بن ثابت) ويوضح هذا آخِرُ الخبر .

١١١ — ص : ٩٩٥ : (فأَي الناس أفصح وأعرب ؟) . في الأصل : (فأَي أفصح أو أعرب) .

١١٢ — وفي ص : ١٠١٦/٩٩٧ : (حبان بن يحيى البهراني) . (حبان) غير منقطة الحروف في أكثر الكلمات والنسبة إلى بهراء : (البهراني) بالنون والبهرائي ، وسيأتي ص ١٠١٦ (البهراني) على غير القياس كصنعاني في النسبة إلى صنعاء .

١١٣ — ص : ٩٩٨ : (قد خشيت أن يتهون الناس فيه تهون أهل الكتاب ، أما أنت يا أبو موسى) الخ . وكلمتا (يتهون) و (تهون) في الأصل تقرأ (يتهوى) و (تهوى) . وكلمة (يا أبو موسى) : (يا أبا موسى) مع حذف الألف بين الحرفين الأولين .

— وفي الصفحة : (فوق إجار) . وأشار المحقق إلى أن الإجار والانجار السطح . والكلمة في الأصل (انجار لهم) والكلمة مهملة الحروف .

١١٤ — ص : ١٠٠٤ : (عن أبي مجلد) وتكرر هذا . وهو في الأصل (عن أبي مجلز) — بالزاي لا بالذال — وكذا تقدم — ص ٩٢٢ — .

١١٥ - ص : ١٠٠٧ : (وإن الكتاب كان يتزل او يتزل من باب واحد) .
وفي الأصل : (وإن الكتاب قبله كان) الخ .

١١٦ - ص : ١٠٠٨ : (حدودها وفرائدها) . والكلمة الأخيرة (فرائضها)
في الأصل .

١١٧ - ص : ١٠٠٩ : (حتى ازداد علمه إلى علمي ، قد علمت أن رسول
الله (الخ . وما في الأصل يقرأ : (حتى ازداد علمه إلى علم قد علمته ، إن رسول
الله (الخ .

وفي الصفحة : (مرتين ، فكان إذا فرغ قرأت عليه فيخبرني أني محسن ، فمن
قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها . ومن قرأ على شيء من هذه الحروف
فلا يدعنه رغبة عنه) . اعتمد المحقق في إثبات هذا على ما جاء في كتاب « تاريخ
القرآن » للدكتور عبد الصبور شاهين - ص ٢٣٧ كما قال - ولهذا زاد كلمتين
وغير كلمتين ، زاد (فكان) و (فرغ) ويستقيم الكلام بدلونهما . وغيّر
(فلا يدعها) و (فلا يدعه) فجعلهما (فلا يدعنها) و (فلا يدعنه) . أما كلمة
(محسن) فهي في الأصل غير واضحة وفوقها حرف (ط) صغيرة ، وهذه يضعها
الناسخ فوق الكلمات التي لا يفهمها .

١١٨ - وفي ص : ١٠١١ : (رأيت ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف ،
ويقول : لا يحل قراءة ما ليس منه) . وأحال المحقق إلى « مجمع الزوائد » : ١٤٩/٧ -
ولكن الجملة تخالف صورتها صورة ما في الأصل ، ويقرأ النص : (ويقول :
لا تخلطوا به ما ليس منه) .

١١٩ - وفي ص : ١٠١٢ : (إقرأ بهما كارها نمّت وقُمّت) وكلمة
(كارها) التي قال المحقق عنها : (هكذا وردت في الأصل) . هي فيه (كل ما)
كما توقع المحقق .

١٢٠ - ص : ١٠١٣ : (حدثنا عمرو بن قصد ، حدثنا الوليد ، عن ابن
عمرو - يعني الأوزاعي) كلمة (قصد) صوابها : (قسط) - و (ابن عمرو) :

(أبي عمرو) وهي كنية الإمام الأوزاعي .

وفي الصفحة : (ابن عباس الجهني) والباء ليست منقوطة ، وفي « تفسير ابن كثير » : (عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله بن عباس الجهني) وفي « تهذيب التهذيب » : - ٣٠١/١٢ - : (ابن عباس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه : أبو عبد الله) .

وفي الصفحة : (ما يتعوز به) وفي الأصل (ما تعوز) .

وفيهما : (عبد الله بن فطيم) وفي الأصل : (عبد الله بن فطيمة) .

١٢١ - وفي ص : ١٠١٤ : (والممل يمل) وفي الأصل : (والممل يُمَل) ومعروف أن (يُمَل) بمعنى يمل ، وقد وردت في القرآن الكريم .

١٢٢ - ص : ١٠١٩ : - سقط من المطبوعة بعد السطر الأول من هذه الصفحة حديث نصّه في المخطوطة : (حدثنا الحسن بن عثمان ، حدثنا الربيع بن بدر عن الجريري عن الحسن قال : صلى بنا عثمان رضي الله عنه الغداة ، فانصرف الناس ، واضطجع في المسجد فنام ، فكأنني أنظر إلى الذبان تنزو على وجهه ، وما عنده أحد .) وكلمة (تنزو) بدون نقط وغير واضحة .

١٢٣ - ص : ١٠٢١ - في ذكر إقطاع عثمان : (وعديّ بن حاتم الروحاء) . وفسّرهما المحقق بقوله : (الروحاء من عمل الفرع على نحو أربعين ميلاً ، وسُميت روائح) ولم يزد . ولكن كيف يُقْطَعُ عثمانُ الروحاء وهي من بلاد مَرْزِيسَةَ وعديّ بن حاتم الطائي لَيْسَ منهم وليست في بلاد قومه ؟ ثم إنّ أوّل الحديث يَنْصُصُ أَنَّ ما أقطعه عثمانُ كان من صوافي كِسْرَى ومما جلا عنه أهله ، فهو ليس مملوكاً لأحد ، وفي أرض العراق . قد تكون (الروحاء) إذا صحّت الكلمة في العراق ، لا الموضع المعروف بقرب المدينة في الطريق إلى مكة . - وفي الصفحة : (والأشعري في موضع واحد نحو حمام ابن عمر) . وما في الأصل يقرأ : (نحو حمام بني عمير) .

١٢٤ - ص : ١٠٢٣ : (لم تَكُنْ الدراهم في زمانِي أرخصَ منها في زمان عثمان) . كلمة (زمانِي) صوابها - كما في الأصل : (زَمَانٍ) .

- وفي الصفحة : (يقال : يا معشر المسلمين) . وما في الأصل يقرأ (فقال) الخ ، وهي المطابقة للسياق : (فسمعتَه يخطب - وما من يوم إلا وهم ... - فقال) .

- وفيها : (قال الحسن : حتى والله سمع أوس يقال : اغدوا السمن والعسل) . قد تقرأ الجملة : (حتى والله نَسْمَعُ إِذْ نُنْمِسِي يقال : اغدوا على السمن) الخ .

١٢٥ - وفي ص : ١٠٢٥ : - في شعر ضائيء بن الحارث البُرْجمي - :
إِذَا غِيَّبْتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دَخَنَ يَظَالُ لَهُ تَحْتَ السَّرِيرِ هَرِيرُ
كلمة (غِيَّبْتُ) في الأصل مهملة الحروف ، ولهذا قد تكون (عَشَّتْ) وكذا ورد البيت في « الأوائل » : ٥٩/٢ - وفي « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام - الطبعة الأولى - ١٤٥ - وفسَّرَها المحقق الأستاذ محمود شاكر : عَشَّتْ : دخنت ، والعُشَّانُ : الدخان .

وفي الصفحة : (ويقال : وَجِدَ خِصَافِي نَعْلِهِ) . والصواب : (ويقال : وَجِدَ بَيْنَ خِصَافِي نَعْلِهِ) - أي الخَشَجِر .

١٢٦ - وفي ص : ١٠٢٦ - :

ولا القتل ما أمرت فيه ولا الذي تحدثُ ما لاقيت أنك فاعِلُهُ
وفي الحاشية قال المحقق إنه محتمل الوزن . قد يكون مُخْتَلٌ المعنى أما الوزن فمستقيم ، وهو في الأصل (وما القتل) وكذا في « أنساب الأشراف » - القسم الرابع ج ١/٥٧٦ - تحقيق الدكتور إحسان عباس - : (وما القتل ما أمرت فيه ولا الذي تُخَبِّرُ) .

وابن شبة روى الشعر عن محمد بن سلام ، وهو صاحب « طبقات فحول الشعراء » الذي ورد فيه البيت بهذا النص :

وما القَتْلُ مَا آمَرْتُ فِيهِ وَلَا الَّذِي تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ فَاعِلُهُ

وعلق الأستاذ محمود شاكر قائلاً : (آمَرْتُ فيه : شاورت فيه ، وكان ضابياً
قد شاور ابنَ عَمٍّ له يقال له فراس) . وورد البيت في كتاب « الأوائل » - ٥٩/٢ -
كما في كتاب « الطبقات » .

وفي ص : ١٠٢٩ : (فكان يَعْلَمُ اللهُ موضعي) . كلمة (موضعي) صوابها
- كما في الأصل - : (مِنْ ضَعْفِي) .
وفيها : (والله لا أَفْتُكُ هذا من رقبته) وكلمة (أفنك) في الأصل :
(أَفْكَ) .

١٢٧ - وفي ص : ١٠٣٠ : (قال : وما يدريك ؟) والصواب : (قالوا :
وما يدريك ؟) إذ الضمير يرجع إلى (أصحابه) .

وفي الصفحة : (لبحران حاجب عثمان) وكلمة (بحران) في الأصل بدون
نقط في هذا الموضع ، وفوقها حرف (ط) وهي العلامة التي يضعها الناسخ فوق
ما يستشكله من الكلمات : ولكنها سُرِدَ في الشعر - ص : ١٠٣١ (نجران)
في الأصل ، لا كما وَرَدَتْ في المطبوعة (بُحْرَان) .

١٢٨ - وفي : ١٠٣١ : (أَوْ لَأُسَيِّلَنَّ دَمَكَ قال : لَأَقْصَنَّ لك . فأخبره
فدعا ببحران) . والذي في الأصل : (أَوْ لَأُسَيِّلَنَّ دَمَكَ لَا بِضَرْبِكَ . فأخبره
فدعا بحران) والكلمة الأخيرة بدون نقط .

١٢٩ - وفي ص ١٠٣٢ : (حدثنا عن ابن أبي شيبة) . والصواب : (حدثنا
ابنُ أبي شيبة) كما في الأصل .

وفي الصفحة : (وَلَمْ أَفِرَّ يَوْمَ عُمَيْيَنَ - يعني يوم أُحُدٍ) .

وتكررت ص : ١٠٣٣ - و (عِيَيْنَ) صوابها : (عَيْنَيْنِ) مُثَنَّى عَيْنِ
اسم جبل يَقْرُبُ أَجْدٍ أقام عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرِّمَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ ،
وأمرهم بعدم النزول منه لكي يَحْمُوا ظهورَ المسلمين ، وَلَكِنَّهُمْ تَعَجَّلُوا حين
شاهدوا هزيمة المشركين فزلوا ، فَكَرَّتْ خِيْلُهُمْ على المسلمين من خلفهم فكانت
الهزيمة - كما أوضح هذا علماء التاريخ - .

١٣٠ - وفي ص : ١٠٣٣ : (فوالله ما أظنُّني أنا ولا هو يطيقُ سنَّةَ عُمَرَ)
والصواب - ما في الأصل - : (فوالله ما أطيعُ أنا ولا هوَ سنَّةَ عُمَرَ) .
ولا حاجة لما زاده المحقق .

١٣١ - وفي ص : ١٠٣٤ : (عن أبي عمرو بن خُمَاش) . وكلمة (خمَاش)
بدون نقط : (حماس) وهو الصواب كما في « تهذيب التهذيب » : ١٧٨/١٢ ففيه :
أبو عَمْرٍو بن حِمَاسٍ الليثي ... روى عنه أبيه ... ومالك بن أوس بن الحَدَثان ،
وعنه ابنه شداد ومحمد بن عمرو بن علقمة - الخ - .

وفي الصفحة : (عن مالك بن أنس بن الحَدَثان) . وكذا في الأصل ، ولكن
ورد مرة أخرى : (مالك بن أوس بن الحَدَثان) في الأصل . ويظهر أن (أنس)
خطأ من النسخ ، إذ الصواب (أوس) - وأوس صحابي ترجمه ابن حَجَرٍ في
« الإصابة » - برقم ٣٢٦ - وذكر ابنه مالكا .

١٣٢ - وفي ص : ١٠٣٥ : (عن محمد بن هلال عن عبدالله بن الصامت قال :
دخلتُ مع أبي ذرٍّ على عثمان) . وما في الأصل : (عن حميد بن هلال - ثم بياض
يسع أربع كلمات بعده - ونفر من غفار على عثمان -) وبياض بمقدار كلمتين .

١٣٣ - وفي ص : ١٠٣٦ : (يا معاشر قُرَيش ! اعذموها ، ودعونا وديننا) .
والصواب (يا معاشر قريش ! اعذِمُوا دُنْيَاكُمْ ، ودَعُونَا ودينَنَا) - كما
في الأصل - العَدَمُ : الأَكْلُ بِيَعْنَفٍ - .

١٣٤ - ص : ١٠٣٨ : (كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ لِنَأْتِي عَثْمَانَ) . كلمة (لنأتي)
في الأصل (ليالي) ولكنها بدون نقط .

١٣٥ - وفي ص : ١٠٣٩ : (حَتَّى يَنْتَقِيَ الْحَرْقُ إِخْوَانَهُمْ) . وما في الأصل
يقرأ : (حَتَّى يَلْتَقِيَ الْحَرْقُ أَجْوَاهَهُمْ) .

- وفي الصفحة : (حدثنا بكار بن عبدالله الربيعي) . كلمة (الربيعي) هي
إلى (الزُّبيري) أقرب . وبكار بن عبدالله الزُّبيري كان أمير المدينة في عهد الرشيد

وقد ترجمه ابنه الزبير بن بكار في كتاب « جمهرة نسب قریش » : ١٦٣/١ -
فأطال ترجمته ، ولكنني لم أرَ له ذكرًا فيما اطلعت عليه من كتب الجرح والتعديل ،
وكثير ممن يرد ذكرهم في كتاب ابن شبة لم أرَ لهم ذكرًا لقله ما تحت يدي من
تلك الكتب .

١٣٦- وفي ص : ١٠٤٠ : (وأوغر صدورهم) . وذكر المحقق في الحاشية
أن في الأصل كلمة لا تقرأ ، وضع مكانها (وأوغر) والواقع أن الكلمة واضحة
الصورة : (واخون) حروفها بينة سوى النون فغير منقوطة ، ولكنها غير واضحة
المعنى ، وما وضعه المحقق مناسب لسياق الكلام .

١٣٧- وفي ص : ١٠٤٢ : (لقد القى فيها العمار فأقيات) . هذه الجملة
ليست واضحة وإن أشبهت حروفها ما في الأصل . وتقرأ : (لعدالة .. العمال) الخ .
- وفي الصفحة : (جعل خصومة إلى عقيل) . و (خصومة) في الأصل :
(خصومته) . .

- وفي الصفحة : (على الذي له بيننا) . ويقرأ ما في الأصل : (على الذي له
بفئانه) وإن كانت الحروف بدون نقط ، والكاتب لا يشبث الهمزة .

١٣٨- وفي ص : ١٠٤٣ : (تعتق أمام الركب) . ولعل صواب (تعتق) :
(تُعَتِّق) بالنون ، والعَتَقُ ضَرَبٌ من السير السريع .

وفي الصفحة : (فلقيتها منه) . و (فلقيتها منه) أقرب إلى ما تدل عليه جملة :
(رَمَى بكلمةٍ عرفتُ أنه رَفَدَنِي بها) . إذ لَقِيتُهَا : فَهَيَّئْتُهَا بِسُرْعَةٍ .

١٣٩- وفي ص : ١٠٤٤ : (قال سمعت (...) وأتاه عثمان بعسفان) .
وأشار المحقق إلى ما في الأصل من بياض ، وما في الأصل هو : (قال سمعت
سعيد بن المسيب - ثم بياض بقدر ثلاث كلمات وأكمل السطر كاتب غير كاتب
الأصل بجملة - : وأتاه عثمان بعسفان) .

١٤٠- وفي ص : ١٠٤٥ : (شكوى آدت منه) . كلمة (آدت) في الأصل
(أدنفت) .

وفي الصفحة : (أنا دونك أسرٌ أمٌ ببقائك) وكلمة (دونك) في الأصل :
(بِمَوْتِكَ) وهي الصواب إذ بعدها : (لئن مُتَّ لا أُجِدُّ منك خلفاً) .

وفيها : (وإما حرب فتناز) تقرأ الكلمة الأخيرة (فتناز) بالذال وإن كانت
الحروف كلها مهملة .

١٤١ - ص : ١٠٤٧ : (عن جعفر بن يرقان) . وهو ابن بُرقان - بالباء
الموحدة المضمومة - ترجمته في « تهذيب التهذيب » ٨٤/٢ - .

١٤٢ - ص : ١٠٤٨ : (لا أفعل ما تكرهون جهراً في الاسلام) . والصواب
- كما في الأصل - : (لا أفعل ما تكرهون ، فَمَرُّ أَخِي في الاسلام) وهو ما يدل
عليه سياق الكلام .

١٤٣ - ص : ١٠٤٩ : - في شعر تميم بن أُبَيٍّ بن مُقْبِلٍ :
خَرَجْنَا وَغَادَرْنَا ابْنَ عَفَّانَ مُدْنِفًا
مِنْ السِّيفِ لَا يَسْلُكُ إِلَى السِّيفِ ضَارِبُهُ
يُقْرَأُ عَجَزُ الْبَيْتِ : (من السيف لَمَّا يَسْلُ السيف ضَارِبُهُ) مع مخالفة
كلمة (يسل) إذ الكاتب يخطيء فيضع اللام كافاً في بعض الأحيان .

وفي الصفحة : (مستحجن بوساده) . تقرأ الجملة (مستحجر بوسادة)
وسقط من الشعر بَيِّنٌ فلم يرد في المطبوعة ، وأعلَّ عَدَمَ وَضُوحِهِ في الأصل
حال دون إثباته ، ومنه :

وَتُضْرَمُ نَارٌ بَيِّنٌ صَنَعَا مُحَارِبَهَا سَعَانٌ وَمُحَارِبُهُ
وَعَجَزُ الْبَيْتِ الذي قبله في المطبوعة : (على الناس فيه فرثه وأقاتبه) كلمتا
(فرثه وأقاتبه) في الأصل : (قربه وأقاشبه) .

- وفي الصفحة : (كتب إلى عثمان يبغضه علي ابن مسعود) . كلمة (يبغضه)
ليست كما في الأصل (بعصه) فهي إلى كلمة (يغضبه) أقرب .

١٤٤ - ص : ١٠٥٠ - أول هذه الصفحة في المطبوعة (حدثنا أبو بكر الباهلي) ليس تابعاً لما في الصفحة التي قبلها - ١٠٤٩ (فرجعوا) وما ذكر المحقق من أنه واردٌ في آخر اللوحة ١٥٧ في ورقة تسمى في عرف التُّرَاثِيِّين طيَّارة - ليس واضحاً .

وما في المخطوطة بعد كلمة (فرجعوا) التي هي آخر صفحة ١٥٦/أ - يليها في ص ١٥٦ ب : (حدثنا يزيد بن هارون) الوارد في المطبوعة - ص ١٠٥١ السطر السادس . أما جملة : (حدثنا أبو بكر الباهلي) فموقعها في المطبوعة - ص ١٠٥٤ - بعد جملة (فأعطاه خمسة عشر ألف درهم . حدثنا أبو بكر الباهلي - السطر التاسع - على ما في المخطوطة فهي في ورقة تحمل رقم ١٥٧ - أولها (أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين الزبير وابن مسعود) متصلة بالورقة التي تحمل الرقم ١٥٦ - كما تدلُّ التعقيبية الكلمة الواصلة بين الورقتين - أن النبي صلى الله عليه وسلم - والورقة التي تبدأ بهذه الجملة ليس فيها سوى ستة عشر سطرًا ، في كل صفحة من صفحتيها ثمانية - وهي متصلة بما قبلها وما بعدها - أي بين ورقتي ١٥٦ و ١٥٨ - أي أن الكلام في الورقات الثلاث مُتَّصِلٌ - وليس كما ورد في المطبوعة مما يدل على أن المحقق الفاضل لم يطلع على الأصل ، أو أن ما طالعَهُ من الأوراق ليس مطابقاً لترتيب أوراق الأصل - كما يفهم من الحواشي التي وضعها مما لا داعي للإطالة بإيضاح ما جاء فيها من مخالفة .

١٤٥ - ص : ١٠٥٠ : (حدثنا عنان قال : حدثنا معمر) . (عنان) في الأصل (عفان) .

١٤٦ - وفي ص : ١٠٥٢ : (ولئن قتلتموه لا تستخلفونه) . وفي الأصل : (ولئن قتلتمنه لا تستخلفونه) .

١٤٧ - وفي ص : ١٠٥٣ : (عن مسروق أر... حذيفة) كلمة (أر) في الأصل (أو) واضحةٌ .

وفي الصفحة : (فجعل ... يقع في عثمان) . وفي الأصل : (فجعل حذيفة يقع في عثمان) وعلى هذا فلا داعي لتعليق المحقق .

وفيها : (وكنا خلفاء نَرْضَى أو نَسْكُتْ) . وما في الأصل يُقْرَأ : (وكنا خُلُقَاءَ أَنْ نَرْضَى أو نَسْكُتْ) . وكلمة (حلما) بدون نقط ولا همزة .

١٤٨ - وفي ص : ١٠٥٤ : (فجعل يضربه به) . وفي الأصل : (الشمراخ فجعل يضربه به) وما قبل (الشمراخ) بياض كما في المطبوعة .

١٤٩ - وفي ص : ١٠٥٦ : (فلما قال عبد الرحمن بن الحارث : فأنا أخطب إليك فتوله دركه فتزل) الخ . وما في الأصل يقرأ : (فلما قال عبد الرحمن بن الحارث : فأنا أخطب إليك حول وركه فتزل) أي حوّل وركه من الرحل فتزل .

١٥٠ - وفي ص : ١٠٥٧ : (فقال : إني صائم ، فاحتفظ من ذلك عثمان لسهوه ، وقال : أراك تواصل) . كلمة (لسهوه) تقرأ (فَسَهَّرَه) وهي الملائمة لسياق الكلام .

وفيها : (عن عبيدالله بن ثور قال : حدثني بكر بن الحلال بن ثور عن المجيد ابن وهب) . وما في الأصل : (عن عبيدالله بن ثور قال : حدثني أخي الحلال بن ثور عن عبد المجيد بن وهب) . وكلمة (الحلال) مهملة من النقط وتكررت ثلاث مرات .

وفي الصفحة : (لحم ظبي ذكر) وكلمة (ذكر) صوابها - ما في الأصل - (ذكي) من الذكاة .

وفيها - في شعر مسعود بن معتب الثقفي - :

لَأُلْفِينَ قُرَيْشًا تَشْتَرِي غِيلِي بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ زَرْعٍ وَحِجْرَانٍ
وما في الأصل : (غيلي) بدون نُقْط . و (بِابْنِي أُمَيَّة) و (جحدان) ولاشك أن (أُمَيَّة) هي الصواب ، إذ أوضح المؤلف أن المراد أُمَيَّة بنت عمر بن عمير من ثقيف .

١٥١ - وفي ص : ١٠٥٨ : (زندي منهم واري) . وفي الأصل : (زَنْدِي فيهم واري) .

وفيها : (قال : بعث الشُّعْرُ ورُوي) وكلمة (بعث) لَبَسَتْ كما في الأصل (فَعُدَّ) وقد يكون الكاتب أراد كتابة (فعرف) إذ الدال شبيهة بالراء .

١٥٢ - وفي ص : ١٠٥٩ : (وأمُّ دينارٍ بين بني بَدْرٍ) . كلمة (بين) صوابها : (من) .

وفيها : (فقال الغطفيون) . وهي : (فقال الغُطَفَانِيُّونَ) وفيها - في شعر ابن دارة :

لِإِنِّي وَإِنْ حُدِّرْتُ شَيْخَنَا لَدَاكِرُ لِيَشْتَمَ بَنِي الطَّرْمَاحِ أَهْلَ حِمَامِ
وكلمة (شيخنا) في الأصل : (سخيا) وكلمة (الطرماح) : (الطماح)
وكلمة (لشتم) اللام كأنها باء . وصواب البيت :

وَلِإِنِّي وَإِنْ خُوفْتُ سِجْنًا لَدَاكِرُ بِيَشْتَمَ بَنِي الطَّمَّاحِ أَهْلَ حِمَامِ
كما يظهر هذا مما أورده البكري في « معجم ما استعجم » في رسم حِمَامِ
قال : على لفظ جَمَعَ حمامة ، بلد لبني طريف بن عمرو بن قُعَيْنٍ من أسدٍ ،
قال سالم بن دارة يهجو بني الطَّمَّاحِ بن طريف :

وَلِإِنِّي وَإِنْ خُوفْتُ بِالسَّجْنِ ذَاكِرُ لِيَهْجُو بَنِي الطَّمَّاحِ أَهْلَ حِمَامِ
وفي الصفحة : (وحفوا حوله بغرام) . كلمة (بغرام) في الأصل (بِقَرَامِ)
واضحة . وكذا هي في « معجم ما استعجم » - ٤٦٧ - .

وفيها : (نيهان بن طيء) . (ابن) صوابها : (من) (إذ نَبِهَانُ هو ابن عمرو
ابن الغوث بن طيء .

وفيها : (بني نفل) والصواب (بني ثعل) فالممدوح وهو عَدِيٌّ بن حاتمٍ
منهم ، فحاتمٌ هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي
ابن أخزم بن ربيعة بن جروول بن ثعل - « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم
- ٤٠٢ الطبعة الثانية - .

وفي الصفحة :

وَأَنْتُمْ رِمَامٌ مِنْ أَرْمَةِ طِيٍّ وَأَنْتُمْ بِخَيْرِ جَنَّةِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
وصواب البيت :

وَأَنْتُمْ زِمَامٌ مِنْ أَرْمَةِ طِيٍّ وَأَنْتُمْ بِنَجْدِ حَبَّةِ السَّهْلِ وَالْحَبَلِ
وفي الصفحة : (فَإِنْ تَنْقَوْا شَرًّا فَمِثْلَكُمْ اتَّقُوا) . كلمة (تَنْقَوْا) في الأصل
ليست واضحةً و (شَرًّا) في الأصل (سَمًا) كذا .
وفي الصفحة :

يَالَيْتَ شَعْرِي وَالْأَيَّامَ تَحْكُمُهُ هَلْ فِي مَثْوَةِ حَامِي رَاهِبِ الْعَارِي
كلمة (تحكمه) قد تقرأ (محكمة) و (مَثْوَةِ) صوابها (مَثْوَةِ) وهو اسم
أُمَّ شَمْخٍ وظالم ومُرَّةُ بَنِي فَزَارَةَ الْقَبِيلَةِ الَّتِي قَبِلَ فِيهَا الشَّعْرُ - انظر « جمهرة
أنساب العرب » - ٢٥٥ - و « تاج العروس » - رسم (نال) - وكلمة (العاري)
صوابها (العار) بحذف الياء .

وفي الصفحة : (إِذَا تَغَنَّتْ عُلوْجُ الْحِطِّ جَاوِبَهَا) . كلمة (الحظ) صوابها
(الحطُّ) اسم الاقليم المعروف شرق الجزيرة .
وفي الصفحة :

فَأَبْنَى مَوْلَاكَ مَنْظُورٌ لِحَلَّتْهُ ؟ وَأَبْنَى مَرْقَةُ مِنْهَا وَابْنُ عَمَّارٍ ؟
كلمة (حلته) في الأصل (حاته) كذا و (مَرْقَةُ مِنْهَا) صوابها (قِرْفَةُ عَنْهَا)
وقِرْفَةُ ابْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ ، وَابْنُ بَدْرِ هُمْ بَيْتُ فَزَارَةَ - انظر « جمهرة أنساب
العرب » - ٢٥٧/٢٥٦ - .

١٥٣ - وفي ص : ١٠٦٠ : (فَهَرَّ الْقَوْمُ زُمَيْلًا ، وَخَرَجَ رُكُوبُ بْنُ مَرَادٍ
وهو فيهم) . في الأصل : (فَهَزَّ) بالزاي - أي حركوه للانتقام ممن هجاه ،
وكلمة (رُكُوبُ بْنُ مَرَادٍ) . في الأصل (اركوبُ بْنُ قِرَادٍ) بدون نقط ، وقد
تقرأ (ركب من بني قِرَادٍ) ولاشكَّ أن كلمة (قِرَادٍ) أنسب للمقام إذ لا صلة
لِزُمَيْلٍ - وهو من فزارة القبيلة العدنانية ببني مُرَادٍ القحطانيين اليمنيين .

وفي الصفحة :

إِذَا اتَّسَقَتْ أَخْصَافُهَا فَكَأَنَّهَا تَكَسَّرَ بَيْضٌ بَيْنَهُنَّ وَخَيْمٌ
كلمة (و خيم) صوابها - كما في الأصل - : (وَحَنَمٌ) وهو الحَنْظَلُ ،
والجِرَارُ الخَضِرُ .

وفي الصفحة : (فَفَضُّوا مِنْ رُكَابِهِمْ) وهي (فَغَضُّوا مِنْ رُكَابِهِمْ) أي
قَصَرُوا مِنْ سُرْعَةِ سَيْرِهَا .

وفيها : (مسلط بالسيف) . والصواب : (مُصَّاتٌ بالسيف) .

وفيها : (وأدرجوا بغبوق زينب) . كلمة (ادرجوا) في الأصل : (وروحو)
من الرواح .

١٥٤ - وفي ص : ١٠٦١ : (وَذُو السَّخْلِ مِنْ وَادِي نَطَاةٍ فَيَعْتَقُ) كلمة
(فيعتق) في الأصل : (فيعتق) والصواب ، (تعنق) - على ما ذكر ياقوت في
« معجم البلدان » حيث قال : - تعنق بالنون والقاف - : قرية قرب خير .
انتهى . وفي « ديوان جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ » - ١٤٦ - :

وَقَدْ حَالَ أَجْبَالُ الْمُقَطَّمِ دُونَهَا فَذُو السَّخْلِ مِنْ وَادِي نَطَاةٍ فَتَعْتَقُ

وفي الصفحة : (بماء من مياه قومه يدعى الهجع) . كلمة (الهجع) غير واضحة ،
وأرى صواب الكلمة (الهمج) وهو من مياه غطفان قديماً ، وهم قوم زُمَيْلٍ
الفرزاري الوارد ذكره في الخبر ، ووادي الهَمَج له ذكر في السيرة النبوية ،
ولا يزال معروفاً - انظر لتحديد موقعه « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية »
- قسم شمال المملكة ص ١٣٩٢ - .

وفي الصفحة :

مَا إِنْ يُرِيدُ الْكَوْمُ إِلَّا كَتَلِي بِصَرَعْنِ أَوْ يَلْتَوِيَنَّ رَجُلِي
وكلمة (رجلى) في الأصل (برحلى) بدون نقط .

وفي الصفحة : (ثُمَّ جَعَلْتُ عَقْلَهُ الْبَكَارَه) . في الأصل : (الْكَارَه)

بدون نقط ، وقراءتها بالنون أنسب للمقام ، أي أنه أنكر القتل ، ولا معنى للبكارة هنا .

وفي الصفحة : (وإن أتاكَ بها تحذى) . كلمة (تحذى) في الأصل (تحدا) ولعل (تُحَدِّي) أنسب .

١٥٥ - وفي ص : ١٠٦٢ : (أنت والله البار الميتم) . تُقرأ الجملة : (أنت والله الثَّارُ المُنيَمُ) . لأنه أتى القوم بِعَرَضٍ عليهم دِيَّةَ قَتِيلِهِم الَّتِي رَفَضُوا قَبُولَهَا قَاتِلِينَ تلكَ الجملة ، أي إِذَا قَتَلْنَاكَ أَخَذْنَا بِثَارِنَا فَنُصْنَا رَاحَةً وَاطْمَئِنَّا . فَأَجَابَهُمْ : (أنا والله الثَّارُ المُسْهِرُ) لا كما ورد في المطبوعة خطأ : (أنا والله البار المشهر) .

وفي الصفحة شعر للمكيم بن معروف أورده صاحب « خزنة الأدب » ج ١١ ص ٣٨٩ - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - نقلاً عن كتاب « ضالة الأديب » لأبي محمد الأعرابي - ما عدا البيتين الأخيرين - مع اختلاف في بعض ألفاظ الأبيات الأخرى ، ونسب الشعر للمكيم بن ثعلبة .

وفيها : (وإن نقضوا نحرب عليه فتيله كرهط كليب) . يقرأ الشطر : (وإنْ نَقَضُوا تَحْدُبْ عليه قبيلةٌ كَرَهْطِ كَلِيب) .

وفي الصفحة : (وتشهر على بني أسد أكل الكلاب) . كلمة (وتشهر) في الأصل (ونشر) بدون هاء ، والنون ليست منقوطة .

وفي الصفحة : (الحارث بن دوران بن أسد) . (دوران) صوابه (دُودَان) من الدُّود بَدِ الْيُنِّ كما هو معروف - .

١٥٦ - وفي ص : ١٠٦٣ : (لو جاءك الله عليه حرمة) . كلمة (جاءك الله » صوابها ما في الأصل (خافك الله) .

وفيها - من شعر ابن ثوبة - :

يطلبن يوم عصابة حلبت وما وأتين بعد بلائها أحسابها
القافية في هذا البيت مغابرة لقوافي أبيات القطعة : زمانها - هوانها - بصطانها -
ثم إن معنى البيت غير واضح ، وقد يُقرأ :

يطلبن قَرْمَ عصابة ، حَفِيَّتْ دَمًا وَأَتَيْنَ بَعْدَ بلائها إحسانها
والضمير في (حَفِيَّتْ) يرجع إلى الركائب الواردة في البيت الذي قبله .

وقال المحقق - تعليقاً على البيت الثالث من هذه القطعة : (حذفنا ثلاثة أبيات
تالية لشدة اضطرابها وغموضها) . والواقع أنه حذف منها ثلاثة ، وحذف غيرها
أبياتاً ثلاثة لمسافع بن عُقبة أبي سالم بن دارة . والواضح من الثلاثة الأول :

ما زال مذ حمل السيوف مكلّناً يهوى الجياد وقلّ ما يصْطَلَّانُها
... .. ويبلغها المدى يغشى وجهه قسطانها
أفنى حواميها وحد بسورها عض الإكام يقضا صَوَّانها
وبعدها : (وقال مسافع بن عقبة أبو سالم بن دارة حين قُتِلَ عثمان رضي
الله عنه :

جزاني الله في عُسْمَانَ إِنِّي إِذَا أَدْعُو عَلَى عَبْدٍ جزاني
جزاني إذ ... تحرق صفحته ... أسد العران
وذاك لما خليت الناب عُرِيّاً وراكبها إلى جبل الدخان
- والأبيات الستة ليست واضحة ، ولكن ينبغي إثبات ما يمكن اثباته منها
ليُبحث عنها في مَضَائِهَا .

١٥٧ - وفي ص : ١٠٦٤ : (في وفي أصحابنا أخرجنا من مكة بغير حق) .
كلمة (أصحابنا) صوابها ما في الأصل (أصحابي) .
وفي الصفحة - قول عَمْرُو بْنِ العاص : (أيا معاوية إني قد أخذت
بضاعتك) . كلمة (أخذت بضاعتك) ليست مطابقة لما في الأصل الذي يقرأ
(أخبرت بصفتك) .

وفيها : (إن تردني أزدك) . ونصُّ ما في الأصل (استردني أزدك) .

— وفي ص : ١٠٦٥ : (يأتيني مواليك يدعونك عبداً فقلت : أروني جلدة عذبت ، وهو لكم ابن عم خير لكم منه عبداً) . جملة (أروني جلدة عذبت) تُقرأ : (أرى جلدة عَرَبِيَّةً) . وبهذا يستقيم الكلام .

وفيها : (وكان عثمان عضاً سنّاً) . الجملة غير واضحة المعنى وصورتها في الأصل : (وكان عثمان عصاسبا) . وقد تقرأ (عصايّاً) .

وفي الصفحة : (وقال المدائني : قال له عثمان : إلى ما متى بنو الظرب يدعونك عبداً) . وما في الأصل يقرأ : (قال المدائني : قال له عثمان : إلى : يأتني بك بنو الظرب يدعونك عبداً) . أي إن رواية المدائني تنفق مع الرواية الأخرى إلى جملة (يأتني بك بنو الظرب) إذ بهذه الرواية صرح باسم الذين أتوا به بخلاف ما قبلها .

١٥٨ — وفي ص : ١٠٦٦ : (وشريك النبي شركة حق) . كلمة (النبي) صوابها (النبي) .

وفيها : (أنجب الناحلوك) . وهي (أنجب النَّاجِلُوك) — بالميم من النجل — . وقد سقط من المطبوعة بيت من شعر الوليد بن عتبة في مدح عثمان هو آخره ، ونصه :

مَنْ يُصَبِّحَ بِهِ يُصَبِّحَ بِحُلُوٍ طَيِّبٍ طَعْمُهُ قَلِيلُ المَرَارَةِ

وفي الصفحة : (أخي ذا الطول والحول والنائل الغمر) وأشار المحقق إلى اختلال وزن هذا الشطر ، ولكن كلمة (ذا الطول) ليست واضحة في الأصل ، وقد يكون الكاتب أراد كتابة (ذا الندى) فاختلفت الحروف .

وفي الصفحة : (جزي خير جزي الناس حياً وميتاً) . وما في الأصل يقرأ (جزي حين يجزي الناس حياً وميتاً) .

١٥٩ — وفي ص : ١٠٦٧ : (نسيت والله) وهي : (أنسيته والله) .

حمد الجاسر

(للحديث صلة)

رحلة ناصر خسرو بين جامعتي القاهرة والرياض

- ١ -

قامت (عمادة شؤون المكتبات في جامعة الملك سعود في الرياض) بنشر كتاب « سفرنامه — رحلة ناصر خسرو القبادباني » ترجمة وتقديم الدكتور أحمد خالد البديلي — مدير معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها ، أستاذ الأدب والحضارة الفارسية بقسم اللغة العربية في كلية الآداب ، في الجامعة المذكورة . ونشر الكتاب سنة ١٤٠٣ (١٩٨٣ م) بطباعة حسنة ، مصدراً بفهرس مجمل لمباحثه ، ثم بمقدمة عن ناصر خسرو ، وعن رحلته — في ٢٢ صفحة — ثم الكتاب متصل الصفحات بصفحات المقدمة حتى (الصفحة الثانية بعد المئتين) .

وقد عُرِّبَتْ هذه الرحلة — قبل تعريب الدكتور البديلي بما يقرب من أربعين عاماً ، حيث قام الدكتور يحيى الخشَّاب بنقلها إلى اللغة العربية ، وكتابة مقدمة ضافية عنها ، تكلم فيها بتفصيل عن حياة ناصر خسرو ، وعن رحلته ، وقام (معهد اللغات الشرقية) في (كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول) بنشر الكتاب ، وصدر مطبوعاً بـ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) في القاهرة سنة ١٣٦٤ — ١٩٤٥ م في ٣٠ + ١٣٦ صفحة من القطع الكبير ، يحوي تصديراً بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام رئيس معهد اللغات الشرقية في ثلاث صفحات ، ثم مقدمة العرب الدكتور الخشَّاب ، فالكتاب ، ففهارس مفصلة أحدها : لأسماء الرجال والقبائل والفرق ، والثاني : لأسماء البلاد والأماكن ، والثالث : لأسماء الكتب .

ثم بيان المقاييس والموازين والنقود التي جاء ذكرها في الرحلة ، ففهرس مباحث الكتاب ، فمصور جغرافي (خريطة) لتوضيح مواقع أهم المدن التي مرَّ بها ناصر خسرو . والدكتور يحيى الخشَّاب كان ذا اهتمام وعناية بناصر خسرو ، وبرحلته ،

فقد ترجم منها الفصل الخاص بمصر سنة ١٩٣١م ملحقاً لبحث (الماجستير) بتوجيه من أستاذه الدكتور عبد الوهاب عزام ، - عميد كلية الآداب - وألف كتاباً باللغة الفرنسية عن ناصر خسرو ، نشره المعهد الفرنسي في القاهرة ، وما كتبه عنه في مقدمة « سفرنامه » من أمتع الدراسات وأنفعها عن حياة الرجل وعن رحلته من حيث إيضاح غايتها ، وبعض ما قد يستشكله القارئ مما ورد فيها . مع الإشارة إلى أنها بنصها الذي ترجم ناقصة ، إذ لم تصل الرحلة كاملة في الأصول المعروفة الآن . ويظهر من كثرة استشهاد الدكتور الخشاب بأقوال غني زادة أنه اتخذ مطبوعته التي نشرها محققة سنة ١٣٤١ - في برلين - أصلاً . وكنت اطلعت عليها فنقلت عنها ما يتعلق بمرور الرحالة ببلاد نجد ، منذ أن أنهى الحج سنة ٤٤٢ - حتى بلغ البصرة - من ص ١١٦ إلى ص : ١٣٠ - مطبوعة م . غني زادة - نقلت ذلك وأنا لا أحسن اللغة الفارسية .

ثم لما صدر الكتاب مُعَرَّباً سنة ١٣٦٤ - كتبت عنه كلمة بعنوان (سفرنامه أقدم رحلة شرقية مدونة) نشرت في مجلة « المنهل » في رمضان سنة ١٣٦٥ - في الجزء التاسع من المجلد السادس (من ص ٣٩٨ إلى ٤٠٤) .

ويظهر أن الدكتور الخشاب اطلع على ما كتبت ، أو ناشرها الذي قيل لي : إنه أشار إلى ذلك في الطبعة الثانية ، حيث أخذ ببعض الملاحظات التي أبديتها فيما كتبت ، ولم اطلع على هذه الطبعة التي صدرت عن (دار الكتاب الجديد) للدكتور صلاح الدين المنجد ، في بيروت قبل عشر سنوات .

تعريب الدكتور البدي :

كان من الوفاء لعالم جليل تولى إدارة هذه الجامعة التي صدرت الترجمة عن أحد فروعها أن تشير إلى ما لذلك العالم من فضل سبق بتوجيه أحد تلاميذه لتعريب تلك الرحلة ، فإذا فات (المغرب) هذا فما كان ينبغي أن يفوت الذين قاموا بدراسة الترجمة ، ثم قرروا نشرها .

وكان من الوفاء لأستاذ كريم هو الدكتور يحيى الخشاب أن لا يتناساه الدكتور البدي - وهو أحد تلاميذه - في المقدمة التي تعرض فيها لترجمة ناصر خسرو ، وقد سبقه الدكتور إلى تفصيل هذه الترجمة ، بل بتأليف كتاب عن المُترجم ، ولكن الدكتور البدي تجادل - وهذه أسهل من كلمة جهل في هذا المقام - عمّل الدكتور الخشاب ، وزاد على ذلك بأن قال : - ص ١٧ المقدمة - وربما تحدثت عن الدور الخطير الذي لعبه ... ناصر خسرو ... في كتاب خاص ، يتناول جوانب شخصيته المتعددة الاتجاهات . وهذا مما يوهم القارئ بأن الموضوع لايزال بحاجة إلى التأليف .

ثم لما أراد الدكتور البدي إيضاح أن « سفرنامه » في أصلها ربما كانت أكبر حجماً مما هي عليه الآن - كذا نقل ص ٢١ - وربما اختصرها بعض الوارقين - استدلل بما أورده الدكتور الخشاب ، أو نقله كما نقله من كلام م . غني زاده .

وعندما تحدث الدكتور البدي عن مؤلفات ناصر خسرو - ضرب صفحاً عن ذكر كتابين لقيا عناية واهتماماً من الدكتور الخشاب ، هما :

١ - « خوان الاخوان » وقد ذكر الدكتور الخشاب أنه نُشر هذا الكتاب ، وطبع سنة ١٩٤٠م - في مطبعة المعهد الفرنسي في القاهرة (انظر حاشية ص ١١ من « سفرنامه ») .

٢ - جزء من كتاب « كشايش ورهايش » عثر عليه الدكتور الخشاب في (دار الكتب) وتحدث عنه في مقدمة « سفرنامه » - ص : خ - في حديثه عن مؤلفات ناصر خسرو . لأدع الحديث عما ورد في مقدمة الدكتور البدي ، وصلتها بمقدمة الدكتور الخشاب ، لئلا أخوض فيما هو خارج عن صميم الموضوع الذي أريد الحديث عنه مما يتعاق بالترجمة نفسها .

لقد اتخذ الدكتور البدي أصلاً لترجمته طبعة قال عنها : (ثم طبعت السفر ؟)

نامه في طهران سنة ١٣١٤ ... وانفرد بحققها العلامة محمود غني زاده بالضبط والدقة - وبعد أن أورد طرفاً من آراء محققها عن أصل الكتاب قال - ص ٢٢ المقدمة - : ومن هنا يتضح لنا أن هذه الطبعة أكثر دقة وضبطاً وتوثيقاً ولذلك اعتمدت عليها ، وترجمتها إلى العربية (. انتهى .

فهل الدكتور البديلي يقصد مطبوعة برلين التي نشرها الأستاذ محمود غني زاده سنة ١٣٤١ - فوق طبع أوقع القاريء بأن يتصور أن هذا المحقق نشر طبعتين إحداهما في طهران سنة ١٣١٤ - وهي التي اتخذها الدكتور البديلي أصلاً ، والأخرى في برلين سنة ١٣٤١ - وهي التي سبقت الإشارة إلى رجوع الدكتور الخشاب إليها ، والاستفادة من آراء محققها ؟ .

لا أرى إلا أن الطبعة واحدة ، وأنها في برلين سنة ١٣٤١ ، وقد اطلعت عليها ونقلت منها ، ولو صحَّ غير هذا لكان على الدكتور البديلي أن يرجع إلى عمل المحقق الأخير فيتخذ أصلاً ، إذ قد يكون فيه من الآراء ما قد يضيفه إلى ما في عمله الأول . مع أنه صرح في موضع آخر - ص ٢١ من المقدمة - بقوله : اعتمدت في اختياري هذه الترجمة من السفر (؟) نامه على النسخة المطبوعة في مطبعة (كاوياني) برلين ، وهي - كما أعلم - أحدث وأدق طبعة ظهرت عن السفر (؟) نامه حتى الآن . كذا قال ، ومطبوعة م. غني زاده هي التي جاء في طرفها : (برلين - درجانبخانه شركة (كاوياني) سال ١٣٤١ بطبع رسيد) .

أما قول الدكتور البديلي - ص ١٢ المقدمة - : كل مترجم لأي أثر علمي تحكمه عاطفتان علمية ووطنية ، وأنا عندما فكرت في ترجمة هذه الرحلة من الفارسية إلى العربية - رغم وجود ترجمة عربية لها بقلم أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب طبعت سنة ١٩٤٥ - كنت مدفوعاً بهذين العاملين الوطني والعلمي . فحسب علمي وتتبعي فهذه أول ترجمة عربية مباشرة من الفارسية إلى العربية ، أما ترجمة الخشاب فقد كانت من أصل فرنسي . انتهى .

هذا القول من الدكتور البدلي ينبغي الوقوف عنده طويلاً لا لإثبات العاملين الدافعين له إلى تعريف الرحلة فيما عرب ، وحده ، ولكن لكون (ترجمة الحشاش من أصل فرنسي) ومعدرة فكذا وردت الحملة جافةً من تلميذ لأستاذه ، علماً وسيناً وهذا مما لا يعني القاريء .

أترى رئيس قسم الدراسات الفارسية في الجامعة المصرية حقبة من الزمن ، الذي عَرَّب عن تلك اللغة كثيراً من الأبحاث الأدبية والتاريخية لم يعرب (سفرنامه) عنها ؟ إن من يقرأ المقدمة الضافية التي كتبها الدكتور الحشاش — وخاصة — ص : ل — لا يخامرهُ شكٌ في أنه نقل عن الفارسية ، فهو يذكر نصوصاً من الرحلة ينقلها عن الأصل الفارسي ، ويشير إلى صفحاتها منه ، ثم يذكر ما يقابلها مما عَرَّب .

ثم إن الدكتور عبد الوهاب عزام في مقدمته يضيف هذا الكتاب في مقام الإشادة بأعمال أساتذة الآداب الشرقية في كلية الآداب — في جامعة فؤاد — إلى الكتب التي أخرجها أولئك الأساتذة من عيون الأدب الفارسي .

لندع كل هذا فحسب القاريء الحصول على رحلة يكفي لإبراز ما لها من قيمة علمية قيام جامعتين عتيديتين من الجامعات العربية بتعريبها ونشرها . إلا أن من حق كل قاريء البحث في الوسائل التي توجد في نفسه من بواعث الثقة ما يُهيئ له الاستفادة من أي كتاب يرغب قراءته .

وهذا — بالنسبة لي — ما سأتناول البحث فيه من جوانب منها :

١ — الاطمئنان بصحة ما تحويه هذه الرحلة من معلومات .

٢ — ما تضيفه وتزود به ذهن القاريء مما يزيده معرفة .

٣ — ملاءمة طريقة العرض بحيث تم الاستفادة بأيسر الطرق .

الأمر الأول : الاختلاف بين الترجمتين :

يستغرب القاريء حين يمر بعبارات تختلف المعاني فيها باختلاف الترجمة ، فهي في ترجمة الدكتور الحشاش لها معنى يخالف معناها في ترجمة الدكتور البدلي ، وهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، وأكتفي بذكر نماذج منها :

١- (ص ٢٥ ب) : وسألت الله أن يمنحني الغنى .

وفي (ص : ١١ خ) : ودعوته تعالى أن ييسر لي أمري .

ويظهر أن العبارة الأخيرة أقرب إلى الصواب ، فالرجل لم يكن فقيراً ليسأل الغنى ، بل كان ذا جاه ومنصب وأملاك فخرج من كل ذلك بحثاً عن راحة النفس ، قال (ص : ٢ خ) : وتركت أموالاً عدا القليل الضروري منها و (ص : ٢٦ ب) : وتخلصت من أملاكي إلا الضروري الذي لا بد منه . ثم إنه كان من كبار رجال الديوان السلجوقي المسؤولين عن الأموال والأعمال السلطانية .

وقد تكرر مثل هذا المعنى في تعريب الدكتور البدلي (ص : ٦٠) : صليت في مقام التوبة ، وسألت الله التوفيق ... وطلبت منه سعة الرزق . ولم ترد الجملة الأخيرة في تعريب الدكتور الحشاش (ص : ٢٣) .

٢- (ص : ٢٨ ب) : وبيعت كيلة الشعير بدرهمين .

وفي (ص : ٣ خ) : حتى بيع المن من خبز الشعير بدرهمين .

٣- (ص : ٢٨ ب) : قروين مدينة عظيمة ، ولها سور حصين ، ذات (؟) شرفات ومراقب . وفي (ص : ٤ خ) : قروين مدينة عظيمة ، ذات حصن مكين ، عليه شرفات . فكلمة (ذات شرفات) إذا كانت وصفاً للسور فصوابها (ذو شرفات) لأنه مذكر .

٤- (ص : ٣٠ ب) : ولقد ذرعت مساحتها طولاً وعرضاً فوجدتها ألفاً

وأربع مئة ذراع . وفي (ص : ٥ خ) : وقد قست طولها وعرضها فكان كل منهما ألفاً وأربع مئة قدم .

٥ - (ص : ٣٣ ب) : ومدينة الأخلاط هي الحد الفاصل بين ديار الإسلام وديار الكفر . وفي (ص : ٦ خ) : مدينة أخلاط ... وهي على الحدود ما بين بلاد المسلمين والأرمن .

٦ - (ص : ٣٤ ب) : وتَتِمُّ معاملات الناس هنا بالأوراق النقدية .

وفي (ص : ٧ خ) : والمعاملة هنا بالنقود النحاسية .

٧ - (ص : ٣٥ ب) : يحيط بالمدينة سور عظيم من الأحجار البيضاء ويزن كل حجر خمسين رطلاً .

وفي (ص : ٨ خ) : وميماً فارقين محاطة بسور من الحجر الأسود ، الذي يزن الحجر منه خمس مئة مَن .

٨ - (ص : ٣٥ ب) : - عن ميماً فارقين - : وللمدينة مسجد جمعة يحل عن الوصف ولو أردت وصفه لاستغرق صفحات كتاب كامل .

وفي (ص : ٨ خ) : ويطول وصف مسجد الجمعة بها لو ذكرته ، ولو أن صاحب الكتاب شرح كل شيء أتم الشرح ، وقد قال : إن للميضأة . الخ .

وعلق الدكتور الحشاب : هذه الجملة - كما يبدو - من وضع ناسخ الكتاب ، وهي تدلُّ على أن هذا الناسخ أو كاتباً سواه قد اختصر كتاب « سفرنامه » راجع تعليق الأستاذ غني زاده (ص ١٠) سفرنامه طبعة براين . انتهى .

وهذه الملاحظة من الناشر م. غني زادة جديرة بأن تجد من الدكتور البلي انتباهاً وتأملاً ، غير أن ترجمته لما يتعلق بها من كلام بدأ وكان الكلام تاماً ومستقيماً ، ولا نقص في الأصل .

٩- (ص : ٣٦ ب) : ومدينة آمد تقع على مرتفع جبلي ، مساحتها طولاً ألفاً خطوة ، وكذلك عرضها ... وقد أحاط بها سور عظيم ذو حجارة سوداء بشكل الآجر ، وهي في غاية الضخامة .

وفي (ص : ٨ خ) : بلغنا آمد التي شيدت على صخرة واحدة ، طولها ألفاً قدم ، وعرضها كذلك ، وهي محاطة بسور من الحجر الأسود ، كل حجر منه يزن ما بين مئة وألف من .

ويلاحظ هنا - الاختلاف بمقدار المساحة ، ومعروف أن الخطوة مقدار ما بين مرطبي القدمين أثناء المشي ، وهي تقارب ضعف القدم .

أما تقدير وزن الحجر فلم يرد في ترجمة (ب) .

١٠- (ص : ٣٧ ب) : - في وصف عين آمد : وفي وسط المدينة عين جارية ، تأتي من خلال حجارة رهيقة ، وماؤها غاية في العذوبة .

وفي (ص : ٩ خ) : وفي وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الصلب ، وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفي لإدارة خمس طواحين ، وهو غاية في العذوبة .
لم يرد في الترجمة الأولى مقدار قوة حركة الماء .

١١- (ص : ٣٨ ب) : وفي يوم الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٤٣٨ وصلنا إلى حوران ، وذلك يصادف من شهور آب من شهور الفرس . (كذا) .

وفي (ص : ١٠ خ) : وقد بلغنا حوران يوم الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة ٤٣٨ ... الموافق ٢٢ من شهر ذي القديم .

وقد أورد الدكتور الخشاب - في حاشية ص ٢ - أسماء الأشهر الفارسية القديمة فذكر أن شهر (دي) الفارسي يوافق (ديسمبر ويناير) ولم يذكر شهراً فارسياً باسم (آب) ولكن باسم (آبان) وهذا يوافق فيما ذكر (أكتوبر نوفمبر) .

وسأتي في الرحلة (ص ٣٩ ب) أن الشهر الذي يلي (دي) هو (بهمن) وأنه شديد البرودة — ورد هذا بعد مرور سبعة أيام هي آخر جمادى الآخرة ويومان من رجب .

ولا أرى الدكتور البدلي يقصد بترجمته شهر آب السرياني ، الذي يوافق شهر أغسطس الرومي — فهذا الشهر يقع في فصل الصيف (برج الأسد) .

١٢ — (ص : ٣٩ ب) : ولحب قلعة عظيمة ... وهي أعظم من قلعة باخ بمراتب .

وفي (ص : ١٠ خ) : وبها قلعة عظيمة ... ويمكن مقارنة حلب ببلخ .

فهل تقارن القلعة بالقلعة ، أم المدينة بالمدينة ؟ .

١٣ — (ص : ١٣ خ) : في الكلام على مدينة طرابلس الشام : ومساحة المدينة ألف ذراع مربع . هذه الجملة لم ترد في ترجمة (ب ص : ٤٣) .

١٤ — (ص : ١٣ خ) : وغادرت طرابلس ... فرأيت على مسافة فرسخ قلعة تسمى قلمون في داخلها عين ماء ، وسرت من هناك إلى طرابرزن ، ومن طرابلس إليها خمسة فراسخ ، ومنها بلغنا مدينة جبَّيل .

وفي (ص : ٤٤ ب) : غادرنا طرابلس ... فوصلنا إلى قلعة تسمى قلمون ، يقولون : إن في داخلها مياه (؟) كثيرة ، واتجهنا إلى مدينة جبَّيل . ففي تعريب الدكتور البدلي لم يرد ذكر لتحديد المسافة بين طرابلس وقلمون ، ولا ذكر لطرابرزن ، ولا للمسافة بينها وبين طرابلس ، وفي وصف ماء قلمون اختلاف بين الترجمتين .

١٥ — في وصف الإيوان الذي شاهده ناصر خسرو في بيروت : (ص : ١٤ خ) : وفي الوسط تماماً الطاق الكبير ، يعلوها بخمس ذراعاً ، وقد قِسْتُ

كُلَّ حَجَرٍ مِنْهُ فَإِذَا بِهِ ثَمَانِيَةُ أَذْرَعٍ طَوْلًا وَأَرْبَعَةٌ عَرْضًا ، وَأُظُنُّ الْحَجَرَ الْوَاحِدَ يَزِنُ سَبْعَةَ آلَافٍ مَنًّا .

هذا الوصف لما في وسط الإيوان (الطاق الحجري) لم يرد في تعريب (ب : ص : ٤٤) .

١٦ - (ص : ٤٥ ب) : توجد في عدة أماكن من الشام ... ويربو عدد هذه الأعمدة على خمسين ألف .

وفي (ص : ١٤ خ) : وفي نواحي الشام أكثر من خمس مئة ألف من أعمدة وتيجان وجذوع .

١٧ - (ص : ٤٥ ب) - في وصف مدينة صور - : وأكثر المدينة داخل في مياه البحر ، وتُدْهَنُ بيوت المدينة بالقير حتى تسلم من الصَّدَأِ .

وفي (ص : ١٥ خ) - : مدينة صور ، وهي ساحلية ، وقد بُنِيَتْ على صخرة امتدَّتْ في الماء ، بحيث أن الجزء الواقع في اليابس من قلعتها لا يزيد على مئة ذراع ، والباقي في ماء البحر ، والقلعة مبنية بالحجر المنحوت ، الذي سُدَّتْ فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلله .

١٨ - (ص : ٤٦ ب) : وللسور في الجهة الجنوبية بَوَابَةٌ حديدية ضخمة ، تشدُّها سلاسل عملاقة مربوطة بطرفي السور . - عن مدينة عكة - .

وفي (ص : ١٥ خ) : وحائطاها داخلان في البحر ، وعلى امتدادهما مدخل مفتوح ، طوله خمسون ذراعاً ، وقد شُدَّتِ السلاسل بين الحائطين ، فإذا أُريد إدخال سفينة إلى الميناء أُرْخِيَتِ السلسلة حتى تغوص في الماء فتمر السفينة فوقها الخ .

١٩ - (ص : ٤٧ ب) : ورأيتُ بالقرب من البوابة الشرقية للمدينة ، وعلى يسار الخارج عين (؟) ينحدر إليها الإنسان إلى باطن الأرض على درجات ، وتسمَّى عين البقر .

وفي (ص : ١٦ خ) : وعند الباب الشرقي ، على اليد اليسرى ، عين يصلون

إلى مائها بتزول ست وعشرين درجة ، وتسمى عين البقر ، ويقال : إنَّ آدم - عليه السلام - هو الذي كشفها ، وكان يسقي منها بقرته ، ولذا سُمِّيَتْ عين البقر .

وجملة : (ويقال ...) التي لم ترد في تعريب الدكتور البلي وردت في كلام كثير ممن تحدثوا عن هذه العين من المتقدمين - كياقوت الحموي في « معجم البلدان » في رسم (عين البقر) والحميري في « الروض المعطار » في رسم (عكًا) وغيرهما ممن أشار إليهم الدكتور الخشاب عندما أورد كلام ناصر خسرو ، ولكن عبارات كثير منهم تختلف عن عبارة ناصر .

٢٠ - بعد ذكر بروة حيث قبر شمعون في الكلام على (عكة) قال : (ص : ١٦ خ) : ومن هناك بلغت مغارك التي تسمى دامون فزرت المشهد المعروف بقبر ذي الكفل - عليه السلام - .

وفي (ص : ٤٧ ب) : ومن هناك اتجهت إلى قبر يدعى دامون ، ويزعمون أنه قبر النبي ذي الكفل - عليه السلام - .

٢١ - (ص : ٤٧ ب) : ... أعيالين ، وبها قبر النبي هود - عليه السلام - ... ورأيت بجانب القبر حظيرة بها شجرة عجوز ، زعموا إلي أنه (؟) قبر عزير - عليه السلام - .

وفي (ص : ١٦ خ) : ... أعيالين ، وبها قبر هود - عليه السلام - ... وكان بحظيرته شجرة الخرتوت ، وكذلك زرت هناك قبر النبي عزير - عليه السلام - .

٢٢ - في الكلام على قرية حظيرة من قرى عكة : (ص : ٤٨ ب) : وهناك رأيت قبرين أحدهما لشعيب - عليه السلام - والآخر لابنته التي كانت تحب موسى - عليه السلام - .

وفي (ص : ١٧ خ) : ... قبران متجاوران أحدهما قبر شعيب - عليه السلام - والثاني قبر ابنته التي كانت زوج موسى - عليه السلام - .

فمن أين أتت كلمة (الحب) في مقام الحديث عن هذين النبيين الكريمين وقد أخبر الله أن موسى تزوج ابنة شعيب ، ولم يرد للحب ذكر ؟

٢٣- (ص : ٤٨ ب) : وفي نهر طبرية أسماك كثيرة ، متعددة الألوان والطعوم .

وفي (ص : ١٧ خ) : وفي بحر طبرية سمك كثير . ولم يذكر تعدّد الألوان والطعوم !

٢٤- (ص : ٤٩ ب) : وسمعت أن في نهر لوط حيوان (؟) يشبه البقرة ، يصطاد من قاع النهر ، ويقطع قطعاً صغيرة ويزعمون أن العطارين يشترّون هذا الدواء ، زاعمين أن آفة ما تتلف بعض الأدوية لا دواء لها سوى هذا الحيوان النهري .

وفي (ص : ١٧ خ) : سمعت من إنسان أن في بحر لوط شيئاً كالخجاجة السوداء ، غير صلب ، يشبه البقر ، يخرج من قاعه فيأخذه السكان ، ويقطعونه وقيل : إن العطارين يستخدمونه لأنه يبعد دودة تصيب البذور ، اسمها النقرة .

٢٥- (ص : ١٨ خ) : - في الكلام على طبرية - : وفي الجانب الغربي من المدينة جبل فيه قطعة من حجر المرمر ، مكتوب عليها بخط عبري أن الثريا كانت على رأس الحَمَلِ ساعة الكتابة .

لم ترد هذه الجملة في (ب : ص : ٥٠) .

٢٦- في وصف مسجد القُدُس (ص : ٥٧ ب) : وفي أعلى أحد الأبواب أن طول المسجد سبع مئة وأربعة أمتار ، وعرضه مئة وخمسة وخمسين متراً بالقياس الملكي الذي يسمونه في خراسان بالشاهاني .

وفي (ص : ٢١ خ) : ... طاقاً مكتوباً على حجر منه : أن طُول المسجد أربع وخمسون وسبع مئة ذراع ، وعرضه خمس وخمسون وأربع مئة ذراع ،

وذلك بذراع الملك المسمى في خراسان اكرشايكان ، وهو أقل قليلاً من ذراع ونصف .

ونقل الدكتور الخشاب عن (شيفر) أن قنصل فرنسا في القدس أرسل إليه النص المكتوب على الجامع وهو : بسم الله الرحمن الرحيم : طول المسجد سبع مئة وأربع وخمسين ذراع ، وعرضه أربع مئة وخمسة وخمسين ذراع بذراع الملك . وأضاف الدكتور الخشاب : وهناك اختلاف بين ما جاء في النص الفارسي وبين ما ذكره القنصل ، هو أن النص الفارسي المطبوع في برلين ... قد سقط منه سهواً كلمة جهار (جهارصد) في ذكر عرض المسجد ... ولعل الفرق بين النصين في طول المسجد نتج عن إسقاط النساخ لكلمة (بنجاه) في بنجاه وجهار ، وهذا ما نرجحه ، وصححنا الترجمة على أساسه وبه يرتفع الخلاف . انتهى كلام الدكتور الخشاب .

٢٧ - (ص : ٥٧ ب) : وباب المسجد عظيم ، وارتفاعه في حدود ثلاثين ذراعاً ، وعرضه عشرون ذراعاً ، ويتصل به بابان عن يمينه ويساره ، أقل منه مساحة ، وتكثر النقوش في الباب . - إلى آخر الكلام على باب داوود .

وفي (ص : ٢٢ خ) : ... فيرى رواقاً عظيماً جميلاً ، ارتفاعه ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ، وللرواق جناحان ، وواجهتهما وإيوانه منقوشة كلها بالفيسفساء - إلى آخر الكلام مما لا يتفق مع الترجمة الأخرى .

ومثل هذا الكلام على ما بين (باب الأسباط) و (باب الأبواب) حيث وصف الخشاب رواقاً ما سماه البديلي باباً .

ومثله (ص : ٦٢ ب) : ويحف بالمقصورة خمسة عشر باباً كلها تؤدي إلى ساحة المسجد المكشوفة . وعند (خ : ص ٢٥) : وعلى باب المقصورة وحائطها المظللان على الساحة خمسة عشر رواقاً ، عليها أبواب مزخرفة ، ارتفاع كل منها عشرة أذرع ، وعرضه ست .

والحملة الأخيرة لم يوردها (ب) .

٢٨- (ص : ٥٩ ب) : ... باب التوبة ، وبجانب الباب مسجد جميل ...
وهو مُزْدَانٌ بالرياض الجميلة ، والقناديل الثمينة .

وفي (ص : ٢٣ خ) : وعلى هذا الرواق مسجد جميل ... وزينوه بأنواع
السجاد ، وله خدم مخصوصون .

ولم أذكر معنى كلمة (الرياض) هنا .

٢٩- (ص : ٦١ ب) : والمسافة بين كل عمودين اذرعة (؟) .

وفي (ص : ٢٤ خ) : وبين كل عمودين ستة أذرع .

٣٠- (ص : ٢٨ خ) : وبيت الصخرة بيتٌ مُشَمَّنٌ منظم ، كل ضلع من
أضلاعه الثمانية ثلاث وثلاثون ذراعاً ، وله أربعة أبواب على الجهات الأربع
الأصلية ... وبين كل بابَينِ ضلع ، وجميع الحوائط من الحجر المنحوت ،
وارتفاعها عشرون ذراعاً ، ومحيط الصخرة مئة ذراع ، وهي غير منتظمة الشكل .

وفي (ص : ٦٦ ب) : والقبّةُ بناء منمن الأضلاع مساحة كل ضلع ثلاثة
وثلثون أرشاً (؟) والقبّة أربعة أبواب يواجه كل باب منها جهة من الجهات الجغرافية
الأربع ... وبين كل بابَينِ ضلع ، ويحيط بحدّ القبّة حوائط حجرية ، وتبعد
الصخرة عن الجدر بمساحة مئة شبر ، وليس للصخرة شكل هندسي .

ويظهر أن المقصود بكلمة (أرش) ذراع ، حيث ورد في وصف القبّة التي
فوق الصخرة : (ص : ٦٧) : وارتفاع هذا الغطاء نحواً من مئة وعشرين أرشاً .
وفي (ص : ٢٩ خ) : القبّة التي تحتها الصخرة ، والتي يبلغ محيطها مئة وعشرين
ذراعاً . وفي (ص : ٧٠ ب) : وسعة الدرجات المؤدية إلى مقام النبي عشرون أرشاً .

وفي (ص : ٣٠ خ) : وعرض درجاته عشرون ذراعاً .

ويلاحظ أن الدكتور الخشاب أورد (ص : ٢٩) كلاماً طويلاً عما يحيط بقبة الصخرة من أعمدة ودعائم ، لم يذكره الدكتور البدلي (ص : ٦٧) .

٣١- (ص : ٦٨ ب) : - في آثار الأقدام التي فوق الصخرة - : أنها آثار قدمي إبراهيم واسحاق - عليهما السلام - .

وفي (ص : ٢٩ خ) : ... آثار قدمي إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - .

٣٢- (ص : ٦٨ ب) : بيت المقدس فهو ثالث الحرمين .

وفي (ص : ٣٠ خ) : وهذا المسجد هو ثالث بيوت الله .

وفرق بين العبارتين ، فالأولى تدل على أن بيت المقدس حرّم كحرم مكة وحرم المدينة ، لا يقطع شجره ولا يُصَاد صيده ، وله من الأحكام الشرعية ما للحرمين المذكورين .

٣٣- (ص : ٧٣ ب) : - عن بيت لحم - : يأتون إليه من رومية ، كما رأيت فيه خلقاً كثيراً من مسيحي إيران ... وصات إلى هذا المكان ليلاً قادماً من بيت المقدس .

وفي (ص : ٣٣ خ) : وهناك يقدم النصارى القرايين ، ويقصده الحجاج من بلاد الروم ، وقد بلغته مساء اليوم الذي قمت فيه من بيت المقدس .

٣٤- (ص : ٧٦ ب) : ويقولون : إنَّ المشهد الإبراهيمي لم يكن له وجود ، ولم يكن في مقدور الإنسان أن يصل إليه - الخ .

وفي (ص : ٣٥ خ) : ويقال : إنه لم يكن لهذا المشهد باب ، وكان دخوله مستحيلاً - الخ .

في العبارة الأولى الإنكار لوجود المشهد ، وفي العبارة الثانية إنكار الوصول إليه (الباب) ويظهر من بقية الكلام في العبارتين أن الصواب ما ورد في الأخيرة .

٣٥- (ص : ٨٣ ب) - في الكلام على تنيس - : ويكثر في أسواقها شراب الشعير المطبوخ ، في الصيف .

وفي (ص : ٣٨ خ) : وهناك في فصل الصيف يبيعون الكيشكاب .
وفسر (خ) الكيشكاب بأنه صنف منعش ، يشبه ما يسمى في تركيا (آيتران)
يتكون من اللبن الزبادي المضروب مع الماء . وصنف آخر يتكون من السوبياء
المخمرة ، مضافاً إليها بعض العناصر الأخرى ، ويسمى هذا الصنف الفقاع ،
ويقصد ناصر الصنف الأول . انتهى .

٣٦- (ص : ٨٤ ب) : - عن عمارة لسلطان مصر نُسجت في تنيس - :
ولقد رأيت تلك العمارة فإذا هي تساوي ألفي دينار ذهبي مغربي .
وفي (ص : ٣٨ خ) : وقد رأيت هذه العمارة ، ويقال : إنها تساوي أربعة
آلاف دينار مغربي .

٣٧- عن تنيس (ص : ٨٤ ب) : وحامية المدينة تتكون من خمسين ألف
مقاتل ، وترابط في ميناء المدينة ألف سفينة حربية .

وفي (ص : ٣٩ خ) : وسكانها خمسون ألفاً ، ويرابط حولها دائماً ألف سفينة .

٣٨- (ص : ٨٦ ب) : وتحمل كل سفينة من السفن ما يعادل مئتي طن .

وفي (ص : ٤١ خ) : وتصنع بها سفن كثيرة ، وحمولة كل منها مئتا خروار .

وفسر (خ) : خروار : حمل حمار .

ومعروف أن الحمار لا يستطيع أن يحمل طناً ، وإنما يحمل عُشره ، مئة كيل
(١٠٠ كيلو جرام) .

٣٩- (ص : ٨٦ ب) : ينبع نهر النيل من الجنوب .

وفي (ص : ٤١ خ) : يخرج ماء النيل من بين الجنوب والغرب .

٤٠- عن النيل (ص : ٨٦ ب) : وعندما يفيض النهر فإن مياهه تزداد
زيادة كبيرة ، تعادل ضعفي نهر جيحون بترميزه .

وفي (ص : ٤١ خ) : ويبلغ نهر النيل في زيادته ضعف نهر جيحون
عند ترميزه .

حول « المعجم الكبير »

[أثناء انعقاد المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة وفي يوم الأحد ١٩ جمادى الآخرة ١٤٠٥ عرضت نماذج من كتاب « المعجم الكبير » الذي يقوم المجمع بتأليفه من آخر حرف الحاء وأثناء دراسة تلك النماذج تحدث صاحب هذه المجلة بهذه الملاحظات التي كانت محل اهتمام من القائمين بصياغة مواد المعجم] .

١ - ص ٣ : (حَوَّابُ) : موضع بين البصرة ومكة ، قريب من البصرة ،

في النص الأول : الزيادة تعادل (ضِعْفَيَّ) نَهَرَ جَيِّحُونَ ، وفي النص الثاني : (ضِعْفَ) ذاك النهر ، وكلمة (ضِعْفَ) لُغَةً معناها (مِثْل) إلى ما زاد ، فضعف الشيء مثله فما زاد عليه غير محصور إلا من حيث الأقل وهو المثل ، فإذا قلت : لك ضِعْفُهُ ، فالمراد مِثْلَاهُ ، وثلاثة أمثاله ، لأنه زيادة غير محصورة ، فأقلُّ الضِعْفِ محصور ، وأكثره غير محصور ، وفي الآية الكريمة ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ أي يُجْعَلُ الْعَذَابُ ثَلَاثَةً أَعْدَبَةً ، إذْ كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تُعَذَّبَ مَرَّةً ، فإذا ضُوْعِفَ ضِعْفَيْنِ صار الواحد ثلاثة - ذكر هذا في « القاموس المحيط » وشرحه .

وأراني أوردت - بدون استيعاب أو حصر - من الأمثلة على اختلاف الترجمتين ما يُوضَّحُ أَنَّ القاريء - من جراء هذا الاختلاف - سيقع في حيرةٍ لإدراك الصواب ، ما لم يكن ذا معرفة باللغة الفارسية ، وما كُلُّ القراء بهذه الصفة ، وإذَنْ فلابد أن أكثرهم بحاجة إلى ما يُخْرِجُهُم من تلك الحيرة التي أوقعهم فيها هذا الاختلاف في ترجمتين صادرتين عن جامعتين لهما منزلتهما العلمية السامية .

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

وهو المنزل الذي نزلته السيدة عائشة (رض) لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل .
وقيل : ماء لبني كلاب بين البصرة ومكة ، نبحت كلابه أم المؤمنين رضي
الله عنها ، وفي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه : « أبتكن
تنبجها كلاب الحوآب » ؟ (نه) .

يلاحظ على هذا الكلام الخلط بين موضعين أحدهما : بقرب البصرة وهو
الذي ورد في خبر السيدة عائشة رضي الله عنها لما توجهت إلى البصرة فحدثت
وقعة الجمل ، والثاني : في عالية نجد ، وهو من مياه بني عبدة بن أبي بكر بن
كِلَاب ، بقرب البقرة والعُنَاب والحزير ، والموضع الأخير يعرف الآن باسم
مشقوق الخلف ، أخذاً من صفته فهو واد واسع .

ومعروف أن الحوآب من معانيه اللغوية الواسع من الأودية ، فهو وصف
في الأصل سُمِّيَ به مواضع ، الموضعان المتقدمان وثالث ذكر ياقوت أنه من
مخالف الطائف .

وفي الصفحة نفسها : (حوآب بنت كلب من وبرة) .

والصواب : بنت كلب بن وبرة ، كما هو معروف من نسب كلب .

٢ - ص ٨ : (أخبَاب : موضع وفي « المعجم » أنه بلد في جنب السَّوَارِقَةِ
من نواحي المدينة) .

هذا الاسم اختلف في ضبطه فقد ورد في « ديوان الخنساء » - طبعة بيروت
سنة ١٨٩٥م - قولاً ترثي أخاها صَخْرًا :

يَحْمِي لَهَا ذَاتَ أَخْبَابٍ فَعَنْفُوءَ

فَمُحْدَثَ الْأَثَمِ فَالْصَّرْدَاءِ أَحْيَانًا

(قال السلميون : ذات أخبَاب ، وهو بلد من النَّقِيع ، قال : نحن نسميها
ذات الجَنَب لأنها كثيرة الأجنية وهي المنازل والمحال ، حكاه بعض أصحاب
أبي عمرو ... أَخْبَرَتْ أنه يحمي هذه المواضع يحمي الصرداء مرة إذا أَمْرَعَتْ ،
وذات أجناب مَرَّةً إذا أَمْرَعَتْ

قال عَرَّامٌ : إنما هو ذات أخباب وكذا قال ابنُ أُختِ الخنساء ، وهو وادٍ يصب في ذِي الخَدَمَةِ ، وذو الخدمة يصب في الأحماء في الأثَمِ ... والخدمةُ وادٍ بالحرَّة .

وفي إحدى نسخ الديوان المخطوطة : ذات اجناب . وشرحه : بلد إلى جنب السوارقية .) انتهى ما في شرح الديوان ، ومنه يتضح الاختلاف في ضبط الاسم ، أما الموقع فهو في منطقة السوارقية البلدة المعروفة .

٣ - ص ١٣ : (أَلَاتُ الْحَبِّ عَيْنٌ بِإِضْمٍ) .

لم يتقدم في « المعجم الكبير » تحديد دقيق لإِضْمٍ ، وهو مجتمع أودية المدينة المُسْتَدُّ من أسفلها نحو الشمال حتى يفيض في البحر بين ميناءي الوجه وأمّ لُجٍّ ، ويعرف الآن باسم وادي الحمض .

٤ - ص ١٤ : (قال طرفة - نحو ٦٠ هـ) .

والصواب : أنه توفي قبل الهجرة .

وفي الصفحة نفسها : (ابن الأحمر) .

ومعروف أنه ابن احمر و (ال) لا تدخل على الأعلام إلا سماعاً .

ص : ١٦ : عن الحبة السوداء (من جني نيجلة ... منبته مصر إلى الهند) .
والحبة السوداء تنبت أيضاً في نجد .

٥ - ص : ٢٢ : (وهو ذباب أو طول من الذباب في دقته يطير فيما بين المغرب والعشاء ، له نار كأنه شعاع كالشرر) .

هذا الكلام فيه تحريف صوابه من الكتب التي نقل عنها : وهو ذباب أطول من الذباب في دقة ، يطير فيما بين المغرب والعشاء كأنه شعاع شرارة . وهذه الجملة أوضح .

٦ - ص : ٢٦ : (حبيب اسم موضع قال النابغة (١٨ ق هـ = ٦٠٧ م) :
فساقنان فالحران ...) .

١ - القائل هو النابغة الجعديُّ وهذا صحابي توفي في منتصف القرن الأول
الهجري وقد أورد البكري البيت منسوباً إليه مع بيت آخر .

٢ - واختلف في الاسم هل هو جبيب - بالجيمين - أو حبيب - بالحاءين -
كما في كتاب البكري - ولهذا ينبغي أن يشار إلى هذا .

٧ - ص : ٢٧ : (فرخ الصَّعَوُ العصفور الصغير) .

في نجد يفرقون بين الصعو والعصفور ، فالصعو طائر صغير أصفر اللون ،
يكثُر وقت الصيف ثم ينقطع ويعتبر انتشاره في نجد علامة دخول فصل الصيف .
أما العصفور فهو أكبر منه جسماً ويألف البيوت ويبيض ويفرخ فيها . وهو
نوعان ذكر وأنثى .

٨ - ص : ٣٢ : عن كعب الأحبار (متفق على علمه وتوثيقه) .

يلاحظ أنَّ من العلماء المتأخرين من اتهمه بالمشاركة في تدبير قتل عمر رضي
الله عنه ، وقال السيد محمد رشيد رضا في حاشية على « تفسير ابن كثير » للآية
الكريمة ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ فقد علق على قوله : لولا آية في كتاب الله
لأخبرتكم بما هو كائن إلى يوم القيامة (ج ٤ ص ٣٥٧) : من الغريب أن تبلغ
الجرأة بكعب إلى هذا الحد الباطل شرعاً وعقلاً ثم يعتدُّون بدينه وعلمه ويروون عنه .

٩ - ص : ٣٤ : (حَبْرَانُ) : جبل (مي) ، وقال الراعي (٩٠ هـ = ٧٠٩ م) :
كَأَنَّهُمَا نَاشِطٌ حُمٌّ مَدَامُعُهُ

مِنْ وَحْشٍ حَبْرَانٍ ، بَيِّنَ الْقِنَعِ وَالظَّفَرِ^(١)

(الناشط : الثور الوحشي . القنع : ماء في نجد . الظفر : موضع (لج)

محالة على الأستاذ حمد الجاسر) .

• • •

سبق أن تحدثت عن حبران ، عند عرض مواد « المعجم » في العام الماضي .
تعليقاً على ما جاء في ص ١٠٠٩ من الأنموذج المقدم ، (وانظر ما قلت عن حبران
في « العرب » س ١٩ ص ٣٥٣) .

١٠ - ص : ٣٦ : (حَيْرٌ جبل في ديار سُليم متصل بالذئاب في ديار
بني سعد من بني أسد) .

١ - في هذا الكلام خلط بين منازل قبيلتين من العرب : بني سُليم ،
وبلادها في عالية نجد ، وبني أسد وبلادهم في شمال نجد ممتدة شرقاً على طريق
الحج الكوفي .

٢ - حَيْرٌ كان في بلاد بني سُليم قديماً ، ولا يزال معروفاً بقرب الذئاب
الواقعة جنوبه رأي العين غَرْبَ بلدة عَقِيف ، على طريق المتجه إلى الحجاز ،
بعد أن يجوز المسافر بلدة عَقِيف بنحو ١٠٠ كيل يُشَاهِدُ حَيْراً وأجلى والذئاب
يمينه (يقع حبر بقرب خط الطول : ٤٢/١٠° وخط العرض : ٢٣/٣٥°) .

٣ - الذئاب : صوابها الذنائب - والخطأ تطبيع - وهي قور معروفة وردت
في الشعر القديم كقول مهمل :

فإن بك بالذنائب طال لَيْلِي فَقَدْ أَبْكِي على اللَّيْلِ الْقَصِيرِ

١١ - ص : ٤١ : (وفي كلام طهفة : لا يحبس دركم - أي لا نحبس
ذوات الدر عن المرعى) إلخ .

هذا ليس من كلام طهفة بن أبي زهير النهدي بل من كلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في كتابه إلى بني نهد ، الذي أورده ابن الأثير في كتاب « منال الطالب
في شرح طوال الغرائب » ص ٨ في سياق خبر وفادة طهفة ، وقبله : (لا يمنع
سرحكم ، ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم) إلخ . والكتاب أورده ابن شبة
في « أخبار المدينة » - ج ٢/٥٦٤ - ولم ترد فيه الجملة الأخيرة ، ولكنها وردت
في « الفائق » وفي « النهاية » وغيرهما .

- ١٢ - ص : ٤٣ : (الحَبْس موضع أو جبل في ديار بني أسد) .
 ثم في ص : ٤٤ : (الحَبْس جبل مشرف على السلماء) مع إيراد الشاهد .
 ثم في ص : ٤٥ : (الحَبْس جبل لبني أسد) .

١ - الأقوال جميعها تنطبق على موضع واحد هو الحَبْس ، ويسمى حَبْس القنان كما في كتاب « بلاد العرب » - ٣٩ - وهو جبل أسود غير مرتفع ، يقع في الشمال الشرقي من بلدة الفوارة في لِحْظِهِ من الشرق قرية تدعى بُقَيْعَاء ولهذا يُدْعَى سَمَارَ بُقَيْعَاء . (بقرب خط الطول : ٤٢/٥٥ وخط العرض : ٢٦/١٥) يقع في القصيم شمال وادي الرمة .

٢ - كلمة (السلماء) في جملة (مشرف على السلماء) صوابها (الثلماء) .

٣ - والجبل والثلماء كانا قديماً في بلاد بني أسد . وكلام ياقوت أصله في كتاب « بلاد العرب » للغدة الأصبهاني بهذا النص : - في الكلام على بلاد بني أسد - : ولهم الثلماء .. وهي في عطف الحبس أي بلزقه لو انقلب لوقع عليهم - إلى أن قال - وقال الشاعر في الحبس :

سَقَى الْحَبْسَ وَسَمِيَّ السَّحَابِ وَلَا تَزَلْ
 عَلَيْهِ رَوَايَا الْمَزْنِ وَالْدَيْمِ الْهَظْلُ
 وَلَوْلَا ابْنَسَةُ الْوَهْبِيِّ رَيْدَةُ لَمْ أَبْلُ
 طِوَالَ اللَّيَالِي أَنْ يُخَالِفَهُ الْمَحْلُ

٤ - وَحَبْسٌ سَيْلٌ : موضع آخر قال عنه ياقوت : الحبس بين حرة بني سليم والسواريّة وفي حديث عبدالله بن حبشي : تخرج نار من حَبْسٍ سَيْلٍ : قال نصر : حبس سيل : لإحدى حرتي بني سليم ، وهما حرتان بينهما فضاء .

وهو المكان الذي ثار فيه بركان سنة ٦٥٤ - فصل خبره السهمودي في « وفاء

الوفاء » - ج ١/١٤٠ وما بعدها - وأحدث سدًّا في وادي الشظاة أعلى وادي قناة يعرف الآن باسم السدِّ ، وباسم الحينس ، شرق المدينة وبلغ قرب جبال وعيرة ، وموقع هذا البركان بقرب خط الطول : ٣٩/٤٥ وخط العرض : ٢٠/٢٤) .

١٣ - ص : ٤٩ : (حُبَّاشَةُ سوق تِهامة القديمة ، وفي الخبر : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّهُ وليس له كثيرُ مالٍ استأجرته خديجةُ رضي الله عنها إلى سوق حباشة) .

هذا السوق يقع في صدر وادي قَتُونَا - الذي لا يزال معروفاً - جاء في « معجم ما استعجم » للبكري : وهي أكبر أسواق تِهامة . كانت تقوم ثمانية أيام في السنة ، قال حكيم بن حزام : وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضرها ، واشترت فيها بزًّا من بَزِّ تِهامة ، وهي من صدر قنونا ، أرضها لِبَارِقٍ . انتهى .

ولا يزال يقام في صدر وادي قَتُونَا سوقٌ أسبوعي ، يقع شرق ميناء القنفذة في صدر الوادي ، يقام يوم الأحد ، (يقع بقرب خط الطول : ٤١/١٥ وخط العرض : ١٩/١٠) عند مجتمع الطرق .

١٤ - ص : ٦٠ : (قال أبو العرندس العوذلي) .

سمَّاه الآمِدِيُّ العرندس من الأزدي بصريٍّ إسلامي وهو في « تاريخ ابن جرير » عمرو بن العرندس ج ٥/١١٢ - في خبر قتل عبد الله بن عمرو الحضرمي وإحراقه .

١٥ - ص : ٧٧ : (جبل المشاة طريقهم الذي يسلكون إلى الرول) .

جبل المشاة : هو جبل عرفة - الوارد ص ٧٦ - وهو موضع بعينه ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ركب حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة - « صحيح مسلم » باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم - وفسر النووي في « شرح صحيح مسلم »

جبل المشاة أي مجتمعهم ، وجبل الرمل ما طال منه وضَعُخَمَ ، وأما بالجيم فمعناه طريقهم وحيث يسلك الرجال . انتهى . وبعضهم فسر (جبل المشاة) بأنه إلالٌ جبل عرفة - كما في كتاب « القرى لقاصد أم القرى » - ٣٤٩ - .

١٦ - ص : ٨٠ : (الحُبَلُ موضع باليمامة ... وبين الحبل والحجر نحو خمسة فراسخ) .

١ - حَجَرٌ هنا غير مُعَرَّفٍ ، وهو قاعدة بلاد اليمامة قديماً ، وقامت مدينة الرياض موقعه ، والحبل ماء له قارات تضاف إليه ، ويقع في الشمال من مدينة الرياض على ما يفهم من كلام صاحب « بلاد العرب » قال : وإذا خرجت من حَجَرٍ تريد الكوفة فأول ماء تَرِدُهُ يقال له الحُبَلُ ، وهو في ناحية الثُقُف ، وهو ماء لرعاية اليمامة ، وبينه وبين حَجَرٍ نحو خمسة فراسخ ، ثم تخرج منه فترد الثُقُف وهي أرض خَشِنة ظاهرة حتى تأخذ بين بَنَبَانَ والعِرَض ، تدع بَنَبَانَ يميناً والعِرَض يساراً إلخ .

١٧ - ص : ٨٦ : (حَبَوْنَنُ : موضع باليمن من ديار مَذْحِج ، قال ابن مقبل (مخضرم) :

أَقَرَّتْ بِهِ نَجْرَانُ ثُمَّ حَبَوْنَنُ فَتَثْلِيثُ فَأَلْأَرْصَانُ فَالْقَرْطَانِ

(نجران وتثليث وما عطف عليه : مواضع ، وقيل : حبون اسم موضع بالبحرين) وانظر حبوني) .

حَبَوْنَنُ : اسم موضع ورد في قول الشاعر :

خَلِيلِي لَا تَسْتَعْجِلَا وَتَبَيَّنَا بَوَادِي حَبَوْنَنِي هَلْ لَهْنُ زَوَالُ
وَلَا تَيَاسَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَادْعُوا بَوَادِي حَبَوْنَنِي أَنْ تَهْبَ شَمَالُ

• • •

١ - حَبَوْنَنُ هو حَبَوْنَنِي ، قال أبو عبيدة في قول الفرزدق :

وأهل حَبَوْنِي مِنْ مُرَادٍ تَدَارَكْتُ وَجَرَمًا بِوَادٍ خَالَطَ الْبَحْرَ سَاحِلُهُ
قال : حَبَوْنِي مِنْ أَرْضٍ مُرَادٍ ، أَرَادَ حَبَوْنَنَ فَلَمْ يُمْكِنَهُ ، كَذَا قَالَ ،
ولكن اسم حبوني هو المعروف الآن .

٢ - الشعر في حَبَوْنِي يظهر أنه للسهمري اللّصّ إذ أورده صاحب « الأغاني »
في ترجمته ، كما أورده ياقوت قائلًا : أنشد ابن يحيى للسهمري ، وبعد البيتين :
وَلَا تَيَاسَا أَنْ تُرْزَقَا أَرْحَبِيَّةً كَعَيْنِ الْمَهَا أَعْنَاقُهُنَّ طِوَالُ
مِنَ الْحَارِثِيِّينَ الَّذِينَ دِمَاؤُهُمْ حَرَامٌ ، وَأَمَّا مَالُهُمْ فَحَلَالُ

٣ - وادي حَبَوْنَا - وينطقه العامة أيضا جبونة - من أشهر الأودية الواقعة جنوب
الجزيرة ، وهو يُتَخَيَّمُ وادي تَجْرَانِ مِنْ دُونِهِ ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْهُ ، إِلَّا أَنَّ وَادِي
نَجْرَانَ أَخْصَبُ ، وَحَوْضُهُ أَوْسَعُ ، فَوَادِي حَبَوْنَا يُحْتَرَقُ شَرْقِي السَّرَاةِ مِنْ قَرَبِ
قَرْيَةِ بَدْرٍ غَرْبًا مُتَجَهًّا صَوْبَ الشَّرْقِ ، وَمَجْرَاهُ ضَبِيقٌ مُحْصُورٌ بَيْنَ الْجِبَالِ ، حَتَّى
يَبْلُغَ الْأَرْضَ الْبَرَاخِ الْمُتَّصِلَةَ بِالرَّبْعِ الْخَالِي ، وَهِيَ ذَاتُ رَمَالٍ ، وَلَا مَاءَ فِيهَا ،
وَفِي الْوَادِي مِنَ الْمِيَاهِ الْخَضَارَةِ وَسُلُوى وَالْحَصِينِيَّةِ ، وَهِيَ آبَارٌ مَعْرُوفَةٌ (يَقَعُ وَادِي
حَبَوْنَا بَيْنَ خَطِي الطُّولِ : ٤٠/٣٣° وَ ٤٥/١٠° وَعَلَى خَطِ الْعَرْضِ : ٤٠°/١٧°) .

٤ - كلمة (وادعوا) في الشعر وردت في « معجم البلدان » : (وأسأل)
والمعنى واحد ، إِلَّا أَنَّ نَصَّ الشَّاهِدِ لَا يَغْيَرُ .

١٨ - ص : ٨٧ : عَنْ أُمِّ حُبَيْنٍ (وَتَعْرِفُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِالسَّحِينَةِ) .
إنها تعرف في نجد باسم أم حُبَيْنٍ .

١٩ - ص : ٩٨ : (الْحَبِيَا : مَوْضِعٌ (ل) بِالشَّامِ ، وَهُوَ بِالْحِجَازِ أَيْضًا ،
وَيُقَالُ لَهُ حَبِيَا (بِدُونِ أَلِ) .

قال الراعي النميري (٧٠٩/٥٩٠ م) يصف النوق :

جَعَلْنُ حُبِيًّا بِالْيَمِينِ وَنَكَبْتُ كُبَيْسًا لِيُورِدَ مِنْ ضَيْدَةَ بَاكِرٍ

نكبت : تجاوزت ، كبيس وضئيدة : ماءان) .

١ - اسم الموضع - كما يفهم من قول البكري في « معجم ما استعجم » حُبِّيُّ على لفظ التصغير ، لا الحُبِّيَّ ، وفرق بين الموضعين ، وأورد الشاهد على الأول : جعلن حُبِيًّا بِالْيَمِينِ .

٢ - نقل ياقوت في « المعجم » في رسم (الحُبِّيَّ) عن نصر : ربما قالوا : الحُبِّيَّ وهم يريدون الحُبِّيَّ ووقع خلط بين تعريف الموضعين يتضح من إيراد ما جاء في كتاب « تاج العروس » : حُبِّيُّ - كَسْمِيَّ - والحُبِّيَّ كَثْرِيًّا موضعان ، قال الراعي ثم أورد البيت ، وبعده قال : وكذلك حُبِّيَّات ، وأورد قول عمر بن أبي ربيعة ثم نقل عن نصر : حُبِّيُّ موضع تيهامي كان داراً للأسد وكنانة ، وحُبِّيَّ : موضع شامي ، وأظن بالحجاز أيضاً ، وربما قالوا : الحُبِّيَّ وأرادوا الحُبِّيَّ . انتهى .

٣ - الشاهد صريح يقرب حُبِّيَّ بِكُبَيْسٍ وضئيدة ، فالإبل نكبت كُبَيْسًا وجعلت حُبِيًّا بِالْيَمِينِ لِتُرِدَ ضَيْدَةَ .

وضئيدة لاتزال معروفة في شرقي القصيم ، وكُبَيْسٍ بقربها على ما حدد نصر في كتابه : الكبيستان شبكتان ابني عبس ، يكثران إذا كثر ماء المطر ، لهما واد بالنفّاخين حيث انقطعت حلّة النّجاج ، والتقت هي ورملة الشّقيق . انتهى ، والنّجاج وحلّة الشّقيق معروفان بموقعهما وكذا ضئيدة (ضيدة) قرية الآن مسكونة ، وكل هذه المواضع معدودة في إقليم القصيم من بلاد نجد .

حمد الحاسر

الحواشي :

(١) وهو في « ديوان الراعي » ص ١٠٤ - بين القنع والضفر طبع المجمع العلمي العراقي .

الأعراف اليمينية وصلتها بالقضاء القبلي

- ٢ -

١ - حالة البحث اليوم :

تُطلَق غالباً كلمة طاغوت على القضاء القبلي في اليمن . وهذه اللفظة كانت معروفة في الجاهلية ووردت مراراً في القرآن الكريم^(١) . وقد يستدل منها على أن هذا التشريع كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام . والشاهد أيضاً على قدمه أن القبائل اليمنية تسميه (أحكام الساف) . أما كلمة عُرُف المصطلح عليها في البادية فهي غير شائعة عند اليمنيين ، وهم يفضلون جمعها أي أعراف . وفي حضرموت يقولون السارحة أو السالفة في كلامهم عن العادة العُرفية ، ويعبرون عن القضاء القبلي نفسه بكلمة (فرع) ، وذلك لتمييزه عن (الشرع) الإسلامي الذي هو عندهم الأصل . والأغلب في هذا الجزء من اليمن الجنوبي أن تطلق على العادات القبلية كلمة (قَبُولَة) .

ولقد حارب الأئمة الزيديون الحكم القبلي باسم الإسلام وحاولوا أن يقضوا على الأصول السياسية التي كانت تدعمه ، فأوشكت مساعيهم أن تتكفل بالنجاح ، ولم يبق للقضاء القبلي من قوة تسنده سوى حرص الشعب على التقاليد ونمسه بأهدابها . ونراه يذب عنها وينزل العقوبات الأدبية والمادية بمن يخالفها عمداً .

ومن البديهي أن القانون القبلي غير مكتوب ، بل يأخذه الأبناء عن الآباء بالسماع والخبرة . وتختلف مواد هذا القانون بعضها عن بعض من منطقة إلى أخرى . ولكن هذا الاختلاف لا يمس جوهر القانون ويكاد لا يتعدى الكلمات الفنية وصيغة التعابير .

وعلى الرغم من تعلق أهل الأرياف ورجال القبائل بهذا القانون وحرصهم على الرجوع إليه لتصفية مشاكلهم فإن الأشخاص الذين يعرفون مواده في القبيلة الواحدة يعدون على أصابع اليد . وكادت أسرة حميد الدين أن تقضي عليه تماماً . ولكن الحرب الأهلية التي جعلت الريف يعيش في شبه عزلة ، بعيداً عن السلطة الرئيسية ، أعادت له بعض نشاطه السابق . ولكن العمل به ظل محصوراً في نطاق ضيق ، وهو يتناول خاصة كل ما يمس شرف القبيلي أو يسيء بسمعته أو يسود وجهه ، وهذا ما يعبر عنه رجال القبائل بكلمة (عيوب) .

وبعد أن نجحت الثورة وعاد السلام إلى ربوع اليمن ، فقد القانون القبلي من أهميته من جديد ، وذلك بسبب رد الفعل الذي أحدثته الصناعات الغربية في التركيب الطبقي القديم . فمن المعروف أن رجال القبائل كانت تتمتع بمركز اجتماعي هام بين سكان الريف . أما أفراد الطبقة التي تعمل بيدها لكسب معيشتها وخاصة التي تمتن الأعمال الوضيعة — مثل الحجام والحزار والدوشان والحمامي والحايك والعصار والمزين — فكانوا محقرين^(٢) . وأقرت الأعراف القبلية هذا الوضع الاجتماعي وأوجبت على أهل كل طبقة لزوم صناعة آبائهم وأجدادهم . بل لأنها حرصت على أن يكون الزواج بين أفراد كل طبقة لا يتجاوزونها . ولكن بعد أن فتح اليمن أبوابه أمام الحضارة الغربية أقبلت هذه الطبقة الممتنة على الصناعات الجديدة ورفعت من مستواها المادي والمعنوي بينما ظل القبلي معتصماً بكبريائه فأصبح مضطراً ، على رغم أنفه ، إلى التعاون مع أناس كان يحقرهم وهو اليوم دونهم علماً ومعرفة . وهذا التطور الاجتماعي الحديث من شأنه أن يقضي على التركيب الطبقي القديم ويعمل على إهمال الأعراف . والواقع أنها اليوم دخلت في دور النسيان ، في شمال اليمن كما في جنوبه ، وقل من يعرفها حتى بين رؤساء القبائل ، ويكاد لا يلم بها تماماً إلا بعض الشيوخ والحكّام الذين تعاطوا سابقاً أو لم يزالوا يتعاطون مهنة القضاء والإصلاح بين الناس .

ولقد أسعدنا الحظ أثناء بحثنا الميداني — الذي بدأ سنة ألف وتسع مئة وتسع

وستين ميلادية وطال عدة أعوام — بلقاء بعض كبار القضاة ، يقال لهم المناهي لأن الحكم النهائي يعود إليهم إذا لم يرض أحد الخصمين بالحكم الأول . ونخص بالذكر الشيخ يحيى عثمان ، من قبيلة بني صريثم الحاشدية ، بمدينة خمير ، والشيخ فيصل السري ، من قبيلة صُحار الحولانية ، بقرية صحن ، قريباً من مدينة صعدة . وفي حضرموت كان حديثنا مع السيد سالم سعيد بن العيث والسيد سليم بن عجبيل ابن عجاج .

وبوسعنا أن نؤكد أن جميع المعلومات التي حصلنا عليها أخذناها من مصادر أولية يوثق بها . ولكننا لم نعثر على أية وثيقة مخطوطة في موضوع القضاء القبلي على الرغم من السعي المتواصل في هذا السبيل ، إذ أكد لنا مراراً كبار رجال القبائل أن عند بعض الشيوخ وثائق مخطوطة وُضِعَتْ حَفَظاً للأعراف من الضياع . وهناك ، على ما يقال ، ثلاث مخطوطات : الأولى عنوانها : « أحكام ابن زنباع » ، والثانية : « كتاب السبعينيات » ، أما الثالثة فهي مجموعة من الأحكام لا عنوان لها . ومع أني زرت اليمن مراراً وتحدثت مع عدد كبير من رؤساء القبائل وشيوخ العشائر وبمّنت وجهي كل عارف بالقضاء قبل لي إنه يحفظ لديه مخطوطة بهذا الموضوع فإن جهدي لم يكتمل بالنجاح ، ولكنه لم يذهب سدى إذ أفاد البحث العلمي بالحديث مع كبار العارفين بالقضاء القبلي ، فحصلت منهم على معلومات قيمة وعديدة قد ينتج عنها يوماً كتاب عن الأعراف اليمنية . أما اليوم فإنني أكتفي بعرض سريع لها مع مقارنتها بنظائرها عند البدو .

٢- أصول الحكم القبلي في اليمن :

علينا أن نلاحظ باديء بدء أنه لا يمكن للمدعي أن يطالب ، في الوقت نفسه ، تطبيق الأحكام الشرعية والأحكام العرفية ، بل عليه أن يختار بين القاضي والعارفة . وذلك لأن الحكم الذي يصدر عن الأول قد يختلف اختلافاً كلياً عن الحكم الذي يقرره الثاني . ومن المعلوم أن الشرع يخول متولي القضاء حق إقامة الحدود وإنزال

العقوبات الجسمية في حالة وجوب القصاص . أما العرف فهو مربوط بالصلح يكاد لا يستطيع أن يتعداه وليس للعارفة أن يحكم بالقصاص بل عليه أن يختار الحل بين الحد والدية ، ولا يحق له أن يحكم بإعدام القاتل أو هدر دمه إلا في بعض الأحوال الاستثنائية ، ويصدر الحكم عندئذ عن مجالس القبيلة ويقوم بتنفيذه وليّ الدم .

ومع أن الهدف الذي يتوخاه العارفة هو إصلاح ذات البين فإنه قد يتزل بالحلاني أحياناً عقوبات صارمة لا يقرها الشرع . وهذا ما يحدث خاصة متى أساء رجل إلى امرأة ليست من أهل بيته . فالقضاء الشرعي ، في مثل هذه الحالة ، يكتفي غالباً بسجن المعتدي . أما العرف البدوي فإنه يرى في هذا الاعتداء ، ولو كان طفيفاً ، عيباً أسود ، وقد يفرض على المعتدي تعويضاً مالياً كبيراً يعادل دية القتل . فمن الواضح إذن أن المدعي لا يستطيع أن يطلب في آن واحد حكماً شرعياً وحكماً عرفياً .

ومن عادة أهل القبائل في اليمن أن يختاروا الحكم من رؤساء القبائل أو شيوخ العشائر خلافاً لعادات بدو الأردن حيث انفصلت السلطة القضائية عن السلطة السياسية . ولكن قد يقع الاختيار على رجل لا يتمتع بالسلطة السياسية على أن يكون بالغاً ، عاقلاً ، ذا سمعة طيبة ، عارفاً بالأحكام القبلية . وإذا أبان عن كفاءة ودراية في القضاء فإن اسمه يشتهر بين الناس ويقصده المترافعون ليفصل بينهم . إلا أن الجمع بين السلطتين القضائية والسياسية هو المألوف المشهور في اليمن . ويقال للرجل الذي يحكم وفقاً للعادات القبلية المُمَحِّكَم ؛ ويسمى أيضاً المُقَوِّل أي الذي له الحق بالكلام ، والمفوض . ويخال أن السلطة القضائية في حضرموت تكون عادة بين أبدي رؤساء القبائل ، ولذا يقولون للقاضي العرفي المُقَدِّم ، كلمة تطلق على شيخ العشيرة ورئيس القبيلة وسيد الطائفة ، وهي تضم عدداً من القبائل .

ويظهر أنه لا يوجد في اليمن رجال متخصصون يحكمون بنوع من الجرائم دون غيرها ، مثل القتل والجروح ، أو قضايا العرض وتقطيع الوجه ، أو الخلاف

على المواثي والأراضي ، كما هي الحالة في بادية الشام . وباستطاعة كل محكم أن يفصل بين المترافعين مهما كان نوع الخلاف . إنما هي شخصية المحكم ومكانته السيامية ومعرفته بالأعراف التي تضعه في مصاف كبار (القضاة) والواقع أن الاختلافات التافهة بين أعضاء الأسرة تعرض غالباً على (العاقل) أي الرجل الذي يمثل شيخ العشيرة وتكون له السلطة السياسية على (الحمولة)^(٣) . أما القضايا الهامة فإنها تعرض غالباً على رؤساء العشائر أو على شيوخ القبائل .

وعلى الرغم من الطابع البدائي الذي يمتاز به العرف القبلي اليمني فإنه يصون حقوق المترافعين ويحفظها من جور الحكام ، وكأني به استوحى أنظمته من القضاء الحديث . فالمدعي أو المدعى عليه يستطيع أن يستأنف الحكم إذا وجده مجحفاً بحقه ويطلب إحالة الدعوى إلى حاكم آخر . وهذا (القاضي) أرفع مرتبة من الأول ويسمى المُنْتَهَى في قبيلة بني صُرَيْم ، والمَرْد في قبيلة نِهْم البكيلية . ومن الممكن أيضاً نقض الحكم الجديد . وفي هذه الحالة تُعرض القضية على أحد كبار (القضاة) ، يُعرَف بالنَقَاف عند بني صُرَيْم (وهم يلفظون النَقَاف) ، كلمة عربية فصحي ، من نَقَفَ أي كسر الرأس لإخراج الدماغ : ولذا قيل للرجل صاحب النظر في الأشياء : النَقَاف لأنه يحسن تدبيرها . وفي العرف القبلي اليمني : النَقَاف هو الحاكم الذي يعيد النظر في الحكم الذي صدر عن المُحَكِّم وعن المنهي . أما في حضرةوت ، فالرجوع في هذه الحالة ، إلى مقدم الطائفة . ومن الغرابة بمكان أن على المحكوم له وعلى الذي أصدر الحكم أن يحضرا أمام المحكمة العلنية للمرافعة . ومن المخبرين من يؤكد أن في حالة نقض الحكم ، فعلى الحاكم المطعون في كلامه أن يتحمل نفقات مجلس القضاء الذي أصدر قراراً جديداً . بل عليه أيضاً أن يعيد (الرزقة) التي أخذها من المحكوم عليه ، على زعم بعض المخبرين^(٤) . ولا يمكن نقض حكم النَقَاف أي أنه يطبق وينفذ .

ونظام الحكم المتبع في اليمن قد يختلف بعض الاختلاف عما هو في البوادي . ففي الأردن مثلاً يعيش العارفة من مهنته ولا يرضى أن يحكم بين الخصمين قبل أن

يضعها (الرزقة) بين يديه . أما عند المزارعين في المرتفعات العليا اليمينية فقد يقيم الشيخ مجلس القضاء لوجه الله وللشرف والسؤدد . ولكن لا بُدَّ للمترافعين من تحمل بعض النفقات لضیافة المحكم وأعوانه أو لحضور الشهود من أماكن بعيدة . وسنرى أن للمال دوراً كبيراً في القضاء القبلي اليمني .

٣ - طريقة التحكيم :

متى أراد الطرفان أن يحسما الخلاف على الطريقة التقليدية فعليهما أولاً أن يختارا حَكَمًا . فإذا كانت المسألة ليست بذی شأن فإنهما يعودان إلى كبير الأسرة أو إلى (عاقل) الحمولة . وهذا المُحَكَّم يعمل على تذليل العقبات بالتی هي أحسن . أما الخلافات الهامة فإنها تُعَرَّضُ غالباً على شيخ العشيرة . ولكن قد تتعقد الأمور فلا يرضى الخصمان بالحكم نفسه ، أو قد يتهرب الواحد منهما من العدالة ، فعلى الذي يزعم أنه صاحب الحق أن يلتجئ إلى بعض الرؤساء ليرغم خصمه على المثول أمام القضاء . ولا يسع المدعى عليه عندئذ إلا الإذعان . وإذا حدثت نفسه بالعصيان فإن أسرته ترغمه على الطاعة لأنها المسؤولة عنه دماً ومالاً على حسب التشريع القبلي .

ومن شروط التحكيم أن يرضى الطرفان بالمحكم . فإذا رفض المدعى عليه الحَكَمَ الذي اختاره المدعي فبوسعه أن يرجع إلى غيره من القضاة ، على أن يصدر القرار عن الاثنين معاً وتكون له عندئذ قوة التنفيذ . وهناك طريقة أخرى لاختيار القاضي يعمل بها خاصة في خولان صعدة ونجد نظيرها في بادية الشام . وذلك أنه يقترح على المترافعين أسماء ثلاثة قضاة . فيقوم المدعي برفض واحد منهم ، ويرفض المدعى عليه محكماً آخر ، فتعرض القضية على المحكم الثالث . وتسمى هذه الطريقة عند بدو الأردن : الحَدَف .

ويطلب المحكم الذي رضي به الطرفان تفويضاً كتابياً منهما يخوله حق إصدار الحكم . وقد يكون التفويض شفهيّاً ، أمام عدد من الشهود ، وذلك حين افتتاح الجلسة ، إذا كانت المسألة المنظور فيها ليست بذات أهمية .

والحكم الذي يصدر بعد هذا التفويض يكون نافذاً إلا إذا ذكر المترافعان أنهما يحتفظان بحق الرجوع إلى محكم آخر إن لم يرضَ أحدهما بقرار المحكمة .

ومهما كان عدد المحكمين المفوضين فإنهم يطلبون من الخصوم أن يسلموهم قبل عرض القضية بعض الأسلحة (ويسمونُها العَدَل) كالبندقية أو الجنبية . وتطلب المحكمة منهم أيضاً تعيين الوكلاء .

والرجل اليمني ، عندما يسلم خنجره إلى مجلس القضاء ، يقوم بعمل كبير المغزى . فهو يعني أولاً أنه خاضع لأوامر المحكمة ، مستعد لتنفيذ قرارها ، إذ يضع بين يديها جنبيته ، رمز الحرية والمروءة . ولكنه في الوقت نفسه يعطي عربوناً قد يبلغ ثمنه المئات بل الآلاف من الريالات . وإذا فإن المحكم يصدر حكمه وهو واثق من تنفيذه لأن العربون لا يعاد إلى المحكوم عليه إلا بعد أن يعمل بقرار المحكمة .

وإذا كان الخلاف على أمر تافه قد نرضى المحكمة بالعدل وحده . أما في القضايا الهامة : فلا بدّ من تعيين الكفلاء . وهم — بصورة إجمالية — على نوعين : كفيل الوفا وكفيل الدفا . فالأول يضمن التعويض المالي الذي يحق للمحكوم له ، أما الثاني فيكفل المحكوم عليه من كل اعتداء قد يقوم به المجني عليه أو بعض أفراد أسرته بعد قبول الدية . ولنعط على ذلك مثلاً : إذا حكم مجلس القضاء على الجاني بالدية فإن كفيل الوفا يأخذ على عاتقه إيصال الأموال التي أمرت بها المحكمة إلى المعتدى عليه أو إلى صاحب الدم في الوقت المعين . أما كفيل الدفا فإنه يحمي الجاني وأهله من اعتداء وليّ الدم . وإذا أخلّ الموتور بشروط الحكم وأخذ بثأره بعد قبول الدية فإنه يسود وجه كفيل الدفا ، وعليه عندئذ أن يعطي دية (محدّثة) ، على حسب الاصطلاح المعروف عند القبائل اليمنية في الشمال ، أي إحدى عشرة دية ، خمس منها تسلم للكفيل وذويه تعويضاً لسواد الوجه .

٤- الرزقة :

قد يرضى شيخ العشيرة أو القبيلة بأن يصلح بين الناس للشرف والسيادة فقط ،

ولكن الذي مهنته القضاء لابد له أن يكسب عيشه من عمله . وكان المحكم (سنة ١٩٦٩) يتقاضى مئة ريال في الدعاوى الكبرى . ويضاف إلى رزقة القاضي تكاليف المحكمة من ضيافة وتعويض مالي للشهود والكفلاء .

وعلى الرغم من المنزلة الاجتماعية التي يتمتع بها المنهى والمردّ والنقّاف فإن رزقتهم دون رزقة المحكم . وذلك لأن الحاكم الأول يقوم بدور قاضي التحقيق ويسمع الشهود ويحلف الناس بين يديه ... أما الحاكم الذي ينظر بالدعوى بعده فإنه يكفي بنقض الحكم أو تثبيته وفقاً للأحكام المرعية . إلا أن النفقات الناتجة عن الضيافة تزداد كلما ارتفعت مكانة المنهى .

ويقوم الطرفان غالباً بدفع النفقات الناتجة عن الضيافة . أما رزقة القاضي فقد تدفع أيضاً مناصفة بين المدعي والمدعى عليه . ولكن إذا كان المدعي على ثقة تامة من حقه فإنه يطلب من المحكمة أن تكون الرزقة على المحكوم عليه ، لأن دعواه (هي دعوى الحق على الباطل) على حسب قول مخبري الشيخ يحيى عمران .

٥ - الدعوى :

وبعد أن يتم اختيار المحكم وبعد أن يضع الطرفان الودائع بين يديه - من بندقية أو جنية - وبعد تعيين الكفلاء ودفع رزقة القاضي ، في بعض الأحوال ، يعرض المدعي دعواه على المحكمة ويحجب عليه الخصم .

وليس لدى المحكمة لإثبات الحق إلا ثلاثة أنواع من البيانات : الإقرار والشهادة واليمين . أما البشعة فليست من مواضيع هذا البحث .

إذا أُخِذَ المتهم بالجرم المشهود أو لم ينكر ما يدعي به الخصم ، فالمحكمة تصدر حكمها دون أن تحتاج إلى غير ذلك من البينات . وهي لا تبحث عن الأسباب النفسية التي قد تكون دفعت إلى ارتكاب الجرم ، إلا إذا كان المتهم مختل الشعور أو به خبل أو جنون ، فإن المسؤولية الجنائية تسقط عنه عندها . ولكن لا بدّ لدويه من دفع الدية أو إعطاء التعويضات المالية المتعارف عليها .

ومن النادر جداً أن تصدر المحكمة حكمها استناداً فقط إلى أقوال الطرفين ،
إلا إذا أقر الجاني بجريته . ولكي تعلم بحقيقة الواقع تطلب من الشهود إفادتهم ،
بعد حلف اليمين .

والشهادة لا تقبل إلا بشروط : ومن أهمها أن يكون الشاهد ذكراً ، راشداً ،
بالغاً من العمر خمس عشرة سنة ، مالكاً لجميع قواه العقلية ، معروفاً بأمانته وصدقه .
ويمكن للخصم أن يرفض أحد الشهود إذا أثبت أنه :

عدو له .

أو سيء السمعة .

أو قد حكم عليه لشهادة زور أو سرقة أو زنا .

أو تارك الصلاة .

أو مطعون بشرف زوجته .

ومن الممكن أيضاً رفض شهادة أحد أقرباء المشهود له .

ولا تقبل الشهادة كميّة إلا إذا صدرت عن شخصين موثوق بهما . ولكن
المحكمة تأخذ بعين الاعتبار الشهادة الفردية إذا كان الشاهد من الرجال المعروفين
بحسن السمعة والشرف والدين . أما النساء فإن شهادتهن لا تقبل إلا في الدعاوي
النسائية ، ولا يحقّ لهنّ المثول أمام المحكمة في غير ذلك من الأحوال إلا إذا رضي
الطرف الثاني . والعرف يتبع الشرع إذ يقول : إن شهادة الأنثيين تعادل شهادة الذكر .

أما شهادة الوالد فلا تقبل إلا في بعض الأحوال الاستثنائية ، إذا كان مثلاً
الشاهد الوحيد لحادث هام . وفي هذه الحالة لا بدّ للشخص الذي شهد الوالد لصالحه
من حلف يمين بالله العظيم أن هذه الشهادة هي وفق الحقيقة .

وإذا لم يثبت ادعاء رافع الدعوى بالبيّنات المادية أو بالشهادة فالمحكمة تطلب
من المدّعى عليه أن يحلف اليمين . ويحلف عادة بالله العظيم ويضع يده على القرآن

الكريم . ويكون التحليف غالباً في المسجد . أما في صنعاء فإن اليمين الأعظم يكون بين المسمورة والمنقورة ، حجرين قائمين في الجامع الكبير . أما أهل الوبر ، وهم قليلون في العربية الجنوبية ، فقد يحلفون على أشياء تافهة يعتبرونها مقلعة مثل عامود البيت والماشية ...

وهناك أيضاً عادة (تركية اليمين) . ويكون ذلك متى حلف أحد أقرباء المدعى عليه ببراءة المتهم . فيجب في هذه الحالة أن (يُزكّي) الخالف اثنان من أفراد أسرته : أبوه وأخوه أو عمه ، أي أنهما يحلفان أنه صادق وأنهما بشاركانه في يمينه . وتعرف أيضاً القبائل اليمنية اليمين الاجماعي أو المشترك . ويكون ذلك إذا ارتكبت جريمة قرب قرية واتهم أهلها بها ، فعلى رجال القرية ، دون النساء والأطفال ، وبالأولى على عدد منهم لا يزيد على الأربعين ، أن يحلفوا مشتركين متضامين على براءتهم من هذه التهمة .

٦ - إصدار الحكم :

وبعد أن سمعت المحكمة ادعاء الطرفين وأقوال الشهود وأخذت بعين الاعتبار البيانات المقدمة تصدر حكمها . وهذا الحكم يكون مسطوراً في وثيقة ، ويقوم بكتابته عادة الأمين ، أي مساعد شيخ العشيرة ونائبه أحياناً . وهذه الوثيقة تتضمن تفاصيل الدعوى وإفادة الشهود وأنواع البيانات وصيغة اليمين ومقدمات المحكمة والحكم الصادر عنها ، مع تفاصيل التعويضات التي تحقق للمحكوم له . ويوقع على هذه الوثيقة المحكم وأعوانه . وليس من عادة القبائل اليمنية أن يقول الشيخ عند إصدار حكمه : (من عندي ومن عند القضاة الذين قبلي أقول ...) ، كما هي الحالة في الأردن .

وعلى الكفيل أن يعمل على تنفيذ قرار المحكمة وإلا امتنّهين شرفه وحطّ من مقامه . وتساعد أسرته كافة بل قبيلته جمعاء على أداء مهمته وترغم المكفول على احترام ما تعهد به الكفيل . وهناك طريقة خاصة باليمن لإرغام العاصي على الاذعان

وهي الضيافة ، شاء أو أبى ، إذ يحمل الكفيلان عليه ضيوفاً ويقيمان لديه في أكل وشرب إلى أن يخضع لأمر المحكمة .

والمشهور عن القضاء القبلي أنه لا يتوانى في إصدار حكمه وتنفيذه ، خلافاً للمحاكم النظامية . إلا أنه يعمل بسرعة أكبر في بعض الأحوال الجنائية الهامة مثل القتل أو الاعتداء على شرف المرأة . ونلمس هذه السرعة عندئذ ليس فقط عند طالب الثأر إذا مكنته الظروف ، بل أيضاً عند ممثلي القضاء ورؤساء العشائر . وحدث مرة خلال اجتماع كبير ضم قبائل أرحب البكيلية أن بعضهم انتهز الفرصة ليأخذ بثأره من عدوه ، على الرغم من حرمة الوقت ، فأطلق عليه رصاصتين وأرداه قتيلاً . فألقي القبض عليه واجتمع حلالاً مجلس الشيوخ واتفقت كلمتهم على الثأر ، على أن يقتل الجاني بأربع رصاصات : اثنتين للثأر واثنتين للعب . وقام أخو المقتول بتنفيذ الحكم فوراً . ولكن بما أن الجريمة وقعت خلال احتفال يحرم فيه كل عمل جنائي فإن الشيوخ حكموا أيضاً على أهل القاتل بدفع الدية لورثة القاتل ، وعليها أيضاً أن تذبح ستة رؤوس من البقر تعويضاً عن شرف أرحب ، لأن القاتل ارتكب عيباً كبيراً بخرقه حرمة العيد .

٧ - العيوب :

إن الأعراف اليمنية لا تتماشى دائماً مع القضاء النظامي فنراها تطعن أحياناً في أعمال لا يرى فيها الشرع العَرَبِي بل الشريعة الإسلامية نفسها أي مأخذ فهي تندد مثلاً بالقبيلي الذي يرفض قبول الضيف أو لا يدافع عن رفيق السفر أو لا يحمي جاره أو لا يحترم حق الحبز والملح أو يضع الكحل على عينيه أو يصبغ يديه بالخناء . فهذه الأعمال وغيرها تُعدّ عيوباً في المصطلح القبلي اليمني . إلا أن جزاء المخالف ليس مادياً بل معنوياً وأدبياً ، إذ لا يحق عليه القصاص في مثل هذه الأحوال ولكنه يفقد من مكانته الاجتماعية ولا يحترمه الناس ، وقد ترفض شهادته ولا يؤخذ كلامه بعين الاعتبار .

ولا تكتفي الأعراف اليمنية بالتنديد بمن لا يعمل وفقاً لأحكام الشرف القبلي ولكنها تنزل به أحياناً العقوبات المادية إذا تجاوز الحد وتطاول على مَنْ تجب عليه حمايته وتناوله بالشم والضرب . فهذا هو العار الكبير أو العيب الأسود ، على حسب المصطلح القبلي ، فهو يخلّ بشرف مرتكبه ويسقطه إلى أسفل الدرجات إذا ما اعتدى على جاره أو على الضعفاء من الناس كالمرأة أو الولد أو أحد أفراد الطبقة الاجتماعية الوضيعة كاللدوشان والمزين والحجام . وتفرض الأعراف على من ينتهك الشرف القبلي تعويضاً مالياً كبيراً يُعطى للمجني عليه ، يعادل أحياناً إحدى عشرة دية (وهم يقولون دية محدشة) . ومن البديهي أن أعمال العنف لا تتكافأ مع هذا العقاب الصارم ولكنها (تحدثت) بدورها لأنها أخلت بقواعد الشرف المرعية في المجتمع ، وما أكثر الأعمال التي تُسوّد العرض القبلي ! منها تقطيع وجه كفيل الدفا أو كفيل الوفا والاعتداء على رفيق السفر والأخذ بالثأر بعد قبول الدية .

ولا جرم أن الأحكام القبلية تقرّ الأخذ بالثأر ، بل إن العار يخلّ بالموتور الذي يتهاون بهذا الواجب ، ولكن عليه أن يتقيد ببعض القواعد وإلا انعكست الآية وزاد على عاره عيباً أسود . فعلى وليّ الدم الذي يصمم على الانتقام أن يرفض الصلح باديء بدء ليكون عدوه على حذر منه . ومتى مكنته الظروف من خصمه عليه أيضاً أن يندره ويبقي له المجال ليدافع عن حياته وأو رهزياً . فلا يحق له أن يثأر منه وهو نائم أو غافل عن أمره . ولا يجوز له أيضاً أن يطعنه في ظهره ، بل عليه ، بموجب أحكام الشرف القبلي ، أن يصيح عليه ويقول له : (واجه) ، ليعلم أنه يموت بئار فلان . وإذا لم يراع هذه التقاليد وقتل عدوه غيلة وعرف الناس بذلك وقع تحت طائلة القانون وعوقب . وتختلف العقوبة على حسب بدادة القبيلة . فعند بني صريم يحق عليه ديتان : دية القتل ودية العيب . أما في الجوف فإنهم علاوة على ذلك يحكمون عليه بقطع اليد لأنه بعمله هذا اقتدى بالسارق .

ومن أهم العيوب التي تخلّ بشرف مرتكبتها الاعتداء على المرأة أو (الشوفة) على حسب تعبير القبائل الحاشدية . وهذا الاعتداء قد يكون غير ذي بال ، بل قد

لا يؤبه له في المدن ، مثل إبداء الاعجاب بجمال المرأة . ولكنه عيب في العرف القبلي ولا بدّ لمرتكبه من تقديم ذبيحة أو ذبائح لغسل العار . أما إذا خطف المرأة وحاول الاعتداء على عرضها فإن عمله يعدّ جريمة كبرى كقتل العمد ويطارده أهل المرأة كما يطاردون القاتل . فإذا لم يرتكب الفاحشة فإنهم يطالبون بديتين ، أما إذا سطا على عرضها فهيهات أن ينجو من جنسية أحد أقربائها إلا إذا لاذ بالفرار واعتصم برؤوس الجبال . ومع ذلك فإنه لا يأمن على حياته إلا إذا (هَجَرَ) أي قدّم عدة ذبائح لذويها وأعطى الديات لأهلها وتزوجها شرعاً بعد أن رضي بعلمها بالطلاق ، لقاء تعويض مالي ضخم . وإذا كان الخطف بموافقة المرأة ، فالقبائل اليمنية الشمالية تعمل بقول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه السدم
أما في الجنوب وبالأحرى عند قبائل الحموم والمناهيل الحضرية ، فإن نظرهم إلى العلاقات الجنسية غير الشرعية كان متأثراً ، إلى سنوات خلت ، بالعادات الجاهلية ، منها الكسب وحرية اتخاذ الحدين لذات البعل ، كما بيّناه في الفصل الرابع من الجزء الثالث (تطور نظام القرابة) .

وأشدّ العيوب سواداً قتل المرأة بعد محاولة الاعتداء على عرضها . فلا بدّ في هذه الحالة من الأخذ بالنار . ولا يكفي أهل المرأة بموت الجاني ويطالبون أسرته بديتين . وإذا كانت المقتولة حاملاً فالدية تكون أربعة .

٨ - الخلاصة :

حاولنا في هذه الصفحات أن نعطي فكرة عامة عن الأعراف اليمنية ، ونأمل أن نخصص لها كتاباً شاملاً في المستقبل . وعلى الرغم من الإيجاز والاختصار فإن ما جاء في هذا البحث يظهر الصلة الوثيقة التي تربط هذه الأعراف بالقضاء البدوي^(٥) .

إن نظام الحكم القبلي في اليمن مبني على التحكيم . والمحكم قد يكون رئيس

عشيرة أو قبيلة وقد يكون رجلاً عارفاً بالعادات القبلية . ويجب أن يختاره الطرفان المتحاكمان . أما مهمته الرئيسية فالإصلاح بين المتخالفين والأمر بالتعويض المالي للمجني عليه ، وفرض الدية على الجاني في حوادث الضرب والقتل . ولكن لا يحق له أن يحكم بالقصاص ، كما لا يحق ذلك للعارفة في المجتمع البدوي . إلا أن الأعراف اليمنية تجيز لإعدام القاتل في بعض الأحوال الاستثنائية ، على أن يصدر الحكم عن مجلس القبيلة ويقوم بتنفيذه ولي الدم .

وتعطي الأعراف اليمنية المرافع الذي خسر الدعوى حق الرجوع إلى محكم آخر لنقض الحكم ، كما هي الحالة في البادية . إلا أنها تخوله أيضاً الحق (يجر) المحكم الأول أمام المنهى ، وفي حالة خلاف على القرار الجديد تعرض القضية على المرد أو على النقف . وعلى الكفلاء أن يحرصوا على تنفيذ الحكم . وإذا رفض أحد الخصمين تنفيذ قرار المحكمة يسود وجه الكفيل ويُعد عمله عيباً كبيراً . وهناك عدد من الأفعال تسمى عيوباً تسم مرتكبها بأقبح السمات . ومن أهم هذه العيوب خرق حرمة البيت والضيف والاعتداء على الرقيق والتحرش بالنساء وخطف المرأة والاعتداء على عرضها . ويعاقب القضاء البدوي ، كما تعاقب الأعراف اليمنية بصرامة شديدة مرتكب العيب الأسود . وقد تبلغ الدية في الحالات القصوى إحدى عشرة دية .

وهذه المقارنة السريعة بين القضاء اليمني والقضاء البدوي لا تعني أن المجتمعين يخضعان تماماً لنفس القوانين القبلية ، ومن السذاجة بمكان أن يسلم الباحث بمثل هذا القول وذلك بسبب اختلاف المحيط الجغرافي ولأن اليمن مرّ بأدوار تاريخية خاصة لم تعرفها البادية . وإذا كانت بعض القبائل اليمنية ، وبالأحرى بعض أفخاذ منها ، مثل قبائل نهم وعبيدة لا تزال على البداوة فإن الحياة البدوية تكاد أن تكون مجهولة في المرتفعات العليا حيث تهبط بكثرة الأمطار الموسمية . وعرف اليمنيون كيف يستغلونها فبنوا السدود وحفروا الآبار واستفادوا من امكانيات الجبال الزراعية فحولوا القسم الأكبر منها إلى مدرجات . ولكن على الرغم من الزراعة نرى أن

المجتمع اليمني القروي يتبع ترتيباً اجتماعياً مأخوذاً عن النظام القبلي . فهو منقسم إلى قبائل وعشائر وحمائل على رأسها الشيوخ والعقال وتربط بينها الأواصر الدموية . إلا أن هذه المجتمعات ، بسبب استقرارها بالأرض ، تطلق على الأماكن المأهولة اسم العشيرة التي تقيم فيها ، فيقولون مثلاً : بنو مطر ، بنو بهلول ، ذو حسين ، ذو محمد ... وعلاوة على ذلك تمتاز هذه المجتمعات بتركيب طبقي خاص إذ تضع الحواجز بين الطبقات الاجتماعية ، كما لو كانت متأثرة بالنظام الهندي أو بقوانين زرادشت (٦) .

ومن البديهي أنه لا يمكن لمجتمع ريفي يعيش على هذا الترتيب الخاص أن يقبل على علاته العرف البدوي الذي يستمد تقاليده من المحيط الصحراوي . ونرى تأثير الحياة الريفية في ميادين شتى مثل الحياة الاقتصادية والتراث . ولذا يرفض المزارع اليمني مبدأ الشفعة والبدأة الذي يُعمَل به في البادية ، فلا يحق للبدوي ، بموجب هذا القانون أن يبيع إلى شخص غريب فرساً أو ناقة إلا بعد موافقة جميع أفراد حمولته ، كما لا يحق له أن يزوج بنته إلى رجل من غير عشيرته ، بئسَ قبيلته . وإذا تمت عملية البيع دون استشارة الأهل والأقرباء يحسب لمن يريد منهم أن يدفع الثمن المتفق عليه ويحتفظ بالحيوان أو بالشيء الذي اشتراه الغريب ، كما يحق له أن يعطي المهر المطلوب ويتزوج (بنت عمه) وأن بُعدَ بينهما النسب . ولكن من الصعب العمل بهذا المبدأ في المجتمع القروي ، بل يستحيل تطبيقه في الأرياف حيث تقوم الأسواق كل يوم ويباع عدد كبير من السلع . إلا أن القرويين اليمنيين من أهل القبائل لم يزالوا متقيدين بهذا القانون عند بيع الأراضي ، كما أن لابن العم عندهم حقاً على بنت عمه .

وبالإضافة إلى ما تقدم كان أيضاً للأئمة الزيديين اليد الطولى في محاربة العرف البدوي باسم الدين ، فتخلص ظله وذهب رسمه من كل ما له علاقة بالأحوال الشخصية والميراث . ولكنهم أخفقوا أو كادوا يخفقون في منع زواج البدل أو

الشغار . أما أهل الوبر فإنهم يعملون به أيضاً دون تخرج ويَحْرِمُونَ الأنثى حقها من الإرث ويقولون : إن ابن العم أولى ببيت عمه .

ولا جَرَمَ أن الأعراف اليمنية تكاد أن تكون صورة معكوسة للعرف البدوي وهي مستقاة من النبع نفسه . إلا أن المجتمع القروي ، بسبب بيئته الخاصة وماضيه الثقافي لا يمكنه أن يتقيد بجميع أحكام الصحراء غير أنه لم يزل متمسكاً بكل ما له علاقة بالشرف وبياض الوجه ، ونقاء العرض .

د. يوسف شلحند

باريس ، المركز القومي للبحث العلمي

الحواشي :

(١) وردت هذه الكلمة ثماني مرات في القرآن الكريم : ست آيات منها مدنية ، أما الآيتان الأخيرتان فقد نزلتا في سورتين مكيتين (النحل والزمر) ولكن جاء فيهما آيات أوجت بعد الهجرة . وهذا ما يجعلنا نتساءل إذا كانت كلمة طاغوت من أصل يمني ؟ ومن جهة أخرى لا نعلم تماماً ما تشمل عليه من المعاني . فمن المفسرين من يقول : إن المقصود بها الأوثان . ويصف ابن هشام الطواغيت كأنها بيوت للأصنام كانت العرب « تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب » . إلا أننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لم يستقم تماماً هذا التفسير إذ جاء في سورة النساء : « يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » (الآية) . والتحاكم يعود بنا إلى القضاء والعرف . وهذا ما يجعلنا نميل إلى التسليم بالنظرية التي تقول : إن الطاغوت في الجاهلية يشير إلى الأعراف التي كان يُعْمَلُ بها قبل الإسلام .

(٢) وهذا الاحتقار قديم العهد . جاء في قصيدة لعبد الخالق بن أبي الطلع يهجو الأبناء :
وأنا الخيسر بأنهم لم يُحْتَقِسُوا إلا لبيسع بضائع وشـراء
ومعاصر ومجازر ومسداف تؤذي مجاورها بنسج مـلاء
(الممداني ، الاكلیل ١ ص ٤٨٢ ، طبعة بغداد ، ١٣٩٧ - ١٩٧٧) .

(٣) الحَمْوَلَة : كلمة وردت في الشعر الجاهلي . ومن ذلك قول طرفة بن العبد في معلقته :
عسى غير شيء قلنسه غير أنني تشدت فلم أغفل حمولة معبد
[ولكن بمعنى ما يتحمل الإنسان أداؤه]

(٤) لا بد من الإشارة إلى أن هذه المسألة ، أي ردّ الرزقة ، غير مُسَلَّم بها ، بل أن بعض المخبرين يخطئ من يقول بها (حديث مع الشيخ فيصل السري) .

(٥) انظر : يوسف شلحند ، القضاء في المجتمع البدوي ، باريس ، ١٩٧١ (بالفرنسية) .

(٦) رسائل لإخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ج ١ ص ٢٩٢ ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧ (الرسالة الثامنة : في قابلية الإنسان الصنعة) .

رحلة الوزير الشرقي الاسماعي المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣ هـ

- ٥ -

كنت أود إيراد جميع ما في هذه الرحلة مما يتعلق بالحج وذكر المشاعر المقدسة ووصف أحوال المدينتين الكريمتين ، ولكن اعترض ذلك أن المؤلف - عفا الله عنه - انغمس في تيار ما طغى في ذلك العصر من الجمود ، فأتى بعبارات وأقوال ونصوص وقصائد ، لا يستساغ نشرها ، وخاصة حين ذكر من اجتمع به من العلماء في مكة المكرمة ، وجلُّهم من المتصوفة ، ومعروف ما يتصف به هاؤلاء في ذلك العهد من أوصاف أقل ما فيها مجانفة ما عليه السلف الصالح من طريقة قويمية في أمور العبادة ، وهذا ما حمل على اختصار هذا الفصل من الرحلة والاكتفاء بذكر أسماء من اجتمع بهم من علماء ذلك العهد في مكة المكرمة ، مع الإشارة إلى ما لهم من آثار علمية ومن أراد الاطلاع على كل ما أورده عنهم فليرجع إلى أصل الرحلة .

فمنمّن التقى به في مكة المكرمة :

١ - السيد عمر باعلوي البارّ الحسني المتصوف ، وذكر أنه يمّني الأصل ، وأورد ما ذكره ابن جبير في رحلته عن (السرو) ناقلاً عنه ما نصه ^(١) :
وهم أهل جبال حصينة ، وقبائل شتى كَبَجيلة وغيرها ، عربٌ فصحاء ، جُفأة أصحاء ، لم تُعَدِّهم الرقة الحضرية ، ولا هذبتهم السيرة المدنية ، ولا سدّدت مقاصدهم السنن الشرعية ، ليس معهم من أعمال العبادات إلا صدق النية ، فإذا قَدِمُوا حُجَّاجاً تراهم يتطارحون على البيت الكريم تطارح البنين على الأم الشفيقة ، وفي أثناء ذلك تُصدّع ألسنتهم بأدعية تُصدّع القلوب ، وتفجر لها الأعين الجوامد ، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم يُؤمّسون على دعائهم ، متلقين لأدعيتهم من ألسنتهم .

وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هاؤلاء السَّوَّاءَ اليمينين ، وأننى عليهم خيراً وقال : « علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء » (٢) . قال ابنُ جبیر : وأما صلاتهم فلم يُذكر في مضحكات الأعراب أظرف منها ، وذلك أنهم يستقبلون البيت الكريم فيسجدون بدون ركوع ، وينقرون بالسجود نَقْرًا ، ومنهم من يسجد السجدة الواحدة ومنهم من يسجد السجدين والثلاث والأربع ، ثم يرفعون رؤوسهم من الأرض قليلاً ، وأيديهم مبسوطة عليها ، ويلتفتون يميناً وشمالاً التفاتاً مُرَوَّعاً ، ثم يسلمون أو يقومون دون تسليم ، ولا جلوس للتشهد ، وربما تكلموا في أثناء ذلك ، ورفع أحدهم رأسه من سجوده إلى صاحبه وصاح به ووصاه بما شاء ، ثم عاد إلى سجوده ، إلى غير ذلك من أحوالهم الغريبة . وذكر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يتحرى وقت طوافهم ، ويتحرى الدخول في جملتهم ، تبركاً بأدعيتهم فشأنهم عَجَبٌ كله .

وشاهدنا منهم صبيّاً في الحجّجر قد جلس إلى أحد الحجاج يعلمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص ، فكان يقول له : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فيقول الصبي : هو الله أحد ، فيعيد عليه المعلم فيقول له : ألم تأمرني بأن أقول : هو الله أحد ؟ قلت ، فكابد في تلقينه مشقة وبعد لا يي ما علقت بلسانه ، وكان يقول له : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ﴾ فيقول الصبي : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ، فيعيد عليه المعلم فيقول له : لا تقل : والحمد لله إنما قل : الحمد لله ، فقال الصبي : إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم أقول : والحمد لله للاتصال ، وإذا لم أقل بسم الله وبدأت قلت : الحمد لله ، فعجبنا من أمره ومن معرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله دون تعلم ، وأما فصاحتهم فبديةٌ جدّاً ، ودعاؤهم كثير التخشيع للنفوس ، والله يصلح أحوال جميع عباده . انتهى كلام ابن جبیر - مع بعض اختصار منه .

ورحم الله صاحب « القاموس المحيط » إذ قال في افتتاح خطبته : الحمد لله منطوق البلغاء بالثَغْنَى في البوادي ، ومودع اللسان أَلْسَنَ اللُّسُنِ الهوادي ، ونخصص عروق القيصوم وغضا القصيم بمالم ينله العَبْهَرُ والجادي . قلت : وفي دراسة باب الوصل

والفصل للذين اهتدى إليهما هذا الصبي بسليم فطرته وصَفَاء سَلِقَتِهِ بِأَدِيٍّ بَدَأَ شَابَتُ نَوَاطِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَمْ يُطْبَعُوا عَلَى تِلْكَ الْفَصَاحَةِ وَلَا مُنَحُّوا تِلْكَ الصَّبَاحَةَ : وَكَسْتُ بِنَحْوِيَّ يَلُوكُ لِسَانَهُ وَلَكِنْ سَلَبِيَّ أَقُولُ فَأَعْرِبُ

قلت : والسيد المبارك صاحب الترجمة ممن له قدم في الطريقة راسخة ، وهمة في الإعراض عن الدنيا شائخة ، يُفَكُّ فيها في الوحل ، ويطعم منها في المحل ، أخذ عنه ابن أختنا الفقيه النبيه ، السري الوجيه ، السيد العربي بن محمد بعض الأوراد ، على طريق تلقين الذكر ، وأخبرنا رضي الله عنه بنسبه تعديد الجملة من آبائه الكرام فضاع تقييده من أيدينا ، وهو شريف حسني من غير شك ، يدل عليه قوله في قصيدته التي أنشدناها بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم :

نَحْسَنُ أَضْيَافَكُمْ نَزَلْنَا عَلَيْكُمْ وَلَنَا رَحِيمٌ صَلَوْنَا وَعُودُوا
ونص القصيدة التي أنشدناها : (أوردناها كاملة وفيها من الغلو ما يحول دون ذكرها) .

٢ - الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد عقيلة المكي :

اجتمع به وأجازه وأورد نص الاجازة في حديثين ، أحدهما حديث معاذ بن جبل : إني أحبك ، والثاني : حديث المصافحة .

وذكر أن الشيخ محمد بن أحمد بن عقيلة توجه مع الركب الشامي إلى القدس ، ونقل عنه أن قبر عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - بجبل خرماني ، عن يسار الذهاب إلى عرفات ، قال : والناس يزدهمون على قبر آخر هنا بمكة وليس بقبره .

٣ - الشيخ الصوفي محمد بن علي بن فضل الطبري - هكذا نسب نفسه - شيخ المقام الخليلي ، ذكر أنه ملازم لداره في الشتاء والصيف لا يخرج منها ، وأنه اطلع على بعض مصنفاته ومنها « تفسير للقرآن العظيم » في ثلاث مجلدات ، و « منتهى السؤل في الصلاة على النبي الرسول » و « حرز الخشبي في حزب الصبح والعشي » ،

ووهب له المؤلفين الأخيرين ، وكتب على أحدهما إجازة مؤرخة في شهر الحجة سنة ١١٤٣ هـ .

٤ - تاج الدين الحنفي ، مفتي الحنفية :

لم يذكر اسمه وأورده في الإجازة (أبو الفضل محمد تاج الدين بن عبد المحسن الشهرير - ثم بياض - الحنفي ، وذكر أنه أجازة .

٥ - السيد عبدالله بن يحيى أفندي بن جعفر الواعظ ، وصفه بأنه من أهل الوجاهة بالحرم الشريف ، والتقدم فيما يهتم به من التوظيف ، وأورد له قصيدة في مدح عبدالله بن إسماعيل أمير المغرب ، مطلعها :

الحمد لله نلت السسولَ والوطرَ ياسيداً بالمُنَى من دهره ظفيراً
في ٣٧ بيتاً وذكر أن لصاحب القصيدة مرتباً عند سلطان المغرب وهو مئة مثقال ذهب مطبوعة ، تأتبه كل سنة مع أمير حاج المغرب ، وكان هذا المرتب لأبيه الشيخ جعفر .

٦ - زين العابدين بن سعيد المنوفي ، وصفه بأنه أديب العلماء وعالم الأدباء ، ذكر أنه قدم حاجاً من المدينة وأنَّ له في كلا الحرمين داراً ، الأصلية بمكة ، ثم انتقل إلى المدينة فاستوطنها ، وذكر أنه صنع مأدبة كبيرة دعى إليها الجفَلتى ، لم يترك شيئاً من أنواع الطعام والأشربة الحلوة إلا وأحضره ، وأنه كتب للمؤلف كتاباً إلى والده بالمدينة أن ينزله بداره ، ففعل ، وأنه ناوله أربعة مثاقيل من الذهب حين أراد الارتحال من المدينة ، فردّها ، وأورد من شعر زين العابدين قصيدة نبوية على حرف القاف ، وأنه ساجله الشعر في أحد مجالس الأنس .

٧ - تاج الدين بن عارف المنوفي ، وصفه بالدين والمروءة ، وأورد له أبياتاً من الشعر .

٨ - الشيخ عبدالله السكندراتي الضرير ، اجتمع به وحده بمصنفاته في التفسير والحديث وعلم الكلام ، منها تفسير بالنظم يزيد على ثلاثة آلاف بيت في الرجز وقال : إنه كان عزم على توجيه مؤلفاته إلى الغرب .

٩ - الشيخ محمد بن محمد بن سليمان الردائي :

ويحسن إيراد نص ما ذكره المؤلف عنه لأن والده من أعلام عصره وقد ذكر عنه ما قد يفيد في ترجمته ، قال : وممن لقيناه بالمسجد الحرام وتكررت مجالستنا معه أيام الإقامة بالحرم المبارك الفقيه الوجيه السري التزيه ، السيد محمد بن الفقيه العلامة الرحالة الزاهد الورع السيد محمد بن سليمان الردائي ، الذي كانت له الوجاهة والصيت الشهير بالحرمين الشريفين ، بل وفي البلاد المشرقية كلها ، وأخبار هذا السيد وأوليته ذكرها الفقيه الصوفي الراوية السيد عبدالله أعياش في رحلته (٣) ، وولده هذا له دار قرب المسجد الحرام ورثها من أبيه المذكور ، ملاصقة للحرم الشريف ، تُنسب فيه النسبة إلى سوسن بالكلية :

وما بلد الإنسان غير الموافق ولا أهله الأدنون غير الصدايق
وأَيُّ بلد أوفى من بلد جعله الله مثابة للناس وأمناً ، وأَيُّ أهلٍ أكرم وأعظم
وأفخم من أهلٍ يُسَمَّونَ جيرانَ الله : بجيرانها تغلو الديار وترخص .

وقد وقف معنا هذا الفقيه لشراء الدار المباركة التي اشترتها من أولاد العالم العلامة السيد عبدالله ابن سالم البصري ، وهي بباب العمرة أحد أبواب المسجد الحرام ، اشترتها أم مولانا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل الله رب العالمين - نصره الله - بثمن يقرب من ألف مثقال ذهب مطبوعة ، وحُبِّستْها على من يقرأ الختمة من القرآن في كل يوم ، وهم جماعة من الطلبة عيَّنوا لذلك والتزموا القيام به وعلى من يدرس صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - رضي الله عنه - انتدب لهذا الوظيفة الفقيه العالم السكندرائي المذكور ، واسم خراج الدار المذكورة في كل شهر على قسمة معينة ، كتبتُ لهم في حجة هي بأيديهم ، وصدرت - حفظها الله - ناظراً على ذلك الدار المذكورة والتصرف في استفادها المذكور التاجر الأرضي الحاج الخياط قصارة الفاسي ، أحد التجار المجاورين ، وكنت أنا عبدالله توليت عقدة الشراء من أولاد العالم المذكورين ، بتقديم لي على ذلك من السيدة - حفظها الله - وكنا ذهبنا للقاضي القادم من اصطنبول برسم كتَّبتُ عقدة الشراء ، واستظهرت برسم التوكيل من قبل السيدة على الشراء ودفع الثمن ، واستظهر النائب

عن البائع عن نفسه وعلى من إلى تَظَرَّهِ ممن شاركه من إخوانه في الدار المذكورة ، فقال القاضي : لا يمكن أن يُعَقَّدَ البيع بين وكيلين ، ولابدَّ أن يباشر العقدَ أحدُ المتبايعين بنفسه ، فيكون أصلاً والآخر فرعاً . فقلت له : أما السيدة المالكة فلا سبيل لكم إلى الاشهاد عليها استقلالاً . فعند ذلك وجه القاضي عدلتين فسمعا من البائع لأنه كان بحال المرض ألزمه الفراش ، فلما تَمَّ العقد ولم يبقَ إلا كَتَبَ الوثيقة قال القاضي : أو مَنْ نَابَ عنه : لابدَّ لنا من مئة ريال على هذه الحجة وهم يسمون العقد حجةً ، فلأياً بلأى ما اتفقنا على خمسة وعشرين ريالاً ، فدفعناها لهم فلما قبضوها قالوا : هذا حقُّ عقد البيع ونعمل مجلساً آخر لكتب عقد التَّحْبِيس ، فقلنا لهم تبارك الله ، وأرخينا لهم العنان حتى قبضنا عقدَ البيع وانصرفنا فكتبنا عقد التحبيس بشهادة أصحابنا العدول المغاربة نفاذاً من جور القاضي وعدُوله ، وذلك شيء لا بأس به عندهم ، هذا وكل واحد في يده قَضِيبٌ يشرب به الدخان ، وهو أيضاً شيء بتلك البلاد المشرقية تعمُّ به البلوى ، وعَرُّ أَدِيمِهِ شديدُ العدوى ، والقاضي بمكان يشرف منه على الكعبة المشرفة في سراجيب ، وذلك لعمرى من الأعاجيب ، حَدَّثْتُ عن البحر ولا حَرَجَ .

وهذه الدار من الحسنات التي جاءت بها هذه السيدة المباركة ، ولا شك أن الحسنة تعظم بحسب الزمان والمكان ، فالحسنة في هذه البقعة الشريفة ليست كغيرها ، وكم لها من حسناتٍ غير هذه ، ظاهرة وخفية ، في هذا الحرم المكي ، وفي الحرم النبوي — شرفهما الله وعظم حرمتهما — تقبل الله منها آمين .

وقد وصلت كثيراً من فقهاء البلد المكرم ، منهم الشيخ محمد الطبري إمام المقام الخليلي ، وكان كتب لها كتاباً نصه : الحمد لله الذي شرف السُّفَّارَ بنقل طيب الحديث والأخبار ، وأوقفهم على الأماكن المكيَّة والمشاعر الحرمية ، أحمده على عظمائه ، وأشكره على آلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تملأ المغرب والمشرق ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الرسول الصادق ، صلى الله عليه وسلم عليه وعلى من انتسب إليه . أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن فضل الحسيني الشافعي الطبري إمام المقام الإبراهيمي : لما كان سنة ألف ومئة وثلاث وأربعين حجت إلى بيت

الله الحرام ثمرة الشيوخ المعبرين المنتخبين من أكرم سلالة ، وأفلاذ أكباد العلماء المتغلبين بلبان الجلالة ، مغارس طابت في ربي المجد فألقت على الخلف معدن السؤدد وكيمياء السعادة وعنصر الحمد ، مفرق السيادة الملكة (خنائة بنت المرحوم المبرور الشيخ بكار المغفري) زوجة المرحوم المقدس مولانا السلطان إسماعيل - أعلى الله مقامه في الجنان - ورفع لهذه الملكة أعلام السيادة تُشَلَّى على مَرَّ الزمان . دخلت ليلة السادس بعد العشاء إلى مكة المشرفة ، وعليها السكنية مرفرفة ، راكبة في عجلها وهي في جلالة عظيمة ، وسيادة فخيمة ، في محفل من الأجناد ، وجمع من الأجواد ، ولهم زجل بالتلبية ، ووغيرٌ بالتسبيح والتقديس والأدعية ، فطافت طواف القدوم ، وطلعت إلى دارها المكروى المعلوم ، ثم إنها طلعت إلى عرفة ولهم دوىٌ بالتسبيح والتقديس ، وكانت الوقفة بالخميس ، ثم نزلت إلى منى فأقامت ثلاثة أيام ، وأكثرت من الهدى ، وبذلت الشراب والطعام ، ثم نفرت إلى مكة وجاءت بعمرة الإسلام ، وفي مدة إقامتها بمكة تنزلُ في جنح الظلام ، وتطوف بالبيت الحرام ، وتكثر من الصدقات على الدوام ، وبذلت بغير حصرٍ ، وأعطت عطاء من لا يخاف الفقر ، ولما فُتِحَت الكعبة دخلتها ، وأفضلت خدمتها ، ومدة إقامتها بمكة المعظمة سارت بسيرة مكرمة ، إلى وقت مدة لياليها والأيام وانقضت بسلام ، رحلت إلى دار مملكتها والكل إلى صنيعها شاكر ، ولها في كل حين ذاكر ، فالله يحملها بالسلامة ، ويسلمها من الآفات ويجعلها من الناجين يوم القيامة ، وإعالمي بهذه السيدة أنها كأبائنا الكرام إلى المدح ترتاح ، دَوَّنتُ لها هذه الأبيات الملاح : وأرجو منها القبول وعن التقصير السماح وهي هذه :

غَنَّتْ على عود السعود هزار	وشدَّ على الأوتار بالأوطار
والأنس طاب وطابت اوقات الهنا	بسلامة الحجاج والزوار
لاسيما بسلامة (الست) التي	حظيت ببيت الله والأستار
فلها المنى بطيب من قد جاورت	والأكرمون يرون حقَّ الجار
فاحت بها أرجاء مكة رغبة	ومحبة من سائر الأدوار

وهي الحقيقة بالجلالة في الورى
والله قد ألقى عليها دائماً
وهي الخليفة والكريمة مالها
ولها كمال وافر في عفة
فالله يحملها بحسن رعاية
ويغفها بسعادة وسيادة
وعلى النبي وآله وصحابه
ما غردت ورقُ الرياض بدوحيها
فجلالة الأضياف ليس بعار
حُسْنِ القبول كسيمة الأخيار
في الجود ثانٍ مثل غيثٍ جاري
ولها حياءُ فاق في المقدار
منه إلى مكناس بالأوطار
من كل سوءٍ ماضي أو طاري
صلى وسلم ذو الجلال البار
وترنمت ببشائر الأسحار
حرر في شهر الحجة سنة ١١٤٣ .

حين عزمت السيدة المباركة حفظها الله على شراء الدار المذكورة اختلف الناس
عليها وأكثروا فقال بعض المغاربة المجاورين ممن استند إلى بعض الحكام الجائرين :
لا يجوز بيع ديار مكة ولا شراؤها ، وقال آخرون ممن حذر مغبة الأمر ، من ذوي
النهي والأمر ... : نحن البراء من هذه الدار وشرائها ، فأرسلت إليَّ السيدة وقالت
لي : إني راغبة في هذه الحسنة ، فإن كان لها وجه في الشرع فلا تحرموني منها ،
وأنا قلدتك فقلت لها : هذه المسألة ما فيها بأس ، وجرى عليها قديماً وحديثاً عمل
الناس ، وها نحن نكتب لك ما قيل فيها من الفقه إن شاء الله ، فطلبنا بعض كتب
المالكية فكتبنا ما نصه : على نقل خليل في « مناسكه » والخطاب في « حاشيته » عليها
وغيرهما : فرُغَّ قال في « البيان » ولا خلاف عن مالك وأصحابه أن مكة افتتحت
عنوة ، إلا أنهم اختلفوا : هل منَّ على أهلها بها فلم تُقسَّمْ لما عظم الله من حرمتها
أو هل ... للمسلمين ؟ وعلى هذا جاء الاختلاف في جواز كراء بيوتها ، فروي
عن مالك فيه ثلاث روايات الأولى المنع والثانية الإباحة والثالثة كراهة كرائها في
أيام الموسم خاصة ، قال الخطاب : قوله قال في « البيان » الخ ، قال في المقدمات
في كتاب الدور والأرضين مثل ما ذكر عنه في « البيان » إلى قوله جاء الاختلاف
في جواز كراء بيوتها ثم قال في المقدمات : فالظاهر من مذهب ابن القاسم في
« المدونة » إجازة ذلك والظاهر من قول مالك في سماع ابن القاسم من كتاب الحج

منع ذلك^(٤) ... الداودي عنه كره كراءها في أيام الموسم . وقال اللخمي : اختلف قوله في كراء دور مكة وبيعها فمنع من ذلك مرة ، وحكى أبو جعفر الأبهري عنه أنه كره بيعها وكراءها فإن بيعت أو اكترت لم يفسخ ذلك فيتحصل في ذلك أربع روايات الجواز والمنع والكراهة وكراهة كرائها في أيام الموسم خاصة . وما ذكره المصنف عن « البيان » في رسم : حلف أن لا يبيع سلعة من سماع ابن القاسم من كتاب الحج .

وقال القاضي عياض وتقي الدين الفاسي : والقول بمنع ذلك فيه نظر ، لأن غير واحد من علماء الصحابة وخلفائهم عملوا خلافه في أوقات مختلفة ثم ذكر وقائع من ذلك عن عمر وعثمان وابن الزبير ومعاوية رضي الله عنهم . انتهى . وعلى القول بجواز البيع والكراء ، اقتصر ابن الحاج فإنه قال في منسكه : اختلف أهل العلم في كراء بيوت مكة وبيعها فذكر الخلاف بين العلماء ثم قال : وأباح طائفة من أهل العلم بيع رِباع مكة وكراء منازلها منهم طاووس وعمر بن دينار ، وهو قول مالك والشافعي ، ثم ذكر حجج كل قول ، وقال : والدليل على صحة قول مالك ومن قال بقوله قول الله عز وجل ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن » فأثبت لأبي سفيان ملك داره ، وأثبت لهم أملاكهم على دورهم . وقال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع : « هل ترك لنا عقيل منزلاً » يدل على أنها ملك لأربابها وأن عمر ابتاع دار الشحر (؟) بأربعة آلاف درهم ، وأن دور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدي أعقابهم ، منهم أبو بكر الصديق ، والزبير ابن العوام ، وحكيم بن حزام ، وعمر بن العاص وغيرهم وقد بيع بعضها وتصدق ببعضها ، ولم يكونوا يفعلون ذلك إلا في أملاكهم ، وهم أعلم بالله وبرسوله ممن بعدهم ، وتأول قوله : ﴿ سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِي ﴾ بالبيت خاصة ، قال في « الذخيرة » ومقتضى هذه المباحث والنقول يعني من أن أرض العنوة لا تملك أنه يحرم كراء دور ميصر وأراضيها ، لأن مالكاً صرح في الكتاب وغيره بأنها فتحت عنوة ، وتلزم على ذلك تخطية القضية لإثبات الأملاك ، وعقود الإجازات ،

غير أن أرض العنوة اختلف العلماء فيها هل تصير وقفاً بمجرد الاستيلاء أو للإمام قسمها كسائر الغنائم وهو مخير في ذلك ؟ والقاعدة المتفق عليها أن مسائل الخلاف إذا اتصل ببعض أقوالها قضاء حاكم تعين ذلك القول ، وارتفع فإذا قضى حاكم بثبوت أرض العنوة ثبت الملك ، وارتفع الخلاف ، وتعين ما حكم به الحاكم ، فهذا التقرير يطرد في مصر ومكة وغيرهما ونحوه في الثالث والمائتين (؟) وزاد بالقول بأن الدور وقف إنما يتناول الدور التي صادفها الفتح ، أما إذا تهدمت تلك الأبنية وبني أهل الإسلام دوراً غير دور الكفار فهذه الدور لا تكون وقفاً إجماعاً ومحيت . قال مالك : لا تُكسرى دور مكة لعل مالكا يريد ما كان في زمانه باقياً من دور الكفار التي صادفها الفتح ، واليوم قد ذهبت تلك الأبنية ، نعم يختص ذلك بالملك والشفعة في الأرضين فإنها باقية أبداً . انتهى . وقوله ابن الشاط ، وهذا القدر من النقل كاف في المسألة إن شاء الله وبه يندفع اعتراض المجاور الجائر وإلقاء كلامه وراء ، ونبذة بالعراء ، وهب أن المسألة ذات خلاف فمن أتى شيئاً مختلفاً فيه لا ينكر عليه إلا أن يكون المدرك ضعيفاً كما قاله الإمام المواقف في « سنن المهتدين » وغيره فإن من شرط المنكر أن يكون متفقاً على إنكاره ، أما المختلف فيه فلا حصة فيه ، ولا ينبغي الأمر بالمعروف أن يحمل الناس على مختاره واجتهاده ، على أن المسألة والحمد لله تناولها النصوص على مذهب مالك رضي الله عنه وعلى الخصوص إذ حكم لنا الحاكم قاضي مكة الحنفي بصحة البيع والشراء ونفوذهما ، وحسبك أن حكم الحاكم إذا اتصل بقول من الأقوال في مسائل الخلاف يرفع الخلاف ويلزم المصير إليه كما تقدم في القاعدة المتفق عليها ، ومن قلد عالماً لقي الله سالماً . وحين كتبنا هذه النقول وأنهيناها للسيدة المذكورة — أعزها الله — وعرفت مضمونها ومعناها تلقتهما بالرضا ، والقبول ، وأجمعت الشراء في الدار المذكورة والتحبيس ، ونبذت ما جاء به المجاور وغيره من التدليس .

(للحديث صلة)

الحواشي :

- (١) رحلة ابن جبير طبعة دار ومكتبة الهلال في بيروت ١٩٨١ ص ٩٨ وما بعدها وما هنا مختصر منها .
- (٢) هذا الحديث لم أر له ذكراً في كتب الحديث المعتبرة .
- (٣) يقصد عبدالله العياشي صاحب الرحلة المشهورة « ماء الموائد » .
- (٤) كذا ، وكتب في الهامش بياض في الأصل .

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

— ٨ —

كاظمة

— على وزن فاعلة من الكظم — : من المواضع المشهورة ، الواقعة شمال مدينة الكويت ، تُقَطَّعُ المسافة من الكويت إليها في ساعة ونصف بسير السيارة المتوسط ، وهي رأسٌ ممتدٌ في الخليج فيه فُرْصَةٌ صغيرة للسفن وأكواخ للصيادين^(١) .

وقد ألف الأستاذ الدكتور يعقوب الغُثَيم — وزير المعارف في الكويت — رسالة عن هذا الموضع ، نشرت منذ ربع قرن (سنة ١٩٥٨ م) .

وأكتفي هنا بإيراد بعض ما ورد عن العلماء المتقدمين عن هذا الموضع ، لأنه داخلٌ في مُسَمَّى البحرين قديماً .

ويبدو للباحث من تلك النصوص أن كاظمة كانت أشهر المواضع المعمورة قديماً في ساحل الكويت ، فقد كان الساحل يضاف إليها ، وكان فيها حصن ومنازل للتجار ، وكانت من المواني التي يَتَعَبَّرُ منها العرب في العهد الجاهلي إلى بلاد فارس ، كما ذكر ابن جرير وغيره^(٢) ونص كلامه : كانت بلادُ العرب أدنى البلاد إلى فارس ، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معاشهم وبلادهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة حتى أناخوا على أبرشيه ، وسواحل أردشير خُره ، وأسيف فارس ، وغلبوا أهلها على مواشيتهم وحروثهم ومعاشيتهم — ثم ذكر غزوة سابور ذي الأكتاف لبلاد العرب . وفي السنة الثانية عشرة من الهجرة ، حدثت في كاظمة وقعة بين جيوش المسلمين بقيادة خالد

ابن الوليد ، وبين الفرس بقيادة هُرْمُز ، انتصر فيها المسلمون ، وقتل خالدٌ قائدَ
الفرس .

قال في كتاب « بلاد العرب »^(٣) :

ثم تجوز إلى موضع يقال له المخارم ، حتى تهبط كاظمة وفيها يقول الراجز :
قُلْ لِحِمَالٍ مُحَرَّرٍ بَنٍ ذَرٌّ لَا تَوَمَّ فِيهِ اللَّيْلَةُ فَاسْبَطِرِّي
أَوْ تَرِدِي ثَنِيَّةَ الْمِجَرِّ الْجَوَّ مِنْ كَاطِمَةِ الْمُعْبَرِّ
وَأَهْلٍ مَاءٍ خَلِقُسُوا لِلشَّرِّ مُجَاوِرِي الْبَحْرِ بِهَا الْمُخَضَّرُ

وكاظمة على ساحل البحر ، وبها حصنٌ فيه سلاح ، قد أُعِدَّ للعدو ، وبها
تُجَارُ ودُورٌ مبنية ، وعامتهم تميم ، وثنيةُ المجرِّ هي التي تهبط منها على كاظمة .
وهي تسمى خرما كاظمة^(٤) .

ثم تتصلُّ من كاظمة فتُسند في الشَّجَّة .

وعدَّ الهمدانيُّ كاظمةً من شطوط بحر العرب ، مثل سفوان^(٥) .

ومعروف أن سفوان ليس على ساحل البحر الأحمر . وقال في وصف ذلك
البحر^(٦) : وامتدَّ إلى عَبَادَانَ ، وأخذ البحر من ذلك الموضع مُعَرَّباً مُطِيفاً ببلاد
العرب ، منعطفاً عليها فأثى منها على سَفَوَانَ وكاظمة ، ونفذ إلى القطيف وهَجَرَ ،
وأسياف عُمَانَ والشَّحْر . انتهى .

والهمداني نقل هذا الكلام ، وهو في كتاب « معجم ما استعجم »^(٧) منسوب
إلى محمد بن فضالة برواية أبي اسحاق الحربي عن عبد الله بن شبيب ، عن الزبير
قال حدثني محمد بن فضالة ، وهو في كتاب « المناسك » للحربي^(٨) .

وعرَّفَ البكريُّ في « معجم ما استعجم »^(٩) أنه ساحل ما بين عُمَانَ إلى البصرة ،
ومن كاظمة إلى الشَّحْر .

ونقل عن أبي مُجِيبِ الرَّبَّعِيِّ وعن الأصمعي^(١٠) : يخرج من البصرة على طريق المنكدر لمن أراد مكة ، فيسير إلى كاظمة ثلاثاً ثم إلى الدَّوِّ ثلاثاً ، ثم إلى الصَّمَّان ثلاثاً ، ثم إلى الدهناء ثلاثاً .

وذكر أن شروان حفر الخندق من هيت حتى يأتي كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر^(١١) .

وفي رسم كاظمة نقل عن يعقوب^(١٢) : وماء كاظمة ملح يصلح عليه الحديد . وعدت كاظمة من مياه بني شيبان . وقال : روى الطبري عن رجاله ، عن أبي عمرو الشيباني المحدث - واسمه سعد بن إياس - قال : أذكر أنني سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنني أرى إبلًا لأهلي بكاطمة .

وقال الأزهرى في كتاب « التهذيب »^(١٣) : كاظمة جَوْءٌ على سيف البحر ، في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركابا كثيرة ، وماؤها شروب ، وأنشدني أعرابي من بني كليب بن يربوع :
ضَمِنْتُ لَكُنْ أَنْ تَهْجُرْنَ نَجْدًا وَأَنْ تَحْلُلْنَ كَاطِمَةَ الْبُحُورِ

انتهى . وهذا البيت أورده الهمداني في « صفة جزيرة العرب »^(١٤) بهذا النص :
ثم معقلًا طویل ، وهو عن يمين سنام ، ثم كاظمة البحور ساحل ، وفيه يقول
فروة الأسدي :

عَدَتْهُنَّ الْمَخَافُ عَنْ سَنِحٍ وَعَنْ رَمْلِ النَّقَارِ فَهُنَّ زُورُ
ضَمِنْتُ لَهُنَّ أَنْ يَهْجُرْنَ نَجْدًا وَأَنْ يَحْلُلْنَ كَاطِمَةَ الْبُحُورِ

وقال الأزهرى^(١٥) أيضاً قال شمر : قال أبو عدنان : سألت أبا عبيدة عن الماء العد فقال لي : الماء العد بلغة تميم الكثير ، قال وهو بلغة بكر بن وائل : الماء القليل ، قال : بنو تميم يقولون : الماء العيد مثل كاظمة جاهلي إسلامي ، لم يترج قط .

وفي « معجم البلدان » : الكظم إمساك الفم ، والكاظم المطرق ، لا يُجيرُ من الإبل ، قال :

فَهْنٌ كُظُومٌ مَا يَفِضُنْ بِجِرَّةٍ لَهْنٌ بِمُبْيَضٍ اللُّغَامِ صَرِيفُ

— ثم أورد كلام الأزهري ، وزاد فيه : وماؤها شرّوب واستسقاؤها ظاهر ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها فمنه :

يا حَبَدَا الْبَرْقُ مِنْ أَكْنَافِ كَاطِمَةٍ
يَسْعَى عَلَى قَصَرَاتِ الْمَسْرِخِ وَالْعُشْرِ
لِلَّهِ دَرْ بِيُوتٍ كَانَ يَعْشَقُهَا
قَلْبِي وَيَأْلِفُهَا إِذْ طَيَّبَتْ بَصَرِي
فَقَدَتْهَا فَقَدْ ظَمْآنٌ أَدَوَاتُهُ
وَالْقَيْظُ يَحْدِفُ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْشَّرْرِ
أُمْنِيَّةُ النَّفْسِ أَنْ تَزْدَارَ ثَانِيَّةُ
رِحَالِنَا وَالْأَمَانِي حُلُوةُ الشَّمْرِ

انتهى (١٦) كلام ياقوت .

أما قول الأستاذ أحمد الشرباصي في كتاب « أيام الكويت (١٧) » : ولم يتحدث عنها — يعني كاظمة — ياقوت في معجمه ، فيظهر أنه من قبيل الغفلة .

والقول بأن كاظمة من مياه بني شيبان يخالف ما ذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » وهو يذكر مياه بني مالك بن سعد بن زيد مائة بن تميم : منها مُسَلَّحَة ، والوفراء ، وكاظمة ، وكانت بنو شيبان وغيرها من قبائل ربيعة منتشرة في شرق الجزيرة ، حتى أزاحتها قبيلة بني تميم عند ظهور الإسلام .

وحدثت بين القبيلتين وقعاتٌ معدودة في أيام العرب ، فاستقرت بنو تميم في هذه البلاد ، ولهذا ورد ذكرُ كاظمة في شعر الفرزدق كثيراً لأنها من منازل قومه ،

وفيهما قبر أبيه غالب ، وحين هرب من زياد سنة خمسين التجأ إلى امرأة من بني بكر ابن وائل ، كانت تنزل في قصبة كاظمة ، فلما لحق به الطلب سلكته من كيسر البيت فنجا ، ولم يقدر عليه^(١٨) .

ومن لطيف شعر الدكتور عبد الوهاب عزام ، - رحمه الله - لما زار كاظمة في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٧٢ (١٩ يناير ١٩٥٢) .

بِكَاطِمَةَ طَوَّفْتُ فِي مَيْعَةِ الضُّحَى وَقَلْبِي إِلَى الْمَاضِينَ جَمُّ التَّشَوُّقِ
أَكَادُ أَرَى فِي رَمْلِهَا قَبْرَ غَالِبٍ وَأَسْمَعُ فِي الْأَفَاقِ شِعْرَ الْفَرَزْدَقِ

ومن شعر الفرزدق :

وَنَاجِيَةُ الْخَيْرِ وَالْأَقْرَعَانِ وَقَبْرُ بِكَاطِمَةَ الْمَوْرِدِ

وقوله :

وَمَا عَلِمَ الْأَقْوَامُ مِثْلَ أَسِيرِنَا أَسِيرًا ، وَلَا أَجْدَافِنَا بِالْكَوَاظِمِ

وقوله : في يوم كاظمة^(١٩) :

لَقَدْ رَجَعْتُ شَيْبَانُ وَهِيَ أَذِلَّةٌ
خَزَائِباً فَقَاطَتْ فِي الْوِثَاقِ وَفِي الْأَزْلِ

وَكَانَ لَهَا مَاءُ الْكَوَاظِمِ غُرَّةً
وَحَرْبَ تَمِيمٍ ذَاتَ خَبَلٍ مِّنَ الْخَبَلِ
فَمَا رُمْتُمْ حَتَّى لَقِيْتُمْ حِمَامَكُمْ
وَأَبَ مَوْلُوكُمْ فِرَاراً مِّنَ الْقَتْلِ

وقوله :

وَبَالَيْتَ زَوْرَاءَ الْمَدِينَةِ أَصْبَحَتْ بِأَحْفَارِ فَلَجٍ أَوْ بِسَيْفِ الْكَوَاظِمِ

وقوله :

رِعَاءُ الشَّاءِ زَبْدُ مَنَاءَ كَانُوا بِكَاطِمَةَ الْعِرَاقِ بَنِي لُكَاعَا

وورد اسم كاظمة كثيراً في أشعار المتأخرين . وقد تَرَدُّ بلفظ الجمع كما في قول الفرزدق المتقدم ، وقال ابن رُمَيْلَةَ :

لَوْ كُنْتَ ذَا لَوْثٍ مِنَ الْعِيرِ لَمْ تَعُدْ
بِقَيْسٍ ، وَلَمْ تَحُلْ بِسَيْفِ الْكَوَاطِمِ^(٢٠)

الْكُتَيْبُ

— بضم الكاف وفتح التاء المثناة الفوقية ، وكسر المثناة التحتيّة وآخره باء — : هو الاسم القديم لقرية المركز الواقعة جنوب الرُمَيْلة ، وكانت القرية مَحَلَّاتٍ أربع إحداها : المركز وقد درست تلك المحلات ، ولم يبق سوى محلة المركز . وكانت في منتصف القرن الماضي عامرة .

قال مقبل الذكير : الكتيب قرية صغيرة ، تبعد عن الهفوف شرقاً ساعتين أو أقل ، وسكانها يقدرون بـ ٤٠٠ أو ٣٠٠ نسمة ونخيلها قليلة ، وأرضها ليست بالجيّدة ، وماؤها قليل . وحاصلاتها من التمر أربع مئة وخمسون منا ومن الحنطة سبع مئة وثلاثون قیاسة ، وليس فيها مزارع أرز لقلة المياه وفيها بيت مال يبلغ ضمانه ثلاث مئة وعشرة أمان ، يقطع عليهم بنازل ريالين عن السعر لرداءة التمر . وبساتين أهلها خمسة وسبعون ، ومزارع الحنطة ستة عشر — انتهى .

الكتيب

ذكر ابنُ الفقيه الهمداني أن الكتيب الأكبر والكتيب الأصغر من قُرى بني محارب من عبد القيس في البحرين . وكذا في « معجم البلدان » وفيه : (وموضعان هناك) وقد أورد الاسم بالتاء (كتيب) ثم أعاده بالتاء المثلثة ، مما يدل على شكه في ضبطه . وورد هذا الاسم في « التكملة » للصغاني — بالتاء المثلثة^(٢١) . ولا أستبعد أن يكون هو الموضع المعروف الآن بالكتيب فالعامّة كثيراً ما ينطقون التاء تاء ، ويُستأنس لهذا بأن ابن الفقيه الهمداني عدّ الكتيب والطربال من قُرى بني محارب ،

مما يفهم منه وقوع القريتين في جهة واحدة ، والكتيب والطربيل كذلك فهما من قرى المهفوف ، واقعتان في الجنوب الشرقي منه .

كُحَيْلِيلَةُ

— بضم الكاف بعدها حاء مهملة مفتوحة فياءان ساكتتان بينهما لام مفتوحة ، وآخره لام فهاء — : خبراء من خَبَارِي الصُّلْبِ ، تقع شرق الشُّمْلُول ، جنوب خبراء أم المِصْرَان ، بقربها .

الْكُدْدُ

— بضم أوله وفتح ثانيه ، في « معجم البلدان » : موضع قرب أواره ، على مسافة أيام من البصرة . وكذا في كتابي نصير والحازمي ، مع وصف الأيام بأنها يسيرة .

الْكِدَنُ

— بكسر الكاف وفتح الدال المهملة وقد تسكن وآخره نون — : صحراء واسعة منخفضة واقعة في الربع الخالي الشمال الشرقي . يحفُّ بها شمالاً البطين وسهول الظفرة ، وجنوباً العروق المعترضة ، (في الربع الخالي) وهي ممتدة شرقاً .

ويحدها غرباً المحراض والعروق المهلكة (في الربع الخالي) .

وجاء في الكتاب المتعلق بقضية البريمي ما نصه^(٢٢) : إلى جنوب البطين تقع الكدن ، وهي أبعد مناطق الظفرة إلى الجنوب . ونَقِيَّانُ الكدن لا تبلغ نفس الارتفاع الذي تبلغه نقيان البطين ، مع أنها ترتفع إلى علو يذكر ، وفي الكدن مراعي خصبة تنمو بعد هطول المطر ، كما أن فيها موارد مياه هامة وتشكل القريني وهي مورد مياه جاء اسمها من نقا عال يقع في جواره ، نقطة تحول على خط الحدود الذي تطالب به أبو ظبي . وتقع القريني في الجزء الجنوبي من الكدن على بعد نحو ٢٢٥ كيلاً من الخليج .

كران

جزيرة تقع في الشمال الغربي من جزيرة (أبو علي) في وسط البحر ، بمحاذاة رأس السفانية شرقه ، وبقرتها جزيرة صغيرة تدعى كرين .

الكرُسُوع

— بضم الكاف بعدها راء ساكنة فسين مهملة مضمومة فواو ، فعين مهملة — :
من مياه قبيلة آل مُرَّة ، بمنطقة الدكاكة ، في الربع الخالي .

كَسْكُوسُ

— تقع جزيرة كسكوس شرق ميناء الدمام غير بعيدة ، غربي فَشْتِ الجارم ، ورد ذكرها في شعر ابن المقرب ، وقد ذكرت في رسم (جزيرة) .

الكَعْبَةُ

على اسم الكعبة شرفها الله — : موضع بالقرب من بلدة سبهات ، بينها وبين قرية الجش الواقعة إلى الشمال الغربي منها . يقال : إنه المكان الذي بنى فيه أبو طاهر القرمطي بناءً وضع فيه الحجر الأسود ، حين نقله من الكعبة سنة سبع عشرة وثلاث مئة من الهجرة .

ولم أر — فيما اطلعت عليه من الكتب ما يؤيد هذا ، وما أراه اختار لذلك سوى قاعدة ملكه وكانت الأحساء .

ويطلق اسم الكعبة أيضاً على عين تسقي الجش وسيهات .

ومن أهل تلك الجهة من ينطق الاسم بالجريم (الجعبة) .

كَفَرِيَّةُ

— بفتح الكاف وإسكان الفاء وكسر الراء بعدها مثناة تحتية مفتوحة مشددة

فهاء - : ماء يقع غرب جبل الحرسانية ، بينه وبين جبل الفيضة . شمال ميناء الجبيل
(عينين قديماً) .

الكُفْلَةُ

-- بضم الكاف وإسكان الفاء وفتح اللام وآخره هاء - : ماء يقع شرق القصباء ،
شرقي رمل عرق الكفلة ، شرق عروق الدَّحْي ، وشمال رملة السحمة في الربع
الخالج .

الْكِلَابِيَّةُ

- بكسر الكاف وفتح اللام وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية مشددة بعدها
هاء : قرية مشهورة من قرى المُبَرَّز .

وتقع قرية الكلابية شرق مدينة المبرز بمسافة تبلغ مسيرة ساعة ونصف على
الدواب . وتقع في فضاء من الأرض ، تحفُّ بها الرمال من جميع جهاتها ، بحيث
تراكت على كثير من الأبنية القديمة منها فغمرتها .

وتقع غرب جواتا بميل نحو الجنوب بنحو مسيرة ساعة شيئاً على القدم وهي
أقرب القرى المعمورة إلى موقع جواتا .

قال في « تاريخ الأحساء »^(٢٣) : « ومن سكانها آل زُرَيْق ، ينتمون إلى بني نهد
ابن زيد من قضاة . انتهى .

وجاء في « دليل الخليج » : في ذكر قرى الأحساء : الكلابية : تقع على مسافة
ميل شمال غربي الحليّة .

قرية بها مئتان وخمسون منزلاً حيث أن ثلثي السكان سنة والباقي شيعة ، وبعض
من بني خالد سنة والمذكورون منحلرون من المقدام . تقع على الحدود الزراعية
بالامتداد الشمالي لحدودها ،

كِلَاخُ

- ينطق بكسر الكاف وفتح اللام بعدها ألف فحاء معجمة - : ماء يقع في

السام ، في الشمال الغربي منه ، في الربع الخالي شمال الدؤيرس ، وجنوب هرة .

كَلَح

قال الأزهرى في « التهذيب »^(٢١) : وفي بيضاء بني جذيمة ماء يقال له كَلَح ، وهو شروب عليه نخل بعل ، قد رسخت عروقه في الماء . انتهى .

وبيضاء بني جذيمة تعرف الآن باسم البياض ، وقد تقدم تحديد موقعها .

الْكُمْعَةُ

جَوٌّ فيه سِدْرٌ في أعلى وادي الفُفَاوِ الجنوبي ، غرب اللصافة من جِوَاء الصَّمَانِ . وبعضهم ينطق الاسم بالقاف (القمعة) .

كَتْرَانُ

بكاف مفتوحة ونون ساكنة بعدها زاي مفتوحة فألف - : موضع يقع شرق شمال الأحساء .

ويقع كتران في الشمال الشرقي من موقع جواثا ، البلدة القديمة ، وهو آكام ممتدة (جال) يشاهد من جبل القارة وما حوله ، وقدر المسافة صاحب كتاب « دليل الخليج » بين كتران وبين الحفوف بعشرة أميال ، وأنه شمال جبل القارة بخمسة أميال . وذكر أن في كتران بئراً فيها ماء ، وأن للبدو في ذلك الموضع مُحْخِيماً - أي أنه من الأمكنة التي اعتاد البدو نزولها وقت الصيف .

وشُهر كتران بالوقعة التي حدثت فيه بين الملك عبد العزيز آل سعود وبين قبيلة العجمان سنة ١٣٣٣ (١٩١٥ م) وملخص الواقعة على ما جاء في كتاب « نجد الحديث وملحقاته » للريحاني^(٢٥) أن الملك عبد العزيز في صيف ذلك العام قدم الأحساء بفرقة صغيرة وحشد جيشاً من أهل الحساء ، وزحف بهم مُتَقَفِّياً أثر العجمان ، وكانوا عندما علموا بقدومه رحلوا تجاه قطر . وقد كان الحر شديداً فأَسْرَوْا فوصلوا مكاناً يسمى كتران ، كان العدو معسكراً فيه ، وكانت أشجار النخيل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر ، فشرعوا يطلقون عليها الرصاص ، وسكت العجمان وراء النخيل حتى أنقذ المهاجمون ذخيرتهم على الأشجار ، ثم

خرجوا من مكانهم فتلاحموا طيلة الليل في غير الك ، وكانت الفوضى سيدة الظلام ، جرح عبد العزيز ، وقتل أخوه سعد ، ودارت الدائرة على رجاله ، فعادوا منهزمين إلى الحساء ، فتفاهم العجمان ، ونزلوا قرب الهفوف فحاصروها ثلاثة أشهر . انتهى .

كنهرة

قال الأزهرى في « التهذيب »^(٢٦) : وكنهرة موضع بالدهناء ، بين حبشتين ، فيها قِلاتٌ تملأها السماء . والكنهورُ منه أخذ . انتهى .

ومثل هذا في كتاب « التكملة »^(٢٧) إلا أن فيهما : بين جبلين - والدهناء رمال لا جبال فيها - وفيها جبال رمل . ولم أسمع لهذا الموضع ذكراً . واكتفي لا أستبعد أن طريق الكُنْهَرِي ذو صلة به ، فهو طريق يخرق الدهناء ، ممتداً من ميناء الجبيل (عينين قديماً) ماراً بِعَيْبِنَةِ كَنْهَل ، والعامية يبدلون اللام راء (كنهـر) وهذه غير التي ذكر الأزهرى ، ويمر بِمَعْقَلَةٍ ، ثم يقطع الدهناء حتى منهـل رُمَاح ، الذي أصبح الآن بلدة . ليس من المستبعد أن يكون هذا الطريق أثناء اجتيازه الدهناء يمر بكنهرة التي ذكر الأزهرى أنها فيها . وكنت قبل اطلاعي على نص الأزهرى ذكرت في الكلام على (درب الكنهري) : كأنه منسوب إلى كنهـر ، وهي عين كنهـل المعروفة التي يمر بها وقد يكون هذا صحيحاً .

وفي « تاج العروس » : الكنهور من السحاب قطع كالجبال ، أو المتراكم ، والضخم من الرجال ، والناقة العظيمة . وقال أبو عمرو : كنهرة - كمرحلة - موضع بالدهناء ، بين جبلين فيها قِلاتٌ يملأها ماء السماء . والكنهور منه أُخذَ . انتهى ملخصاً .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الخازمي (٥٤٨/٥٥٨٤هـ)

- ٣٥ -

٢٠٩ - باب : جِمَارٍ ، وَجَمَّارٍ ، وَجِمَارٍ
وَجَمَّارٍ : وَجَمَّارٍ ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بِكَسْرِ الْجِيمِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ - : الْجِمَارُ الثَّلَاثُ
بِئَمْنَى ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي - بَعْدَ الْجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ مِمَّنْ مُشَدَّدَةٌ وَآخِرُهُ
زَايٌ - : بَلَدٌ بَحْرِيٌّ فِي جَزِيرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ الْبِئَمْنِ ^(٣) .

الحواشي :

- (١) « أيام الكويت » للشيخ أحمد الشريافي - ٤٧٥ .
- (٢) « تاريخ الأم والملوك » : ٥٥/٢ . (٣) ص ٣٢١/٣٢٠ .
- (٤) وذكر البكري في « معجم ما استعجم » أن غرم بفتح الراء مشددة - موضع في كاظمة .
- (٥) : ٢٦٨ . (٦) : ٥٧ .
- (٧) - الطبعة الثانية . (٨) : ٥٠٣ .
- (٩) : ٥٣٢ . (١٠) رسم الصمان وكاظمة .
- (١١) رسم عانات . (١٢) لعله ابن السكيت .
- (١٣) : ١٦١/١ . (١٤) : ٢٨٠ .
- (١٥) « تهذيب اللغة » : ٨٨/١ . (١٦) - ص ٤٧٥ .
- (١٧) : ٣٥٠ . (١٨) « تاريخ الأم والملوك » : ٢٤٥/٥ .
- (١٩) شرح ديوان الفرزدق - ص ٦٩٢ .
- (٢٠) كتاب « الجيم » : ١٩٦/٣ - والوث - المر . (٢١) : ٢٥٣/١ .
- (٢٢) « عرض حكومة المملكة العربية السعودية » : ٢٥/١ .
- (٢٣) : ٤٥/١ . (٢٤) : ١٠٢/٤ .
- (٢٥) : ٢٢٥ - الطبعة الثانية . (٢٦) : ٥٠٨/٦ .
- (٢٧) : ١٩٢/٣ .

وَأَمَّا الثَّالِثُ - أَوَّلُهُ خَالَ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا مِيمٌ مُخَفَّفَةٌ - :
وَادٍ بِالْيَمَنِ ^(١) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ - يَفْتَحِ الحَاءُ وَتَشْدِيدُ المِيمِ - : مَوْضِعٌ بِالْجَزِيرَةِ ^(٢) .

وَأَمَّا الْخَامِسُ - أَوَّلُهُ خَالَ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ مِيمٌ مُخَفَّفَةٌ - : مَوْضِعٌ
بِئِهَامَةَ ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

وَقَدْ قَالَتَا : هَذَا حُمَيْدٌ وَأَنْ يَرَى

بِعَلِيَاءَ أَوْ ذَاتِ الْخَمَارِ عَجِيبُ

٢١٠ - بَابُ جَمَاجِمَ ، وَجُمَاجِمَ ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - يَفْتَحِ الجِيمُ : - دَبِيرُ الْجَمَاجِمِ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ ،
حَيْثُ كَانَتْ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ بَيْنَ الْحَجَّاجِ وَأَبْنِ الْأَشْعَثِ ، وَقُتِلَ
فِيهَا خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ ، وَقِيلَ لِذَلِكَ سُمِّيَ الْمَوْضِعُ الْجَمَاجِمَ ،
وَقِيلَ : بَلْ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَتْ تَعْمَلُ فِيهِ الْأَفْدَاحُ ، وَالْجُمُجُمَةُ
الْقَدَحُ ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي - يَضُمُّ الجِيمُ - : ذُو جَمَاجِمَ مِنْ مِيَاهِ الْعُمُقِ .
عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْهُ ، وَقَدْ يُقَالُ فِيهِ بِالْفَتْحِ أَيْضًا ^(٣) .

الحواشي :

(١) في كتاب نصر في باب انحاء المعجمة : (باب خُصَّان ، وَجُمَان ، وَخِمَار ، وَخِمَار ، وَخَمَار ، وَجَمَار ، وَالْجَمَار) .

(٢) هو تعريف تفسيري . وقال باقوت في « معجم البلدان » : جَمَارٌ - بِالْكَسْرِ - جمعُ جَمْرَةٍ وهي الحصاة ، اسم موضع يعني ، وهو موضع الجمرات الثلاث ، قال ابن الكلبي : سُمِّيَتْ بِذَلِكَ حَيْثُ رَمَى إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِبْلِيسَ ، فَجَعَلَ يَجْمُرُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ - أَيْ يَتَيْبُ - وَكَانَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ يُشْفِدُ هَذَا الْبَيْتَ :

وَإِذَا حَرَّكَتْ غَرَزِي أَجْمَرْتِ

وعجز هذا : أَوْ قَرَابَتِي عَدُوَّ جَوْنٍ قَدْ أَبْلَ

من شعر لبيد . وفي « تاج العروس » : والجمرة الحصى ، واحدة الجمار ، وفي « التوشيح » :
والعرب تسمي صغار الحصى جماراً ، والجمرة واحدة جمرات المناسك ، وجمار المناسك وجمراتها
الحصى التي يرمي بها في مكة (كذا والصواب : في منى) والتجوير رمي الجمار ، وموضع الجمار
بمنى ، سمي جمرة لأنها ترمى بالجمار ، وقيل : لأنها تجمع الحصى التي يرمي بها ، من الجمرة وهي اجتماع
القبيلة على من نأواها ، وهي جمرات ثلاث : الجمرة الأولى ، والجمرة الوسطى ، وجمرة العقبة ،
يرمونها بالجمار ، وهي الحصى الصغار . انتهى . والجمرات هذه معروفة ، في أسفل منى مما يلي مكة ،
ولعل القول بأنهن سبعين جمرات لأنهن يرمين بالجمار ، وهي الحصى الصغار - أعدل الأقوال الثلاثة :
(٣) قال نصر : جَمَّاز - بفتح وتشديد الجيم وآخره زاي معجمة - : بلد بحري في جزيرة ثواجيه اليمن ،
قريبة منه . انتهى . ولم يزد ياقوت على كلام الحازمي إلا بإيضاح المعنى اللغوي للكلمة : الكثير الجمر أي
الوثب . ولم أر الحمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب » ، وهو اليمن المعنى بذكر مواضع بلاده ذكر هذا
الموضع ، الذي أراه في إحدى جزائر البحر الأحمر - وإنما ذكر موضعاً في نجد ، في إقليم سدير
(القنبي) قنلاً : - ٢٨٥ طبعة دار البهامة - : ثم نفق من العنك في بطن ذي أراط ، ثم تسد في عارض
القي فاول قراه جَمَّاز ، وهي ربابة ملكانية عذوبة ، من رهط ذي الرمة ، ثم نخفي في وادي الققي وهو
واد كثير النخل والآبار ، فنلتقي قارة بلخير - الخ .

(٤) قال نصر : واد يَمَنان . وفي « معجم البلدان » : حِمَار - بفتح خمار من الدواب - : واد باليمن .
انتهى . ولم أر له ذكراً في كتاب « صفة جزيرة العرب » ولا في معجم القاضي الحنجري عن بلاد اليمن
وقبائلها . ولا أستبعد الصلة بين هذا الاسم وبين اسم جوف حمار ، الذي ذكر ياقوت عنه ما نصه :
والجوف اسم واد في أرض عاد ، فيه ماء وشجر ، حماه رجل اسمه حمار بن طويغ ، وفيه ثقل : أكفر
من حمار ، وواد كجوف الحمار ، وكجوف العير ، وأخرب من جوف حمار ، وأخل من جوف
حمار . إلى آخر ما ذكر .

(٥) حَمَار : قال نصر : - بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم - : من أرض الجزيرة . ولم يزد ياقوت على قول
الحازمي - بدون نسبة إليه - .

(٦) الحِمَار : عند نصر : بخاء مكسورة وآخره راء - : ذات الخمار ناحية نهمية كذا ضبط الاسم
وعرفته - وفي « معجم البلدان » : خِمَار - بكسر أوله وآخره را مهملة - : موضع بنهامة ، ذكره
حميد بن ثور - ثم أورد البيت بنصه - وأضاف : ويجوز أن يكون من الخَمَر ، وهو ما وارك من
شجر أو غيره من واد أو جبل . وفي كتاب أبي رباد : ذات الخمار - بكسر الحاء - وأنشد حميد بن ثور :
وقائلة : زور مغيب وأن يسرى يحكيته أو ذات الخمار عجيب
والبيت في « ديوان حميد بن ثور » - ص : ٥١ - على ما ورد عن أبي رباد . وفي « معجم
ما استعجم » : ذات الخمار - على لفظ حمار المرأة - : موضع تلقاء علياء ، قال حميد - وأورد البيت
كما أورده الحازمي - ولكنه لم يحدد موقع علياء .

ووقع اسم (حميد) في البيت في المخطوطة الأولى من كتاب الحازمي مصحفاً : (حميل) ولكنه
ورد صحيحاً في المخطوطة الثانية .

(٧) في كتاب نصر بن نصير .

(٨) قال نصر : أما بفتح الجيم - : دَيْرُ الْجَمَاجِمِ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، حَيْثُ كَانَتِ الْحَرْبُ الْعَظِيمَةُ بَيْنَ الْحَجَّاجِ وَابْنِ الْأَشْثِ ، قِيلَ : سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَتْ تُعْمَلُ فِيهِ الْأَدْحُ ، الْجُمُجْمَةُ الْقَدَحُ . انْتَهَى .

وفي « معجم البلدان » : الجماجم جمع جمجمة وهو قدح من الخشب ، ودير الجماجم : موضع ذكر في الدَيْرَةِ ، قال أبو عبيدة : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْسَلُ بِهِ الْأَدْحُ مِنْ خَشَبٍ ، وَالْجُمُجْمَةُ الْبَرُّ تُحْمَرُ فِي سَبْخَةٍ ، وَيُحْمَرُ أَنْ الْمَوْضِعَ سُمِّيَ بِذَلِكَ . انْتَهَى . وفي رسم (دير الجماجم) قال : دير الجماجم بظاهر الكوفة ، على سبعة فراسخ منها ، على طرف البرية للسالك البصرة - ثم أورد قول أبي عبيدة وما بعده ، ثم نقل عن ابن الكلبي أنه سمي بذلك لأن بني عامر لما انتصروا على بني تميم بَنَوْا بِجَمَاجِمِهِمْ هَذَا الدَّيْرَ ، وَأَضَافَ : وَهَذَا عِنْدِي بَعِيدٌ مِنَ الصَّوَابِ ، وَهُوَ مَقُولٌ عَلَى ابْنِ الْكَلْبِيِّ وَلَيْسَ يَصِحُّ عَنْهُ فَإِنَّهُ كَانَ أَهْدَى إِلَى الصَّوَابِ مِنْ غَيْرِهِ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَنَّ وَقْعَةَ بَنِي عَامِرٍ وَتَمِيمٍ وَذُبْيَانٍ كَانَتْ بِشَظِّ جَبَلٍ بِأَرْضِ نَجْدٍ ، وَلَيْسَ بِالْكُوفَةِ . وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا حَكَاهُ الْبَلَاذِرِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ بَلَالَةَ الرَّمَاحِ بْنِ مُحَرَّزٍ الْإِيَادِي قَتَلَ قَوْمًا مِنَ الْفُرْسِ ، وَنَصَبَ رُؤُوسَهُمْ عِنْدَ الدَّيْرِ فَسَمَّى دَيْرَ الْجَمَاجِمِ ، وَقُرِئَتْ فِي كِتَابِ « أَنْسَابِ الْمَوَاضِعِ » لِابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : كَانَ كَسْرِي قَدْ قَتَلَ إِيَادًا وَنَفَاهُمْ إِلَى الشَّامِ ، فَأَقْبَلَ أَلْفُ فَارِسٍ مَعَهُمْ حَتَّى زَلَوْا السَّوَادَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَأَخْبَرَ كَسْرِي بِخَبَرِهِمْ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِمْ مَقْدَارَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةِ فَارِسٍ لِيَقْتُلُوهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْوَاشِي : انْزِلُوا قَرِيبًا حَتَّى أَعْلَمَ لَكُمْ عِلْمَهُمْ . فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَأَخْبَرَهُمْ ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى وَقَعُوا بِالْأَسَاوِرَةِ فَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَجَعَلُوا جَمَاجِمَهُمْ قُبَّةً ، وَبَلَغَ كَسْرِي خَبَرَهُمْ ، فَخَرَجَ فِي أَهْلِيهِمْ يَبْكُونَ فَلَمَّا رَأَاهُمْ اغْتَمَّ لَهُمْ ، وَأَمَرَ أَنْ يُسْنَى عَلَيْهِمْ دَيْرٌ ، وَسُمِّيَ دَيْرَ الْجَمَاجِمِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّهُ وَقَعَتْ بَيْنَ إِيَادٍ وَبَيْنَ بَنِي نَهْدٍ حَرْبٌ فِي مَكَانِهِ ، فَصَنِلَ فِيهَا خُلُقٌ مِنْ إِيَادٍ وَقَضَاعَةٍ ، وَدَفَنُوا قَتْلَاهُمْ هُنَاكَ ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا حَفَرُوا اسْتَخْرَجُوا جَمَاجِمَهُمْ ، فَسَمَّى بِذَلِكَ ... وَعِنْدَ هَذَا الْمَوْضِعِ كَانَتِ الْوَقْعَةُ بَيْنَ الْحَجَّاجِ بْنِ يُونُسَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْثِ ، الَّتِي كُسِرَ فِيهَا ابْنُ الْأَشْثِ ، وَقُتِلَ الْقُرَاءُ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ :

وَلَسْمَ تَشْهَدُ الْجَوْنَتَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الصَّفَا وَشَدَّاتِ قَبْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ

والوقعة التي جرت بين الحجاج وبين الأشعث ، جرت سنة ثلاث وثمانين بعد أن خلع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي طاعة الخليفة عبد الملك بن مروان ، وقد فصل خبرها ابن جرير في تاريخه ، وغيره من المؤرخين ، قتل فيها كثير من سادات المسلمين وقرائهم .

وفي شرق الجزيرة موضع يسمى الْجَمَاجِمُ أيضاً ، ذكره الأزهرى في كتاب « تهذيب اللغة » ج ١٠ / ٥٢٠ - قال : والجماجم موضع بين الدَّهْنَاءِ وَمَنَالٍ ، فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيمٍ ، كَمَا وَرَدَ فِي شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ (ذو جماجم) وتحدث عنه في « المعجم الجغرافي » - قسم المنطقة الشرقية - ٤١٣ - .

(٩) نصص كلام نصر : ذُو جَمَاجِمٍ بِالضَّمِّ - : مِنْ مَيَاهِ الْعُمَيْقِ ، عَلَى يَوْمٍ مِنْهُ ، وَقِيلَ بِالْفَتْحِ . انْتَهَى . وَأُورِدَ يَاقُوتُ فِي « معجم البلدان » نَصُّ كَلَامِ الْحَازِمِيِّ غَيْرِ مَنْسُوبٍ ، بَعْدَ أَنْ قَالَ : جَمَاجِمٌ - بِالضَّمِّ ، وَهُوَ مِنْ أُبْنِيَةِ التَّكْبِيرِ وَالْمِبَالَةِ . وَالْمَنْسُوبُ - بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الْمِيمِ وَآخِرُهُ قَافٌ - مِنْ مَسَاعِلِ طَرِيقِ الْحَجِّ الْكُوفِيِّ الْمَشْهُورَةِ ، لِابْرَازٍ مَعْرُوفٍ ، وَيَقَعُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، فِي مِطْقَةِ (مَهْدِ الذَّهَبِ) مَعْدَنُ بَنِي سُلَيْمٍ قَدِيمًا . أَمَّا الْمَوْضِعُ الْوَارِدُ فِي شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ فَيَقَعُ شَرْقَ الدَّهْنَاءِ . وَيُظْهِرُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ الْأَزْهَرِيُّ فِي كِتَابِهِ .

مع « المعجم الوسيط » في طبعه الثانية

[كانت « العرب » نشرت في س ١٩ ص ٣٨١ نقداً للدكتور عدنان الخطيب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق — يتعلق بكتاب « المعجم الوسيط » الذي أصدره (مجمع اللغة العربية) في القاهرة ، وفي هذا المقال ما له صلة وثيقة بالموضوع] .

خلط المعجم ما بين « الفَطور » بفتح الفاء وبين « الفُطور » بضمها فأورد للأولى شرح الثانية وأورد للثانية شرح الأولى فشرح « الفَطور » بفتح الفاء كما يلي : « الفَطور » تناول الصائم طعامه بعد غروب الشمس وتناول الوجبة الأولى في الصباح (مع) وهذا على الأصح مدلول « الفُطور » بضم الفاء فيما يلي : « ما يتناوله الصائم ليفطر عليه ، والطعام يتناول صباحاً (مع) » وهذا ما يدل عليه لفظ « الفَطور » بفتح الفاء لا بضمها .

وقد تبين لنا من شرحه لسائر مفردات مادة « فطر » أن الخطأ مطبعي وذلك أن المعجم أورد لكلمة « الفَطور » مداولها الصحيح الذي أشرنا إليه آنفاً وذلك ضمن شرحه فعل « أفطر » إذ جاء في ذاك الشرح ما يلي : « وأفطر على الرطب ونحوه جعله فَطُورَهُ » بفتح الفاء . فارجو أن يتدارك هذا الخطأ المطبعي كذلك مع غيره في الطبعة الثالثة .

فقد جاءت في كلام العرب أسماء ما يؤكل ويشرب من حيث الأوقات على وزن فَعُول بفتح الفاء مثل « صبور » فقالوا « الفَطور » و « السحور » و « الغبوق » (لما يشرب بالعشي) و « الصُّبوح » (لما يشرب في الصباح) . وجرباً على ذلك وضع المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة « الرسالة » وأحد المخرجين للمعجم الوسيط كلمة « العصور » بفتح العين لما يتناول عند العصر وذلك لترجمة الكلمة الفرنسية « Le gouter » وهي لُحْنة اعتاد الأوروبيون مناولة أولادهم إياها

عند العصر وقد وقفنا عليها في ترجمته قصة « آلام فرتر » للكاتب الألماني جيته
عن الفرنسية .

أغفل المعجم كلمة « هذا » (اسم الإشارة) فلم يذكرها لا في حرف الهاء
ولا في حرف « الذال » وإنما جاء ذكرها بدون شرح على سبيل المثال في حرف الهاء .
شرح « آذار » اسم الشهر السرياني في حرف الألف شرحاً غير صحيح كما يلي :
« آذار الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله أبريل (كذا) من الشهور الرومية » .
والصحيح أنه يقابله شهر مارس لا شهر أبريل .
وشرح « نيسان » في حرف النون كما يلي :

« نيسان : الشهر السابع من شهور السنة السريانية ويقابل أبريل وهو الشهر
الرابع من شهور السنة الافرنجية وهو أيضاً اسم الشهر السابع من شهور السنة العبرية » .
واكتفى في شرحه اسم الشهر « أيلول » بما يلي : الشهر الثاني عشر « من الشهور
السريانية » (اهـ) ولم يقابله بالشهر الأعجمي « سبتمبر » كما فعل في بقية الشهور
ثم إنه أغفل اسم الشهر « تموز » فلم يورد ذكره في حرف التاء .
كما أغفل ذكر « شباط » من الشهور السريانية فلم يورده في حرف « الشين » .

ومن مادة « بطر » نقل إلى مادة « بيط » في الترتيب الألفبائي المعجمي المفردات
التالية « يبطر » و « تبيطر » و « البيطار » و « البيطر » و « البيطرة » بينما المادة
الأصلية لهذه المفردات هي « بطر » وذلك من قولنا « بطر حافر الدابة : شقه » ولم
يذكر من أسرة « البيطرة » في مادة « بطر » سوى « البطير : الذي يبيطر الدواب » .

والمجمع في ذلك يخالف المسطرة التي جرى عليها طول سائر معجمه في
ترتيب مواده متبعاً في ترتيب هذه المفردات وحدها طريقة معجم « الرائد » الذي
يورد المفردات مرتبة حسب حروفها الأولى مهما كانت سواء كانت أصلية أم زائدة .
وشرح كلمة « تلغراف » بكلمة « البرق » وكان الأولى أن يثبت الشرح التالي :

هَذِيل : أوديتها وجبالها وقراها

هي تلك الأودية والشعاب والجبال التي تحيط بمكة المكرمة من جهاتها الأربع ، بعد حدود الحرم ، عدا جهة الغرب مما يلي جدة . وهناك أودية وجبال داخل حدود الحرم من جهة الشمال كانت تُعَدُّ من بلاد الحِمْيَر من هذيل ، وبعضها الآن أصبح

« جهاز نقل الرسائل من مكان إلى آخر بعيد بواسطة إشارات خاصة » . وهو الشرح الذي أورده لكلمة « البرق » .

أغفل المعجم في مادة « ثقل » المفردة : « ثِقَل » الواردة في معجم « متن اللغة » بالشرح التالي : « ضدّ الخفة . والحِمْلُ الثَقِيلُ ج أثقال » على أن « المعجم الوسيط » مع إغفالها في مادة « ثقل » ذكرها في مادة « أَطَّ » ضمن شرحه لهذه المفردة وذلك عندما قال : « أَطَّ الظَّهْر صَوَّتَ مِنْ ثِقَلِ الحِمْلِ . وأطت الإبل : أنَّت من تعب أو ثقل حمل أو جنين » (أه) .

وختاماً نرجو من رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة المخرجين للطبعة الثالثة من « المعجم الوسيط » أن يتداركوا فيها هذه الأخطاء والاغفالات وألا يسمحوا بتكرارها مثلما تكررت أخطاء وإغفالات الطبعة الأولى في الطبعة الثانية مع تنبيهنا عليها في صفحات هذه المجلة في الوقت المناسب ، ولهم الشكر من أبناء لغة الضاد على إخراج هذا المعجم الغني بالكلمات المحدثّة من مصطلحات علمية وحضارية مما يكاد ينفرد به « المعجم الوسيط » من دون سائر معاجم اللغة العربية وإن ملاحظتنا وملاحظات غيرنا عليه ما كانت لتنقص من قيمته ولا لتغمض من قدره ولا لتغمطه ما هو حقيق به من اعتبار وتقدير .

إدريس بن الحسن العلمي

عن مجلة « اللسان العربي » (ع ٢٣ ص ١٠١)

من أحياء مكة ، حيث امتدَّ إليها العمران مثل وادي العُشْر ، وهو أعالي ما يسمى اليوم شارع الحج ، مما يلي جبل النور (حيراء) وجليل واد شمال الجبل ، وجبال فُخ وهي جبال سُود شمال غرب جبل النور ، ومَصَابُ هذه الجبال وهو وادي فُخ ويبدأ من جبال فُخ حتى يجتمع بوادي الزاهر ، والأحياء المسماة صَافٍف والبحيرات وتقع شمال مسجد العمرة ، وصايف والبحيرات خارج الحرم وهناك أودية من الحرم كانت قبائل هذيل تنزلها ولكن لا تنسب إليهم ولا يحمونها ولا يدفعون فيها الدَّرَك .

و (الحِمَى) هو أن تختار القبيلة أحد أوديتها أو شعابها وتمنع رعي المواشي فيه في موسم الأمطار (الربيع) حتى إذا أجندبت الديرة ترعاه مواشيهم وحدهم ، وجميع أفراد القبيلة مكلفون بحمايته .

أما الدَّرَكُ فهو إذا حصلت سرقة في أحد الأودية أو الشعاب أخذَ بِأثر السارق حتى ينقطع أثره ، ثم ينظر لمن الوادي أو الجبل الذي انقطع فيه أثر السارق فتكلف القبيلة التي تملك الموضع بدفع قيمة السرقة ، ولو لم يكن السارق منهم .

وهناك رجال من كل قبيلة يدْرَكُون الديار (أي يحرسونها) وخاصة في أيام المواسم وعلى طرق الحج وذلك بأمر حاكم مكة المكرمة وظلَّت هذه المهمة حتى أوائل عهد الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله .

ومن هذه الأودية التي كانت قبيلة هذيل تنزلها وليست لهم : الحوض (حوض البقر) وهو الآن من أكبر أحياء مكة ويسمى العزيزية . وأم جَسَنَابِي (أم جَسَنَابِيَّة) وهو الشعب الذي يمر به الآن النفق الذي يربط أجياد بالعزيزية ، ويعد من الحوض وكان بأسفل الشعب بئر تسمى (ام سبعة وسبعين) وكانت موردا .

ومَحْبِس الجن وهو الشعب الذي على يسار الذهاب من الحوض إلى أجياد مع النفق .

وَمَصَّافِي أَجْيَاد وَهِيَ أَعَالِي أَجْيَاد . وَسَدِير (سَدِيرَات) وَهُوَ وَادٍ جَنُوب أَجْيَاد . وَخُمُ وَخَمِيمٌ وَهُمَا جَبَلَان قَرَب أَجْيَاد . وَجَبَل ثُور المَعْرُوف ، وَالْأَوْدِيَّة الَّتِي حَوْلَهُ ، وَضَبَعٌ وَهُوَ مِنْ شَعَابِ جَبَلِ ثُور كَانَ بِهِ نَجْلٌ ، مَاءٌ . وَقَدْ امْتَدَّ الْعِمْرَانُ إِلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَمَكَةِ وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَحْيَاءِ مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ قَدِيمًا مِنْ بِلَادِ هَذِيلٍ أَوْ بَعْضِهَا . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي كِتَابِهِ « جَمَهْرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ » : وَدِيَارَهُمْ حَوْلَ مَكَّةَ وَلَهُمْ بِهَا عِدَدٌ وَعُدَّةٌ وَمَنْعَةٌ وَجَاءَ فِي كِتَابِ « الْعَبَرِ » : وَدِيَارَهُمْ بِالسَّرَوَاتِ ، وَسَرَاتِهِمْ مَتَّصِلَةٌ يَجْعَلُ غَزْرُوَانُ الْمُتَّصِلَ بِالطَّائِفِ . وَقَالَ : وَلَهُمْ مِيَاهٌ وَأَمَاكِنٌ فِي جِهَاتٍ نَجْدًا^{١١} وَتَهَامَةً بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مِنْهَا الرَّجِيعُ .

وَالرَّجِيعُ هُوَ وَادٍ فِي أَسْفَلِ مَدْرَكَةِ الَّتِي تَقَعُ شِمَالُ مَكَّةَ وَيَصُبُّ فِي هَدْيِ الشَّامِ ، وَيَعْرِفُ أَيْضًا بِالْبَنَاءَةِ ، وَيَسْكُنُهُ الْآنَ (الْعَطِيشَاتُ مِنْ عُتَيْبَةِ) ، وَقَدْ رَأَيْتُ فِي هَذَا الْوَادِي بِنَاءً بِأَحْجَارٍ كَبِيرَةٍ جَدًّا غَيْرِ مَأْوُوفِ الْبِنَاءِ بِهَا الْآنَ عَلَى طَرَفِ الْوَادِي وَهَذَا الْبِنَاءُ غَيْرُ مُرْتَفِعٍ وَأَعْتَقَدُ أَنَّهُ كَانَتْ خَلْفَهُ مَزْرَعَةٌ ، وَرَبَّمَا عُرِفَ الْمَكَانُ الْآنَ بِاسْمِ (الْبِنَايَةِ) لَوْجُودِ ذَلِكَ الْبِنَاءِ .

وَقَدْ عَدَّ عَرَّامُ بْنُ الْأَصْبَغِ فِي كِتَابِهِ « أَسْمَاءُ جِبَالِ تَهَامَةٍ وَسُكَّانُهَا » أَقْسَامًا مِنْ هَذِيلٍ تَسْكُنُ ضُرْعَاءَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ فِيهَا قُصُورٌ وَمَنْبَرٌ وَحِصُونٌ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَسْكُنُ فِي قَرْيَتِي رَهَاطٍ وَالْحَدِيدِيَّةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُنُ مَرَّ الظُّهْرَانِ وَهِيَ قَرْيَةٌ فِي وَادِيهَا عَيُونٌ كَثِيرَةٌ وَنَخِيلٌ وَجُمُئِزٌ .

وَضُرْعَاءُ مِنْ أَكْبَرِ جِبَالِ الْحِشَّاعِ الْوَاقِعَةِ شَرْقَ (رَهْجَانِ) .

وَرَهَاطُ قَرْيَةٌ شِمَالُ مَكَّةَ شَرْقَ مَدْرَكَةٍ وَتَرَاوَجَ مَدْرَكَةٍ إِدَارِيًّا .

وَالْحَدِيدِيَّةُ تَعْرِفُ الْيَوْمَ بِالشَّمِيسِيِّ غَرْبَ مَكَّةَ .

وَمَرَّ الظُّهْرَانِ يَسْمَى الْيَوْمَ وَادِي فَاطِمَةَ .

وَيَقُولُ ابْنُ حَوْقَلٍ : وَبَغَزْوَانُ دِيَارُ بَنِي سَعْدٍ وَسَائِرُ قَبَائِلِ هَذِيلٍ .

وذكر ابن خلكان أن هُذَيْلًا قبيلة كبيرة وأن أكثر أهل وادي نخلة المجاور
لمكة المكرمة هُذَيْلُونَ .

وتمتد بلاد هذيل في الوقت الحاضر من عَيْن شمس شمال غرب مكة البهية
(البوابة) شمال شرق مكة أَخِيذَةً على بلاد بني مسعود الفوارة وحورة ، ووادي
بني عمير (وادي الزبارة) والجعرانة وبلاد لحيان ونَخْلَةَ الشامية ، ونخلة اليمانية
وسَوَّلَةَ ، والمضيق ، ووادي الصدر وسبوحة ، ويدعان شمالاً متَّصِلَةً بجبل
ككب ووادي نعمان ، ووادي رهجان ووادي مِلْكَان ، والصافح الغربي
لجبل كَرَّاء ومصابُّ الجبل الغربية ووادي الكُرِّ ، وشَدَّاد من جهة الشرق والجنوب
الشرقي ، وَصِيم وأم الزَّلَّة ، وَحَوِيَّة هُذَيْل إلى حدود يَلَمْلَم ميقات أهل اليمن جنوباً ،
وفي الجبال المطلَّة على الطائف ما سأل منها في تهامة ، وتعرف بشفا هُذَيْل ، ويضمُّ^١
شفا الطلحات وشفا السوالمه ، وشفا آل خالد ، وشفا آل زيد ، ويقع جنوب
غرب الطائف وشفا زُلَيْفَةَ شمال غرب الطائف .

وهناك من يشارك هذيلًا في بعض المواقع مثل الأشراف الحُرَث ، في المضيق ،
والأشراف الجوازية في البجيدي ، والأشراف العبادلة وآل زيد في العابدية جنوب
عرفة ، وقريش في المغمس ، والقناوية في الزَّيْمَةِ .

وبلاد هذيل أودية وشعاب وجبال شاهقة مترابطة ، وغالباً ما يكون في هذه
الجبال فِرَاعٌ — بتخفيف الراء ومفردتها فرع — وهي الأرض المستوية في الجبل ،
والتي تتفرع بها سيول الجبل وتكون بها قراهم ومزارعهم ومقاري النَحْل — جمع
مِقْرَى — وهو المكان الذي يُرَبَّى فيه النحل ، وخاصة في الجبال المطلَّة على الطائف ،
المعروفة بشفا هذيل .

والشفا هو المكان المرتفع (شفا الجبل أي أعلاه) وهي جبال وشعاب مترابطة
وروعة ، وبها الفراع ، وينبت بها الشُّثُّ والسَّدَّاب والعرعر والبشام والبكا ،
والضَّيْمران وغيرها من النباتات التي ترعاها مواشيهم ويجمع النحل من زهورها

العسل ، ويعرف عسل هذه المناطق بالجودة .

وقد تمكنت من تحديد أشهر معالم بلاد هذيل ومعظمها بمسألة رجال عاشوا فيها ووطنتها أقدامهم ، وذلك بإيعاز من شيخنا حمد الجاسر - حفظه الله - وقد رتبها حسب حروف المعجم وبالله التوفيق .

(حرف الألف)

- ١- أبو خَصَف : جبل كبير في وادي الزبارة (وادي بني عمير) .
- ٢- أبو عَصِيدَة : جبل يقع جنوب وادي فاطمة يسكنه لحيان من هذيل .
- ٣- إحليل : وادي جنوب مكة ، من فروع وادي دُفاق الكبير قرب ضيم ، ويصب في أمّ الزلّة ، ويسكنه آل محمود من هذيل .
- ٤- الأحيا : من شعاب وادي الصدر يسكنه الحتارشة من هذيل .
- ٥- الأعوص : جبل في شفا الطلحات .
- ٦- اسمَار (سمار) : وادي جنوب شرق العابدية الواقعة جنوب عرفة ، ويصب فيها ، وتكنفه من جهة الشرق جبال تسمى الدحال السود ، ويسكنه دَعْدُ من هذيل .
- ٧- الأشيعر : جبل في وادي سَبُوحَة ، ويتصل بجبل قرى عصم ، يسكنه الحتارشة من هذيل .
- ٨- الأشيب : جبل بين ضيم وملكان ، مشترك بين دَعْد والتدوين .
- ٩- الاشعر : جبل في ضهياه (ضهياه) البيضاء للحتارشة .
- ١٠- اظافر : جبال بين وادي الزبارة والمضيق .

١١- أظلم : جبل غرب رَهْجَان ، ويصب فيه ، لِدَعْد ، من هذيل .

١٢- أم الرّثة : وادٍ جنوب مكة مشترك بين القُرَح والتدويين وآل محمود ، وتجتمع فيه سيول وادي دُفّاق وإحليل وراية والحيا ، ومرس والنفلة وظبية ، ويصب في وادي الريغة .

١٣- أم الجُرْفَيْن : وادٍ يقع شمال مكة في وسط ديرة لحيان وجنوب مجرى وادي فاطمة ، وغرب وادي ثلثان .

١٤- أم المحاوي : وادٍ من روافد وادي ملكان ، ويصب فيه ، يسكنه دَعْد ، من هذيل .

١٥- أم دَوْحَة : وادٍ يقع جنوب شرق وادي اسمار ، وتجتمع مياه هذا الوادي في مكان يسمى المقرح ، تصب في وادي ملكان ، يسكنه دعد من هذيل .

١٦- أم طُخْر : من روافد نخلة الشامية .

١٧- الأُمَيْلَح : (حزم الأملح) : وادٍ كبير شمال شرق مكة ، جنوب وادي الصدر ، ويُعَدُّ منه ، يصب في الشرائع يسكنه الحتارشة من هذيل .

١٨- آتَف (ريع أنف) : جبل قرب جبل كيكب ، ومُتَّصِل به ، ويصب في البجدي .

(حروف الباء)

١- بَام (أبام) : جبل شمال الزَّيْمَة .

٢- بَدَالَة : وادٍ شمال مكة ، أعلاه لبني مسعود ، وأسفله لبني عمير ، يصب في وادي الزبارة .

٣- بَاقَة : من شعاب وادي الصدر .

٤- بجَلَّة : من شعاب وادي الصدر .

٥- بَطْحَان : جبل لَلْقُرْح من هذيل ، يصب في وادي إحليل .

٦- بَلَم : جبل بين وادي ضَيْم ودُفَّاق ، مشترك بين التديوين والقرح .

٧- بير الحيام : شعب من شعاب جبل كبكب من جهة الغرب ، وبهذا الشعب بئر تعرف بهذا الاسم وهي مورد .

٨- بَيْم (أَبَيْم) : جبل كبير شمال الزَيْمَة قرب بام (أبام) .

٩- البهيتة (البوابة) : وادي شمال شرق مكة بعد نخلة اليمانية ، يسكنه الصلحان من هذيل .

(حرف التاء)

١- تَفْتَفَان : وادي من روافد نعمان ، من جهة الشرق ، ويصب فيه .

٢- التَّيْس : جبل جنوب وادي الغريف في شفا آل خالد ويصب في الغريف .

(حرف الناء)

١- ثَلَثَان : وادي يقع شمال مكة ، شرق طريق الحرمين جنوب مجرى وادي فاطمة ، وبه جبال تعرف بجبال ثلثان يسكنه لحيان من هذيل .

٢- الثَّنِيَّة : من أودية وادي الصدر وتصب فيه .

(حرف الجيم)

١- الجَبْلَةُ : جبل كبير شمال وادي نخلة اليمانية ، وفي أعلاه فِرَاعٌ بها مزارع كثيرة ، ومنازل ، ويصب في شعب سقام ، ويسكنه السعايد من الصلحان ،

ويسمى جيلة السعايد .

٢ - جَرُول : وادي في أعالي وادي رهنجان تصب فيه جبال الشُقْرة ، وهذا الوادي مملوء بالأحجار الكبيرة والصغيرة التي تجلبها السيول من الجبال .

٣ - الجِعْرانة : وادي شمال مكة ، وأهل مكة يعتمرون منه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصبح الآن فيه عدة أحياء يسكنها كثير من الناس من هذيل وعُتيبة والبقوم وفيه مزارع كثيرة أغلبها أحدثت قريباً ، ويُعدُّ من ديرة لحيان من هذيل ، ولهم فيه مزارع ومساكن .

(حرف الحاء)

١ - حَرَّاضُ : وادي جنوب نخلة الشامية شمال شرق اليمانية ويصب في الشامية ، ومن شعابه سقّام ، يسكنه المطارفة من هذيل .

٢ - الحرة العجيفا : حرة شمال مكة ، جنوب وادي فاطمة يسكنها لحيان من هذيل .

٣ - حَفَايِلُ : من أودية نخلة اليمانية يسكنه الصلحان من هذيل .

٤ - حُوْرَة : وادي كبير شمال مكة بعد المضيق ، فيه مزارع ونخل وقرى منها المعصب والعمير وأبو عشر وام الغدق ، والقرية - تصغير قرية - يسكنه بنو مسعود من هذيل .

٥ - حَوَيَّْةُ هذيل : وادي كبير ، جنوب مكة ، بعد ضيّم ، يصب في وادي يللم ، ميقات أهل اليمن ، وفيه مقاري تحل كثيرة .

٦ - الحيا : وادي جنوب وادي دُقاق ، ويعتبر من فروعه ، يصب في أمّ الزّلة ، يسكنه القرّح من هذيل .

(حرف الخاء)

١ - الخَرَّار : من شعاب جبال الخِشَاع ، من جهة الغرب الواقعة شرقي رهجان ، وكان بهذا الشعب ماء يصب فيه من أعالي الجبال باستمرار ، وقد نضب منذ عهد قريب ، ويعود في موسم الأمطار .

٢ - الخِشَاع : جبال مترابطة شرق رهجان، وتعد من جباله، متصلة بجبال الشقرة الواقعة أعالي رهجان من الجنوب الشرقي ، وهي جبال حمر في أعلاها فِرَاعٌ فيها مزارع ومقاري نَحْل ، يسكنها الجوايرة من هذيل .

٣ - الخَشَاش : من شعاب وادي الصدر .

٤ - خماس : وادي في شفا الطامحات .

(حرف الدال)

١ - الدَّحَالُ السُّود : جبال سودٌ مترابطة ، شرق وادي اسمار (سمار) يسكنها دعد من هذيل .

٢ - الدَّحِيض : من شعاب جبل كبكب من جهة الجنوب ومُتَّصِلَةٌ بوادي نعمان وتصب فيه .

٣ - دُفَاق : وادي كبير جنوب مكة بعد ضيم ، يصب في أمّ الزَّلَّة ، يتفرع منه الحيا وإحليل والجواه وصيف ، يسكنه القُرَح من هذيل .

(حرف الراء)

١ - الرَّاضة : قرية في وادي الزبارة (وادي بني عمير) .

٢ - الرَّتَجَةُ : قرية صغيرة في وادي سَبُوحَة .

٣ - راية : وادي جنوب مكة ، مشترك بين الجحادلة والقُرَح ، يصب في أم الزَّلَّة .

٤- رَحْمَان ورُخَيْمَيْن: جبلان متقابلان في وادي إحليل ، وتَصُبَّان فيه
يسكنها القُرْحُ من هذيل .

٥- الرُدَيْم : من جبال الخشاع الواقعة شرق رهجان .

٦- رَهْجَان : وادي كبير ، جنوب شرق مكة المكرمة ، ويبعد عنها بحوالي
٤٠ كيلاً ، ويصب في العابدية ، وهذا الوادي مشترك بين دَعْد والجوابة
وبني كعب جميعهم من هذيل ، فيه الآن قرى لهذه العشائر ، ومن أشهر جباله
الشقرة ، وجبال الخشاع وجبل قرضة وعُصْم .

٧- الرَبَّان : وادي شمال مكة المكرمة ، جنوب جبال ثلثان يسكنه لحيان من
هذيل .

(حروف الزاي)

١- زاق (؟) : من شعاب وادي الصدر .

٢- الزبارة (وادي بني عمير) : وادي كبير شمال مكة ، ويبعد عنها بحوالي
٣٠ كيلاً وفيه قرى منها القويعة والراضة ، وفيه مزارع ومن أشهر جباله جبل
أبو خصف ، ويصب وادي الزبارة في وادي الشريف .

(حروف العين)

١- سَاق : جبل غرب الغريف في شفا آل خالد ، ويصب في الغريف .

٢- سَان : وادي في شفا هذيل ، جنوب شرق مكة ، وجنوب غرب الطائف
مشترك بين آل خالد والسوالمه فسان الأعلى لآل خالد ، وسان الأسفل للسوالمه ،
وبهذا الوادي جبل يعرف بجبل سان .

٣- سَبُوحَة : وادي كبير شمال شرق مكة على يمين الذهاب إلى الطائف مع
طريق السيل ، بعد وادي يدعان ، يبعد عن مكة حوالي ٣٥ كيلاً تقريباً وفيه قرية
صغيرة تسمى الرتجة .

- ٤- سُحَار : جبل في وادي رهجان ، مشترك بين الجوابرة وبني كعب .
- ٥- سُقَام : شعب كبير من شعاب جبل الجبلّة ، من جهة شرق الجبل ، وغرب وادي حراض ، ويُعدُّ من حراض ويصب فيه ، وهو الشعب الذي كانت فيه العزّى التي تعظمها العرب قبل الإسلام ، يسكنه المطارفة من هذيل .
- ٦- سِدْرٌ وضَاف : جبلان شرق البرابر ، أمرهما لبني الحيان .
- ٧- سَمَر : وادٍ قرب نخلة الشامية ، ويصب فيه .
- ٨- السُّودَة : جبل يطل على قرية المضيق لبني مسعود من هذيل .
- ٩- سَوَلَة : قرية كبيرة شمال مكة ، قرب المضيق ، فيها مزارع كثيرة ، كانت بها عين ، أجري ماؤها في عهد الملك خالد رحمه الله إلى مكة ، ومن قرى سولة المحطة ، وقبل عيفان ، يسكنها الزواهره ونباتة .

(حروف الشين)

- ١- الشَّبَكَة : جبل غرب جبل أظلم ، يقع في وادي رهجان يسكنه دعد من هذيل .
- ٢- شَجِي : من شعاب وادي الصدر .
- ٣- شَدَّاد : وادٍ في أعلا وادي نعمان .
- ٤- الشَّرَا : وادٍ شمال نعمان ، ويصب فيه ، ويُعدُّ من روافده يسكنه الكباكة من هذيل .
- ٥- شُعَار : جبل في شفا السوالمّة ، يصب في وادي سان .
- ٦- شفا آل خالد : ويضم وادي الغريف ووادي سان وجبل ساق وجبل التيس وغيرها من الجبال والفِرَاع .
- ٧- شفا الطلحات : ومن أهم معالمه وادي قَاوَة وخماس ، والمبيرك والحيط والرحبة .

٨- شَقَا زُلَيْفَةَ : ومن أهم معالها : الشعب والحرين والقرن ، وأم المضاب
والحدب والقيس والصفاة ، وغرزة والحصن .

٩- الشُقْرَةُ : جبال حمر مترابطة جنوب شرق رهجان مُتَّصِلَةٌ بجبال
الحشاع ، شرقي رهجان ، وتصب في جرول ، أعلا رهجان ، يسكنها السوالة
من هذيل .

(حرف الصاد)

١- الصَّدْرُ : هو صدر وادي حُنَيْنٍ وادي كبير شمال شرق مكة المكرمة ،
ويبعد عنها بحوالي ٣٥ كيلاً تقريباً ، يصب في خشم المبارك ، ثم يتفرع إلى شرائع
النخل والبجدي ومن شعابه الأحيا وزاق وشجي وبانة والحشاش يسكنه الحتارشة
من هذيل .

٢- صَفِيَّةُ : واد شمال مكة ، بعد المضيق ، يصب في وادي حورة ، فيه
مزارع تَحْلُ وتُقاري تَحْلُ ، يسكنه بنو مسعود من هذيل .

٣- صُلب : جبل كبير في الزَّيْمَةِ .

٤- صَيْف : جبل في وادي دُفَّاق ، يسكنه القُرَح من هذيل .

(حرف الضاد)

١- ضَرَعَاء : من أكبر جبال الحشاع الواقعة شرق رهجان .

٢- ضِلْعَةُ : من شعاب جبل كبكب .

٣- ضَهَايَا : من أودية الصدر ، وتعرف بِضَهَّيَّاه البيضاء ، تصب في
يدعان ، وضهياه السمراء تَصُبُّ في الصدر ، يسكنها الحتارشة من هذيل .

٤- الضَيْقَةُ : وادي في صدر وادي نعمان ، من جهة الشرق يسكنه بنو إياس
من هذيل .

٥- ضَيْم : وادي كبير جنوب مكة المكرمة فيه هجرة للنَدَوِيِّين من هذيل ،

ويصب في الخبت ويبعد عن مكة بحوالي ٤٠ كيلاً تقريباً ، وطول الوادي حوالي ٣٠ كيلاً تقريباً .

(حرف الطاء)

١ - الطَحْلَا : جبل في وادي إحلل ، يسكنه القُرْحُ من هذيل .

(حرف الظاء)

١ - ظَبْبِيَّة : من أودية القرح من هذيل ، يصب في أم الزلة .

(حرف العين)

١ - العَجُوز : جبل يقع غرب وادي اسمار (سمار) يسكنه دعد من هذيل .

٢ - عَرَّعَر : وادي من أودية نعمان في جهة الجنوب الشرقي ، ويصب فيه ، تَحُدُّه جبال الخشاع من الجنوب والغرب ، وَيَحُدُّه جبل سحار من الجنوب الشرقي .

٣ - عَرَّوَان : جبل كبير في وادي دُفَاق ، ويصب فيه ، ومُتَّصِلٌ بجبل فَصْعَانَ ، وفيه مقاري تَحُلُّ كثيرة ، يسكنه القرح .

٤ - عَصْم : جبل يقع في أسفل وادي رهجان من جهة الغرب يسكنه دعد من هذيل .

٥ - عَيْنُ شمس : قرية شمال مكة ، وتبعد عنها بحوالي ٢٨ كيلاً وتراجع الجموم إدارياً ، يسكنها لحيان من هذيل .

(حرف الغين)

١ - الغَرِيف : وادي في شفا آل خالد من هذيل ، جنوب شرق مكة يحده من جهة الشرق جبل الفُرْع ، والجنوب جبل التيس ومن الغرب جبل ساق ، وتجتمع فيه سيول هذه الجبال وتصب في تهامة .

(حرف الفاء)

- ١ - الفُرْعُ : جبل شرق وادي الغَرِيف ، من شفا آل خالد ، .
- ٢ - فَصْنَعَان : جبل كبير في وادي دفاق ، ومُتَّصِلٌ بجبل عروان وفيه مقاري نَحْل كثيرة ، يسكنه القرح من هذيل .
- ٣ - الفَوَّارَةُ : قرية كبيرة شمال مكة ، فيها مركز إمارة ، وتبعد عن مكة بحوالي ٧٥ كيلاً تقريباً ، تجتمع فيها سيول وادي (...) وعاجل وصفية وقانة ، يسكنها بنو مسعود من هذيل .
- ٤ - القَي : واد جنوب اليمانية ، وفيه نخايء لا تصيبها الشمس من الجبال المحيطة به يسكنها الصِّلَمان من هذيل ويعرف سكَّانه بِصُلَيْم القَي .

(حرف القاف)

- ١ - قَانَة : وادٍ لبني مسعود شمال مكة قرب الفوارة ويصب فيها .
- ٢ - قَاوَة : وادٍ في شفا الطلحات ، وتُحِيط به الجبال .
- قال المهجري : قاوة فرع . وهي راحة به المحارث من سراة عروان بثنية الحمار من اللصب .
- ٣ - قبل عيفان : قرية في سَوَّلة ، يسكنها الزواهره .
- ٤ - قَرَضَة — بالضاد — : جبل مفرد في وادي رهجان من جهة الجنوب ، مقابل لجبال الشقرة ، يسكنه دعد من هذيل .
- ٥ - قَرَى عُصْم : جبل جنوب الزَّيْمة ، متصل بجبل الأشيعر .
- ٦ - القَوْبَعِيَّة : قرية في وادي الزبارة (وادي بني عمير) .

(حرف الكاف)

- ١ - كَبْشَكَبُ : جبل كبير شمال المغمس ، مشرف على موقف عرفة ، ومن شعاب المجاز من الشمال يميل إلى الغرب ، والدحيض من جهة الجنوب ، وتَصُبُّ في نعمان ، وبئر الحيام من جهة الغرب ، يسكنه الكباكمة من هذيل .

٢- الكُرُّ : وادٍ غرب جبل كرا المعروف ، وتصبُّ فيه سيول الصافيح الغربي لجبل كرا ، يسكنه آل عليّة من السراونة من هذيل .

٣- كَسَابُ : جبل شمال وادي ملكان وجنوب العقيشيّة يسكنه دعد من هذيل .

٤- الكُفُو : من أودية نخلة اليمانيّة يسكنه الصلمان من هذيل .

٥- كَنْثِيلُ : جبل كبير مقابل لجبل كبكب ، يقع في وادي الصدر ويصب فيه ، وفي أعلاه مروّة بيضاء ، فيه مقاري نَحْلٍ قديمة يسكنه الحتارشة من هذيل .

(حرف الميم)

١- مَابِدُ : جبل في أعلا وادي رهجان ، ويصبُّ فيه ، يسكنه بنو كعب من هذيل .

٢- المُبِيرُك : وادٍ في شفا الطَّلَحَات .

٣- المجَاز : شعب كبير ، من شعاب جبل كبكب ، شمال الجبل . يميل إلى الغرب بين شِقَتَيْنِ من الجبل ، قيل : إنه من أسواق العرب القديمة ^(٢) ، ويوجد فيه دور قديمة مبنية بالحجر ، ومقنطر على طرف الشعب وخربه ^(٤) ، وفي فم الشعب بئر تعرف ببئر المجاز ، يسكنه الكباكية من هذيل .

٤- المحضَرّة والرُّوس والبصرة : جبال وشعاب بين الشَّقَا وتهامة ، نصب في وادي ملكان وتعرف بشفا السوالمّة .

٥- مَرَسُ : وادٍ قرب أمّ الزَّلَّة ، ويصب فيها يسكنه القرَح من هذيل .

٦- المَضِيْق : قرية كبيرة شمال مكة ، أسفل نخلة الشامية ، كانت فيها مزارع كثيرة تسقى من عين تسمى عين بردان ثم سَحِبَتْ في عهد الملك خالد رحمه الله إلى مكة ، وفي وسط الوادي مقبرة تُسمّى (سوق عكار) سمعت من كبار السن من أهل المضيق أنها كانت سوق كبير في القديم ، ويسمّى سوق عكاظ ^(٣) حدثت فيه معركة كبيرة بين قبيلتين قُتِلَ فيها أناس كثيرون حتى امتلأت ساحة السوق من القتلى ، ثم هُدِمَتْ عليهم الدكاكين والمنازل ، وأصبحت مقبرة من

ذلك الحين وصرف اسمه الناس إلى سوق عكار ، لما حصل فيه من تعاكر الأخصام ، ولا زالت هذه المقبرة تعرف بسوق عكار ، وبها آثار مبان لازالت أساساتها باقية ، وفي جنوب المقبرة آثار عين مَيْتَة تسمى عين التنضب .

٧- المغمّسُ : وادٍ شمال عَرَفَة ، يبدأ من بعد عِلَمَي عرفة ، من جهة الشمال ، أعلاه للكباكبة ، وأسفله لقريش ، تصب فيه شعاب كبكب .

٨- مكة الرقة : وادٍ في أعلا نخلة الشامية ، من جهة الشمال الشرقي ، وفيه آثار مبانٍ قديمة ، وربما كان من أسواق العرب القديمة ، يسكنه المطارفة من هذيل .

٩- مَلِكَان : وادٍ كبير ، جنوب مكة ويبعد عنها بحوالي ٤٠ كيلاً تقريباً يجتمع فيه سيل جبل أظلم والشبكة ويصب في وادي صفيعة .

(حرف النون)

١- نخلة الشامية : وادٍ كبير شمال مكة ، فيه قرى ومزارع كثيرة ، ويبعد عن مكة بحوالي ٥٠ كيلاً تقريباً ، يصب في وادي الزبارة ، ومن أوديته وثال (اثال) وأم طخر يسكنه المطارفة من هذيل .

٢- نخلة اليمانية : وادٍ شمال شرق مكة ، على طريق الطائف المارّ بالسيل ، ويبعد عن مكة بحوالي ٥٠ كيلاً تقريباً ، ويصب في وادي الزبارة ومن أوديته الكفو وحفّايل ، يسكنه الصلحان من هذيل .

٣- نعمان : وادٍ كبير ، جنوب شرق مكة ، وجنوب عرفة ، وبهذا الوادي قرى ومزارع لفروع من هذيل ويشتهر هذا الوادي بوفرة المياه ، وخصوبة أرضه ، ومن أهم أوديته : عرعر من جهة الجنوب الشرقي ، والشرّا من الشمال ، والضبيقة في صدر الوادي من جهة الشرق ، ومن أشهر جباله يَعْرُج في أعالي الوادي من جهة الشمال .

٤- النَفْلَة : وادٍ يصب في أمّ الزَّلَّة يسكنه القرّح من هذيل .

- ٥ - نِمار : جبل كبير في وادي دُفَاق ، يسكنه القرع من هذيل .
٦ - النَّوَارِيَّة - وادٍ شمال غرب مكة ويبعد عنها بحوالي ١٥ كيلاً تقريباً وفيه الآن مصانع الطوب الأحمر (الآجر) وكانت تصنع فيه النُّورة .

(حرف الواو)

- ١ - الوَسِيعة : وادٍ شمال مكة شرق طريق الحرمين الشريفين ، جنوب شرق مجرى وادي فاطمة ، يسكنه لحيان من هذيل .
٢ - وَصِيْقُ : وادٍ شمال نعمان ، ويصب فيه ويعد من أوديته .
٣ - وعَاجِل (؟) : وادٍ قرب الفؤارة يصب في وادي صفية يسكنه بنو مسعود من هذيل .

(حرف الياء)

- ١ - يَدَعَانُ : وادٍ كبير شمال شرق مكة ، يصب في الشرائع ، أعلاه للحتارشة ، وأسفله للحيان .
٢ - يَغْرُجُ : جبل كبير في أعالي وادي نعمان من جهة الشمال يسكنه الحسانسة من هذيل .

مكة المكرمة محمد بن علي بن هلال الحثيري

الحواشي :

(١) قول ابن خلدون في كتابه « العبر » عن هذيل : ولهم مياه وأماكن في جهات نجد . بحاجة إلى التثبت ، فابن خلدون - رحمه الله - كتب أشياء كثيرة عن منازل قبائل العرب اعتماداً على النقل ، فوقع فيما كتب كثير من الأخطاء . والمتتبع للمؤلفات التي تحدد منازل القبائل في جزيرتهم قبل ابن خلدون ، لا يجد ما يؤيدُ قوله ، بل لا يكاد يعثر على اسم موضع خارج عن تهامة يُعدُّ من منازل هذيل ، وأقرب مصدرين أيدينا كتاب « أشعار هذيل » وهو يضم أسماء كثير من بلادهم ، وكلها في تهامة حول مكة ، وفي كتاب « بلاد العرب » للغدة الأصفهاني من أهل القرن الثالث الهجري ذكر كثير من منازل هذه القبيلة في تهامة بقرب مكة .

(٢) هذا هو موقع سوق ذي المجاز القديم ، كما حدده العلماء المتقدمون .

(٣) سوق عكاظ لاشك أنه بقرب الطائف في الموضع الذي كثرت الكتابات في تحدده ، وقد يكون هذا الموضع من الأسواق القديمة ولكنه ليس سوق عكاظ .

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم

آل رُبَيْعَان من العربات من سبع

الربيعان في القصيم أسرة كبيرة منشعبة الأطراف ، أصلها من الحضران من بني عمر من عُرْبَة من سبيع ، وكانت قبل ذلك تسمى : (آل عمران) . وكانت تقطن في (العطار) بـسُدَيْر .

ولعوامل القحط والمجاعة انتقلت مع بعض أسر من بني عمها من العطار ، مع زُهْرِي بن جَرَّاح بن سالم الثوري واستقرت في (عنيزة) في القصيم سنة ٥٦٣٠ هـ .

وفي القرن الثامن الهجري وقعت حروب وفن في (عنيزة) ففرقت بعض هذه الأسر ، وأسر أخرى من قبائل مختلفة إلى جهات متعددة في القصيم ، وبعضها عاد إلى (سُدَيْر) و (العطار) .

أما آل (عمران) وأبناء عمهم : آل سُويلم وأصلهم السالم ، ومنهم الدخيل الله ، والخُضَيْر ، واليوسف .

وكذلك آل عمير ، وآل المَقْشِي ، فقد اتجهوا إلى وادي (الضِّلْفَة) وسكنوه .

وفي القرن الحادي عشر الهجري . انتقل بعضهم إلى (البكيرية) والبعض الآخر إلى (الخَبَرَاء) والُلَسَيْب وبقي البعض في (الضلفعة) .

أما جدنا (رُبَيْعَان بن حميدان بن ناصر بن حُمَيْدَان بن عبدالله بن عيسى ابن عمران العربي فقد انتقل من الضلفعة بأسرته وبعض أقاربه ، واستقر في روضة (الشَّيْخِيَّة) سنة ١١٠٢ هـ وهو أول من عمرها وسكنها وتأمربها ، ولا زالت الإمارة في ذريته إلى يومنا هذا ، وهذا هو الجدد الأخير الذي تنتسب إليه أسرة الربيعان ومنها : آل ماضي ، وآل حَوَّاس ، وآل غانم ، وآل حُمَيْدَان ، المنتشرون في القصيم وفي الرياض .

ولهذه الأسرة أبناء عم قريبون لهم أحب أن أبينهم هنا :

آل عمير ، وآل عامر ، وآل سويلم ، وآل عثمان ، وآل خُصَير ،
وآل يوسف ، وآل دخيل الله ، وآل صُفَير ، وآل ثنيان ، وآل رُمَيح ،
وآل عيسى ، وآل فارس ، وآل فالح ، والدُّوشان ، وآل فائر ، وآل محمد ،
وآل المَقْشُوشِي ، وآل مهيزع ، وآل ناجم ، وآل حسين ، وآل حسن ،
وآل راشد ، وآل سليمان ، وآل سَيْف ، وآل شَوَيْهْ أمراء العُرَيْنات ،
وآل غنيمان ، وآل عبد الكريم ، في كل من البُكَيْرِيَّة والخبراء والصلفعة وعنيزة ،
والشحيحة والشماسية ، وسدير ورغبة والعطار ، والرياض وحربلاء والأحساء
وبريدة ، والزُلَفي .

وكذلك : آل عُبَيْد في الكويت ، وآل عُجَيْم في البحرين ، وآل شَافِي
في عرعر ، وآل مَخْلَد في سكاكا ، وآل نذير في الزبير ، وآل عَضِيه في
الأردن .

وفي باب (الراء) من « جمره أنساب الأسر » لماذا لا يذكر اسم الربيعان أهل
نَقِي من رُوقة عتبية ، والربيعان بمائل من طَوُقة شَمَر ، والرُّبَيْعَان بِحُوطة بني تميم
من تميم ، والرُّبَيْعَان بشقراء من بني زيد ، والربيعان في الكويت من بني خالد ،
والرُّبَيْعَان في الشَّيْحِيَّة من عُرَيْنات سبيع .

وهناك أسر كثيرة لم تدرج في الكتاب ، وأسر أخرى نُسِبَتْ إلى قبيلة
غير قبيلتها .

على كل حال — هذا الأمر يحتاج إلى بحث دقيق وشامل ...

فهد بن محمد الرُّبَيْعَان

العرب : ورد هذا الكتاب من الأخ فهد بن محمد الربيعان ، ومن عادة المجلة أن لا تهمل أية ملاحظة ترد إليها تتعلق بأثر من آثار صاحبها .

والكتاب يحوي كثيراً من المعلومات التي ليست لدى مؤلف كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » من المعرفة ما يتمكن به من التثبت بصحتها ، كما أن كثيراً من الأسر التي ورد ذكرها قد نُسبت في الكتاب المذكور إلى أصول أخرى ، غير ما ذكر الأخ فهد .

ولهذا كان من المناسب نشر الكتاب برمته لاطلاع القراء ، ليتفضل من لديه ملاحظة حوله بإبدائها .

أما التساؤل عن عدم ذكر جميع الأسر التي تحمل اسم (الربيعان) ، فالكتاب خصص للأسر المتحضرة قبل إنشاء المهجر مثل (نفي) . وأمر آخر فهناك كثير من الأسر لم يعرف صاحب الكتاب عنها شيئاً مع شدة حرصه على تدوين كل ما يعرفه بصفة عامة . وحبذا لو أن الأخ فهد بن محمد أو غيره من القراء ذكر ما يعرف من الأسر التي وصفها بالكثرة أو الأسر التي نُسبت إلى غير أصلها لكي يضاف كل هذا إلى الكتاب في طبعته المقبلة إن شاء الله . وما كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » سوى محاولة من المحاولات للشروع في تسجيل أصول جميع الأسر في بلادنا بصفة عامة متى وُجدت الوسائل التي تمكن من ذلك ووجد المهتمون بهذا الجانب من تراثنا .

أسرة الدفاع من آل عويّد

لفت نظري الأستاذ الدكتور علي بن عبدالله الدفاع ، أستاذ الرياضيات وتاريخ العلوم في جامعة البترول والمعادن في الظهران إلى أن لقب (الدفاع) أُطلق على أسرة الأستاذ علي ابتداءً من جدّه صالح بن عبدالله العويد الذي انتقل من بلدة المذنب إلى مدينة عنيزة ، وتزوج من أسرة آل يحيى المشهورة في تلك المدينة ،

□ سير أعلام النبلاء :

قبل ما يقرب من ثلاثين عاماً قررت الجامعة العربية نشر كتاب « سير أعلام النبلاء » لمؤرخ الإسلام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨هـ ،
فصدر الجزء الأول منه مصدراً بمقدمة للدكتور طه حسين بدأها بقوله : (هذا كثر
رائع نفيس من كنوز التراث العربي الإسلامي ، قررت الجامعة العربية نشره) .
وأشار في المقدمة إلى أن السيد حسن الشربتلي عرض عليه نيفاً وخمسين ألفاً من
الجنهات لنشر ما يرى نشره من الكتب العربية ، فلم يقبل منه إلا عشرة آلاف
جنيه فحسب .

وقد أصدر معهد المخطوطات في الجامعة العربية جزءين منه ، الأول : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد ، والثاني : بتحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري ، طبع
سنة ١٩٥٧م ثم توقف العمل حتى هيا الله له الأستاذ رضوان دعبول صاحب « مؤسسة
الرسالة » في بيروت ، فشرعت هذه الدار في نشر الكتاب منذ سنة ١٤٠١/١٩٨١ ،
فأصدرته في ٢٣ مجلداً صدر آخرها هذا العام (١٩٨٥/١٤٠٥) .

— فرزق بولد سماه عبدالله ، نشأ صغير الجسم سريع الحركة ، فلقب بالدفاع ، أما
أعمامه الذين يسكنون المذنب فلا يزالون معروفين باسم العويّد والذين انفردوا
بلقب الدفاع هم أسرة الدكتور علي وهم أبناء عبدالله بن صالح العويّد : علي
وصالح وعبد العزيز وعبد الرحمن وسليمان ، عُرِف هاؤلاء باسم الدفاع .
والأسرة من الوهة من بني تميم كما ورد في كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة
في نجد » - ص ٦٥٠ .

وقد صدر الجزء الأول بمقدمة ضافية للدكتور بشار عواد معروف أستاذ التاريخ بكلية الآداب في جامعة بغداد عن الذهبي وكتابه ، تعتبر دراسة وافية في موضوعها وتقع في ١٦٨ صفحة .

وهذا الكتاب مرتب على « الطبقات » والجزء الأول منه يبدأ بترجمة أبي عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشرين بالجنة ثم بقيتهم .

ولم يفرد المؤلف الذهبي سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وسير خلفائه الأربعة بتأليف ، وإنما أراد أن يُرجَعَ في ذلك إلى كتابه العظيم « تاريخ الإسلام » .

ويقف المجلد الأخير من الكتاب عند وفيات الذين عاشوا إلى منتصف القرن السابع الهجري . أما المجلد الذي يحوي تراجم من بعدهم إلى زمن وفاة المؤلف فمفقود .

ويعتبر هذا الكتاب من أوفى كتب التراجم وأشملها ، باستثناء ما أُلّف بعده ، ككتاب « الوافي » للصفدي .

وقد قام بتحقيق الكتاب الأساتذة شعيب الأرنؤوط (في أكثر الأجزاء) وحسين الأسد ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، ومأمون الصاغرجي ، وعلي أبو زيد ، ونذير حمدان ، وكامل الخراط ، وصالح السمر ، وأكرم البوشي ، وإبراهيم الزبيق ، وبشار عواد معروف ، ومحيي هلال السرحان ، وساعدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على نشر الكتاب ، وطبع طباعة جيدة على ورق صقيل وبحروف واضحة ، قد شكلت الكلمات الصعبة وأضيفت إلى الكتاب حواشي تضيف معلومات قيمة عن المترجمين .

ولو قيل بأن هذا الكتاب هو أهم كتاب تمّ نشره في هذه الأعوام من كتب التاريخ الإسلامي لما كان في هذا القول مبالغة .

وحببنا لو أفردت أسماء المترجمين كلها في جزء خاص ، ورتبت على حروف المعجم ، ليسهل الاهتداء إلى مواقعها من هذا الكتاب ، وما ذالك بالأمر الصعب بعد أن وضع المحققون في آخر كل جزء من أجزائه فهرساً مفصلاً وافياً لمن ترجموا فيه .

ج ١٠/٩ من ٢٠ الربيعان ١٤٠٦ - تشرين ثاني/كانون أول (نوفمبر/ ديسمبر) ١٩٨٥

نعم... ولد ^{عليه السلام} وصلى في مكة المكرمة

لعل المسافة الزمنية . . التي فصلت بين تعليق الأستاذ الجليل حمد الجاسر على مقال المنشور بمجلة «الدوحة»، عدد ديسمبر ١٩٨٤م، وبين هذا المقال الذي أهدف من ورائه استمرار الحياة لنقاش في حقيقته يهدف إلى تقرير أمر هو من أمور المسلمين جميعاً. وضع حوله خلاف مخطيء، لا تعيننا أهدافه ومسبباته بالقدر الذي يعيننا أن نضع الموضوع في قمة الحقيقة.

لعل تلك المسافة الزمنية الفاصلة، توجب عليّ - أن أتقدم بالإعتذار لشعوري بحساسية الموضوع ومكانته الجليلة، حيث إنه موضوع يختص بالبلد والموضع الذي ولد فيه ﷺ

وأعترف بأن الفضل في إثارة هذا النقاش يعود أساساً إلى أستاذنا المؤرخ الشيخ حمد الجاسر الذي عرض له في محاضراته التي ألقاها يوم ١٣/٥/١٤٠٢هـ بعنوان (الأثار الإسلامية بمكة المكرمة) وكانت في جامعة أم القرى.

والحقيقة أن هناك اتفاق على الروايات الموثوقة عند العلماء والمؤرخين التي تؤكد

أن رسول الله ﷺ قد ولد في مكة المكرمة، وأنه من أهل مكة المكرمة، وأنه من بني هاشم، قرشي، هاشمي.

ولقد سرّني مقال العالم الجليل المؤرخ، الأستاذ حمد الجاسر، الذي أيد فيه هذا الرأي، وأزال اللبس والغموض الذي وقع عند بعض الكتاب، من أنه - أي الأستاذ حمد الجاسر - ينكر ولادة رسول الله ﷺ، في مكة المكرمة..

ولقد أكد الأستاذ الجليل حمد الجاسر، أنه لم يَنفَ ولادته ﷺ، في مكة المكرمة، وقال في معرض تعليقه على مقالي المذكور في مجلة «الدوحة» عدد ديسمبر ١٩٨٤م: «ولم أنف ولادته، ﷺ في مكة المكرمة، وورد ذكر عسفان في كلام مُغلّطي، من قبيل نقل اختلاف العلماء في الموضوع ولا يلزم منه أنني أقول به أو أصححه، ونقلي القول ليس من لازمه الاعتقاد بصحته». إنتهى كلام الأستاذ حمد الجاسر. وهو هنا يقرر بجلاء ووضوح أن لا خلاف عنده في أن رسول الله ﷺ قد ولد في مكة المكرمة، وأنه إنما نقل تلك النصوص سواء قول الحافظ مُغلّطي الحنفي (٦٨٩ - ٧٦٢) في كتابه «الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء»، أو قول الشيخ عبدالله العياشي المغربي (١٠٣٧ - ١٠٩٠) صاحب الرحلة المشهورة «ماء الموائد» إنما نقل الأستاذ حمد الجاسر كل ذلك أو تحدث به في محاضراته التي ألقاها في جامعة «أم القرى» يوم الأربعاء ١٣ جمادى الأولى عام ١٤٠٢هـ عن الآثار الإسلامية في مكة المشرفة من قبيل نقل اختلاف العلماء وهذا أمر لا غبار عليه، لأن الأستاذ حمد الجاسر عالم ومؤرخ ومن حقه أن يستعرض الروايات التاريخية ويتعرض لها بالنقد والتحليل، والفحص والتعليق، خصوصاً أنه يتحدث في جامعة، وأمام علماء ومؤرخين، ومن حقهم أيضاً مناقشته ومعارضته بشرط أن يتم الحوار بأسلوب علمي، وعلى أساس موضوعي، يحيطه الخلق وتحرسه القيم، ويهدف إلى الوصول إلى الحقيقة ولعل من استمع إلى تلك المحاضرة كان يتطلع إلى مؤرخنا الجليل أن يقول في نهاية المحاضرة كلمته ترجيحاً لأي الأقوال تستند الحجة، وأيهما سار في الطريق الخطأ ولكن اكتفاء مؤرخنا

بالعرض دون الترجيح، قد أثار حول المحاضرة ما أثير في وقتها من مواضيع، كادت تغطي على هدف الوصول إلى الحقيقة، ومحور الموضوع حول بلد ومكان مولده ﷺ . .

وقد فاتني حضور تلك المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ حمد الجاسر، وبالتالي فاتني حضور وسماع ماجرى من نقاش وحوار حول موضوعاتها . . ولكنني قرأتها منشورة بمجلة «العرب» . . واطلعت على بعض الحوار الذي دار حولها، والشبهات التي أثيرت بصورة خاصة حول موضوع مكان وموضع ولادته ﷺ، ولكن اتهاماً صريحاً واضحاً من بعض الكتاب والمعلقين على محاضرة الأستاذ حمد الجاسر أزعجني جداً، فقد أكد أن الأستاذ الجاسر إنما أثار هذه الشبهات بغرض التشكيك في أثر إسلامي هام، وهو مكان مولد رسول الله ﷺ، بل وزاد على ذلك بأن الأستاذ حمد الجاسر لا يعتقد بأن رسول الله ﷺ قد ولد في مكة المكرمة وبذلك يكون قد نفى ولادته ﷺ بمكة المكرمة، وسعى إلى سلب مكة المكرمة شرف مولد النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وقد أزعجني هذا الأمر كما ذكرت، خصوصاً وأن الموضوع لا خلاف عليه بين العلماء والمؤرخين، ولادته بمكة المكرمة ثابتة، واقعة بالتواتر، والقرآن الكريم شاهد على ذلك، والأستاذ حمد الجاسر عالم ومؤرخ، أعرفه وأعرف رأيه وبحته، وحرصه على تفصي الحقائق، ولا أتصور أن ينفي أو يشكك في قضية واضحة كهذه، أو أن يتعرض لجزء من تاريخ وسيرة رسول الله ﷺ بالتشويه أو التشكيك، وقد كانت له كتابات عن مكة المكرمة أقل ما يقال عنها أنها كتابات منصفة وقيمة . .

ولهذا فقد حاولت الاطلاع على أساس المحاضرة، ومن ثم النقاش الذي تم، وسعيت إلى مقابلة الأستاذ الجليل، واجتمعت به مع الأستاذ الأديب الجليل عبد العزيز الرفاعي، والصديق الكريم الشاعر الدكتور عبد العزيز خوجة وكان لقاءاً ممتعاً . .

وجاءت الفرصة مواتية للحديث عن الموضوع وحدثت الأستاذ حمد عن ما أثير حول محاضراته، وقلت له يوماً: أنه إن كان هناك وهم أو تردد حول موضع

الولادة، وهل هي في الدار التي تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج، أو بالدار التي في شُعْبِ بني هاشم. وكما قال الإمام السهيلي (٥٠٨/٥٨١) في كتاب «الروض الأنف». وكما أورده الأستاذ حمد الجاسر: «ولد بالدار التي عند الصفا، وكانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت»... وذكر كذلك ما أورده تقي الدين الفاسي من نفس النص السابق حيث استغربه وقال: (مولد النبي ﷺ بسوق الليل وهو مشهور).

قلت يومها للأستاذ الجاسر: إن كان هناك اختلاف على الموضوع، فلا خلاف في أمر ولادته بمكة المكرمة على أي حال، ولم يدهشني موافقته على ذلك، فقد اطلعت على رأيه المنشور، ولكنني سعدت بسماع تأكيد على ذلك، مما لم يدع مجالاً للشك عندي أنه قد فهم حديثه من المحاضرة على غير ما أراد وقد يكون مرد ذلك إلى حساسية الموضوع ودقته وأن الأستاذ حمد الجاسر عندما أورد تلك النصوص صدمت بعض الحاضرين لغرابتها وشذوذها، وتوهما أنها من كلام الأستاذ حمد الجاسر وربما ظنوا أنه موافق عليها وهو يقول صراحة، أنه إنما نقل ذلك الكلام من حديث مُغلطاي من قبيل نقل اختلاف الأقوال، ولا يلزم ذلك ولا يعني أنه يقول به أو يؤيده أو يصححه أو حتى يعتقد بصحته..

وما دما قد اتفقنا على الجزء الأول من البحث، وأنه ﷺ من مواليد مكة المكرمة فلننتقل إلى الجزء الثاني وهو تحديد موضع ولادته، ﷺ وفق ما ورد من روايات وأخبار دقيقة.

ومن المناسب أن لا ندع باب نقاش كهذا. يُقفل في وجه الوصول إلى معرفة أي المواضع على وجه التحديد هو الموضوع الذي تمت فيه ولادته ﷺ من مكة.

وبالمقدار الذي استطعنا به أن نرد قول القائلين بأن ولادته ﷺ لم تكن في مكة المكرمة فإنني سأحاول بالمقدار نفسه أن أضع أمام مؤرخينا صورة تقرر موضع المولد الشريف في مكة، معتمداً في ذلك على ما بين يدي من أقدم ما كتب في تاريخ مكة المكرمة، وأعتقد أنها هي الصورة الحقيقية التي تبقى إلى أن تظهر حقيقة أخرى

أقدم منها، أو يظهر أثرٌ يقرر عكس ما قررته تلك الصورة.

ولقد حاولت أن أضع مقالي هذا على قسمين القسم الأول منه بعد هذه المقدمة يتحدث عن ولادته في مكة المكرمة، حتى يكون هذا المقال قد حمل موضوعاً متكاملاً رغم أنه سبق الفصل فيه في السابق. على أي أعترف لمؤرخنا بقصر خطواتي في هذا المجال أمام خطواته الواسعة.

لذلك فإنه من حقنا عليه أن نستزيد من بحوثه، وسعة معلوماته، لا سيما وأنه قد قرر في محاضراته - التي هي موضع البحث - أنه من محبي الآثار والباحثين عنها والمحققين فيها، وهذا الأثر الذي هو موضع نقاشنا وبحثنا من أعظم الآثار الإسلامية، ولعل الخطوة الأولى هي أن نحدد أقدم من ألف في تاريخ مكة وهم كالتالي:

- (١) محمد بن عمر الواقدي - المتوفي سنة ٢٠٧هـ
- (٢) علي بن محمد المدائني - المتوفي سنة ٢٢٥هـ
- (٣) أبو الوليد الأزرقى - المتوفي سنة ٢٥٠هـ
- (٤) الزبير بن بكار - المتوفي سنة ٢٥٦هـ
- (٥) عمر بن شبة - المتوفي سنة ٢٦٢هـ
- (٦) محمد بن إسحاق الفاكهي - المتوفي سنة ٢٨٠هـ

ومعروف أيضاً أنه لم يبق في التداول بين الناس سوى كتاب الأزرقى «أخبار مكة» كما توجد نسخة من كتاب الفاكهي في إحدى خزائن أوروبا.

فالعمدة في تاريخ مكة إذن هو كتاب الأزرقى «أخبار مكة» وهو موضوع في القرن الثالث الهجري، ومعنى هذا أنه أقرب صلة بالعهود التي سبقتها، كما أن الرجل مكّي يروي عن جده المكّي فمعلوماته إذن أدق وأوثق من أي تاريخ .. إلا أن تظهر آثار من تلك العهود تقرر غير ما قرره الأزرقى.

إعتيادنا إذن في موضوع البحث يكون على كتاب الأزرقى «أخبار مكة».

نأخذ الصورة الجغرافية التي رسمها الأزرقى في كتابه، والتي أضاف إليها الأستاذ أحمد السباعي رحمه الله شيئاً من الإيضاح في كتابه «تاريخ مكة» يقول الأستاذ السباعي رحمه الله ص ٣٠ الطبعة الرابعة: (لتوضيح ذلك في الأذهان نستطيع أن نجعل من باب بني شيبه نقطة ابتداء لتخطيطاتهم، فقد كان موضع ارتكاز الحركة العمرانية في أم القرى، كما كان أهم مداخل المسجد الحرام، وكانت البيوت تتكاثف حوله متجهة في الشرق إلى حصوة باب علي، وفي الشمال قليلاً إلى حصوة باب السلام، تنزلها بطون من غساسنة الشام وبعض السفينيين، وتتخللها متاجر للعطارين.

فإذا مضى بنا الخط مستقيماً إلى جهة باب النبي واجهنا بيت العباس ودار جُبَيْر بن مطعم، ودورا لبني عامر بن لؤي واستقام أمامنا زقاق أصحاب الشيرق، وهو إلى جانب زقاق الحجر، حيث تقوم دار لابن علقمة ودور أخرى لآل عدي من ثقيف.

فإذا نفذنا من ذلك إلى شارعنا العام في القشاشية متوجهين إلى أعلى مكة استقام أمامنا سوق كانوا يسمونه سوق الفاكهة، ثم سوق الرطب، ثم رباع كانت لبعض بني عامر - وعند سوق الليل تصافحنا الدار التي كانوا يسمونها دار مال الله، وبالقرب من الدار يلتوي شعب ابن يوسف وهو ما نسميه اليوم شعب علي، وفيه دور عبد المطلب بن هاشم ودور أخرى لأبي طالب وأخرى للعباس بن عبد المطلب.

وإذا عُدْنَا إلى استقامتنا في شارعنا العام يصافحنا دار العاص في فوهة شعب بني عامر، ثم يلتوي شعب بني عامر في دروب متعددة.

إلى هذه النقطة هو الحد الذي يهمننا. وأخذناه موضحاً من تاريخ الأستاذ السباعي رحمه الله وقد أخذ من تاريخ الأزرقى وأحال إلى صفحات الجزء الثاني الصفحات ١٨٧ إلى ٢١٤ من هنا وجب علينا:

أولاً:

أن نعود الآن إلى كتاب الأزرقى - الجزء الثاني صفحة ٢٣٣ - ونقف أمام رباع قریش وحلفائها.

يقول للأزرقى: أولها رباع بني عبد المطلب بن هاشم - قال أبو الوليد: «الدار التي صارت لابن سليم الأزرق وهي إلى جانب دار بني مرحب صارت لاسماعيل بن ابراهيم الحجبي، وهي قبالة دار حويطب بن عبد العزى إلى منتهى دار ابراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبدالله (فلولده الحارث بن عبد المطلب أول ذلك الحق - يعني الملك - وهي الدار التي اشتراها ابن أبي الكلوح البصري والحق الذي يليه (يعني الملك) هو الشعب شعب ابن يوسف (المسمى حالياً شعب علي) وبعض دار ابن يوسف لأبي طالب - والحق الذي يليه (يعني الملك) وبعض دار ابن يوسف المولد مولد النبي ﷺ وما حوله لأبي النبي ﷺ عبدالله بن عبد المطلب - والحق الذي يليه (يعني الملك) حق العباس بن عبد المطلب (وهي دار خالصة - مولاة الخيزران -) ثم حق المقوم بن عبد المطلب (وهي دار - الطلوب - مولاة زبيدة) ثم حق أبي لهب وهي دار أبي يزيد اللهبي - فهذا آخر حقهم في هذا الموضع.

وللعباس بن عبد المطلب أيضاً الدار التي بين الصفا والمروة التي بيد ولد موسى بن عيسى التي إلى جانب الدار التي بيد جعفر بن سليمان، ودار العباس هي الدار المنقوشة التي عندها العَلَم الذي يَسْعَى منه من جاء من المروة إلى الصفا - ويزعمون أنها كانت لهاشم بن عبد مناف - ولهم أيضاً دار أم هانئ بنت أبي طالب التي كانت عند الحناطين عند المنارة، فدخلت في المسجد الحرام حين وسعه المهدي - الهدم الآخر سنة سبع وستين ومائة.

ثانياً:

نعود إلى الصفحة (١٠٩ ج ٢) - «أخبار مكة» للأزرقى - تحقيق رشدي الصالح ملخص الطبعة الثانية - نَجِدُ:

قال أبو محمد اسحاق بن أحمد بن اسحاق بن نافع الخزاعي: (فكانت دار الندوة على ما ذكره الأزرقى في كتابه - لاصقة بالمسجد الحرام في الوجه الشامي من الكعبة وهي دار قصي بن كلاب، وكانت قريش لتبركها بأمر قصي تجتمع فيها للمشورة في الجاهلية ولإبرام الأمور وبذلك سميت دار الندوة للإجماع الذي فيها).

ثم كانت الندوة بعد هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار - ثم إلى ابنه عمير أبي مصعب بن عمير وعامر ابني هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، ثم ابتاعها معاوية بن أبي سفيان في خلافته من ابن الرهين العبدي، وهو من ولد عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، فطلب شيبة بن عثمان الشُّفَعَةَ فيها من معاوية فأبى عليه، فعمرها معاوية، وكان ينزل فيها إذا حج، وينزلها من بعده الخلفاء من بني أمية إذا حجوا - وقد دخل بعضها في المسجد الحرام في زيادة عبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وسليمان ثم دخل بعضها أيضاً في زيادة أبي جعفر المنصور في المسجد.

وكان خلفاء بني العباس ينزلونها بعد ذلك إذا حجوا - فترها أبو العباس وأبو جعفر والمهدي وموسى والهادي وهارون الرشيد إلى أن ابتاع هارون الرشيد دار الأمانة من بني خلف الخزاعيين وبنائها.

ثم خربت دار الندوة وتهدمت - يقول أبو محمد الخزاعي: (رأيتها على أحوال شتى، كانت مقاصيرها التي للنساء تُكْرَى من الغرباء والمجاورين، ويكون في مقصورة الرجال دواب عمال مكة، ثم كانت بعد ينزلها عبيد العمال بمكة من السودان وغيرهم، ثم كانت تُلقَى فيها القمام، ويتوضأ فيها الحاج وصارت ضرراً على المسجد الحرام وفي سنة ٢٨١ كتبوا إلى أمير المؤمنين أبي العباس المعتضد بالله أبي ابن أحمد الناصر لدين الله ابن جعفر المتوكل على الله بأحوال دار الندوة والمسجد الحرام، فأمر كاتبه عبيد الله بن سليمان بن وهب وغلّامه بعمل ما رفع إليه من عمل الكعبة والمسجد الكبير وبعمارة دار الندوة مسجداً يوصل بالمسجد الكبير).

فأمر بذلك القاضي ببغداد يوسف ابن يعقوب وحمل المال إليه - فقدم عبدالله بن يوسف في وقت الحج ، وقدم معه برجل يقال له أبو الهياج عمير بن حيان الأسدي من بني أسد بن خزيمه ، فوكله بالعمل ، ثم أخرج القهائم من دار الندوة وهدمت ، ثم أنشئت من أساسها فجعلت مسجداً بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المذهب ، ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر باباً .
قال أبو الحسن الخزاعي : (قد كان هذا الجدار معمولاً على ما ذكره عم أبي محمد الخزاعي إلى أيام الخليفة جعفر المقتدر بالله ثم غيره القاضي محمد بن موسى حتى صار من في دار الندوة من مصل أو غيره يستقبل الكعبة فيراها كلها - عمل ذلك في سنة ٣٠٦ .

ثالثاً :

نرجع إلى الصفحة التاسعة والستين من كتاب الأزرقى حيث نبحت في زيادة ابن الزبير في المسجد الحرام فنجد أن الأزرقى يتحدث في صفحة (٧٠) فيقول :
(ثم رد جدار المسجد منحدر على وجه دار الندوة وهي يومئذ داخله في المسجد الحرام ، وبابها وسط الصحن أشار جدي إلى موضع يكون بينه وبين موضع الصف الأول ، ففرض جدي برجله في هذا الموضع فقال : (كان ها هنا باب دار الندوة ، فلم يزل باب دار الندوة في موضعه هذا حتى زاد أبو جعفر أمير المؤمنين في المسجد فأخبره . إلى ما هو عليه اليوم - قال جدي : لم أسمع أحداً ممن سألت من مشيخة أهل مكة وأهل العلم يذكرون غير ذلك) .

رابعاً :

نقف عند الصفحة ١٩٩ ج ٢ من كتاب الأزرقى لنبحث منزل خديجة بنت خويلد وهو البيت الذي كان يسكنه رسول الله ﷺ وخديجة رضي الله عنها - وَلَدَتْ فِيهِ خَدِيجَةُ أَوْلَادَهَا جَمِيعاً ، وتوفيت فيه ، وسكنه النبي ﷺ حتى هاجر ، فأخذه عقيل ابن أبي طالب ثم اشتراه منه معاوية - وهو خليفة - فجعله مسجداً يُصَلَّى فِيهِ ، وبناه بناءه هذا ، وحدوده الحدود التي كانت لبيت خديجة لم تغير فيها

ذكر عمن يوثق به من المكين، وفتح معاوية فيه باباً من دار أبي سفيان بن حرب هو قائم إلى اليوم، وهي الدار التي قال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» وهي الدار التي يقال لها اليوم دار ربطة بنت أبي العباس أمير المؤمنين.

(وفي هامش الصفحة قال الأزرقى: «يسمى الزقاق الذي فيه هذه الدار زقاق العطارين أما اليوم فيسمى زقاق الحجر ويقال لهذه الدار دار فاطمة الزهراء رضي الله عنها).

الحصيلة التي نخرج بها:

أولاً: أثبتنا من وقوفنا أمام رباع بني عبد المطلب بن هاشم أن دار عبدالله بن عبد المطلب كانت في ذلك الرباع وإلى جوارها دار أبي طالب ثم دار العباس ثم دار المقوم بن عبد المطلب ثم دار أبي هب.

ثانياً: استعرضنا دور كل بني عبد المطلب فلم نجد لهم غير الدار التي للعباس بين الصفا والمروة ثم دار أم هانيء بنت أبي طالب التي دخلت في توسعة المسجد الحرام زمن المهدي سنة ١٦٧ ثم دار الندوة التي بناها قصي بن كلاب، ووصلت إلى هاشم بن عبد مناف ثم إلى ابنه عُمير وعامر، ثم ابتاعها معاوية من ابن الرهين العبدي وهو من ولد عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، ثم ظلت لخلقاء بني أمية، ثم لخلقاء بني العباس حتى بني هارون الرشيد داراً فخربت دار الندوة، ثم عمرها أبو العباس المعتضد، بالله، وكان الذي قام بالإشراف على تعميرها القاضي ببغداد يوسف ابن يعقوب.

ثالثاً: من هذا يتضح لنا أن البيت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ هو بيت والده عبدالله بن عبد المطلب، وهو البيت الذي في رباع بني عبد المطلب، فليس معقولاً أن يولد في دار الندوة لأنها ليست دار أبيه ولأنها دار لإبرام الأمور، وليس معقولاً أن يولد في بيت العباس ما بين المروة والصفا ولا في بيت أم هانيء ولا في بيت خديجة بنت خويلد القريبة من ردم عمر.

رابعاً: من هذا أيضاً يتضح أن الذي اشترى بيت أبي طالب وبيت عبدالله بن عبد المطلب هو محمد ابن يوسف أخو الحجاج بن يوسف الثقفي وبنى عليها داراً. أما الذي أشرف على تعمير دار الندوة في خلافة المعتضد بالله هو القاضي يوسف ابن يعقوب وفرق بين الاثنين.

خامساً: من الواضح أن العَدَاء الذي كان في نفوس الأمويين وولاتهم وخاصة الحجاج كان يقتضي أن يزال ما يمكن من التفاف الناس حول الهاشمين لذلك كان لا بد من شراء دار المولد وبناء دار عليها لأخي الحجاج حتى يُمَحَى بمرور الأزمان أثر مهم من آثار بني هاشم. يدل على هذا أنه عندما جاءت دولة العباسيين عمدت الخيزران أم الخليفين موسى وهارون إلى شراء الدار وجعلتها مسجداً يُصَلَّى فيه، وأخرجت مكان المولد، وأسرعته في الزقاق الذي من أصل تلك الدار يقال له زقاق المولد.

سادساً: إذا أضيف إلى هذا الإثبات تواتر الأجيال جيلاً بعد جيل، وهم يشيرون إلى هذا الموضع بأنه هو المولد النبوي فإنها إضافة إلى الإثبات لم تأت من فراغ وإنما جاءت من يقين.

وخلاصة القول أنه إذا لا خلاف إطلاقاً على أنه ﷺ من أهل مكة، وأنه قد ولد بمكة المكرمة، وأبوه من أهل مكة، وأمه من أهل مكة، وعشيرته من بني هاشم وقبيلته قريش. وهذا رب العزة والجلال يقول في محكم التنزيل: ﴿وَكَايَنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾.

والقرية المقصودة في الآية الأولى هي مكة المكرمة وقد أضيفت إلى النبي ﷺ، وإضافتها إلى النبي تؤكد أنها مكان ولادته لأن العرف ما جرى على أن تنسب قرية إلى إنسان لم يُولد بها.

وفي الآية الثانية: المعاد هو المكان الذي بشره الله بأنه سوف يعود، ويرده الله

إليه، وقد كان ﷺ شديدَ التعلق بمكة المكرمة، وتألَّم لفراقها كثيراً، وقد ورد في أسباب النزول أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ: «اشتقت إلى بلدك ومولدك؟» فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم» فنزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾.

أما عن الشعب الذي قصده وتحدثت عنه في مقالي المنشور في مجلة «الدوحة» فهو شعب بني هاشم الذي عرف فيما بعد بشعب علي، وهو مكان معروف حتى اليوم في مكة المكرمة، وليس شعب عامر كما ورد خطأ في المقال وصححه الأستاذ حمد الجاسر.

والمكان والموضع المعروف الآن في مكة المكرمة بمكان المولد هو مكان ثبت بالتواتر، وهو في أول شعب علي، وفي مكان المكتبة المعروفة الآن بمكتبة القطان التي بناها الشيخ عباس قطان في نفس مكان المولد المعروف، وهو مكان الدار التي تدعى لمحمد بن يوسف أخيه الحجاج وقول الإمام السهيلي: (ولد بالشعب وقيل بالدار التي عند الصفا) يؤكد هذا الكلام. لأن الدار تقع في أول شعب عند بداية الشعب ومُطَلَّة على الصفا وهي أيضاً قرب منطقة سوق الليل التي تحدث عنها تقي الدين الفاسي عندما استغرب قول الإمام السهيلي فقال: (مولد النبي ﷺ بسوق الليل وهو مشهور) فالدار في أسفل الشعب، بل في أوله فيما بقي منه الآن أي ما بقي من أسفل الوادي، وهي في منطقة سوق الليل، وعلى مقربة من الصفا، ولا يستبعد أن بعضهم نسبها إلى شعب بني هاشم لأنها في أسفله وبعضهم نسبها إلى الصفا لقربها منه، وكلام تقي الدين الفاسي ينطبق على ذلك، لأنها في منطقة سوق الليل، أو على مقربة منها.

والحقيقة أنني قد استغربت كثيراً رأي الشيخ العياشي المغربي صاحب رحلة «ماء الموائد» والذي قال فيه ما نصه نقلاً عن محاضرة الأستاذ حمد الجاسر. (وقد عُلم من كتب السيرة ما وقع من الاختلاف في مولده ﷺ . . والولادة وقعت في زمن الجاهلية، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة، سيما مع عدم تعلق غرض لهم

بذلك . . وبعد مجيء الإسلام فقد عُلِمَ من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقيد بالأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي . . لصرف اعتنائهم لما هو أهم من حفظ الشريعة) إلى آخر ما ذكر.

وهنا الكلام مستغرب، لأن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا شديدي التعلق بآثار رسول الله ﷺ.

وهذا ابن عمر رضي الله عنه وكان من أشد المتبعين لآثاره ﷺ وقد روى عن نافع بن عمر رضي الله عنهما، كان يتبع آثار رسول الله ﷺ . . في كل مكان صلى فيه، حتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، وكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء كي لا تبيس. («أسد الغابة» ج ٣ ص ٣٤ «سير النبلاء» ج ٣ ص ٢١٣).

عن ابن وهب، عن مالك عن حدثه، أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره، وحاله ويهتم به.

عن عاصم الأحول عمرة قال: كان ابن عمر إذا رآه أحد قال كأن به شيئاً من شدة اتباعه آثار النبي ﷺ «طبقات ابن سعد» ج ٤ ص ١٤٤.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منزله كما كان يتبعه ابن عمر.

قال الزبير بن بكار: (وكان ابن عمر يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحله في كل طريق مر بها رسول الله ﷺ، فيقال له في ذلك، فيقول: (أُتَحَرَّى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ)). «تاريخ بغداد» ج ١ ص ١٧٢).

عن أنس رضي الله عنه: (قال رجل من الأنصار: «يا رسول الله إني رجل ضخم لا أستطيع أن أصلي معك»، وصنع له طعاماً ودعاه إلى بيته وقال «فصل حتى أراك كيف تصلي فأقتدي بك» فنضحوا له طرف حصير كان لهم فقام عليه

السلام فصلی رکعتین) (البخاري وأبو داوود ج ١ ص ٤٣٠).

ومعنى الحديث أنه أراد أن يتخذ مكاناً يصلي فيه الرسول فصلی له في البيت لعدم استطاعته حضور المسجد معه لبدانته.

كان ابن عمر رضي الله عنهما يتبع آثار النبي ﷺ في كل مسجد صلى فيه وكان يقف في الموقف الذي وقف به «الإصابة» ج ٢ ص ٣٤٠.

فكيف بعد هذا يمكن القول بأن الصحابة لم يهتموا بتتبع آثار النبي ﷺ . . . وهناك نقطة على جانب من الأهمية . . . وهي أن ما ذكره العياشي من أن الصحابة رضوان الله عليهم قد انشغلوا بتدوين السيرة عن تتبع آثار رسول الله ﷺ ومكان ولادته ونشأته . . . هذا الكلام مردود عليه من ناحية:

أولاً: إن تدوين السيرة لم يتم في مكة المكرمة . . . وإنما بعد هجرته ﷺ واستقراره في المدينة المنورة فكيف يكونون قد انشغلوا عن ذلك . . . ومعظمهم ملتصق برسول الله ﷺ، متتبع لآثاره؟

ثانياً: إن الذين حضروا ولادته وحضارته ﷺ مثل حليلة السعدية والشفاء رضي الله عنهما تعرف مكان ولادته ومسقط رأسه وقد قالت في حديثها المشهور: إنها حضرت الولادة، وأنها رأت نُوراً يسطع في جميع جهات الدنيا . . . والملائكة ترد على رسول الله ﷺ فتقول . . . رحمك الله أو رحمك ربك.

فإذن الشفاء رضي الله عنها حضرت الولادة وعاشت وأسلمت فكيف لا يكون هناك من يعرف مكان ولادته . . . ثم إن هناك الكثيرين ممن حضروا فترة ولادته عليه السلام وعاشوا بعد ذلك . . . بعد بعثته ﷺ . . . وكانوا يعرفون أمه وأباه وعشيرته . . . ومكان ولادته . . . ومكان نشأته ومكان رعيه للأغنام فبعد أن بعثه الله عز وجل نبياً ورسولاً زاد تعلقهم بتلك الأماكن التي كان يغشاها رسول الله عليه الصلاة والسلام أو التي ولد فيها.

وخلاصة القول: أن رسول الله ﷺ ولد بمكة المكرمة، وأن ولادته كانت في ←

كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور

- ٢ -

وهذه هي الرسالة :
أصل النسخة المخطوطة محفوظة في مكتبة (جستريتي)، ويظهر أنها في مجموع
يحتوي ثلاثة كتب، هي الأول منها.
والثاني: «حوادث تاريخ دمشق اليومية من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٧٦».
والثالث: (تاريخ ذيل حديقة وزراء بغداد للمهذب سعيد السويدي).
وقد كتب تحت اسم الرسالة التي الكلام بصددتها جملة: (بخط مؤلفه) وكذا
ذيل حديقة وزراء بغداد. وإذا صح أن الرسالة بخط المؤلف فيظهر أنه دفعها إلى
خطاط قام بتجميل الصفحات الأولى بوضعها بين خطوط مستطيلة، يظهر أنها
مذهبة في العشر الورقات الأولى، كما وضع زخرفة في الصفحة الأولى، ونُقِطاً في
نهاية الجمل.

وخط النسخة حسن بالقلم النسخي، وتقع في ثلاث وعشرين ورقة عن ست
وأربعين صفحة، في الصفحة الأولى ما نصه: (كشف الحجب والستور، عما وقع

→ شعب بني هاشم المعروف الآن بشعب علي، وفي الدار التي عند أسفل الشعب
على مقربة من الصفا، وهي الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخيه الحاج
والمعروفة الآن في مكة المكرمة بمكتبة الشيخ عباس قطان بسوق الليل وهذا أمر
تلقتة الأجيال جيلاً بعد جيل. والله سبحانه وتعالى أعلم وبالله التوفيق..

الدكتور محمد عبده يماني

لأهل المدينة مع أمير مكة سرور، تأليف الفقير، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربه الكريم المنجي، السيد زين العابدين ابن السيد محمد البرزنجي، لطف الله به) وفي الصفحة الأخيرة: (وكان الفراغ من تبييضها ليلة الجمعة ٩ من محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة وخمسة وتسعين من هجرة سيد المراسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين).

وليس في النسخة من الإشارات كتغير بعض الكلمات، أو إضافة بعضها، أو التصحيح، ما يفهم منه أن النسخة بخط المؤلف. (الصفحتان الأوليان من أصل الرسالة في الصفحة المقابلة).

(الصفحتان الأخيرتان من أصل الرسالة في ص ٥٩٤).

وقد تكون النسخة قدما المؤلف لأمر الحاج الشامي محمد باشا، ويستأنس لهذا من إضافة الرسالة المتعلقة بتاريخ دمشق إليها.

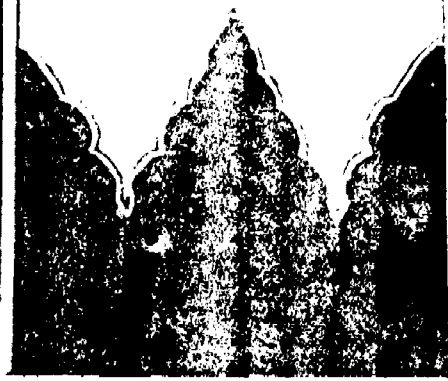
وقد اكتفيت بعرض صور أربع صفحات منها عن الاسترسال بالإطالة في وصف المخطوطة، ولم أرد إثقال القارئ بكثرة الحواشي والتعليقات، بل اكتفيت بمحاولة تقديم الرسالة بنصها، مع إشارات موجزة إلى ما يحتاج إلى تعليق مما ورد فيها.

وهناك ملاحظات يجب أن لا تغيب عن ذهن القارئ، منها ما يتعلق بأسلوب الرسالة:

١ - يكثر فيها اللحن، لأن المؤلف التزم السجع، وكثيراً ما يحمله هذا على عدم التقيد بقواعد الإعراب، وقد اكتفيت بالإشارة إلى بعض الكلمات التي لم تُقرَّب بوضع علامة الاستفهام بجوارها (؟).

٢ - في الرسالة كثير من الكلمات العامة، أوردتها على علانها، ومنها ما لم يتضح لي صوابه.

٣ - وقع في المخطوط طمس بعض الكلمات، مما لم تتضح لي قراءته، فوضعت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 من جعل القضاة أظهرة طامع البصيرة واليها
 حجة وجهه انصاع ما نطق به العباد ومن يهدي الله
 فلا ضل له ومن يضل فالله من هادركم شكر من لم
 للسد والكبر والرياء والنفاق وقام بمقوق امامه واطاع
 الملك الملاقاة بها انه لا اله الا الله وحده لا شريك له
 شهادة خالصة من الزندق والفرقة والمروق والبغي
 والعناد ان سيدنا محمد نبينا محمد عبد ورسوله قد انت
 للبيان المنزل عليه ان ربك بالهدى القائل الجبر ان الكرام

عند خضوع صابرهم لن ترعوا لن تراعي ويا جبر الفلام
 والقال اظها والمقامهم الاسماء من اهل المدينة لبوا اذ
 الله كاذوب الملح في الماء والقائل منها الميت والحي
 اهل المدينة فكانا اخاف ما بين جنبي الله من وطمع علي
 به نفس صبح اقبال بالفرج من كل مكروب ومنع على
 حمد ومه زعاع الدواهي والمخطوب وعلامة اليقين ارباب
 لهم والكرم الموفون بعهده اذ اعاهد واما الجبر والاسرار
 من النجاة وكواكب الناس ومعدن الاسرار واصحاب الكثرة
 البرارة الكمل بالخيار عار الايمان ما دانت القلوب
 من رضين واتي مع العسر اليسر ومع الشدة الفرج والفتح
 المبين ووجد في هذا المنشور من فعل امير مكة سرور فيج
 ما فعله بجيران سيد الانام عليه افضل الصلوات وازكي
 السلام من الغدر والقتل والنهب والمك برحابه
 بعد ان امنهم وعاهدكم بالخبر بين يدي علي جنابه وذر
 مصداق القول الشيع الذي لم يجعل الله في حكمه طيش

(الصفحتان الأوليان من المخطوطة)

حين يهزم اليوم بانه يراهم هم الغايرون • قد بوا عن الانتماء
 باروا حكمه في عند وكر وروا حكمه • قد ورد في الخبر عن صاحب
 هذا القبر العظمى صلى الله عليه وسلم انه قال من قبل دون
 ماله وروحه فهو شهيد • جعلني الله واياكم من اهل التوحيد
 ان احسن الكلام وابين النظائر • كل ما مرهنا الملك
 العلامه • واه سبحانه وتعالى يقول على شان سيد الانام
 ويقول له يهدي المؤمنين • واذا قرأ القرآن فاستمعوا
 له وانصتوا لعلكم تتقون • اعرف باه من الشيطان
 الرجيم • بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اصبروا
 وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون • بارك الله فيكم
 في القرآن العظيم • ونفقوا ياكم بالايان والذكر الحكيم
 وآمركم بما الله به من حسن العلامه • فاطمعه
 وانيماكم وياي عن ما يهوا الله عنه من قبح العصبه فانقوا
 الله ولا تعصوا • واستغفر الله العظيم • ولكم ولوالدكم
 ولوالديكم ولجميع اخواننا في الاسلام • واستغفره بعد ذلك

حسن الختام •

حسن الختام • وهذا آخر ما ينسجعه من هذه الرسالة • مع
 غاية من الاختصار في مقاله • لطيف الوقت وخشبة الطول
 ومستند بها انشاء الله بما بعد رفي • العامه من الاسرار
 يشاهد عالم الخاص والعامه • والمرجو من بقية علماء ان ينظر
 بعين القبول والانصاف اليها • فان راى خللا اصله بقله
 او لا يستمر بذل كرهه • فقد قيل من صنفه فقد استنفذ
 ومن انصفه فقد اسدغه • وعلى كل حال قد اجاب الشارح بقوله
 • كونه مجتهدا • وليس يجوز من ملط •
 • قلل قد لا سني • من الله ما ساقط •
 واهه الموفق للصواب • والله المرحم والمآب • وكان

الفراغ من تبسيطها ليلة الجمعة ٩ من محرم الحرام
 ١٢٩٥ سنة الف وسماء وخمس
 وتبنيته من عرج سيد المرسلين
 صلى الله عليه وعلى
 وصحبه أجمعين
 والحمد لله
 العالمين
 م

مكانها نقطاً (...) وهي كلمات قليلة.

وأهم من كل ما تقدم: ورود عبارات لا تستساغ شرعاً بالنسبة إلى جناب المصطفى - عليه أفضل الصلاة والتسليم، - من التعليق به والاستجارة، ودعائه وغير ذلك من الأمور التي هي من أنواع العبادة، مما لا يجوز صرفه إلا لله وحده، ونحمد الله تعالى أن مثل هذه الأمور أصبحت لا تخفى على كل منصف، ولهذا لم أر ما يدعو إلى التعليق على الجمل الواردة من المؤلف من هذا القبيل، إذ هي مما يدركه القارئ، ويدرك مجانفته للحق متى أراد سلوك النهج السوي، سالكاً سبيل الإنصاف، نائياً ما استطاع عن متابعة الهوى ﴿ومن يضلل الله فما له من هادٍ﴾.

وها هو نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: سبحانه من جعل القضاء والقدر طامساً للبصيرة والبصر، أحمدُه وحده أفصح ما نطقت به العباد، ومن يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضِلِلْ فما له من هادٍ، وأشكره شكر من سلم من الحسد والكبر والرياء والتفاق، وقام بحقوق إمامه وأطاع الملك الخلاق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة من الزندقة والفرعة والمروق والبغي والعناد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله مُدِلُّ الجبابرة المنزل عليه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ القائل لجيرانه الكرام عند ضجيج صارخهم: «لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا» في دياجير الظلام، والقائل إظهاراً لمقامهم الأسمى، «من أراد أهل المدينة بسوءٍ أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»، والقائل مُنْبهاً للميمت والحي: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَكَأَنَّمَا أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيْ»^(١)، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ تَنْفَسُ صُبْحُ إقباله بالفرج عن كل مكروب، وزحزح طالعُ قدومه زعازع الدَّوَاهِي والخطوب، وعلى آله الطيبين أرباب الحلم والكرم، الموفون بعهد الله إذا عاهدوا بالجهر والأسرار، سفن النجاة وكواكب الأمن ومعدن الأسرار، وأصحابه الورثة الأبرار، الكُمَّل الأخيار، صلاةً وسلاماً دائمين مادامت السموات مع الأرضيين، وإن مع العسر اليسر، ومع الشدة الفرج والفتح المبين.

وبعد: فهذا المنشور من فعل أمير مكة سرور، وقبيح ما فعله بجيران سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، من الغدر والقتل والنهب والمسك برحابه، بعد أن أمنتهم وعاهدتهم بالحجارة بين يدي علي جنابه، وذلك مضداً لقول الشفيح الذي لم يجعل الله في حكمه طيش، حيث قال: «يكون هلاك أمتي على يد أغيلة من قريش»، وحيث قال رسول رب العز والسماوات: «ليخرجن أهل المدينة منها أعمار ما كانت نصفاً رطباً»، قيل: من يخرجهم، قال: «أمرأء السوء»، وحيث قال ﷺ: «إن من أشراط الساعة إذا ساد القبيلة فأسقهم، وكان زعيم القوم أزدلهم، وأكرم الرجل غفلة شره لا للطاعة، وحيث قال سيدكم، ورجاؤكم: إن من أشراطها إذا كانت الفاحشة في كباركم والمملك في صغاركم والعلم في رذالكهم، والمداينة في خياركم، وحيث قال من حط على الجمعة والجماعة: «إذا رأيتم الحفاة العراة يتناولون في البنيان فانتظروا الساعة»، لأنهم لا يشتغلون بالذكر ولا بالعلم ولا بالجهاد، وإنما هم من الأعراب الذين يشعون في الأرض الفساد، وحيث قال خاتم أنبياء الله ورسله: «إن من أشراط الساعة إذا تولى الأمر غير أهله»، وحيث قال المظلل الغمام، الطاهر المعصوم فارس الإسلام الذي جرد حسامه: «يأتي زمان على أمتي لا يتبع فيه العالم، ولا يستحق فيه من الحليم، ولا يعز فيه الكبير، ولا يرحم فيه الصغير ويقتل بعضهم بعضاً على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم السنة العرب، ولا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، يمشي الصالح فيهم مستخفياً، أولئك شرار خلق الله، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة»، والله در القائل حيث قال، وأبدع في المقال:

أيا دهر أعملت فينا أذاك وأوليتنا بعد وجه قفاكا
قلبت الشرار علينا رؤوساً وأجلست أزدالنا مستواكا
فيا دهر إن كنت عاديتنا فها قد صنعت بنا ما كفاكا

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي في مضانها أظهر من شمس الظهيرة، ومن أراد عن ما أوردناه كشف القناع، فليراجع من كتاب «الإشاعة» لجدي (٢)

حَدِيثَ حَجَّةِ الْوُدَاعِ، فَحَيْثُ تَمَّ مَا أوردناه من كلام الصادق، الذي ضوء بيانه
أشرق من الفجر الصادق.

فأقول، وبحول الله أصول: ولما كان شهر رجب الحرام الأصب، سنة ألف
ومئة وأربع وتسعين، من هجرة صاحب العز والتمكين، أقبل أمير مكة إلى المدينة
يسير، وكتب كتاباً لأهلها بالأمان للصغير والكبير، ثم بعد الوصول، أظهر
المسكنة والخمول، فانكب عليه أغاة القلعة، وأحمد المكي وأمين، متشفعين عنده
بسيد العالمين في ضريحه وبين يديه، وهو حي في قبره يرى مَنْ لديه^(٣)، ولم يك
لهم معه سابقة أذية وعصيان، إلا عدم الرضا بإدخال الذين حاربوا الله ورسوله
والسلطان، فقال: قد عفا الله عنكم أجمعين، إكراماً لإمام المسلمين، وأمنهم أماناً
بين يَدَي سَيِّدِ الْأَنَامِ، يعم الخاص والعام، ثم صنع باباً من فضة لباب الوفود،
والله أعلم أنه عليه مردود، فمن مارَسَمَهُ على الباب الخارج عن الحد في
الإطتاب، المشعر بإظهار البغي والعصيان، على ملك آل عثمان: عمر بيت الله
سلطاننا سرور لهُ رَأْيٍ وَعَقْلٌ مُصِيبٌ، كذا وغير ذلك، مما هو ثابت هنالك، وقد
أَدْخَلَ الْقُمَّمُجِّي ومن معه من الأخوان، الذين ورد بالنفي فيهم (الفرمان)،
وأشاع من مكروه وخبئه، أنه لا يروع أماناً في سِرْبِهِ، وأنه إذا خرج يخرجهم معه،
ولا يبقِيهم بعده جُمُعَةً، وكان وصوله تاسع رجب، فأظهر العَجَبَ، وهو أنه لما كان
يوم السادس والعشرين دعاهم ضحوة النهار إلى داره، وهم بأمانة وأيمانه مُغْتَرِّينَ،
فحين بين يديه أجلسهم، مسكهم وحبسهم، وأرسل عسكره بسرعة، وأمرهم
بملك القلعة، فحين رأى أهل القلعة عسكره مقبلين، قفلوا الباب وتَرَسُّوا في
الحين، فأرسل إليهم يأمرهم بتسليمها، وعليهم الأمان، فقالوا: ما نسلمها إلا
إن كان معك أمرٌ من حضرة مولانا السلطان، وأما أنت فكيف تأمنك أو نُطِيع
أَمْرَكَ وقد غدرت حكامنا وكرت مكرك، ثم رضوا بالخروج والمهلة، ويخرج كل
منهم ماله وأهله، فامتنع ويغى، وتجبر وطغى، ورمّت جُنُودُهُ الذين أرسلهم لملك
القلعة الباغين، بالبنادق على من بمساكنها مقيمين، وقال بَيْرَقْدَارِهِمْ: يخرجون
وهم كلاب، فَرُمِيَ من القلعة الشامية برصاصة فوق مِيتاً على الباب، فحمل على

القلعة أمير مكة بجنوده، وقد أقام أعلام البغي بينوده، ونهبت عساكره ما حول القلعة من الدور وأشعلوا بها النار، وأخرجوا النساء عاريات مسفرات، ودمعهن كالوابل المدرار، وسدد على أهل القلعة العيون، وأسأل بذلك منهم العيون، وهو مع ذلك يرى أنه على الحق المين، ولسان حاله يقول: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾، وكان عدد جنده خمسة آلاف، وحمل معهم ما يقارب ألفين من عبيد أغوات الحرم، وجماعة القمقمجي، وبعض من الأصناف، وترس على القلعة من اثني عشر مكان، فلم يصب من فيها ضرر بوقاية الله المنان، ثم حمل مقدار ألف من الأرض بالسلام، فلم يصل منهم أحد إلى جدار القلعة وهو سالم، فتركوها وولوا الأدبار، فنزل ثلاثة من القلعة إلى السلام وأشعلوا بها النار، واشتد عليهم الحصار، فثبتوا يومين وثلاث ليال، ثم نزل بعضهم في اليوم الثالث على الحبال، وسبب هذا الخوف والنزول، سحر ساحره المخذول، ونقب صغير، في قلة باب الصغير، والدال له على النقب المفسد القمقمجي، والشقي شقيلها، وكل منهم أذى المدينة وشقيلها، وقد أمر سرور عسكره بقتل من نزل من السور، فقتل ثمانية عشر رجلاً، أسكنهم الله جنته مع الخور، وقتل من جماعته نحو خمس وستين، وقيل ما ينوف على السبعين، وأباح القلعة وأموالها، وهتك نساءها ورجالها، ثم مسك الباقين بعد أن رموا السلاح طائعين، وباعوا أمتعتهم ينادون عليها بالحراج في الأسواق، مستحلين ذلك والناس يشاهدون وتذرف منهم الأماق، ويشتمون أهل المدينة بالليل والنهار، ولا ينادونهم إلا بيا يهود يا كفار، وقد فعل بعد أن أخذ القلعة وقتل من قتل ومسك من مسك من الأشخاص، تعشيرة ونظاماً ما رآه العام والخاص، وجملة من مسك من الذين كانوا محاصرين نيفاً وخمسين، ثم مسك أيضاً من أعيان أهل المدينة، المتردين برداء الوقار والسكينة، والسبب في مسك الباقين إلقاء بعض المنافقين كالقمقمجي، الذي لم يفعل أفعاله نصراني ولا يهودي، والمفتن المفتي السهمودي، وأراد أن يمك بعض الخطباء والسادات المحترمين، فكان الله لهم أعظم حافظ ومعين، ثم لما تم له الحال، أخذ (شقيلها) وفي عنقه الأغلال، وأقام بالمدينة بعد أخذ القلعة شهراً،

وخرج منها عصرًا، والحال أنه بعد أن وصل، وفعل بالمدينة ما فعل، كتب عرضًا إلى الدولة العلية، على لسان أهل المدينة النبوية، ومضمون العرض: أنه لما وصل الحاج المصري بعد أن عاد من المدينة وبِالْخَيْفِ نزل، قاتلته العرب من كل جبل، وقتلوا الحجاج، وقطعوا السبل والفجاج، ركبنا عليهم غيرَ حضرة السلطان، فانتصرنا عليهم وقصدنا زيارة جدنا سيد الأكوان، فلما وصلنا إلى البلدة، وجدنا أهلها في غاية من الكرب والشدة، والقتل والنهب والطعن والضرب، وانقطاع المسالك - والحال أن أهل المدينة على خلاف ذلك - فأرسلنا إليهم بالأمان، والإكرام والإحسان، ثم بعد أن أقمنا بالمدينة اثني عشر يومًا، وقفنا على كتب من كبارهم يستصرخون بها لقتالنا باديةً وقومًا، فمسكنا عند ذلك رؤساءهم المفسدين، وأبقائناهم عندنا مُصَفِّدِينَ، وأرسلنا لأغواتهم بالأمان، وأمرنا بعض عسكرنا بالدخول معهم في القلعة، خوفًا من الخديعة والخذلان، فأغلقوا القلعة ورموا بالرصاص على الأوايدم والبهائم والشراف، وتركوا كُلَّ مَنْ بالمدينة وهو مرعوب خائف، فحملنا عليهم بعساكرنا المنصورة، وقاتلناهم قتلاً أحرَّ من حرِّ الظَّهيرة، وفتحنا القلعة يوم التاسع والعشرين من رجب الحرام، وأسكنَّا بها وزيراً من طرفنا والسلام.

وأمر أهل المدينة والمجاورين بمهر العَرَضِ المزوَّر في الحال، فَمَهَرُوهُ خَوْفًا على الروح والعَرَضِ والمال، ثم عزل أحمد أغا شيخ الحرم، وأمره بالمسير معه إلى بيت الله المحرم، فصادف بعد عزله ورود الأمر السلطاني بنصب علي أغا، الذي كان في السابق مصاحباً للملك العثماني.

ودخل الحُجْرَةَ وأتباعه قبل رحيله بساعة، وطلب سُلماً من السلام، وتهجَّم على قبر الفاتح الخاتم، ولم يُخَشَّ من تصرفاته وذلك لوفور البغي، ولم يتذكر أنه ﷺ في قبره حي، ثم رمى بكتاب، وأخرج شيئاً من الحجرة قيل: إنه تراب، وبات ثلاث ليال مع أتباعه والحُرَم، وطرد جميع الأغوات الطواشية إلى مؤخَّر الحرم، فشاع فَقْدُ الكوكب الدَّرِّي واشتهر، ولم أقف على حقيقة الخبر، ثم أخرج

المربوطين، وعددهم ستة مع ستين، فساقهم ماشين على أقدامهم، وفي أعناقهم السلاسل والقيود، محيطة بهم عساكره والجنود، فعلا البكاء والنحيب، من البعيد والقريب، ونادوا: يا رسول الله جيرانك، عودتنا فضلك وإحسانك^(٤).

وكان رحيله يوم الثاني والعشرين من شعبان، والقلوب قد استعرت بالنيران، وسار من الشرق، وبعد مسيره سَحَّ علينا الودق، وقد أقام بالقلعة وزيراً مختلاً كفوراً، فبعد سفره جاءنا الخبر الصحيح عن العمدة، أنه أمر بزيئة مكة وينبع وجدة، فزينوهم امتثالاً لأمره، وخوفاً من قهره، ولما توطن وزيره القلعة ومن معه جعلوها داراً لهم وغنا، وخمر ومفاسد وزنا، وأدوا الكبار من أهل المدينة والصغار، وقالوا: هكذا أمرنا أن نصنع بهذه الكفار، وأبطل وزيره الشرع الشريف، وأهان العالم والصالح والقوي والضعيف، وجعل على إجازة ريال^(٥)، وتحدث بأخذ ثلث ما يرد من الدولة العثمانية، وأخذ بيوت المال، وأقام على العتو والطغيان، وأفطر هو ومن معه بثبوت العدول شهر رمضان، ولم يكفهم هذا حتى هتكوا الحرم، وأدوا مخدّرات أهل الحرم، وصاروا يخرجون في الظلمة، ويتعرضون لكل حرّة وأمة، ولقد زاد بهم الحال، حتى شوهدهم منهم بعض رجال موافعين بعض من أغواهن الشيطان، عند باب قلعة السلطان، ويغوا واستكبروا استكباراً، وفعلوا ذلك نهراً جهاراً، غير محترمين جوار مُشرّع الشرائع، بل استحلوا الورود من خبال هذه المشارع، لأنهم لا يجدون منافع من مانع، ولا دفعاً من دافع، فانتدب لذلك أهل الأعراض، وجعلوا نفوسهم أغراضاً للحق لا للأغراض، مشمرين للقيام بحقوق الجوار، باذلين مُهَجُّهم في حفظ هذه الديار، مُرابطين في سبيل الله آناء الليل وأطراف النهار، لإزالة هذه الخبائث والأقذار، فاجتمعوا في بيت وتعاضدوا، وتلازموا في الله وتعاهدوا أنهم إخوان، وللحق أعوان، وأنهم يُخرجون من القلعة السلطانية هذه الفرقة الشيطانية، فظهر الخبر وشاع، وملاً الأسماع، فَبَعْدَ أن بلغ الوزير الخبر، أضمر على قتلهم وأصرّ، فشرعت عساكره بالبطش في الخلق والأذية، فعند ذلك قامت الرعية، فأغلق الوزير باب القلعة، ورمى بالمدفع والبنادق، على بيوت المدينة ومن فيها من

الخلائق، واشتد عليهم الحصار ولم يبالوا بما وقع وما صار، وقال لسان الأقدار: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارُ﴾ واستعرت نار القتال، إلى ثالث عشر شوال، وكان قيام الرعية لقتال هذه الطائفة أرباب البغي والعدوان، ضحوية الرابع والعشرين من رمضان، ولم يتخلف أحد عن قتالهم إلا الأغوات الطواشية، مراعاة لأمير مكة، وبغضاً لأهل المدينة النبوية، فبلغ خبرهم إلى (حرب) بأنهم لم يعينوا في هذه الحرب، فكتبوا لهم كتاباً، أربعوا به قلوبهم إرهاباً، ومضمونه: قد بلغنا ما فعلتم أيها الزنج الباغية، والفئة الخائنة عيش السلطان، والطاغية، بجيران أشرف القبائل من البوادي والحضور، وإعانتكم لهذا الخارجي أمير مكة سرور، فإن لم تنتهوا عما أنتم فيه من الخيانة والنفاق، لَنَجْرِدَنَّ عليكم السيف الذي هو أصدق أنباء من الأوراق. فَضُرِبَتْ عليهم الدِّلَّةُ، وتعاهدوا مع أهل المدينة وهم أذلة، فبعد انصراف أعيان أهل المدينة من الجمعية، ظهرت أشايرُ نقض العهد منهم والتعرض للأذية، وذلك أنهم طلبوا الإعانة من بني عليّ وبني سَفَر، وبذلوا لكل منهم عشر ريات على أنهم يُيقُوا أهل المدينة خبراً بعد أثر، فبلغ خبرهم أهل البلاد، فارتعبت منهم الأكباد، لأنهم صاروا بينَ عَدُوَيْنِ، كالليث بين فارسَيْنِ، فبينما هم في الأمر مفكرين، بلغهم أنه وصل ابن جُوَيْرٍ وهو للوزير مُعين، لأنه الشيخ الذي ولاه أمير مكة سرور، لازال مذموماً مدحوراً، فحصل الرعب، وأيقنوا بالقتل وانتهاك الحرم، وأن جُرْحَ الزنج قد انحسم، وقد زلّت بهم القدم، ولم يدرون (؟) ما جرى به القلم من القَدَم، فبينما هم في غاية القلق والضجر، متضرعين إلى الله بسيد الملائك والبشر^(١)، بلغهم أن جُرُودَ محمود ونصار وصلّت، وبآبَارِ سيدنا علي رضي الله تعالى عنه نزلت، ففرح أهل المدينة الفرح الشديد، وخافت بنو عليّ وبنو سَفَرِ والزنج والعبيد، فضجّ أهل المدينة من جميع الأماكن مهللين ومكبرين، وساء إن شاء الله صباح الزنج المنذرين، فالذين وصلوا تلك الليلة من مشائخ حرب محمود ونصار، وقالوا:

نحن جثنا نصرة لجيران المختار، ونزلوا بخارج السُّور، ونادوا: اخرجوا من القلعة يا قوم سرور، فلم يردُّوا جواب، نبخوا كالكلاب، ثم بعد يومين جاء الصديق

الناصح، وأخبرهم أن أمير المدينة صالح، صاح في بني علي وبني سفر، وأوعدهم بالدراهم ونهب جيران طه المفتخر، فتوجه إلى نائب شيخ الحرم، بشير أغا المحترم، من السادة الخطباء، والسماسرة النجباء، مولانا الأفندي عبد الله الخليفتي المفتي الحنفي، والوالد مولانا السيد محمد البرزنجي، والعم السيد حسن أخيه، والخطيب قاسم مغلبي، وابن عمه، والخطيب محمد البري ومن يليه، ومن الرعية عبد الله الطيار وبعض التجار، ومن العساكر الشهم الأبى الشاب الضرغام محمد سعيد المغيري، وبقية رؤساء العساكر، وكل واحد من الجميع كالليث الزائر، وطلبوا منه أن يخرج لهم من بيت المال، ما يستعينون به على القتال، فوعد وأخلف، وأفسد البلاد وأتلف، وامتنع وتزّزّن، ودخل داره وتملّعن، إعانة للزنج اللثام، وأذية لجيران النبي عليه الصلاة والسلام، وأمر بترك القتال، ووضع السلاح وتفرق الرجال، وأراد بعد أن يتفرقوا يسجن كبارهم بالخديعة، العاجلة السريعة، ويرسلهم إلى أمير مكة الكتيب، لأنه قال: السلطان بعيدٌ وهذا قريب، فأجابه الحاضرون من حقير وجليل: سيف مولانا السلطان طويل، فحين علموا بذلك، مسكوا بالرجال والشباب والصبيان جميع المسالك، ومعهم العلماء والصلحاء، والسادات والخطباء والمجاورين، يحمون مدينة طه الأمين، من كل شيطان رجيم، وزنجي لثيم، فاجتمع أعيان البلدة والتجار، ووضع كل منهم بقدر طاقته من الدرهم والدينار، وقد طَلَّقُوا من الجفون الكرى، إطاعةً لحضرة السلطان وإظهاراً لدين خير الورى، وفتحوا أبواب البلاد بالليل والنهار، وتقلد بالسلاح الكبار والصغار، ثم جمعوا بعد ذلك جمعية، وولوا عُبيد قبيطي (كتخدا النوبختية)، وجمعوا جمعية أخرى، وقلدوا محمد سعيد المغيري حُسْبَةَ السُّوق، وهو بها أخرى، ثم أشار على الناس أمير الصرة العثمانية سابقاً طاهر أفندي وبعض السفط المجاورين، أن يجعلوا لُغْباً تحت القلعة . . . (٧) وقد أعد لهم أهل المدينة أنواع الاستعداد والأرباج (٩) فمن ذلك عَشْرُ سِلاَمٍ تصل إلى الأبراج، ولم يقاتلوهم بعد القتال الأول إلا ليلة سابع شوال، حل عليهم من جميع الجهات الدُّوْنُ والعال، فوصلوا من خارج السور إلى باب الصغير وباب الشامي، ومن داخله إلى عَيْنِ الساحة، مُنْكَرَيْنِ كَالسَّيْلِ الطَّامِي، ومعهم النساء والولدان،

والكهول والشبان، ثم رجعوا سالمين إلى آجامهم، وتركوهم مذعورين يصرخون من حُمامهم، ثم يوم أربعة عشر من شوال أُخْبِرْنَا أَنَّ ابْنَ جُوَيْرٍ قَصَدَ الْمَدِينَةَ وَمَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّجَالِ، وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَصَاحَ مُحَمَّدٌ شَيْخَ (حَرْبٍ) فِي مَنْ مَعَهُ، وَرَكِبَ جَوَادَهُ وَأَخَذَ عَنَانَهُ، وَاسْتَصْرَخَ أَصْحَابَهُ وَأَعْوَانَهُ، وَقَالَ: أَنْتُمْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مُعَاهِدُونَ، وَلِزَادِهِمْ أَكْلُونَ، فَمَنْ رَأَى مِنْكُمْ ابْنَ جُوَيْرٍ يَرْمِيهِ، وَلَا يَرْحِمُهُ وَلَا يَبْقِيهِ، وَمَسَكَ الْمَتَارِسَ، وَأَخَذَ طَائِفَةً وَمَضَى بِهَا إِلَى الْحَرَّةِ، وَنَظَرَ شِمَالاً وَعَيْنَ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْبَغَاةِ الْعَادِينَ، ثُمَّ بَلَغَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَنَّ الطَّوَاشِيَةَ لِلْعَهْدِ نَقَضُوا، وَأَدْخَلُوا ابْنَ جُوَيْرٍ وَلِلْأَذْيَةِ تَعَرَّضُوا، فَذَهَبَ لِتَحْقِيقِ الْأَمْرِ مِنْ طَرَفِ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللَّهِ جَاوُوشَ، فَظَهَرَ لَهُ أَنَّ حَدِيثَ الرَّائِي مَخْدُوشٌ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ جَاوُوشَ لَبَسُوا السِّلَاحَ وَوَقَفُوا عِنْدَ الْبَابِ، فَأَقْبَلَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ صَالِحَ، وَمَعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِ ابْنِ جُوَيْرٍ الْمُرْتَابِ، فَغَلَقُوا الْبَابَ، وَتَرَسُوا السُّورَ، وَلَزَمُوا الْمَتَارِسَ وَالذُّوْرَ، وَلَبَسَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَسْلِحَتَهُمْ، يَحْمُونَ بِيوتَهُمْ، وَأَمَكْتَهُمْ، ثُمَّ بَعْدَ الْعَصْرِ بِقَلِيلٍ، أَتَى أَخُو ابْنِ جُوَيْرٍ الذَّلِيلَ، وَمَرَّاهُ السَّعْيَ بِالصَّلَاحِ بَيْنَ الْفَتْنَيْنِ، بِالصَّدْقِ لَا الْمَيْنِ، فَطَلَبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَعْضَ السَّادَاتِ وَالْعُلَمَاءِ إِلَى الْوَزِيرِ، وَيَأْمُرَهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْقَلْعَةِ كَظْمًا ذَلِيلًا حَقِيرَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَالسَّيِّدَ حُسَيْنَ الْعُلُوِيَّ بِأَلْفَقِيهِ، فَخَاطَبَهُ كُلَّهُمْ بِمَا يَرْضَى أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَيَرْضِيهِ، فَطَلَبَ الْهُدْنَةَ، وَبِالْخُرُوجِ أَذْعَنَ لَهُمْ، لَكِنْ بِشَرَطٍ أَنْ يَأْتَوْهُ فِي غَدٍ بِأَعْيَانِ الْبَلَدَةِ وَمَشَائِخِ الْعَرَبَانِ، وَأَنْ يَحْضُرَ الْجَمِيعَ كُلَّهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَأْخُذُ مِنْهُمْ الْمَوَاطِيقَ وَالْعَهْدَ، وَيُطْلِقُونَ لَهُ الْقِيُودَ، وَأَنَّهُ يَخْرُجُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، لَا السَّكِينَةُ، فَوَقَفَ الرَّمِي إِلَى أَنْ أَقْبَلَ الصَّبَاحَ، وَطَلَعَ الْفَجْرُ وَلَا حَ، أَتَى مُحَمَّدٌ أَخُو ابْنِ جُوَيْرٍ وَمَعَهُ رُؤَسَاءُ الْبَادِيَةِ مُبَكَّرَ، فَتَوَجَّهَ الْحَقِيرُ^(٨) إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَالسَّيِّدِ حُسَيْنِ، وَمَضَى بِهِمْ إِلَى تَقْبِيلِ أَعْتَابِ سَيِّدِ الْكُونَيْنِ، فَأَشَارَ عَلَيْنَا الشَّيْخُ أَنْ نَسْتَأْذِنَ نَائِبَ شَيْخِ الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ، لِيَكُونَ خُطَابِنَا لِلْوَزِيرِ قَوِي، فَمَضَيْنَا إِلَى دَارِهِ، وَأَخْبَرْنَاهُ عَنِ الْوَزِيرِ وَأَخْبَارِهِ، وَأَشَارَ الشَّيْخُ أَيْضًا بِعَدَمِ الْوُصُولِ، وَإِرْسَالِ كِتَابٍ مَعَهُ مَعَ السَّيِّدِ وَالْمُرْسُولِ، فَفَهَّمُ مَطْلُوبَهُ وَخُطَابَهُ، وَنَرَدَ لَهُ جَوَابَهُ، فَارْضُوا بِذَلِكَ وَاسْتَحْسِنُوا، وَكَتَبُوا الْكِتَابَ وَخَتَمُوهُ، ثُمَّ مَضَى

الحقير^(٨)، والسيد والشيخ إلى الكواخي ومشايخ العربان، وأخبرناهم بما اتَّفَقَ عليه رأيُ الأعيان، فمضى السيد والشيخ وأخو ابن جُوَيْرٍ وأعطوه الكتاب، وطلبوا منه الجواب بفصل الخطاب، فأذعن بالخروج من القلعة، وأنه لا يسلمها إلا لنائب الحرم، ومن يأتي من الأعيان معه، وأن يعطيه رؤساء أهل المدينة ورؤساء البادية الوجوه والأمان، ويأتوه بمرزوق الجندي لأنه ذو وَجْهِ وَجِيهِ، في العربان، فتفرق مَنْ هناك، وقد رضي بذلك، وأنهم بعد صلاة العصر يأتونه، ويمرزوق الجندي يجمعونه، فلما كان بعد العصر مضوا إليه، ومعهم أخو ابن جوير ومرزوق الذي اعتمد عليه، فقال: الآن الليل أقبل والوقت راح، ونحن وإياكم على ما نحن عليه إلى الصباح، ويأتيني مرزوق، ومع ما يحمل متاعي من النوق، ويأتيني شيخ الحرم والأعيان، فأسلّمهم قلعة السلطان، وأمضي إلى البركة أنا ومن معي من القوم، وأقيم نهاري ولا أبقى لثاني يوم، فحصل للقلوب بعض انشراح، وتواعدوا للصباح، فقال أهل المدينة، إن أوفى بعهده كفى الله المؤمنين القتال، وإلا فاللَّغْبُ قد تم وَلَعْنَاهُ وحملنا على القلعة بالرجال، فهونا على الشأن (٩) وإنه إن أَخْلَفَ، فجميع الأمة تقاتل معكم غيرهُ لحضرة السلطان، وحرصنا عليهم بحفظ المنارِس، وتطليق الكرا من طَرْفِ كل ناعس، إلى أن يبرز فجر الصباح، وينادي المؤذن (حي على الفلاح)، فعند ذلك يظهر القتال ويستريح البال، فلما كان بعد الإشراق بساعة، أتى نائب الحرم والجماعة، ومعهم السيد حسين والشيخ محمد والمقاتي الأكياس، والسيد محمد البرزنجي والسيد حسن، وعبد الله الياس، إلى بيت من بيوت الساحة، وكل منهم قد جعل وشاحه سلاحه، فجلسوا هناك، وأعلمه أخو ابن جوير أن شيخ الحرم قد جَاكَ، فحرَّضَ على من معه في كف الأذية، فمضى شيخ الحرم ومن معه من كبار البادية وأعيان الرعية، فقال الوزير: أيها الأعيان، إني كنت كافراً والآن قصدي العود إلى الإيمان، ومن آمنَ حرم عليكم قتاله، وإني والله خائف وخارج لا محالة، فأعيدوا لي الأمان، وفي الغد يأتيني مشايخ العربان، فقال له بعض السادات: هذه أحوالك أحوال الوُلْدَنَةِ والاستهزان (٩)، وها نحن إلى أماكنتنا راجعين (٩)، والموعد بيننا وبينك يوم الدين، فصاحت عساكره من جميع الجهات: لا تذهبوا

وراجعوه في الخطاب أيها السادات، وعلى وجوههم قبرة (؟)، ترهقها قفرة، فأجابوهم: ها نحن متوجهين (؟)، وإن كان مرادكم الخروج فخطبوه كلكم في الحين، والحال أن أمير مكة أبقي عنده ثلاثة بالقلعة من أهل المدينة مجروحين، فقال أهل المدينة: إن كان صادقاً في قوله يطلق لنا المحبوسين، فقال: في غد إذا فتحتنا باب القلعة نخرجهم ونسلم كل منهم وجافه... (٩)، ثم رمى بكتاب إلى عبد الله الطيار، ووكله في الحساب له... (٩) في الدرهم والدينار، فتم الخطاب أنه يبقى... (٩) اليوم وتلك الليلة، ويأتيه كبار البادية ويخرج منها وقد علته الذلة، وأما الزنج فإنهم أرادوا نقض الهدنة، وأسعار نار الفتنة، فبلغ خبرهم إلى شيخ (حرب) محمود، فأخذ بالليل طائفة معه من الجرود، وقد حذرهم من النهار بكتاب، وأتى بعد العشاء من البقيع إلى الباب، ووضع تحته العتال، وبوشن ومن معه من الرجال، فارتعب منهم الجنان، واشتعلت في قلوبهم النيران، وقال: إن لم ترجعوا إلى ما أنتم عليه من الموائيق والعهود، وإلا قتلنا الكبار وأخذنا الأموال، وفعلنا بكم ما يفعل المسلمون باليهود، ثم ذهب إلى موضع ونام، جزاه الله خيراً عن جيران خير الأنام،... (٩).

ثم لما كان يوم سبعة عشر من شوال، جاءت كبار البادية والمشائخ والأطفال، وأتى إليه مرزوق بالركائب، وقال له: اخرج قبل أن تذهبك المصائب، وأناه بوثيقة ممهورة بجملة أمهار، وهي أمهار مشائخ حرب الذين أتوا نصرة لأهل هذه الدار، فعند ذلك أطلق الوزير المحبوسين، الذين أبقاهم عنده أمير مكة سرور، فانشرحت من أهل المدينة الصدور، وأخرج الشرايط وما جاء به من الخروق، وحملها على النوق، وأخذ جميع ما بقي في (الجبخانة) واقتفى أثر من غدر السلطان وخانه، وخرجت عساكره فإذا عددهم ثمانين (؟)، بعد أن كانوا مئة وتسعين، فحين خرجوا عند باب القلعة، ثارت منهم بندق بغير قصد، فأتت أهل المدينة مشهرين سيوفهم بسرعة، فصاحوا: عوافي يا أهل المدينة !!، فأنزل الله عليهم السكينة، وقد ضبط ما رماه الوزير من المدافع على المدينة ما يراحم ألفين، ولم يراعي (؟)، إمام الثقلين، ومن البنادق مالا يحصى ولا يعد، ولا يحصر ولا يحد،

فلم يُجرح بحمد الله لإنسان، سوى بقرة وكلبة وأتان، وقد أُخبر بعض الصالحين أنه بينما هو وسنان، إذ رأى النبي ﷺ وفي يده الكريمة بعض سواد فسأله عن سببه، فقال: سببه دفع الرصاص بها عن الجيران، وحين خرج الوزير وقومه من الباب الشامي، أقبل عليهم مقدار ست مئة من الجرود، وأرادوا نهبهم، فمنعهم من ذلك أهل المدينة ونصاراً ومحمود، وذلك إيفاء بالعهد، ووقوف عند الحد، ولم نفعل بهم كما فعلوا بنا من الغدر والعدوان، بعد العهد والأمان، فأقبلت أهل المدينة على باب القلعة مهللين ومكبرين، ومبيضين لسيد الأولين والآخرين، وأدخلوا في القلعة بعض الأعيان، ليضبطوا ما بقي بقلعة السلطان، فلم يجدوا بها غير المدافع وقد تفجر منها نحو عشرين، وقد وضعت عساكر الوزير بناحية (الجبخانة) ناراً فطفت في الحين، وقد أخذ سيدهم أمير مكة من المدافع أربعة [. . .] من مدافع المرحوم السلطان سليمان، - تغمده الله بالرحمة والرضوان -

ثم بعد العصر أتت إلى باب القلعة العساكر بالطيَّاس، وحضر لحضورهم جميع الناس، فوقفوا صفوفاً بعد صفوف، وتلاعبوا بالأرماع والسيوف، ووقف الجميع إلى الغروب، فرُميت المدافع، ولجَّت الغطارف من كل هيفاء خرعوب، وتعايدت الناس، وكثر الفرح والاستئناس، وقد بدلوا النواقيس بالأذان، والمزامير بالقرآن، فأنشد مؤرخاً عند ذلك الواصل بالملك الكريم الباري، الخطيب عبد الرحمن الأنصاري:

خرج الوزير بشيعته وقد انقلعوا أقوى قلعة
وأتى في الحال مؤرخه: (خرجوا الزیود من القلعة)

وقال خطيب منبر سيد الكونين، المكرم بن الأنصاري حسين - ١١٩٤ - :

يا حصن طيبة من أولائك منقصة وسامك بالرَّخا في كُلِّ ميزان
حتى توطئك هذا الخبيث فمن بالله زوجك من كلب عدوان^(١)

بَلَا صَدَاقٍ وَلَا عَقْدٍ وَلَا شَهْدَةٍ شَوَاهِدُ الْحَالِ فِي تَحْقِيقِ بُرْهَانٍ
قَالَتْ: وَحَقُّ الَّذِي أَنْشَأَكَ مِنْ عَدَمٍ مَائِمٌ شَيْءٌ وَلَكِنْ إِنَّهُ زَانِي

وبات تلك الليلة من الرعية بالقلعة خلق كثير، ورفعوا أصواتهم بالقراءة والتهليل والتكبير، وهم في غاية الانشراح، إلى أن طلع الصباح، ثم استدعى نائب حرم النبي المختار، محموداً مع نصار، فالبسهما قُرُونِ (قَاقُومَ)، وَأَلْبَسَ عِيّاً مَنْ بَقِيَ مِنْ كِبَارِ الْقَوْمِ، ثُمَّ جَعَلَتْ رُؤُسَاءُ الْعَسَاكِرِ وَأَعْيَانُ الرِّعْيَةِ قَبِيلَةً لَجَمِيعِ حَرْبٍ فِي الْكُرْكِيَةِ، وَحَضَرَ لِحْضُورَهُمْ بَعْضُ خُطَبَاءِ مَنْبَرِ سَيِّدِ الْبَرِيَةِ، وَرُؤُسَاءُ الْعَسَاكِرِ وَأَكَابِرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَبَعْدَ أَنْ أَكَلُوا الطَّعَامَ، وَحَمَدُوا الْمَلِكَ الْعَلَامَ، قَرَأُوا الْفَوَاتِحَ وَتَعَاهَدُوا، وَتَلَازَمُوا وَتَعَاظَدُوا، أَنَّهُمْ مِنَ الْآنَ، فِي اللَّهِ إِخْوَانٌ، وَمَا مَضَى مِنَ الْحَقُوقِ لَا يُعَادُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، إِلَّا مَنْ لَهُ حَقٌّ شَرْعِيٌّ أَوْ دِينِيٌّ، وَمَنْ لَهُ عِنْدَ رَجُلٍ دَعْوَةٌ شَرْعِيَّةٌ يَطْلُبُهُ مَرَّةً وَثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَيَشْهَدُ عَلَيْهِ اثْنَيْنِ، فَإِنْ امْتَنَعَ جُرَّ إِلَى شَرِيعَةِ إِمَامِ الثَّقَلَيْنِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَوْ أَعَانَ أَمِيرَ مَكَّةَ سُرُورٌ، أَوْ زَبَنَ مُعِينًا لَهُ بَغِيرَ لَزُومِ الْأَدَبِ فَهُوَ بَائِقٌ مَثْبُورٌ، وَنَحْنُ وَإِيَّاكُمْ عَلَيْهِ، وَالْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ وَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ، فَكَتَبْتُ عَلَى ذَلِكَ الْوُثَائِقِ، وَانْقَطَعَتِ الْعَلَاقِقُ.

ثم اجتمع رأي الكبار والصغار، أن يجعلوا (كتخذا) القلعة عبد الله الطيار، قَائِماً وَامْتَنَعَ، وَحَلَفَ وَارْتَفَعَ، وَقَدْ سَكَنَ بِهَا الْفَتَى الصَّنَدِيدُ (الْجُورِيجِي) مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ وَتَحَدَّثَ بِالسَّكْنِيِّ مَعَهُ بَعْضُ الْمَوَالِسِينَ، وَمَنْ كَانَ لِأَمِيرِ مَكَّةَ مُعِينٌ، فَجَمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ جَمْعِيَّةً، وَفِيهَا مُحَمَّدٌ وَنَصَارُ بْنُ عَطِيَّةَ، وَاتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى مَنَعَ سَكَنَاهُمْ فِيهَا خُصُوصاً كِهَالاً، وَأَنْ يَسْكُنَ بِالْقَلْعَةِ السُّلْطَانِيَّةُ، كُلُّ مَنْ حَصَلَتْ لَهُ مِنْ أَمِيرِ مَكَّةَ الْأَذْيَةُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ كَتَبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَرْضاً لِخَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ طَوَّلاً وَعَرْضاً، وَأَرْسَلُوا بِهِ عَبْدَ اللَّهِ الْيَاسَ الْخَطِيبَ، وَاحْمَدَ أَفَنْدِي (بَنِي شِهْرَلِي) اللَّيْبِ، لِأَنَّهُمْ مُتَعَلِّقُونَ بِذِمَّتِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، وَأَخْبَرُوهُ فِي الْعَرْضِ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ الْإِعَانَةَ بِالْمَالِ وَالرِّجَالِ، لِأَنَّهُمْ فِي غَايَةِ الْكَرْبِ وَالشَّدَةِ، خَوْفاً مِنْ أَنْ يَخْرُبَ أَمِيرُ مَكَّةَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ، وَمَا شَاءَ

الله أمضاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما زال يولي الجميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(للمرسالة بقية)

الحواشي:

- (١) هذه الآثار مما يتعلق بقضايا البلدان، وكان المتقدمون من العلماء يتساهلون في روايتها، إذ لا يترتب عليها شيء من الأحكام الشرعية، ولهذا لم أر ما يدعو لإيراد كلام المحققين من العلماء في منزلتها من حيث الصحة.
- (٢) هو: «الاشاعة في أشراف الساعة» للسيد محمد بن عبد الرسول [والتعبد لا يجوز لغير الله] بن قلندر بن عبد السيد البرزنجي الشهرزوري ثم المدني الشافعي المتوفى سنة ١١٢٣ هـ.
- (٣) حياته ﷺ - وحياة إخوانه من الأنبياء هي حياة برزخية، الله سبحانه وتعالى أعلم بها، ولا شك فيها كما ورد عنه - ﷺ.
- (٤) دعاء الرسول - ﷺ - من الأمور المحرمة، لأن الدعاء من أمور العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم وسنة المصطفى - ﷺ.
- (٥) كلمة مطموسة في الأصل.
- (٦) التضرع إلى الله بسيد الملائك والبشر إن كان المقصود بمحبته وبطاعته واتباع أوامره وباجتناب نواهيه فهذا أمر محبوب مرغوب، لأن التضرع إلى الله والتوسل إليه بالأعمال الصالحة من الأمور المحمودة، أما إذا كان المقصود التوسل بذاته، - ﷺ - فهذا من الأمور التي لم ترد عن السلف الصالح.
- (٧) كلمة مطموسة، واللغز عموماً يعبر عنه في عصرنا بـ (اللغز) وضع كمية من البارود في حفرة أو إناء محكم ثم إيصال النار إليه لينفجر ويشتعل البارود، فهذا ما أمامه من بناء.
- (٨) يقصد بالحقير هنا المؤلف نفسه من قبيل التواضع.
- (٩) كلمات غير واضحة في الأصل.
- (١٠) لولا الأمانة العلمية التي توجب المحافظة على النصوص، لكان حذف هذه الأبيات وحذف كثير من الكلمات السيئة أولى من اثباتها، وكلمة (عدوان) إشارة إلى القبيلة الكريمة التي منها الوزير الذي تركه أمير مكة رئيساً للجند الذين في القلعة وقد تقدم ذكر اسمه في المقدمة، وهو من أسرة المضايغي المشهورة.

رحلة ناصر خسرو بين جامعتي القاهرة والرياض

— ٢ —

الجنب الثاني: القيمة العلمية لهذه الترجمة الجديدة:

اتخذ الأستاذ الدكتور البدلي من التأكيد بأن: (من واجب المهتمين بالدراسات التي تتناول الحضارة الإسلامية المشاركة في إبراز نشاط الأعراق المتعددة التي ساهمت في تكوين تلك الحضارة، فيبرز دَارَسُ دَوْرِ الفُرس، وآخر دَوْرِ الهنود، وثالث ..) إلخ. — المقدمة ص ١ — اتخذ من ذلك ما دفعه إلى أن:

١ — اعتبر (رحلة ناصر خسرو مصدراً من أهم مصادر التاريخ الإسلامي والجغرافيا التاريخية) والمُحْ بِإِيجَازٍ إلى بعض ما شملته أو تحدثت عنه، ومن ذلك (أهم أجزاء الجزيرة العربية في الحجاز ونجد، وتناولت جانباً من اليمن) — ص ١٠ — وأضاف: (فحديث ناصر عن مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف والأفلاج والبيامة والأحساء ذو قيمة تاريخية وحضارة كبيرة... فقد رأى الرحالة من المظاهر الصناعية والعمرانية والنشاط التجاري في قَلْبِ نَجْدٍ ما لم يكن يخطر ببال أكثر المتفائلين والمتحمسين، ولقد أزاح برحلته الستار عن جهات استقرار كثيرة في جزيرة العرب من الطائف إلى الأحساء مروراً بقلب نجد).

٢ — ولم يقف الدكتور البدلي عند هذا الحد، بل بنى عليه اتهام المؤرخين المسلمين (?) بأنهم يوحون من خلال تناولهم لهذا الجزء من الجزيرة بأنه مُغرِقٌ في التخلف، ولا عَهْدَ له بأيِّ درجة من الاستقرار المفضي إلى أيِّ نوع من أنواع الحضارة.

٣ — بل اتَّسَعَتْ نظرة الدكتور إلى هذه الرحلة فاعتبرها بأنها (امتازت من بين الرحلات التي تَلَتْهَا كَرِحَلَتِي ابن جُبَيْر وابن بطوطة وغيرهما) — ص ١٢ — كذا بدون أن يلاحظ الدكتور في هذه المقارنة الشاملة لكل الرحلات، لم يلاحظ أنَّ أَيْةَ

مقارنة لا تصح إلا بين مُتَمَثِّلَيْنِ أو مُتَقَارِبَيْنِ في المَحْتَوَى والمضمون، وكلُّ باحث يدرك ضلالة ما تحويه رحلة ناصر من المعلومات بالنسبة للرحلتين الأخرتين، فضلاً عن امتيازها عليهما. مالتا ولهذا، فهو من اختصاص الباحثين التعمقين في دراسة الرحلات.

ولكن مما لاشك فيه أنَّ قاريء هذه الترجمة الجديدة يتوق بعد أن أدرك نظرة العرب الكريم إليها، ويتمنى أن يجد فيها من المتعة والفائدة وغزارة المعلومات ما يقوي في نفسه الثقة والإطمئنان بصواب نظرة الدكتور البدلي إليها.

ولقد كان من المناسب الوقوف طويلاً عند اتهام المؤرخين المسلمين (؟) بدون استثناء بالجهل المطبق بأحوال قلب جزيرة العرب بحيث أبرزوه للقراء مغرقاً في التخلف والبعد عن كل مظهر من مظاهر الحضارة، حتى سجل الرحالة ناصر ما سجل من معلومات (جيدة عما مر به في تلك البلاد). ولكن من المعروف أن من طبيعة المرء عالماً كان أو باحثاً أو عاملاً في أي مجال من مجالات العمل أن يبرز عمله بالصورة التي يختارها، إلا أنَّ النظر إلى العمل نفسه — متى كان منبعثاً عن تجرد تام من المؤثرات التي قد تطمس الحقائق، أو تحول دون إدراكها — ذلك النظر به وحده يمكن أن تتضح معالم الصورة على حقيقتها، يضاف إلى هذا أن الأسس العلمية هي التي تُبنى عليها الأحكام، والعلماء أنفسهم هم أولى الناس بالبعد عما يصور الأشياء بما لا ينطبق على واقعها.

والأستاذ الدكتور أحمد البدلي من مثقفي هذه البلاد الذين نالوا قسطاً من العلم بدرجة تحمل على الثقة بهم، والاعتقاد بأن ما يقدمونه من أفكار وآراء، تقوم على أسس صحيحة، بحيثُ تعتبر من روافد الثقافة التي تسهم في بناء المعرفة وتوسيع مدارك الباحثين في كل ما له صلة بهذه البلاد تاريخاً وجغرافية في حدود علمهم.

وما دام الأستاذ الكريم يرى أن تلك الرحلة قد أضافت من المعلومات عن هذه البلاد ما لا يوجد في غيرها، و(تحدثت عن بعض أجزاء بلاد العرب بشكل جيّد، ولولا إشارة هذا الرحالة لظلت المعلومات عن تلك المناطق رغم قلتها مشوشة مضطربة).

فما لا شك فيه أن كل باحث متطلع إلى الاستزادة من المعرفة سيجد في آراء الأستاذ عن هذه الرحلة ما يحفزه إلى مطالعتها للاستفادة مما فيها من معلومات (جيدة) ويتطلع برغبة وأمل إلى ما أضافه وأضافه إليها أستاذ من أهل هذه البلاد أدرك ما امتازت به وما اقتصت من روافد العلم والمعرفة دون غيرها من الرحلات. فهل يجد الباحث كل ذلك في هذه الترجمة الجديدة فيما أضافه إليها العرب الكريم؟ ثم هل يجد في الرحلة نفسها معلومات جيدة انفردت بها فأصبحت بذلك مصدراً يُرجع إليه في جوانب مما يتعلق بتاريخ بلادنا وجغرافيتها؟ لقد كنت ممن عُني بقراءة هذه الرحلة في ترجمتها الأولى منذ نحو أربعين عاماً، قراءة تمعن واستفادة، ولكنني لم أجِد فيها مما يتعلق بتاريخ بلادنا أو بجغرافيتها سوى معلومات يسيرة مشوشة مضطربة ناقصة، وغامضة في كثير من الأحيان. وَتَمَنَيْتُ أَنْ يتولى دراستها في أصلها الفارسي أحد أبناء هذه البلاد ممن نالوا ثقافة واسعة، وإلماماً تاماً باللغة الفارسية، لا سيما وأن هذه الرحلة قد خُدمت من قبل ثلاثة من العلماء، وقد يكون هناك غيرهم، أحدهم فرنسي وهو شارل شيفر (Charles Schefer) الذي نشر الرحلة مترجمة إلى الفرنسية محققة نشرة استفاد منها الدكتور يحيى الخشاب، والثاني: الدكتور يحيى الخشاب الذي عرّبها، ورجع إلى تحقيق المستشرق الفرنسي، وقبله الأستاذ م. غني زادة الذي أضاف إلى نشرته باللغة الفارسية معلومات استفاد منها الدكتور الخشاب.

ثم جاء الأستاذ محمد دبیر سیاقی فحقّق تلك الرحلة ونشرها نشرة علمية، بحيث رجع إلى ما عرف من مخطوطاتها، وتصدّى لإيضاح كثير من الكلمات الغامضة فيها، أو التي وقع اختلاف فيها بين المخطوطات، وصدرت نشرته هذه قبل عشرين عاماً.

من هنا كان التطلع إلى نشرة علمية عربية لهذه الرحلة تقوم على أساس ما سبق أن قام به أولئك الباحثون حيالها من دراسات، مع إضافة ما هي بحاجة إلى إضافته مما يتعلق ببلادنا، ومن أولى من الدكتور البدلي الأستاذ في كلية الآداب في جامعة الملك سعود.

إنَّ القاريء يحس بصدمة عنيفة حين يتصفح ترجمة الدكتور البدلي، لا من حيث مطابقة النص العربي للنص الفارسي فما سبق أن أطلع القاريء على نماذج من الاختلاف بينه وبين ترجمة الدكتور الخشاب للرحلة، وهي نماذج أُريدَ منها التمثيل لا الحصر - ولكن الصدمة تحدث حين يجد القاريء أن كثيراً من المعلومات المشوشة المضطربة وردت في ترجمة الدكتور البدلي بدون إشارة إلى ما فيها من اضطراب أو تشويش، وقد يستغرب المرء المتصفح لترجمة الدكتور البدلي حين لا يرى في أية صفحة من صفحات الرحلة أي أثرٍ من آثار من درسوها عن تقدم الدكتور البدلي، ولا أية إشارة إلى اختلاف النسخ الفارسية، وهو اختلاف لا شك أنه كان عميقاً الأثر في كثير من النصوص.

وأعجبُ من ذلك كله وقوعُ خَلْطٍ شنيع في تحديد بعض المواقع الجغرافية وتسمية بعضها بغير اسمها، مما لا يُعَذَّرُ الدكتور البدليُّ بعدم إدراكه والتنبيه عليه وهو من أهل هذه البلاد، كالقول بأنَّ جُدَّة تقع إلى الشمال من البحر - ص ١٣٥ - والقول بأنَّ ذا الحُلَيْفَةِ مِيقَات أهل المدينة المعروف يقع على بعد منزلتين من المدينة، وأنه مِيقَات حاج الشام ومصر والمغرب - ص ١٢٢ - وأن قبر حمزة يقع جنوب المدينة - ص ١٢٢ - إلى غير ذلك من أخطاء هذه الرحلة التي كان المفروض أن يكون من أولى ما يتنبه إلى تصحيحها أساتذة الجامعة، حتى تخلو المنشورات التي تصدر عن جامعاتنا منها، فذلك الأمر من أوجب ما تقوم به هذه الجامعات، وإيضاح النواحي التي لا تنفق مع الواقع في تاريخ أمتنا وجغرافية بلادنا هو أساس ما يُعْنَى به علمائنا قبل غيرهم.

وسأحاول بإيجازٍ عرضَ نماذج مما تحدث به هذا الرحالة عن بلادنا لكي أُبينَ أن الأستاذ الكريم الدكتور البدلي كان بحاجة إلى أن يتعمق في دراسة هذا القسم قبل أن يوضح آراءه بصفة عامةٍ عن الرُّحْلة كلها توضيحاً لا أُتَجَنَّى على الدكتور حين أصفه بأنه لا ينطبق على الواقع.

١ - المظاهر الصناعية والعمرانية في قلب نجد: قال الدكتور البدلي: فقد رأى الرحالة من المظاهر الصناعية والعمرانية والنشاط التجاري في قلب نجد ما لم

يكن يخطر ببال أكثر المتفائلين والمتحمسين - المقدمة ص ١٣ - .

لنستعرض نص كلام الرحالة فيما ترجمه الدكتور نفسه - ص ١٦٢ - منذ خروجه من الطائف حتى بلوغه الأحساء، ليتبين في استعراضنا أن الرحالة وصف ما مر به باعتباره جزءاً من الصحراء محفوفاً بالمخاطر، خالياً من العمران، فضلاً عن المظاهر الصناعية والنشاط التجاري الذي لم يكن يخطر ببال أكثر المتفائلين - كما عبر الدكتور البدي - .

لقد خرج من الطائف فكان أول ما مر به الحصن الذي دعاه (المطار) وقال: إنه يبعد عن الطائف أحد عشر فرسخاً.

وهنا لم يشير الرحالة إلى أي أثر للعمران في هذا الحصن، بخلاف غيره من العلماء ممن وجه إليهم الدكتور البدي تهمة إبراز تلك الأجزاء من الجزيرة في صورة من التخلف، وأنه لا عهد لها بأي درجة من الاستقرار المفضي إلى أي نوع من أنواع الحضارة.

لقد وصف عَرَامُ بن الأصبح السلمي في رسالته عن تهامة، وصف قرية (مُطَارٍ) بأنها من قرى الطائف كثيرة الزرع والموز، وذكر البكري في «معجم ما استعجم» ما يدل على عمران مُطَارٍ، فنقل أن في مطار أَبَدَ الدَّهْرِ نَخْلاً مُرْطَباً ونَخْلاً مُصْرِماً ونَخْلاً مُبْسِراً، ونَخْلاً يُلْقَحُ.

وقال الرحالة بأنه وصل بعد رحيله من مُطَارٍ إلى موضع يقال له (الثريا) رأى فيه نخلاً كثيراً وشيئاً من الزراعة وتسقى أشجار النخيل والمزارع من بئر عليه سانية .

والدكتور المعرب لم يعرف القاريء بالثريا هذه، وهي فيما ظهر لي (تُرْبَة) ورد الاسم محرفاً، وتُرْبَة أسفل وادي أبيدة، وواديها من أخصب الأودية وأكثرها مياهاً، ونخلاً، ومياهه ظاهرة على وجه الأرض إلى عهد قريب.

وتُرْبَة هذه التي أصبحت الآن مدينة لها ذكر كثير في معجمات الأمكنة وفي كتب التاريخ، وورد فيها المثل (عرف بَطْنِي بَطْنَ تُرْبَة) وإليها سارت سَرِيَّة بقيادة عمر

بن الخطاب - رضي الله عنه - في عهد الرسول - ﷺ - .

ويرى بعض الباحثين أن المقصود في كلام ناصر خسرو منهل الثريا الواقع في الهضب، هضب الدواسر كما في كتاب «عالية نجد» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، وما أرى هذا صحيحاً، فليس على منهل الثريا من النخل ولا من الزراعة ما ينطبق عليه وصف الرحالة، ثم إنه قال: إن هذا المكان يبعد عن الطائف خمسة وعشرين فرسخاً ($25 \times 3 = 75$ ميلاً) بينما الثريا التي في الهضب تبعد مسافة أكثر من مئتي ميل عن الطائف.

لم يصف ناصر خسرو تربةً بتقدم صناعي ولا عمراني، بل اكتفى بوصف الموضع بكثرة السرقة وانتشار الحروب، وأن الأمر فيه فوضى، كلُّ أعرابي يرى نفسه حاكماً لا سلطان لأحد عليه.

ثم ذكر الرحالة الموضع الذي وصل إليه بعد مغادرته ما سماه الثريا (تربة) وسماه (الجزع)، وقال: وفي هذا الحصن قليل من الزراعة وطائفة من النخيل. ولم يزد على ذلك.

ولا يوجد في تلك الجهة التي مرَّ بها الرحالة من المواضع المذكورة ما يطلق عليه هذا الاسم فيما أعلم. وما أراه قصد إلا (الخرمة) ولا أستبعد تحريف هذا الاسم بـ (الجزع)، فالخرمة تقع في طريق المتجه إلى الأفلاج بعد تربة، وقد مكث ناصر خسرو في هذا الموضع خمسة عشر يوماً يبحث عمن يواصل معه رحلته لثلاث يتعرض للنهب وما هو أسوأ منه.

ثم ذكر أنه مرَّ بحصن بني نسير، وهذا الحصن من الأمكنة المجهولة، ولا أستبعد أن يكون في وادي رنية، إذ الرجل الذي نقله منه على ما ذكر شيخ قبيلة من الأعراب تسمى بني سواد.

وقد يكون المقصود ببني سواد عشيرة السودّة من قبيلة سُبَيْع سكان بلدة رنية حتى هذا العهد.

ثم ذكر تنقله من يد خفير إلى يد خفير آخر، كالسلعة في هذه البوادي الموحشة التي قال: إنه لا شيء فيها سوى هذه الأعلاف الهزيلة التي تتغذى عليها الإبل لتصبح الإبل بدورها غذاء لهاؤلاء الأعراب.

فأين مظاهر العمران والحضارة التي وصفها ناصر خسرو في رحلته؟

ثم ذكر وصوله إلى الأفلاج بعد جهد ومشقة ومعاناة أهوال وسَمَى الموضع (فَلَج) ووصف الأفلاج بأنها واحة كبيرة ولكنه عندما وصلها كانت أشبه بأطلال، خربتها العصبيات القبلية، ولم يبق عابراً من هذه الواحة سوى قدر نصف فرسخ في ميل واحد.

وذكر أن فيها أربعة عشر حصناً يمتحن أهل كل حصن العبث في الأرض فساداً — كذا قال !! — وأشار إلى وجود أربع عيون وذكر أنه لم يرَ البقر في هذه الصحراء، ووصف الزراعة في الواحة بأنها ليست كثيرة، فالفلاحون يزرعون القمح ليصنعوا منه ما يأكلون، ووصف ثمر الأفلاج بالجودة، وقال عن السكان: إنهم في غاية الفقر والمسكنة، وعلى درجة كبيرة من الجوع والعُري. وشيوع الأمية بينهم، ولا قيمة للكتاب لديهم — ص ١٦٥ وما بعدها.

ومن الأفلاج وصل إلى اليمامة، إذ رافق قافلة تحمل الجلود إلى الأحساء، وهذه الجلود تجلب من اليمن إلى الأفلاج، فيبيعها تجار اليمامة الذين يتولون نقلها إلى الأحساء.

أما وصفه لليمامة فلا يغدو ذكر المسجد العظيم في المدينة المحاطة بسور حصين وفي خارج السور سوق فيه كل أنواع الصناعات.

أثرى الدكتور البديلي اتخذ من كلمة (كل أنواع الصناعات) ما اعتبره أساساً ليصف ما أبرزه الرحالة من المظاهر الصناعية والعمرائية والنشاط التجاري في قلب نجد؟ ولم يلاحظ أن مدينة تعتبر قاعدة بلاد نجد من أقدم العصور لا يستغرب أن تضم أنواع الصناعات.

ووصف ناصر خسرو اليمامة بأنها وفيرة المياه حيث تنتشر القنوات وتكثر أشجار النخيل وعندما يكثر التمر فيها يباع الألف من بدينار.

ما تقدم هو مجمل ما ذكر ناصر خسرو عن المواضع التي مرّ بها في قلب نجد، وللقرّاء أن يُقارِنَ بينه وبين كلام الدكتور البدي.

تبقى الإشارة إلى أن المواضع التي مرّ بها ناصر خسرو في رحلته ووصفها وصفاً أثّار إعجاب الأستاذ الدكتور البدي إثارةً حملته على أن يُنحّي باللائمة على المؤرخين المسلمين الذين بخسوا ذلك الجزء حقّه، مما ينبغي أن يوصف به من التقدم العمراني والحضاري.

إن هذه المواضع لقيت من اهتمام بعض المتقدمين وعنايتهم ما يبرز بعضها بصورة هي في صحتها وحسنها أوضح وأكمل مما صورها هذا الرحالة.

فالأفلاج مهّد حضارة قديم، بقيت آثارها إلى أوائل القرن الرابع الهجري، حيث نجد في «صفة جزيرة العرب» للهمداني فصلاً خاصاً في وصف هذه البلاد، وما تتمتع به من تقدم زراعي وعمراني، قلّ أن نجد مثله لغيرها من أجزاء بلاد العرب الأخرى باستثناء اليمن.

وكانت تلك البلاد معمورة منذ أقدم العصور.

أما ما جاء في رحلة ناصر خسرو - ص ١٦٥ - من قوله: ويقول سكان هذه الواحة نحن أصحاب الرسيم الذين جاء ذكرهم في القرآن، إنهم قوم جهلاء غلاظ الأكباد. فيحسن الوقوف عنده حيث لم يُشِرِ المعرب الكريم إلى معنى (الرسيم) ولم يدرك أن صواب الكلمة (الرّسّ) اسم أمة من الأمم المذكورة في القرآن الكريم في آيتين هما: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ - سورة الفرقان الآية ٣٨ - وقوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرّسِّ وَثَمُودٌ﴾ - سورة ق الآية ١٢ - .

وقد اختلف المفسرون في أصحاب الرّسّ هؤلا، وهناك من يرى أنهم أهل

الأفلاج، وقد ذكر هذا إمام المفسرين ابنُ جرير في تفسيره فيما رواه عن عكرمة، وعلى هذا فقول أهل الأفلاج: إنهم أصحاب الرُّسِّ له أصلٌ، وليسوا كما وصفهم ناصر خسرو بالجهل وغلظ الأكباد.

نماذج من أغلاط الرحالة في الترجمة الحديثة:

ليس في استطاعتي حصر ما في هذه الرحلة من أخطاء، ومعلومات مشوشة مضطربة لا تُطابقُ الحقيقة، لأنني لا أحسنُ اللغة الفارسية، ولكن الترجمة التي قام بها الدكتور البدلي وخاصة ما يتعلق منها بالبلاد العربية تحوي من ذلك ما يُستَكثَرُ ويستغرب، بالنسبة لأنَّ العرب الكريم من أهل هذه البلاد، وعلى درجة من الثقافة والعلم تمكنه من إدراك كثير منها، وتحتّم عليه إزاء ذلك إيضاح ما تدعو الحاجة إلى إيضاحه. وأكتفي بإيراد أمثلة موجزة منها:

١ - ص: ١٢١: (وتقع قبلة مسجد المدينة نحو الجنوب) و ص: ١٢٢: (ومكة تقع شرق المدينة).

هاتان الجملتان متناقضتان، فما دامت مكة تقع شرق المدينة، فينبغي أن يكون اتجاه أهل المدينة غرباً - والقول بأن قبلة مسجد المدينة نحو الجنوب يفهم منه أن المدينة تقع شمال مكة.

فكيف هذا؟

٢ - ص ١٢٢: (وعلى بعد منزلتين من المدينة رأينا جبلاً ذا مضائق شبيهة بالوديان، ويسمى المكان ذا الحليفة، وهي ميقات حاج الشام ومصر والمغرب). من المعروف أنَّ ذا الحُلَيْفَةِ هو ميقات أهل المدينة، وهو واقع في العميق المجاور لها، وقد بلغه عمران المدينة الآن، ويعرف الآن بآبار علي.

أما ميقات حاج الشام ومصر والمغرب فهو الذي يبعد عن المدينة مسافة تزيد على مرحلتين، واسمه الجُحْفَة، ولا يزال الموقع معروفاً على مقربة من بلدة رابغ، على نحو خمسة عشر كيلاً منها في الجنوب الغربي.

فمن أين أتى وصف ذي الحليفة بكونه ميقات حاج الشام ومصر والمغرب؟
يظهر أن هذا من خطأ العرب، إذ في ترجمة الدكتور الخشاب وضع الاسم
صحيحاً، كما ورد الاسم في الرحلة الفارسية التي طبعت محققة في إيران صحيحاً
- ص ١٠٣ - .

ولا أستبعد أن يكون وَضَعَ الاسم الخطأ من قبيل سبق القلم من الدكتور
البدي، إذ هو من أهل هذه البلاد العارفين بمواقيت الاحرام، ولا شك أنه يعرف
الفرق بين الميقاتين ذي الحليفة والجحفة.

وفي ترجمة الدكتور الخشاب (٦٧) حاشية على (الجحفة) فيها إشارة إلى سيل
الجحاف الذي وقع سنة ثمانين من الهجرة، وهذه الحاشية لا تنطبق على (الجحفة)
التي كانت معروفة قبل ذلك السيل، منذ العهد الجاهلي، ثم لما هاجر الرسول ﷺ
من مكة إلى المدينة دعا الله أن ينقل حُمَى المدينة إلى الجحفة، وقد وَفَّته رسول الله
ﷺ لأهل الشام، مما يدل على وجودها قبل سنة ثمانين من الهجرة.

ويلاحظ أنه ورد في ترجمة الدكتور الخشاب كلام يتعلق بالجحفة لم يرد في ترجمة
الدكتور البدي.

٣ - ص: ١٢٢: لما وصف ناصر خسرو ما وقع في الحجاز من شدة الفقر
قال: (وفي هذه السنة (٤٤٠) جاء إلى مصر من الحجاز خمسة وثلاثون شخصاً،
فأكرمهم السلطان). ثم ذكر أنهم عادوا إلى بلادهم بعد هطول الغيث.
عندما تَحَدَّثُ الفاقةُ ويشْتَدُّ الفقرُ في قطر من الأقطار فإنَّ من يغادره إلى الأمكنة
التي يمكن أن يوجد فيها الغوث والعون لا يقتصر على مثل هذا العدد القليل (٣٥)
شخصاً).

والواقع أن الذين غادروا الحجاز في تلك السنة على ما جاء في أصل الرحلة وفي
ترجمتها العربية الأولى خمسة وثلاثون ألفاً، فلعل كلمة (الفا) سقطت سهواً من
العرب، أو تطبيعاً في المطبوعة.

٤ - ص: ١٢٤: ذكر الرحالة أنَّ قوماً من خراسان حجُّوا عن طريق الشام ومصر، قال: (ووصلوا إلى المدينة عن طريق البحر). وفي ترجمة الدكتور الخشاب - ص ٦٨ - : (فبلغوا المدينة في سفينة). ومن هنا يتضح خطأ ما جاء في الأصل الفارسي وفي الترجمتين، فالمدينة لا يُوصل إليها عن طريق البحر، وإنما يوصل إلى ميناء الجَّارِ الواقع غرب المدينة بما يقرب من مسيرة ثلاثة أيام تقطع على ظهور الإبل قديماً.

٥ - ص: ١٣٥: (وتقع مدينة جدة على ساحل البحر الأحمر، وعدد سكانها نحو (؟) من خمسة آلاف نسمة، وهي تقع إلى الشمال من البحر).
ومعروف أنَّ جدة تقع شرق البحر لا شماله.

٦ - ص: ١٣٥: (إذا خرجت من جدة واتجهت جنوباً وصلت إلى اليمن وإلى مدينة صعدة).

ومعروف أنَّ صعدة لا تقع جنوب جدة، وقد كرر مثل هذا الخطأ حين عدَّ مدينة صعدة من مُدُن تِهامة على ما سيأتي:

٧ - ص: ١٤٠ و ١٤٢: (ويقال إنَّ أحدُ أمراء مدينة عدن ويسمى ابن شاهدل اكتشف عين ماء غزيرة تحت الأرض فأمر بإجرائها إلى مكة) و (يحكم تِهامة مملوك حبشي من ممالك عدن المسمى شاهدل).

(شاهدل) هذا الذي تكرر اسمه ليس معروفاً فيما اطلعت عليه من كتب التاريخ، وأمراء عدن معروفون إلى زمن المؤلف - منتصف القرن الخامس - وهم في ذلك العهد من موالي بني زياد، ومن أشهرهم الحسين بن سَلَّامة، الذي له مآثر كثيرة عمرانية في طريق الحج وفي مكة وفي عرفات، وهو الذي ينطبق عليه قول المؤلف: (وقد أوصل ابن شادل الذي كان أميراً لعدن الماء إلى جبل الرحمة من مكان بعيد، وقد بنى هذا الأمير فوق جبل الرحمة طاقاً مربعاً كبيراً) ترجمة الخشاب - وقد نص الخزرجي في «العسجد المسبوك» - ص ١٠٧ نسخة مكتبة

الحرم المخطوطة - أن الذي بنى فوق جبل عرفات هو الحسين بن سلامة، مولى أمير عدن إسحاق بن إبراهيم بن زياد، وهو عَبْدُ حَبْشِي يُنسَبُ إلى أُمِّهِ، وقد حكم بعد وفاة سيده من سنة ٣٧١ إلى سنة ٤٠٢، وقيل إلى سنة ٤٢٦، وله مآثر عظيمة في الحجاز في حفر الآبار وإصلاح الطرق.

لهذا أرى أن كلمة (ابن شاهدل) أو (ابن شاددل) كما في ترجمة الدكتور الخشاب تحريف كلمة (ابن زياد).

٨ - ص: ١٤١: (رأيت خارج مكة بشراً يقال لها بشر الزاهد، وبجانبتها مسجد كبير وماء هذه البئر عذب).

كنت ظننت أن كلمة الزاهد - بالدال - تطبيع ولكنني رأيت الاسم ورد هكذا في الأصل الفارسي، وفي النسختين العربيتين، ولا شك أن المقصود هو الزاهر - بالراء - الذي لا يزال معروفاً ومنه كان يجلب الماء العذب قديماً إلى مكة.

٩ - ص: ١٤٢: يأتي هذا الرحالة بتعابير ليست معروفة عند متقدمي العلماء ممن تحدثوا عن بلاد العرب فيقول - ص ١٤١ - : (وتُسمى أرض اليمن حمير، وأرض الحجاز أرض العرب) وأضاف: (أرض العرب تمتد من الكوفة إلى مكة، أما من مكة إلى عدن فيسمى أرض حمير).

لا شك أن اسم حمير كان قبل الإسلام يطلق على قبيلة كان لها نفوذ وسيطرة وحكم في بلاد اليمن، امتد إلى نواحي من بلاد العرب، ولكن هذه القبيلة ضعفت وزال حكمها ونفوذها قبل ظهور الإسلام، ولما ظهر الإسلام لم يبق من نفوذها سوى مجرد ذكرها باعتبارها قبيلة من بين القبائل المنتشرة في بلاد اليمن، ثم بعد أن رسخ الإسلام - في تلك البلاد من العهد النبوي إلى عصرنا - زال اسم حمير من حيث النفوذ وأصبحت اليمن من حيث التقسيم الجغرافي جزءاً من بلاد العرب، التي لا تقتصر على ما حدده هذا الرحالة الذي لا يعرف شيئاً عن تلك البلاد، ولهذا قال - ص ١٤٢ - : (أرض حمير تنقسم إلى ثلاثة أجزاء:

١ - تهامة: وفي تهامة مدن كثيرة عامرة بالسكان مثل صعدة وزبيد وصنعاء).

فقد عُدَّ صعدة وصنعاء من مدن تهامة، ومعروف موقعهما من بلاد اليمن،
وأنها بعيدتان عن تهامة.

٢ - ثم عد من الجزء الثاني من تهامة نجداً، كذا واعتبار نجد جزء من تهامة
مما يدل على أنه تلقف تلك الأسماء فوضع تعريفات لها هي أقرب إلى السداجة
والجهل من أن توصف بأنها (ذو قيمة تاريخية) أو أن تنعت بالجودة.

٣ - وعد من الجزء الثالث من تهامة نجران وعثر وبيشة، وهذا من الخلط
الذي ما كان ينبغي أن يُمَرَّ على الأستاذ العرب الكريم بدون أن يلفت نظره.
إذ نجران وبيشة يفصلهما عن تهامة منطقة الحجاز.

وهنا ملاحظة هامة جداً، وهي أنني أخشى أن العرب الدكتور البدي لم يكن في
تعريبه لكلام الرحالة دقيقاً، حين قسم تهامة هذا التقسيم. ويدل على هذا أن
الدكتور الخشاب أتى بما يخالف هذا ويطابق في كثير من وجوهه ما جرى عليه
متقدمو علماء تقويم البلدان، فقد قسم بلاد اليمن - ص ٧٨ - وهي بلاد حمير
ثلاثة أقسام: قسم منها يسمى تهامة وهو على الساحل الشرقي لبحر القلزم،
والقسم الثاني جبلي يسمى نجداً، والقسم الثالث ناحية المشرق، وعُدَّ من مدنه
نجران وعثر وبيشة.

أمَّا ذكر عَثْرَ في ناحية المشرق فمن أخطاء ناصر خسرو، وكذا عُدَّ صعدة
وصنعاء من مدن تهامة.

ومهما يكن فإن تقسيم ناصر خسرو لبلاد العرب وللقسم الجنوبي منها في غاية
الاضطراب.

١٠ - ص: ١٤٦: بعد أن ذكر أن في المسجد الحرام (١٨٤ عموداً): (ومن
بين تلك الأعمدة عمود عند باب الندوة من الرخام الأحمر. ويقال: إن خلفاء
بغداد اشتروا هذه الأعمدة بوزن ما يباع الذهب) كذا.

ومفهوم هذا الكلام أن جميع أعمدة المسجد الحرام اشترت بوزنها ذهباً،
ولكن هذا مع مخالفته للمعقول لا يتفق مع ترجمة الدكتور الخشاب - ص ٨٠

— : (ومن هذه العمود عمود من الرخام الأحمر وَضِعَ عند بابِ الندوة قيل : إنه اشْتَرِيَ بوزنه ذهباً، ويقدر وزنه بثلاثة آلاف من).

وقد أوضح الدكتور الخشاب في آخر ترجمته عند ذكر المقاييس والموازين أَنَّ المن يساوي أربعين سِيراً والسِّيرُ خمسة عشر مثقالاً.

١١ — ص: ١٤٦ : أورد الرحالة أسماء أبواب المسجد الحرام في عهده، ذكر من بينها باب الفسائين، واستشكل المعرب هذا الاسم فوضع بجواره علامة استفهام كما فعل قبله الدكتور يحيى الخشاب.

وصواب هذا الاسم باب السُّفَيَّانِيَّ، نسبة إلى بني سفيان بن عبد الأسد كما أوضح ذلك الأزرقى في كتاب «أخبار مكة» — ج ٢/٧١ .

وذكر ص: ١٤٧ : من أبواب الحرم باب (السطوي) مجاوراً لباب الصفا من جهة الغرب.

ولا شك أَنَّ هذا الاسم غير صحيح، ولم أرَ فيما اطلعتُ عليه من الكتب المتعلقة بتاريخ مكة ذكراً لهذا الاسم، ولكن ورد في رسالة في وصف مكة مخطوطة في (مكتبة دير الاسكوريال) في أسبانية ومؤلفها من أهل القرن الرابع الهجري، وقد نشرت في مجلة «العرب» — س ٨ ص ٣٢٤/٣٥٧ — جاء في تلك الرسالة في ذكر أبواب المسجد الحرام ما ملخصه: وفي الشق الذي إلى جانب الوادي وأبي قبيس ستة أبواب: باب البَقَالِيْنَ ثم باب الحَنَاطِيْنَ، ثم باب الغَزَالِيْنَ ثم باب الشطوين ثم باب الصفا. انتهى. فما سماه الرحالة الفارسي (السطوي) ورد في تلك الرسالة (الشطوين) وقد يكون محرفاً أيضاً، ولا أستبعد أن يكون منسوباً إلى أحد أصحاب الحِرَف، كالأبواب التي قبله. ويُلاحظ أَنَّ أسماء أبواب المسجد لم تثبت على حالة، بل كثيراً ما تغيرت بتغير الأزمان.

وذكر من أبواب المسجد الحرام باب (عروة)، وكذا ورد في ترجمة الدكتور الخشاب.

وصواب هذا الإسم باب الحزورة باسم سوق مكة القديم الذي ورد أن رسول الله ﷺ وقف فيه وقال - يعني مكة - : «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» كتاب «القرى لقاصد أم القرى» - ص ٥٩٨ .

وذكر الفاسي في «شفاء الغرام» أن اسم (حزورة) حُرِفَ إلى عَزْوَرَة .
١٢ - ص : ١٤٨ : (وارتفاع الكعبة ثلاثون ذراعاً وعرضها ستة عشر ذراعاً) وفي ترجمة الدكتور الخشاب - ص ٨١ - : (والكعبة في وسط ساحة المسجد، وهي مستطيلٌ طوله من الشمال إلى الجنوب ثلاثون ذراعاً، وعرضه من الشرق إلى الغرب ست عشرة ذراعاً).

هكذا اختلفت الترجمتان، فأيهما أصوب ؟

كَانَ على المترجمين الفاضلين أن يرجعا إلى الكتب المؤلفة في الموضوع ليشبها الصواب وأن لا يَعتَمِدا على رَحَالَةٍ كثيراً ما يورد معلومات لا تقوم على أساس من الصحة.

لقد أوضح الأزرقى وغيره من مؤرخي مكَّة كُلُّ ما يتعلق بالكعبة ومن ذلك قياس طولها وعرضها، جاء في «أخبار مكة» - ٢٨٩/١ - باب ذراع البيت من الخارج : (طولها في السماء سبعة وعشرون ذراعاً، وذَرْعُ طول وجه الكعبة من الركن الأسود إلى الركن الشامي خمسة وعشرون ذراعاً، وذرع دُبُرَهَا من الركن البياني إلى الركن الغربي خمسة وعشرون ذراعاً، وذرع شِقُّهَا البياني من الركن الأسود إلى الركن البياني عشرون ذراعاً، وذرع شِقُّهَا الذي فيه الحِجْرُ من الركن الشامي إلى الركن الغربي أحدُ وعشرون ذراعاً) انتهى . والذراع هنا ذراع اليد، وقد أطال تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام» ١٠٧/١ وما بعدها الكلام في الموضوع مما يفهم منه أن القياس تقريبي .

ومما تقدم يتضح أن الكعبة - شرفها الله - أقرب ما تكون إلى التربع، لا كما

ورد في الترجمتين، ولعلّ الخطأ فيها راجع إلى وصف الرحالة الفارسي.

١٣ - ص: ١٥٣: عن سدنة البيت: (وهم من ذرية عثمان بن طلحة بن شيبه بن طلحة بن عبد الدار).

مع أن الاسم لم يرد في ترجمة الدكتور الخشاب، حيث اقتصر فيها على القول - ص ٨٦ - : (امتازت قبيلة من العرب تسمى بني شيبه بحفظ مفتاح باب الكعبة) - إلا أن نسب عثمان الوارد في ترجمة الدكتور البدلي غير صحيح، وصوابه: عثمان بن طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. انظر «الإصابة» رقم ٥٤٤٠ وغيرها ممن ترجم الرجل. أمّا شَيْبَةُ فهو ابن عثمان بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى، كما في «نسب قريش» - ٢٥٢ -

١٤ - ص: ١٥٩: تكرر في هذه الصفحة اسم أمير عدن (شاهدل) وكذا في ص ١٦٠ ففي الأولى: ذكر أنه أمر بإحداث أحواض للماء في جبل الرحمة. وفي الثانية: ذكر أنه بنى فوق ذلك الجبل. وتقدمت الإشارة إلى أن صواب هذا الاسم فيما يظهر: الحسين بن سلامة مولى بنى زياد.

١٥ - ص: ١٦٤: (وصلنا إلى مكان جبلي تكثر فيه المنعطفات). وفي ترجمة الدكتور الخشاب - ص ٩٠ - : (وبلغنا مكاناً في وسط أرض ملؤها الصخور يسمى سرباً، رأيت به جبلاً كل منها كالقبة). لم ترد تسمية الموضع في ترجمة الدكتور البدلي.

ويحسن التنبيه على أن ما ورد في تعليق الدكتور الخشاب مما نقل عن (شيفر) من قوله: تسمى هذه الجبال بجبل الطويق. هذا ليس بصحيح، فجبل طويق يقع بقرب الأفلاج، والظاهر أن هذه الجبال هي جبال الهضب، ولعل اسم سرباً محرفاً عن الثريا اسم منهل في تلك الجبال.

١٦ - ص: ١٦٥: في الكلام عن القَلَجِ وأن أهله يقولون: نحن أصحاب الرسيم وتقدم القول بأن الصواب: أصحاب الرُّسِّ. ودعت المناسبة لذكر الاسم

مرة أخرى لأنه ورد في ترجمة الدكتور الخشاب - ص ٩٠ - محرفا (الرقيم)، والرقيم موضع آخر، وهو مذكور في القرآن أيضاً، ولكن النص الفارسي - كما هو في أصح طبعة لكتاب «سفر نامه» تحقيق دبیر سیاقی ص ١٠٦ - ورد الرسم.

١٧ - ص: ١٦٧: (وحكام الیامة من العلویین).

كان حکام الیامة من منتصف القرن الثالث الهجري من بنی الأخیضر العلویین، أبناء یوسف الأخیضر بن ابراهیم بن موسی بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، على ما ذکر ابن خلدون في تاريخه «العبر» - ٩٨/٤ - والجنابي في «البحر الزاخر» وابن عنبّة في «عمدة الطالب» وغيرهم من المؤرخین.

أما ما نقله الدكتور الخشاب في هامش ترجمته - ص ٩٢ - من أنهم من عائلة طباطبا ورأسهم هو الإمام یحیی الهادي، فهذا غير صحيح.

١٨ - ص: ١٦٨: في وصف عیون الأحساء: (وعلى كل العیون سواق ترفع الماء تسقي المزارع).

عیون الأحساء تجري في السواقي بدون أن يُرْفَعَ ماؤها، لأنها تفيض على وجه الأرض، ويلاحظ الاختلاف بين ما ورد هنا وما ورد في ترجمة الدكتور الخشاب - ص ٩٢ - : (وفي المدينة عیون ماء عظيمة تكفي كل منها لإدارة خمس سواق). ولكن النص الفارسي هو: (وجشما هي آب عظیم است وآن شهرکه هریک بنک اسیا کرد باشد وهما این آب) - ص ١٢٣ .

وذكر الدكتور نقولا زیادة في كتابه «رواد الشرق العربي في العصور الوسطی» أن معنى الجملة أن جريان الماء يكفي لإدارة خمس طواحين لقوته، وأما القول بأن العین الواحدة يجري منها خمسة سواق، فهذا لا ينطبق على الواقع، لأن بعض العیون يجري منها من السواقي المتفرعة ما یزید على العشرة، ومن المجاري الأصلية ما يبلغ السبعة، كعین أم سبعة التي أدركناها منذ عهدٍ ليس ببعید. وما أسرع ما ضعفت مياه تلك العیون منذ النصف الأخير من القرن الماضي حين

استتبطلت المياه من جوف الأرض بالآلات الحديثة، فانخفض مستوى مياه العيون بسرعة، وأكثرها غار منها الماء.

لعل في هذه النماذج المتقدمة ما يوضح الحاجة إلى وجود ترجمة صحيحة لهذه الرحلة، مع عناية بدراسة ما ورد فيها مما يتعلق بتاريخ بلادنا وبذكر الأمكنة الواردة فيها، لتصبح الاستفادة منها تامة.

أما الجانب الثالث مما يتعلق بهذه الترجمة الجديدة:

فقد يتساهل به بعض المعنيين بنشر كتب التراث، ولكن ظروف العصر ومتطلباته أبرزت شدة الحاجة إليه. إنه وُضِعَ فهرس مفصلة للكتاب المنشور، لأن أي قارئ في عصرنا الحاضر ليس في استطاعته أن يستوعب قراءة الكتاب، باستثناء المعنيين بتتبع جميع ما فيه من معلومات، لهذا كان من أهم ما يُعْنَى به ناشرو هذا العصر تقريب مباحث الكتاب ومحتوياته بوضع فهرس مفصلة لها.

وكان من أولى من اهتم بذلك المعنيون بالنشر في الجامعات فقل أن يصدر كتاب عنها إلا وقد استوفى ناشروه ما يلزم له من فهرس مفصلة شاملة.

وأذكر أن إحدى دور النشر في بلادنا (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) نشرت رحلة معربة لسائحة بريطانية هي الليدي آن بلانت، فكان مما لوحظ على طريقة النشر لتلك الرحلة عدم إيراد فهرس مفصلة لها، وكان ممن لاحظ ذلك أستاذ جليل من أساتذة جامعة الملك سعود التي أصدرت ترجمة الدكتور البدلي لرحلة ناصر خسرو، فقد قال ذلك الأستاذ وهو الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري ما ملخصه:

- ١ - هناك أماكن وشخصيات لا أشك في أن القارئ قد يحتاج في كثير من الأحيان إلى أن يعرف عنها أكثر من مجرد ذكر اسمها، دون تعريف بها.
- ٢ - كما أن هناك حوادث كان يمكن أن يستفاد من تاريخ المنطقة التي حدثت

فيها لتوضيحها. وأضاف الدكتور الأنصاري: هذه وظيفة المترجم إن كان عالماً بهذه الأشياء، وإلا فهي وظيفة المشرف على طبع الكتاب وإخراجه.

وقال الدكتور الأنصاري: ورغم أهمية الكتاب فإنه يحتاج إلى جانب ما ذكرناه إلى مجموعة من الفهارس، فهو يحتاج إلى فهرس للأماكن وفهرس آخر لأسماء الاعلام - الخ - «العرب» ٤٥٥/١.

هذا ليس رأي الأستاذ الأنصاري وحده بل هو أمر يوشك أن يتفق عليه جميع المعنيين بشؤون النشر والمختصين به من الباحثين.

وترجمة الدكتور البدلي برزت خالية من ذلك مع أن رحلة ناصر خسرو قد خُدمت في نشراتها الأولى بوضع فهرس مفصلة ما كان على المعرب الكريم الدكتور البدلي أو على المشرفين على نشر ترجمته إلا نقل تلك الفهارس ووضع أرقام المطبوعة الجديدة بالنسبة إلى ما ورد فيها من اعلام.

وأراني بعد هذه الكلمة المفصلة عن هذه الترجمة الجديدة لا أجد غضافة في أن أقول: بأننا نتطلع إلى الدكتور البدلي لكي يقدم لنا ترجمة خيراً من تلك الترجمة التي لا أرى الدكتور الخشاب مبالغاً حين وصفها: بأنها تحوي هنوات ليست هينات - مجلة اليمامة ع ٨٦٣ في ٧ ذي القعدة ١٤٠٥ ص ٥٤ - .

كما نتطلع إلى ما تنشره جامعاتنا تطلع من يرى في تلك الجامعات ويود ويحرص على أن تبلغ خير ما يمكن أن تبلغه جامعة تسعى لتقريب العلم، وتسهيل طرقه بمختلف الوسائل، ومن ذلك السير في منشوراتها على الطرق الحديثة للنشر التي تتلاءم مع روح العصر، وما يتطلبه من حفاظ على الوقت، وسهولة ويسر للوصول إلى المعرفة من أقصر سبلها. والله الموفق .

حمد الجاسر

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

- ٩ -

كَنْهَلُ

جاء في كتاب «بلاد العرب»^(١) كَنْهَلُ: فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْأَحْسَاءِ أَتَيْتَ الْأَجَوَفَ، وَهِيَ قَرْى وَمِيَاه، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى بَطْنِ غَرْ، وَهُوَ بَطْنٌ فِيهِ مِيَاه وَقَرْى وَعِيُون، مِنْهَا بَثَاءَات^(٢)، وَمَاءَةٌ يُقَالُ لَهَا كَنْهَلُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

تَجَافَى عَنْ شَرَائِعِ بَطْنِ غَرْ وَحَدَّثَهُ عَنِ السَّيْفِ الْكُرَاعُ^(٣)
وَقَالَ فِي كَنْهَلٍ:

إِنَّ لَهَا بِكَنْهَلِ الْكَنَاهِلِ حَوْضاً يَرُدُّ رُكْبَ النَّوَاهِلِ
ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ غَرْ فَتَقَعُ فِي السَّتَارِ، وَفِيهِ لَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ قَرْيَةٍ، لِأَفْنَاءِ سَعْدٍ
وِلَامِرِيٍّ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَاجٌ.

وذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» أن كَنْهَلُ ماء لبني تميم معروف. وفي كتاب نصر: كَنْهَلُ ماء لبني سعد.

كَنْهَلُ يسمَّى به في عهدنا عين تقع في وادي المياه (وادي الستار قديماً) تدعى (العوينة) و (عوينة كَنْهَل) وبعضهم ينطق اللام راء (كنهر) كان يَمُرُّ بها درب الكَنْهَرِيُّ مِنْ مِينَاءِ الْجَبِيلِ (عينين قديماً) وموقعها غرب ثَاجٍ، بما يقارب خمسين كيلاً، ولكن مفهوم كلام صاحب كتاب «بلاد العرب» وقوع كَنْهَلِ جنوب وادي

السُّتَارُ خَارِجاً عَنْهُ، فِي بَطْنِ غَرْ، شِمَالِ الْأَجَوَافِ (الْجُوفِ). وَيُمْكِنُ تَوْجِيهِ كَلَامِهِ بِأَنْ مَا سِوَاهُ بَطْنِ غَرْ، هُوَ الْجَانِبُ الْجَنُوبِيُّ مِنْ وَادِي السُّتَارِ، وَأَنْ يَكُونَ كَنْهَلٌ وَإِقْعاً فِيهِ عَلَى هَذَا الْإِعْتِبَارِ، لِأَنَّهُ وَصَفَ بَطْنَ غَرْ بِأَنْ فِيهِ قَرْىٌ وَعَيْوناً. وَالْوَاقِعُ أَنَّ جَنُوبَ كَنْهَلِ قَرْىٍ وَعَيْونَ مِنْهَا مَا لَا يَزَالُ بَاقِياً مِثْلَ حَنْيِذٍ وَعِجْرَجٍ، وَشُقْقِيَّةٍ. (تَقَعُ عُيَيْنَةُ كَنْهَلٍ بِقَرَبِ خَطِّ الطُّولِ: ٤٨/٢٠ ° وَخَطِّ الْعَرْضِ: ٢٦/٤٥ °) وَيَكَادُ إِسْمُ كَنْهَلٍ أَنْ يُنْسَى الْآنَ إِذْ يُقَالُ (الْعَوِينَةُ) غَيْرَ مُضَافَةٍ.

وَيَحْسَنُ إِيرَادُ نَصُوصِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، عَلَى مَا فِي بَعْضِهَا مِنْ إِشْكَالٍ.

قَالَ يَاقُوتُ الْحَمُويُّ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: كَنْهَلٌ - بِالْكَسْرِ، ثُمَّ السُّكُونِ، وَالْهَاءِ تَفْتَحُ وَتَكْسِرُ، وَآخِرُهُ لَامٌ -: عَلَّمَ مَرْتَجِلٌ لِاسْمِ مَاءٍ لَبَنِي تَمِيمٍ. وَيَوْمَ كَنْهَلٍ قَتَلَ فِيهِ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابِ الْيَرْبُوعِيِّ الْهَرَمَاسَ وَعُمَرَ بْنَ كَبْشَةَ الْغَسَّائِيَّينَ، وَإِلَى بَيْنَهُمَا.

وَقَالَ جَرِيرٌ:

طَوَى الْبَيْنَ أَسْبَابَ الْوُصَالِ وَحَاوَلْتُ بِكَنْهَلٍ أَسْبَابَ الْهَوَى أَنْ تَقَطَّعَا

وَقَالَ غَيْرُهُ:

إِنَّ هَا بِكَنْهَلٍ الْكِنَاهِلِ حَوْضًا يَسْرُدُ رُكْبَ النَوَاهِلِ

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ، فِي أَيَّامِ كَنْهَلٍ وَكَانَ فِي أَيَّامِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فِي الْإِسْلَامِ:

سَرَى مِنْ أَصُولِ النَّخْلِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى بِكَنْهَلٍ أَدَّى رُحْمَهُ شَرًّا مَقْنَمٍ
لَعْمَرِي وَمَا عَمَرِي عَلَيَّ بِهِنِ لَيْسَ الَّذِي أُجْرَى إِلَيْهِ ابْنُ ضَمْضَمٍ

انْتَهَى كَلَامُ يَاقُوتَ.

وَنَحْبَرُ هَذَا الْيَوْمَ وَرَدَ ذَكَرَهُ فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْفَرَزْدَقِ^(٤) بِمَا نَصَّهُ: أَصَابَ الْقَعْقَاعَ

بن عوف بن القعقاع بن مَعْبِد بن زُرَّارَةَ دماً في بني سعد بن زيد مناة، فخرج القعقاع هارباً حتى نزل ماء يقال له كِنَهْل، فاستعدت بنو سعدُ عُبيدَ الله^(٥) على القعقاع فبعث هُبَيْرَةَ بنَ ضَمْضَم في خيل وقال له: لئن لم تأتني به لأقتلك، فظفر به هبيرة فامتنع عليه فبوا له هبيرة الرمح ليستأسر وهو لا يريد قتله، فأصابه الرمح، فهجم على جوفه فمات من تلك الطعنة مكانه فرجع هبيرة خائباً فقال الفرزدق:

وقائلة والدَّمْعُ يَحْدُرُ كِحَلْهَا لَيْشَ الْمَدَى أَجْرَى إِلَيْهِ ابْنُ ضَمْضَمٍ
غَزَا مِنْ أَصُولِ النَّخْلِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى بِكِنَهْلٍ أَدَى رُحْمَهُ شَرٌّ مَغْنَمٍ

وفي كتاب «النقائض»^(٦): أن زياد بن أبيه بعث إلى بني عوف بن القعقاع من بني مالك بن حنظلة - بعث إليهم هبيرة بن ضمضم المجاشعي فطلبهم فأدركهم بكنهل فقتل منهم عمرو بن عوف فقال الفرزدق:

سَرَى مِنْ أَصُولِ النَّخْلِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى بِكِنَهْلٍ أَدَى رُحْمَهُ شَرٌّ مَغْنَمٍ
لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ يَهَيْنُ لَيْشَ الْمَدَى أَجْرَى إِلَيْهِ ابْنُ ضَمْضَمٍ

- إلى آخر الخبر -

وفي «النقائض»^(٧) أيضاً - في شرح قول جرير:

هُمْ تَرَكُوا عَمراً وَقَيْساً كِلَاهُمَا يُمِجُّ نَجِيعاً مِنْ دَمِ الْجَوَفِ أُخْرَا
قيس: هو أخو الهرماس وهما ابنا هُجَيْمَة، من عَسَّان، بارزهما عُتَيْيَة بن الحارث، فعادى بينهما عِدَاء، يوم كنهل، وهو يوم غُول.

وجاء في «ديوان جرير»^(٨):

كان الهذيل بن هبيرة التغلبي غزا بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، فأطرد إبلهم يوم كنهل، فقال له قومه: أين تطرد هذه الإبل؟ أغير بنا على بعض من نمر به، فأغار على بني كُوز وبني هاجر من ضَبَّة، فأصاب فيهم ثلاثين امرأة، منهم منظورة بنت شقيق، فأطلقهن مكانه وهو في دارهم غيرها، فإنه احتملها، فطلبها

زوجها وأخوها. فقال: هي بيني وبينكما . . فُخِرْتُ فقالت: والله ما كنت لؤأيمَ زوجي ولا أنكس برأس أخي فأعطاهم إياها. وقال:

أُعْتَقْتُ مِنْ أَقْنَاءِ كُوزٍ وَهَاجِرٍ ثَلَاثِينَ لَمْ تُهْتَكْ لِسِرٌّ جُيُوبُهَا
وَمَنْظُورَةُ الْحَسَنَاءِ كُنْتُ أَصْطَفَيْتُهَا فَأُعْتَقْتُهَا لَمَّا أَتَانِي حَبِيبُهَا

وقال جرير^(٩):

وَسَاقَ ابْنِي هُجَيْمَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ إِلَى أَسْيَافِنَا قَدَرُ الْحَمَامِ

ابنا هجيمة: غسانيان قتلها عتية يوم كنهل، واسمها قيس والهرماس، أقبلَا في جيش حتى جاورا طارق بن ديسق أحد بني ثعلبة بن يربوع، وكان نازلاً على ماء يقال له كنهل، فأغارت بنو ثعلبة بن يربوع فأخذوا إبلها وصنائعها - والصنائع مثل الجند المرابطة تكون مع الملوك - فركب قيس بن هجيمة حتى أدرك بني ثعلبة يطردون النعم، فكر عليه عتية بن الحارث فقال: يا عتية هل لك في البراز؟ فقال عتية: ما كنت أسأله، وما كنت أدعُهُ إِذَا سُئِلْتُه - ثم ذكر مبارزتهما وقتل قيس، وقول مالك بن نويرة:

وَقَدْ عَلِمَ الْهَرْمَاسُ أَنَّ سُيُوفَنَا تُقَطِّعُ فِي هَامِ الْمُلُوكِ وَتُنْشِبُ
عَلَا الْبَيْضَةَ الْعَلِيَا عَلَى حَدِّ قَرْنِهِ عُتْيَةً بِالْمَعْلُوبِ غَيْرِ التَّجْنِبِ

المعلوب: سيف قد شُدَّ قَائِمُهُ بِالْعَلْبَاءِ - عصب عنق البعير - التجنب: الكذب.

أَسْرَكُمَا يَا ابْنِي هُجَيْمَةَ أَنَّهُ بِكِنْهَلٍ إِذْ لَأَقَاكُمَا مُتَغَيِّبُ

وقد أورد النويري في كتاب «نهاية الأرب»^(١٠) هذا اليوم باسم (يوم غول الأول، وهو يوم كنهل) وساق خبره كما تقدم، وأورد بيت جرير بهذا النص:

وَسَاقَ ابْنِي هُجَيْمَةَ يَوْمَ غَوْلٍ إِلَى أَسْيَافِنَا قَدَرُ الْحَمَامِ

وفيا أورده إشكال، إذ غُولُ في عالية نجد — لا يزال معروفاً — وكنهل شرق الجزيرة والمسافة بينهما بعيدة —

وبلاد بني تميم لا صلة لها بغول. فهل هناك موضع آخر بقرب كنهل كان يعرف باسم غول، أو أنه حصل خلط من رواة خبر يوم كنهل به ويوم غُول؟ وفي «معجم ما استعجم» — كنهل — بكسر أوله، وإسكان ثانيه، وكسر الهاء: ماء لبني عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع، جاورهم عليه قيس والهرماس ابنا هجيمة، من غسان، في جماعة من قومها، ورئيس بني عوف يومئذ ديسق بن عوف بن عاصم، فأغار على ابني هجيمة قوم من بني يربوع، رئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب، فاتبعهم ابنا هجيمة في قومها، فقتلها عتيبة، فهو يوم كنهل، ويوم غُول، قال جرير:

وساق ابني هُجَيْمَةَ يَوْمَ غُولٍ إِلَى أَسَافِنَا قَدَرِ الْحَمَامِ
فكنهل وغول متجاوران. انتهى. والقول بأنها متجاوران يدل على وجود موضع بقرب كنهل اسمه غول.

كواكب شحم

من مياه منطقة القطيف، شمال صَفْوَا بنحو ثمانية أميال، غير بعيد من ساحل البحر على ما قرأت في أحد البيانات، ولست على يقين من صحة الاسم، وقد يكون من المياه التي نضبت.

الكُؤُوتُ

— بضم الكاف وإسكان الواو وآخره تاء —: يسمى به المكان المعد لإقامة الجند وحماية البلد كالقلعة والحصن، والكلمة ليست عربية الأصل، وقد تكون برتغالية أو هندية، وقَدْ مُنَّصُّ اطلعت عليه ورد فيه ذكرها ما جاء في كتاب «البرق اليباني

في الفتح العثماني، لقطب الدين النهروالي المكي المتوفي سنة ٩٩٠هـ حين تكلم على دخول البرتغال إلى ديار الهند في أول القرن العاشر، قال^(١١): فكثروا في بحر الهند، وبنو في كُوة من بلاد الدكن. قلعة يسمونها كُوتاً، ثم أخذوا هرموز. انتهى.

ولما استولى البرتغاليون على الخليج العربي أنشأوا في موانئه قلاعاً عرفت الواحدة منها باسم (كوت).

ولما استولى العثمانيون على الأحساء في أول النصف الثاني من القرن العاشر اتخذوا مقراً لجندهم وولاتهم مكاناً مرتفعاً عن الأرض المغمورة بالمياه والزراعة ومجاري العيون حيث تنتشر الحُمى – فبنوا فيه قلعة كبيرة عرفت باسم الكوت، وأصبحت منذ ذلك العهد قاعدة للمنطقة إلى سنة ١٣٧٠، حيث أصبحت القاعدة الدَّمَام.

وبعد اختيار مكان الكوت – في العهد التركي – كثر السكان حوله حتى أصبح مدينة ذات أحياء عديدة، منها الكوت، والرَّفْعَة، والنعايل، والصالحية، والرقِيقَة. وعرفت المدينة باسم الهفوف (الهفهوف) – وسيأتي ذكرها.

وقد اتخذ الكوت مقراً للولاية منذ منتصف القرن العاشر الهجري حيث أنشأ ولاية الأتراك فيه كثيراً من القصور والمساجد الجميلة الرائعة الهندسة – وأحيط بسور وأبراج مرتفعة، وبخندق من وراء السور . . وأقدم ما رأيته مؤرخاً من مبانيه مسجد الدبس ففيه حجر منقوش فيه اسم بانيه محمد باشا والي بلد الأحساء، في عهد السلطان سليمان القانوني، وتاريخ العمارة سنة اثنتين وستين وتسع مئة، ٩٦٢هـ – وكان إلى ما قبل عام ١٣٥٨ منفصلاً عما حوله من العمران الذي امتدَّ حتى أحاط به من جميع الجهات، بعد إزالة سوره وردم الخندق المحيط به، فاتصل بأحياء المدينة التي اتصل بعضها ببعض. وتغيرت المدينة بما طرأ عليها من العمران، تغيراً عظيماً، كغيرها من مدن المملكة.

الكُوْنُغ

— بضم الكاف وإسكان الواو، وآخره عين —: جبل يقع في الشمال الشرقي من دَحْل (أبو سُخَيْل) على الجانب الجنوبي الغربي من شعيب الشَّيْطِ الرِّيَّان.

الكُوَيْخَا

— بضم الكاف تصغير الكوخاء^(١٢) — ماء يقع غرب قرية الحناء، في سفح جبل يدعى الكويخا، شمال جبل الأحص.

الكويكب

تصغير كوكب، ومن معاني الكلمة عين الماء الجارية، ولعل إسم هذا الموضع من هذا — إسم قرية من قرى القطيف، منفصلة عنها في الماضي، أما الآن فقد تجاوزها عمران المدينة.

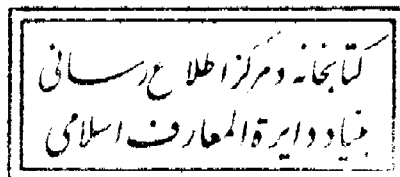
ونسب مؤلف كتاب «أنوار البدرين»^(١٣) إلى قرية الكويكب السيد حسين الكويكبي وصفه بالعلم، ولم يحدد زمنه، ويظهر أنه قريب العهد.

وجاء في كتاب «دليل الخليج» في الكلام على قرى القطيف: كويكب عند الطرف الجنوبي لمدينة القطيف على بعد ربع ميل جنوب الكوت وعلى بعد مسافة مساوية إلى الداخل من البحر.

قرية مسورة تتكون من خمسين ومئتي منزل، ومعظمها مبنية بالحجارة وبعضها أكواخ والمكان إحدى ضواحي مدينة القطيف، ويعمل السكان بزراعة النخيل وصيد اللؤلؤ. انتهى.

الكُهْفة

وبعضهم ينطقها الكهفا — من هجر آل ناجعة من العجمان ذات نخل وفيها



عين قديمة وآبار أرتوازية، وتقع في الجنوب الغربي من عُريعة على نحو ثمانية أكيال، بين الصَّرَّار والنُّعيرية، على يمين الطريق للمتجه إلى الصَّرَّار، وهي في منطقة النعيرية.

وقد رت المسافة بينها وبين الدمام في «دليل مدارس وزارة المعارف لعام ١٣٩٨هـ» بمئتين وخمسين كيلاً - هذا على وجه التقريب.

كُهَيْلَة

تصغير كهلة - قال في «معجم البلدان»: موضع في بلاد تميم.
قال الفرزدق:

نَهَضْنَ بَنَاتُ مِنْ سَيْفِ رَمْلٍ كُهَيْلَةً وَفِيهَا بَقَايَا مِنْ مَرَّاحٍ وَعَجْرَفٍ^(١٤)
وقال الراعي:

عَمِيرِيَّةٌ حَلَّتْ بِرَمْلٍ كُهَيْلَةً فَبَيْنُونَةٍ تُلْقَى لَهَا الدَّهْرُ مَرَبَعًا
وقال البكري في «معجم ما استعجم»^(١٥) بعد إيراد هذا البيت: عميرية: حي من الأبناء، وكهيلة رملة معروفة هناك. انتهى. والأبناء - هنا فيما يظهر - من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

ويظهر أن كهيلة من نواحي بينونة - التي تقدم الكلام عليها - وأن سيفها في جهات بلاد قطر.

كِيْبُوس

تقدم في الكلام على القطيف أن كلمة (كيبوس) تطلق على ما يعرف الآن باسم

خليج القطيف، الواقع بين جزيرة تاروت، ورأس تنورة، على ما ورد في بعض المؤلفات الأعجمية القديمة.

وهذا مما يستدعي التثبت من صحة الكلمة.

(للبحث صلة)

الحواشي:

- (١) : ٣٤٤.
- (٢) في المطبوعة (ثبأت).
- (٣) كذا ورد البيت (وحدثه) وورد البيت في «صفة جزيرة العرب» - ٣٩٧ -
تجاف عن شرائع بطن عمرو وجد به عن سيف الكراع
منسوباً إلى ربيعة بن مقروم الضبي، وهو من قصيدته المفضلية التاسعة والثلاثين قال في وصف
حمار وحش وأثانه -:
إذا ما أسهلا قبت عليه وفيه على تجاسرها أطلأ
تجاف عن شرائع بطن قو وحاد بها عن سبق الكراع
وأقرب منهل من حيث راحا أنال، أو غمازة، أو نطاع
- وكلمة سبق يظهر أنها تصحيف السيف - وكلمتا (وحدثه) و(جده) يظهر أن صوابها
(وحاده).
- (٤) : ٤٧٩.
- (٥) هو عبد الله بن زياد حين استعمله معاوية على البصرة.
- (٦) : ٦٠.
- (٧) : ١٠٠٠، ٨٦٥.
- (٨) : ٦٠٠ ٥٩.
- (٩) ديوانه : ٢٠٤.
- (١٠) : ٤١٦/١٥.
- (١١) : ١٩.
- (١٢) الكوخاء هي العين الموراء.
- (١٣) : ٢٧٥.
- (١٤) في ديوانه:
- (١٥) رسم بينونة.
بدأنا بها من سيف رمل كهيلة وفيها نشاط من مراح وعجرف

فضائل أم القرى حقائق ثابتة

تسمو عن ماثورات القصاصين، وموروثات ذوي العواطف

قرأت في إحدى صحفنا (عكاظ ع ٦٩٧١ في ١٤٠٥/١١/٣) خبراً عن تحديد سبعة عشر أثراً ومعلماً تاريخياً في مكة المكرمة، منها:-

- ١ - مسجد الصحابي سيدنا بلال في جبل أبي قبيس.
- ٢ - مسجد الخليفة سيدنا أبي بكر الصديق في حي السفلة.
- ٣ - مسجد خالد بن الوليد في حارة الباب.
- ٤ - مقبرة السيدة خديجة في الحُجُون منذ فجر الإسلام.

ثم قرأت كلمة بعنوان: (أشهر المساجد بمكة المكرمة) بتوقيع الأخ الشيخ إبراهيم الراشد الحديثي (عكاظ ع ٦٩٨٦ في ١٤٠٥/١١/١٨) ذكر من بين تلك المساجد:

١ - مسجد أبي بكر الصديق، قال عنه: وهو دار أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حيث أقام بها مسجداً ليصلي فيه ويتعبد، ويقرأ القرآن عندما كانت قريش تضطهد المسلمين في مكة وتعذبهم.

٢ - مسجد بلال بن رباح - رضي الله عنه - قال: وقد أُقيم في الموضع الذي كان يتعبد فيه بلال في أعلى جبل أبي قُبَيْس، في شمال شرق الصفا، ويطل على المسجد الحرام والمسعى.

٣ - مسجد حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في حي السفلة بمنطقة السبع آبار عند لقاء شارع إبراهيم - عليه السلام - مع شارع حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه.

٤ - مسجد الخيف، قال عنه : مسجد الخيف بمنى، ومناسبتة أنه قد تأمرت أحزاب الشرك في العام الخامس الهجري بسفح جبل الخيف بمنى، واتجهت للمدينة ولكن الله تبارك وتعالى نصر رسوله الكريم، وأصحابه، وهزم الأحزاب، فحوّل رسول الله - ﷺ - المكان الذي تأمرت فيه أحزاب الشرك على الإسلام والمسلمين إلى مسجد يعبد الله فيه، فأقيم مسجد الخيف، وهو يقع على المنحدر الشمالي لجبل الخيف على مقربة من الجمرة الصغرى. انتهى .

وما كنت أودُّ إثارة مشاعر بعض الإخوة الذين لا يروق لهم أن يُنظرَ إلى بعض الأمور التي لها أثر عميق في نفوسهم نظرةً بحثٍ وتعمُّقٍ، لإدراك هل لتلك النظرة من الأسباب الصحيحة ما يؤيدها.

ولكنني رأيت الأمر في أيامنا هذه اتَّسع، بحيث اتخذنا من النظرة إلى التراث وإلى الآثار بصفة خاصة ما جعلنا نسرّع في الحكم على أمور لها صلة بتاريخنا القديم، بدون أن نتخذ لذلك الحكم أسسه وقواعده من البحث والدراسة وعمق المعرفة، بعيدين في ذلك عن التأثير العاطفي، أو الاسترسال في الأخذ بما يتناقله القصاصون عن العامة وأشباههم من الأخبار التي لا تقوم على أساس من الحقيقة.

وأنا لا أهتم كثيراً باؤلئك الأخوة الذين سيصمونني وصمة أبرأ إلى الله منها، وهو أنني أريد (أن أسلب مكة كرامتها) ومعاذ الله أن أقصد هذه الغاية السيئة، ومعاذ الله أن يستطيع أي إنسان أن يسلب ما لهذه المدينة الكريمة في نفس كل مسلم من كرامة وما لها من منزلة سامية، لا يجهلها ولا يتجاهلها إلا من أعمى الله بصيرته.

ولكن حفاظي على تاريخ هذه المدينة الكريمة حفاظاً يصونه من القول والطعن، ويثبت منه الصحيح الذي بإثباته تبدؤ هذه المدينة الطاهرة على حقيقتها التي أراد الله لها.

ولا يخفى على كل مؤمن أن كرامة الأوطان وشرفها وفضلها لا يتعدى شيء منها

إلى سكانها، كما أن ما يحدث من السكان من الأعمال أيًا كانت خيراً أو شراً، لا أثر لها في تلك الأوطان. إلا ما نص الشرع الشريف عليه، وثبت بطرق صحيحة، مما لا يتسع المقام للتبسط في إيضاحه.

وبعد هذه المقدمة أعود إلى الإشارة إلى أن كل هذه المساجد التي تقدم ذكرها باستثناء مسجد الخيف، لم أجد فيها بين يدي من المؤلفات التاريخية ما يثبت قدمها قدماً يجعل المرء يحكم بصحة نسبتيها إلى من نسبته إليه.

وإيضاح ذلك في أمور:

الأمر الأول: أن مكة — شرفها الله — تصدّى لتدوين تاريخها منذ القرن الثالث الهجري إلى عهدنا هذا علماء معروفون بفضلهم وبعلمهم، لم يغادروا من أخبارها ولم يدعوا من آثارها شيئاً، ومن أقدمهم الأزرقى والفاكهي ومن بعدها الطبري والفاسي، ثم ابن ظهيرة والقطبي، فقد تصدى هاؤلاء لتدوين تاريخ مكة وذكر ما فيها من الآثار، منذ أقدم العصور حتى القرن العاشر الهجري. وهم لم يقتصروا فيما دونوه على ذكر الصحيح الثابت من ذلك، بل منهم من تساهل في تدوين أخبار تتعلق بإمكانة في مكة لا يجد المعني بدراسة التاريخ ما يعتمد عليه في صحة ما دُون عنها.

ولقد كان من عادة العلماء المتقدمين التساهل في نقل الأخبار المتعلقة بفضائل الأمكنة، وينقل الحكايات والقصص التي تتصل بها بدون تمحيص أو تثبت.

الأمر الثاني: يجب أن لا يغيب عن البال أن ما له صلة بالأمور الدينية يجب التثبت بجميع ما يتعلق به من الأخبار، ومن ذلك المساجد التي تنسب إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فالجزم بأن هذا المسجد منسوب إلى الصحابي فلان من الأمور التي لا ينبغي التساهل فيها، وأنا وإن لم أر في تحديد المواضع الأثرية من قبل إدارة الآثار ما يثير الاهتمام، لأننا اعتدنا في هذا الزمان أن نرى إدارة الآثار تهتم بمواضع قد تعتبرها أثرية، وإن كانت حديثة العهد، كالبيوت التي ذكرت في الخبر الأول، وبيوت أخرى في بعض قرى نجد.

ولكن الذي رأيته غريباً وعجيباً هو قول الأخ الحديثي عن مسجد بلال: وقد أقيم في الموضع الذي كان يتعبد فيه بلال.

ومعروف أن بلالاً - رضي الله عنه - لم يرد في كتب السيرة التي اطلعت عليها انه اتخذ مكاناً للعبادة، وإنما ورد أن مولاه كان يعذبه في بطحاء مكة حتى اشتراه الصديق - رضي الله عنه - فأعتقه.

وأمر آخر: هو أن بلالاً - رضي الله عنه - كان على درجة من الضعف لا تمكنه من أن يخصص له مكاناً للعبادة، فيجاهر قريشاً بما يكرهون في وقت طغيانهم، واستضعافهم للمسلمين. وأمر ثالث: هو أن المكان الذي كان يجتمع به المسلمون في عهد الرسالة هو دار الأرقم التي كانت في الصفا، ثم جعلت داراً للحديث، ولعلها دخلت الآن في زيادة المسعى.

أما المسجد الذي في أعلى جبل أبي قبيس، فقد ذكر مؤرخو مكة ومن آخرهم محمد بن ظهيرة مؤلف كتاب «الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف» ألفه في منتصف القرن العاشر الهجري، قال في ذلك الكتاب - ص ٣٣٢ -: ومسجدٌ على جبل أبي قبيس يقال له مسجد إبراهيم، وليس الخليل - عليه السلام - وإنما هو إبراهيم القُبيسي، إنسان كان يسأل عنده، ذكره الأزرقى. انتهى.

وكذا ما ذكر الأخ عن مسجد أبي بكر الصديق، ونصه: دار أبي بكر حيث أقام به مسجداً ليصلي فيه ويتعبد ويقرأ القرآن عندما كانت قريش تضطهد المسلمين في مكة وتعذبهم.

لا أدري من أين أتى الأخ بهذا الكلام، فأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لا يسعه في ذلك العهد، أن ينفصل عن المكان الذي كان يجتمع فيه المسلمون بالرسول ﷺ وهو دار الأرقم، حتى أسلم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فعز الإسلام، واستطاع المسلمون أن يصلوا في المسجد الحرام، ولم يعرف مسجداً في مكة في عهد النبي - ﷺ - غير المسجد الحرام.

ويلاحظ أن أبا بكر الصديق كانت له دار ليست في هذا الموضع الذي نُسب

إليه المسجد الذي فيه، بل كانت في زقاق الحجر - زقاق العطارين - الذي فيه دار خديجة ومولد فاطمة، على ما حدد تقي الدين الفاسي في كتابه «شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام» - ج ١ ص ٢٦٢. وذكر في موضع آخر من هذا الكتاب المسجد المنسوب إلى أبي بكر بأسفل مكة، ولكنه أورد الخبر بصيغة (ينسب لأبي بكر) ويقال: إنه من داره التي هاجر منها إلى المدينة والله أعلم - كذا قال حين أورد الخبر بصيغتي (التمريض) ينسب ويقال، مع أن الأزرقى في كتابه «أخبار مكة» - ج ٢/ص ٢٥٧ - لم يذكر لأبي بكر إلا داراً واحدة في خط بني جمح، قال عنها: بيت أبي بكر الذي دخله رسول الله ﷺ ومنه خرج النبي ﷺ وأبو بكر الصديق إلى ثور مهاجرأ، وحدد هذه الدار في ناحية أجياد، بعيدة عن الموضع الذي في أسفل مكة.

أما مسجداً خالد بن الوليد وحمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنهما - فلا أدري على أي مصدر اعتمد هاؤلاء الذين نسبوهما إلى الصحابين الجليلين، والمؤلفات التي بين أيدينا في تاريخ مكة لا تذكرهما، وأعني بالمؤلفات الكتب التي ألفها المحققون من مؤرخي مكة كالأزرقى والفاسي والطبري.

أما ما جاء في كتب المتأخرين من الرحالة والمؤرخين الذين يتلففون الكلام من كل قائل بدون تثبيت أو تحقيق، فهاؤلاء لا يصح الاعتماد على أقوالهم، وخاصة فيما يتعلق بتاريخنا الإسلامي القديم الذي يجب أن تسد جميع الثغرات التي تسبب الطعن فيه.

ولن أزيد القول عن مقبرة خديجة - رضي الله عنها - على ما سبق أن أوضحته في حديث لي كان مثار تعليق كثير من الإخوة، وملخصه أن قبر خديجة لم يُعرف إلا في القرن التاسع الهجري بطريق رؤياً منامية، رآها بعض المتسيين إلى الصلاح، فأخبر بها أمير مكة، الذي أمر ببناء قبة في المكان الذي تخيل ذلك الرائي أنه انبعث منه نور، أوله أمير مكة بأنه انبعث من قبر سيدتنا خديجة!!

فهل على مثل هذا القول يصح أن يُبنى تاريخنا؟!

وعجبت من قول الأخ الحديثي عن مسجد الخيف: (إنه تأمرت أحزاب
الشرك في العام الخامس الهجري بسفح جبل الخيف بمنى وأن الرسول ﷺ حوّل
ذلك المكان إلى مسجد يعبد الله فيه).

لا أدري من أين استقى هذا الخبر، ولكن الذي أدريه أن مسجد الخيف
مسجد عظيم الفضل، وردت فيه أحاديث وأخبار، وفيه صلى رسول الله ﷺ وقد
عُني متقدمو المؤرخين بتاريخ هذا المسجد، وبتحديد المكان الذي صلى فيه
الرسول ﷺ انظر «شفاء الغرام» ج ١ ص ٢٦٣ وما بعدها.

وأخشى أن يكون الأخ اشتبه عليه خَيْفُ بني كنانة بخَيْفِ مَنى، ولم يلاحظ أن
كلمة (الخيف) في الأصل اللغوي: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل
الماء، ولهذا فهو يطلق على مواضع كثيرة تتصف بتلك الصفة، منها خيف مَنى،
وخَيْفُ بني كنانة وهذا هو الذي ورد في الحديث عن أسامة بن زيد قال: قلت يا
رسول الله أين تنزل غداً في حجك؟ قال: «هل ترك لنا عقيل منزلاً؟ نحن نازلون
بخيف بني كنانة، حيث تقاسمت قريش على الكفر» يعني المحصب. ومعروف أن
المحصب هو الأبطح — بطحاء مكة —.

وبقى النظر في نسبة تحويل ذلك الموضع إلى مسجد، هل ثبتت عنه — عليه
الصلاة والسلام — أم لا؟ ومرد ذلك إلى علماء الحديث الذين حفظوا كل ما أثر
عنه — ﷺ من أقوال أو أفعال، فهل ذكروا ذلك؟

حمد الجاسر

رحلة الوزير الشرقي الإسحافي المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣ هـ

- ٦ -

ثم تحدث صاحب الرحلة في فصل جعل عنوانه : (فصل من الفقه في مناسك الحج على جهة الاختصار)، تحدث عن مسائل فقهية تتعلق بالحج، نقل كثيراً مما جاء في هذا الفصل عن كتب الفقه على مذهب الإمام مالك - رحمه الله .
وأورد بعد ذلك فصلاً عنوانه : (فصل في حدود الحرم)، وأورد بعده كلاماً يتعلق بالمناسك (بطريق الإشارة إلى معانيها) مما نقله من «مناسك الشيخ خليل» - رحمه الله .

وأورد بعد هذا أسئلة في الحج منها : -

- ١ - ما الحكمة في أنه وضعها بؤادٍ غير ذي زرع ؟
- ٢ - ما الحكمة في الوقوف بعرفة والمشعر الحرام دون الحرم ؟
- ٣ - ما الحكمة في العُدْوِ والهَرَوْلَةِ ؟
- ٤ - ما معنى قوله الجمعة حج المساكين .
- ٥ - لما سمي عرفة عرفة ؟ وسمي البيت العتيق عتيقاً ؟

ثم بعد إيراد الأجوبة على هذه الأسئلة، قال : ذكر خروجنا من مكة المشرفة : (كان خروجنا من مكة المشرفة ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من ذي الحجة بعدما طوفنا طواف الوداع، وودعنا البيت العتيق وداع أجبة راعها - والشمل منتظم - داعي الوداع، فمن باكٍ ومعتق، وخرجنا من باب كُدَى من أسفل مكة عملاً بسنة رسول الله ﷺ ، واقتداءً بفعله، وكان الركب المصري قد خرج قبلنا، فوجدناه قد ضرب مضاربةً بوادي فاطمة - رضي الله عنها^(١) - وفي هذا

اليوم توفي الفقيه المؤدّب لولد سيدنا - نصره الله - السيد بلقاسم النسولي، تشوم (٩) في أثناء الطريق، وكان اليوم حاراً، توفي قريباً من قبر السيدة ميمونة زوج النبي - ﷺ - ومشهدها على طريق الحاج^(٢)، وحمل إلى وادي فاطمة، حيث نزل الركب في هذه المرحلة، ودُفِنَ هنالك، ومن الغد ارتحلنا الركاب، وكان مسيرها على طريقها الأولى، داراً داراً إلى بَذَرٍ، فأخذ الركب ذات اليمين للمتوجه للمدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، على طريق الصفراء، فكان المبيت بالموضع المسمى بالجُدَيْدَة^(٣)، ومنه إلى قبور الشهداء، ومنها أصبحنا على البئر المعروفة ببئر علي، وبه آثار بنيان ورسوم دائرة، ودون المدينة المشرفة على نحو من مسافة نصف يوم وادي العقيق وليس به ماء ولا عمارة، وحصاه يَنْحُو نَحْوَ الحمرة، وهو وادي ذي الحَلِيفَة، والعقيق خَزَرٌ أحمر، واحده عقيقة، وقال ابن دريد: كل شَقٍّ في الأرض فهو عقيق، وعَقَّ الشَّيْءُ شَقَّهُ، والعقيق أيضاً وادي المدينة الذي فيها أموالها ونخيلها، وذو الحليفة على طريق المدينة بنحو سبعة أميال، وهو بيطحاء سهلة لينة وفيها أوحى إلى رسول الله - ﷺ - : «إِنَّكَ بَيْطَحَاءُ مباركة»، وهي مَهَلٌ أهل المدينة كما تقدم.

وفي يوم (٤) من ذي الحجة وصلنا إلى معهد الفضائل المشهورة، ومعقد ألوية الدين المنشورة ثم تحدث عن طيبة الطيبة وأورد أقوالاً كثيرة عن متقدمي العلماء تتعلق بفضلها وبما ينبغي أن يتصف به القادم إليها، وغير ذلك مما له صلة بالزيارة، وكل ما أتى به من هذا القبيل لا يخرج عما ذكره أهل عصره، مما لا داعي للإطالة بذكره.

وأورد بعد ذلك فصلاً في فضل البتيع، وأشار إلى مَنْ قُبِرَ فيه من الصحابة فمن بعدهم، وأورد أشعاراً منها قصيدة للسيد محمد بن سعيد بن الشيخ عبد الكريم الأنصاري الخزرجي المدني أنشده إياها وكتبها له بخطه، مطلعها:

لعثمان ذي النورين تَقْدِي الجوانحُ وتَسْعَى إليه العارفون الجحاجحُ

وقال: إنه أنشدني في هذه القصيدة بمحضر أبيه الشيخ عبد الكريم في دارهم المعروفة بدار أبي أيوب الأنصاري.

وتحدث عن أبناء الشيخ عبد الكريم الأنصاري وأقاربهم فقال: ولصاحب القصيدة المذكورة أخ اسمه محمد أبو البركات بن الشيخ عبد الكريم المذكور وأخوهما.

وذكر من لقيه بالمدينة الفقيه الأديب عبد الله بن عبد الكريم العباسي الحنفي مفتي المدينة الشريفة سابقاً، الخطيب والمدرس والإمام بحرم خير الأنام، وأورد له قصيدة في صاحب الرحلة.

وذكر بعض الأمكنة التي زارها في المدينة، وأورد بعد ذلك فصلاً في ذكر فضل جبل أحد، وانقطع الكلام في أوله، وبهذا انتهى الموجود من تلك الرحلة.

الحواشي:

- ١ - نسبة الوادي إلى فاطمة - رضي الله عنها - ليست ثابتة من الناحية التاريخية، وليس فيها اطلعت عليه من المؤلفات ما يوضح من المقصود بهذا الاسم، واسم الوادي قديماً (مر الظهران).
- ٢ - قبر السيدة ميمونة - رضي الله عنها - في سرف، بقرب ميقات العمرة لأهل مكة المعروف باسم التنعيم.
- ٣ - الجذيلة من قرى الصفراء التي لا تزال معروفة.
- ٤ - بياض في الأصل.

رحلة الوزير الشرقي الاسحاقى الى الحجاز

كانت مجلة «العرب» نشرت القسم المتعلق بالحج من رحلة الوزير محمد الشرقي الاسحاقى سنة ١١٤٣هـ في سنتها الـ ١٩ ص ٧٣٦ والـ ٢٠ ص ١٠٨ ، ٢٦٤ ، ٣٨٦ ، ٥٢٨ ، ٦٤٧ ويظهر أن استاذنا الجليل محمد بن عبد العزيز الدباغ محافظ خزانة جامعة القرويين في مدينة فاس لم يطلع على ما نشر . وقد أتخف مجلة «العرب» ببحث ضاف يعتبر ملخصاً وافياً لتلك الرحلة وقدم له بكتاب هذا نصه :

فاس في : ٢٥ ذي القعدة عام ١٤٠٥ الموافق : ١٣ غشت سنة ١٩٨٥

إلى حمد الجاسر

السلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته

وبعد فإني لأجد نفسي منساقاً إلى الكتابة إليك بدافع روعي لا أدري كيف
أصوّره أو أعبر عنه .

إنه باعث أجده في أعماقي منذ سنوات قبل أن تجمعني بكم صلة الكتابة وقبل
أن أتوصل أنا وخزانة القرويين ببعض مؤلفاتكم المهداة إلينا .

ولعل السبب في ذلك مرجعه إلى أنكم قد وجهتم عنايتكم لدراسة أحوال مكة
المعظمة والمدينة المشرفة ودراسة الرحلات الحجازية التي قام بها عدد من العلماء
والأولياء والصالحين فاستمددتم بسبب ذلك ، نفحات إلهية أعانتكم على عملكم
وجعلتكم محبوبين لدى كل من يقدر العلم ويعرف قيمة أهله خصوصاً بالنسبة إلى
الذين جعلوا مدار اهتمامهم على مركز الوحي وطريق الوصول إليه .

وإني لأشكركم من جديد على الكتابين اللذين أرسلتموهما لنا وللخزانة وهما

المتعلقان برحليتي ابن عبد السلام الدرعي وبرحلة العياشي، وأبارك الطريقة التي اخترتموها في تقريب محتواهما لأن اختصار الأصول أصبح معيناً على الاستفادة منها وعلى محاولة البحث عنها للاطلاع عليها من جميع نواحيها.

ولقد قرأت الجرد الذي ذكرتموه لعدد من الرحلات في التمهيد الذي وضعتموه للملخص رحليتي ابن عبد السلام الدرعي فدل على أن عدد الرحلات كان كثيراً ومفيداً إلا أنني لم أجده من بينها رحلة قيمة كتبها أحد الفقهاء المغاربة في أواسط القرن الثاني عشر الهجري وهي رحلة العالم الاجل، والكاتب المبجل، السيد محمد الشرقي الاسحاقي الذي صاحب في رحلته عام ١١٤٣ هـ السيدة اُخْثَانَة زوجة السلطان المولى اسماعيل، وأم السلطان المولى عبدالله رحمهم الله، وقد حَجَّ معها آنذاك حفيدها سيدي محمد رغم صغر سنه وهو الذي أصبح فيما بَعْدُ يُعرف بالسلطان سيدي محمد بن عبدالله أو محمد الثالث، وكان من أعظم ملوك الدولة العلوية قدراً ومن أحرصهم على حماية العلم ونشره وتيسير استنساخ كتبه.

وفي خزانة القرويين نسخة من هذه الرحلة مكتوبة بخط مغربي جيد، تحمل الرقم ١٢٥٨ وقد كنت كتبت في السنة الماضية بحثاً للتعريف بها وبمؤلفها اقتبسته من صلب الرحلة، وحاولت أن أبرز فيه الجانب الثقافي والأدبي وأن أتعرض لبعض الإجازات التي نالها المؤلف من بعض علماء مكة رحمهم الله.

وقد أذيع هذا البحث على أمواج الإذاعة الوطنية المغربية وربما سينشر في شهر مارس ١٩٨٦ ضمن العدد الخاص الذي تصدره مجلة «دعوة الحق» حول عيد العرش المجيد، وأوافيكم الآن بنسخة منه قبل تهذيبه وإعداده للنشر الكتابي لتطلعوا على هذه الرحلة ولتروا بعض نماذجها.

وقد اعتنى بعض الباحثين المغاربة بهذه الرحلة فملخصها المؤرخ السيد عبد الرحمن ابن زيدان في كتابه «اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» (ج ٥ ص ٥٤٢) ونشر جزءاً منها يتعلق بلييا الدكتور عبد الهادي التازي وهي لحد الآن لم تنشر نشرأ كاملاً أتمنى أن تطلعوا عليها وأن تقارنوا بينها وبين مختلف

الرحلات التي قرأتم لتضعوا هذا الكاتب في عداد من تؤرخون لهم جازاكم الله وأعانكم والسلام.

محمد بن عبد العزيز الدباغ

وترى مجلة «العرب» أن تتحف قراءها بنشر ما أفضل به الاستاذ الجليل محمد بن عبد العزيز الدباغ وأفيأ، إذ لديه من سعة الاطلاع ومن العلم والمعرفة التامة بالرحلة وصاحبها ما يجعل لما تحدث به عنها من القيمة العلمية ما هو جدير بأن يقدم، وما هو نصه:

(١)

في يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف بعد صلاة الجمعة خرجت السيدة خنثة بنت بكار والدة السلطان المولى عبدالله مع حفيدها الصغير سيدي محمد بن عبدالله من مدينة مكناس عاصمة المملكة المغربية آنذاك متوجهة إلى البقاع المقدسة وهي في شوق ولهفة لتحقيق هذه الأمنية التي طالما حنت إليها وتمنت إنجازها.

وكان في مصاحبته وفد يتكون من بعض العلماء والموظفين الذين وثق الملك في علمهم وأخلاقهم وحصافة عقولهم أمكننا التعرف على بعض أعضائه من خلال الرحلة التي دونها السيد الوزير محمد الشرقي الاسحاقي الذي كان له الفضل في تسجيل مراحلها وتدوين أخبارها ووضع تقارير كافية حولها زيادة على ما أبداه من الاهتمام العلمي والصوفي الدال على ما كان للمغاربة من العناية بمختلف الفنون والعلوم ومن التشوق إلى الاطلاع على أحوال المسلمين وتتبع أخبارهم وعاداتهم وتسجيلها تسجيلاً يفيد الذين يرغبون في التوجه إلى الحج سواء من الناحية الجغرافية أو التاريخية أو الأدبية أو العلمية أو غير ذلك من مختلف الأحوال الثقافية المفيدة.

كان الوفد يتكون من قائد الركب الحجازي السيد عبد الخالق عدیل باعتباره المكلف الرسمي بشؤون الحج ومن السيد الوزير محمد الشرقي الاسحاقي المؤلف لهذه الرحلة والغالب أنه كان مسؤولاً عن وضع تقرير كامل حولها ليقدمه إلى السلطان المولى عبدالله إثر رجوعه ومن ابن اخته الطالب الفقيه السيد العربي بن محمد ومن القاضي السيد بلقاسم بن الفقيه سيدي سعيد بلقاسم العميري (٤٨ - ١٤٣ - ١٨٠) (الاتحاف ج ٥) ومن الفقيه السيد أحمد المكودي (٨١) ومن الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر المرباط الدلائي الذي توفي بليبيا قبل الوصول إلى مكة ومن مؤدب ولد السلطان السيد بلقاسم التشولي الذي وافته المنية في اليوم التاسع عشر من ذي الحجة بعد الانتهاء من مناسك الحج.

وكان مع الوفد جماعة من عبيد سيدي البخاري يحسنون الركوب على الخيل ويتفرون على مهارة في اللعب بالبارود ولهم دربة عسكرية فائقة كلفوا بحماية الركب وياظهار براعة المغاربة في الفروسية كلما احتاجوا إلى ذلك وقد كان دورهم فائقاً في ليبيا أثناء وصول الركب الحجازي إليها مما جعل كل الذين شاهدوهم يبدون إعجابهم بقدرة المغرب في الميدان العسكري وفي الدربة على ركوب الخيل وممارسة استعمالها.

ولقد برع السيد الاسحاقي في تدوين مختلف المراحل وأبدى عناية فائقة بكثير من الدقائق العلمية والأدبية وأكثر من نقل الاشعار ومن نقل النصوص العامة المتعلقة بوصف بعض الأقاليم أو بوصف بعض المزارات مما يدل على أن الكتاب كان يجمع بين الطريف والتليد فهو لا يقتصر على المشاهدات الفردية ولكنه يضيف إليها أحياناً ما سجله السابقون إذا كان في نقله فائدة أو في تقديمه منفعة عائدة وفي خزانة القرويين نسخة من هاته الرحلة مسجلة تحت عدد ١٢٥٨ مكتوبة بخط جيد واضح في حجم متوسط تبلغ صفحاتها ٢٧٢ حبسها المولى عبدالله على هاته الخزانة عام ١١٥٦هـ.

ولقد حاولنا من خلال هاته الرحلة أن نستشف بعض الجوانب من حياة مؤلفها وأن نتبع أحواله وأن نطلع على مؤهلاته الثقافية التي حولت له القيام بهذا العمل

الجليل فهو فيما نعلم لم يحظ بترجمة خاصة به إذ غالباً ما يذكر مع ترجمة السيدة خنثة بنت بكار حينما يتحدث عن رحلتها إلى المشرق أو يذكر مع السلطان السيد محمد بن عبدالله حينما يشار إلى طفولته وإلى مصاحبته لجدته في رحلتها هاته.

ففي كتاب الانحاف مثلاً نجد المؤرخ الشريف سيدي عبد الرحمن بن زيدان يتعرض لهاته الرحلة أثناء ترجمته للسيدة خنثة ذات الفضل والعلم والأدب ويقوم بتلخيص دقيق جداً لجميع مراحلها من بدايتها إلى النهاية ولا يفصل الحديث عن مؤلفها ولا يذكر شيئاً من ثقافته وسيرته وترجمته مما جعلنا نفكر في محاولة البحث عن هذا العالم الجليل عسانا بذلك أن نبرز بعض خصائصه وسماته وأن نتعرف على ثقافته وأحواله واعتمدنا في ذلك على ما نستشفه من الرحلة ذاتها ففيها جوانب متعددة صالحة للتعريف به ولاظهار اهتمامه الفكري وسلوكه الذاتي لقد كان والده من أتباع السيد الشرقي المعجبين به المحبين له المتفانين في نهج طريقته لذلك سمى ابنه به ليتفاءل بهذا الرجل الذي كان المغاربة يجعلونه شعاراً صوفياً مقدساً ولم يكتف بالتبرك الاسمي فقط بل وجهه للمعرفة وحبب إليه العلم واعتنى بتربيته وحفظه القرآن وجعله من رواد المجالس العلمية سواء في حلقات الدروس التي تعقد بالرُّبُط والزوايا أو في حلقات الدروس التي كانت توجد بالمدن الكبرى كمدينة فاس مثلاً.

وكانت المجالس العلمية الناجحة آنذاك تستمد عناصر وجودها من العلماء الذين نزحوا عن الزاوية الدلالية وتفرقوا بين المدن والقرى فكان لهم فضل كبير على ازدهار الفكر الحي ونشر أصول الأدب وأصول الفقه ومن أشهرهم حماسة وعلماء وموسوعية أبو علي الحسن اليوسي الذي فاقت شهرته الآفاق وتداولت كتبه شتى الجهات والذي أصبح الاستمداد من علمه دليلاً على الكفاية وبرهاناً على النجابة والدراية.

وفي حديقة مجالسه استمد الاسحاقي كثيراً من علومه وآدابه يبدو ذلك في

طريقة آدائه وفي أسلوب عرضه وفي مزجه بين الفقه والأدب ولقد أشار إليه أثناء الرحلة وأثنى عليه وجعله من بين شيوخه إلا أنه لم يذكر مكان الأخذ عنه ولا زمن ذلك الأخذ.

الغالب أن هذا التلقي كان في السنوات الأولى من دراسة الاسحاقى فلقد نزع الحسن اليوسى عن الزاوية الدلائية عام ١٠٧٩ هجرية بعد قضاء المولى الرشيد عليها وحينئذ توجه إلى فاس ولكنه لقى عنتاً من بعض طلبتها الشيء الذي دفعه إلى عتابهم وإلى إظهار القلق من موقفهم فقد قال رحمه الله (الاعلام ج ٣ ص ١٥٧).

ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي ولا عرفوا جلالة منصبي
لو أنصفوا لصبو إلى كما صبا راعي سنين إلى الغمام الصيب
وهما بيتان معبران عن إحساس دفين في أعماق الشاعر وهما خاليان من أي بذاءة ولكنها رغم ذلك أثارا حمية طالب ما زال في عنفوان شبابه هو السيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي فقال:

بل أنصفت فاس ومن إنصافها أبداً سقوط المدعي والمعجب
تنفى الدجاجل عاجلاً أو آجلاً منها كنفي قريظة من يثرب
وهو رد قاس ما كان ليتحملة اليوسى ولا ليقبله ولا ليرضى الإقامة في مدينة أساء
إليه بعض طلبتها فاضطر إلى مغادرتها وإلى التوجه إلى البادية حيث أصبحت
مجالسه قبله الطلاب من مختلف القبائل وصارت دروسه نبراساً يستضيء به كل
الذين كان لهم ولوع بالثقافة الإسلامية النافعة ولهذا قال فيه أبو سالم العياشي
(النبوغ ج ١ ص ٢٨٦):

من فاته الحسن البصري يدركه فليصحب الحسن اليوسى يكتفيه

وسواء كان تلقي الإسحاقى أيام إقامة اليوسى بفاس أو بعدها فإن ذلك لا

يتصور إلا أيام الشباب لأن اليوسي توفي عام ١١٠٢ والرحلة التي قام بها الإسحقاني كانت عام ١١٤٣ فبين الرحلة وموت اليوسي إحدى وأربعون سنة وأيام التلقي إنما كانت بين ١٠٧٩ وبين ١١٠٢ ولهذا نرجح أن الإسحقاني لم يقم بالرحلة إلا بعد أن تجاوز الستين من عمره وقرب من السبعين.

وعلى كل حال فإن الإسحقاني كان يشير إلى اليوسي إما مباشرة أو بواسطة، وفي كلتا الحالتين كان يقول قال شيخنا أو الله در شيخنا.

(٢)

لقد سبق لنا أن قلنا إن الإسحقاني قد تلقى بعض دروسه عن الشيخ أبي علي الحسن اليوسي وأنه قد أشار إليه في رحلته ونعته بأحسن الأوصاف سواء كانت الإشارات مباشرة أو غير مباشرة.

فمن الإشارات المباشرة تحدّثه عنه أثناء التعقيب على رحلة العبدري فقد لاحظ الإسحقاني أن العبدري كان يندد بأهل مصر لأنهم كانوا ينوهون بالإمام الشافعي ويغفلون ذكر غيره من الصحابة وأهل البيت النبوي مع أنهم أولى بالاهتمام فقرر أن هذا التنديد لا محل له لأمرين (١١١).

أولاً: لأن خفاء مشاهد بعض الصحابة لا غرابة فيه واستدل بقول الشاعر:

ليس الخمول بعار على امرئ ذي جلال
قليلة القدر تخفى وهي خير الليالي

ثانياً: لأن الإظهار والإخفاء أمر إلهي ليس للعبد فيه تَعَمُّلٌ فمن أظهره الله للناس ظهر حياً وميتاً ومن أخفاه خفي . . وهنا قال والله در شيخنا أبي علي الحسن اليوسي رحمه الله في قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ أبا يعزى نفع الله به .

مَآذَا طَوْتُ مِنْهُمْ الْغُبْرَاءَ مِنْ نَجَبٍ كَالْمُشْرِفِيَةِ إِذْ تَطَوَّى بِأَغْصَادِ
لَوْ التَّقِينَا لِأَسْعَدْنَا بِأَوْجِهَهُمْ كَمَا الْأَوَّلَى عَاشَرُوا فَازَوْا بِإِسْعَادِ

وأما الإشارة غير المباشرة فتوجد حين الحديث عن مصر وعن ضياع العلم بين أهلها فهو قد لاحظ ضعف كثير من علماء الأزهر وذكر أنه حضر عدداً من

المجالس بهذا الجامع فما وجد ما يشفي الغليل ولا ما يرى العليل ثم قال وبالجملّة فالعلم بالبلاد المشرقية كغيرها قد وقف على ثنيات الوداع وهمّ مزنه بالاقلاع وآزر ملاحظته ويقول: وأخبرني بعض أصحابنا أنه سمع شيخنا أبا علي الحسن اليوسي بعدما رجع من حجته يقول ما بقي بالبلاد المشرقية من تشد إليه الرجال في طلب العلم وما راء كمن سمع.

لم يكن الإسحافي يهمل الرواية في الأخبار إلا أنه كان يذكر أحياناً أسماء من يروي عنهم وكان يكتفي أحياناً بالإشارة إلى جنسهم أو إلى حَيْثِيَّتِهِمْ كقوله رويت عن بعض المغاربة أو أنشدت بعض أصحابي وما أشبه ذلك.

وتجتمع الظاهرتان معاً فيما يأتي فهو يقول مثلاً أنشدني بعض المغاربة للشيخ المحذّث الفاضل فتح الدين أبي عُمَر بن سيد الناس رحمه الله:

بِاللهِ إِنْ جُزَّتْ بَوَادِي الْأَرَاكِ وَقُبِّلَتْ عِيدَانُهُ الْخَضْرُ فَاكِ
فَابْعَثْ إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ بَعْضِهَا فَإِنِّي وَاللهِ مَالِي سِوَاكِ
ثم يقول وأنشدته لبعضهم

جَعَلْتُ هَدِيَّتِي لَكُمْ سِوَاكِ وَلَمْ أَقْصِدْ بِهَا أَحَدًا سِوَاكِ
بَعَثْتُ إِلَيْكَ عَوْدًا مِنْ أَرَاكِ رَجَاءً أَنْ أَعُودَ وَأَنْ أَرَاكِ
وأنشدته لصاحبنا الفقيه الأديب السيد محمد ابن زاكور الفاسي رحمه الله:

أَبْغِي السِّوَاكَ وَلَا أَرُومُ سِوَاكِ سَبْحَانَ يَا بَدْرُ الَّذِي سِوَاكِ
فَلَمَّاكَ يَمْتَهُنُ السِّوَاكَ وَلَا رَشَا يُغْنِي لِمَاءَهُ عَنِ السِّوَاكِ سِوَاكِ،

ومن المعلوم أن ابن زاكور المشار إليه قد توفي عام ١١٢٠ هـ وهو قد كان علماً من أعلام الفقه والأدب بالبلاد المغربية وكانت له عناية بشرح النصوص وتأليف الكتب البلاغية والأدبية فهو قد شرح قلائد العقبان لابن خاقان وشرح لامية العرب وهو صاحب الديوان الشهير الذي أسماه الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض.

ومن خلال بيتيه السابقتين يتجلى لنا حبه للجناس وتعمُّده لاستعماله سيراً على نهج البديعيين الذين كان لهم ولوع بذلك فكانوا يتبارون في تنويعه وتلوينه.

إن الإسحاقى في رحلته لم يتعرض لذكر جميع شيوخه أو جميع أصدقائه بحيث لو حاولنا تحديد أسمائهم أو معرفة أخبارهم لتعذر علينا ذلك إلا أن اعتزازه بشيخه اليوسى وإشارته لصاحبه ابن زاكور لما يدل على أن عنايته بالفقه كانت ممزوجة بعنايته الأدبية العامة وتظهر آثار هاته العناية فيما كان ينتقيه من موضوعات أو فيما يشير إليه من كتب أو فيما يحلله من نظريات أو فيما يحول فيه من آراء سواء كانت تتلاءم مع عصره أو كانت معبرة عن ثقافة سابقة.

إن ثقافته العامة كانت تدل على اعتنائه بالتاريخ والسيرة النبوية وعلى اعتنائه بالأدب والفقه ويتجلى ذلك فيما ينقله من أشعار وفيما يتعرض له من أحوال وفيما يشير إليه من أقوال فقهية متعددة تدل على خبرته بالفقه المالكي وبيعض القوانين الفقهية في المذاهب الأخرى.

ويبدو من خلال ما كتب أنه كان يدعو إلى الفهم والتأمل وسعة الخاطر مع الاعتزاز بالكرامة النفسية والإفتخار بالهمة الذاتية فليس هناك ما يفسد العلم مثل الحفظ الآلى الذي لا يكون معه تدبر ولا قدرة على المناقشة والمعارضة وحضور البديهة.

وإن نظرة في هاته الرحلة لترسم لنا زيادة على ما أطلعنا عليه صورة من سلوكه وأخلاقه وسلامة ذوقه ورقة حوارهِ كما تبرز لنا قدرته على السخرية اللاذعة التي لا بذاءة فيها،

ومن طبيعته في تأليفه أنه يشير إلى المصادر التي استفاد منها سواء فيما يتعلق بالرحلات السابقة التي كانت متداولة في المغرب كرحلة أبي محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التيجاني التونسي، (في أوائل القرن الثامن للهجرة لمحات من تاريخ العرب ٣٠٠ (ظ / ١٠٥٧٨)، وكرحلة البلوي وكرحلة العياشي وكرحلة الغرناطي وكرحلة ابن جبير وكرحلة العبدري أو فيما يتعلق بكتب السيرة والحديث

وتاريخ الصحابة كالشفا للقاضي عياض والروض الأنف للسهيلى والاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر ودرر السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة للسيوطي أو فيما يتعلق بالفقه كاليان والتحصيل لابن رشد والمقدمات له أيضاً وواضحة ابن حبيب وبعض المناسك المشهورة لمختلف الفقهاء زيادة على اهتمامه بكتب اللغة التي ذكر أسماء بعضها.

ولم يكن المؤلف في رحلته مندفعاً اندفاعاً يلهيه عن التحكم إلى العقل ولعل السبب في ذلك راجع إلى كونه لم يكتب الرحلة إلا بعد أن خبر الحياة فاستأنس بتقلباتها وأهوالها وتعلم منها أن الإندفاع العاطفي لا يؤتي أكله إذ لا بد من الاستخدام العقلي ومن التحري في الأحكام ومن مراعاة مقتضيات الأحوال وإلا كانت الأحكام عبثية لا فائدة ترجى من ورائها.

وليس معنى هذا أن المؤلف كان مسالماً إلى أبعد الحدود فهو بطبيعة الحال كان يقلق كغيره إذا وجد ما لا يرضيه إنما طريقة التعبير والأداء هي التي كانت تصور نضجه العقلي وما يمتاز به من قدرة على التبليغ الهادف الهادئ الذي يجعلك تستأنس به وتعيش معه في لذة فنية ممتعة تجمع بين روح الأديب وعقل العالم ولا أدل على ذلك من قصة ظريفة كتبها بأسلوب ساخر يكاد يكون أسلوب الجاحظ في سبر الأغوار وفي التحليل النفسي الدقيق إنها قصة رجل مصري أراد أن يتقرب إليه وإلى الوفد الذي معه وأن يستمنحهم عن طريق المدح والارتزاق بالشعر وكان الهدف عنده من كتابة هاته القصة إظهار بعض الجوانب المتعلقة بحب المال وبالحرص على اكتسابه بأي صورة كانت في المجتمع المصري آنذاك وأن يؤيد بذلك بعض الأوصاف التي وصف بها الرحالة العبدري أهل مصر هذا مع العلم بأن العبدري في كتاباته العامة كان مندفعاً مغالباً.

(٣)

أراد التطاول على الشعر وحاول التملق إلى الوفد المغربي مما جعل الإسحاقى رغم حصافة عقله وورصانة سلوكه أن يكتب هذا الوصف الذي - اعتبرناه داخلاً في إطار الأسلوب الجاحظي نظراً لما يحمله من تحليل نفسي لكثير من الصور

الشبيهة بهذا الرجل الموصوف بالطمع والجشع قال المؤلف (١٣٨) «ومن أعجب الملق والطمع الذي وصفهم به صاحب الرحلة المذكورة (ويشير بذلك إلى العبدري) ما شهدته من بعض من ينتحل العلم منهم قصدونا إذ سمعوا بخبرنا أننا من جملة كتاب السلطنة بالمغرب عمره الله بوجود مولانا نصره الله ماذنين أيدي القانعين والمعترين فرضخت لهم على قدر الميسور ثم تتابعوا وتراسلوا حتى عالت فريضتهم وأخرجتنا سنتهم وفريضتهم فانحزنا عنهم إلى حيز الإهمال وأوليناهم أذناً صماء وتشاغلنا عنهم ببعض الأشغال تفادياً منهم فبينما نحن في ذلك ما شعرنا يوماً حتى دخل علينا شيخ على رأسه عمامة مفرطة الطول والعرض وجوخة يسحبها على الأرض طويل السبال يمشي مشية مختبل أو مختال فسلم وهش وبش من تلقاء نفسه ورفع يديه وقرأ فاتحة ودعا لنا ولنفسه بكل سائحة من أمانة وبارحة ثم أخرج قصيدة امتدحنا بها هي إلى الهجو أقرب فجعل يقرؤها حتى فرغ منها فناولنا إياها فتأملناها فإذا هي عن الإعراب في غاية الانحراف، محتوية على المتقيات الأقواء والإجازة والإصراف، فقلنا له: يا شيخ لم رفعت هذا وحقه النصب فقال نعم رفعت لإقامة الوزن فقلنا له أيجوز لك أن تلحن لإقامة الوزن فقال نغيره يا سيدي ثم قام وتولى وكان هذا الشيخ جاء راكباً على حمار نزل عنه في وسط الحوش الذي به بعض قشنا وطلع إلينا إلى المقعد الذي كنا فيه فرأى الحمار بردعة صغيرة هنالك والموضع فارغ ما فيه أحد فقبض عليها بأسنانه وقصد باب الدار خارجاً بها فخرج الشيخ وراءه يجري حافياً فأدركه قرب من الخروج إلى شارع الطريق فرده ورد البردعة فأغربنا في الضحك وما عرفنا من أيها نعجب من الشيخ أم من حمارة والناس يقولون: قلب الجواد على قلب مولاه».

فهذه الحكاية تعتبر من أقسى ما يهجن به شخص والذع ما يوصم به إنسان فقد وسمت هذا الرجل بالجهل والدناءة وسوء الإلحاح وعدم القدرة على التمييز بين الجيد والردىء مع صغار النفس وقلة الحياء.

وقد استغل فيها المؤلف خبرته بعلم العروض ودرايته بقواعد الشعر وقوانين القافية واعتزازه بجمال الطبع مع عدم السماح ببعض الضرورات التي لا تترك

للشعر جاذبيته والتي تدفع إلى الأخطاء اللغوية الفاحشة.

والظاهر أن الإسحقاني كانت له خبرة بعلم العروض وأنه كان في أيام شبابه ينظم الشعر ويمارسه إلا أننا لا نستطيع أن نحكم على شاعريته حكماً دقيقاً لأننا لم نطلع على ما يكفيننا منه فليس بين أيدينا لحد الآن إلا أبيات أوردت في الرحلة نذكرها للاستئناس بها ولعلها كانت من الشعر الأول الذي قاله في شبابه قبل أن يتمكن من ناصية اللغة وقوة البيان.

فقد أورد هذه الأبيات حينما كان يترحم للفقيه مفتي الشافعية بالحرمين الشريفين زين العابدين بن سعيد المنوفي وكان ذا أخلاق طيبة وكرم وسخاء متجاوز الحد يقول الشعر ويحسن إلى الناس كثيراً ولقد استأنس بالإسحقاني وزالت بينهما الكلفة وأنشده في يوم من الأيام قصيدة في مدح الرسول ﷺ فتذكر الإسحقاني أيام شبابه وقال بعد سماعه للقصيدة المشار إليها: (٢٣٣): ولما فرغ صاحب الترجمة أعزه الله مما أنشدني لنفسه أنشدته على وجه المطارحة في مجلس أنسه مع بعض إخوانه وأبناء جنسه ما كنت قلته قديماً على وجه التمليح والاقتباس.

يا ذا الذي عذبني وما درى كيف فعل
جد لي بريقك الذي ألد من طعم العسل
إياك والبطء به إني خلقت من عجل
فكتبها وسمطها للحين ..

ومن يسمع هذه الأبيات فيسرى أنها لا تمثل قوة أدبية ولا رقة شعرية كافية وإنما هي أبيات تكاد تكون من المحاولات الأولى التي سار عليها الشاعر ونحن لا ندري هل وقف الإسحقاني مع هذه المحاولات فلم يتجاوزها إلى غيرها أو استطاع أن يقوي ملكته الشعرية وينمي قوته الخيالية ويصقل معطياته التصويرية فليس بين أيدينا ما نبرر به الجانب الثاني لأن الرحلة خالية من شعره رغم اهتمامه بالنقول الأدبية إلى حد كبير.

وكانت النقول الأدبية مختلفة الأغراض ومتعددة الجوانب ومثلة لعصور مختلفة
مما يمكننا أن نستدل به على حسن اختياره وسعة ثقافته.
ولم يكن في اختياراته يهمل الجوانب العاطفية الرقيقة الدالة على رقة طبعه
وسلامة طويته.

فمن ذلك مثلاً قوله وهو يغادر البلاد المغربية أثناء شروعه في السفر (١٩):
وخرج معنا مشيعون من الأولاد والطلبة والأحباب والأصحاب فجمعنا بين حلاوة
التشيع ومرارة التوديع وإن كان الشيخ أبو الفتح ابن دقيق العيد رأى صواب ترك
الجميع إذ قال:

صدي عن حلاوة التشيع ما أرى من مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع
ولما ودعنا من كان معنا من الطلبة والأصحاب أنشدت متمثلاً في الحال قول من
قال:

ليت شعري أنلتقي بعد هذا أم وداعاً يكون هذا اللقاء
فأذكروني وزودوني دعاء خير زاد تزودوني الدعاء
وكان حنينه إلى وطنه متجدداً يذكره في كل مناسبة ويتحدث عنه كلما وافته
الظروف ولقد نقل قصيدة كاملة من نظم صديقه القاضي العميري أنشده إياها
وهو بمصر فسجلها في رحلته ونقلها للتعرف على بعض النماذج الأدبية المغربية في
هاته الحقبة التي تتحدث عنها قال الإسحاقى: (١٤٣): تذاكرنا الغرب يوماً
ونحن بمصر فذكرنا مطمح النفس ومحل الأنس مكناسة الزيتون وما بها من المعاهد
التي استفتى القلب فيها نفسه وإن افتاه المفتون ففتت الشوق منا كل كبد وبرح كل
منا بما يجد فأنشدني صاحبنا الفقيه الأديب السيد بلقاسم بن الفقيه العلامة السيد
سعيد العميري لنفسه ما أنشده أيام نزوحه عن الحضرة المذكورة وجلالته عنها أيام
الحادث الجارف الذي استوعى التالد والطارف بناحية غمارة:

يا	للورى	لعمارة	سئمتها	بغمارة
أرابني	اليوم	أمر	كنت	امتطيت غماره
فصنتها	عن مقامي		صون	الغيور ذماره
وملت	عنها	بوجه	أمطت	عنه خماره
من	احتسى الكأس	صرفاً	لا	ينكرن خماره
وما	بغير	بلادي	أرض	ولو بلماره
لا	تجهلن	وفائي	فلي	عليه أماره
وكيف	لا	وبكره	خلى	الحبيب وداره
فليس	يبغي	سواها	ماوى	ولو كان داره
وكان	منها	لبدري	في	أفق عزي داره
ما	حيلتي	في رجوعي	وَأَحَرُّ	قلبي وناره
واللوم	في	ذاك لوم	لا	ترفعن مناره
يا	هل	يرد	لشمسي	بعد الأفول إناره
حتى	يقال	فلان	يا	سعدده الحب زاره
وسرت	في	الأرض أبغي	مزاره	فمزاره
رثى	لي	الناس طرا	معدده	ونزاره
وما	وجدت	عزیزاً	يحير	من كان جاره
فتم	في	الله قصدي	وكنت	حقاً مجاره
ورد	كيد	قلوب	قساوة	كالهجاره
حتى	يصون	رجائي	عن	خيبة وخسارة
حتى	يمن	عليه	حتى	يفك إسماره
حتى	أعود	قريباً	لمعشري	عود ساره

ثم قال المؤلف:

وربما اتبعنا الزفرة بالزفرة وواصلنا العبرة بالعبرة وأنشدنا من الإشتياق إلى
الأوطان وتزاحم الأشواق قول أبي حيان:

يا فرقة أبدلتني بالسرور أسي وأسهرت ناظراً [قد] طالما نعسا
أنى يكون اجتماع بين مفترق جسم بمصر وقلب حل أندلساً
وهكذا نرى رغم حبه للتنقل واشتياقه لزيارة البقاع المقدسة لا ينسى وطنه ولا
تغيب معاملة عن نفسه فهو يذكره في جل الأحيان ويختار من الشعر ما يعبره عن
حزن الفراق وعن لوعة الإشتياق.

(٤)

لقد بينا في حلقات سابقة أن الوزير الإسحافي كان كثير الاهتمام بالشؤون
الثقافية وأنه كانت له عناية بذكر الإشعار وتدوين بعض الأخبار المتصلة بشؤون
الفكر سواء كانت مرتبطة بالإطار الفقهي أو بالإطار التاريخي أو بالإطار
الاجتماعي ولهذا لا نظن أن المهتمين بتاريخ المغرب يمكنهم الإستغناء عن
المعلومات المقتبسة من هاته الرحلة فهي بعد النشر ستمكّن الكثير من الدارسين
من الإطلاع على بعض أحوال المغرب وعلى بعض اهتماماته التاريخية العامة وعلى
بعض شؤونه الفكرية والأدبية في القرن الثاني عشر الهجري.

وقد تجلّى لنا ذلك واضحاً في بعض ما ذكرناه سابقاً وسيجعل ذلك لنا أيضاً فيما
سنشير إليه

إن المؤلف كان دقيق الملاحظة وكان يربط بين الواقع المغربي وبين المعطيات
الحضارية العامة سواء بالنسبة إلى التاريخ القديم أو إلى التاريخ الذي كان يحياه
بنفسه فهو مثلاً حينما كان يتحدث عن الدولة العلوية ربط بين أصولها من
الأشراف الذين وفدوا على المغرب من الحجاز وبين رجال الدولة الحاكمين وأحسن
بوجود روابط ذاتية بين الأشراف الحاليين وبين أجدادهم في ينبوع النخل لا تتصل
بالطبائع فقط بل تصل إلى حد التشابه في الحلقة الجسمية نفسها فهو حينما كان
يتحدث عن أشراف ينبوع النخل بالحجاز قال : (١٦٤) : ومن العجب أن هؤلاء
السادة مشاهيون للشرفاء أهل تافلات في ألوانهم جمعتهم سمرة الحجاز والله لقد
رأيت شريفاً منهم هو أشبه بمولانا اسماعيل رحمه الله لوناً وقدأً وسلامى يدين .

وحديثه عن الأشخاص الذين التقى بهم في الرحلة مفيد جداً خصوصاً فيما يتعلق بالمجال السياسي أو فيما يتعلق بالمجال العلمي ولقد كانت لهذه الإشارات التي دونها في رحلته فائدة أعانت على معرفة كثير من العادات السائدة ويسرت الإطلاع على جوانب من تاريخ بعض الأعلام الذين كان لهم أثر في التسيير العلمي أو التاريخي .

ففي مدينة فاس مثلاً (٢٣) أشار إلى الفقيه الخطيب السيد البكري بن محمد الشادلي بن الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي حيث استمع إليه في مسجد الأشراف وهو يصلي هناك يوم الجمعة فرأى فيه خطيباً بليغاً تهتز لخطبته النفوس وتخشع القلوب وتدمع العيون وتهيج شوقاً إلى زيارة البقاع المقدسة فقد قال في رحلته حين كان يصف هذا الخطيب أثناء صلاة الجمعة، فما ترى من الحاضرين إلا من ذرفت منه العيون واستنفذ ماء الشؤون وود أن لو كان له جناح يطير به مع الرياح ومن لم يساعده المقدور ببلوغ ذلك المنى والسؤل ينشد بلسان حاله أو مقاله ويقول:

يا راحلين إلى المختار من مضر سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحاً
إننا أقمنا على عذر ومعجزة ومن أقام على عذر كمن راحا
وفي مدينة تازا اتصل بالفقيه الأديب السيد عبد القادر بن محمد المصيني وقال عنه إنه فقيه نجيب له مشاركة تامة في فنون من العلم وتسلط عليها بفهم ثاقب يرد المجهول إلى المعلوم ذاكرته في مسائل أنبأنا فيها شاهده عن غائبه .

ومن وصفه لهذا الفقيه تبين لنا العناصر التقديرية التي يبنى عليها المؤلف قيمة المثقف النافع .

فمن هذه العناصر:

أولاً - المشاركة التامة في مختلف الفنون وهذه الظاهرة كانت صورة للمثقف الحقيقي في المجتمع العربي حيث كان يحسن اللغة والأدب والفقه والحديث والتاريخ وبعض مقدمات الطب والحكمة فإذا تحدث جال في مختلف المعارف

جولة العالم الموسوعي الذي يطمئن إليه من سألته ويرتاح إلى معرفته من احتاج إليه .

ثانياً - التسلط على هذه الفنون بالفهم الثاقب فليس هناك ما يضيع العلم مثل الإنغلاق على المعرفة وعدم استخدام العقل في استيعاب كنه الأشياء لأن ذلك الإنغلاق يحجر الفكر ويجعل الإنسان كالبيغاء يردد ما هو موجود ولكنه لا يعي ما يقول .

ثالثاً - القدرة على الافهام وذلك لا يتم إلا بالفهم إذ من المعروف أن الذي يستوعب الأشياء ويفهمها فهماً جيداً يقدر على حصر معلوماته وعلى تحديد طريقة تلقينها ووسيلة تبليغها وعلى البحث عن أيسر الوسائل التي يستطيع بها إبراز المجهول وربطه بالمعلوم فالإلمام بالمادة كما يقول أهل التربية ييسر البحث عن وسيلة التبليغ ويعين الملقن على اختيار السبل النافعة والطرائق الناجعة التي يستطيع بها رد المجهول إلى المعلوم .

رابعاً - القدرة على الحوار والمذاكرة وعدم الإقتصار على المحفوظ فإن الذي لا يحسن الحوار ولا يعرف كيفية التصرف في معلوماته هو أقرب إلى الجهل منه إلى العلم فالمذاكرة أصل من أصول المعرفة وسعة الخاطر فيها دليل على التمكن من آداب العلم وآداب الحوار .

وفي مدينة تازا لم يكتف المؤلف في الإطار الثقافي بذكر من التقى بهم مباشرة بل أشار إلى بعض العلماء الذين زار قبورهم وتحدث عنهم تحدث المعجب بهم وبيقيتهم كما أشار إلى بعض المآثر الحضارية التي اشتهرت بها هاته المدينة في تاريخ المغرب .

فقد زار مسجدها ووصفه وصفاً أبان فيه ما يختص به هذا المسجد من الجمال والإتقان كما وصف المدرسة الملاصقة له المكتوب على بابها :

لعمرك ما مثلي بشرق ومغرب يفوق المباني حسن منظري الحسن
بناني للدرس العلم مبتغياً به ثواباً من الله الأمير أبو الحسن

وعند حديثه عن المسجد أشار إلى ثرياه الكبرى التي أقامها المربونيون وإلى ما كتب عليها من أشعار كما أشار إلى الخزانة التي بقبلته على يسار المحراب وإلى المنبر وما يمتاز به من إتقان.

وبعد الإنتهاء من ذلك قال: . . . والكل من عمل بني مرين جزاهم الله بالخير إذ كانوا على السنة والسذاجة في الدين عقدهم أشعري والمذهب ليس بقدري .
ونظراً لاهتمامه العلمي لم يهمل في مدينة تازا بعض مزاراتها المختصة لعلماء أجلاء كان لهم وزن علمي من بلادنا من أولئك العالم ابن بري الذي قال عنه:
(٢٩) ابن بري هو علي بن الحسين الشهير بابن أبري التسولي النسب التازي الدار.

قال ابن عبد الكريم هو من بني لنت وكنت أسمع أنه من بني مقورة منهم وقال المجاصي التسولي البلنتي صاحب الكلام البديع والخط الرفيع . قال ابن مسلم الرباطي قال الحصار قال ابن المجراط ولد بتازة في الستين والست مئة ونشأ بزقاق الزفانين منها واجتهد كثيراً في الذكر والبحث والمطالعة وكان من طلبة تازا من عدوها وانتقل إلى فاس كاتباً سنة أربعة وعشرين وسبع مئة وتوفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال عام ثلاثين وسبع مئة .

قال ابن عبد الكريم توفي بفاس — قال الحصار ودفن ببلاده يعني تازة قلت في روضة الترجاجين قال: الشريف عمر بن ابراهيم قدس الله روحه رأيت قبره في روضة الترجاجين بتازاً .

وشيوخه أبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن بن سليمان وأبو الربيع ابن حمدون ذكر ذلك في إجازة له .

وتوالتفه عشرة الرجز المشهور وتأليف في القراءة أيضاً وشرح وثائق الغرناطي والكافي في العروض والقوافي وشرح ابن السقاط في العروض وشرح الإيضاح للفارسي واختصر زهر الآداب واختصر الشريشي على المقامات وذكر الحصار أنه

ابتدأ شرحاً على المدونة والقانون في رواية ورش وقالون مختصر انتهى من خط بعض الأفاضل الفاسيين البوعنائين.

ويتضح لنا من هذه الترجمة أن المؤلف لم يكن ينطلق مع قلمه عند ذكر أخبار الناس دون أن يعتمد على توثيق دقيق فهو لم يكتف بذكر ترجمة ابن بري ولكنه نقلها عن أصول ذكرها ليكون القاريء على بينة من أمره وليعلم مصدر هاته الأخبار وتلك سجية العلماء لا يدعون ما ليس لهم ولا ينتحلون ما لغيرهم وإغما يشيرون إلى الأصول لتبقى حرية النقد عند السامع والقاريء فيربط كل خبر بأصله وعن طريق ذلك تنطلق تقديرات التعديل والتجريح.

ومن تازا يمكننا أن نسير مع المؤلف في رحلته لنقف بالخصوص على بعض الجوانب الثقافية الأخرى ولنطلع على بعض أحواله.

(٥)

إن الإعتناء بذكر أهل العلم وبزيارة قبورهم ظاهرة طبعت رحلة الإسحاقى منذ بدايتها إلى نهايتها ولقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن هذه الرحلة صالحة لتحديد بعض الملامح الثقافية الموضحة لاهتمامات العصر الذي كتبت فيه.

فالإسحاقى لم يكتف بذكر بعض المعالم التي أعجب بها في المغرب فقط بل تتبع ذلك أثناء مسيرته فهو حين وصل إلى تونس زار مدينة توزر وفي هذه المدينة ذكر أنه التقى بالفقيه السيد محمد بن منصور وبيع بعض طلبته والتمس منه أن يعيره جزءاً من شرح القسطلاني على كتاب البخاري فاستجاب له الفقيه وحينئذ قضى كثيراً من أوقاته في التبرك بدراسة هذا الكتاب شأنه في ذلك شأن المغاربة الذين لهم إعجاب كبير بصحيح البخاري وبشروحه المختلفة وبقي هذا الجزء بيده إلى أن رده إلى صاحبه بمدينة طرابلس.

ولاحظ المؤلف في مدينة توزر أن النساء يكثرن من لباس السواد فأثار ذلك انتباهه ودفعه إلى استفسار أحد الفقهاء من تلامذة السيد ابن منصور يعرف بأبي رمضان عن العلة في ذلك وقارن بين هاته العادة وعادة أهل الأندلس كل ذلك

بأسلوب جميل وبرقة في التعبير والاستدلال قال: أخبرني الفقيه السيد بورمضان المذكور لما سألته عن لباس أهل البلد - أعني توزر - لا سيما النساء لا يلبسن إلا السواد فقال تلك عاداتهم. النساء يلبسن السواد حالة السرور والرجال يلبسون البياض حالة السرور فإذا تغيرت الحال بالحزن والعياذ بالله لبس النساء البياض ولبس الرجال السواد. تذكرت ما أنشده بعضهم في أهل الأندلس إذ كانوا يلبسون السواد في سائر أحوالهم فإذا أحدهم حزن لبس الثياب البيض:

ألا يا أهل أندلس فطتم بلطفكم إلى شيء عجيب
لبستم في مآتمكم بياضاً فجتتم منه في زي غريب
صدقتم فاللباس حزن ولا حزن أشد من المشيب

وفي هذه المدينة زار المؤلف قبور ثلاثة أعلام من أعلامها المشهورين في التاريخ العلمي والأدبي وهم الإمام الشقراطي صاحب اللامية المشهورة المتوفي سنة ٤٦٨هـ وأبو الفضل ابن النحوي صاحب المنفرجة المتوفي سنة ٥١٣هـ وابن الشباط شارح الشقراطية المتوفي سنة ٦٨١هـ.

وإن زيارته هؤلاء وذكره لهم في رحلته ليدل دلالة قوية على ما كان يشعر به هذا الرجل إزاءهم فهم كانوا ذوي شهرة في البلاد المغربية تتلى قصائدهم وتقرأ كتبهم ويفتخر بالإنشاء إلى أخلاقهم وسلوكهم.

ولعل من المفيد أن نقدم ترجمة موجزة لكل واحد منهم:

فالشقراطي هو أبو محمد عبدالله بن أبي زكرياء التوزري المشهور بالدراسات اللغوية والفقهية والحديث ولقد كان سكان بلده يعتمدون عليه في الأحكام الفقهية ويستندون إلى فتاواه واجتهاداته وقد ألف كتاباً سماه الأعلام في معجزات خير الأنام ختمه بقصيدة لامية شهيرة أصبحت تعرف فيما بعد بالشقراطية يقول في مطلعها:

الحمد لله منا باعث الرسل هدى بأحمد منا أحمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر وأكرم الخلق من حاف ومتعل

توراة موسى أنت عنه فصدقها إنجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار إخبار أهل الكتب قد وردت عما رأوا أو رويوا في العصر الأول
ولقد خمسها الشيخ محمد بن علي بن الشباط أحد هؤلاء الثلاثة المذكورين وشرحها
بشروح ثلاثة كبير ومتوسط وصغير (ج ١ ص ٤٢ من عنوان الأريب).

وأما أبو المحاسن يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي التوزري فهو أحد
الطلبة الذين تلقوا العلم عن الشقراطيسي السابق وكان له اهتمام بالفقه ويكفيه
فخراً أنه سافر إلى صفاقس ليروي عن أبي الحسن اللخمي كتاب البخاري
ولينسخ منه تبصرته ثم سافر إلى قلعة بني حماد بالقطر الجزائري.
ولقد اشتهر بالقصيدة المعروفة بالمنفرجة المبنية على وزن الخبب يقول فيها:

اشتدّي أزمة تنفرجي فقد آذن لي لك بالبلج
وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السرج
وسحاب الخير له مطر فإذا جاء الإبان تحي

وهو القائل (ج ١ ص ٥١):

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا سيدي يا منتهى أمني يا من عليه بكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالضر مشكياً إليك يا خير من مدت إليه يدُ

وأما محمد بن علي بن محمد بن شباط التوزري فقد برع في العلوم البلاغية والأدبية
ونظم الشعر وهو الذي خمس الشقراطيسية السابقة الذكر وجعل لها شرحاً مفيداً
كان الإسحافي ينقل عنه من حين لآخر يقول في مطلع هذا التخميس: (ص
٦٥، ج ١).

إبدأ بحمد الذي أعطى ولم تسل وذذ به ريب رين الأين والكسل

فالحمد أحلى جنًى من طيب العسل الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

إن زيارة الإسحقى لقبور هؤلاء العلماء وتدوين أسمائهم في رحلته تعبير عن
إجلاله لأهل العلم وتقديره لذويه ولذلك لا تخلو رحلته من هذه الزيارات
يتحدث عنها معجباً ويضيفها دائماً إلى زياراته للأحباء فيجمع بين الأخذ المباشر
وبين الإشارة إلى من يستحقون الذكر المستمر وإن ماتوا قديماً لأنهم أحياء بعلومهم
وسلوكلهم وهذه ميزة تدل على حسن أخلاق الإسحقى وعلى مدى اعتزازه بالعلم
وذويه .

(٦)

لا تستطيع إشارة عابرة أن تحدد جميع ما كان يثير اهتمام الوزير الإسحقى أثناء
رحلته إلا أن الطابع العلمى والتاريخى والتربوى لا يمكن إهماله ذلك أن
الإسحقى كان يجد لذة في الإشارة إلى ذلك ومتعة في التعليق على ما يرتبط بهذه
الاتجاهات .

فهو مثلاً كان يكتفي أحياناً بالإشارة العابرة إلى فقيه أو أديب حفظاً للتاريخ
كإشارته في طرابلس إلى فقيه تونسي اسمه محمد وإلى فقيهين مغربيين هما محمد
بوقلال وأخوه أحمد وإلى الأديب محمد بن سعيد الطرابلسي وإلى السيد محمد
الفرخاني الذي كانت له مشاركة تامة في فنون من العلم ولكنه في الأكثر كان يعلق
ويعقب ويلاحظ مثل ما رأينا في كثير من الملاحظات السابقة ومن ذلك مثلاً أنه
حينما وصل إلى مصر وبعد وصفه لكثير من حلقات الدروس الموجودة بالجامع
الأزهر ذكر أنه اتصل هناك بالفقيه السيد علي الحنفي الذي كان له ولوع بتدريس
الفية ابن مالك فوجده في مستوى غير جيد، ذلك أن السيد الحنفي كان ضيق
العطن بين اللكن، يعاني في التقرير شدة وكل من ألح عليه في البحث رده أو
صده .

وهنا نلاحظ عمق الملاحظة التربوية التي أبداهها الإسحقى والتي تؤكد مذهبه
التربوي الذي أشرنا إليه من حين لآخر فهو يرى أن البحث لا ينمو إلا بالحوار

والحرية وإلا كانت الدروس عقيمة ومملة مثل الحال الذي يتصف بها السيد الحنفي هذا فإن ضيق صدره جعل المؤلف يتعد عنه رغم تشوقه إلى الاستفادة منه فقد كان يرغب في أن يستمع إلى بعض تقاريراته وإلى بعض ما عنده من علوم ولكنه لم يمنحه شيئاً من ذلك فما قال الإسحاق في وصف هذا الفقيه؟

رَغِبْتُ الشيخ علي الحنفي المذكور أن أقرأ عليه شرح السعد على العقائد النسفية لما سمعت أنه قرأها عام أول قبل وصولنا فمنع من ذلك كل المنع وأخذ يذم علم الكلام ويزهد في الإشتغال به فينبذه كما نبذت بروايتها الصناعات وجعلته من جهة تساقط المتاع وكان ذلك آخر العهد به وكان قبل ذلك أضافي وقال لي تتعشى عندي ولكن عشائي ما فيه لحم فقلت له إني رضىت بما حضر فقال كأن هذا شطربيت شعر فقلت هو من كلام محمود الزمخشري وأنشدته الأبيات بجملتها فقال لي: لا حمد الله له عاقبة فقلت يا سيدي سمعنا بعض أشياخنا إذا ذكروه يقولون: سامحه الله فليج في الدعاء عليه وقال: الكلب معترلي

إن المتأمل في هذه الفقرة التي اقتبسناها من الرحلة يستشف منها الروح العلمية التي امتاز بها الإسحاق والطريقة المثلى التي يراها صالحة في التلقين فهو رغم كبر سنه واطلاعه يرغب في المزيد من المعرفة ويرجو أن يقرأ كتاباً في العقائد بتعليقات شيخ مصري سبق له أن درس هذا الكتاب ثم إننا نراه يشمئز من روح التعصب المؤدي إلى شتم بعض العلماء واستنقاصهم استنقاصاً هجيناً فمن الآداب العلمية إبراز أخطائهم وإظهار الجوانب العقائدية التي لا تتفق مع الاتجاه الآخر بلين قولي ومنطق عقلي وحجة نقلية تساعد على الوصول إلى الأهداف زيادة على الالتباس من الله أن يهدي الضالين ويرجعهم إلى طريق الصواب.

ولقد افتخر في هذه الخطة بشيوخه الذين كانوا إذا ذكروا الزمخشري ترحموا عليه وطلبوا من الله أن يسامحه.

ولعل خطة شيوخه كانت أسلم فقد جعلتهم يطلعون على مختلف الأفكار ويختارون منها الملائم مع عقيدتهم السنية وينصرفون عن غيرها.

وهذا هو السبب الذي جعلهم لا يهتمون دراسة كثير من الكتب التي لا تتلاءم مع معتقداتهم فقد درسوا كتب الجاحظ كما درسوا كتب الزمخشري دون أن يجدوا في ذلك حرجاً.

والدليل على ذلك ما أشار إليه الإسحاقى فهو لم يكتف بذكر ما ألفه الزمخشري بل كان يحفظ بعض شعره ويشير إليه في اقتباساته ولهذا ذكر أنه أملى الأبيات على السيد الحنفى والمراد بذلك الأبيات التالية: $\frac{572}{3}$

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر	وما نطلبن النجل من أعين البقر
فإننا اقتصرنا بالذين تضايقت	عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة	ولم أرفي الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ غالته قرب روضه	إلى قرب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وإغما	أردت به ورد الحدود وما شعر
فقال انتظري رجع طرف أجيء به	فقلت له هيهات مالي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخلد حاضر	فقلت له إني قنعت بما حضر

ولما غادر مصر أصبح متشوقاً إلى مكة تشوق الوهان وارتفعت في نفسه التطلعات إلى تلك الأراضي المقدسة وحن إلى أهلها وعلماؤها ولم يكتف حين الوصول إليها بأداء المناسك الدينية فقط بل حاول أن يستفيد من علماؤها وأن يتبرك من صلحائها . ٢١٤

ففي مكة اتصل بسيدي عمر البار الحسيني وبالعلامة الحافظ ابن عبد الله محمد بن أحمد عقيلة المكي وهو رجل عالم فاضل له من التأليف العلمية عدد كبير أشار إليها وذكر أنه نال منه الإجازة في رواية حديث مسلسل يتعلق بقول الرسول ﷺ لمعاذين جبل يا معاذ أنا أحبك فقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفي رواية أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وقبل مغادرته كتب إليه الوثيقة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد عقيلة، إني قد أجزتُ الرجل الصالح الفاضل العالم الكامل الشيخ محمد الشرقي الإسحاقى بالحديث المسلسل، إني أحبك فقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وتمتع أيضاً بالتسلسل فيما يتعلق بحديث المصافحة وبالإجازة في كل ما رواه الشيخ العقيلي.

(٧)

مازلنا نواصل الحديث عن ثقافة الإسحاقى من خلال الرحلة التي قام بها إلى مكة فهو قد أكثر من الإتصال بالعلماء والصلحاء في هذا البلد الأمين.

ومن الذين اتصل بهم وأظهر فضلهم وتحدث عن قيمتهم العلمية الأستاذ الفاضل السيد محمد الطبري شيخ المقام الحنبلي فقد قال عنه إنه رجل متصوف وعلى مكارم الأخلاق متطوف، عاكف بالحرم على العبادة والتصنيف ملازم له في الشتاء والصيف والخريف لا يخرج فيما حدثنا عنه إلا ليلة السابع والعشرين من رمضان يخرج لمقام إبراهيم عليه السلام ويحيي ليلته تلك حتى يختم الختمة القرآنية ثم لا يراه أحد بعد إلا من قصده لداره وخلوته . تفرغ للعبادة واحتفل للتصنيف أي احتفال وهو أشعري غدا يحمد رأي الناس في الاعتزال دخلنا عليه في داره بعد الاستئذان فأذن لنا وبركنا برويته وتعرضنا لوابل ادعيته وإن لم يصبنا منه وابل فطل.

وبعد وصفه له ذكر أنه قد أجازة مثل الفقيه السابق وأنه قد سمح له بأن يروي عنه كل مروياته قال وكانت الإجازة المذكورة منه لنا بعد أن قرأت عليه شيئاً يسيراً من أوائل بعض كتب الحديث كالبُخاري والشافا وغيرهما بقصد التبرك وزودنا دعاء صالحاً وانفصلنا عنه ممتلئى الحقائق نائلي الرغائب إن شاء الله (٢٢٥).

واتصل أيضاً بالفقيه أبي الفضل تاج الدين الحنفي مفتي الحنفية بالحرم المكي فأجازه الحديث المسلسل الراحون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وغيره، وكتب له سنده المتصل عن شيوخه وشيوخ شيوخه إلى أبي قابوس مولي عبدالله بن عمرو بن العاص عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

واتصل بأعلام آخرين جلهم كانوا من أهل الفقه والأدب ولقد انسجمت أرواحهم وتألفت ويستطيع كل من يطلع على الرحلة أن يعرف قيمة علم الحديث في نفس الإسحاقى فهو كان يكثر من ذكر الإجازات المتعلقة به ويتبرك غالباً بذكر كتبه وكتب السيرة عامة خصوصاً ما اشتهر منها في المغرب كالبخاري والشافا ويتدو ذلك حتى فيما لم يشر إليه، فنحن لو خرجنا من مكة معه في رحلته وأشرفنا على المدينة المنورة لوجدناه يقول: وصلنا إلى معهد الفضائل المشهورة ومعقد ألوية الدين المنشورة المظهر الأعلى والبرزخ الأسنى، مشرق الأنوار ومعدن الأسرار من له الفتح والختام والحائز للمقامات العلية بإتمام رسول رب العالمين وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ تسليماً كثيراً وعلى آله وصحبه أجمعين وعندما قربنا من الحضرة النبوية وشارفنا أبواب المدينة السنية أنشدنا متمثلين قول القائل:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبنا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا
وقول الآخر:

وإذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الأنام حرام
قربننا من خير من وطيء الثري فلها علينا حرمة وذمام
فلم يكن بد ولا شغل سوى تيمم المسجد الحرام بقصد السلام على سيد الأنام
وضجيعه المولى سيدنا أبي بكر الصديق والمولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله
عنها وأرضاهما: ٢٦٤ .

فنحن نرى أن ما تمثل من الشعر ولم ينسبه لقائله إنما هو أبيات وردت في كتاب

الشفاء للقاضي عياض استمدّها كثير من الزوار للمدينة فأنشدوها واستمتعوا بمعانيها وحفظوها لينجعلوها منطقهم عند الدخول إليها شاعرين بالخشوع معتزين بالخضوع عالمين بأنهم مقدمون على أرض أوت الرسول ونصرته وعاشت أيام كفاحه وجهاده واستمدت منه روحه الطاهرة فظلت إلى الأبد مأوى للزيارة ومنبعاً فياضاً للفضائل ورمزاً قيماً لنصرة المبادئ الصالحة، فإذا زارها المسلم تقمصت روحه أحداث التاريخ وتذكر سيرة رسول الله ﷺ الذي جعله الله أسوة للعالمين.

ولا بأس أن نأخذ من الشفاء طريقة عرض الأبيات لنستمع إليها من جديد مقرونة بمصدرها الأصلي فقد قال القاضي عياض ج ٢/٤٥: وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً ومنشداً:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبنا
نزلنا عن الأكوار غمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول ﷺ أنشأ يقول:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تطلع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قربتنا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام

إن هذه النقول إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الثقافة التي كانت سائدة في المغرب كانت جامعة بين الروح الأدبية والروح الدينية وأن المغاربة كانوا يجدون لذة كبرى في التوجه إلى البقاع المقدسة ليستفيدوا علماً ولينالوا أجراً وليعيشوا من جديد حياة عاشها المسلمون الأولون فتنتعش بذلك أرواحهم وتزكو نفوسهم ويسجلون للتاريخ مرة أخرى صورة البطولة الإسلامية وقصة الحضارة العربية التي لم تنتعش إلا بهذا التآزر الفكري والروحي الذي نتمنى أن يحيا من جديد وأن يبعث بعثاً آخر يربط حاضرتنا بالماضي ويمهد لنا طريق الخير للمستقبل والسلام.

فاس: محمد بن عبد العزيز الدباغ

الشعر العربي القديم في المؤلفات اليمنية

وفي هذه الأيام وقع في يدي كتاب من مؤلفات أحد علماء اليمن ممن لم أهتم إلى معرفة مؤلفه، واسم الكتاب «الفاصل بين الحق والباطل، في مفاخر قحطان»، مما أُلّف بعد القرن الرابع الهجري، لأنه ينقل عن الكلاعي المتوفى في أول القرن الخامس - انظر «العرب» س ١٤ ص ٢٨٧ - ومن قبله كصاحب «الأغاني».

ورأيت في هذا الكتاب أشعاراً منسوبة إلى شعراء مشهورين، ولكنها لا توجد في دواوينهم وأشعارهم التي وصلت إلينا، ومنهم ثريد بن الصُّمّة وعامر بن الطفيل وليد بن ربيعة، وعُمرو بن مَعْدِي كَرَب وغيرهم.

وكان مما قرأت في هذا الكتاب من أخبار لبيد بن ربيعة العامري: كان يزيد بن عبد المدان أسر لبيد بن ربيعة العامري يوم وقعة عبد الله بن الصمة، وصار إلى نَجْران، فأقام عنده أياماً ثم مَنَّ عليه وكساه، وحمله وبعث معه صحابةً إلى أرض بني عامر، قال لبيد يشكر ليزيد ولبني عبد المدان بن الديان بن قطن:

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةً يَوْمًا عَلَى كَرَمٍ	صَفَوُ السُّدَامِ فَأَسْقِيهَا بَنِي قَطَنِ
قَوْمَ إِذَا وَرَدُوا أَخْلَى لَوَارِدِهِمْ	أَهْلُ الْمَنَاهِلِ صَفَوُ الْوَرْدِ وَالْعَطَنِ
تَدَارَكْتَنِي أُبَيْدٌ مِنْ فَوَاضِلِهِمْ	وَالْغُلُّ مَنِي فِي مُسْتَحْكِمِ الذَّقَنِ
فَأَطْلُقُونِي وَلَوْ غَابَتْ فَوَارِسُهُمْ	عَنِّي أَقَمْتُ بَدَارَ أَهْوَنِ فِي قَرَنِ
فَافْخَرْ عَلَى مَذْجِجٍ إِنْ مَذْجِجٌ فَخَرَتْ	مَا لَمْ تَقُلْ مَذْجِجٌ: مَنَا بُنُو قَطَنِ
وَإِنْ تَقُلْ مَذْجِجٌ مَنَا بِنُوقِطَنِ	فَاذْهَبْ وَأَنْتَ سَلِيمٌ الْجَنَيبِ وَالْبَدَنِ

ثم رأيت الهمداني صاحب «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» ذكر في «شرح الدامغة» - ٢٠٠ - أسر لبيد في «شرح الدامغة» - ١٧٦ - في كلامه على يوم لَبَوَى حَضَنَ، لبني الحارث بن كعب على قيس، وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه عبد الله

بن الصمة الجشمي أخو دُرَيْدٍ، فرثاه بقصيدته الدالية المشهورة التي يقول فيها:
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَيْبِنُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

ومنها:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أُرْشِدُ

وذكر الهمداني أسر لبيد أيضاً بقوله — من الدامغة — :

وطَوَّقْنَا الْجَعَا فِرَ فِي لَبِيدٍ بِطَوَّقٍ كَانَ عِنْدَهُمْ ثَمِينًا

وجاء في شرح البيت: كان أسره يزيد بن عبد المدان، يوم قتل عبد الله بن الصمة — وقد تقدم ذكر ذلك — وصار به إلى نجران، فأقام عنده مُدَيِّدَةً، ثم مَنَّ عليه وكساه وحمله، وبعث معه صحابةً إلى أرض بني عامر، فقال لبيد في ذلك يشكر يزيد بن عبد المدان بن الديان بن قطن — ثم أورد الأبيات — .

وإِذْنٌ: فمصدر الخبر هو الهمداني، وكنت قد أشرت في ترجمته التي نشرت في مقدمة كتابه «صفة جزيرة العرب» — إلى تصرفه في الشعر، وإيراده بروايات مختلفة، ففي «شرح الدامغة» — أورد أبياتاً لعلقمة، تختلف عن إيراده لها في «الإكليل» — ١٥/٨ — بل في «شرح الدامغة» أورد بيتاً لقيس بن الخطيم، ثم أوردته في الكتاب نفسه مغيراً كلمة (وضعت) بكلمة (جعلت)، ومثل هذا التغيير حدث في شعر لبيد كما في «شرح الدامغة». بل قد صَرَّحَ بمثل هذا فقال عن أرجوزة الرداعي التي أوردتها في آخر كتاب «صفة جزيرة العرب» — ٤٠١ — : (ما كان منها معيباً من جهة الاضطراب ولا فائدة فيه فقد ثَقَّفْتُهُ وَأَصْلَحْتُهُ).

ومن أسوأ أنواع التصرف تغيير أسماء المواضع، فقد أورد في «صفة جزيرة العرب» لذي الأصبع العدواني: جلبنا الخيل من (بقران).

وأوردته في «الإكليل»: عدا بالخييل من (جلدان).

وفي «صفة جزيرة العرب»: ياخر ذات الوعث والجراول. والمعروف: يأنخل
ذات الوعث - في وادي نخلة - كما في كتاب «بلاد العرب» لِلْغَدَّةِ الاصبهاني -
ص ٣٧٨ -

وأبو محمد الهمداني هذا من أجلة علماء اليمن وأوسعهم اطلاعاً، وموقفه هذا
الذي أوردت نماذج منه من رواية الشعر جدير بالملاحظة.

ثم رجعت إلى أوفى طبعة من ديوان ليبد التي بعنوان: «شرح ديوان ليبد بن
ربيعة العامري» بتحقيق استاذنا الجليل الدكتور احسان عباس، فلم أرتلك
الأبيات في الديوان، ورأيت فيه أبياتاً تخالف رواية الهمداني في كتابه «شرح
الدامغة» ومنها:

أتونا بشهرانٍ وَجَمْرَةَ مَذْجِجٍ وإحداهما أضعافُ بكر بن وائل
وختنم قوم يعدلون بمذججٍ وهل نحن إلا مثل بعض القبائل؟

- انظر «شرح الدامغة» ص ٢٥، مع أنه أوردها برواية أخرى في الكتاب نفسه في
موضع آخر:

أتونا بشهرانٍ وَمَذْجِجٍ كُلُّهَا وهل نحن إلا مثل إحدى القبائل

والبيتان في زيادات الديوان - ص ٣٦٥ - :

أتونا بشهرانَ العريضة كلها وَأَكْلِبَهَا ميلاد بكر بن وائل
وختنم حيُّ يعدلون بمذججٍ وهل نحنُ إلا مثل إحدى القبائل

ومما قرأت في ذلك الكتاب في أخبار غارات عمرو بن معدي كرب الزبيدي مما
رواه محمد بن الحسين الكلاعي ما نصه: (وكان عمرو بن معدي كرب يهوى
ريحانة ابنة الصمة أخت دُرَيْد بن الصمة الجشمي فقال فيها:

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤرِّقُنِي وَأُضْحَايِ هُجُوعِ

بَرَانِي حُبُّ مَنْ لَا أُسْتَطِيعُ وَمَنْ هُوَ لِلَّذِي أَهْوَى يَسُوعُ (؟)
 إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ أَمْرًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
 وَأَنْ عَمْرًا خَاطَبَهَا إِلَى أَخِيهَا دَرِيدَ فِكْرَهْتَهُ، لِأَنَّ عَمْرًا كَانَ مُفْرَكًا عِنْدَ النِّسَاءِ،
 فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا يُقَالُ لَهُ الْغَطْرِيفُ، فَلَمَّا عَلِمَ عَمْرُو أَنَّهُ قَدْ قَرِبَ زَفَافُهَا
 خَرَجَ غَازِيًا لِبَنِي جُشْمٍ، فَأَوَقَعَ بِهِمْ وَسْبَاهَا وَرَاحَ بِهَا فَاتَّخَذَهَا عَرَسًا، فَوَصَلَ إِلَيْهِ
 دُرَيْدٌ قَاصِدًا فَقَالَ: أَفَدْنِيهَا (؟) أَوْ تَزَوَّجْهَا مِنِّي، وَزَوْجَنِي أَخْتُكَ فَيَكُونُ ذَلِكَ
 أَذْخَصُ عِنْدِي لِلْعَارِ، فَزَوَّجَهُ عَمْرُو أَخْتَهُ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَبِيُّ بْنُ دَرِيدٍ. انْتَهَى

وهذا لا يتفق مع ما أورده صاحب كتاب «الأغاني» ج ١٥ ص ١٧٥ - دار
 الثقافة في بيروت - من أن عمرو بن معدى كرب قال قصيدته العينية التي
 مطلعها:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرْقِنِي وَأُصْحَابِي هُجُوعُ
 بَرَانِي حُبُّ مَنْ لَا أُسْتَطِيعُ وَمَنْ هُوَ لِلَّذِي أَهْوَى مُسُوعُ
 قَالَهَا فِي أَخْتِهِ رِيحَانَةَ بِنْتِ مَعْدِي كَرَبٍ لَمَّا سَبَاها الصِّمَّةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ بَكْرِ،
 وَكَانَ أَغَارَ عَلَى بَنِي زُبَيْدٍ فِي قَيْسٍ، فَاسْتَأْذَنَ أَمْوَالَهُمْ وَسَبَا رِيحَانَةَ، وَانْهَزَمَتْ زُبَيْدُ بَيْنَ
 يَدَيْهِ، وَتَبِعَهُ عَمْرُو وَأَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ مَعْدِي كَرَبٍ، ثُمَّ رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَاتَّبَعَهُ
 عَمْرُو.

ثم نقل عن ابن سلام أَنَّ عَمْرًا اتَّبَعَهُ يَنَاشِدُهُ أَنْ يَخْلِيَ عَنْهَا فَلَمْ يَفْعَلْ، فَلَمَّا يَسَّ
 مِنْهَا وَهِيَ تَنَادِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِهَا: يَا عَمْرُو!! فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى انْتِزَاعِهَا، وَقَالَ:
 أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ

ثم قال ما نصه: وأما قصة ریحانة فإن عمرو بن معدى كرب تزوج امرأة من
 مُرَادٍ، وَذَهَبَ مُغَيَّرًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَلَمَّا قَدِمَ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بِهَا وَضَحَّ
 فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَازَنَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرًا وَأَنَّ الَّذِي قِيلَ
 فِيهَا بَاطِلٌ، فَأَخَذَ يَشَبِّبُ بِهَا فَقَالَ قَصِيدَتَهُ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرْقِنِي وَأُصْحَابِي هُجُوعُ

فصاحب «الأغاني» كما ترى يصرح بأن ربحانة أخت عمرو، بينما هي في المخطوط اليميني ليست أختاً له، وأنها ابنة الصُّمَّة أخت دُرَيْد، من بني جُشَم ثم إن الباحث يجد نصوصاً كثيرة في المؤلفات اليمنية ككتاب «الإكليل» وكتاب «شرح الدامغة» للهمداني ومؤلفات نشوان بن سعيد الحميري تخالف بعض نصوصها ما يجده في مؤلفات علماء العراق من متقدمي اللغويين والمؤرخين والأدباء.

ولا يتسع المقام لإيراد نماذج لهذا الاختلاف، والأخبار والأشعار التي ترد في المؤلفات اليمنية تأتي مقترنة بذكر حوادث تاريخية، ومواضع معروفة، وخاصة فيما يورده المؤرخون اليمنيون في اثبات مفاخرهم ومآثر قبائلهم وأخبار ملوكهم.

فما هو موقف الباحث من هذا الاختلاف؟

إنه لا يستطيع أن ينكر ما للعصبية القبلية من تأثير في كل ما أثر عن القبائل من مفاخر وأخبار وحروب، من أبرز آثارها ما وصل إلينا من شعر المفاخرات والنقائض، ولعل من أقدم ذلك قصيدة الكميت بن زيد الأسدي - انظر «العرب» س: ١٣ ص: ٦٨٧ وما قام به شعراء اليمن من معارضة تلك القصيدة بما سموه الدوامغ، ومن أشهرها قصيدة الهمداني التي نُشِرت كاملة بشرحها، ويعتبر هذا الشرح من أوفى ما ضم نماذج من الشعر المتعلق بمآثر القبائل ومفاخرها.

من هنا كان على الباحث فيما يتعلق بأخبار القبائل وفي ذكر الأيام التي جرت بينها أن يقف موقف الدارس المتعمق لكل ما يقرأه في المؤلفات القديمة من هذا القبيل سواء كانت يمنية أو غير يمنية.

ولئن كان لعلماء العراق في تدوين الأدب العربي بل التاريخ بصفة عامة اليد الطولى والسبق في ذلك، مع شدة التحري للصحة غالباً لما يحدث بين أولئك العلماء في مجالسهم ومنتدياتهم من مناقشات فيما يتناقلونه بالرواية من الأشعار أو

الأخبار حتى اكتسبت بذلك تمحيصاً وتحقيقاً في الأعم الأغلب.

فإن مثل هذا ما لم يحدث لعلماء اليمن الذين اقتصرُوا في الغالب على تدوين تاريخ بلادهم وما يتصل بذلك التاريخ من أخبار القبائل وأشعارها وأنسابها، بدون تمحيص، أو تُثبِت في الرواية. كما أن محصول علماء اليمن من الأدب العربي في بدء تدوينه لا يصح أن يقارن بما أثر عن علماء العراق شعراً ولُغةً وتاريخاً.

ولا يمكن للباحث المنصف أن يقارن بين الطريقة التي سار عليها علماء اليمن في تدوين أخبارهم وأشعارهم بالطريقة التي سلكها علماء العراق في مدينتيه اللتين كانتا مركزين من مراكز الثقافة العربية إبان نشأتها مقارنة تفاضل، لضالة حظّ اليمنيين من العلوم العربية بالنسبة لأئمة اللغة والأدب في البصرة والكوفة وبغداد.

وما أحاوله الآن هو لفت النظر إلى هذا الاختلاف الذي نجده في مصادر كتب الأدب القديمة سواء منها ما أُلّف في جنوب الجزيرة أو في شمالها الشرقي.

فهل من السائغ اتخاذ هذا الاختلاف وسيلة لإطراح ما وصل إلينا في المؤلفات اليمنية من أخبار العرب وأشعارهم ما دما نعوّل من حيث الثقة بما دونه علماء العراق؟

إننا بهذا نفقد جزءاً مُهمّاً من تراثنا لا نجد له بديلاً في المؤلفات المشهورة المعروفة.

بل لا نغالي إذا قلنا: إنّ في مؤلفات الهمداني ونشوان وغيرهما عن القبائل العربية وعن بلادها في جنوب الجزيرة ما لا نجده في المؤلفات الأخرى التي وصلت إلينا.

ولهذا فينبغي أن نتلقى تلك المعلومات بكثير من التعمق والدراسة، والنظر إلى ما قد يعرض لنا فيها من وجوه الإشكال أو الإختلاف نظرة المدرك لروح العصر الذي أُلّف فيه تلك المؤلفات والخوافز التي دفعت إلى تأليفها.

حمد الجاسر

تاريخ المدينة المنورة

لعمر بن شبة النميري (١٧٣/٢٦٢ هـ)

- ٣ -

١٦٠ - وفي ص: ١٠٧١: (مع بلوى تكون) وما في الأصل: (مع بلاء سيكون) بلا همز ولا نقط.

وفي الصفحة: (وبشره بالجنة) وفي الأصل: (وابشره بالجنة).

وفي الصفحة: (افتح عن الرجل وبشره بالجنة) وقال المحقق: (في الأصل افتح عن الجنة، وهو خطأ اقتضى التصويب). والواقع أن ما في الأصل مطابق لما في المطبوعة، فلعل الخطأ وقع في المنقول عن الأصل.

١٦١ - ص: ١٠٧٥: (فأقبل خالد بن الوليد بكتيبة أكيدر صاحب دومة الجندل). كلمة (كتيبة) في الأصل بدون نقاط وقد تقرأ (بكس).

١٦٢ - وفي ص: ١٠٧٨: (لم تغزوا بقلب رجل واحد). كلمة (لم تغزوا) مخالفة لما في الأصل القريبة من (لم تصغوا).

وفي الصفحة: (قال: وكيف أنتم إن قتلتموه؟). وفي الأصل: (قال: فكيف أنتم إن قتلتموه؟).

١٦٣ - وفي ص: ١٠٧٩: (وأزفراه، وأزفراه، وأزفراه) والزاي في المواضع الثلاثة في الأصل مقومة كالدال (د) وفوق الأولى نقطة. (واذفراه).

١٦٤ - وفي ص: ١٠٨٣: (قال: فاتخذوا فكلٌ شديد). كلمة (فاتخذوا) ليست كما في الأصل، وما بعدها (أفكل شديد). وقد تكون الجملة (فاتخذوا أفكلٌ شديدٌ) - كما سيأتي ص: ١٠٨٤ (فاتخذوا من ذلك أفكلٌ - أي رعدة).

١٦٥ - وفي ص: ١٠٨٦: (ما هذا المُنْحَى). الكلمة الأخيرة لا تطابق

صورة ما في الأصل (المحي) التي تقرأ (النَّجِي) وهي أقرب معنى لسياق الكلام،
فالقوم خَلَوْا في جانب من الدار يتناجون بينهم. وقد وردت الكلمة مرة ثانية -
ص ١٠٨٨ - .

وفي الصفحة: (قد أُخِذَ منك بالحنو فذُبِحَتْ). كلمة (بالحنو) في الأصل تشبه
(بالبُخْنُ) بدون نقط. والبُخْنُ من معانيه البُرْسُ الصغير، وقد تكون الكلمة
(بالمُخْنِ) وهي أقرب إلى المعنى المراد.

وفي الصفحة: (وكنّا بين يديه نسمعه عابساً) كلمة (نسمعه) في الأصل تقرأ
(شمعة) ولكن كلمة (كنا) مطابقة لما في الأصل، وقد تكون خطأ من الناسخ وأن
صواب الجملة: (وكان بين يديه شمعة، عابساً) حال من كلمة (فخرج) في أول
الجملة. أما كلمة (نسمعه) فهي قلقة في الجملة. وأشار المحقق إلى أن الخبر في
«طبقات ابن سعد»: ٢٣٢/٥ - ولم أعر عليه فيها في طبعة بيروت.

١٦٦ - وفي ص: ١٠٨٨: (فما أدخل هذا الاعرابي بيتا). كلمة (بيننا)
شبيهة بكلمة (بيتك).

وفي الصفحة: (ولو صَلَّحْتُمْ أَحَبَّ إلي من نفسي) والصواب: (ولو صلحتم
كنتم) الخ - كما في الأصل.

وفي الصفحة: (تُبَّ إلى الله يُثَبَّ عليك). وما في الأصل: (تُبَّ إلى الله يُتَبَّ
عليك).

١٦٧ - وفي ص: ١٠٩١: (حدثنا نعيم بن محمد قال: حدثنا الفضل بن
موسى). في الأصل: (نعيم بن حماد) وهو الصواب، كما يتضح من ترجمة نعيم بن
حماد في «تهذيب التهذيب» حيث ذكر من مشايخه الفضل بن موسى.

وفي الصفحة: (يا قاص كذا وكذا). والصواب: (يا ماص كذا وكذا) وهي
كلمة شتم من المص، ويوضح هذا ما ورد بعدها: (لا تشتم أُمِّي).

١٦٨ - وفي ص: ١٠٩٢: (ونشبتم في الطعن على إمرتكم). وما في الأصل:

(وَيَشْتَمُّ فِي الطَّعْنِ عَلَى أَثْمَتِكُمْ). والباء غير منقوطة بحيث تقرأ تاء.
وفيها: (فلا ينزعن أمركم من أيديكم، ولا يخرجن من بين أظهركم). والذي
في الأصل: (فلينزعن) و (ليخرجن).

ويحسن مراجعة الخبر في كتاب «الإمامة والسياسة».

وفي الصفحة: (أني قد أبحثها). والصواب ما في الأصل: (أني قد أبحثه) أي
الحجى. وكذا في كتاب «الأوائل» للعسكري: ٢٥٨/١ - الطبعة الثانية فقد أورد
الخبر عن ابن شبة.

١٦٩ - وفي ص: ١٠٩٣: (ثُمَّتَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِثْلَ رَجِيهِ بِي
لَأَوِيَاهُ). كلمة (ثُمَّتَ) في الأصل (لَهُ) وبها يستقيم الكلام.

وفيها: (من هو أشرف منه، بعث الله رسوله فأسرعتم إلى الله). وفي الأصل:
(من هو أشرف منه، ومن تقطع الأمور عليه، بعث الله رسوله) الخ. وجملة (ومن
يَقْطَعُ الأمور عليه) واردة في «الأوائل»: ٢٥٩/١ - وقد ورد فيه الخبر عن ابن
شبة.

وفي الصفحة: (فتركه من يده). وهي: (فتركه في يده).

١٧٠ - وفي ص: ١٠٩٧: (وَمَا يُغْضَبُ أَمْرُنَا إِلَّا بِكَ). كلمة (يغضب)
صوابها: (يُغْضَبُ) بالعين المهملة، وكذا هي في الأصل، أي يُجْمَعُ -
وفيها: (ولئن لَا يَشْنَأُكَ لَنَكُونَنَّ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْكَ). كلمة (لَا يَشْنَأُكَ) في
الأصل (لَا يَسْنَأُكَ) والباء ليست منقوطة.

١٧١ - وفي ص: ١٠٩٨: (لَا تَمَثِّلُوا بِهِ فَيَمَثِّلُ بِكُمْ). قد يُقْرَأُ ما في الأصل:
(لَا تَمِثِّلُوا بِهِ فَيَمِثِّلُ بِكُمْ) لعدم إعجام الحروف.

وفي الصفحة: (قام الأمر فأقمتم به). تقرأ: (قام الأمر ما قُمْتُمْ بِهِ)
وفيها: (إِنَّ الْفِتْنَةَ تَنْبِتُ عَلَى ثَلَاثٍ: عَلَى التَّخَوُّنِ، ثُمَّ السَّكُونِ، ثُمَّ الْخَلْعِ).

وكلمة (التَّخُون) تقرأ (النَّجوى) وهي بدون نقط

وفي الصفحة: (حدثنا القاسم بن الفضيل). وفي الأصل: (القاسم بن الفضل) وهو الصواب - وترجمته في «تهذيب التهذيب»: ٣٢٩/٨ - ولكن القاسم هذا توفي سنة سبع وستين ومئة. فلم يدركه ابن شُبَّة، فهل سقط اسم شيخ ابن شُبَّة الراوي عن القاسم بن الفضل؟

١٧٢ - وفي ص: ١٠٩٩: (وما كان لي على قسره من سبيل). كلمة (قسره) ليست كما في الأصل: (شره) سِنَّ قبل الشين المعجمة ليس قافاً، قد تكون نوناً أو باء، وقد تكون الكلمة محرفة.

١٧٣ - وفي ص: ١١٠٠: (إنهما اثنتان تأكلان التريد). تقرأ الجملة: (إنهما ابتنان تأكلان البرير) والبرير ثمر الأراك، أي إنهما في صغرهما تأكلان ثمر الشجر - أي عاشتا بَدَوِيَّتَيْنِ -
وفي الصفحة:

لساني طويلٌ فاحْذَرْنَ شِدَّاتِهِ عليك وسيفي من لساني أطولُ
صدر البيت غير مستقيم وَزناً إلا إذا غيرت (شِدَّاتِهِ) بكلمة (شَبَّاتِهِ) أي حَذَّه -
والصدر في الأصل: (لساني طويل فاحذر من سداته) كذا وأشار المحقق إلى أنه
مذكور في «أنساب الأشراف»: ٤٨/٥ -

١٧٤ - وفي ص: ١١٠٢: (فقام رجلٌ من بهز). وفي الأصل: (فقال فيهم رجلٌ من بهز). وغير المحقق كلمة (فقال) بكلمة (فقام) ولعله كان مصيباً.
١٧٥ - وفي ص: ١١٠٣: (مَرَّبْنَا عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ مَرْحَلاً مُعَدِّقاً). كلمة (مَرْحَلاً) صوابها: (مَرْجَلاً) بالجيم - من ترجيل الشعر.

وأما (معدقا) فالدال في الأصل مهملة وهي في مطبوعة تاريخ ابن عساكر -
«تاريخ مدينة دمشق» - ترجمة عثمان ص ٢٧١ - (مُعَدِّقاً) وفسرتها المحققة بما

نقلته من «اللسان»: (أغدف قناعه أرسله على وجهه فهو مغدّف).

١٧٦ - وفي ص: ١١٠٤: (فَأُخِذْتُ بِمَنْكِبِهِ ثُمَّ لَفَّقْتُهُ). الكلمة الأخيرة صوابها ما في الأصل (لَفَّقْتُهُ) أي جعلته يلتفت وكذا هو في «تاريخ ابن عساكر» ترجمة عثمان - ٢٧٠ -

وفي ص: ١١٠٥: (بينما نحنُ مع رسول الله ﷺ على طرف آرةً بالمدينة). وفسّر المحقّق آرةً بجبل مُزَيَّنة. ولكنّ هذا الجبل ليس في المدينة. بل خارجها بنحو ثلاث مراحل، ثم إنَّ الكلمة ليست واضحة في الأصل.

١٧٧ - وفي ص: ١١٠٧: (أنتجتُ الأحمال). ومع أن الجملة غير مفهومة إلاّ أن الكلمة الأخيرة (الأحمل). وقد تقرأ (أنيخت) بدل (انتجت).

١٧٨ - وفي ص: ١١٠٩: (حين خالطت الناس وغفلت الأحاديث). كلمة (غفلت) صوابها: (عَقَلْتُ) أي فهمتها وصرت أحفظها - أي بلغت مبلغاً من العمر مكّني من ذلك - كما يفهم من سياق الكلام.

وفي الصفحة: (وَرُفِعَ مصحف من إحدى الحجر فقيل: يعلمه مَنْ عَرَفَ أن محمداً بَرِيءٌ مَنْ فَرَّقَ دينه). كلمة (يعلمه) في الأصل: آخرها الف قبل (ان) وقد تقرأ (تعلموا) أما المحقّق فيرى الألف سَهْماً أشير به إلى سقط وانه أضاف (عرف) ليستقيم الكلام. ولينظر «تاريخ الطبري»: ٢٩٧٩/٦.

١٧٩ - وفي ص: ١١١٠: (للخليفة من بعد نوح). قد تكون كلمة (الخليفة) بالفاء هي الصواب، إذ الخبر يتعلق بالخليفة عثمان.

١٨٠ - وفي ص: ١١١٢: (وَنُلَجِّقُكْ بجبل الدخان. لست هناك). سقطت كلمة (فقال) قبل (لست) وهي في الأصل.

١٨١ - وفي ص: ١١١٤: (إِلَهُمَّ جَمِي، يَرْعُونَ فِيهِ عَرَبَاءُ، فنقلت ذلك لهم) كلمة (عرباء) في الأصل: (عربا) وقد تكون (عَرَبَاءُ) وكلمة (فنقلت) هي (ففعلت). وكلمة (عَرَبَاءُ) أنسب أي يُعْزَبُونَ فِيهِ أَنْعَامُهُمْ لِإِسْعِيَةِ.

وفي الصفحة: (وإن كرهتم فغيروا، أو فلا تقرّوا). الكلمة الأخيرة في الأصل: (أولا فلا تقرّوا). وقد تكون خطأ من الناسخ.

١٨٢ - وفي ص: ١١١٥: (فعل شيئاً بغير حق). وفي الأصل: (قتل نفساً بغير حق).

١٨٣ - وفي ص: ١١١٨: (فاتق الله ألا تكون ذلك الرجل). كلمة (ألا) في الأصل (لا).

وفي الصفحة: (أشر الثايبا). وفي الأصل: (ابس) وفوق السين علامة الإهمال (٧) فإذا صَحَّتْ فقد تكون مأخوذة من البَسَّ - كَالْبَثِّ - وهو التفريق، أي إن ثناياه مفرقة.

وفيها: (ومعه محمد بن بكر). وهو محمد بن أبي بكر.

١٨٤ - وفي ص: ١١٢٠: (إن ابن أبي حذيفة إمامٌ حَلَالُهُ كما علمت). وما في الأصل يقرأ: (إمام ضلالة كما قد علمت).

١٨٥ - وفي ص: ١١٢٢: (يطفيء بك نائرة). كلمة (نائرة) في الأصل (نائرة). والنائرة حالة هياج الناس وثورتهم.

١٨٦ - وفي ص: ١١٢٣: (ليقوموا بضررك). والصواب: (ليقوموا بِعُذْرِكَ).

١٨٧ - وفي ص: ١١٢٤: (بسيف ينبوع المؤمن، ويجبر على الكافر). كلمة (يجبر) تشبه (يجهز) وإن لم تكن الهاء كاملة التقويس.

١٨٨ - وفي ص: ١١٢٥:

أَبَتْ كِبْدِي - لَا أَكْرَهْنِكَ قَتْلَهُمْ عَلَيَّ وَتَأْبَاهُ عَلَيَّ أَنْ أَمْلِي

كلمة (لا أكرهنك) تقرأ: (لا أَكْذِبُنْكَ)

١٨٩ - وفي ص: ١١٢٧: (أشرف عليه يعذروه ويصدوه). وما في الأصل:
(أشرفوا عليه فعزروه ونصروه).

١٩٠ - وفي ص: ١١٢٨: (نضر بن علي بن نضر). والاسم في الأصل بدون
إعجام وهو (نضر بن علي بن نصر) - بالصاد المهملة - مترجم في «تهذيب
التهذيب» - ٤٣٠/١٠ -

١٩١ - وفي ص: ١١٣٠: (قال: أتعجب). وفي الأصل: (قال: العجب).

١٩٢ - ص: ١١٣٤: (فليحق بزرعه). والصواب ما في الأصل: (فليلحق
بزرعه). والخطأ تطبيع.

١٩٣ - وفي ص: ١١٣٥: (فنشرنا المصحف) وفي الأصل (المصحف).

١٩٤ - وفي ص: ١١٣٦: (فرجعتُ بسِّيهِم إلى أمير المؤمنين). وهي
(فرجعت فسبقتُهُم) إلخ.

وفي الصفحة: (وما صنع الله بكم) كلمة (بكم) صوابها: (لكم).

١٩٥ - وفي ص: ١١٣٨: (آت هاؤلاء). وفي الأصل: (ايت هاؤلاء أي
(إئت) وفرق بين الكلمتين.

١٩٦ - وفي ص: ١١٣٩: (إلى حُجْرة). وهي (في حجرة).

١٩٧ - وفي ص: ١١٤٠: (ولا تُحمى الحمى). وهي: (ولا تُجنى الجنى).

١٩٨ - وفي ص: ١١٤٢: (يونس بن أبي إسحاق الهمداني). وفي الأصل:
(الهمداني). وهو الصواب فالرجل من هَمْدَان - بالذال المهملة - القبيلة اليمينية
لا من هَمْدَان - بالذال المعجمة - المدينة الفارسية، فهو من السَّبيع بطن من همدان
- يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني، مترجم في «تهذيب
التهذيب» - ٤٣٣/١١ -

وفيها: (مع أبي ربيعة العنزي) وفي الأصل: (العبدى) بدون نقط. ←

وَأَمَّا الثَّانِي - بعد الجيم بَاءٌ مُوحَّدةٌ مُشدَّدةٌ وبعد الألفِ نُونٌ أُخرى: - جَبَانَةٌ
عَزَزِمَ بِالْكَوْفَةِ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا بَعْضُ الرُّوَاةِ^(٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ - أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ مُشدَّدةٌ وَبَعْدَ الألفِ نُونٌ أُخرى: -
نَاجِيَةٌ مِنْ غَرْبِي الْمَوْصِلِ فَتَحَهَا عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ صَلْحًا^(٤).

وَأَمَّا الرَّابِعُ - أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوحَّدةٌ مُخَفَّفةٌ وبعد الألفِ بَاءٌ
أُخرى: - مَوْضِعٌ عِنْدَ ذِي قَارٍ^(٥).

الحواشي:

- (١) لم يرد هذا الباب في كتاب نصير - فيما ظهر لي -
- (٢) هذا من تعريف نصير، ولكنه أورد الاسم بالألف المقصورة (جَنَابًا) في (باب جَنَابًا وَجَنَابًا وَخَنَابًا
وَجَنَابًا) من كتاب الجيم. ولم يقل: (بلد ناحية البحرين). وحين أورد ياقوت في «معجم
البلدان» كلامَ الحازمي عَقِبَ عليه قائلاً: وهذا غلطٌ عجيب، لأنَّ مَهْرُوبَانَ وسيراف من
سواحل بَرْ فارس، وكذلك جَنَابَةٌ، وأما الْبَحْرَيْنِ فهي في ساحل بَرْ العرب، قبالة بَرْ فارس، من
الجانِبِ الغربي. وكذلك قال الأمير أبو نصير، وعنه نقل الحازمي، وهو غلطٌ منها معاً، وبين
جَنَابَةٌ وسيراف أربعة وخمسون فرسخاً. انتهى كلام ياقوت فقد أوضح خطأ الحازمي، وبين أنه
نقل عن ابن مأكولا، ونص ما في كتابه «الإكمال» ج ٣ ص ٦٧: (وَأَمَّا الْجَنَابِيُّ - بعد الجيم
المفتوحة نُونٌ مُشدَّدةٌ، وبعد الألفِ بَاءٌ معجمةٌ بواحدة - نسبة إلى جَنَابَةٍ بلدة بالبحرين) - الخ
- ونقل محقق كتاب «الإكمال» عن كتاب «التوضيح» لابن ناصر الدين الدمشقي: - (يحمل أن
الغلط وقع لاشتهار القرمطي أنه كان بالأحساء من البحرين، فظنَّ أنَّ جَنَابَةً من البحرين).
انتهى. وقال ياقوت عن جَنَابَةٍ: بلدة صغيرة من سواحل بحر فارس، رأيتها غير مرة، يدخل
إليها في المراكب في خليج من البحر الملح، يكون بين المدينة وبين البحر نحو ثلاثة أميال أو أقل،
وقبالتها في وسط البحر جزيرة خارك، وفي شمالها من جهة البصرة مَهْرُوبَان - إلى آخر ما ذكر -
وقد أشار صاحب كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» - ص ٣٠٩ - إلى أن خرائب جَنَابَةٍ لا زالت
تُرى - ورسم موقعها على مقربة من جزيرة خارك - المعروفة الآن خطأً باسم (خرج) تقع في
الشمال الغربي منها على الساحل، ومهروبان تقع شمال جَنَابَةٍ على الساحل الشمالي للخليج
العربي، أما سيراف فتقع في الجنوب من جَنَابَةٍ على ساحل الخليج، بمسافة طويلة (جَنَابَةٍ بقرب
خط العرض ٢٩/٣٠° ومهروبان ٣٠/٢٠° وسيراف ٢٧/٣٠° - على وجه التقريب - أنظر
خريطة إقليمي فارس وكرمان - من كتاب «بلدان الخلافة» ص ٢٨٣ -.
- ويظهر أنَّ الحازمي رجع إلى كتاب «الإكمال» لابن مأكولا في ذكر المنسوب إلى جَنَابَةٍ. وشهرة

القراطة تكفي عن الحديث عنهم، وقد أفردت المؤلفات في ذكرهم، وشجنت كتب التاريخ بأخبارهم.

(٣) قال ياقوت: الجَبَانُ - في الأصل الصحراء - وأهل الكوفة يسمون المقابر جَبَانَةً كما يُسمِّيها أهل

البصرة المقبرة، وبالكوفة عَمَالٌ تُسمى بهذا الاسم، وتضاف إلى القبائل منها: جَبَانَةُ كِنْدَةَ، وجَبَانَةُ السَّبِيح، وجَبَانَةُ ميمون، وجَبَانَةُ عَزْرَم تُب إلىها بعض أهل العلم عَزْرِيَّيَا، وجَبَانَةُ

سالم، وغير هذه - انتهى باختصار وقد ورد اسم عَزْرَم بتقديم الراء المهملة على الزاي، عل

عكس ما ورد في مخطوطة كتاب الحازمي، وما أورد ياقوت هو الصواب، فقد جاء في كتاب

«اللباب» لابن الأثير - ج ٢ ص ١٣١ - العَزْرَمِي: هذه النسبة إلى عَزْرَم قال: وظني أنه بطن

من فزارة، وجَبَانَةُ عَزْرَم بالكوفة معروفة، ولعل هذا البطن نزلوا بها فَنُسِبَت إليهم - ثم ذكر

النسبين إلى عَزْرَم - ومنه يظهر أن النسبة إلى عَزْرَم لا إلى الجَبَانَةِ، كما يفهم من كلام الحازمي.

(٤) لم يزد ياقوت في «معجم البلدان» على القول: الحَنَانَةُ - ثَانِيَةُ المُشَدَّد قبله - هي ناحية من

غربي الموصل، فتحها عُتْبَةُ بْنُ قُرْقُدٍ صَلْحًا. انتهى. وعُتْبَةُ صحابيٌّ من بني سُلَيْمٍ ثم من بني

رِفَاعَةَ منهم، وقد فَتَحَ الموصل سنة ثمان عشرة، مع عياض بن غنم، وكان مِنْ وَلَدَةِ عمر بن

الخطاب.

(٥) قال ياقوت في «معجم البلدان» - الجَبَانَةُ - بالضم وقد تقدم اشتقاقه في الجَبَابِ - وهو موضع

عند ذي قار، كان به يوم الجَبَابَاتِ، وقد تقدم. قال أبو زياد: الجَبَانَةُ من مياه أبي بكر بن

كلاب. انتهى وقال عن الجَبَابِ: هو شيء يعلو البان الإبل كالزُّبْد، ولا زُبْد لها. وقال عن

الجَبَابَاتِ: موضع قريب من ذي قار، كانت به إحدى الوقائع بين بكر بن وائل والقُرس. قال

الأغلب:

أما الجَبَابَاتُ فَقَدْ غَشِيْنَا بِضَاقَاتٍ نَحْتُ فَاقِرِينَا

يَتَوَكَّنُ مِنْ نَاهِيَةِ دَهِينَا

وقال أبو أحمد: وهو أيضاً يوم الجَبَانَةِ، موضع جُبٌّ في ديار أُوْدٍ بن سَعْدِ العَبْدِيَّة، كانت فيه

وقعة بينهم وبين الأزد، والجَبَابَاتُ أيضاً ماءً بنجد، قُرْبَ البَحْمَةِ. انتهى.

فظهر بما تقدم أن الاسم يطلق على مواضع:

١ - أحدها في شرق الجزيرة، غرب الكوفة، على مقربة منها، عند ذي قار.

٢ - ماء من مياه أبي بكر بن كلاب، ومياه هاؤلاء وبلادهم في عالية نجد، وأخشى أن الجَبَابَةِ

التي من مياه بني أبي بكر هي التي أوردتها صاحب كتاب «بلاد العرب» - ٣٦ - باسم الجَبَانَةِ،

وذكرها ياقوت بهذا الاسم للربيع بن قرط من بني أبي بكر.

٣ - موضع في ديار أُوْدٍ، وديار هاؤلاء جنوب الجزيرة في اليمن.

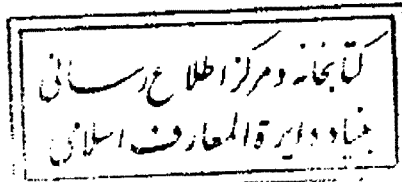
أما المواضع التي ذكرها نصرٌ مع (جَبَابَا) فهي - على ما جاء في كتابه -

١ - جَبَانَا - بفتح الجيم والباء الموحدة وآخره نون وألف مقصورة -: ناحية من السَّوَادِ قَرِيبَ

من الأنبار ومن مدينة السلام - انتهى. إقتصر ياقوت على القول: جَبَانَا - بالفتح وبعد الألف

نون -: ناحية بالسَّوَادِ، بين الأنبار وبغداد. انتهى.

٢ - خَنَاثَا: قال نصر: وأما بفتح الحاء المعجمة والنون وآخره ثاء مثله وألف مقصورة -:



مطير: فروعها وأفخاذها

كتب الأخ ماجد بن طاهر المطيري إلى مجلة «العرب»:

أفيدكم علماً ومعرفةً بنفسِي أنني من قبيلة السلالحة من بني عبدالله من مُطير. وحيث أنه سبق أن كتبت كُتُبٌ عن تقسيمات قبيلة مطير. ورد فيها أنها قسمان فقط. وحقيقة الأمر ليس كذلك. بل تنقسم مطير إلى ثلاثة أقسام رئيسة. وسبق أن وردكم عدة رسائل حول ذلك. من متعب بن نويمي بن جبرين ومن ضيف الله بن محمد المطيري. وقد أجبتم بأن من كان لديه أية معلومات فليفضل بها مشكوراً. وها أنا أتقدم لكم بالمعلومات المرفقة.

علماً أن الجواب ليس لي وحدي بل هناك الكثير ممن ينتظر الإجابة.

ولكثرة الإلحاح المتواصل من بعض رؤساء (مُطير) لأنهم علموا أن هناك من الكتب تناقلت الكتابة عن قبائل (مطير) وتقسيمها إلى قسمين فقط. فاستغرب أهل الرأي والمعرفة وأهل الخبرة منهم كيف تم هذا التقسيم وهل هناك دليل قائم عليه؟

ومن المشائخ الذين ألحوا عليّ في هذا الصدد: علي بن جبرين ومتعب بن نويمي

→ موضع نُجْدِيّ. ولم يَزِدْ ياقوت على القول: خَنَاطَا: موضع بنجد - عن نصرٍ - وما أكثر مواضع نُجْدَا!! ولا استبعد عدم صحة الضغط، وأنه الموضع الذي ورد في كتب اللغة باسم ذِي خَنَاطَا، ورد في قول الشاعر:

شَدُّ لَمَّا الذُّبُّ بِذِي خَنَاطَى مُتَخَيِّكَ الظُّلْمَاءِ وَالْأَمْلَاشَا

الأملاش - جمع مَلَشَ -: وقت اختلاط الظلام عند العشاء وعند طلوع الفجر - ٣ - خَبَابَةُ: قال نصر: وأما بفتح الحاء المهملة وباءتَيْنِ مُوَحَّدَتَيْنِ والقب ممدود -: جبل نُجْدِيّ من سبعة أجبل تُسَمَّى الأكوام، وهي مُشْرِفَةٌ على وادي الجَرِيب. انتهى. وفي كتاب «بلاد العرب» - ٧٦ -: الأكوامُ جبال لغطفان ثم لِقَزَارَة، وهي مُشْرِفَةٌ على بطن الجريب وهي سبعة ... عن يسار عَوَارَة .. وأسماؤها: كَوْمُ حَبَابَاءِ وَالْعَايِرِ، وَالصُّمْلُ وَكَوْمُ ذِي مِلْحَةٍ. انتهى ملخصاً، والجريب يعرف الآن باسم الجرب من أشهر روافد وادي الرُّمَّة، ويظهر أن الأكوام على مقربة من طرفه الشمالي قبل اجتماعه بوادي الرمة.

بن جبرين ومتعب بن فيصل بن سقيان وكُمَيْخ المُرَيْخِي ونائف بن سلطان بن درويش وعَجْمِي بن قُطَيْم بن صُمْنَة، وبيجاد بن مِرْنَان، وعويض بن مطلق بن لويحق وصقر بن سَلَّاح والشيخ فهد بن مرزوق التَّو - من موظفي الدعوة والإرشاد في المنطقة الشرقية.

وبعد أن أمدوني بالمعلومات وجدت أمامي أنه ليس من الممكن أن أبحث مع الأدباء والمؤرخين والكتّاب قبل أن أبحث مع الرواة وأهل المعرفة منهم. ووجدت أن صحة تقسيم قبيلة (مطير) إلى ثلاثة أقسام رئيسة، كل قسم له أماكن يقطنها وعِزَّة يعتري بها، وراثسة مستقلة ليس لها علاقة بالأقسام الباقية.

وهم بنو عبدالله.

وعِلْوَى.

وَبُرَيْه.

فعزوة قبيلة بني عبدالله تضمنها بيت شعر للشيخ جهز بن شرار:

عِيَا الْوَلِي: وَالْعِزَّةُ الْعَبْدِيَّةُ عِبَادِلِ سُورِ الْحَرَائِبِ وَبُضْجِينَ
عِزَّتُهُمْ (أولاد عبّاد).

وقبيلة بني عبدالله غنية عن التعريف في العصر الجاهلي وفي الإسلام وفي الوقت الحاضر. وليس لها ارتباط بالأقسام الباقية. وهم ينقسمون إلى قسمين: قسم يتبع قبيلة عِلْوَى، وقسم يتبع قبيلة بُرَيْه. وهذا غير مقبول عندهم إلا أن هذه التقسيمات والعزاي والرياسات المستقلة شواهد ثابتة لفرز كل قبيلة على حدة. وهناك دلائل أخرى تكفي لإيضاح تقسيم هذه القبائل وهي الحروب التي سبق أن حدثت بين قبيلة (عِلْوَى) في عهد الحُمَيْدِي بن فيصل الأعور جد فيصل بن سلطان الدويش وبين قبيلة (بُرَيْه) في عهد فِدْعُوش المُرَيْخِي. وامتدت تلك الحروب فشملت قبيلة (بني عبدالله) إذ السبب هو اعتداء من عِلْوَى على أحد رجال بني (عبدالله) يدعى (الرُّخْل) من ميمون، وقد استجار بالمريخات من قبيلة

(بُريّه) واستمرت الحروب بين الطرفين سبع سنوات. وانتهت باتفاق الطرفين على الصلح بالتحكيم. فحكمت (علوى) حاكم حائل عبدالله بن رشيد آنذاك. وحكمت قبيلتنا (بُريّه وبني عبدالله) هادي بن قرملة، رئيس قبائل (قحطان) وذلك بعد وفاة الحميدي بن فيصل الأعور، وبعد قتل فدغوش المريخي في نفس الحرب.

وهذه شواهد يكتفي بها لهذا التقسيم. وأخيراً أرجو من كل من كتب عن هذا الأمر أن يعيد النظر فيما كتب مشكوراً. وإنني أعلم كل العلم أنه اجتهد منهم: ولكن لعدم المصادر التي يرجعون إليها اختصروا الأمر على معلومات غير وافية.

١ - بنو عبدالله: فروعها وأفخاذها:

ينقسم بنو عبدالله إلى خمسة فروع: بنو عون وميمون. والصُّعْبَة، والسَّلاَحَة، والهَوَيْمَلَات.

١ - ينقسم بنو عون إلى بطنين. بطن ذوي أَصْنِيع وبطن ذوي سُويِّع، وينقسم بطن ذوي أَصْنِيع إلى أربعة أفخاذ.

١ - السَّقَايْن واحدهم: (سقياني).

٢ - الهدابيين (هدباني).

٣ - الكماهين (كميهي).

٤ - بني شطيط (شطيطي).

بطن ذوي سويِّع وهم اثنا عشر فخذاً:

١ - الجبارية (جبريني).

٢ - البراكتة (بريكيتي) لم يرد ذكرهم في «معجم قبائل المملكة».

٣ - المحانية (مُحْنًا).

٤ - السلايمة (سليمي).

٥ - القنينات (قنينان) وقد ذكروا في «المعجم» من العضيلات خطأ.

٦ - الحرصان (حريص).

٧ - العساف (عسافي) لم يرد لهم ذكر في «المعجم».

٨ - ذوي بدير (بدراني).

٩ - الموازين (ميزاني).

١٠ - الحلف (حلفي).

١١ - العزيزة (عزيزي).

٢ - ميمون بطنان الصردان، وُغْرَابَة، وهذه أفخاذ البطن الأول -
الصردان :-

١ - الوهيطات : (وهيطي).

٢ - السكّان : (سكاني).

٣ - الشوايبة : (شويّب).

٤ - العيايين : (عياني).

٥ - الهُويّان : (هُوياني).

٦ - الرّخال : (رخل).

٧ - المحاميد (محمدي).

البطن الثاني من بطون ميمون : وُغْرَابَة خمسة أفخاذ:

١ - السميحات (سميحي).

٢ - السلامين (سلماني).

٣ - الهدايين : (هدباني).

٤ - الجُرّوة : (جرو).

٥ - الرّمائية : (رميثي).

٣ - بطون الصعبة : سبعة:

١ - الهجّال : (هجلة).

٢ - الوطايين : (وطياني).

٣ - المخافرة : (مخيفري) لم يرد ذكرهم في «المعجم».

٤ - العضيلات : (عضيلة).

٥ - المهالكة : (مهلكي).

٦ - المشاريف : (مشرافي).

٧ - الشُّطر : (شاطري).

٤ - بطون قبيلة الشلالة : ثمانية :

١ - القمشان : (قميثي).

٢ - الدُمَيَّات (ذهبي) لم يذكروا في «المعجم».

٣ - السَّمُون : (سمني) لم يذكروا في «المعجم».

٤ - المَعُوز : (ماعزي) لم يذكروا في «المعجم».

٥ - الرحامين : (رحيمي).

٦ - الضبطان : (ضبيطي) لا أضبط كما ورد في «المعجم».

٧ - القعوان : (قعَيَّاني).

٨ - الموايق : (مايقي).

٥ - بطون الهوميلات : ثمانية بطون :

١ - الشباشرة : (شبيشيري).

٢ - الحنانيش : (حنوشي).

٣ - الربعان : (ربعي).

٤ - الحماين : (حمَيَّاني).

٥ - الجعافرة : (جعفري).

٦ - الظوافرة : (ظويفري).

٧ - العقالية : (عقيلي).

٨ - اليُّس : (يابسي).

٢ - قبيلة عِلَوَى وِبطونها :

العزوة: خَيَالُ الْعَلْيَا: أما بطون قبيلة عِلْوَى فهي ثلاثة وهذا يبانها مع ذكر
أفخاذها:

- ١ - الْمُؤَهَّةُ: سبعة أفخاذ:
 - ١ - الدوشان.
 - ٢ - الخواطرة.
 - ٣ - الجُبْرَة.
 - ٤ - الصُّعَايِنُ والرئاسة في الأفخاذ المذكورة في بيت الدويش.
 - ٥ - الجداعين (بالدال المهملة بعد الجيم).
 - ٦ - البراعصة ورئيسهم السُّور.
 - ٧ - الرُّخَّان ورئيسهم ابن زَرِيَّان.
- ٢ - الْجُبْلَان: وهم خمسة أفخاذ:
 - ١ - الْقُعَيَّات: (بن لامي).
 - ٢ - الْأَعْنَة.
 - ٣ - الْعِرَاقِيَّة ورئيس الأفخاذ الثلاثة ابن لامي.
 - ٤ - الْمُقَالِدَة: ورئيسهم ابن رَشْدَان.
 - ٥ - الْيَحْيَا: ورئيسهم ابن شَيْلَان.
- ٣ - بَنُو عَوْن: انْضَمُّوا إلى قبيلة عِلْوَى وَيُعَدُّون منهم، وهم الصُّهْبَةُ
والمَّلَاعِبَة، وهذه أفخاذ الصهبة:
 - ١ - الصُّهْبَةُ، وهم فَخْدَان:
 - ١ - الْفُغْمَة.
 - ٢ - الْمُطِيرَات.
 - ٢ - المَّلَاعِبَة: فخذان:
 - ١ - المَّلَاعِبَة.

٢ - الأُميرة بعد الألف ميم مكسورة فراء مفتوحة مشددة، فهاء.

٣ - بُرَيْه وبطونها:

العزوة: خيال الخيل بريهي. وبُرَيْه بطنان: وَاصِل، والصُّعْرَان. وأفخاذ
بطن وأصل عشرة:

١ - المُرِيخَات: (مُرِيخِي).

٢ - البدناء: (بَدِين).

٣ - العُبَيَّات: (عُبَيَّوي).

٤ - الهوامل: (هاملي).

٥ - البرزان: (برازي).

٦ - الدِيَاحِين: (دِيَحَانِي).

٧ - المحالسة: (مُجَلْسِي).

٨ - العوارض: (عارضي).

٩ - العفسة: (عفسي).

١٠ - الوَسَامَى: (وَسَمِي).

٢ - أفخاذ البطن الثاني من بُرَيْه وهم الصعران: ثمانية:

١ - البصايصة: (بصِيصِي).

٢ - الشَّيَلَات: (شَتِيلِي).

٣ - الشَّعَالِين: (شُعْلَانِي).

٤ - ذوي غنمي: (غنمي).

٥ - العبادين: (عبداني).

٦ - الهدلان: (هَدْلَانِي).

٧ - الحمَّادِين: (حُمَيْدَانِي).

٨ - ذوي سعدون: (سعدوني).

الرياض: قيادة القوات الجوية - الشؤون الدينية. ماجد بن طاهر المطيري

المساعيد من بني عقبة

تلقيت من الأخ الكريم راشد بن حمدان بن راشد الأحيوي السعودي في مدينة العقبة كتاباً هذه خلاصته:

ذكرت في كتابك «معجم قبائل المملكة السعودية» أن المساعيد الذي يسكنون البُدْع في الحجاز. ذكرت أنهم من الحويطات وأود توضيح الآتي: —

إن أول من نسب المساعيد إلى الحويطات هو فؤاد حمزة في «قلب جزيرة العرب» ويبدو أنك تابعته على ذلك.

مع أن المساعيد ينتسبون إلى قبيلة عُتَيَّة للأدلة التالية: —

* أن المساعيد في الحجاز يؤكدون ذلك.

* حدثني الدكتور يوسف الضامن من مساعيد نابلس أن المساعيد ينتسبون إلى عُتَيَّة وقال لي: إن الشيخ مشهور الضامن مفتي مدينة نابلس سابقاً قد تعرف بمساعيد عُتَيَّة — وهم من فروع النُفْعَة — وقد كان كبيرهم مُقْعِد الدُّهْنَة.

* أن نَعُوم شُقَيْر في «تاريخ سيناء» عند حديثه عن الأحيوات وهم من فروع المساعيد قال: إن المساعيد كانوا يقطنون بلاد نجد.

* وجود فرع يحمل اسم المساعيد في بلاد نجد وهم قوم الدُّهْنَة.

ملاحظات: ذكر الجزيري في «الدرر الفرائد» أن المساعيد من بني عطية ثم ذكر فريقاً آخر من بني عقبة، وذكر أن الأحيوات من بني عطية.

إلا أن الحقائق تنفي ذلك لما يلي:

أن المساعيد ذُكروا قبل الجزيري، ولم ينسبهم أحدٌ من ذكرهم إلى بني عطية أو بني عقبة ومن ذكرهم:

١ - الحمداني - ذكر القلقشندي ذلك نقلاً عنه - في «نهاية الأرب» وقد ذكرهم القلقشندي مرة أخرى في كتابه «صبح الأعشى» ج ٤ عند الحديث عن عرب الحجاز، وكتابه «قلائد العقبان» وفي كل كتبه قال: المساعيد بطن من عرب الحجاز دون أن ينسبهم.

٢ - ذكرهم ابن فضل الله العمري في القرن السابع دون أن ينسبهم وقد نشرت مجلة «العرب» بحث ابن فضل الله حيث ذكر المساعيد دون أن يُنسبوا.

وبما أود قوله أن بني عطية أنفسهم لا يقولون بانتساب الأحيوات أو المساعيد إليهم. أما عن كون الأحيوات من المساعيد فهذا ما يؤكدُه نَسَابُوا الأحيوات والمساعيد. وذكر ذلك نَعُوم شُقير في «تاريخ سينا» وتابعه على ذلك مؤلف إنجليزي اسمه مَرِي في كتاب له عن بدو مصر بعنوان «أبناء اسماعيل» وللأسف فإن الكثيرين خلطوا في نسب المساعيد ومن ذلك:

١ - رفعت الجوهري في كتابه عن سينا نسب المساعيد إلى الأحيوات.

٢ - موسل في كتابه «شمال الحجاز» ترجمه عبد المحسن الحسيني ص ١٥١ نسبهم إلى بني لَامٍ.

٣ - نَعُوم شُقير في كتابه السابق تابع الجزيري في نسبته المساعيد والأحيوات إلى بني عطية.

أُخْلِصُ إلى القول بأن علماء النسب السابقين للجزيري وهم أعلم منه لم ينسبوا المساعيد لا إلى بني عقبة ولا إلى بني عطية. ولعل الباحث في علم النسب يلاحظ أن المساعيد ذُكروا قبل بني عطية أو الحويطات.

وَتَمَّةُ أمرٍ آخر: إن فخذ النشرة أو النشارة الذي يُعَدُّ في بني عطية ليس في الأصل منهم، وإنما يُعَدُّ معهم وهو يتنسب إلى الأحيوات بقولهم، وقول الأحيوات. لذا فإنني أكتب رسالتي هذه إليكم لاستفيد وأحظى بإجاباتكم الكريمة حول هذه التساؤلات داعياً الله تعالى أن يوفقكم لما فيه الخير.

انتهى كتاب الأخ راشد، الذي يرى - كما يرى غيره من أبناء قبيلة المساعيد - اتصال نسبهم بـ (ذوي مسيعيد) الفخذ المعروف في عشيرة النُّفَعَة من قبيلة عُتَيَّة .



العرب :

ونسبة المساعيد هذه العشيرة التي تسكن شمال الحجاز وصلتها بقبيلة عتيبة يظهر أنها قائمة على أساس تطابق الاسم، للفخذ المعروف باسم (ذوي مسيعيد) من النُّفَعَة من عُتَيَّة واسم تلك العشيرة.

والتطابق أو التشابه في الأسماء كثيراً ما أوقع الخلط في النسب، وهذا مما عرفه علماء النسب منذ أقدم العصور، فقد ذكر الهمداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» ص ١٨٠ من منشورات «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» أن في قبيلة حمير في اليمن فخذاً يدعى (الأجعود) وأن هذا الفخذ ينتسب إلى بني جعدة القبيلة العدنانية مع تباعد النسبة، وقد أوضح الهمداني بطلان هذا، وبين أن مثل هذا الأمر يحدث بين قبائل العرب عندما تتفق الأسماء.

ومن هنا أرى أنه لا صلة بين المساعيد وبين ذوي مسيعيد.

واسم المساعيد يطلق على عدد من العشائر منها من لا يزال معروفاً بين قبائل عصرنا مع تباعدها في النسب، ولا داعي للاطالة بذكر أمثلة ذلك، ومعروف أن اسم مسعود من الأسماء المحبة التي تستعمل كثيراً، ولهذا فلا غرابة أن تكثر العشائر التي تنتسب إلى ذلك الاسم.

أما ما أراه صحيحاً وأطمئن إلى صحته فهو أن المساعيد الذين يتشرون في شمال الحجاز وما اتصل به من البلاد يرجعون في أصلهم إلى قبيلة جُدَام القحطانية النسب، وأنهم من بقايا بني عُقْبَة، القبيلة التي كانت تحل البلاد التي لا تزال بقية المساعيد مقيمة فيها في نواحي البُدْع . فيما بين بلدة طبا وحقل وقبيلة بني عقبة قبيلة قحطانية، ذات حسب ونسب وكانت لها شهرة في الماضي، حيث تقوم

بخفارة الحجاج القادمين من الشام أو مصر في الطريق البري، قال ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الابصار في ممالك الامصار» - انظر مجلة «العرب» س ١٦ - ص ٦١١ - : (وعقبة من جذام، وديارهم من الشوك إلى جِسْمًا، إلى تبوك، إلى تَيْمًا، إلى بَرْد وُرُوف إلى الحَرِيدَا، وهي شرقي الحِجْر. وآخر أمرائهم كان شَطِي بن عُيَيْة، وكان سلطاننا الملك الناصر قد أقبل عليه إقبالاً أحلَّهُ فوق السَّمَائِينَ، وألحقه بأمراء آل فَضْل، وآل مِرَاء، وأقطعته الإقطاعات الجليلة، وألبسه التشريف الكبير، وأجزل له الحَيَا، وعَمَّر له ولأهله البيت والحَيَا). انتهى كلام ابن فضل الله العمري.

ولا داعي للإطالة بذكر نسب بني عقبة إلى جذام ثم تسلسل النسب من جذام إلى قحطان، فهذا من الأمور المدونة في كتب النسب القديمة.

ومن المعروف أن القبائل عندما تكثر فروعها تنتشر تلك الفروع وتتفرق، فتبرز من بينها أسماء فروع حديثة قد تطفئ على الأصل، وهذا هو ما حدث بالنسبة لقبيلة بني عقبة، فقد تفرع منها فروع من أشهرها الخويطات وبنو عطية والمساعد وبنو شاكر وغيرهم، وبقيت بعض هذه الفروع في منازل أصلهم من بني عقبة ومن بقي فيها عشيرة المساعد وإخوتهم، واستمرت هذه العشيرة مع الفروع الأخرى تتولى حراسة طريق الحج كما كان أجدادهم يقومون بذلك.

ففي القرن العاشر الهجري يجد الباحث تفصيلاً وافياً عن المساعد، في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة بأخبار الحاج وطريق مكة المعظمة»، الذي نشرته «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» حديثاً.

والمعلومات التي يحويها هذا الكتاب عن أصل العشيرة مما لا يتطرق إليه الشك، لأمر منها: أن مؤلف الكتاب قد خالط تلك العشيرة عند مروره ببلادها من طريق الحج فنقل ما نقل عن خبره ومعرفة.

ومنها أن تلك المعلومات تدل على تتبع وعناية واهتمام قل أن نجد أمثالها عن - عشائر ذلك العهد.

ومنها أنها تتفق في مضمونها مع ما أشار إليه بعض المتقدمين من انتشار الفروع المتفرعة من قبيلة جُذام في تلك النواحي، من أقدم العصور، بخلاف الفروع العدنانية الطارئة من بلاد الحجاز.

وقد يلاحظ الباحث أن صاحب «الدرر» نسب المساعيد آونةً إلى بني شاعر، وأخرى إلى بني عطية، وثالثة إلى بني عقبة، وليس في هذا ما يعتبر تناقضاً أو تضارباً في النسبة، فبنو شاعر وبنو عطية من بني عقبة وفروع بني عقبة قد تختلط أنسابها باختلاط مساكنها، وهذا أمر معروف بين القبائل حتى عصرنا الحاضر.

ويحسن أن نورد نصوص كلام صاحب كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» على طولها لما تحويه من تفصيل عن أصل هذه العشيرة وعن فروعها وعمّا كانت تقوم به بالنسبة لخدمة الحاج :

١ - قال: (بنو شاعر القفعة وهم بدنان - منهم الزيادات، والعبيات، والأحياد - بضم الهمزة - والطلليحات، والشنجرة - بتشديد الراء - والمساعيد، والمهانية والعطيات) ص ١١٩٦ .

٢ - وقال: (فلما تزايد شرور بني عطية . . وتبعهم طوائف العربان على مثل فعلهم، كالمساعيد من بني عقبة أولاد الأمير سعيقان وغيرهم .) ص ١١٩٧ .

٣ - في الكلام على درك النقب من سطح العقبة إلى جانب البحر وأنه ينقسم إلى أربعة أقسام لأربع بدنان من بني عطية - قال: (القسم الثاني لطائفة المساعيد من بني عطية، ومن أكابرهم عتيق بن مسعود بن دغيم، وعليان بن مشور، وعمران بن حويران من الحوارنة) ص ١٣٣٩ .

٤ - وقال: (وأما عربان المساعيد فهم أصحاب درك مبشر الحاج في العود - منهم عتيق بن مسعود بن دغيم، وعيسى قريه، وعليان بن مشور بن دغيم، ولهم عن درك الباب والضبة بخان عقبة أيلة قديماً خمسة وسبعون ديناراً ونصف دينار، وهي مستمرة الصرف إلى تاريخه، ثم قرّر لمسعود بن دغيم في الأيام المظفرية إنعاماً عليه من غير درك خمسون ديناراً، واستمرت بيد ولده من بعده) ص ١٣٤٥ .

٥ - وقال: (في ذكر بَدَنَات العربان من بني عقبة: (أما المسالة فهم أصحاب درك البحر، ولهم من البر جانب البحر فقط، بعيون الْقَصَب، وحد دركهم من جزيرة عُيُونَة إلى ما جاوز قبر الشيخ مرزوق الكفافي، وإلى القرب من حضرة دامة آخر درك بني عقبة) ص ١٣٦٣ .

ثم ذكر أن الدرك أثلاثاً لكل فخذ ثلث، فالثلث الأول لطائفة من المسالة تدعى الهشامية ومعهم النجادة، ثم ذكر الثلث الثاني فاستطرد حتى ذكر سلسلة نسب كثير من فروع بني عقبة ومنهم المساعيد. وهاهو نص كلامه: (والثلث الثاني: لطائفة تدعى المقارنة: منهم مُعَزِّي بن سياح بن مجري بن مقرن بن عصيلة بن حسن بن غملاس بن مجري بن مسلم، وهو الذي ينسب إليه طائفة المسالة، فيقال لهم المسالة.

ومسلم بن عقال، وعقال هذا أبو طائفة يقال لها العقالات، وهو أصل من أصول بني عقبة جد العمرو، المناصير والمسالة.

وعقال بن عمرو، وعمرو، وهو والد الْعَمْرُو، الذين شيخهم الآن عمرو بن عامر بن داود.

وعمرو بن سياح، وسياح أبو طائفة الخرشنة من بني عقبة، والزبدة والعمرو.

ووالد سياح محمد، ومحمد آل ابراهيم، والمساعد من بني عقبة.

وعقبة والد بني واصل، وبني عطية، وبني شاكر الحجر، والفقعة وبني واصل حميدة.

ويشارك معزي في الثلث الثاني أحمد بن سبع بن مجري) ص ١٣٦٤ .

٦ - وعد بعض أفخاذ عشيرة المساعيد ويسمهم بدنات فقال: (وأما المساعيد من بني عُقْبَة فمنهم بَدَنَات كثيرة، وفروع غزيرة، فلنذكر منها عشرين بَدَنَة، ومنهم أمراء أصحاب مرتبات لا تُقَاء شرورهم، لآعلى درك، وهم أولاد الأمير سعيقان أمير الدُرَّيَّين، ومنزلهم الكرك، وحوالي القدس والخليل، وهم الأمير

مرعب وإخوته قضيب وديع وجماعتهم، وعادتهم يحضر منهم أو من جماعتهم من يقابل أمير الحاج بِعَقَّة أيلة، في الذهاب، فيقبض ما هو معين له بالدفتر السلطاني، ويتوجه فلا يعود إلا في السنة المقبلة كذلك.

وَيَذَنَاتُهُمْ عَلَى مَا نَذَرَهُ:

النجادية: شيخهم الأمير مرعب بن سعيقان.

العسافقة: من الهويدية، منهم محمد بن حميد.

الحياجات: رَبَاعَةُ مرعب آل شَطِي، منهم زعر بن معقل.

الجوادرة: منهم عنيز المسعودي.

المغاينة: منهم حجـاج.

المواهرة: منهم بكر بن أبي بكر، وطوق بن طلحة، وقراد وأخوه.

الشرشدية.

النجادية: منهم شكـم بن صعب ومرعي أبو مخطوم.

الدويسات والهبر: منهم زُوَيْد.

البراغشة: منهم أحمد بن بـذال.

الهويدية: منهم علوي.

الصُّنَاع: — بتشديد النون — منهم عبيد بن كحيل.

العساكرية: — بالياء المثناة التحتية المشددة.

النضرة: منهم درع.

التَّوَيْجِيعِيَّة: — بنون مشددة وبعد الواو ياء مثناة ساكنة وجيم مكسورة — منهم كلاب.

القِيَّوس: — بقاف مثناة بعدها ياء مثناة تحتية — منهم مِيَّاس.

الحِوَّة: — بحاء مهملة وواو مشددة مفتوحة — منهم زين سعيدة.

الخطاطبة: منهم مربوط) ص ١٣٦٨ .

بعد هذه التفصيلات التي أوردها الجزيري عن عشيرة المساعيد مما لم يوردها غيره من المتقدمين لم يَتَقَ مجال للشك في سعة اطلاعه ومعرفته وعلمه بأحوال هذه العشيرة.

أما ما أشار إليه الأخ راشد من أن المساعيد ذكروا قبل الجزيري في مؤلفات ابن فضل الله والقلقشندي — وهما يتقلان عن الحمداني بدون زيادة — فليس في تلك المؤلفات ما يمكن الإعتماد عليه في انتساب تلك العشيرة والجزيري ذكر أصل نسبها، فهو عالم بذلك وهو حجة على مَنْ لم يعرف إلى من تنتسب.

ومما ينبغي أن يلاحظ، هو أن الحمداني واسمه يوسف بن زماج كان (مُهْمَنْدَاراً) أي مدير ضيافة في مصر عند حكامها في آخر القرن السابع الهجري، وكان يعتني بالأنساب، فيسجل أسماء القبائل التي تفد إلى مصر، وما سجله كان مرجعاً لمن جاء بعده، ومع الأسف فإن ما سجل عن أصول كثير من القبائل كان ناقصاً، ولهذا نجد في مؤلفات القلقشندي فيما نقل عن الحمداني أسماء قبائل ذات أصول معروفة، ونقل عن الحمداني أنه لم يذكر لها أصلاً. من ذلك شَمَر والدَّوَّاسر، وهما قبيلتان عريقتان في النسب، ولكن الحمداني ليس بعمق النظرة في ذلك، وسبق أن أشرت إلى أن الجزيري حين نسب المساعيد إلى بني عطية وإلى بني عقبة وإلى بني شاعر أنه يقصد من ذلك اختلاط هذه العشائر التي ترجع إلى أصل واحد وهو عقبة من قبيلة جذام من قحطان.

ويقال هذا في كلام فؤاد حمزة الذي نسب المساعيد إلى الحويطات، فإن الحويطات على ما ذكر الجزيري في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» فرع من بني عطية، وبنو عطية من بني عقبة، فلا تخالف فيما ذكر الجزيري وفؤاد حمزة،

فالأصل واحد، وإنما وقعت النسبة إلى بعض فروع العشيرة بسبب اشتراكها في المنازل واختلاطها.

والقول بأن المساعيد من عرب الحجاز قول صحيح، فبلاد المساعيد الأصلية القديمة هي شمال الحجاز، ولا تزال بقية تلك العشيرة تقيم هناك، فيما بين مدينتي ظبا والعقبة، وتلك البلاد هي بلاد بني عقبة، وقبلهم جذام الذين هم أصل القبيلة.

ونعوم شقير وقع في كلامه - عن أصول القبائل التي كانت تسكن سيناء - أخطاء ليس هذا محل بيانها، وقوله بأن المساعيد كانوا يقطنون بلاد نجد لم يذكر مصدراً لهذا القول من كلام المتقدمين اللذين يعتمد على أقوالهم، ولعله قال هذا حين سمع بأنهم انتقلوا من الجنوب، فظن أن المقصود بلاد نجد، أو أن أحد العامة قال له هذا القول.

وكون بني عطية لا يعرفون انتساب المساعيد أو الأحبوات إليهم، لا يعتبر دليلاً على عدم اشتراك العشيرتين في النسب، فكثير من العشائر جهلت أصولها ومن ثم جهلت الفروع التي تشترك معها في النسب.

بنو لام والمساعيد: أما ما ورد في كتاب موزل «شمال الحجاز» الذي عرّب قسماً منه الدكتور عبد المحسن الحسيني - رحمه الله - عن صلة المساعيد ببني لام، فيظهر أن تعريب الدكتور الحسيني لكلام موزل يحتاج إلى إيضاح، فإن موزل نقل كلام حاجي خليفة في كتابه «جهان نما» في وصف طريق الحج المصري وجاء فيه: (ثم يصل إلى شرف (?)) ويسكنها بنو عطية ويستمر الطريق بين منطقتين جبليتين خلال وادي المظلات حيث يسكن بنو لام، والمنزل المعروف بمغارة شعيب (...). فشرح موزل كلام حاجي خليفة، وجاء في شرحه على ما عرّب الدكتور الحسيني - ص ١٥٠ «شمال الحجاز» - ما نصه: (فوادي الأبيض هو ما يسميه حاجي بالمظلات، وأما بنو لام فلم يبق منهم الآن سوى المساعيد). انتهى. ولعل مراد موزل فلم يبق في منازلهم المذكورة سوى المساعيد، وهذا كلام

صحيح، فالبلاد إذ ذاك من بلاد المساعيد، ولكن قبيلة بني لام كانت في القرن التاسع الهجري ذات قوة ونفوذ في تلك الجهات، بحيث سيطرت على طريق الحج الشامي وامتد نفوذها إلى بلاد بني عقبة الذي يمرُّ به طريق الحج المصري، وحصل اتصال بالمصاهرة بين شيخي القبيلتين قبيلة بني لام وقبيلة بني عقبة، ثم حدث سنة ٩٢٦ هـ أن شيخ بني لام ويدعى سلامة بن فواز ويلقب (جُفَيَّان) وهو من المفارجة من بني لأم - تعرض لركب الحجاج المصريين ومعه نحو عشرة آلاف نفر، وكان بالقرب من الأزلم فيما بين ظبا والوجه، ولكن ركب الحجاج انتصر على سلامة ومن معه، إلا أن الدولة قررت لسلامة في كل سنة من الخزانة السلطانية ألف دينار راتباً له ولأولاده ليكف الشُّرَّ عن الركب المصري ودربه، وضمنه في ذلك صهره عمرو بن عامر بن داود أمير بني عُقبة، وصار وكيلاً عنه في قبض ذلك حتى بعد وفاته، واستمر عَمُرُو على ضيافته وتناوله ما هو مقرر لسلامة.

وقد أوضح الجزيري صلة بني لام بطريق الحج، وبين المواضع التي كانوا يترصدون للحجاج فيها وأكثرها واقع في بلاد بني عقبة فيما بين حقل وظبا.

ومجمل القول أن عشيرة المساعيد التي كانت تقطن شمال الحجاز ولها بقية هناك، تتصل بنسبها إلى قبيلة بني عقبة الجذامية القحطانية، وأنها كانت متشعبة الفروع، أما في العهد الحاضر فقد انكششت بعد انتشار كثير من فروعها واختلاطهم بعشائر أخرى خارج بلادها القديمة.

وهذا لا ينفي وجود فروع تنتسب إلى المساعيد من عشائر أخرى بحيث لا تجتمع معهم في أصل النسب.

إلا أن فخذ الأحيوات لا شك باتصاله بنسب هذه العشيرة فقد عد الجزيري هذا الفخذ من عشيرة بني عطية، فقال - ص ١٣٤٥ - : (ومن أعيان بني عطية طائفة الرشيدات) إلى أن قال: (ومنهم طائفة الخواريين وأصلهم حضري منهم عمران بن حُويران وهو شريك لعتيق بن مسعود في درك الباب بخان عقبة أيلة. ومنهم الأحيوات، منهم أولاد أبي سنيّة، أصحاب درك الدلالة على المياه ←

المضاربة - سكان أباينين -

هم سبعة رجال، جَلُّوا مُنْذُ بَضْعَةِ قُرُونٍ خَلَتْ، عن قومهم قبيلة بني رَشِيدٍ، على أثر فتنة وقعت بين فرعين من فروع القبيلة، فكانت بؤرة الهزة التي أرتجفوا منها، فَأَرْتَحَلُوا صوب جَبَلِ أباينين - اللذين أصبحا موطنين لهؤلاء السبعة الجلولية، ولاحقاً بهم من بعدهم إلى يومِ الناسِ هذا ف (المُضَابِرَةُ) سكان أباينين يعدون اليوم إحدى قبائل منطقة القصيم المشهورة، وهم أحفاد أولئك السبعة - أصحاب الجلوة التاريخية - ومن يشأ أن يعرف شيئاً عن فروعهم وديارهم وأرومة أصلهم فليشظر عنهم (مجلة «العرب»: ج ١، ٢ رجب/شعبان/١٤٠٥ هـ ص ١٢٥).

وقبل أن ألج في صلب الحديث عما هو معروف ومأثور عن هذه الجلوة، لي كلمة قصيرة وددت أن ألمح إليها، وهي أن قصتنا التي أتحدث عنها ليست كغيرها من الحوادث التي يتعرض لها الإنسان من وقتٍ لآخر، فهي تعتبر من ألمع القصص التاريخية، طرافة وإثارة، من حيث سيرتها ومسار أحداثها، إنها جديرة بأن يُعْنَى

→ والأحطاب، من عقبة أَيْلَةَ إلى شَرْفَةِ بني عطية، ولهم مقرر قديم من الخزائن السلطانية عشرة دنانير، ومن بني عطية طائفة السوارقة) إلى آخر ما ذكر.

وقد أطلت بإيراد نصوص الجزيري إذ كتابه ليس معروفاً لدى كثير من القراء، مع احتوائه على معلومات قيمة تتعلق بالقبائل التي تقع منازلها على طريق الحج المصري المار بساحل البحر، وقد سجل تلك المعلومات أثناء تردده في ذلك الطريق، إذ كان كاتباً لأمير الحج هو ووالده من قبله في خلال النصف الأخير من القرن العاشر الهجري.

حمد الجاسر

بها أدبياً وتاريخياً، لكونها واحدة من أوفى القصص التي تبين وتحكي لنا حياة وتاريخ ونسب عشيرة، لها شهرة وصيت بين مجتمعيها، فالباحث يجد فيها من نواذر الأخبار الصحيحة، ومن دروس العبر الكثير، وما أنشره عنها هنا من روايات لا تعدو كونها جزءاً أقتطفت من أكليلها.

تاريخ الجلاء: إعتاد العرب في العصور الوسطى لاسيما القبائل منهم التي تعيش متجولة في أرجاء موطنها الأولى داخل الجزيرة العربية أن يؤرخوا أوقاتهم الزمنية منسوبة إلى الحوادث التي تواجههم، سواء كانت خيراً أو شراً، فمصب اهتمامهم يقع على أحداث زمنهم، الذي يعيشون فيه، ولا يكون الحدث بأي حال من الأحوال موضع اتفاق بينهم أبداً، بل تختلف تسميته بين من يعيش هنا ومن يعيش هناك.

ولذلك فمن الصعب جداً أن نعرف بالتمام التاريخ الحقيقي لهذا الجلاء، في عصر جهل فيه التدوين، وعمت الأمية فيه مجتمعاتهم، ولهذا لا نملك شاهداً يوضح لنا زمانها، ولكننا إذا قارنا بعض الشواهد بما يتحدث فيه بعض الرواة، رجحنا القول بأنها وقعت فيما بين أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر، وهذا ما حملني على القول أنها حدثت منذ بضعة قرون لأن (البضع) في اللغة ما بين الثلاثة إلى التسعة.

بواعث هذه الفتنة وأحداثها: اختلف ذوو المعرفة اختلافاً ظاهراً في منشا هذه الفتنة وبواعثها، التي كادت تشمل أطرافاً غير طرفيها، لوبقيا متصدين لبعضهما فترة أطول، فالرواة مختلفون في البواعث، لكنهم متفقون على أن الفتنة وقعت بين فرعي (القعايب) و (النوامسة) من جهة، وبين عصابة قيل إنهم تسعة رجال من فرع (المضابرة) من جهة أخرى، والجميع كلهم من قبيلة بني رشييد، والفتنة في جوهرها لا تخرج عن خلاف أعقبه سوء تفاهم.

أما عن مجريات أحداثها، فالعارفون بها يقولون: اجتمع فرعا القعايب والنوامسة ذات ليلة ليُعِدَّا خطة بمقتضاها يهجمان على عصابة الرجال السالف

ذكرهم بغتة، لينالوا منهم ضالتهم، التي كانت مَبْعَثَ فَرْعٍ لَهُمْ، كل ذلك يجري وفي القعايب امرأة نَاكِحٌ فيهم، هي بنتُ لأحد الرجال العصابة من المضابرة، وكانت يومئذٍ نَفْسَاءً، تسمع نجواهم وهم عنها غافلون، فما كان منها بعد أن تيقنت بما عقدوا عليه العزم، إلا أن ربطت بطنها بحزامٍ من حبلٍ ليساعدها على ما تحسُّ به من ألمٍ، فهرعت مُشْمِرَةً عن ساقِيها، فَأَتَتْ أَبَاهَا وعصبتها، فَأُنْبِأَتْهُم بما سمعت، وعادت من حيث ذهبت دون أن يعلم أحدٌ بامرها.

وبواسطة هذه المرأة عَلِمَ الْمُضَابِرَةُ بأن خصومهم سيبيتون من منتصف ليلتهم بما يسمى ذلك الحين بـ (ضَلِيع ضالٍ)، ليشبوا منه صباحاً عليهم، ولذا بادر المضابرة أَنْفُسَهُم بالوثوب إلى - ضليع ضالٍ - لياخذوا الحذر والحيلة مما عَلِمُوا به، فمالبثوا إلا وخصومهم يصعدون الضَلِيعَ بِأَتَجَاهِهِمْ سِيراً على الأقدام، فأمهلوهم حتى كادوا يَخْتَلِطُونَ معهم، عندئذٍ أَطْلَقَتِ النَّارُ عَلَيْهِمْ، مما أسفر عن مقتلٍ مؤلَةٍ لَكُلِيهِمَا، تَخَضَّتْ حَسِماً قَيْلٌ عن مقتل رجلين وإصابة آخر من المضابرة، وثمانية رجال من الجانب الآخر، وقيل ستة، كما قيل أكثر من ثمانية، والله وحده أعلم بمن قُتِلَ، والنتيجة أن كل، قَتِيلٍ فيها هو رَشِيدِيٌّ.

هذه الواقعة، غَيَّرَتْ اسم - ضليع ضالٍ - ليصبح بعدها يعرف بـ (بضليع الرجاجيل) لكثرة ما قُتِلَ بسفحه من الرجال، وهو يَقَعُ على مسافة ثمانية أكيالٍ تقريباً غرباً من قرية (صَفِيطٍ)^(١). و (ضال) وادٍ تنطلق سيوله من شعاب الضليع، حيث تجتمع بأصله مكونة بذلك وادياً يتجه صوب الشمال حتى يصب في وادي المخروق^(٢).

(١) انظر عن صَفِيطِ المعجم الجغرافي لشمال المملكة لحمد الجاسر ج ٢ ص ٧٨١.

(٢) كذلك انظر عن وادي المخروق نفس المصدر ج ٢: ص ٩٥٧ في رسم العرشزي

موقف القبيلة من هذا النزاع: مجتمع القبيلة قديماً كان قائماً على أسس من الروابط الاجتماعية التي منها يستمد مصدر قوته، من أهمها الرابطة العصبية العرقية، التي يتمسك بها تمسك المرضع برضيعها، وقد اعتاد هذا المجتمع أن يعيش حياة البداوة بحلاوة مذاقها ومرارة نكدها، في ظل أعراف وتقاليده قبلية بحتة، تحكم بين مختلف فئاته إذا ما نشب بينها نزاع، وقل أن تجد فريقاً لا ينجح لحكمها، وإن وجد أحد لا ينصاع لها، اعتبر خارجاً عن إرادة الكل وقيل من شأنه.

ومن هنا نرى أن المضاربة سكان أبان، وهم جزء من قبيلة بني رشيد اضطروا في يوم ما للجلاء عن ديار قومهم، من جراء فتنة أوجزنا شيئاً من خبرها في هذا البحث، بعدما تملك اليأس نفوسهم، من استحالة حل نزاعهم مع إختوم بالنسب والحسب، بالطرق التي تحكم إليها المجتمعات القبلية قديماً.

ولا شك أن الواجب كان يفرض على القبيلة أن تتخذ موقفاً يساعد على فض هذا النزاع، الذي أخذ يضطرم ناراً في جزء منها، لكن موقفاً كهذا غير معلوم، بل يكتنفه كثير من الغموض، إذ لا نجد ما يبين لنا ذلك، من نزاع أو شك أن بيد حياة عصبية أقلية، لو لم يبادر أفرادها بإبعاد نجعتهم عن أنظار خصومهم بالجلاء المشهور.

لكن الشيء الذي يسترعي انتباه الباحث أن السبعة الجلوية ما برحوا شبرا من الأرض جالين حتى ضمن لهم فرع (القمور) من المهامزة من بني رشيد ضماناً قاطعاً، بالمحافظة على حياة ذراريهم من بعدهم ورعايتهم، حتى ينهى الله أمراً كان مفعولاً، فكان لهم ذلك، وجاء الجلاء من بعده، حيث اجتمع شملهم بعد عام من جلوتهم، وهذا يفسر لنا أن الجلاء تم بإيعاز من رؤساء القبيلة وحكائها، فإن كان هذا هو الموقف، وما أظنوه إلا كذلك، فأحسنوا صنعا.

أما اختيارهم لجبلي أبان بالذات ليكون ملجأ لهم، فإن الدخول في مثل ذلك قد يجرنا إلى حديث أطول ويخرجنا عن صلب موضوعنا، ولكن الذي لا جدال فيه

أَنَّهُ مِنْ مَّائِرِ الْآبَاءِ وَالْجُدُودِ، كَبْنِي عَبْسٍ وَفَزَارَةَ مِنْ غَطْفَانَ، فَاتَوْهُ وَهُمْ أَعْرَفُ
النَّاسِ بِمَسَالِكِهِ.

هؤلاء هم السبعة الجلوية:

- ١ - بدوي: وكان عقيدهم، وإليه ينتسب فرع ذوي بدوي من المضاربة.
- ٢ - حُيَّةُ: وإليه ينتسب فرع الحُيَّات.
- ٣ - فَدْغَان: ويلقب بشقامي، وإليه ينتسب فرع الشُّقَّان.
- ٤ - ذِيحَّان: وإليه ينتسب فرع الذُّحَّان.
- ٥ - قُصَّان: وإليه ينتسب فرع القِصَّان.
- ٦ - فَرْحَان: ويلقب بالزُّقَّع، وإليه ينتسب فرع الزُّقُوع، وهم اليوم في السلام.

٧ - سَلَامُ: وإليه ينتسب فرع السَّلَام، و - سَلَام - هذا فيه وجهة نظر
بين المضاربة أنفسهم، فجمهرتهم يقولون: إن السابع هو (عدوان) بينما يؤكد
الباقيون أَنَّ سلاماً نفسه إحدى السبعة، وأنا لستُ على بينةٍ من ذلك، لكن المنتسبين
اليوم إلى سلام هم أكثر فروع المضاربة عدداً.

وهؤلاء هم الذين لحقوا بهم من نفس لحمتهم:

- ١ - عدوان: وإليه ينتسب فرع العدوان، من المضاربة، وهو المقصود بالكلام
تجاه سلام.
- ٢ - زُهَيْمِيل: وإليه ينتسب فرع الزهاميل.
- ٣ - رديفان: وإليه ينتسب فرع الرِّدَّافين.
- ٤ - الخرمسان.
- ٥ - السقاريصة.
- ٦ - الأصاليست.

وبعد هذه اللوحة التاريخية المصغرة عن المضاربة سكان (أبان) فإن لي كلمة
اختم بها هذا البحث، وهي أَنَّ بواعثَ هذه الفتنة قد وُلَّتْ وزالتْ إلى غير رجعة، ←

مع القراء في أسنلتهم وتعليقاتهم

الصُعائين من الموهمة من مُطير

كتب إلى مجلة «العرب» الأخ إبراهيم بن عبد الرحمن الصعنوني، في إدارة التعليم في بريدة كتابات مطولة حول أصل أسرته التي ينتمي إليها، وهو من الصُعائين - واحدهم صعنوني.

ويقول الأخ في كتابه: إن الصُعائين هاؤلاء من فخذ الموهمة من عُلّوا من قبيلة مُطير، وقد نزحوا من الأرطاوية هم وأقارب لهم يدعون النمير، بين الأسرتين قرابة وصلة صهر، لا من حيث النسب، فسكن الصُعائين في قرية الخضر شرق القصيبة من ملحقات مدينة بُريدة، وأما النمير فسكنوا في النبهانية، ثم نزحوا إلى قرية القراء بطريق عيون الجواء.

ومن الصُعائين أناس في الرياض وفي بريدة، وذكر الأخ الكاتب أنهم لما نزحوا من الأرطاوية نزلوا قرية طريف الحبل قرب مرارة، وأقاموا فترة، حدث في أثنائها حرب سببت انتقال الصُعائين وأصهارهم آل غير.

وآل غير هاؤلاء من قبيلة عنزة - على ما ذكر الأخ إبراهيم -

وأشار إلى أن لهم آباراً في قرية طريف الحبل معروفة الآن للصُعائين وللنمير.

هكذا ذكر الأخ في كتابه وأشار إلى أن الصعنون أو الصعنين في الرس وفي البدائع وفي عنيزة ليسوا من الصُعائين الذين ذكر بلى من قبيلة أخرى. هذا ملخص ما ذكر الأخ إبراهيم في كتابه.

→ فأصبحت الروابط الأسرية من جهة الخؤولة وغيرها بين من كانوا قطبي رحاها بالأمس، هي اليوم كالرابطة بين أوردة الشرايين وقلب الإنسان.

الرياض: عطاء الله بن ضيف الله الرشدي

أما قرية طريف الحبل التي أشار إليها فأنا لا أعرف قرية بهذا الاسم . وطريف الحبل ليس قرية - على ما أعلم - بل كثيب من الرمل ممتد شرق الوشم ويعرف قديماً باسم رمل الرغام .

كما ذكر الأخ إبراهيم أن انتقال أسرهم من الأراطوية إلى الخضر في عهد جده عبد المحسن المرزوق المريزيق من حوالي ١٣٠ سنة .

إلا أن الأراطوية لم تنشأ إلا في سنة ١٣٣٦ هـ على وجه التقريب من أوائل هجر الاخوان التي أنشئت في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - فعهد إنشائها لم يمض له أكثر من ٧٠ عاماً .

آل سلطان الحرقان - من عبدة

كتب الأخ سيف بن سعد مدير العلاقات العامة في إمارة عسير إلى مجلة «العرب» ملاحظاً عدم ذكر عشيرة آل سلطان الحرقان من عبدة في كتاب «معجم قبائل المملكة» . وأشار الأخ إلى أن لشيخ هذه العشيرة سيف بن نورة من الأثر الحميد عند بدء حكم الملك عبد العزيز - رحمه الله - حيث جمع قبائل عبدة وغيرها من قحطان بموضع يدعى الآن روضة نورة في وادي الشرف أحد روافد وادي تثليث المشهور، ويسمى ذلك الشرف، شرف الحرقان . وقد سارت تلك العشائر بقيادة ابن راشد ومعهم من مشايخ قبائل قحطان ابن شفلوت وابن نورة إلى بدر الجنوب، وبعد معركة طاحنة تمكن عوض بن سيف بن نورة وأحد قومه وهو سيف بن غانم بن جريدي من آل سلطان من حفر أساس القلعة التي تحصن فيها العدو في بدر، ففتحت وتم الاستيلاء عليها .

هذا أحد المواقف لعشيرة ابن نورة شيخ آل سلطان الحرقان من عبدة . هذا ملخص ما كتب به الأخ الكريم أحد أفراد تلك العشيرة، وكان من الأفضل لو فصل لنا جميع أفخاذ قبيلة عبدة بما فيهم الحرقان وهل الحرقان يدعون آل سلطان أم هما عشيرتان ؟، أما الإشارة إلى ما لشيخ القبائل من مآثر حميدة فمرجع ذلك إلى كتب التاريخ، أما كتب الأنساب فهي لا تستقصي ولا تتوسع في مثل هذه الأمور وشكراً للكاتب الكريم .

■ معجم المطبوعات العربية - المملكة العربية السعودية :

وصدر الجزء الأول من هذا الكتاب الذي يعتبر بحق دراسة وافية لجميع مظاهر الثقافة في المملكة العربية السعودية منذ منتصف العقد الخامس من القرن الماضي إلى منتصف العقد الأول من قرننا الحالي، تأليف أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر، وماذا يقول المتحدث عن هذا الكتاب؟ أو ماذا يصف به مؤلفه وهو في علمه وسعة اطلاعه وعمق بحثه ممن لا يزداد بالوصف تعريفاً؟! وما يمكن أن يقال عن هذا الكتاب انه سجل حافل تتبع مؤلفه منابع الثقافة على مختلف

القُبعة لا (القَيْصَة) من حرب

كتب إلي الأخ الكريم راضي بن عياد القبعي الحربي من الفوارة في القصيم كتاباً بتاريخ ١٤٠٥/١٠/١٥ يلفت النظر إلى أنه وقع في كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» - ص ٧٥١ - السطر السابع في ذكر قبيلة مزينة في فرع بني مسعود، ما هذا نصه:

العُونة: (عَوْنِي) - القَيْصَة (قَيْصِي).

والصواب: العونة: (عَوْنِي) - القُبعة (قُبَعِي).

وشكراً للأخ الكريم.

أما الإستيضاح عن الكتب التي تبحث في نسب قبيلة حرب وتاريخها فمنها: -

١ - كتاب «نسب قبيلة حرب» للأستاذ عاتق بن غيث البلادي وهو مطبوع.

٢ - وفي كتاب «الإكليل» - ج ١ - للهمداني صاحب «صفة جزيرة العرب» بحث مفصل عن انتقال قبيلة حرب من اليمن وانتشارها بين مكة والمدينة ومحاربتها لقبائل تلك المنطقة حتى اخضعتها.

أنواعها في هذه البلاد، فسجلها في خلال تلك الفترة، ولم يقف عند حدّ التسجيل، بل أضاف إلى ذلك ومضاتٍ فكرية تلقى الأضواء على كثير من جوانب تلك الثقافة، وتوضح بعض آثار الالتقاءات الفكرية، ومنابعها القديمة والحديثة.

وبالإجمال فهذا الكتاب يعتبر بالنسبة لموضوعه أوفى مرجع وأوثق، كُتِبَ بأسلوب علمي، بعيد كل البعد عن أي مؤثر من المؤثرات التي اعتاد قراء عصرنا أن يجدوا منها ما يصدف عن الرجوع إلى كثير من مؤلفات هذا العصر.

لقد صدر الجزء الأول من الكتاب يُحوي مقدمة ضافيةً تقع في ٢٢٢ صفحة، عرض فيها الأستاذ الدكتور بعد سرد الرموز والمختصرات أنه في ١٣٨٣/٥/٢١ هـ نزل الرياض متعاقداً للتدريس بكلية الآداب من جامعتها، وكان لا بُدَّ من أن يُلمَّ بشؤون الأدب في هذه البلاد، واسترسل في عرض الطريقة التي سار عليها، ثم أفضت به إلى أن يتوسع في هذا السير ليرز نتيجته في معجم كامل يحوي نتاج الأدباء والمثقفين والعلماء في فترة حدد أولها من سنة ١٣٤٤ هـ، ثم سار يزيد في نهايتها شيئاً فشيئاً، وأوفي الكلام عن ذلك مستعرضاً أهم المؤلفات التي رجع إليها، وكما ورد في الأثر: طالبان متهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال، وهكذا سار الأستاذ الدكتور في طريقته في تأليف هذا الكتاب الذي صدر جزءه الأول يحوي بعد المقدمة المعجم المرتب على الحروف من إبراهيم إلى عبد الفتاح.

ووقع في ٦١٨ صفحة بطباعة حسنة ساعدت جامعة بغداد على نشره وطبع في (مطبعة اشبيلية الحديثة)، وهو من منشورات المكتبة العالمية في بغداد، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

□ محمد حسن عواد شاعراً :

يسر المعني بالنشاط الثقافي في بلادنا أثناء استعراض حركته أن آثاره لا تقتصر على الأدباء والباحثين وحدهم، بل تشاركهم في ذلك أخواتهم من الكاتبات والباحثات، ومن - والله الحمد - قد أصبحن من الكثرة بالدرجة التي تعجب وتسُرُّ. ومن آخر ما وقع في يدي من الدراسات الحديثة، ما كتبه السيدة الفاضلة آمنة

عبد الحميد عقاد عن « محمد حسن عواد شاعراً » ، وهو كتاب جاء في مقدمته أنه أعيدَ استكمالاً لمتطلبات درجة (الماجستير) في قسم اللغة العربية – كلية الآداب جامعة الملك سعود – أثناء العام الدراسي (١٤٠٢/١٤٠١) ، مع الإشارة إلى أن هذه الدراسة نشرت بدون تعديل أو حذف أو إضافة .

وبمطالعة أبحاث الكتاب وتصفح صفحاته ، يبدو أثر الجهد الذي بُذل في إعداده ، وهو يحوي أربعة أبواب :

الأول : حياة العواد .

الثاني : شعر العواد وآراؤه النقدية .

الثالث : عالم العواد (أي الموضوعات التي طرقها كثيراً في شعره) .

الرابع : الصياغة الفنية .

وهذه الدراسة تقع في ٤٦٤ صفحة بطباعة حسنة (بمطابع دارالمدني في جدة) وصدر عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

□ الخطيئة والتكفير:

والحديث عن الأستاذ محمد حسن عواد يجر إلى ذكر معاصره الأستاذ حمزة شحاتة، إذ مضى وقت كان لا يُذكرُ اسم أحدهما إلا مقروناً باسم الثاني، والأستاذ حمزة شحاتة تصدى لدراسة شعره باحثٌ سار في دراسته على أسس حديثة، ولم تقف تلك الدراسة عما للأستاذ حمزة شحاتة من شعر، بل شملت كثيراً من أفكاره التي عبر عنها نثراً.

هذا الباحث الذي عُني بأدب الأستاذ حمزة شحاتة هو الدكتور عبد الله بن محمد الغدامي، واسم كتابه الذي حوي تلك الدراسة «الخطيئة والتكفير» – من البنيوية إلى التشرحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر –

والواقع أنَّ الدكتور الغداميَّ سلك في دراسته هذه مناهج قد لا تكون غريبة ولا جديدة بالنسبة لذوي الدراسات العميقة في الأدب، إلا أنها بمقارنتها بما اشتهر

من الدراسات الأدبية تعتبر على درجة من الجدة والعمق. وتقع هذه الدراسة في ستة فصول، أولها: البحث عن نموذج، والثاني: فلسفة النموذج، والثالث: آدم حياً، آدم خطأ، والرابع: انفجار الصمت (تفسير النص)، والخامس: الموال الحجازي، والسادس: الصوت المبحوح، ثم مراجع الدراسة التي بلغت ٨٥ مرجعاً منها ٣٣ بغير اللغة العربية ثم فهرس يحمل مرتب على الحروف لمواد الكتاب الذي وقع في ٣٨٢ صفحة، مطبوعاً بمطابع (دار البلاد) في جدة بطباعة حسنة وصدر عام ١٤٠٥، وقام بنشره النادي الأدبي الثقافي في جدة فكان الحلقة ٢٧ من منشوراته.

□ الحجاز واليمن في العصر الأيوبي:

وقامت «تهامة» للنشر بنشر كتاب «الحجاز واليمن في العصر الأيوبي». للدكتور جميل حرب محمود حسين، فكان الحلقة الثلاثين من سلسلة الكتاب الجامعي الذي تصدره «تهامة».

والمؤلف الفاضل أقام في الحجاز أكثر من سبع سنين متنقلاً بين مدنها الثلاث، كما زار صنعاء وبعض مدن اليمن مع تروده على المكتبات المشهورة في القاهرة للبحث عن المراجع التي استقى منها معلومات كتابه الذي تقدم به لنيل درجة (الدكتوراه) وهو يحوي خلاصة مستفادة مما رجع إليه من مختلف المصادر التي بلغ تعدادها في آخر الكتاب أكثر من ١٨٠ مرجعاً - عن الموضوع الذي خصص له.

ويقع الكتاب في أربعة أبواب:

الباب الأول: الحياة السياسية في الحجاز واليمن.

والباب الثاني: الحياة الاقتصادية في القطرين المذكورين.

والباب الثالث: الحياة الدينية والفكرية فيها.

والباب الرابع: عن الحياة الاجتماعية، ثم الخاتمة والملاحق، فقائمة المصادر والمراجع.

ويقع الكتاب في ٢٨١ صفحة مطبوعاً بـ (مطابع السحر) بمدينة جدة.

ج ١١ و ١٢ الجهاديان ١٤٠٦ هـ - كانون ثاني / شباط (يناير/فبراير) ١٩٨٦ م

البلدانيات الحديثة من مصادر الدراسات الجغرافية

حين قرأت ما كتبه الأخ الحبيب الأستاذ عبدالله محمد الحبشي عن رحلة الحافظ ابن حجر إلى اليمن في هذا الجزء من «العرب» ذكرت أنني اطلعت في أحد المؤلفات على كلام منسوب للحافظ يتعلق بضغط اسم (أبي عريش) المدينة المعروفة في منطقة جازان (المخلاف السلياني). وأنه ضغطه بضم العين، خلافاً لما هو معروف الآن.

وحين راجعت الأخ الأستاذ الحبشي مستوضحاً: اليس للحافظ ابن حجر رحلة مؤلفة بصف فيها ما شاهده في بلاد اليمن؟، وذكرت له ما قرأته من الكلام المنسوب إليه، نفى الأستاذ الحبشي علمه بكون ابن حجر ألف عن رحلته، وقال: لعل اسم أبي عريش ورد في أحد مرويات ابن حجر فيا يسمى (بالبلدانيات)

وكان لدي نسخة مصورة من «بلدانيات السخاوي» أكرمني الأستاذ الباحث المحقق أبو عبد الرحمن بن عقيل بتلك النسخة، كنت استفدت منها حين نشرت رسالة ابن فهد «حسن القرى في ذكر أودية أم القرى» في مجلة «العرب» - ص ١٨ ص ١ وما بعدها - ونقلت من مقدمتها كلام مؤلفها عن أول من ألف في البلدانيات، وهي الأحاديث النبوية التي رواها علماء منسوبون إلى بلدان متعددة،

وأنه عتيق بن علي بن داود السمنطاوي الصَّقْلِيّ المتوفى سنة ٤٦٤هـ تلميذ الحافظ أبي نعيم الاصبهاني.

ثم رجعت هذه الأيام إلى مطالعة الكتاب (بلدانيات السخاوي) فرأيت فيه مما يفيد الباحثين في معرفة ما تتصف به أشهر البلدان الإسلامية في القرن التاسع الهجري، ما هو جدير بالاهتمام والدراسة، بحيث يعتبر من المراجع التي لا يستغني عنها من يهتم بوصف البلدان ودراسة أحوالها.

وقد رأيت من المناسب أن أقدم للقارئ نماذج مما تحدث به السخاوي عن عدد من المدن المشهورة في أقطار العالم الإسلامي حسبما شاهدها في عصره.

ومن المعروف أن الحافظ السخاوي ولد سنة ٨٣١هـ في مدينة القاهرة وتوفي سنة ٩٠٢هـ في المدينة المنورة، وأنه قام بسياسة في كثير من البلدان الإسلامية، وله مصنفات كثيرة أشهرها «الضوء اللامع» و«التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة». وقد ترجم نفسه في «الضوء».

والحافظ السخاوي ممن عُني بعلم الحديث النبوي، فهو حينما يورد الحديث الذي يرويه يُتبعه بذكر من خرَّجَهُ، ويورد مختلف الروايات فيه، وما يتصل به من الآثار مما يهتم به الدارسون للحديث النبوي الشريف.

وقد بدأ كتابه بذكر خمس مُدن ذات فضائل مشهورة في العالم الإسلامي، لم يُراعَ في إيرادها ذكرها في مواضعها بحسب ترتيب الحروف، بل قدّمها لفضلها، ثم اتبعها بالبلدان مرتبة على الحروف، فبدأ باسم (اسكندرية) واستمر في الترتيب حتى كان آخر ما ذكر (ينبع) وهو البلد الثمانون، قال عنه: البلد الثمانون: يَنبُعُ وهي بفتح المثناة التحتانية وضم الموحدة - وقد تُشَبَّعُ^(١) - ثم عين مهملة: قرية كبيرة من بلاد الحجاز، قريبة من المدينة الشريفة، بينهما سبع مراحل، بها حصن وعميون جارية حلوة ظبية، وحدائق وبساتين، وينزلها الحجيج المصري ذهاباً وإياباً ولها قُرْصَةٌ على البحر، على قمرحلة منها، ويقربها جبل رَضْوَى مُطلٌ عليها من شرقها، يحمل منه حجر الجَمْسَن إلى سائر الأقطار، وأكثر سكانها أو الكثير منهم

زَيْدِيَّةُ شُرَفَاءُ مِنْ بَنِي حَسَنِ، سُمُّوا الْأَلْوَانُ، وَيُقَالُ: إِنَّ بَهَا وَقَفًا لِعَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَتَوَلَّاهُ أَوْلَادُهُ، وَهِيَ مِمَّنْ سَمِعَ بَهَا شَيْخُنَا^(١) وَشَيْخُهُ، وَحَدَّثَ بَهَا الْوَلِيُّ الْعِرَاقِيُّ بِقِرَاءَةِ الشَّرَفِ الْمَنَاقِبِيِّ، وَكَذَا سَمِعَ بَهَا أَبُو حَيَّانَ وَمَسْعُودُ الْحَارِثِيُّ الْحَنْبَلِيُّ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَرْزُوقِ الْمَدَنِيِّ، وَكُنْتُ مِمَّنْ سَمِعَ بَهَا الْحَدِيثُ عَنْ أَوْرَدْتُ حَدِيثَهُ فِي (الْعُقْبَةِ)، وَكَذَا فِي (سَرِيقُوس) وَلَقِيتُ بَهَا الشَّيْخَ عَلَاءَ الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشِّيرَازِيَّ ثُمَّ الْمَكِّيَّ الشَّافِعِيَّ فَسَمِعْتُ مِنْ لَفْظِهِ خُطْبَةً شَرَحَ عَلَى «الْحَاوِي»، وَشَيْئًا مِنْ أَوَّلِ تَفْسِيرِهِ، وَأَشْيَاءَ مِنْ تَصَانِيفِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَنْتَهِيَا لِي الْآنَ لِإِرَادَةِ شَيْءٍ مِنْهُ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ وَكَانَ جَارِيًّا فِي النَّزُولِ بِهَا حِينَ تَوَجَّهْنَا إِلَى مَكَّةَ، وَغَيْرِهِ بغيرِهَا عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ الْحَنْفِيِّ .
ح^(٢) - وَأَخْبَرَنِي عَلِيًّا الْعِزُّ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ كِلَاهُمَا عَنْ الْعِزِّ أَبِي عَمْرِو بْنِ جَمَاعَةَ فِيمَا أُنْشِدَ لِنَفْسِهِ:

اعْذُرْ أَخَاكَ إِذَا وَافَى بِمَنْكَرَةٍ فَهَلْ رَأَيْتَ صَدِيقًا مَالَهُ زَلُّ؟
وَهَلْ رَأَيْتَ صَفَاءَ مَا بِهِ كَذْرُ؟ ضَوْءُ السَّرَاجِ لَهُ التَّدْخِينُ يُجْتَمَلُ

سَترَ اللَّهُ عِيُونَنَا وَغَفَرَ ذُنُوبَنَا وَجَمَعَنَا مَعَ أَحِبَّائِنَا وَأَهَالِينَا فِي مَسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. انْتَهَى.

وَسَأُورِدُ بَعْضَ مَا ذَكَرَ مِنَ الْبُلْدَانِ مَرْتَبًا حَسَبَ تَرْتِيبِهِ، وَلَا أُطِيلُ بِذِكْرِ مَا لَا يَنْتَصِلُ بِتِلْكَ الْبُلْدَانِ:

١ - الْبَلَدُ الْأَوَّلُ: جُدَّةُ: وَقُدِّمَتْ لِلضَّرُورَةِ وَهِيَ - بِضَمِّ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ، ثُمَّ هَاءَ - بُلَيْدَةٌ بِشَاطِئِ الْبَحْرِ عَلَى مَرَحِلَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ مِيلًا، وَهِيَ مَرَّسَاتُهَا، وَفُرْصَتُهَا بِلْ سَاحِلُهَا الْأَعْظَمِ، وَمِنْهَا يَرْكَبُ الْمَسَافِرُ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْبِلَادِ، وَأَوَّلُ مَنْ جَعَلَهَا سَاحِلًا عَثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَعْدَ اسْتِشَارَتِهِ النَّاسَ فِي ذَلِكَ لَمَّا سُئِلَ فِيهِ فِي سَنَةِ ثَمَنِينَ وَعَشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ سَاحِلُ مَكَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ الشُّعْبِيَّةَ، وَيُرْوَى فِي فَضْلِهَا مِمَّا لَا يَبْصَحُ عَنْ ابْنِ عَمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَرْفُوعًا: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ أَفْضَلُ الرِّبَاطِ رِبَاطُ جُدَّةَ، وَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

— رفعه أيضاً: أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة في الدنيا أولهنَّ الاسكندرية، وعسقلان وقزوين وعبادان، وفضلُ جدة على هاولاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيوت، ذكرهما ابن الجوزي في «الموضوعات» وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه أيضاً: مكة رباط، وجدة جهاد، أخرجه الفاكهي، وسنده ضعيف جداً، وهو عنده عن ابن جريج من قوله، وقال ابن جريج عقبه: وإني لأرجو أن يكون فضل المرباط بها على غيرها كفضل مكة على سائر البلدان، وعنده أيضاً من جهة ابن جريج عن عطاء قال: إنما جدة خزانة مكة، وإنما يؤقَّب به إلى مكة، ولا يخرج به منها، ومن جهة ضوء بن فحجر، قال: كنت جالساً مع عبادة بن كثير في المسجد الحرام فقلت: الحمد لله الذي جعلنا في أفضل المجالس، وأشرفها، فقال: وأين أنت عن جدة؟ الصلاة فيها سبعة عشر ألف صلاة، والدرهم فيها مئة ألف، وأعمالها بقدر ذلك، يغفر للناس فيها مئة بصره. قلت: رحمك الله عما يلي البحر؟ فقال: مما يلي البحر. ومن جهة عبيد الله بن سعيد بن قنديل قال: جاءنا فرقد السبخي بجدة فقال: إني رجل أقرأ هذه الكتب، وإني لأجد فيها أنزل الله عز وجل من كتبه: جدة أو جديدة يكون بها قتل وشهداء لا شهيد يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم^(٢)، وذكر ابن جبير^(٣) أنه رأى بها أثر سور مُحَدِّقٍ بها، وأنه كان بها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة، يُذكر أنها منزل حواء أم البشر، زوج آدم — عليهما السلام — فلعله المكان الذي يقال له الآن قبر حواء، وقد قال ابن عباس — رضي الله عنهما — كما عند الفاكهي: إن قبرها بجدة، ومما ذكره ابن جريج: أن بها مسجدَيْن يُنسَبَانِ لعمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يقال لأحدهما مسجد الأبنوس، لساريتين فيه من خشب الأبنوس، وهو معروف إلى الآن، وأما الآخر فيمكن أن يكون هو المسجد الذي تقام فيه الجمعة بها، وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن فيما قيل^(٤)، وهي من البلاد التي سمع بها الطبراني على بعض شيوخه، وأبو حيان على أحمد بن محمد بن الحسن الحرازي الزبيدي، وكذا شيخنا^(٥) وإليها ينسب جماعة منهم أحمد بن سعيد بن فرقد، وجابر بن مرزوق أبو عبد الرحمن، وحفص بن عمر بن عبد الله، وعبد الملك بن إبراهيم، وعلي بن محمد القطان شيخ أبي محمد الأكفاني.

وفي الصحابة - رضي الله عنهم - من ينسب الجدّي - بفتح الجيم لكون في بعض أجداده من اسمه الجدّ، وكذا في الألقاب الجدّي - بضم الجيم وفتح المهملة وتشديد الياء - لسعيد بن عبدوس الأندلسي، بل وفي الأسماء عدة كذلك، والله الموفق.

ثم أود الحديث النبوي الشريف: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

وفي آخر الفصل أورد من شعر شيخه أبي الحسن علي بن إبراهيم قوله:
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى قُبَّةً بِهَا حَبِيبٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَسُولٌ؟
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ وَهَلْ لِي إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَصُولٌ؟

٢ - البلد الثاني: مكة: وهي بلدة شريفة متسعة، فضائلها متنوعة، في بطن وادٍ، لعظم بركته يتسارع إليه العباد، تُحْدَقُ بها جبال، هي لها كالسور العال، وفيها بيت الله الحرام، الذي تُحْطُّ عن قاصده الأوزار والآثام، ويأمن في المخاوف داخله، ولا تُرَدُّ مسائله ورسائله، وهو قبله المسلمين أحياء وأمواتاً، وَنَحْلَةُ الْمَلِئِينَ جَمْعاً وَأَشْتَاتاً، وقد قرأت الحديث فيه، وفي الحَجَرِ، ومقام سيدنا إبراهيم الوجيه، ومقام الحنفية المكرم، وعلى شفير زمزم المعظم، وبساقية سيدنا العباس، وعلى جبل أبي قُبَيْسٍ بدون إلباس، وبالمكان المأثور لمولد المصطفى، وغيرها من الأماكن فخراً وشرفاً، يسر الله إلى العود إليها سبيلاً، ونشر على أهلها ظلاً ظليلاً.

أخبرني الإمام الثقة أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المدني الشهير بالمراغي فيما قرأت عليه بالمسجد الحرام تجاه الكعبة - زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً - وأبو الفتح محمد بن عمر القاهري إذناً، كلاهما عن الإمام الحافظ البهاء أبي محمد عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن خليل - وساق السند -

ثم أورد حديث: «يا بني عبد مناف إن ولّيتُم من هذا الأمر شيئاً فلا تمنعوا أحداً طَافَ بهذا البيت فصلّى أيّ ساعة شاء، من ليل أو نهار».

ثم تكلم على هذا الحديث بتوسّع.

٣ - البلد الثالث: المدينة: وهي التي إليها هاجر الرسول، وبها قبره الشريف المشتمل على كل خير منقول، والثابت في شريف السنة: أنَّ ما بينه وبين منبره روضة من رياض الجنة، وفي تربتها وحيطانها وهوائها من الرائحة الطيبة مالا يَتَنَاهَى، ولذا كان طابَةُ وطيبة والمطية من أَسْمَاءِهَا ليطابق ذلك مُسَمَّاهَا، وهي محروسةٌ عن الأعور الدجَّال، ومأنوسة على مَرِّ الأيام والليال، مَنْ أحدث فيها حَدَثًا أو آوَى بها مُخَدِّثًا فهو ملعون، مستحق للشديد من العذاب ألْهُون، وبمزيد البركة فيها دَعَا الشارع، وشوهد بها منها ما تَقَرُّ بِهِ العيون، وتَلَدُّ بذكره المسامع، وقد قرأت الحديث هناك تجاه الحجرة المعظمة، وتشرفت بذاك أيضاً في عدة من أماكنها المحترمة، حقق الله لنا إليها الرجوع، ووفق لسلك تلك المعاهد والربوع.

أخبرني الإمام البدر عبدالله بن محمد بن عبدالله اليعمري المغربي المدني قاضيها المالكي، ويعرف كاسلافه بابن فرحون، بقراءتي عليه بالمسجد النبوي تجاه الحجرة الشريفة على ساكنها - أفضل الصلاة والسلام.

وأورد بسنده الحديث النبوي: «إنكم ستجندون أجناداً، فَجُنْدًا بالشام وَجُنْدًا بالعراق وَجُنْدًا باليمن» إلى آخر الحديث الذي اتبعه بيان طُرْفُه ومختلف رواياته.

٤ - البلد الرابع: بيت السَّمَقْدِس: واسمه أيضاً إِيْلِيَا، وهو بلد فضائله لا تستقصى، وشماله بهجتها زائدة بمسجده الشريف الأقصى، ثالث الحرمين، وثاني المسجدين، وأول القِبْلَتَيْنِ، ذِي الصخرة المعظمة، والقُبَّة النضرة المحترمة، لا تُشَدُّ الرَّحَالُ بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعَقَّدُ الخناصر بعد الوطنَيْنِ إلا عليه، به صلى الرسول بالأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء، وعُجِرَ به منه إلى السماء بدون شَكٍّ وامْتِراء، الصلاة فيه مع الإخلاص، وعدم الاشتباه، تَفْضُلُ عليها في غير المسجدين بخمس مئة أو بألف صلاة، ولشرفه سأل الكَلِيمُ موسى - عليه السلام - عند وفاته رَبَّهُ، الدُّنُوَّ منه ليفوز بتلك القربة، بل استوطنه وَوَرَدَهُ خَلَقٌ من الأنبياء والصحابة والأعيان، جديرون بإفرادهم في ديوان، وكنت يَمُنُّ تشرف بسلوكة، وتعرَّف بالأخذ عَنْ أَجْلَاءِ السَّنَدِ فيه وملوكه، تفضل الله الكريم بالعود إليه، وتَطَوَّلَ بما المَعْوَلُ في تحقيقه عليه.

أخبرني الشيخان الإمام التقي أبو بكر وأسماء ابنا محمد بن إسماعيل القلقشندي، بيت المقدس، قلت لهما: أخبركما الشهاب أبو الخير أحمد بن الحافظ أبي سعيد العلاني سماعاً للمرأة وإذناً إن لم يكن سماعاً للآخر - وساق السند -

ثم أورد الحديث عن ميمونة مولاة لرسول الله ﷺ قالت: قلت يا رسول الله أفئتنا في بيت المقدس، فقال ﷺ: «أثوه فَصَلُّوا فيه» قالت: فكيف والروم إذ ذاك فيه؟ قال ﷺ: «فإن لم تستطيعوا فابعثوا بزيِّ يُسْرَجُ في قناديله».

ثم أورد آثاراً وأخباراً تتصل ببيت المقدس.

٦ - البلد الخامس: بلد الخليل: ويقال له حَبْرُون - بفتح المهملة ثم موحدة ساكنة ثم راء مهملة وآخره نون - وهو في وَهْدَةٍ بين جبال كثيفة الأشجار ييقين، أغلب فواكهها الزيتون والخرنوب والتين، وبينه وبين القدس بدون إشكال، ستة أميال، وإنما أضيف للخليل أبي الأنبياء الكرام لشرفه بكونه محلاً لدفنه مع ولده اسحاق وحفيده يعقوب - عليهم الصلاة والسلام - وكذا لِدْفَنِ زوجته الصديقة أم اسحاق، المتوفية قبله باتفاق، بل كل ذلك مما تلقاه الجليل بعد الجليل، من زمن بني اسرائيل، وإلى هذا الوقت بدون تبديل، وانهم في المربعة التي بناها السيد سليمان، وهي المغارة التي اشتراها الخليل من قرية حبرون بأرض كنعان، وهو محل شريف، مفضل منيف، خصوصاً تلك المربعة، المتضمنة للقبور الشريفة الأربعة، على وجه الإجمال لا التعيين المُمَزِّل للاحتمال، ولذا كان المتعين في جميعها الإجلال، وصبون كل موضع منها عن أن تدوسه النساء والرجال، وقد قرأت الحديث بتلك البقعة، راجياً بركة ذلك ونفعه، وشهدت ذلك السَّطَّاط المأنوس، وودت التفضل من الرب سبحانه بإدراك الاغتباط بالعود لهذا المحل المحروس.

أخبرني المقرئ الخير صلاح الدين خليل بن أحمد بن عيسى بن العلامة صلاح الدين الفيمري الكردي الخليلي بقراءتي عليه بمسجدها الشريف.

وروى بسنده إلى كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قال: لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قلنا:

يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال ﷺ : «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد».

ثم بعد أن أكمل الكلام على طرق هذا الحديث، وذكر من خرجه، بدأ بسر أسماء البلدان التي تلقى فيها الحديث والآثار مرتبة على حروف المعجم، فعُد من بلدان مصر خمسة وأربعين بلداً هي : اسكندرية وأنباية وبرطس وبركة الحاج وبَلْبَيس وبولاق وترسا وتَفَهْنا وجزيرة الفيل والجزيرة الوسطى والجيزة والخانقاه السَّرْيَاقُوسِيَّة (شرقي مصر) والخطارة، ودسوق ودمياط ودنجية، وأم دينار ورشيد وسِرْس، وسرياقوس وسمنود، وشبرا الخيمة، وصالحية القاهرة، والطالبية وطنان وعمریط، وفارسكور وقُوَّة وفيشا الصغرى، والقاهرة، والقرافة وقلوب وكوم الرِّيش والمحلة والمرج ومصر ومنشأة المهراي، والمنصورة وَمَنُوف ومنية الأمراء^(٥) ومنية الرُّدِّيَّي، ومنية عَسَّاس، ومنية عُقْبَة، ومنية نابت وَوَسِيم.

وذكر من البلاد الشامية (سورية وفلسطين ولبنان والأردن) أربعة وعشرين بلداً منها بيت المقدس وبلد الخليل اللذان تقدم ذكرهما، والباقي هي : اطرابلس (طرابلس) وبَرْزَة وبعلبك وجبرين وحلب وحماة وحمص وداريا ودمشق والرملة والزَبْدَانِي وسرميس، وصالحية دمشق، والطُّور، وعقبة ايلة وغزة وقَطِيَا وكفر بطنا والمَجْدَل والمِزَّة، ومعرة النعمان ونابلس.

أما بلاد الحجاز فقد بدأ بثلاثة منها هي المدينتان الكريمتان وجُدَّة، ثم اتبعها بذكر ثمانية مواضع هي بحسب ترتيبها الأبجدي : بَدْر والجُفْرانة وخُلَيْص ورابغ والطائف، وعرفات ومِنَى وينبع.

وسأكتفي الآن بعرض كلام المؤلف عن المواضع الواقعة في الحجاز في هذا العرض الموجز، قال :

البلد التاسع : بَدْرُ : وهي قرية شهيرة بين مكة والمدينة، بل هي إلى المدينة أقرب

بكثير، سُمِّيَتْ - فيما قيل - باسم بئر نُسَيْت لبدر بن عَمَلْد بن النضر بن كنانة لتزوله به، أو لبدر بن الحارث، أو لأنه لاستدارته وضقاء ماؤه كأنَّ البدر يجري فيه، وقال الواقديُّ فيما حكاه عن غير واحد من شيوخ بني غِفَّار: إنه ما ملكها أحدٌ قطُّ يقال له بدر، بل هي ماؤنا ومنازلنا، وإنما هو عَلَمٌ عليها كغيرها من البلاد. انتهى.

وفيهما كانت الغزوة الشهيرة المختص كلٌّ من شهداها من الصحابة - رضي الله عنهم - بمزيد الفخر، ويقال: إنَّ قبور المستشهدين فيها إذْ ذاك بالقرب منها، من جهة المغرب، بل هناك فيما قيل أيضاً: موضع يُذكر بأنَّ قدم النبي - ﷺ - وأثر ناقته، وماؤها حلَّو، وبها بساتين وحدائق، والنَّسْبَةُ إليها بَدْرِيٌّ.

أخبرني الإمام الكمال محمد بن عبد الواحد السكندريُّ الأصل فيما قرأت عليه ببدر.

وساق سنده إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يتعوَّذُ من خمسٍ، من البخل والجبن وفتنة الصدر وعذاب القبر وسوء العمر.

ثم أورد كلام علماء الحديث عن مرتبته من حيث الصحة.

البلد الحادي والعشرون: الجِفْرانة: وهو بالكسر مع سكون العين وقد تكسر لكن مع تشديد الراء كما لابن وهب، وأكثر المحدثين، والأول للشافعي والأصمعي ومحققي المحدثين وغيرهم، قال صاحب «المطالع»: وكلاهما صواب - : وإدِّ في الحِلِّ بين الطائف ومكة هو إليها أقرب، أحرم منه النبي - ﷺ - في ذي القعدة حيث قسم غنائم حُنينٍ، ولذا كان أفضل بقاع الحِلِّ، وقرأت هناك «الإبانة» فيما ورد بالجِفْرانة على مؤلفه رحمه الله تعالى^(٦) إذْ رَحَلْتُ من مكة إليها بقصد الاعتبار.

وأخبرني بها أبو محمد عبد الرحيم بن الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد اللُّخمي بقراءتي أنبأنا أبي، أنبأنا أبو النون الدبوسي عن أبي محمد عبد المنعم بن رضوان، أنشدنا أبو القاسم الشَّهيلي لنفسه إجازة من المغرب مما كتبه عنه أبو

الخطاب بن دحية الحافظ وذكر قائلها أنه ما سأل الله بها أحد شيئاً إلا أعطاه إياه :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ	أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا	يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِهِ (كُنْ)	أَمْنٌ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسَيْلَةُ	وَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةُ	فَلَيْتَ رَدَدْتُ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ ؟
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَاهْتِفُ بِاسْمِهِ	إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ تَقْنَطَ عَاصِيَا	الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

انتهى ما ذكره في هذا الفصل بحيث لم يورد حديثاً نبوياً .

البلد الثامن والعشرون : خَلِيس : — وهي بمعجمة مضمومة ، ثم لام وصاد مهملة بينهما مثناة تحتانية — : قرية من أرض الحجاز ، قرية من قُدَيْدٍ بل على مرحلتين فأكثر من مكة بها عين ماء طيب حُلُو صَافٍ ، وبركة هائلة ، تنسب عمارتها لأرغون الدَّوَادَار ، نائب السلطنة بالديار المصرية في أيام الناصر محمد بن أستاذه قلاوون ، وأظنه إِنْ صَحَّ كَانَ فِي سنة عشرين وسبع مئة فما بعدها ، لأنه حج في هذه السنة ومشي وهو بهيئة الفقراء مُتَمَسِّكاً ، من مكة إلى عرفة^(٧) ، وقد جددها بعد السبعين سلطان الوقت^(٨) تجديداً حسناً ، وأجرى العين إليها ، بل وعمر بجانبها مَسْجِداً متسعاً — جزاه الله بحسن قصده خيراً .

وقد سمع بها شيخنا رحمه الله تعالى واقتفيت أثره في ذلك .

أخبرني بها محمد بن النجم القاضي ، وبالديار المصرية التقيُّ ابنُ الكمال الحنفي قراءةً .

وأورد بعد السند هذا الأثر : قال علي بن الفضيل بن عياض لأبيه : يَا أَبَتِ مَا أَحْلَى كَلَامَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ . — قال : يَا بَنِي أَوْ تَدْرِي لِمَ حَلَا ؟ قال : لَا . قال : لَأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . انتهى ما ذكره في هذا البلد .

البلد الخامس والثلاثون: رابغ: - وهي براء مهملة وموحدة ثم غين معجمة بوزن فاعل - : بين بدر وخُلَيْصٍ، من نواحي الحجاز، قرية من البحر، بينها وبين مكة خمسة مراحل أو ستة، وهي ميقات الحجيج المصري، ومن يشركهم، لمحاذاتها للجُحْفَةِ المسماة أيضاً مَهْيَعَة - بوزن عَلَقَمَة - ميقاتهم وكذا الشاميين، وَيُنْصَبُ برابغ سوقٌ عظيم وماءٌ حفائرها حُلُوٌ لكنه ثقیل.

أخبرنا بها أبو محمد بن أبي أحمد المقرئ بقراءتي عن أحمد بن أبي الفضل وأبي الخير الدمشقي مشافهة منها.

(ح) وأخبرني عالياً عبد الرحمن بن عمر اللخمي في كتابه.

وساق بالسند إلى أنس - رضي الله عنه - قال: إن الرُبَيْعَ عمته لطمت جاريةً فكسرت سنّها، فعرضوا عليهم الأَرَشَ فأبوا، فطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي - ﷺ - فأمرهم بالقصاص، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال: يا رسول الله أنكسر سنُّ الرُبَيْعِ؟ والذي بعثك بالحق لا نكسرُ سنّها، قال ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص». فعفا القوم، فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

ثم ذكر منزلة الحديث وبعض رواته وذكر من أخرجه.

البلد السابع والأربعون: الطائف: - وهي بفتح الطاء المهملة وكسر المثناة التحتانية وآخرها فاء: مدينة على اثني عشر فرسخاً من مكة، كثيرة الفواكه والمياه الطيبة، طيبة الهواء، أبرد مكان بالحجاز، وربما جمد الماء في ذروة غُرُوان الجبل التي هي على ظهره وأكثر ثمرها الزبيب، حاصرها رسول الله - ﷺ - بعد فتح مكة لما قرغ من حنين، واستشهد معه فيها غير واحد من المهاجرين والأنصار، ويُنسب إليه بها عدة آبار منها بناحية لِيَّةَ بئر يقال إنه ﷺ شرب منها، وشهرتها بالفضل تُغْنِي عن الإطالة بشرحه، ويروى في سبب تسميتها أن جبريل - عليه السلام - اقتلع قرية من الشام ثم طاف بها بالبيت أسبوعاً، ثم وضعها إجابة لدعوة إبراهيم الخليل - عليه السلام - لما قال: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وبها

مات ابن عباس ومحمد بن الحنفية وغيرهما من السادات - رضي الله عنهم - ، وأكثر من نزلها ثقيف، واعتزل بها المغيرة بن شعبة، وكذا أقام فيها الحكم بن أبي العاص عُم عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - ووالد مروان، بإرسال النبي - ﷺ - به إليها، فاستمر إلى خلافة عثمان، فأعاده إلى المدينة حتى مات، ولم يزل أهل مكة وغيرها يرحلون إليها للزيارة والتزّهة، وانتسب إليها جماعة قديماً وحديثاً، ويروى: صيد وَجَّ وَعِضَاهُهُ حرام ومحرم، ووجَّ موضع بناحية الطائف، وقيل: هو اسم لخصونها، وقيل: اسم واحد مخصوص منها^(٩)، ولذا قال الحميدي: إنه هو الطائف، وعن سعيد بن المسيب: وَجَّ وادٍ مقدّس، وكذا جاء عن كعب، وتحريمه يحتمل أن يكون على سبيل الجَمَى له، ويحتمل أن يكون حَرَمُهُ في وقت معلوم، ثم نسخ. قاله ابن الأثير.

أخبرني الشيخ أبو القاسم بن أبي أحمد الهاشمي بقراءتي عليه في القبة المباركة تجاه ضريح ابن عباس - رضوان الله عنهما - من الوادي المقدّس، عن أبي بكر بن الحسين العثماني.

ثم ساق السند إلى محمد بن موسى البصري قال: كان أحمد بن المعدّل - رحمه الله - إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ قام من الليل يُصَلِّي ويأمر أهله بالصلاة ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا، نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

ثم يُنشد:

أَشْكُو إِلَيْكَ خَوَادِنًا أَقْلَقَنِي	فَتَرَكْنِي مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ
مَنْ لِي سِوَاكَ يَكُونُ عِنْدَ شِدَائِدِي	إِنْ أَنْتَ لَمْ تَكُلْ فَمَنْ يَكُلَانِي؟
لَسَوْلاً رَجَاؤُكَ وَالَّذِي عَوَّدَنِي	مِنْ حُسْنِ صُنْعِكَ لَا اسْتَطِيرَ جَنَانِي

وشافهني المذكور عن الجمال محمد بن علي بن محمد القرشي الشيباني^(١٠) قوله:

يَا أَيُّهَا الطَّائِفُ فِي حَيِّهِمْ	دَمْعِي غَدَا كَالْمِطَرِ الْوَائِفِ
مُذْغِبَتْ عَنْ عَيْنِي فَأَوْحَشْتَنِي	فَصِحْتُ وَاشْفَوْنِي إِلَى الطَّائِفِ!

البلد الخمسون: عرفات: وعرفة: اسم موضع الوقوف، قيل: سميت بذلك لأن آدم عَرَفَ حواءَ - عليهما السلام - هناك وقيل: لأن جبريل عَرَفَ إبراهيم - عليهما السلام - فيها المناسك وقيل: لاعتراف الناس فيها بذنوبهم، وسؤالهم غفرانها، وقيل: لغير ذلك. وَجُمِعَتْ وَإِنْ كَانَ مَوْضِعًا وَاحِدًا لِأَنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنْهَا يُسَمَّى عَرَفَةً، ولهذا كانت مصروفةً كقصباتٍ، قال النحاة: ويجوز ترك صرفه كما يجوز في أَذْرَعَاتٍ ونحوها على أنها اسم مفرد لبقعةٍ ولذا كما حكاه النووي قُرِيءَ ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بفتح التاء بدون تنوين، وقد عمر سلطان الوقت عينها بعد انقطاعها ذَهْرًا حَتَّى جَرَتْ، ووصل الماء إليها في سنة خمس وسبعين^(١١)، وكذا أصلح فساقِيهَا وَقَبَّتْهَا وأعلامها مع مسجد ثَمَرَةٍ مِنْهَا، بل وعمل بها صِهْرِيحًا، إلى غير ذلك من المآثر التي شرحت في محلٍّ آخر مما عَمَّ الانتفاع به، وكثرت فيها المياه جدًّا بعد عِزَّتِهَا، جُوزِي على ذلك خيرًا، ومن سمع بها الذهبي. أخبرني الوالد رحمه الله بها في آخَرَيْنِ بغيرها عن أَبِي زُرْعَةَ بن عبد الرحيم الحافظ إذنا (ح) - وأخبرني يعلُو العز أبو محمد الحنفي كلاهما عن العز أبي عمر بن جماعة قال الأول سماعًا: أنبأنا أبو الفضل بن عساكر عن أم المؤيد زينب ابنة أبي القاسم الجرجاني، أنبأنا العلامة أبو القاسم الزمخشري أنشدنا أحمد بن محمد إسحاق الخوارزمي، أنشدنا أبو سعيد المحسن بن محمد الجشمي في كتاب «جلاء الأبصار في الأخبار» أنشدنا الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن أنشدنا علي بن عبد العزيز الجرجاني القاضي^(١٢) لنفسه:

يَقُولُونَ لِي: فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا	رَأَوْ رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذَّلِّ أَحْجَبًا
تَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ	وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
وَمَا كُلُّ بَرَقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفِزُّنِي	وَلَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا
وَمَارِلْتُ مُنْحَازًا بِعِرْضِي جَانِبًا	عَنِ الذَّلِّ أَعْتَدُ الصِّيَانَةَ مَغْنَمًا
إِذَا قِيلَ: هَذَا مُورِدٌ قُلْتُ: قَدْ أَرَى	وَلَكِنْ نَفْسَ الْحَرِّ تَحْتَمِلُ الظَّلَامَ
وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَبْتَ	أَقْلَبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّمًا
وَلَكِنَّهُ إِنْ جَاءَ عَفْوَ قَلْبَتُهُ	وَإِنْ مَالٌ لَمْ أَتْبِعْهُ هَلًا وَلَيْتًا

وَأَقْبَضُ خَطْوِي عَنْ حُطُوطِ قَرِينَةٍ
وَأَكْرِمُ نَفْسِي أَنْ أَصَاحَكَ عَابِسًا
أَنْتَ بَعْدَ عَنْ بَعْضِ مَا قَدْ يَشِينُهَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا
وَلَمْ أَتَبَذَلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
الْأَغْرُسُ عِزًّا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
فَإِنْ قُلْتُ: جَدُّ الْعِلْمِ كَابُ فَإِنَّمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَتَهُمْ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدُنُسُوا

إِذَا لَمْ أَتْلُهَا وَافِرَ الْعِرْضِ مُكْرَمًا
وَأَنْ أَتَلْقَى بِالسَّيِّئِ مُدْمَمًا
خَافَةً أَقْوَالِ الْعِدَى: فِيمَ أَوْلَا
بَدَا طَمَعُ صِرْتُهُ لِي سُلْمًا
لَأَخْدِمَ مَنْ لَا قِيَتَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
إِذَا فَاضِطَّنَّاعَ اللَّهُوْ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
كَبَا حِينَ لَمْ يُجْمَعْ جَمَاهُ وَأُسْلِمَا
وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النَّفْسِ لَعُظْمَا
نُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

ولم يورد سوى ما تقدم في الكلام على عرفات.

البلد السابع والسبعون: مَنَى: - وهي بكسر الميم مع الصرف وعدمه - : سميت بذلك - كما قاله جماهير اللغويين وغيرهم - لما بُنِيَ بها من الدَّمَاءِ أَي يَرَأَى وَيُصَبُّ، وهي من حرم مكة، بينها ثلاثة أميال، وتتسع للحجيج كاتساع الرحم للولد، وفضائلها كثيرة، ومن سمع بها شيخنا وشيخه والذهبي، وأبو حيان وسماعه فيها على أبي اليُمْنِ ابنِ عساكر، بل وسمع بها أبو القاسم ابن عساكر وقال في «بلدانياته»: إنها كانت مدينة بها دُورٌ وسُوقٌ، ومسجدها مسجدُ الحَنِيفِ، مسجد شريف، وقد عمره سلطان الوقت^(١٣) عمارة هائلة يفوق الوصف، وكنت ممن سمع به وبغيره منها على غير واحد، وقرأت بالغار الشريف النبوي من جبل جِرَاءِ ظاهرة مكة من جهتها على الحافظ التقي أبي الفضل الهاشمي - رحمه الله - تصنيفه «بُشْرَى الْوَرَى» مما ورد في حراء^(١٤) وبأسفل الجبل غير ذلك، أخبرني الكمال أبو الفضائل محمد بن الجبال حمد بن إبراهيم المكي بقراءتي عليه في الغار الشريف، غار المرسلات من مَنَى المعظم وغيره بالقاهرة وغيرها، كلهم عن أبي اسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي.

وساق السند إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ - : «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ».

ثم ذكر أن هذا الحديث صحيح وأورد أسماء مخرجه وبعض رواته.

البلد الثمانون: ينبع: - وقد تقدم الكلام على ما ذكر عنه.

ويظهر أن الحافظ السخاوي كان أُملي «بلدانياته» هذه أثناء إملائه في جامع الغمري في القاهرة إذ ورد في النسخة التي نقلت عنها ما تقدم ما هذه نصه: (آخر المجلس السادس والأربعون من البلدانيات، وبه انتهاءها وهو المجلس الرابع عشر بعد الخمس مئة من الأمالي، وكان الفراغ في يوم الثلاثاء ثامن عشر المحرم الحرام سنة ثلاث وثمانين وثمان مئة بجامع الغمري، باستملاء أخي نفع الله به وصرف عنه كل مكروه، وختم لي وله ولسائر أهلي وأحبائي بخير.

قاله وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي الشافعي غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه حسبنا الله ونعم الوكيل.

هذا لفظه بحروفه أبقاه الله تعالى، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين تم.

غفر الله لكتابها ولمن كتبت له ولكل المسلمين أجمعين وذلك يوم الخميس السابع والعشرون من شهر شعبان المعظم سنة ١١٧٤). انتهى وهي نسخة من مخطوطات القرن الثاني عشر الهجري كما يظهر من آخرها.

الحواشي:

- ١ - تشيع الباء مضمومة، فيقال (ينبوع) وهذا الاسم لبلدة ينبع لم يرد في كتب المتقدمين، ولكن المتأخرين أكثرها من استعماله، وينبع المقصودة هنا هي ينبع النخل، وهي التي ورد ذكرها كثيراً في كتب المتقدمين.
- ٢ - حرف الحاء (ح) يقصد بها تحويل السند من راوٍ إلى آخر، وهو اصطلاح عند المحدثين يتكرر في كتب الحديث.

- (*) يقصد بكلمة (شيخنا): الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢ - كفانا الحافظ السخاوي مؤونة التملين على هذه الأخبار بقوله في ذكر أولها: (وَيَرَوِي فِي فَضْلِهَا نَحْمًا لَا يَصْحُ) فهذه الأخبار غير صحيحة وأمثالها كثيرة في فضائل البلدان.
- ٣ - «رحلة ابن جبير» ص ٤٧ طبعة دار الهلال في بيروت، ولابن جبير كلام طويل حول مدينة جدة يحسن الرجوع إليه.
- ٤ - المظفر صاحب اليمن هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول، أحد ملوك الدولة الرسولية، ولد في مكة سنة ٦١٩ وتولى ملك اليمن سنة ٦٤٧ وتوفي في نَجْد سنة ٦٩٤، وكان من خير الملوك عفة وحسن سياسة، وكان على جانب من العلم وتقدير العلماء، وتنسب إليه مؤلفات في الطب والصناعة وغيرها.
- ٥ - لما ذكر (منية الأمراء) أضاف قائلاً: ويقال لها منية الشيرج، وبكل من الإضافتين تميز عن نحو منية بالديار المصرية خاصة. انتهى.
- ٦ - «الإبانة» فيها ورد في الجمرانة من تأليف الحافظ تقي الدين محمد بن محمد المعروف بابن فهد (٧٨٧/٨٧١) وقد ترجمه السخاوي نفسه في «الضوء».
- ٧ - محمد ترجمة لارغون الدوادار في كتاب «الدرر الفرائد المنظمة» ص ١٤٦١، وفيها: أنه توفي في حلب سنة ٧٣١.
- ٨ - ذكر صاحب «الدرر» أن عين خُلِصْ أصلحت سنة ٩٤٠ في عهد السلطان سليمان القانوني العثاني، وهذا غير السلطان الذي كان في زمن السخاوي، فهو أحد سلاطين المماليك في مصر وهو الملك الأشرف قايتباي.
- ٩ - وج هو اسم وادي الطائف ولا يزال معروفاً بهذا الاسم.
- ١٠ - محمد بن محمد بن علي الشيباني من أشهر علماء مكة ولد سنة ٧٧٩ وتوفي سنة ٨٣٧ وله مؤلفات لا تزال مخطوطة - انظر «رحلات حمد الجاسر» ص ١٠٨/١٠٦.
- ١١ - ذكر صاحب «الدرر الفرائد» - ص ٧٥١ - : أن في سنة ٨٧٥ عمر الأمير سقر الجبالي عين عرفة، وأصلح الفسافي التي بها إلى آخر ما ذكر، ويظهر أن الأمير هذا عمر العين بامر من سيده سلطان مصر الملك الأشرف قايتباي.
- ١٢ - علي بن عبد العزيز الجرجاني من مشاهير العلماء توفي سنة ٣٩٢ في مدينة نيسابور وله مؤلفات منها «الوساطة بين المنتهي وخصومه».
- ١٣ - سلطان الوقت - أي وقت السخاوي المؤلف - هو الملك الأشرف قايتباي الجركسي، من المماليك، موصوف بالشجاعة والعقل، وله آثار عمرانية في الحجاز وفي غيره من الأقطار الإسلامية، تولى الحكم سنة ٨٧٢ حتى توفي سنة ٩٠١.
- ١٤ - هو ابن فهد صاحب كتاب «الإبانة» المتقدم ذكره.

ابن حجر العسقلاني في اليمن

كان اليمن في العصور الإسلامية الزاهرة مَحَطَّ رَحَال كثير من العلماء الذين قصدوه ابتغاء الرُّوَاية والإِسْنَاد العالي فقصدته من العلماء الإمامان الشافعي وأحمد ابن حنبل ومن مشاهير المحدثين إسحاق بن راهويه وسفيان الثوري وجماعة من العلماء استقصيناهم في بحث مُفَصَّل.

وفي العصور التي تَلَتْ العصر الزَّاهِر كان للعلماء رحلة أخرى إلى اليمن على إثر سماعهم بقيام الدولة الرسوليَّة في اليمن، وتكريمها للعلماء من خلال ملوكها الذين قَدَّرُوا العلماء وسعوا في خُطْبٍ وُدَّهم بِالْغَالِي والنَّفِيس، فَدَخَلَ اليَمَن من العلماء خلال مرحلة قيام الدولة الرسوليَّة في القرنين الثامن والتاسع العلامة اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي، وعالم القُرَآت الجليل محمد بن محمد الجزري، والنحوي الكبير محمد بن أبي بكر الدماميني وغيرهم كثير لعل أبرزهم في نظري خاتمة المحدثين، وعلامة الدُّنْيَا، شهاب الدين أحمد بن علي بن حَجَرٍ العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢.

وفي رحلته إلى اليمن حديث يشوق الباحثين والقراء سماعُهُ.

ابن حجر والرحلات:

لم يَثْبُتْ لابن حَجَرٍ رحلاتٌ حَقِيقِيَّةٌ سِوَى رحلته تلك إلى اليمن، ورحلة أخرى قام بها إلى الشَّام سنة ٨٠٢ هـ وعدا رحلته الدُّيْنِيَّة إلى الحِجَاز لقضاء فريضة الحج، ومن عدة رَحَلَات جَثْنَ في مناسبات مختلفة.

ومن الغريب أنه زار اليمن قبل دخوله مكة لأداء فريضة الحج الشرعية، بعد البلوغ. وكان يرحل مع والده وهو في الصَّغَر لأعمال تجارية، وكذا مع وَصِيِّه الخُرُوبِي.

رحلته إلى اليمن:

ولكن رحلته إلى اليمن تَظَلُّ ذَاتَ وَقَعٍ خَاصٍّ فِي نَفْسِيَةِ ابْنِ حَجَرٍ، شَهِدَ بِهِ أَثَرُهُ الْمَشُورُ وَالْمَنْظُومُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْغَالِبِ الْقَصْدُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْيَمَنِ مَهْمَةً عِلْمِيَّةً يَحْقُقُهَا عَلَامَتَانِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، وَإِنَّمَا مَآرِبُ دُنْيَوِيَّةٍ يَرْجُوهَا مِنْ سُلْطَانِهَا الرَّسُولِيِّ الَّذِي عُرِفَ عَنْهُ إِجْلَالُ الْعُلَمَاءِ وَإِكْرَامُهُمْ.

وَلَكِنْ هَذَا لَا يَمْنَعُ أَنْ يَتَرَدَّدَ عَلَى مَشَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْيَمَنِ وَيَسْتَفِيدَ مِنْ رَوَايَتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ.

وَكَانَ دُخُولُ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيٍّ الْأَوَّلُ إِلَى الْيَمَنِ سَنَةَ ثَمَانِي مِئَةِ، قَادِمًا مِنَ الطُّورِ عَنْ طَرِيقِ الْبَحْرِ وَقَدْ التَقَى فِي تَعِزٍّ وَزَيْدٍ وَعَدَنَ وَالْمَهْجَمِ بِجِاعَةِ مِنْ أَفْضَلِ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْخَزْرَجِيِّ الْمَوْرُخِ، وَالْفَقِيهِ الضُّبَيْعِيِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمَقْرِي، وَقَالَ عَنْهُ: لَمْ أَرُ أَذْكَى مِنْهُ فِي الْيَمَنِ.

وَلَعَلَّ أَشْهَرَ مَنْ قَابَلَهُ فِي الْيَمَنِ هُوَ تَجَدُّ الدِّينِ الْفَيْرُوزِآبَادِي صَاحِبِ «الْقَامُوسِ» وَقَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ جُزْأً مِنْ قَامُوسِهِ الْمَذْكُورِ، وَكَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيُخَالِفُهُ فِي اعْتِقَادِهِ بِشَأْنِ ابْنِ عَرَبِي الصُّوفِيِّ وَزُفَرِيَّةِ.

وَفِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ أَصْطَحَبَ مَعَهُ هَدَايَا عِلْمِيَّةً فَاخِرَةً قَدَّمَهَا إِلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ إِسْمَاعِيلَ مِنْهَا «تَذَكُّرَتُهُ» الَّتِي جَمَعَهَا فِي أَرْبَعِينَ مَجْلَدًا، وَكِتَابَ «الْأَغَانِي» بِخَطِّ ابْنِ الْفُوطِيِّ.

وَنَظَنُّ بَعْضُ النَّاسِ وَمِنْهُمْ ابْنُ الْمَقْرِي أَنَّ قُدُومَهُ إِلَى الْيَمَنِ كَانَ لَتَوَلَّى الْقَضَاءِ بِهَا، وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ حَجَرٍ يَرْغَبُ فِي ذَلِكَ، تِلْكَ رَحْلَتُهُ الْأُولَى.

أَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ سَنَةُ ثَمَانِي مِئَةِ وَسِتٍّ، وَكَانَتْ عَلَى حَالٍ لَا يَسُرُّ صَدِيقًا أَوْ يُغَيِّظُ عَدُوًّا فَقَدْ وَصَلَ صَاحِبَنَا الْيَمَنِيَّ مَنُكُوبًا، مَنُهَبًا، فِي حَالَةٍ يَرْتَأَى لَهَا عَلَى أَثَرِ غَرَقِ السَّفِينَةِ الَّتِي أَقْلَتْهُ، وَوَصُولِهِ بِأَكْبَا نَاعِيًا فَشَكَّى حَظَّهُ الْعَاثِرَ إِلَى خَلِيفَةِ الْوَقْتِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ. وَقَالَ لَهُ فِي شَعْرِ مُؤَثِّرٍ ذَكَرَ فِيهِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ غَرَقٍ أَتْلَفَ كُتُبَهُ، وَتَلَاهُ نَهَبَ أَفْسَدَ عَلَيْهِ الْبَقِيَّةَ مِنْ أَمْرِهِ:

مَوْلَايَ هَلْ أَشْتَكِي مَا قَدْ عَلِمْتَ بِهِ
قَدْ ضَعُضَعَ الدَّهْرُ حَالِي عِنْدَمَا نُبِتُ
وَبَعْدَهَا بَلَغْتَ مِنِّي الْحَوَادِثُ مِنْ
وَقَدْ قَصَدْتُ بِأَنْ أَحْيَا بِظِلِّكُمْ
فَصَارَتْ الْحَالُ فِي حَلِي مُعْطَلَةٌ
وَعَدْتُ مُسْتَنْصِرًا فِي الْحَادِثَاتِ بِكُمْ
مَالٌ تَمَزَّقَ فِي نَهَبٍ وَفِي غَرَقٍ
أَمْ أَكْتَفِي بِالَّذِي قَدْ لَاحَ مِنْ حَالِي؟
بِالشَّامِ أَيَّامَ تَيَمَّرْتَنِكَ أَمْوَالِي
يَدِ ابْنِ عَجَلَانَ مَا لَاقَاهُ أَمْثَالِي
فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ خَوْفٍ وَأَهْوَالِ
مَا فِي الْكِنَانَةِ سَهْمٌ غَيْرُ قَتَالِ
فَأَنْتَ حَاشَاكَ أَنْ تَرْضَى بِأَهْمَالِي
إِنْ فَاتَ مَالِي سَأَلْتَنِي مِنْكَ أَمْوَالِي

هكذا يصل حافظ العصر وعلامته اليمن وقد أشرف في الطريق على القوات بعد أن تحطم المركب الذي هو فيه ثم التجاوزه إلى بعض الجزائر، فتأثبه القبائل من كنانة تريد نهبه، إلى غير ذلك من مشاق، وقد كانت طبيعة الأسفار في ذلك الوقت شديدة الصعوبة قلما يسلم منها أحد.

وما لنا نستعجل الحوادث ونسرع في الإخبار، وعلامتنا ابن حجر العسقلاني قد حدثنا عن خواطره ونفسيته وهو في اليمن في شعر جيد يكاد يرقى إلى رتبة شعر فحول الشعراء الكبار الذين صوروا حياة النفس وما تلقاه في الغربة من فرح وترح، وحزن وسرور، وهذا الأمر هو المقصد من بحثنا.

شعره في اليمن:

حفل ديوانه المطبوع في الهند سنة ١٩٦٢م بقسط وافر من اليمانيات التي قالها في اليمن، وقد قشع شعره عن شخصية رقيقة الإحساس، تتأثر بما يعرض لها ويدور حولها على خلاف الصورة التي صورها لنا التاريخ كفقير صعب المراس، تولى القضاء ردحا من الزمن وأذاق الناس بأس فقهه.

انظر إليه وهو في غربته في اليمن يتشوق إلى زوجته زين خاتون وطفله التي تركها بمصر رضيعاً في مهدها:

تَرَى هَلْ الْآقِي زَيْنَ خَاتُونٍ بَعْدَمَا
وَهَلْ أَلْتَقَى بِنُكِّ الطُّفَيْلَةِ فَرْحَةً
تَنَاءَتْ بِنَا السُّكْنَى وَعَادَ الْمَوْدَعُ؟!
قَرِيْبًا كَمَا فَارَقْتَهَا وَهِيَ تَرْضَعُ؟!

نعم كان ابن حجر لا يظن أنه سيعود إلى بلده مصر، وهو في غزيرته الموحشة
بعَدَنَ وقَيَّظَها المَلْتَهَبَ، وهو لا يدري ما يُجَبُّهُ له القدر من طول عُمُرٍ وعِزٍّ وجَاهٍ
يبلغ به أَقْصَى المراتبِ، ويتفوق به على الأقران.

وتلك حالة بشرية تعرض لكثير من الناس عندما يلاقون أدنى المشاق فتضيق
الدُّنْيَا في أعينهم حتى لا يظنون مخرجاً، وما أسرع دخول اليأس وبلوغ القنوط
مَبْلَغُه في كثير من النفوس على أنها الأيام تتداول بين منفعة ومضرة وتعاسة
وسعادة.

هكذا كان ابن حجر العسقلاني الإنسان تتعاوره — وهو في اليمن غريباً وحيداً
— أفكار اليأس والتفاؤل، ولم يكن قد لقي من المكانة ما يجعله يثق بالمستقبل
المشرق.

على أنه يَدْحَضُ الظنونَ ليقول شعراً كثيراً في اليمن وقد جعله صَنْعَةً يتكسَّبُ
به أمام أبواب الملوك من أهلها ونَسْمَعُه يأتي بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ حَيْثُ تظهر فيه
براعته وعلمه:

يقول غَزْلاً فلا يترك مُتَرَدِّماً للشعراء إلا وضرب أطنابه فيه فكان الغزل في
مُفْتَتِحِ قصائده إعلاناً عن كمال الصنعة وجسامة أمر الممدوح، وربما تحدث عن
الهجر والفراق في بداية قصيدته فقال:

مُحِبُّ لَكُمْ مِنْ هَجْرِكُمْ يَتَوَجَّعُ نَدِيمَاهُ مَذْ غِبْتُمْ أَسَى وَتَفَجَّعُ
سَرَى نَفْساً عَنْكُمْ فَأَضْحَى وَنَفْسُهُ تَذُوبُ جَوَى مِنْ طَرْفِهِ فَهِيَ أَدْمَعُ
أَحْبَابِنَا حَتَّى الْحَيَالِ قَطَعْتُمْ عَذَرْتَكُمْ بَلْ مُقْلَتِي لَيْسَ تَهْجَعُ
فَلَا وَحَيَاةِ الْقُرْبِ لَمْ أُنْسَ عَهْدَكُمْ وَلَوْ أَنِّي فِي الْبُعْدِ بِالرُّوحِ أَفْجَعُ^(١)

لكن الصبغة الغالبة على نسيبه في مطالع قصائده التي قالها أمام الملك الأشرف
إسماعيل حديث الغربة والتشوق إلى الأهل والأحباب، مذكراً بمدوحه بِحَالِهِ الذي
هو فيه:

صَبُّ لِلْقِيَاكِ بِالْأَشْوَاقِ مَعْمُودُ فَقِيدُ صَبْرٍ عَنِ الْأَحْبَابِ مَفْقُودُ

نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ مُغْتَرِبٌ وَوَاحِدٌ مَالُهُ فِي الصَّبْرِ مَوْجُودٌ
مُتِمٌّ قَدْ بَكَى بَعْدَ الدُّمُوعِ دَمًا كَأَنَّمَا هُوَ فِي عَيْنَيْهِ مَقْصُودٌ
النَّارُ ذَاتُ وَقُودٍ فِي جَوَانِحِهِ شَوْقًا وَفِي خَدِّهِ لِلدَّمْعِ أَخْذُودٌ

تلك حالة السَّهْدِ والفراق والشوق إلى الأحباب، عادة متَّبعةٌ عند الشعراء قديمهم وحديثهم وكأنَّها من حديث الحب والغزل، بل من صلبه.

انظر إليه وهو يحدثنا في نفس القصيدة عن الطَّيْفِ والسَّهْرِ وملاحقة الهموم إلى غير ذلك فيقول:

وَقَدْ تَطَابَقَ حَالُ الصَّبِّ مِنْ حَزَنِ قَدَمُهُ مُطْلَقٌ وَالْقَلْبُ مَضْفُودٌ
وَالطَّيْفُ مَازَرَ إِذْ بَابُ الزِّيَارَةِ مِنْ فَرَطِ السَّهَادِ يَفْتَحُ الْجَفْنَ مَسْدُودٌ
أَبَيْتُ أَرْعَى النُّجُومَ الزُّهْرَ أَحْسَبُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ حَلَا لِي فِيهِ يَسْهَدُ

على أن للغزل في مَفْتَحِ قصائده مضامين يحلو لشاعرنا ترديدها وهي معان مطروقة عند من سبقه لا نحسبه أبدع فيها أو ابتكر، إذ العواطف في مثل تلك المواقف تتكرر وتشابه.

عندما يحدثنا عن الحبيب والرقباء وما شابه ذلك يأتي بما سبقه غيره كقوله:

مَنْ لِي بِهِ كَالْبَذْرِ إِلَّا أَنَّهُ كَالْغُصْنِ يَسْبِي الْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَنِي
لَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ رَقِيبَهُ لَا يَأْتِي فِي لَوْمِهِ أَنْ يَأْتِ لِي

أو يحدثنا عن العَدُولِ ومرايع الأحباب فيورد ما هو مُعتَادٌ عند غيره:

وَيَا قَلْبُ لَا تَقْبَلْ شَهَادَةَ لَائِمِي فَمَا قَلْتُ يَوْمًا فِي هَوَايَ بِشَاهِدِ
وَيَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ سُقِيَا لِعَهْدِكُمْ بِعَهْدِ قَرِيبِ الْعَهْدِ غَيْرِ مُبَاعِدِ

نعم نجد أثر الصَّنْعة البديعية واضحة، في شعره شأنه في ذلك شأن شعر معاصريه من أدباء العصر المملوكي الذين أغرقوا في هذا الجانب حتى غطى هذا الأثر على سائر إنتاجهم النثري والشعري، وربما خلط في بديعه بين مهنته الحديثة وما عُرِفَ عند أهل مدرسة أهل البديع من صيغ مألوفة.

أنظر إليه في جناسه وتورياته يستعمل مصطلح أهل الحديث فيقول:

مَلِكُ الْمُلُوكِ حَقِيقَةٌ قَدْ كُمَلَتْ أَوْصَافُهُ وَسِوَاهُ لَيْسَ بِأَكْمَلٍ (١)
يَرْوِي (أَحَادِيث) النَّوَالِ (صَحِيحَةٌ) بِـ (مُدْبِجٍ) مِنْ جُودِهِ وَ (مُسْلَسَلٍ)
يَرْوِي عَنْ الْعَبَّاسِ إِسْمَاعِيلُ مَا يَرْوِي كَمَا الْعَبَّاسُ يَرْوِي عَنْ عَلِيٍّ

وإسماعيل بن العباس هو ممدوحه الملك الأشرف الرسولي:

وكقوله في التَّورِيَةِ بِرِجَالِ السُّنْدِ:

وَيَا (سَنَدِي الْعَالِي) الَّذِي قَدْ (رَوَيْتَ) عَنْ (ثِقَاتٍ) عَطَايَاهُ (صَحَاحُ الْمَسَائِدِ)
(وَحَدَّثَ) فِي يَوْمِيهِ فِي الْبَاسِ وَالنَّدَى (صَحِيحٍ) حَدِيثٍ عَنْ (عَطَا) وَ (مُجَاهِدٍ)

وكقوله في مدح الناصر ابن الأشرف:

حَدَّثَ عَنِ الْجِسْمِ وَالْقَدَّ الْقَوِيمِ وَلَا تُسْبِذُهُ إِلَّا (لِصَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ)
وَارِوِ (الْمُسْلَسَلِ) مِنْ دَمْعِي وَعَارِضِهِ بِـ (الْأَوَّلِيَّةِ) مِنْ عِشْقِي وَإِغْزَالِي

ولا يكتفي في تورياته البديعية بمصطلحات أهل الحديث وإنما يصحب ذلك
الجم الطيب من الاقتباس القرآني، وكلام العلماء، من ذلك قوله في مديحه
الأشرف إسماعيل:

وَفَضْلُ حُكْمٍ وَصِدْقٍ فِي الْوُعُودِ فَهَلْ عَلِمْتَ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ دَاوُودُ
وقوله:

لَقَدْ صَدَقْتَنَا بِالنَّوَالِ وَوَعْدُهُ وَعَادَةُ إِسْمَاعِيلَ صِدْقُ الْمَوَاعِدِ
وهكذا يتضح ابن حجر في مدائحه للملوك الدولة الرسولية ليحاكي بذلك
أسلوب العصر الشعري الذي برع فيه رجاله من أهل البديع المفرقين في فهم.

في مدائح الملك الأشرف إسماعيل:

وما لنا نشرق ونغرب في الحديث عن مدائح ابن حجر التي قالها وهو في اليمن

وأمامنا ديوانه يطفح بالعديد منها، في الثناء العاطر على ملوك الدولة الرسولية باليمن، وفيها من الملاح الصريح ما لا يحتاج إلى تورية أو كناية فهو يصفهم بما وصف به سائر المدوحين من خصال بشرية حميدة.

وكان جلُّ قصائده جاءت في الملك الأشرف إسماعيل باستثناء قصيدة واحدة قالها في ولده الناصر أحمد في رحلته الثانية إلى اليمن سنة ٨٠٦.

وهو يمجّد الرسولين ويذكر ملوكهم بالإكبار والإجلال فيقول:

من آل غَسَّانِ ساداتِ الملوكِ وما ففي مَدائِحِ حَسَّانٍ وَنابغةٍ هُم مَهْدُوا الشَّامِ مِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ ظَلَمٍ مِنْ كُلِّ أَرْوَغِ سَامِي الذِّكْرِ سائِرِهِ صَحابة الجُودِ إِنْ حَلَّ التَّزِيلُ بِهِمْ بَيَّتُ ما شاءَ في أَمْنٍ وَفي دَعَةٍ أَهْلُ الفَصاحَةِ إِنْ هَزُوا سَيُوفَهُمْ خُدَّامُ بَيَّتِ الإلهِ الحَقُّ كانَ لَهُمْ تَلَّوا حَدِيثَ العِلاَّ عَنِ سَيِّدِ سَنَدٍ فَأَحَدُ مَلِكِ إِسْماعِيلَ عَنْهُ رَوَى عَنِ المُوَيْدِ دَاوودَ الهَزْبِرِ عِلاَّ يَرْويهِ عَنِ عُمَرَ المَنْصُورِ مُتَّصِلاً مِثْلُ الكَوَاكِبِ أَنْتُمْ سَبْعَةُ زُهْرٍ زَنْتُمْ، غَلَوْتُمْ، حَمَيْتُمْ، جَدْتُمْ كَرَمًا	يُقَالُ في غيرهم ساداتُ أَقْيالٍ فِيهِمْ غَرائبُ مِنْ بَأْسٍ وإِفْضالٍ مِنْ قَبْلُ وَالْيَمَنُ الآنَ اغْتَدَى تالي عَمَّالٍ مَكْرُمَةٍ حَمالٍ أَتَقالِ يَرِدُ بِحاراً وَلا يُجَدِّعُ مِنَ الآلِ مُفارقُ الهَمِّ لا يُرْمى بِأَوْجالِ يَغْدُو خَباراً لَدَيْها صَرَحَ أَبْطالِ وَحالُهُ كانَ مِنْهُمْ بِالْحِلاَّ حالي عَنْ سَيِّدِ سَنَدٍ بَادٍ عَلَى تالي عَنْ (أَفْضَلِ) عَنْ عَلِيٍّ خَيْرَةَ الآلِ عَنِ المُظَفَّرِ سُلْطانِ الوَرى الخالِ مَنْ ذا يُساوِيكَ في إِسنادِكَ العالِ هَذا اتِّفاقٌ لإِجْلالِ وإِجْمالِ أَصَاتُمْ وَهَدَيْتُمْ سُبُلَ ضلالِ
--	---

هؤلاء ملوك بني رسول الغساسنة كما يشيد بهم ابن حجر، وقد اتسموا بصفات من العلو والحماية والكرم وتأمين السبل إلى غير ذلك.

على أن الأوصاف الحقيقية أنجدها في شخص الملك الأشرف إسماعيل الذي يقول فيه صاحبنا بعد أن يُورد له جملاً من الشيم الحميدة:

نَامَ الرَّعَايَا وَقَلْبُ الْبَرْقِ يَخْفِقُ مِنْ رَغَبٍ بِهِ وَيَطْرَفُ النُّجْمُ تَسْهِدُ
وَأُمْتُهُمْ مِنَ الْآفَاتِ طَلَعَتْ مَنْ أَضْحَى وَطَالَعَهُ بِالنُّصْرِ مَسْعُودُ
ويصفه بالشجاعة:

بِإِسْنَانٍ أَسْمَرِهِ السَّمَاءُ مُشَبَّهٌ لَكِنَّهُ لَمْ يُدْعَ مِنْهُ بِأَعْزَلٍ
وَيَكَادُ أَنْ يَمْضِيَ بِأَبْصَارِ الْعَيْدَى مَاضِي بَوَارِقِ سَيْفِهِ فِي الْجَحْفَلِ
وبالكرم حاجة في نفس يعقوب:

الْأَشْرَفُ الْمَلِكُ ابْنُ الْأَفْضَلِ ابْنِ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُؤَيَّدِ حَامِي الْمَلِكِ دَاوُدَ
الْمَانِحِ الْفَضْلِ صَفْوًا فَيُضِرُّ رَاحَتِهِ الْغَيْثُ إِنْ جَادَ تَغْيَانُ وَمَكْدُودُ

وكان نوال ابن حجر العسقلاني من كرم آل رسول الجمل الجزيل، لذا نجده لا يفتأ يذكر تلك الأيادي الكريمة عليه، وقلما تخلو قصيدة وجهها إليهم من إشارة إلى شيء من إكرام بني رسول له، فهم قد أغدقوا عليه العطايا الجليلة:

إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ بَعَثْتُهَا تَضْمَنُ شَكْرِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
فَكَمْ مِنْ أَيْادٍ مِنْكَ هُنَّ مَرَأْفِي عَلَى الدَّهْرَانِ يَسْطُو. وَهُنَّ سَوَاعِدِي
قَصَرْتُ عَلَى مَمْدُودِيهِنَّ مَمَادِحِي وَطَوَّلْتُ فِي عَلَيَائِهِنَّ مَحَامِدِي

قصيدته في مدح الملك الناصر:

كان تولي الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بعد وفاة والده سنة ٨٠٣هـ وعندما دخل ابن حجر اليمن في الرحلة الثانية سنة ٨٠٦ كان هو المتولي لزماد الحكم، وقد سبق أن أشرنا إلى دخول ابن حجر البلاد على تلك الحالة المزرية بعد تعرضه لتلف متاعه وإشرافه على الغرق، ثم نهب بعض القبائل ماله. فكان أن نظم مديحة مؤثرة في الملك الناصر مطلعها:

لَا تَقْطَعُوا بِاتِّصَالِ الْهَجْرِ أَوْصَالِي وَوَافِقُونِي فَقَدْ خَالَفْتُ عُذَّالِي
وفيها يذكر من محاسن الناصر وأخلاقه:

النَّاصِرُ الْمَلِكُ ابْنُ الْأَشْرَفِ [الملك] الـ
أَوْعَى الْمُلُوكِ هُدَى أَوْهَى الْمُلُوكِ عُدَى
مُطَهَّرُ الْجَنِّبِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ دَنْسٍ
مَعْرُوفٌ عَزَا بِمُقْضَالِ ابْنِ مُقْضَالِ
أَوْفَى الْمُلُوكِ نَدَى فِي الْحَالِ بِالْحَالِ
حَاشَا مَعَالِيهِ مِنْ إِخْلَالِ إِجْلَالِ

ويعصف شجاعته وتأمينه السبل فيقول:

أَتَسَى الَّذِينَ مَضَوْا يَوْمَ الْوَعَى وَنَدَا
أَرْضَى الْعُقَاةَ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِهَا
أَضَحَّتْ بِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا (تَعِزُّ) وَمَا
أُمُورُهَا بِصَلَاحِ الدِّينِ قَدْ صَلَحَتْ
سَقَى الرِّمَاحَ دَمَ الْأَعْدَاءِ مُبْتَدِرًا
عَمَّالٌ هَيَّجًا، فِي أَلْفِ بَطَالِ (؟)
وَفِي رِضَا الْمُعْتَصِي سُخْطُ عَلَى الْمَالِ
(رَبِيدُ) إِلَّا بِهَا غَايَاتُ آمَالِي
نَامَ الرِّعَايَا مَتَى مَا اسْتَيْقَظَ الْوَالِي
فَكَانَ أُنْمَارُهَا هَامَاتُ أَبْطَالِ

ثم يخلص من مدحه له ويستنهضه للقيام بالنظر إلى حاله، وفيها يبلغ أقصى درجات الاستعطاف فيقول:

وَالآنَ يَا مَلِكَ الْعَلَيَا قَصَدْتُكَ فِي
لِدَارِ مُلْكِكَ مُدُنُ الْأَرْضِ مَرْجِعُهَا
مَا شِئْتَ أَيْدِكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ جَرَى
جَبَرِ انْكِسَارِي وَفِي إِصْلَاحِ أَحْوَالِي
كَالْبَحْرِ مَرْجِعُ أَنْهَارٍ وَأَوْشَالِ
فَانْهَضْ لِمَا شِئْتَ تُسْتَقْبَلُ بِإِقْبَالِ

ثم يطيب في وصف حاله، وما أصابه في رحلته المشؤومة تلك: إلى أن يذكر عطف الملك عليه وتأنيس غُرْبَتِهِ فيقول:

أَهْلَتْنِي بَعْدَ تَغْرِيبِ النَّوَى كَرَمًا
مَلَأَتْ طَرْفِي وَكَفَيْتُ هَيْبَةً وَغِنَى
وَحَقُّ رَأْسِكَ لَوْلَا أَنْتَ مَا صَبِرْتُ
كَحَلْتُ طَرْفِي بِمِثْلِ الشَّهْدِ إِذْ بَعُدُوا
فَعُدْ بِجَاهِكَ تَحْمِينِي وَتَنْصِرْنِي
يَا مَالِكِي بِلَدِيحِي قَدْرُكَ الْعَالِي
حَتَّى تَفْرَغْتُ لِلْأَمْدَاحِ يَا مَالِ (٣)
نَفْسِي عَلَى فُرْقَتِي أَهْلِي وَأُطْفَالِي (٤)
فَالْدَمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يُجْرِي بِأُمِّيَالِ
عَلَى عِدَائِي بِأَقْوَالِ وَأَفْعَالِ

وفي هذه القصيدة يبلغ الشاعر أقصى درجات التزلُّف والمجاملة فيصف بمدحه بأوصاف لا تليقُ بمخلوق ضعيف فيقول:

يَا كَفَّةً طُفْتُ فِي تَعْظِيمِ حُرْمَتِهَا مُكَبِّراً قَدَّرَهَا الْعَالِي بِإِهْلَالِ
أُزُورِهَا مُحَرِّماً مِنْ غَيْرِهَا فَإِذَا حَلَلْتُ بَدَلْتُ إِحْرَامِي بِإِحْلَالِ

ولست أدري كيف سمح للرجل علمه وفقهه أن يقول مثل هذا الكلام مع أنه
عندما ترجم للناصر المذكور في تاريخه «إنباء الغمر» عند سنة وفاته (سنة ٨٢١) قال
في حقه: كان الملك الناصر فاجراً جائراً مات بسبب صاعقة نزلت على حصنه
المسمى «قواريير» فارتاع من صوتها فتوَعَّكَ ومات.

مع الوزراء والأدباء في اليمن:

ليس لدينا مصدر تاريخي يرصد كل حوادث العلامة ابن حجر في رحلته إلى
اليمن، وهو لم يُعَنْ بهذا الأمر إلا فيما يتعلق بالأمور العلمية التي وقعت له من
إجازات وقراءة على الشيوخ وتلمذة عليه إلى غير ذلك.

وفهم من قصيدة بعثها إلى أحد الوزراء بمدينة عدن أنه قد وقعت بينه وبين
هذا الوزير وخشة اضطرت علامتنا ابن حجر العسقلاني أن يكتب قصيدة
يستعطف فيها ذلك الوزير، يبدأها أولاً بالمدح كما هو المعتاد يقول:

إِلَى ابْنِ عَلِيٍّ قَدْ رَفَعْتُ قَضِيَّتِي وَأَرْجُو بِهَذَا أَنَّ قَلْبِي يُرْفَعُ
إِلَى الْأَوْحِدِ الْقَاضِي الْأَجَلِ وَمَنْ لَهُ ثَنَاءٌ يَفُوقُ الْمِسْكَ إِذْ يَنْصَوُّعُ
رَبِّسَ إِذَا مَا اسْتَبَطَّ الْوَقْدَ جُودَ مَنْ أَتَوْهُ أَتَاهُمْ جُودُهُ يَتَسَرَّعُ
وَفِيهِ مَعَ الْقَدْرِ الْعَلِيِّ تَوَاضَعُ وَفِيهِ عَنِ الْفِعْلِ الدُّنْيَى تَرْفَعُ

إلى آخر مدح ابن حجر التي يكيلها لذلك الرجل جزافاً. إلى أن يصل إلى تلك
النفرة التي وقعت بينهما فيقول:

أَيَا ابْنَ الْكَرَامِ اسْمَعْ شِكَايَةَ مُفْرِدٍ غَرِيبٍ لَهُ فِي بَحْرِ جُودِكَ مَشْرِعُ
لَقَدْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِرَحْبِهَا وَإِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا فَعَفُوكَ أَوْسَعُ
فَإِنْ لَمْ تُعَامِلْ مِنْكَ عَبْدُكَ بِالرُّضَا فَمَنْ فِيهِ بَعْدِي لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعُ؟
لَيْنَ كُنْتَ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي مَقَالَةٌ لَمَّا لَغَتْ الْوَاثِي أَعْشُ وَأُخْدَعُ^(٥)

رَأَوْكَ إِلَى مَا سَاءَ قِي مُتَسَرِّعاً
وَلَوْ كُنْتَ تَرَ عَى الْوُدَّ مَا بِلْتَ نَحْوَهُمْ
وَكَيْفَ يُعَادِي آلَ بَيْتِكَ عَاقِلُ
لَظَهَرَكَ أَهْمِي مِنْ مُحِبِّ عَدُوِّهِ
سَأَتِي عَلَيْكَ الدَّهْرَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَقُلْ لِي إِذَا لَمْ تَتَخَذِمْ بِمَدَائِحِي
وَمَنْ يَزْرَعُ النُّعْمَا بِأَرْضِ كَرِيمَةٍ
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا دُونَ قَدْرِكَ قَدْرُهُ
وَلَكِنَّمَا سَنَ الْكِرَامُ اسْتِمَاعَهُ
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ الْقَرِيضَ أَجَادَ فِي الْ
فَهَاكَ قَصِيدٌ شَجَّعْتَنِي صِفَاتُكُمْ

فَقَالُوا وَزَادُوا مَا أَرَادُوا وَأَسْرَعُوا
بِسْمِعِ رَعَاكَ اللَّهُ دَهْرًا وَلَا رُعَا
وَأَلَّ عَلِيٍّ لِلْمَوَالِيقِ مَوْضِعٌ^(٦)
وَيُسْرَاكَ مِنْ يَمَنَاهُ أَنْدَى وَأَنْفَعُ
وَيَحْرُ امْتِدَاجِي زَاخِرٌ فِيكَ مُتَرَعُ
أَلَمْ تَتَيَقَّنْ أَنَّ مَنْ جَادَ يَخْدَعُ!!!
سَيَحْصُدُ أَضْعَافَ الَّذِي ظَلَّ يَزْرَعُ
وَمَا يَسْتَوِي فِي الْقَدْرِ بَاعٌ وَأَصْبَعُ
وَتَعْظِيمُ مُنْشِيهِ الَّذِي يَتَصَنَّعُ
عَمَّالٌ وَلَا كُلُّ الْمُجِيدِينَ مُبْدِعُ
عَلَيْهَا فَفَاقَتْ كُلُّ مَا قَالَ أَشْجَعُ^(٧)

وهذه القصيدة من أطول ما جاء في ديوانه من مدح قالها في اليمن مما يدل على خطورة الأمر بين الرجل وتوقع الشر المحيق بصاحبنا من ذلك الوزير، كما تدل عليه القصيدة.

وكان للوزراء مكانة كبيرة عند ملوك بني رسول حتى غدا من شأنهم إصدار الأوامر الجائرة فوق حكم السلطان، وقد وقعت حادثة لبعض أدياء ذلك العصر مع بعض الوزراء تشبه تلك التي جرت لابن حجر مع ذلك الوزير فقد ذكر المؤرخ البربري^(٨) أن الأديب محمد بن محمد بن إدريس العلوي المتوفى سنة ٨٤١ مدح السلطان الظاهر ببيديعة عجيبة فأحال له السلطان على المتولي بحصن تعز بخمس مئة دينار فمطله، فهجاه العلوي المذكور وشكاه إلى السلطان فأذن له بتأديبه، وأراد قتله فشفع له الإمام العلامة ابن الحياط فقبل شفاعته على شرط أن لا يوجد في البلد فأطلقه فدلّت هذه الحادثة على عظم مكانة الوزراء في ذلك العصر، ولا يبعد أن يكون ابن حجر العسقلاني قد توجّس شراً من ذلك الوزير فاستعطفه بقصيدته تلك وهي من غرر ديوانه.

على أن مكانة ابن حجر لا تخفى على أدياء اليمن وعلمائه وقد ذكر وفادته إلى

اليمن معاصره المؤرخ البرهبي فقال في تاريخه^(٩): (الإمام العلامة عمدة المحدثين، وقدوة المحققين، حافظ العصر، ونادرة الدهر شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. وقد إلى اليمن صُحبة أمين الدين مفلح بن عبدالله تاجر السلطان الناصر في أول المئة التاسعة، واجتمع إليه جماعة من فقهاء اليمن فأفادهم واستفاد منهم). انتهى

وما كاد يستقر بمدينة زبيد حتى بعث إليه شاعر اليمن وفقهها الأديب إسماعيل بن أبي بكر المقرئ بقطع شعرية متناثرة يثني فيها على ابن حجر من ذلك قوله:

قُلْ لِلشَّهَابِ ابْنِ عَلِيٍّ بِنِ حَجَرٍ سُوراً عَلَى مَوَدَّتِي مِنَ الْغَيْرِ
فُسُورٌ وَدِّي مِنْكَ قَدْ بَنَيْتُهُ مِنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَتَيْنِ وَالْحَجَرِ

وفيه تورية باسم ابن حجر فيجيبه المذكور بقوله:

عَوَّدْتُ سُورَ الْوُدِّ مِنْكَ بِالسُّورِ فَهَوَّ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْحُكْمِ حَجَرٌ
يَأْمَنُ رَقِي فِي الْمَجْدِ أَنْتَ غَايَةَ بِالْحَقِّ أَعْيَتْ مَنْ بَقِيَ وَمَنْ غَبَرَ
فَضْلُ سِوَاكَ مُدْعَى أَوْ نَاقِصٌ كَأَنَّهُ (إِنَّ) أَتَتْ بِلاَ خَيْرِ
لَأَنْتَ بِالصَّدْقِ إِسْمَاعِيلُ لَهُ (؟) وَصَفَ عَلَى كُلِّ الْوَرَى بِهِ افْتَخَرَ

وهناك قصيدة تُعدُّ من غرر الأدب اليمني كتبها سيّوئيه اليمن الأديب برهان الدين إبراهيم بن إسماعيل الجحافي المتوفي نحو سنة ٨١٠ يمدح فيها العلامة ابن حجر لما سمع بقدمه اليمن يقول فيها:

شُكْرِي لِسِرِّ السَّابِقَاتِ الْعِرَابِ الْأَعْوَجِيَّاتِ بَنَاتِ الْعِرَابِ
وَلِلْمَهَارِيِّ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَحُوضُ فِي السَّبَسْبِ لُجَّ السَّرَابِ

وهي من نفائس الشعر، وقد أثني عليها شاعر اليمن المعاصر الأديب أحمد بن محمد الشامي في دراسته عن أدباء اليمن، وقد تحسّر على فقدان نصّها الكامل.

وما كادت تصل القصيدة إلى يد العلامة ابن حجر حتى يجيب عليها بقصيدة على نفس الرّوي وقد ردت كاملة في ديوانه ص ٩٤ (ط الهند). ومطلعها:

أَهْلًا بِهَا حَسَنَاءَ رُودِ الشَّبَابِ
مُفْتَرَّةً عَنْ جَوْهَرٍ رَائِعِ
جَادَتْ بِوَضَلٍ نَاعِمٍ أَنْعَشَتْ
فَأَسْكَرْتَنَا بِأَحَادِيثِهَا
فَمَا كُؤُوسُ الشَّرْبِ مِلًّا طَلَى
وَمَا الرِّيَاضُ الزَّاهِرَاتُ الرُّبَا
غَنَاءُ غَنَى الرُّوَضِ أَوْزَاقُهَا
فَرَأَيْتِ الْأَبْصَارَ أَغْصَانُهَا
يَوْمًا بِأَيْمَى مِنْ حَدِيثٍ لَهَا
أَهْدَى لَنَا كَانُونَ أَزْهَارَهَا
قَبْلَتْهَا ثُمَّ تَرَشَّفْتُهَا
كَأَنَّهَا نَابِتٌ قَصِيدًا زَهَتْ

وفيهما يخاطب الجحافي المذكور:

مَوْلَايَ هَذِي خِدْمَةٌ قَصَّرْتُ
بِتُّ بِهَا فِي لَيْلَتِي ظَامِنًا
أَضْرِبُ أَتْحَاسِي بِأَسْدَاسِهَا
أُثْبِتُ عَنْ مَرْجَانِكُمْ بِالْخَصَا

وَأَفْتٍ لَنَا سَافِرَةً لِلنَّقَابِ
لَكِنْ مَأَوَاهُ الشَّيَا الْعَذَابِ
بِهِ فَوَادَ الصَّبِّ بَعْدَ التَّهَابِ
وَلَمْ نَذُقْ مِنْهُ كَأْسَ الشَّرَابِ
أَرْفَعُ مِنْهَا لِلنَّهْيِ بِانْتِهَابِ
جَادَلَهَا الْغَيْثُ بِفَرْطِ انْسِكَابِ
فَنَقَطْتُ عُجْبًا بِدَرِّ السَّحَابِ
وَأَطْرَبَ الْأَسْمَاعَ وَقَعَ الرِّبَابِ
أَحْيَا مَوَاتَ الْأَدَبِ الْمُسْتَطَابِ
فَقُلْتُ يَا بُشْرَايَ نَيْسَانُ أَبِ
وَمَا تَجَاوَزْتُ الرُّضَا بِالرُّضَابِ
مِنْ نَظْمِ (إِبْرَاهِيمَ) أَذْنَى مَنَابِ

بِالْعَجْزِ عَنْ نَظْمٍ إِذَا طَالَ طَابِ
أَرْوَمُ تَعْوِيضَ الشَّرَابِ السَّرَابِ
وَلَا يَدُورُ النَّظْمُ لِي فِي حِسَابِ
فَاللَّهُ يُؤَلِّيكَ جَزِيلَ الثَّوَابِ

وتنبئ القصيدة المذكورة أن ابن حجر كان يحلوه تعاطي الألفاظ الشعرية مع أدباء عصره كما هي عادة الأدباء في ذلك الوقت، فهو ما يكاد يختتم قصيدته السابقة حتى يلحقها بلفظ منظوم على نفس زوِّي القصيدة يقدمه إلى صاحبه الجحافي يقول فيه:

وَهَاتِ فَرَسٌ: مَا اسْمُ ذَاتِ إِذَا مَا صَحَّفُوهُ كَانَ مَأْوَى الرُّضَابِ
وَأِنْ تُبَدِّلَ مَعَ إِذَا أَوَّلًا مِنْهُ تَرَّ لُغْزًا يَرُومُ الْجَوَابِ

وهو لغز نحوي لعلمه تمرس صاحبنا الجحافي بهذا الفن.

وقد كانت الألغاز عند الأدباء في اليمن خلال ذلك الوقت لعبة الأدباء وسلوهم^(١) وهذا الجحافي — خصوصاً — كان مولعاً بهذا الجانب، فقد ذكر البريبي في ترجمته إعجابه بالألغاز، وذكر أن ابن حجر لما قدم إليه قصيدته السابقة إجابة عنه، (ذكر بقصيدته شيئاً من اللغز فعرفه الجحافي وأجاب عليه على غير هذه القافية).

وكذا طارح الأديب إسماعيل بن أبي بكر المقرئ ابن حجر العسقلاني الألغاز، أورد بعضاً منها جامع ديوانه.

في الشوق إلى الأجرة:

على أن ابن حجر لم يكن يطيب له المقام في اليمن وقد لاقى من المنغصات ما فيه الكفاية، وهو لا يكاد يطيق فراق أسرته التي تركها في القاهرة وحيدة تنتظر منه العون والمواصلة. وقد كتب ابن حجر في غربته تلك أروع نظم في الشوق إلى أهله وأولاده. وهو لا يفتأ يذكّر ممدوحه بحنينه وشوقه ذاك. ولعل سر جمال شعره في البعض منه يعود إلى تلك الخصيصة التي تميز بها من صدق الإحساس والتعبير عنه.

يحدثنا عن فراق أحبته فيقول:

فَارَقْتُهُ فَلَقِيتُ كُلَّ تَذَلُّلٍ مِنْ بَعْدِ عِزِّي عِنْدَهُ وَتَذَلُّلِي
بِاللهِ يَا مَحْبُوبَ قَلْبِي هَلْ تَرَى بَعْدَ الْقَلَا عَوْدَ اللَّقَاءِ الْأَوَّلِ؟
مَنْ لِي بِوَجْهِكَ وَالذَّيَارِ وَتُرُوقِ وَرِضًا بِدُومٍ لَنَا وَفَقْدِ الْعُدْلِ

ومخاطب ممدوحه فيقول له لولا سعادته بلاقائه لما تجشم صعوبة الرحلة وفراق الأهل:

وَحَقَّ رَأْسُكَ لَوْلَا أَنْتَ مَا صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى فِرْقَتِي أَهْلِي وَأَطْفَالِي^(١)
كَحَلْتُ طَرْفِي بِمِثْلِ الشُّهْدِ إِذْ بَعْدُوا فَالْدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يَجْرِي بِأَمْثَالِ

هذا المنحى الإنساني يتكرر في أكثر شعر ابن حجر ويزيده إذكاء ولوعة نُرُوحه.

عن الوطن، وبُعْدهُ وعدم تجلّده على فراق من تركهم بقاهرة المعز من صبية صغار
كَرَّغِبِ القَطاحِ حسب تعبِيرِ الحُطَيْثَةِ.

نجد في شعر ابن حجر الإفصاح عن ذلك كثيراً، وهو يُعلِّلُ سببَ فراقه
عنهم بالسعي لهم عن أسباب الرزق :

فَوَالله مَافَارَقْتُهُمْ عَنْ مَلَالَةٍ وَهَلْ مَلَّ ظَامٍ مَوْرِدَا فِيهِ يَشْرَعُ
وَلَكِنْ ضَيْقُ الْعَيْشِ أَوْجَبَ غُرْبِي وَسَعِي لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَيْ يَتَوَسَّعُوا
فَإِنْ يَسَّرَ اللهُ الْكَرِيمُ بِلُطْفِهِ رَجَعْتُ وَبِشَلِي بِالسَّسْرِ يَرْجِعُ
إِنَّمَا ذَاتُ الْيَدِ جَعَلَتْهُ يَسِيمَ عَلَى وَجْهِهِ مَخْلَفًا وَرَاءَهُ مِنْ يَلُودِ بِهِ وَيُوْنَسُ بِهِمْ.

وهو يَرَى الغربةَ الحقيقيةَ في فراق الحِلَّانِ، لا الأوطان :

مَنْ سَرَّهُ وَطَنٌ يَوْمًا أَقَامَ بِهِ فَإِنِّي سَاءَنِي مِنْ بَعْدِهِ وَطَنِي
إِنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي تَنَأَى أَجَبْتُهُ عَنْ طَرَفِهِ لَا الَّذِي يَنَأَى عَنِ السَّكَنِ

وفي اليمن يستعيد ذكرياته عن مصر، حيث أيام الصبوة والشباب :

كَأَنِّي لَمْ أُمْرَحْ وَأُمْرَحَ مَعَ الرُّشَا بِمِصْرَ وَلَمْ أَفْرَحْ بِصُحْبِي وَأَحْبَابِي
وَلَمْ تَرْنِي عِنْدَ الْبِقَاءِ حَبَائِي هُنَالِكَ لَمْ أَحْفَلْ بِعِلْمِي وَأَدَابِي
وَلَمْ أَرْمِ عُدْدَالِي وَأَحْفِظُ قَاتِلِي وَحَاجَبُهُ وَاللَّحْظُ قَوْسِي وَنُشَابِي
وَلَمْ يَكْ نَقْلُ اللَّثَمِ فِي صَحْنِ خَدِّهِ وَيَالْتَفَرِ أَوْ بِالرَّيْقِ خَمْرِي وَأَكْوَابِي

وتغر به الخواطر معادة مكررة حيث يحلو له استرجار أيامه في مصر في ربع

الأحبة والأهل :

رَفَعْتُ صَبْرِي عَنِّي إِذْ رَحَلْتُ وَقَدْ لَقِيتُ فِي سَفَرِي مِنْ بَعْدِهِمْ نَصَبَا
هَلْ عَائِدٌ وَالْأَمَانِي لَمْ تَزَلْ عَرَضَا لِلْقَلْبِ مِنْ جَوْهَرِ الْأَفْرَاحِ مَا ذَهَبَا
يَا كَامِلَ الْحُسْنِ حُزْنِي وَافِرٌ وَأَرَى وَجْدِي مَدِيدٌ وَصَبْرِي عَنْكَ مُقْتَضِبَا
أَيَّامَ أُمْسَى حَبِيبُ الْقَلْبِ مُعْتَرِبَا مِنِّي وَابْعَدَ مَنْ قَدْ كَانَ مُرْتَقِبَا
لَا أَبْعَدُ اللهُ أَيَّامًا بِقُرْبِكَ قَدْ حَلَّتْ وَلَكِنَّمَا مَرَّتْ فَوَاعِجِبَا

حَتَّى قَضَى اللَّهُ بِالتَّرْحَالِ عَنْهُ فَقَدْ أَسَى الْحَبِيبُ بِظَهْرِ الْعَيْبِ مُحْتَجِبًا
عَوِضْتُ بِالْبَذْرِ حَقًّا وَالرُّضَا سَخَطًا وَبِالْوِصَالِ جَفَاً وَالذُّرَّ تَحْشَلِبًا (١)

نعم لم يكن ابن حجر راضٍ عن فراق الأحبة وقد استعاض بهم في اليمن
نَصَبًا وَهَمًّا فهو لا يفتأ يصرح بِغَيْبِهِ فِي صَفَقَتِهِ تِلْكَ الْحَاسِرَةَ عِنْدَمَا يَذْكُرُ مِصْرَ
وَلِيَالِيهَا:

تَرَكْتُ شَرَابَ النَّيْلِ حُلُومًا وَبَارِدًا فَكَمْ خَذَعَةً لِي بَعْدَهُ بِشَرَابِ
وَفَارَقْتُ مَالًا طَاقَةً لِفِرَاقِهِ فَمَا طَرَقَ السُّلُومُ سَاحَةً بَابِي
وَكَمْ قَطَعْتُ عَيْسِي وَوَأَصَلْتُ السُّرَى مَهَامِهِ فِي الْبَيْدَاءِ جَدُّ صِعَابِ
مُجَاهِلٍ سَمَاهَا الْجَهْلُولُ مَعَالِمًا نَعَمْ لِسَقَامِي بِالنُّوَى وَعَذَابِي
وَكَمْ عَقَبَاتٍ قَدْ تَبَدَّلَ بَعْدَهَا نَعِيمِي بِأَوْطَانِي بِطُولِ عِقَابِ

وهو يتلهف العودة ويتحسر على أيامه بها في شعر لا يخلو من عاطفة صادقة
يقول:

مَتَى يَتَجَلَّى أَفْقُ مِصْرَ بِأَقْمَارِي وَأُزَوِّي عَنِ اللَّقْبَا أَحَادِيثَ بَشَارِ
إِلَى مِصْرَ وَاشْوَقًا لِمِصْرَ وَأَهْلِهَا تَشْوُقُ صَبَّ لِلنُّوَى غَيْرَ مُخْتَارِ
أَيَا وَخَشْتِي يَا مِصْرَ مِنْكَ لِبَلَدَةٍ لِدَاخِلِهَا بِالْأَمْنِ بُشْرَى مِنَ الْبَارِي
تَهْبُ نُسَيْمَاتُ الشَّمَالِ بِأَرْضِهَا فَيَنْشُقُ مِنْهَا الْأَنْفُ جَوْنَةَ عَطَارِ
مُحْسَدَةً لَا قَذَحَ فِيهَا لِعَائِبِ عَلَى أَنَّ زَنْدَ الْفَضْلِ مِنْ أَهْلِهَا وَارِي
إِذَا فَاخَرُوهَا قَامَ صَارِمٌ نِيلَهَا بِمَقْيَاسِ صِدْقٍ كَاسِرٍ كُلِّ فَخَارِ
مَرَاتِعُ لَذَائِي وَمَلْهُى شَيْبَتِي وَمَبْدَأُ أَوْطَانِي وَغَايَةُ أَوْطَارِي

إلى آخر تشوقه إلى مصر، وتلهفه لأهلها وهو بقدر حبه لموطنه نجده قد كره
المقام باليمن حتى صرح بذلك في تورية لطيفة يشير فيها إلى مدينتي اليمن عَدَنَ
وتَعِزَّ، يقول بعد تصريحه بفقدان الصبر عن الأهل والولد:

كُلُّ اضْطِبَارِي لَمَّا كُلفْتُ مِنْهُ وَقَدْ عَدِمْتُ صَبْرِي وَعَزَمِي، حِينَ كَلَفَنِي
لَا أَبْعَدُ اللَّهُ أَحِبَّائِي الَّذِينَ شَرَوْا رِقُّ الْمُحِبِّ بِمَا اخْتَارُوا مِنَ الثَّمَنِ
وَلَا عَدِمْتُ لِيَالِي وَصْلِهِمْ فِيهَا مَرَحْتُ وَهِيَ شَيْبَةُ الرُّوضِ كَالْغُضَنِ

طَابَتْ خَلَاتُهُمْ مِنْ صَفْوَهَا فَقَدَتْ تُغْزَى إِلَى عَدَنِ دَع (؟) تُغْزَى إِلَى عَدَنِ
حديث العودة:

لَذَا كَلَهُ لَا نَسْتَعْرَبُ أَنْ يَسْتَعْجَلَ ابْنُ حَجَرٍ أَمْرَ الرِّحْلَةِ عَنِ الْيَمَنِ، وَيُجْمَعُ أَمْرُهُ
لِلتَّزْوِجِ عَنْهَا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ فَهُوَ قَدْ مَلَ الْمَقَامَ بِهَا وَرَضِيَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ.
بل نجده يذكر شأن العودة في مباحثه للملك بني رسول، عند أول قدومه أرض
اليمن حيث يقول مخاطباً الملك الأشرف إسماعيل:

وَرَجَائِي تَشْرِيفِي بِمَرْسُومٍ بِهِ غَضَبُ الْعَدُوِّ إِذَا بَدَأَ وَرِضَا الْوَلِيِّ
رحل ابن حجر العسقلاني عن اليمن وقد ترك أمراً لا ينسى في تاريخ الثقافة
بها، حيث خلّف تاريخاً له، يذكر كلما ذكر هذا الرجل الجليل.

صنعاء: عبد الله محمد السجستاني

الهوامش:

- (١) كيف يخفى على محدث جليل - بل عالم الحديث النبوي الشريف في عصره الإمام ابن حجر - أنّ القسم بغير الله شرك كما ورد في الحديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك» إنها شطحات الشعراء، أو ذعول العلماء - العرب -
- (٢) إطلاق وصف (ملك الملوك) على غير الله جلّ وعلا بما ورد الشرع بحرمته، وجاءت أحاديث عن المصطفى ﷺ بذلك، وعقد شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب «التوحيد» باباً لذلك، أورد فيه بعض الأحاديث وأقوال علماء السلف في ذلك - العرب -
- (٣) ترخيم يا مالك.
- (٤) تقدمت الإشارة إلى حرمة القسم بغير الله.
- (٥) مأخوذ من بيت النابغة الذبياني: لئن كنت قد بلغت عني خيانة لبلغك الواسي أغش وأكذب.
- (٦) إشارة إلى حديث من كنت مولاه فعلي مولاه وفيه تورية إلى والد الممدوح.
- (٧) يعني به أشجع السلمي أحد فضحاء العرب.
- (٨) أنظر تاريخ البرقي ص ٣٢٣ بتحقيقنا.
- (٩) المصدر السابق ص ٣٣٩.
- (١٠) أنظر على سبيل المثال «ديوان ابن حجر العسقلاني» المطبوع في الهند سنة ١٣٠٥ هـ وفيه العديد من الألفاظ بعضها طارح فيها ابن حجر العسقلاني المذكور.
- (١١) لا يجوز القسم بغير الله - بنص الحديث النبوي الصحيح.

موقف أدباء الجزيرة من الحملة الفرنسية على مصر

١٢١٣ - ١٢١٦ هـ (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

يدرك الناظر في تراث الجزيرة العربية خلال العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري مدى اهتمام المؤرخين والأدباء بأحداث الحملة الفرنسية على مصر عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م، فقد سجل المؤرخون أخبار تلك الحملة، وأخذ الأدباء عندئذ يسهمون بشيء من نتاجهم الأدبي في ميدانها، إذ كان لمشاركتهم أثر في تصوير مواقفهم، والتعبير عن مشاعرهم، ولم يكن الأدباء حينذاك بأكثر مشاركة من المؤرخين، وإنما وُجد لهم شيء من النتاج المحدود وبخاصة لدى أدباء اليمن والحجاز، إذ يغلب على ذلك النتاج الأدبي وضوح الحماس الديني، والروح الإسلامية الصادقة، فقد اصطبغت تلك النماذج جميعها بصبغة إسلامية جادة، إذ عد أولئك الأدباء هذا التدخل الأجنبي السافر اعتداءً على البلاد الإسلامية التي لم تشهد مثله من قبل^(١).

والحق أن الأدباء بهذه الأنحاء قد استطاعوا أن يصورا مواقفهم تجاه هذه الحملة، وأن يعبروا عن الأمهم وأحاسيسهم بصدق ووضوح، فقد تبين هذا الشعور الصادق في مضامينهم الأدبية المختلفة، وذلك رغم الروح التقليدية المتكلفة التي برزت في ذلك النتاج الأدبي، ويتحقق هذا القول فيما وجد من نماذج مختلفة في ميداني: الشعر والنثر، وذلك على الرغم من وفرة النماذج النثرية التي قيلت في هذا المجال، وبخاصة في ميدان الرسائل الديوانية، ومع هذا عرفت الخطابة^(٢) والوصايا^(٣)، وحملت شيئاً من مواقف الأدباء وآرائهم، إلى جانب أساليب المؤرخين الأدبية التي تمثل مواقفهم الثابتة تجاه هذه الحملة الفرنسية، فقد عبرت عن أحاسيسهم وأبانت عن مواقفهم تجاه تلك الأحداث، وذلك في مؤلفاتهم التي ينقلون فيها أخبار زمانهم ومجتمعاتهم^(٤).

ويمكن تتبع تلك المواقف الأدبية من خلال دراسة بعض النماذج الشعرية والنثرية، والأساليب التعبيرية، وذلك على الرغم من قلة تلك النماذج في ميدان الشعر التي تعد قليلة بالنسبة لبقية الألوان النثرية الأخرى. ومن ذلك التناج الشعري قول أحد شعراء الحجاز^(٥):

أيالهف^(٦) نفسي لما قد^(٧) جرى توالي الخطوب على القاهرة
تولى الفرنج^(٨) بها بغتة وحلوا منازلها العامرة
ولكن^(٩) نرجو^(١٠) بفضل الكريم تعاد لهم كرة خاسرة^(١١)

ورغم الضعف الذي أصاب هذه الأبيات في أدائها اللغوية وحسها العروضي، ندرك وضوح موقف قائلها من هذه الحملة الفرنسية حينما تحسر على نفسه بصدق، وأشار إلى تلك المحن التي تجري في بلاد المسلمين، إنما هي من الخطوب والرزايا، إذ ظل الشاعر رغم قصوره الشعري يأنس بآماله الواسعة التي يرجو من خلالها أن يصيب الخسران والهوان أولئك المعتدين.

ويزداد موقف أدباء الجزيرة العربية وضوحاً في ميدان النثر، إذ ذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرقي^(١٢) (١١٦٧ - ١٢٣٧هـ): أن الناس في الحجاز قد انزعجوا لهذا الأمر، وأخذوا يستجيبون لداعي الجهاد، ويتأثرون بما يقال لهم في المواعظ والخطب، وأضاف لقوله: أن رجالاً من المجاورين لبيت الله الحرام ممن يعدون من نزلاء مكة المكرمة، ومن علماء المسلمين قد أخذوا يدعون للجهاد، وقال: بأن منهم من أخذ يرشد الناس ويدعوهم إلى الجهاد، ويحرضهم على نصرته الحق والدين، وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك، فاتعظ جملة من الناس، وبذلوا أموالهم وأنفسهم^(١٣)، ومن هنا ندرك أن العلماء والأدباء قد أسهموا في تأليف النصائح، والمواعظ والخطب من أجل استلهاهم مشاعر الناس وإيقاظها، فلقد كان المتحمسون منهم يقومون في الناس بالخطابة والوعظ، ويذكرونهم بالمصير، ويدعونهم للجهاد، ويتحقق هذا القول في عمل محمد المغربي الجيلاني الهاشمي^(١٤) الذي كان يعظ الناس في البلد الحرام بما يلهب مشاعرهم ويجعلهم

يسهمون في تسيير الجيش وتجهيزه، حتى أن النساء اللاتي سمعن تلك المواعظ والخطب كن يسهمن بالعطايا، ويشاركن بالأموال في سبيل الله، فقد ذكر لطف الله جحاف^(١٥) (١١٨٩ - ١٢٤٣هـ): «أنهن يأتين لسماع ما يمليه من أحاديث الحوض على الجهاد، فيلقين إلى الحلقة فتخاتن وعقودهن وملبوسهن، ويقلن: ذلك الذي علينا...»^(١٦). وهذا يدل على مدى تأثير الخطابة في قلوب الناس، وأن الأدباء والعلماء قد سخروا خطبهم لحض الناس على الجهاد، واشعال حماسهم نحو الفرنسيين المعتدين، وذلك ما يمكن عده من مواقف الأدباء في الجزيرة العربية من هذه الحملة الفرنسية^(١٧).

ولم تكن مشاركة الجيلاني تقتصر على دعوة الناس وارشادهم في مكة المكرمة فحسب، وإنما تحقق له شيء من تلك المواقف في بلدان أخرى، فقد ذكر لطف الله جحاف: «أن الجيلاني لما نزل بالصفراء»^(١٨)... دعا إلى الجهاد^(١٩). وأضاف جحاف إلى قوله: «أن الناس استجابوا له وأتوه بأموال واسعة»^(٢٠)، ولم يقتصر اسهام رئيس المجاهدين هذا وخطيبهم على الخطابة فقط بل إنه لما أدركه الموت أوصى الناس بما فيه فلاحهم من الجهاد وتقوى الله، فقد أشار المؤرخ لطف الله جحاف كذلك إلى أن الجيلاني نفسه قد ترك قبل وفاته وصية إلى الناس، أوصاهم فيها بتقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والصبر على ملاقات الأعداء^(٢١)، وهذه المشاركات الأدبية في ميدان النثر تعد من مواقف أدباء الجزيرة العربية وعلمائها الذي عدوا هذا الاعتداء الفرنسي تدخلاً في شئون البلاد الإسلامية والعربية.

وفي الحقيقة أن مواقف أدباء الجزيرة العربية من هذه الحملة الفرنسية تزداد وضوحاً في ميدان الرسائل الديوانية التي أسهم فينتاجها عدد من كتاب الدواوين في تلك الفترة وبخاصة أدباء اليمن والحجاز، فقد حفلت كتب المؤرخين حينذاك بشيء من تلك الرسائل الديوانية التي تبادلتها حكام الجزيرة العربية وولايتها من أجل هذه الحملة الفرنسية، وبخاصة أشرف مكة المكرمة وأئمة اليمن، وتعد كتب المؤرخين اليمنيين أكثر احاطة بهذه الرسائل، ومن أولئك المؤرخين اليمنيين - على سبيل المثال - محمد بن علي الشوكاني في كتابه: «البدر الطالع»^(٢٢)،

ولطف الله جحاف في كتابه: «درر نحرور العين»^(٢٣). إلى جانب بقية مؤرخي الجزيرة العربية، أمثال: ابن بشر والفاخري في كتابيهما: «عنوان المجد»^(٢٤)، و «الأخبار النجدية»^(٢٥).

ويمكن تتبع مواقف أدباء الجزيرة العربية تجاه هذه الحملة من خلال رسائلهم الديوانية ومكاتباتهم المختلفة، فقد ذكرت المصادر الموجودة بين أيدينا الآن أن المجاهدين الذين خرجوا من الجزيرة العربية من أجل قتال أولئك الأفرنج، قد كتبوا عندئذ رسائل لأعدائهم الفرنسيين يدعونهم فيها إلى الإسلام أو للحرب، إذ ذكر لطف الله جحاف في هذا الجانب أن الجيلاني زعيم المجاهدين أوآنذاك قد كتب إلى النصارى كتاباً يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله، فإن أطاعوا، وإلا فهو مقاتل لهم^(٢٦)، وأضاف هذا المؤرخ إلى قوله: أن هنالك رسائل متفرقة تحمل أخبار المجاهدين وتعبر عن أحوالهم، وضرب لذلك مثلاً بقوله: جاءت الرسائل إلى مَنْ بآبنود وبئر عنبر مخبرة^(٢٧) ب وفاة الجيلاني، وطالبة من المسلمين الوصول للاطلاع على الوصية^(٢٨) التي خلفها.

وقد أفاض محمد بن علي الشوكاني في ذكر الرسائل الواردة من شريف مكة المكرمة إلى إمام اليمن حينذاك، وقال بأن شريف مكة غالب بن مساعد^(٢٩) - ١٢٣١هـ، أرسل في شهر رجب عام ١٢١٣هـ بكتاب إلى إمام اليمن المنصور بالله علي بن العباس^(٣٠) (١١٥١ - ١٢٢٤هـ)، وأضاف إلى ذلك قوله أن الشريف المذكور أرسل في طي كتابه بكتاب من سلطان الروم^(٣١)، وقد سرد الشوكاني بعد ذلك أخبار تلك الرسائل الديوانية التي ترد من مكة المكرمة إلى اليمن من أجل هذه الحملة، فقال: وصل من الشريف كتاب فيه التبشير باستيلاء المسلمين على من بالقاهرة فضلاً عن الذين منهم بسائر الأقطار المصرية وبالإسكندرية وبيذكرها هنا^(٣٢) كتاب السلطان، ثم كتاب الشريف الأول، ثم كتابه الثاني، ثم الجواب من مولانا الإمام حفظه الله تكميلاً للفائدة وتبييناً للقضية، فإنها من الحوادث العظيمة التي ينبغي التعريف بها والإعلام بشأنها^(٣٣)، وقد ذكر الشوكاني في موضع آخر بأن هنالك رسائل كثيرة^(٣٤)، وصلت من

الشريف فيما يتعلق بهذه القضية^(٣٥)، وهذه العناية الفائقة برصد أحداث هذه الحملة، وما جرى بسببها من الرسائل والمكاتبات المختلفة تدل على مواقف الأدباء الواضحة وتشير إلى غيرتهم الدينية، وحماستهم الإسلامية.

ومن الواضح أن تلك المكاتبات لم تقتصر على إمام اليمن وشريف مكة فحسب، وإنما جرى شيء منها بين إمام اليمن نفسه، والحاج يوسف باشا^(٣٦) وإلى المدينة، فقد ذكر الشوكاني أنه ورد ليوسف باشا كتاب من إمام اليمن^(٣٧)، وقال بأن هذا الباشا رد على إمام اليمن بكتاب آخر^(٣٨). وعقب الشوكاني من بعد ذلك بقوله: ثم جاءت الأخبار الصحيحة والكتب من شريف مكة وغيره في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٦هـ ست عشرة وميتين وألف أن الجنود الإسلامية السلطانية أخرجت طائفة الافرنج اقيامهم الله من الديار المصرية بعد أن ضايقوهم وحاصروهم وقتلوا أكثرهم وخرج الباقون في أمان، وعادوا إلى ديارهم، وتواترت هذه الأخبار وصحت والحمد لله رب العالمين^(٣٩).

وقد عبر الشوكاني عن موقفه بقوله: فإن هذه الحادثة العظيمة اضطربت لها جميع الديار الإسلامية ورجفت عندها قلوب الموحدين، وتزلزلت بسببها أقدام كثير من المجاهدين، فالحمد لله الذي نصر دينه^(٤٠)، وهذا يدل على موقف أدباء هذه الجزيرة العربية وعلماؤها من هذه الحملة الفرنسية ويشير إلى اليقظة الأدبية التي انتعشت في هذه الفترة بسبب هذه الظروف العصيبة التي هب فيها الأدباء والأمراء يذودون عن عقيدتهم وأوطانهم، ويعبرون عن مواقفهم تجاه أعدائهم بكل وضوح وصراحة.

وإذا كان محمد بن علي الشوكاني قد أرخ لحركة الرسائل الديوانية في هذا الميدان، وأشار إلى نتائج الحملة الفرنسية على مصر، فإنه قد شهد أسباب تلك الحركة، واستطاع أن يسهم بشيء من نتاجه الأدبي في ميدانها، فالواقع أن محمد بن علي الشوكاني ممن نهض بتدوين الرسائل الديوانية في هذا العهد، إذ ذكر الشوكاني نفسه أنه هو كاتب تلك الرسائل الصادرة من اليمن إلى بقية أجزاء الجزيرة العربية من أجل هذه الحملة، فقد أشار إلى ذلك بقوله: وهذا جواب

مولانا الإمام خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله، وهو جواب عن مجموع كتابي الشريف، والمنشئ له على لسان مولانا الإمام هو الحقير مؤلف هذه التراجم التي اشتمل عليها هذا الكتاب^(٤١)، وقال في موضع آخر: وأنشأ راقم الأحرف جواباتها عن أمر مولانا الإمام^(٤٢)، وقال كذلك: وهذه صورة جواب مولانا الإمام حفظه الله على وزير السلطنة من انشاء الحقير أيضاً^(٤٣)، ويدل هذا الحال على مشاركة الأدباء في هذا الميدان، وأنهم قد وجدوا في ذلك اللون الأدبي سبيلاً للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم مما يعكس مواقفهم الأدبية تجاه تلك الحملة.

ومن تلك الرسائل رسالة الشريف غالب بن مساعد إلى إمام اليمن المنصور علي بن مهدي العباس التي يقول فيها: ... وإن^(٤٤) سألتكم عنا فنحمده سبحانه على جزيل فضله وعظيم امتنانه، طيبين بخير وعافية، ونعمة من المولى^(٤٥) وافية، والذي نبديه إلى مسامعكم العلية، وأفهامكم الذكية من الأمور الحادثة في الوجود، وجريان^(٤٦) أحكام الملك المعبود، لموجب احتياج أهل الإسلام إلى الترفهات عن نهج المهام، وترك حزم الأمور، وغفلتهم عن حفظ الثغور حتى صار ما صار من شرذمة أهل البغي والإنكار من التهجم على بلاد إسكندرية ومصر^(٤٧) القاهرة بجنود من البحر على سفائن متواترة، وهم طائفة من جمهور الفرنسة، والملة الباغية التي بفضل الله أعلامهم ناكسة لمشاهدتهم في أحوال المسلمين ترك الثغور^(٤٨) من^(٤٩) التحصين فهجموا على تلك البلاد فلم يجدوا لجامحهم مدافع ولا حصن راد ...^(٥٠)

وقد بعث الشريف غالب بن مساعد برسالة أخرى إلى إمام اليمن المنصور يخبره فيها بجهاد المسلمين في مصر، وأن الله قد أظهرهم على الفرنسيين، وكان لهاتين الرسالتين أثر كبير في اذكاء روح الحماس الديني عند الأئمة في اليمن، إذ يبدو أن خبر دخول الفرنسيين مصر قد أفرعهم وأحزنهم كما أن أخبار النصر التي وردتهم من مكة المكرمة من بعد ذلك قد أطربتهم وزادت في أفراحهم، لذلك صدرت الرسائل من صنعاء إلى شريف مكة معبرة عن الحالين ومظهرة موقف الأئمة والأدباء في اليمن من هذه الأحداث، ومن تلك الرسائل الرسالة التي كتبها

الأديب محمد بن علي الشوكاني على لسان المنصور علي إلى شريف مكة غالب بن مساعد، وفيها يقول: . . . فإنه وصل من جنابكم العظيم ومقامكم الفخيم كتاب كريم^(٥١) يحكي ما صنعت أيدي الكفر بمصر، صانها الله عن كل نكر، فياله من حادث يبلبل الألباب، ويحلب من الأحزان ما لم يكن في حساب، فلقد أبكى وروع وأوجع وأقام وأقعد، وشتت شمل كل أنس ويدد^(٥٢). وآها له من خطب يصك مسامع الإسلام، ويحدد الحدود بفيض مدامع الأنام^(٥٣)، لا سيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران، مقدسة عن أرجاس الطغيان، معمورة بالإيمان وعبادة الملك الديان على مرور الأزمان، فقد افتحتها سيوف حزب الله ومحت أدران كفرانها صوارم أصحاب رسول الله، فلقد أظلم الخطب، وادهم الكرب، وضاعت الصدور، وغلت من الأحزان قدور، ورغب النفير إلى سبيل الله الصغير والكبير، وتشوق إلى جهاد أعداء الله كل جليل وخطير، وكيف لا وهذه نازلة قد نزلت بالإسلام والمسلمين، وفادحة قد عمت المؤمنين أجمعين لأنها في الدين. ومن بعدت عنه ديارها، فقد أحرقت قلبه وقالبه نيارها . . .^(٥٤).

ثم قال بعد ذلك: ولقد كنا على عزم شن^(٥٥) الغارة، وارسال طائفة من جنودنا المختارة . . . وعند ذلك العزم المتين وافى كتابكم الأخير المشير بالفتح المبين، الحاكي لاستئصال شأفة الكافرين أجمعين، فأنشد لسان حال السرور، وحدا^(٥٦) بنا حادي الحبور الذي عم الجمهور:

هنا^(٥٧) عا^(٥٧) ذاك الأسى^(٥٨) المتقدما فما عبس المحزون حتى تبسما
فلقد انجابت ظلمات الهموم، وتفشعت غيوم الغموم^(٥٩)، وابتلجت الخواطر
وقرت النواظر، وعند بلوغ تلك الأخبار أشعرنا هذه المسار الكبار بما شاع في جميع
الأقطار وذاع بين البوادي والحضار، فيالها من مسرات شدت من عضد الدين،
وفتت سواعد الملحين، وقصمت ظهور الكافرين، وقلقلت معاهد المعاندين،
اللهم إنا نحمدك حمداً لا يحيط به الحصر، ونشكرك على ما منحت أمة نبيك من
هذا الفتح والنصر . . .^(٦٠)، ولم يكتف المنصور علي بمكاتبة شريف مكة، وإنما
أرسل خطاباً آخر إلى وزير السلطنة الحاج يوسف باشا والي المدينة يبين له فيه

موقفه الواضح من هذا الاعتداء على مصر، ويظهر له استعداد له لحرب أولئك الفرنسيين، ويرى أن لم الشمل، واتحاد الكلمة من أسباب النصر والظفر^(٦١)، وهذا يعكس مواقف ولادة الأمر في هذه الجزيرة العربية من تلك الأحداث، إذ برزت واضحة لدى الأدباء الذين تولوا حينذاك كتابة هذه الرسائل وتدوينها.

وإذا كانت تلك المواقف الأدبية قد تجلت في الأنماط النثرية المعهودة فإنها قد تحققت أيضاً في الأساليب التعبيرية الأخرى التي نقل بها المؤرخون أخبار هذه الحملة، فقد اتسمت تلك الأساليب بالروح الأدبية، واصطبغت بصبغة ذاتية مميزة، ولعل ذلك يتحقق في كتابات المؤرخين بهذه الجزيرة العربية من أمثال: الشوكاني^(٦٢)، ولطف الله جحاف^(٦٣)، وابن بشر^(٦٤) والفاخري^(٦٥) وغيرهم ممن تعرض لذكر هذه الأحداث، ومما قاله الشوكاني في هذا الشأن: ومما ينبغي ذكره هاهنا^(٦٦) أنه وصل من الشريف المذكور في عام تحرير هذه الأحرف، وهو سنة ١٢١٣هـ في شهر رجب كتاب ... يتضمن الأخبار بالرزية العظمى، والمصيبة الكبرى والبلية التي تبكي لها عيون الإسلام والمسلمين، وهي استيلاء طائفة من الفرنج يقال لهم الفرنسيين على الديار المصرية جميعها ووصولهم إلى القاهرة وحكمهم على من بتلك الديار من المسلمين ...^(٦٧)، وهذا يدل على احساس الشوكاني بأحداث عصره التي رآها من الرزايا العظمى والمصائب الكبرى، فالحق أن مشاعر هذا المؤرخ الأديب لتفيض بالأحاسيس الصادقة تجاه الإسلام والمسلمين.

ويشبه لطف الله جحاف معاصره الشوكاني من حيث اتصاف أساليبه التعبيرية التي نقل بها هذه الأحداث بالمسحة الأدبية والاحساس الصادق، فقد قال جحاف في صدر أحاديثه عن هذه الحملة: وفيها وردت الأخبار بدخول الفرنسة جعل الله ديارهم دارسة، وغيرهم من الافرنج الأبالسة، ديار مصر طهرها الله من الدنس، فاستولوا عليها، ومدوا أيدي الكفر إليها وأظهروا بها الفساد، وعاثوا وتسلبوا على من بها من المسلمين ولائوا كل ذلك بضرب من الخداع والمكر والحيل والأطماع ...^(٦٨)، ويمكن للنّاظر في هذه النصوص أن يدرك مواقف المؤرخين الأدباء من

هذه الحملة الفرنسية، وأن يلمح صدق المشاعر وحسن العرض، فالحق أن هذه الأساليب لا تخلو من الملامح التصويرية المناسبة التي يمكن إدراكها في بقية الألوان النثرية الأخرى.

ومهما يكن الأمر، فإن هذه النصوص السابقة التي حلت مواقف الأدباء بهذه الجزيرة العربية تجاه الفرنسيين قد اتسمت بالروح الدينية الصادقة إذ كانت معانيها تدور حول إبراز المشاعر الإسلامية^(٦٩) والدفاع عن الوطن العربي الإسلامي أمام الفرنسيين^(٧٠)، ولكنها رغم ذلك لم تسلم من التكلف البديعي، والمحافظة على الأساليب المعهودة في العصور الأدبية الضعيفة، وذلك من حيث التزام السجع، والاكثار من استخدام ألوان البديع المعروفة، ولعل ما يمكن ملاحظته في هذه النصوص أن أصحابها قد أسرفوا إلى حد ما في إطالة الدياجات، والميل الشديد إلى التفخيم^(٧١)، ولكنهم كانوا حينها تنتابهم مشاعر الجذ يهملون إلى حد ما هذا النهج التقليدي، وينصرفون إلى التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، ويؤكد هذا القول ما ذكره الشوكاني في معرض حديثه عن إحدى الرسائل الديوانية التي حررها، إذ قال: هذا الكتاب عن أمر مولانا الإمام حفظه الله، وهو على غط ما قبله من كتابي الشريف في عدم انتخاب أعلى طبقات بلاغات الكتاب، إذ المقام مقام مكاملة في رزية في الدين ومصيبة عمت المسلمين، فمعظم المراد وغاية القصد هو الإفهام بلسان الأقلام لا التأنق في تحرير الكلام على أتم نظام^(٧٢).

ولعل ما يمكن الخروج به من هذه النصوص أن أدباء الجزيرة العربية في ذلك العهد قد شاركوا إخوانهم الأدباء في مصر والشام في تصوير مواقفهم ومشاعرهم تجاه هذه الأحداث، وأنهم قد أسهموا بنصيب ما في هذا الميدان الذي يعد مجهولاً لدى كثير من مؤرخي الأدب، فقد تبين من هذه الألوان النثرية والأساليب التعبيرية وضوح الرابطة الإسلامية، وقوة المشاعر الدينية، وذلك ما يأنس له الباحث ويستحسنه في تلك الفترات العصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية.

أبها: كلية اللغة العربية د. عبدالله بن محمد أبو داهش

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات:

- (١) عاكش، الحسن بن أحمد عاكش، «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر»، نسخة جامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم ١٣٣٤، تاريخ النسخ ١٣٤٦ هـ.

ثانياً: المطبوعات:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله. «عنوان المجد في تاريخ نجد»، ج ١، ط ٤، مطبعة دار الهلال للأوفست الرياض ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م (من مطبوعات دار الملك عبد العزيز ٢٧).
- (٣) الجاسر، حمد. «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، مقدمة تحتوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية، القسم الأول أ-ض، ط ١ مطبعة نهضة مصر، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض.
- (٤) الجبري، عبد الرحمن. «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، ج ٢، دار الجيل بيروت، بدون تاريخ.
- (٥) ابن زبارة، محمد محمد. «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر»، ج ٢، مطبعة السلفية القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- (٦) سالم، سيد مصطفى، (جامع). «نصوص مبنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، مطبعة الجبلاوي مصر، ١٩٧٤ م، منشورات مركز الدراسات اليمنية (٣).
- (٧) الشوكاني، محمد بن علي. «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، ج ٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- (٨) الفاخري، محمد بن عمر، «الأخبار النجدية»، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ.
- (٩) كحالة، عمر رضا. «معجم المؤلفين»، تراجم مصنفي الكتب العربية، دار احياء التراث العربي، بيروت، توزيع مكتبة المثنى لبنان، بدون تاريخ.
- (١٠) مردم، خليل. «أعيان القرن الثالث عشر»، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧ م.

- (١) قال محمد بن علي الشوكاني: «وهذا خطب لم يصب الإسلام بمثله...» «البدر الطالع»، ج ٢، ص ٨.
- (٢) انظر «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، جمع سيد مصطفى سالم ص ٩٦، ٩٧.
- (٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٤) لقد اعتمدت في إيضاح هذه المواقف على كتابي «البدر الطالع» للشوكاني، و «درر نحور العين»، للطف الله جحاف، ورغم وجود نسخة مصورة من «درر نحور العين» في مكتبي إلا أنني فضلت الإفادة من كتاب «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، جمع سيد مصطفى سالم في ميدان الاقتباس من النصوص وذلك لعدم وضوح الصورة التي في مكتبي والمأخوذة من مصورات بعثة الجامعة العربية إلى اليمن.
- (٥) قال ابن بشر في تاريخه «عنوان المجد»: إنه من: أدباء أهل الحرمين ج ١، ص ٢٥٠ ووافق المؤرخ محمد بن عمر الفاخري في تاريخه «الأخبار النجدية» وقال بأنه من: فضلاء أهل الحرمين ص ١٣٠، واتفق المؤرخان على أن هذه الأبيات قيلت في تاريخ دخول الفرنسيين مصر، وأضافا بيتاً للشاعر في هذا الشأن هو عند ابن بشر: (وقد صح ما قال تاريخه إله حكمته فاهرة) ج ٢، ص ٢٥٠ وفيه كسر، ويستقيم إذا قيل: (إله له حكمه...) وعند الفاخري: (وقد صح ما قال تاريخه إله له حكمه بالغة)، ص ٢٥٠.
- (٦) هكذا في «الأخبار النجدية»، وفي «عنوان المجد»: (بالهف)، ص ٢٥٠، والصحيح ما أثبت.
- (٧) هكذا في «عنوان المجد»، وفي «الأخبار النجدية»: (على ما) ص ١٣٠.
- (٨) هكذا في «عنوان المجد» وفي «الأخبار»: (الافرنج) ص ١٣٠.
- (٩) كذا في الأصل، ولعل الصواب: لكنا.
- (١٠) زيادة في «عنوان المجد»، ص ٢٥٠.
- (١١) عثمان بن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد»، ج ١، ص ٢٥٠.
- (١٢) من مؤرخي مصر وعلماؤها، ولد سنة ١١٦٧هـ، تلقى تعليمه في الأزهر، وعمل ضمن كتبة الديوان إبان حملة نابليون على مصر، وتولى الاقتناء الحنفي في عهد محمد علي، له مؤلفات ومشاركات في بعض العلوم، توفي سنة ١٢٣٧هـ. انظر «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٣٣.
- (١٣) «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ج ٢ ص ٢٥٠.
- (١٤) قال سيد مصطفى سالم إن لطف الله جحاف، والجبرتي اللذين أرحا للحملة الفرنسية على مصر لم يذكرنا ترجمة للجيلاني هذا، وإنما أشار إلى أن الجبرتي فقط ذكره باسم الكيلاني، وأضاف سيد مصطفى أن هذين المؤرخين: اكتفيا بتتبع أحداثه حتى استشاده، «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر»، ص ٩٦، وقال جحاف: إن الناس استمعوا إلى إرشاده إلى أنهج الطرائق وفعل دعاه بالقلوب ما فعل، المصدر نفسه، ص ٩٦.
- (١٥) من مؤرخي اليمن وفقهاؤها، ولد بمدينة صنعاء سنة ١١٨٩هـ، وتلقى العلم على يد جملة من علمائها، ترجم له شيخه الشوكاني، وتلميذه عاكش، وقد وصفاه: بالذكاء والألمعية والتفوق والميل إلى العزلة والزهد. له عدد من المؤلفات الدينية والتاريخية، وله مشاركات شعرية ونثرية توفي سنة ١٢٤٣هـ. انظر

«البدر الطالع» للشوكاني، ج ٢، ص ٦٠، و«عقود الدرر» لعاكش، ورقة ٨١، ٨٢، و«نيل الوطراء» لزبارة، ج ٢، ص ١٨٩ - ١٩١.

- (١٦) سيد مصطفى سالم، كتابه السابق، ص ٩٦ - ٩٧.
- (١٧) قال لطف الله جحاف: كان السيد محمد الجليلي قد دعا العباد بالحرمين إلى فريضة الجهاد، فممن أعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي، فإنه تصدق في سبيل الله بخمسة مئة بتلق صغار مغربية، ومئتي حربة من حراب الشام، ومئتي سيف، وأربع مئة كيس حبوب الرز، وألفي نعل يتعلها فقراء المجاهدين، ومنهم الشيخ عبد الرحمن العسيري بمهمات، جهز ثلاث سواعي، يركبها المجاهدون وملأها ميرة ومنهم الشيخ أحمد فاس جهز داوين في سبيل الله ومنهم الشريف غالب بن مساعد جهز خمس سواعي في سبيل الله شاحنة ومن أهل ينبع محمد أبو الملل جهز داوا من داواته، وثلاث سواعي أخرات من أهل ينبع. سيد مصطفى سالم كتابه السابق، ص ٨٧ - ٩٨.
- (١٨) قال حمد الجاسر: بأنها وإذ قرى كثيرة... بمنطقة المدينة وسكانها بنو سالم من حرب. «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»، المقدمة القسم الأول، ص ٦٩٨.
- (١٩) سيد مصطفى سالم، كتابه السابق، ص ٩٨، ٩٩.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٩٩.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٣٣.
- (٢٢) «البدر الطالع» بحاسن من بعد القرن السابع.
- (٢٣) «درر نحور العين» بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين.
- (٢٤) «عنوان المجد في تاريخ نجد». وقال ابن بشر في هذا الشأن: (قلت قد نقلت أخذ الفرنسيين هذا لمصر من أوراق تاريخ وجدت في الطائف حين فتحها عثمان المصائفي فنقلتها باختصار...) ج ١، ص ٢٥٠، وهذا يدل على اهتمام مؤرخي الجزيرة العربية بهذا الأمر، وأن هنالك عدداً من المؤرخين الآخرين الذين أرخوا لهذه الحملة، ولم تبلغنا مؤلفاتهم.
- (٢٥) قال محمد بن عمر الفاخري: (وفيها أخذ نابليون مصر خديعة) ص ١٢٩.
- (٢٦) سيد مصطفى سالم، كتابه السابق، ص ١٠٠.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٢٩) تولى إمارة مكة المكرمة عام ١٢٠٢هـ، وانضم إلى صفوف الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩ - ١٢١٨هـ)، ثم في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز (١٢١٨ - ١٢٢٩هـ)، ففاه محمد علي باشا إلى مصر عام ١٢٢٨هـ، وتوفي سنة ١٢٣١هـ بسلانيك. انظر «البدر الطالع» للشوكاني ج ١ ص ٤ - ٢٤. وانظر «أعيان القرن الثالث عشر» لحليل مردم، ص ١٢٧ - ١٣١.
- (٣٠) ولد بصنعاء عام ١١٥١هـ، تولى إمارة اليمن عام ١١٨٩هـ وظل فيها حتى سنة ١٢٢٤هـ، تاريخ وفاته أفرد له لطف الله جحاف مؤلفاً مستقلاً، انظر «نيل الوطراء» لزبارة، ج ٢، ص ١٤٠ - ١٤٢.
- (٣١) «البدر الطالع»، ج ٢، ص ٩.

(٣٢) في المصدر ههنا.

(٣٣) «البدر الطالع» ج ٢، ص ٩.

(٣٤) «البدر الطالع»، ج ٢، ص ٢٣.

(٣٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣.

(٣٦) أمير المدينة المنورة ويندر جلة في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وصفه الشوكاني بقول:

وصلت إلينا الأخبار بأنه من أعظم الأمراء في الدولة العثمانية، وأن له من الجهاد في بلاد الأفرنج ما لم يكن

لغيره، وله فتوحات عظيمة. «البدر الطالع» ج ٢، ص ٣٥٧.

(٣٧) شكك الشوكاني في كون إمام اليمن المنصور أرسل بخطاب إلى الحاج يوسف باشا وإلى المدينة في بادئ

الأمر، وقال: وصل منه في سنة ١٢١٤هـ كتاب إلى حضرة مولانا الإمام المنصور بالله، وذكر فيه أنه وصل

إليه كتاب من مولانا الإمام حفظه الله، ولا حقيقة لذلك فلعله افتعله بعض المفتعلين... «البدر الطالع»،

ج ٢ ص ٣٥٨، ولكن الشوكاني أفاد بأن الإمام المنصور بعث بكتاب إلى الحاج يوسف باشا بعد ما وصله

كتاب منه. وقد أوردته الشوكاني في كتابه «البدر الطالع»، ج ٢، ص ٣٦٤، ولعل الشوكاني صادق في قوله

إذ يبدو أن الحاج يوسف نفسه قد بدأ بالكتابة، ثم أجابه المنصور من بعد ذلك.

(٣٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٣٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٤٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٤١) كتابه السابق، ج ٢، ص ٢٠.

(٤٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٤٤) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: فإن.

(٤٥) زاد في «درر نحور العين»: الكريم.

(٤٦) كذا في «درر نحور العين»، وفي «البدر الطالع»: وجزيل.

(٤٧) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: مصر.

(٤٨) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: ثغورهم.

(٤٩) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: عن.

(٥٠) محمد بن علي الشوكاني، كتابه السابق، ج ٢، ١٥، ١٦.

(٥١) لعله قيس هنا من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ «النمل» آية ٢٩.

(٥٢) زيادة في «البدر الطالع».

(٥٣) كذا في «البدر الطالع»، وفي «نحور العين»: الأيام.

(٥٤) محمد بن علي الشوكاني: كتابه السابق، ج ٢، ص ٢١، ٢٢.

(٥٥) كذا في «البدر الطالع»، وفي «درر نحور العين»: بعث.

(٥٦) كذا في «البدر الطالع»: حدى، وقبل هذا خلاف ظاهر في لفظ الرسالة عند لطف الله جمحاف في «درر

نحور العين»، والشوكاني في «البدر الطالع».

كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور

- ٣ -

ثم توجه نصار إلى الحمراء، وبقي محمود ومعه اثني عشر نفرًا، فأرسل إلى الوزير، وأمره بالمسير، وقد فاز أهل المدينة بالمرابطة للذب عن جيران سيد وَلَدِ عدنان، وسارت بِمآثرهم الحميدة الركبان.

فلما اتقنوا الاستعداد، وجدّوا في تحصين البلاد، وَكَمَّلُوا عَدَدَ دَا وَعُدَدَا، وَتَحَرَّوْا فِي أَهْبَتِهِمْ رَشْدًا، أَقْبَلَ الْعَدُوَّ الْمَخْذُولَ، وَبَوَّأَ الْإِدْبَارَ تَحُومَ عَلَيْهِ وَلَا تَحُولَ، بَعْدَ أَنْ نَفَتَهُ الْمَدِينَةَ مِنْ حِصُونِهَا، وَأَبْرَزَتْهُ مِنْ مِصْصُونِهَا، أَعَادَ فِي غُرَّةِ الْقَعْدَةِ الْحَرْبَ عَوَانًا، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مِنْقَارَ عَزْمِهِ صَادَفَ صَوْنًا، فَاتَى الصَّائِحُ، الصَّادِقُ النَّاصِحُ، وَنَادَى:

(٥٧) كَذَا فِي «دُرَرِ نَحْوَرِ الْعَيْنِ»، وَفِي «الْبَدْرِ الطَّالِعِ»: مَحْي.

(٥٨) كَذَا فِي «دُرَرِ نَحْوَرِ الْعَيْنِ»، وَفِي «الْبَدْرِ الطَّالِعِ»: الْعَزَا.

(٥٩) كَذَا فِي «الْبَدْرِ الطَّالِعِ»، وَفِي «دُرَرِ نَحْوَرِ الْعَيْنِ»: الْعُمُومَ.

(٦٠) مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشُّوْكَانِيُّ، «الْبَدْرِ الطَّالِعِ»، ج ٢، ص ٢١، ٢٢.

(٦١) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٦٢) فِي كِتَابِهِ السَّابِقِ: «الْبَدْرِ الطَّالِعِ».

(٦٣) فِي كِتَابِهِ السَّابِقِ: «دُرَرِ نَحْوَرِ الْعَيْنِ».

(٦٤) فِي كِتَابِهِ «عَنْوَانُ الْمَجْدِ»، ج ١، ص ٢٤٥.

(٦٥) فِي كِتَابِهِ «الْأَخْبَارُ النَّجْدِيَّةُ»، ص ١٣٠.

(٦٦) فِي الْأَصْلِ: هَهُنَا.

(٦٧) كِتَابِهِ السَّابِقِ، ج ٢، ص ٨.

(٦٨) سَيِّدُ مِصْطَفَى سَالِمٍ، كِتَابُهُ السَّابِقُ ص ٨٧.

(٦٩) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ٧٦.

(٧٠) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ٨١.

(٧١) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ٨٠.

(٧٢) كِتَابِهِ السَّابِقِ، ج ٢، ص ٢٠.

ياجيرَانِ خَيْرَ الْأَنَامِ، قَدْ جَرَدَ أَمِيرُ مَكَّةَ عَلَيْكُمْ جَرْدَةً، فِيهَا مَا يَنُوفُ أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ وَالْأَزْلَامِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ نَاصِرُ بْنُ مُسْتَوْرٍ، لِأَزَالِ مَخْذُولًا مَكْسُورًا، وَنَزَلَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَأَخَذَتْ أَهْلَهَا عِنْدَ نَزْوِلِهِ الْحِمِيَّةِ، وَقَدْ تَاهَبُوا لِلنِّزَالِ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، وَتَوَسَّلُوا فِي رَفْعِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ، بِسَيِّدِ الرِّسْلِ الْكَرَامِ^(١)، وَتَضَرَّعُوا إِلَى مَوْلَاهُمْ، فِي كَشْفِ بَلَوَاهُمْ، فَنَادَاهُمْ: عِبَادِي لَا تَنَامُوا: يَنَالُ النِّصْرُ مِنْ هَجْرِ الْمَنَامِ.

فَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا يَنُوفُ عَنْ ثَلَاثِينَ، وَخَرَجَ مُحَمَّدٌ وَمَعَهُ مِنْ حَرْبٍ مِقْدَارُ تِسْعِينَ، فَكَرَضَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ وَالْأَزْلَامُ وَالرَّكَابُ، فَهَرَبَتْ أَكْثَرُ الْأَعْرَابِ، وَثَبَتَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَبَعْضُ مَنْ حَزَبَ، وَصَادَمُوا الْخَيْلَ وَصَبَرُوا لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، فَاسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ تِسْعَةٌ سَارُوا إِلَى عِلِّيَّينَ، وَزُوجُوا الْخَوَرِ الْعَيْنَ، وَقَدْ أَذَاقُوا الْأَعْدَاءَ كَوْسَ الْحُتَامِ، أَذْهَبَهُمُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ، وَجَمَلَةٌ مِنْ قَتِلَ مِنْهُمْ نِيفًا وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ ثَلَاثِينَ، مَا بَيْنَ عَبْدِ وَبَدَوِيٍّ وَمَوْلِدٍ، شَتَّ اللَّهُ شَمْلَهُمْ وَبَدَّدَ:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نَصْرَتَهُ. إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا نَجِمٌ هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوَلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُفْتَحِمٌ

وَقَدْ نَشَرَتْ الْجَرْدَةُ الْأَعْلَامَ الْمَكْسُورَةَ، وَقَصَدَتْ الْبَابَ الشَّرْقِيَّ مِنَ الْبَلَدَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَقَدْ امْتَلَأَ أَعْلَى الْبَابِ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ السَّادَاتِ، فَلَمَّا رَأَوْا الْأَعْلَامَ رَمَوْهَا بِالرِّصَاصِ مِنْ تِلْكَ الْجِهَاتِ، فَقَالُوا الْأَذْبَارَ حَيَّارِي ﴿وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، فَتَلَوْتُ عِنْدَ ذَلِكَ طَالِبًا مِنَ الْقَاهِرِ عَوْنًا وَانْتِصَارًا، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَبَابًا﴾. . ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

تذليل:

وَكَانَ تَمَامُ هَذَا الْحَالِ فِي أَوَّلِ الْقَعْدَةِ، وَالْوُجُودُ فِي اضْطِرَابٍ مَا بَيْنَ قَوْمَةٍ وَقَعْدَةٍ، وَالسَّاعِي فِي الْفَسَادِ، مَا بَيْنَ هَالِكٍ وَمُنْفِيٍّ مِنَ الْبِلَادِ، إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، وَالْهَوَاجِسُ فِي الْخَاطِرِ خَاطِرَةٌ، وَالْعَيْنُ إِلَى نَحْوِ الطَّرِيقِ نَاطِرَةٌ،

ولسان المقال مترنم بقول من قال:

أَقْبَلَ الْمَنُوسِمُ الْمَبَارَكُ فِيهِ، مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ خَلَقَ كَثِيرُ
فَدَعَوْنَا إِلَاهَهُ، بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ (٣)
أَعْطَانَا خَيْرَهُمْ إِلَهَ السَّبْرَايَا وَاتَّكِنَا شَرَّهُمْ وَأَنْتَ الْقَدِيرُ

فَمَا مَضَتْ أَيَّامٌ مِنَ الْمَثُورِ بَيْنَ يَدَيِ مُصْبِحِ الظَّلَامِ، إِلَّا وَوَرَدَ الْبَشِيرُ بِمَا أَقْرَأَ
الْعَيُونُ، وَسَكَنَ هَوَاجِسُ الظُّنُونِ، وَهُوَ وَرُودُ نَجَابِ الْهَمَامِ الْغَطْرِيفِ، (أَفَنْدِينَا)
مُحَمَّدُ بَاشَا أَمِيرِ الْحِجِّ الشَّرِيفِ، وَقَدْ أَعْلَنَ بِالْبَشْرِ، لَجِيرَانٍ مِنْ انْشَقَّ لَهُ الْقَمَرُ، ثُمَّ
بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ الْحَرَامِ، وَصَلَ الْحُجَّاجُ
مِنْ كُلِّ فَجٍ عَمِيقِ آمِينَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَأَقْبَلَ السَّمِيدَ عِيَّ الْقِمَقَامِ، الْفَارَسِ الْهَامِ،
الْلَيْثِ الضَّرْغَامِ، بَرَكَةُ الْأَنَامِ، مِنْ صَيْرٍ كُلِّ عَدُوٍّ وَآوِيٍّ، وَكُلِّ صَخْرِيٍّ (٣) فَبَانِي
(أَفَنْدِينَا) مُحَمَّدُ بَاشَا، بَلَّغَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَا شَاءَ، وَحَمَاهُ بِحِمَاهِ الْمَصُونِ، وَجَعَلَ
الْأُمُورَ لَهُ مِنْقَادَةً، يَقُولُ: كُنْ فَيَكُونُ، وَمَعَهُ الْمَكْرَمُ الْمُحْتَرَمُ عَلِيٌّ أَغَا شَيْخُ الْحَرَمِ،
فَلَمَّا وَصَلَ حَضْرَةَ أَفَنْدِينَا مُحَمَّدُ بَاشَا الْأَجَلُّ، وَبِوَادِي رُؤُومَةِ نَزَلُ، طَلَعَ عَلَى الْمَعْتَادِ
لِلْمُلَاقَاةِ نَائِبَ الْحَرَمِ وَ(الْخَزِينْدَارِ)، وَ(كَتَخَذَا النُّوْبَتِجِيَّةَ) وَكُلَّ (جَاوُوشِ)
وَ(بِيرْقَدَارِ)، فَلَمَّا وَصَلُوا، وَبَيْنَ يَدَيْهِ حَصُلُوْا، قَامَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ كَيْفَةِ الْحَالِ، وَمِنْ
السُّبْتِيَّةِ بِهَذَا الضَّلَالِ، فَقَامَ (الْخَزِينْدَارِ) وَوَلَّغَ فِي إِثْنَاءِ أَهْلِ الدَّارِ، وَحِطَّ فِيهِمْ
مَا حِطَّ، وَكَلَّمَا وَلَّغَ انْحِطَّ، فَانْتَبَذَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْإِكْسِيرِ، نَائِبَ الْحَرَمِ بِشِيرٍ، وَأَتَقَنَ
جِدَالَهُ، وَكَذَّبَ مَا قَالَهُ، فَأُصْغِيَ حَضْرَةُ الْبَاشَا لِنَائِبِ الْحَرَمِ بِشِيرٍ، وَلِسَانُ الْحَضْرَةِ
يَنَادِي: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾.

ثُمَّ نَزَلَ حَضْرَةُ الْبَاشَا بِنِظَامِهِ إِلَى بَابِ الشَّامِيِّ، فَإِذَا النِّسَاءُ الْمُنْهَوِيَّاتُ وَاقِفَاتُ
وَدَمْعُهُنَّ كَالْمِزْنِ الْهَامِي، يَنَادُونَ (؟): شَرَعَ اللَّهُ جِيرَانِ رَسُولِ اللَّهِ !! أَحْرَارُ
وَعَذْرَاتُ، أَبْكَارُ وَثِيَّاتُ، هَتَكَ مِنَّا الْأَعْرَاضُ، وَكَادَتْ عَسْكَرُهُ أَنْ تَبْلُغَ مِنَّا
الْأَعْرَاضُ !!، وَلِسَانُ الْحَالِ يَنْشُدُ بِقَوْلٍ مِنْ قَالَ:

يَا غَارَةَ اللَّهِ إِنْ لَمْ تُذَرِكِي سَحْرًا فَعَجَّلِي بِالصُّحَى يَا غَارَةَ اللَّهِ

يَا غَارَةَ اللَّهِ حُثِّي السَّيْرَ مُسْرِعَةً فِي حُلِّ عُقْدَتِنَا يَا غَارَةَ اللَّهِ

فقصصد حضرة الرسالة، وقد أهمل دمه وأساله، شوقاً لعلِّي الجَنَاب، وحُزناً على ما صار على المصونات رَبَّاتِ الْحِجَابِ والحجاب، ثم بعد أن زار، وتحقق ما وقع وما صار، سأل الصلحاء والأعيان، فلم يختلف فيما قاله النائب اثنان، ثم أَنَّهُ (الخزیندار) وطلب منه الإِذْنَ بالمسير، إلى الحرم المكي فمنعه وحذره أشدَّ التحذير.

ثم في يوم الخامس والعشرين، تَرَجَّيْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَجْمَعِينَ، عند حضرة الباشا وأربابِ دَوْلَتِهِ، ومن هو تحت شوكته وصولته، أن يقيم (الجُورِيجي) محمد سعيد المغربي (كتخذا) القلعة السلطانية، وأحمد رجب (كتخذا اليانشرية)، وعبد الله الطيار (كتخذا التوتنجية) فحينئذ تصلح إن شاء الله أحوال المدينة النبوية، فامتنع الطيار واختبأ في الدَّار، فاختر الناس عوضاً عنه (الجوريجي) عمر رشيد، وطلبوا الإِغَاةَ من رب الطول والأيد، قَالَبَسَ عمر، وَأَلَبَسَ أحمد وأَلَبَسَ محمد سعيد (الباسين)، كتخذا و (دِزْدَاراً) بِلَامِينَ، ثم رحل وقصد مكة في الحين، — أمدّه الله وأيده بالنصر والفتح المبين — :

وقد كان مسيره من الطريق السلطاني، محفوفاً بالبشر والتهاني، فأنشد لسان الحال مُتَرَنِّمًا وقال:

إِذَا اهْتَرَّتْ مَنَاقِبُ ذِي افْتِخَارٍ بِقُرْبِ مَلِكِهِ وَعُلُوِّ دَارِهِ
فَإِنِّي لَا أَزَالُ أَهْزُ عِظْفِي بِجِيزَةِ أَحْمَدِ حَاوِي جَوَارِهِ
وأنشد وغني، في هذا المعنى:

لَسْتُ بِطَهٍ فِي جَمِيعِ النَّوَبِ وَأَنْخُ نُجَبَ الرَّجَا وَاحْتِسِبِ
وَادْعُهُ إِنْ مَسَكَ الضُّرُّ الَّذِي عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَطْبَا تَطْبِ^(٤)

وقد وصلت مع الحج ذَرَاهِمُ للعمارة والمباشر فيها (صره أمني) سابقاً طاهر أفندي، وهي له بالجوار نعم الإمارة.

ثم بعد أيام، وهو يوم خمسة عشر شهر ذي الحجة الحرام، قلع الباب الذي وضعه أمير مكة سرور، جيرانُ صاحب القبر المغفور بالنور، وفي هذا براءة من الله ورسوله، إلى عدم قبوله.

ثم لما كان يوم الثاني من محرم، بلغنا أن الوزير المكرم، مُدَبِّرُ أمور الجمهور بالرأي الصائب، والمفخم الدستور بالفكر الثاقب، حضرة أفندينا محمد باشا أمير الحج الشريف ووالي الشام حالاً - جعله الله في غرة الزمان هلالاً - خاطب أمير مكة في أهل المدينة المربوطين، وخاطبه أيضاً رؤساء الحج أجمعين، فأبى، ولم يرد ذلك، فأشهد عليه حضرة الباشا مَنْ مِنْ رجال الدولة هنالك، وقد صار بين الحج المصري والعربان قتال، فأراد حضرة الباشا أن يأتي به معه ويصلح له الحال^(٥)، والمتسبب في هذا القتال أمير مكة الختال، فأذعنَ لحضرة الباشا بالإطاعة والسير معه، فغضب عليه أمير مكة ومنعه.

ثم بلغنا أنه أمره بالخروج من الطريق الشرقي، وأرسل معه مقدار الفين من كل أعرابي شقي، وأمره أن يُقاتل أهل المدينة النبوية، ويضع هاؤلاء الأعراب بالقلعة السلطانية، فحين تواتر عندهم هذا الخبر، صاروا في غاية من القلق والضجر، فجمعوا عند ذلك جمعية، ونادى المنادي: تَفِيرُ عامُ ياجيران خير البرية !!، فخرجوا وسدّدوا السدود، وحمل الطين والحجر للعمارة السيد والمسود. وكان في ذلك اليوم نوبة الحفير^(٦) بالمنبر النبوي الشريف، فخطبُ، وحرّضت في الخطبة على القتال تحريضاً يعمُّ القوي والضعيف، وهي هذه:

الحمد لله الذي حمده اتقن ما أُرهِقَتْ به مخاذِمُ البراعة، وأحسن ما نظمت بمنشوره لبّات البراعة، أحده أن بَعَثَ سيدنا محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأمره بقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فدعا إلى الله سرّاً وجهراً، ووفق للسبق إلى إجابته أقواماً كراماً يُسَرُّوا للبشرى، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، فحقَّت لهم المثوبة والبشرى (بيت):

تَلَاَعَبُوا تَحْتَ ظِلِّ الرُّمَحِ مِنْ مَرَحٍ كَمَا تَلَاَعَبَتْ الْأَشْبَالُ فِي الْأَجَمِ

وأشكره أن فهر بجنوده الرحانية جنود النفس الأمارة، والآح لمن لبس لأمة حربه
رايات الفلاح فأوسع في المسرة بمضماره، وأتوكل عليه وأستبصره، فمنه الهداية
واليه الرجعى والمصير، وأستهديه واستنصره، نعم المولى ونعم النصير، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثل له، المرجو للنوازل
يكشفها، وللنوائب يصرفها، ولللملة الحنيفة ينصرها ولا يخذلها، هكذا عوائده
الجليلة التي نالها يوصلها، ولطائفه الخفية التي لا تخلفها، شهادة أعدائها وسيلة
للظفر بالسؤل، وجواباً للسؤال بالأمول، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله،
وصفيه وحبيه، وخليفه نبي أنزل عليه في حقه ﴿وما ينطق عن الهوى﴾، إن هو إلا
وحي يؤتى، علمه شديد القوى ﴿نبي كساه الله صبراً وحلماً وعلماً، القاتل:
«من أخاف أهل المدينة أو كادهم، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»، والقاتل
منبهاً للميت والحي: «من أخاف أهل المدينة فكأنما أخاف ما بين جنبي» رؤوف
نشر برود الرأفة والعناية على معاطف جيرانه الكرام، وعطوف سبق لإغاثتهم عند
ضجيج صارخهم قائلاً: «لن ترأعوا لن ترأعوا» في دياجير الظلام، صلى الله عليه
وعلى آله الموفون بعهد الله بالجهر والإسرار، البررة الأخيار، وأصحابه الجهاضمة
الذين لم يكن نداؤهم عند اللقاء والنضال إلا نزال نزال، والقرائعة الذين احتروا
في نصرة الدين هام كل مبارز من الأقران الأبطال، صلاة وسلاماً دائمين ما قامت
أئمة أسياف عساكر الإسلام مصلية في محاريب ضلوع الكفرة اللثام، وخفقت
رايات أفراجهم بريح النصر، والدهر لها بسام، أما بعد: غيب الله، إن أحسن
الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وزاده شرفاً وإجلالاً،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فمن المصائب الدينية العظمى، والبدع التي أوهنت لحماً وعظام، تلك
الحادثة الفظيعة، والنازلة الماضية الهائلة الشنيعة، التي أضمت الأسماع، وأعمت
الأبصار، وأذهلت العقول بانتهاك حرمة الجوار، فمنا المنسوب إلى الرسول
والوصي وألبتول، ومنا المنسوب إلى العلم العلي، والفضل الجلي، ومنا المولود
بالدار، المتشرف بالدخول تحت هذه الأستار، والوصف المشترك بين الجميع،

التشرُّف بجوار المشفع الشفيع ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أولئك الْمُقَرَّبُونَ، في جنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، فلم يحفظ لنا أمير مكة هذه الحرمة، ولم يرقب فينا إلا ولا ذمة، وهتك أستاراً كانت بيننا وبينه وِذْماً، وَجَارَ عَلَيْنَا ولم يراع للأحاديث الواردة في حق الجوار أحكاماً، ونحن معاشر المشغرين للدعاء، وللطعن في الوغا، من الذين أوجب الله لهم احتراماً، ومن الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾، ونصب منوالاً لحياكة حكاية المكر، ومدأ شباكاً للنسج على ذلك المنوال، وفخاخاً لصيد الغدر، واستفرغ في السعاية جهده، واستخرج أقصى ما عنده، وتنوع في الفساد، وعثا في البلاد، وتجلد في الجلال، فأبى الله تعالى [.....] (٨) في البئر من حفر، وأن لا يحيق المكر السيئ إلا بمن مكر، فعندما ضاق الخناق، ولجَّ الكرب في السياق، وبلغت الروح التراق، والتفت الساق بالساق، وسالت الأذمُّع الذوايب، وشابت الأفئدة والذوايب، سمع النداء من عالم الأسرار: البدار البدار، لنصرة سيد الأبرار، قبل هتك الأستار، قبل نزول غضب الجبار، قبل أن يقال: لا تقال العثار.

فيا أيها الحاضرون ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ وما الله بغافل عما تعملون: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ تلك أشرط الساعة برزت علامة علامة تترى وطوالع لم ينتظر بعدها إلا مجيء الطامة الكبرى، فكأنكم بها كعقد جز سيمطه فانتثر نثراً، سيما وأمير مكة قد أقبل يُقدِّم رجلاً ويؤخر أخرى، فالسعيد من سمع النداء فأجاب، والشقي من أبصر الحق فأرعى الحجاب، فأنهضوا وشمروا للقيام بحقوق الجوار، وأبذلوا مهجكم في حفظ هذه الدار، واصبروا لِقَضَاءِ مَنْ أَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ ﴿فَالضَّابِرُونَ فِي الْإِنْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَجِنَّ الْإِنْسِ﴾ أولئك الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿سَيُظْلَمُهُمْ اللَّهُ بِرَدَائِهِ عَزَّتْ يَوْمَهُمْ بَارِزُونَ، وَيُنَادِيهِمْ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فَذَبُّوا عَنِ الْإِنْتِهَاكِ بَارِوَاهِكُمْ، فِي عُذُوكُمْ وَرِوَاهِكُمْ، فقد ورد في الخبر عن صاحب هذا القبر الأعطر ﷺ أنه قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ وَرُوحِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

جعلني الله وإياكم من أهل التوحيد، إن أحسن الكلام وأبين النظام كلام الله تعالى الملك العلام، والله سبحانه وتعالى يقول على لسان سيد الأنام^(١)، ويقول بهتدي المؤمنون: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، وأمركم عباد الله بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه، وأنهاكم وإياي عن ما نهى الله عنه من قبح المعصية فأتقوا الله ولا تعصوه، واستغفر الله العظيم، لي ولكم ولوالدي ولوالديكم، ولجميع اخواننا في الإسلام، واستمنحه بعد ذلك حسن الختام.

وهذا آخر ما تيسر جمعه من هذه الرسالة، مع غاية من الاختصار في المقالة، لضيق الوقت وخشية التطويل، وسندئيلها - إن شاء الله - بما يصدر في هذا العام، من الأمور التي يشاهدها الخاص والعام، والمرجو من يقف عليها، أن ينظر بعين القبول والإنصاف إليها، فإن رأى خللاً أصححه بقلمه، أو زللاً ستره بذيل كرمه، فقد قيل: من صنّف فقد استهدف، ومن أنصف فقد أسعف، وعلى كل حال فقد أجاد الشاعر حيث قال:

كَتَبْتُهُ مُجْتَهِدًا وَلَيْسَ يَجْلُو مِنْ غَلَطٍ
فَقُلْ لَنْ قَدْ لَأْمَنِي: (مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ؟)

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، وكان الفراغ من تبويبها ليلة الجمعة ٩ من محرم الحرام، افتتاح سنة ١١٩٥ ألف ومئة وخمسة وتسعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين.

المواشي:

- (١) التوسل إلى الله بحجة الرسول عليه الصلاة والسلام ويطاعة بإتباع أوامره واجتناب نواهيه توسل مشروع، أما التوسل بدعائه والالتجاء إليه بعد وفاته فهو من الأمور التي جاء الشرع الشريف بتحريمها.
- (٢) دعاء الله في المسجد النبوي الشريف من الأمور المستحبة، أما بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام -

رحلة فتح اسد الصائغ إلى البادية

من سنة ١٨١٠ إلى ١٨١٤ (؟)

[انظر «العرب» ص ١٩ ص ١٥٢ و ٦٩٧]

إن المؤلفات عن البادية وسكانها وعاداتها وتقاليدها وقبائلها وأحوالها تكاد لا تحصى. وقد اهتم بهذا الموضوع الشيق كثير من باحثي العرب من المستشرقين، ومن أشهرهم بوركهارت وموسيل وجوسان. غير أننا إذا رجعنا إلى فهرس الكتب التي تصف الحياة البدوية لا نجد ذكراً لرحلة قام بها شاب سوري يدعى فتح الله الصائغ من سنة ١٨١٠ إلى سنة ١٨١٤ (؟) تجول خلالها في بادية الشام والعراق وصحراء نجد، ووصل إلى تخوم بلاد العجم، بل تجاوزها على ما يزعم، إذ زار الأمير سعد البخاري رئيس قبائل عرب الهند، الذي كان مقيماً عند حدود الهند الشرقية، على ما يقول صاحب الرحلة.

- فالشروع السلام عليه والدعاء له لا دعاءه ولا قصد الدعاء عنده.
- (٣) إشارة إلى ما لأمر الحج الشامي محمد باشا هذا من مواقف في الصراع مع بني صخر الذين كانوا مسيطرين على طريق الحج الشامي.
- (٤) في هذين البيتين من الأمور المحرمة ما هو موجب لحذفها لولا المحافظة على الأمانة العلمية بإيراد نصوص الأصل كما وردت بدون تغيير. فاللياذ والرجاء والدعاء كلها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، والمصطفى عليه الصلاة والسلام وإن كانت حياته برزخية إلا أنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً من الأمور التي تطلب منه الآن، وهو لا يرضى بأن يُصرف له ما هو من حقوق الله جل وعلا. فالعبادة بأنواعها كالدعاء والرجاء والخوف واللياذ من الأمور الخاصة بالله لا يجوز صرفها لغير.
- (٥) لم يرد ذكر هذا الذي عبر عنه المؤلف بجملة: (أن يأتي به معه) ولعله القمقمجي الذي تقدم ذكره في أول الرسالة.
- (٦) كلمة (الشرقي) ليست واضحة في الأصل.
- (٧) المقصود بالحقير هنا المؤلف من قبيل التواضع.
- (٨) كلمة غير واضحة ولعلها: (إلا أن يوقع).
- (٩) لا محل لجملة: (عل لسان سيد الأنام).

وتحدث الصائغ في مذكراته عن الأعراف البدوية وأتى على ذكر القبائل التي زارها، وذكر أسماء شيوخها وعدد مقاتليها. وتكلم عن الوهابيين وحروبهم وغزواتهم على عرب الشام ووقائعهم مع الدُرَيْمي بن شعلان، شيخ عرب الرولة، وذهب إلى أنه زار الدرعية، عاصمة الدعوة الوهابية يومئذ، ووصفها كما وصف عدداً من البلدان والقرى السورية مثل معرة النعمان وحماه وحصن وتدمر والقريتين وصدد.

والغريب في هذه الرحلة أنها ترجمت إلى الفرنسية منذ أكثر من مئة وخمسين سنة على يد الشاعر الرومانتيكي لامرتين، ونشرها في الجزء الرابع من كتابه «رحلة إلى الشرق» الصادر سنة ١٨٣٥ (الطبعة الأولى). ولا يغفل لامرتين عن ذكر الأسباب التي جعلته يهتم بمذكرات السائح السوري، ويخبرنا أيضاً كيف تمّ له الحصول عليها فيقول: كنتُ نازلاً في وسط الصحراء التي تمتدّ من طبريا إلى الناصرة، وكنا نتحدث عن القبائل التي التقينا بها خلال ذلك اليوم. فأعزبتُ لدليلي عن رغبتني في التعرف بالبعض منها والعيش معها رداً من الزمن، وتتبع خطواتها من دمشق إلى شواطئ الفرات، لكشف اللثام عن (حضارة الصحراء). ولكن لم يبقَ لدينا الوقت الكافي لمثل هذه المغامرة التي لم يجرؤ أحد من المسافرين على القيام بها إلا رجل واحد يدعى (لاسكاريس) ولكنه مات وضاعت معه المعلومات التي جمعها عن سكان البادية خلال عشر سنوات.

ثم تحدث (لامرتين) عن (لاسكاريس) وكيف التقى بالجنرال (بونابارت) في جزيرة مالطة، عند حملته على مصر سنة ١٧٩٨، وكيف تبعه إلى الشرق إلى أن عاد إلى فرنسا مع بقايا الحملة. وبعد أن خرقت إنجلترا معاهدة (أميان) سنة ١٨٠٣ رأى (نابليون) أنه لا يستطيع أن يضرب عدوه في قعر جزيرته بسبب تفوق الأسطول البريطاني فحاول أن يقضي على اقتصادياته، واعتقد أنه يصيبه في الصميم إذا تمكن من أن يقطع عليه طريق الهند. ولأجل الوصول إلى هذه الغاية لا بُدَ له أولاً من توطيد العلاقات مع أمراء البادية ومشايخها، فأرسل (لاسكاريس) لهذه المهمة. ونجحت مساعي جاسوس (نابليون) ولكن حين أراد أن يعود إلى

(فرنسا) علم بسقوط الإمبراطور الفرنسي، فذهب إلى القاهرة مغموماً يائساً، حيث وافاه أجله، فوضع القنصل البريطاني يده على جميع خلفاته، وخاصة على مذكراته وأوراقه، ولا يعلم أحد ما كان مصيرها. وختم (لامرتين) كلامه معرباً عن أسفه على ضياع هذه الوثائق الهامة. فقال له دليله: لعلها لم تفقد تماماً لأنه على معرفة طيبة بالشاب الذي كان يرافق (لاسكاريس) ولطالما سمعه يتحدث عن هذه الرحلة إلى البادية وعن اليوميات التي كان يكتبها بناء على طلب معلمه (لاسكاريس). وهكذا مكّنت الظروف (لامرتين) من شراء مذكرات فتح الله الصائغ، وتمّت ترجمتها إلى الفرنسية على يده.

ولم يَنَلْ كتاب (لامرتين) «رحلة إلى الشرق» نجاحاً كبيراً لأنه ضعيف المادة، قليل الفائدة، فسرعان ما نسيه الناس ودخلت معه مذكرات الصائغ في خبايا الزوايا.

وكان من المنتظر أن يقبل المستشرقون على رحلة الصائغ لما فيها من أخبار طريفة عن أحوال البادية وقبائلها، ووصف بعض القرى والبلدان السورية. إلا أن رئيس الجمعية الآسيوية شكّ في صحتها، فسكتت عنها مجلة هذه الجمعية، وكانت يومئذ لسان حال المستشرقين، ولم تتناولها بالنقد، بل إنها لم تذكرها بخير أو شرٍ إلا بعد وفاة الشاعر (لامرتين) ويتضح من رسالة طويلة وجهها المستشرق (فولننس فرنيل) إلى رئيس الجمعية سنة ١٨٢٨ - ولكن لم تنشرها المجلة الآسيوية، إلا سنة ١٨٧١ - أنه كان من المسلمّين بصحة هذه الرحلة، ثم بدّل رأيه بعد أن عرض على أرباب الخبرة من العرب الصفحات التي جاء فيها وصف الدرعية، عاصمة الوهابيين يومئذ، وذكر الإمام الوهابي عبد الله بن سعود. وأصدرت المجلة الآسيوية حكمها الصارم في تقريرها السنوي لعام ١٨٧٢ (ج ٢٠ ص ٣٦)، جاء فيه: إن هذه الرحلة وليدة الخيال كتبها رجل عارف بأحوال البادية.

ولم يتساءل صاحب هذا الكلام كيف تم لبائع من صغار التجار - يكاد يجهل اللغة العربية الفصحى، مثل فتح الله الصائغ، يخشى البادية كما يخشاه كل

حضري من سكان المدن، لا سيما أنه كان نصرانياً - أن يكون مطلعاً أتم الاطلاع على أحوال البدو، حتى أنه تكلم عن عادة دفن الحصى أو دفن الذنوب، يكاد يجهلها حتى المختصون بدراسة البادية ولكن ذكرها قبله شهاب الدين العمري المتوفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف»^(١)، فأن له هذه المعرفة الدقيقة بالقبائل وتقاليدها إن لم يكن عاش معها رذحاً من الزمن. أما الأخطاء التي نددت بها المجلة الآسيوية مما حملها على الطعن برحلة الصائغ إلى الدرعية، فإن صاحبنا منها بريء كبراءة الذئب من دم يوسف، لأن المسؤول الأول عنها هو سوء الترجمة بل الترجمات العديدة (من العربية إلى الفرنسية القديمة، ثم إلى الفرنسية ومنها إلى العربية)، كما بيناه في مقال نشرته مجلة «العرب»^(٢).

ونحن لا نريد أن نُثير النقاش من جديد حول هذه الرحلة لأن العدد الكبير من القراء يكاد يجهل كل شيء عنها. بل إنه يكاد يجهل اسم فتح الله الصائغ، إذ لم يطبع كتابه إلى تاريخ هذا اليوم. وإننا سنبدل جهدنا لنشر هذه المذكرات الفريدة بعد تحقيقها، وهي بنظرنا من التراث الثقافي السوري والعربي على الرغم من المبالغات التي وقع فيها المؤلف ومن أخطائه اللغوية العديدة لأن لغته أقرب إلى اللهجة الحلبية القديمة منها إلى الفصحى. أما اليوم فإننا نكتفي بسرد وقائع هذه الرحلة وحوادثها ثم نتناولها بالنقد ليكون القارئ العربي على بينة من أهمية هذا الكتاب الذي عرفه الغرب منذ أكثر من مئة وخسين سنة.

كان فتح الله الصائغ شاباً لم يتجاوز العقد الثاني من عمره حينما اتصل به رجل في مقتبل العمر، من أصل إيطالي يدعى (تيودور لاسكاريس) وطلب منه أن يعلمه اللغة العربية. وكان ذلك بمدينة حلب، سنة ١٨٠٩، وهي يومئذ مركز تجاري هام، ومحط قوافل الهند والأناضول. ومع أن فتح الله المذكور كان يميل إلى التجارة، ويجهل مهنة التعليم، إلا أنه كان صِفَر اليدين فرضي بالشروط السخية التي عرضها عليه (لاسكاريس) لا سيما بعد أن عرف أن المذكور من كبار الأفرنج وأشرافهم. ولكنه على الرغم من كرم محتده كان يلبس الألبسة الشرقية الشعبية الزرية، ويأكل في الأسواق.

وبعد مضي ستة أشهر عرض (لاسكاريس) على فتح الله أن يقوموا برحلة في أنحاء البلاد السورية، سعيًا وراء أرباح التجارة، وأعطاه الأموال لشراء البضائع التي تصلح لسكان البادية. وشرط عليه أن يطيعه طاعة عمياء، ولا يخالفه في شيء. فقبل الصائغ هذه الشروط.

وبعد استعداد طويل للسفر غادر (لاسكاريس) وترجمانه حلب إلى سرمين يوم الخميس الواقع في ١٨ شباط ١٨١٠، على طريق القوافل، ثم قصدا مَعْرَةَ النعمان، ومنها إلى خان شيخون، ثم إلى حماه حيث سجننا، ثم إلى رستان(?) فحمص. وطابت لهما الإقامة في هذه المدينة فبقيا فيها إلى نهاية الشتاء.

وكان الصائغ على جَهْلٍ بغايات معلمه السياسية، ويتساءل ما هو مصير البضائع التي معها؟ لأن (لاسكاريس) كان يمنعه من عرضها في الأسواق. ثم اتضح له شيئاً فشيئاً أن معلمه يرمي إلى هدف سياسي، لا علاقة له بالتجارة وهو التعرف بالبدو، والاطلاع على أحوالهم. ولذا طلب (لاسكاريس) من رفيقه أن يُسَجِّلَ يومياً، على ورقة جميع ما يقع لهما من حوادث، وهو بدوره يكتب ملاحظاته في دفتر باللغة الفرنسية، مستعيناً بمذكرات الصائغ. ويعلمنا فتح الله أنه ظل يكتب يومياته مدة ست سنوات إلى يوم وفاة (لاسكاريس) في القاهرة.

وتابعا رحلتها فذهبا إلى صدد، قرية جميع سكانها من السُريان النصارى، وعرضا بضاعتها على الناس ليظنوا أن غايتها من هذه الزيارة البيع والشراء، ثم توجهتا إلى القريتين ومنها إلى تدمر بصحبة رفيق بدوي، تعهد بإيصالهما إلى قبيلة الحسنة. فترلا عند شيخها مهنا الفاضل المعروف بالملحم.

ونلاحظ أن الصائغ لا يكتفي بسرد الحوادث بل يصف أيضاً وصفاً موجزاً دقيقاً الأماكن التي زارها والرجال الذين اتصل بهم. ويصف أيضاً رحيل البدو وهواج النساء، ولا شك عندي في أنه شاهد كل ما ذكره عياناً.

وبعد أن أقاما مدة مع عرب الملحم تبين للاسكاريس - أو الشيخ ابراهيم كما تسمى عند البدو - أن الأمير مهنا وبالأولى ابنه ناصر آ يتبع سياسة خرقاء ترمي إلى

فرض سيطرته على القبائل بواسطة العثمانيين، مما تأباه الفردية البدوية ولا يتماشى مع الأهداف التي يتوخاها جاسوس (نابوليون) واتضح له بعد أن درس أحوال البادية أن الشيخ الذي يتمكن بواسطته من تحقيق مآربه هو الدُرَيْعي بن شعلان، أمير عرب الرولة. فطلب عندئذ من رفيقه - الذي تسمى عبدالله الخطيب - أن يبذل جهده للوصول إليه، على الرغم من المشقات وبُعد المسافة، لأنه كان ضارباً خيامه في الجزيرة.

وكان لا بُدَّ للشيخ ابراهيم من اطلاع ترجمانه على الغرض الحقيقي من هذه الرحلة، فأعلمه عندئذ أن الغاية منها الكشف عن أحوال البدو، والتعرف بكبار أمرائهم، وكسب صداقتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإبعادهم عن العثمانيين، والعمل على معرفة الصحارى، ومسالكها ومياهها، وأن الهدف السياسي هو توحيد صفوف البدو، ليكونوا عوناً لجيش كبير سيمر بالشرق ويقطع الصحراء قاصداً بلاد الهند، وإن الدريعي بن شعلان هو الشيخ الكبير الذي يمكن الاعتماد عليه لتحقيق هذه المآرب.

وتمكن الصحبة بين (لاسكاريس) والدريعي بن شعلان، الواحد يدبر الأمور، والآخر يعمل على اتحاد القبائل. أما الصائغ - أو عبدالله الخطيب فكان يكتب الرسائل ويكسب القلوب بطيب لسانه. وتمكن بدهائه من ربط بعض كبار الشيوخ برباط عظيم، على أن يكونوا يداً واحدة مع ابن شعلان في كل الأمور، وعوناً له في خلافه مع العثمانيين والوهابيين. وتمّ التوقيع على وثيقة الاتحاد في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨١١م.

ويطول بنا الكلام إذا أردنا أن نتحدث عن جميع تحركات الدُرَيْعي وسعيه الخثيث للحصول على موافقة أكبر عدد من القبائل على هذا الحلف. فنراه يقطع الفرات، ويجتمع مع شيخ عرب البصرة، ثم ينزل على عين الوساد قرب نهر الشابور، ثم يرحل إلى جبل سنجار، وبعد إقامة قصيرة في تلك الربوع يعود إلى الجزيرة، ومنها إلى غوطة دمشق ويصطدم بغزو وهابي ما بين القريتين وتدمر. ويتحدث الصائغ أيضاً عن لقاء (لاسكاريس) بسائح بريطاني يدعى أيضاً

الشيخ ابراهيم - وهو الرحالة (بوركهارت) وعن اجتماعه مع (اللادي ستنوب) حفيده رئيس وزراء انجلترا، ويظن أنها موفدة لتعطيل أعمال (لاسكاريس). ويتابع وصفه لتحركات الدريعي فنجده قرب حماه يحارب مع (الروم)، أي العثمانيين، جيشاً وهائباً كبيراً يقوده عبدالله الهدال، كيخيا ابن سعود (أي المشير الأول)، وأبو نقطة. ويستمر القتال أكثر من عشرين يوماً، وينتهي بانتصار الدريعي واندحار القوات الوهابية.

ويصف الصائغ هذه المعارك وصفاً شيقاً، ويتكلم عن عادات البدو عندما يطلبون النجدة من القبائل، وعن النخوة والعطفة والقتال على ظهور الجمال، وغير ذلك من أمور الحياة القبلية التي لا يجدها القارئ إلا عند الخبراء بأحوال البادية، وما أقل العارفين منهم!! ولا نعلم متى كانت معركة حماه لأن الصائغ يكتفي بسرد الحوادث دون أن يذكر تاريخها. ولكن يظهر من سياق الحديث أن الغزو الوهابي كان خلال صيف سنة ١٨١٢م.

وبعد أن ربح الدريعي معركة حماه قطع الفرات، واجتاز الجزيرة، ودخل طبراق العجم (٩) ثم تابع رحيله مع (لاسكاريس) والصائغ وبعض أمراء البادية إلى بلاد كرمان، ووصل إلى نهر خراسان وأرض الهندوان، وذلك بعد مسير اثنتين وأربعين مرحلة كبيرة، وحل أخيراً على الأمير سعد البخاري، وتم الاتفاق معه. ودخل أيضاً بالحلف الأمير الرديني، شيخ عرب العجم، وهو رجل من الرافضة لا يأكل مع أهل السنة.

وهكذا توصل الدريعي إلى تحقيق مآرب (لاسكاريس) فتم على يده اتحاد معظم القبائل العربية من بر الشام إلى حدود الهند، وتحالفت معه ضد (الأروام) أي الأتراك، واتفقت على مساعدة الجيش الكبير الذي سيمر بالشرق عبر الصحارى، وينوي السيطرة على طريق الهند.

ويذكر الصائغ في نهاية كتابه أسماء القبائل التي دخلت في هذا الحلف وأسماء شيوخها وعدد المقاتلين، فكان المجموع خساً وأربعين قبيلة تعد نحو ألف ألف نفس.

وعاد الدرعي إلى طبراق بغداد (؟) بعد أن تحالف مع عرب العجم، ثم سار مع رفقاته فاصداً بر الشام، إذ أتته رسالة من عبدالله بن سعود يطلب حضوره إلى الدرعية. فتشاور القوم فيما بينهم، ونمّ قرارهم على تلبية دعوة الوهابي، وإرسال وفد يضم الدرعي وبعض أقربائه والصائغ وعددًا من العبيد. أما (لاسكريس) فرأى أنه من الأنسب أن يبقى مع سائر أفراد القبيلة.

ويتابع الصائغ وصف رحلته فيتحدث عن وصول الوفد إلى الدرعية ونزوله في ضيافة الإمام الوهابي، الذي كان حاقداً على الدرعي، فاستقبله استقبالا سيئا، ثم أمر بالحوطة عليه وعلى أعضاء الوفد. وبعد أخذ ورد تمّ الصلح بين الطرفين، على أن يكون (الدرعي سلطان الشمال) وابن سعود (سلطان القبلة) وعلى أن يكونا روحين في جسد واحد)، كما جاء في مذكرات الصائغ. فتمكن عندئذ صاحب الرحلة من التنزه في الدرعية فوصفها ووصف أسواقها ونساءها، وأق أيضاً على وصف العاهل الوهابي ومجلسه وأحواله. وقد ذكّرت مجلة العرب تفاصيل رحلة الصائغ إلى الدرعية بناءً على الترجمة التي قام بها المستشرق (فرنيل) من الفرنسية إلى العربية^(٣)، وهي مشبعة بالأخطاء كما بيناه على صفحات هذه المجلة.

وقبل أن يغادر الوفد عاصمة الوهابيين وصل العلم إلى ابن سعود أن قوات محمد علي خرجت من ينبع، وتوجهت إلى المدينة لاحتلالها. فلم يأبه العاهل الوهابي بهذا الخبر.

أما (لاسكريس) فقد سرَّ جداً بنتائج رحلة الصائغ إلى الدرعية، إذ أصبح طريق الهند ممهداً أمام جيوش (نابوليون) ورأى أن التوفيق كان حليفه وأن بوسعه العودة إلى فرنسا لاطلاع الأمبراطور على نجاح مهمته. فذهب مع فتح الله الصائغ من حلب إلى اسلامبول (استنبول)، وهناك علم بانكسار القوات الفرنسية في روسيا. ثم تابعت الأخبار المشؤومة وهوى (نابوليون) من على عرشه فسافر (لاسكريس) إلى إزمير لمقابلة الجنرالين (سافاري) و (اللمان)، وبناءً على شورها طلب الحماية البريطانية ليأمن على حياته من شرّ العثمانيين، وذهب وحده إلى القاهرة حيث وافاه أجله. فوضع القنصل البريطاني (سالمط) يده على جميع

مخلفات العامل الفرنسي، بما فيها مذكراته وأوراقه.

أما الصائغ فقد علم بوفاة (أبيه الروحي) أثناء إقامته مع والدته باللاذقية. ثم أتته رسالة من (دُروفيتي) قنصل فرنسا في الاسكندرية، يطلب حضوره. فلبى الطلب وحاول عبثاً أن يحصل على أوراق معلمه فلم ينل من القنصل البريطاني إلا الإهانة والطرده.

وهكذا انتهت رحلة الصائغ التي طالت - على زعمه - سبع سنوات. وقد عرضناها عرضاً سريعاً لا يعطي إلا فكرة خاطفة وغير كاملة عن محتوياتها. والواقع أن المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تقع في مئة وثلاثين ورقة أي مئتين وستين صفحة، وكل صفحة فيها نحو ثلاثة وعشرين سطراً. ولو أردنا أن نذكر جميع ما جاء فيها من حوادث وأخبار لطال بنا الكلام. إنما الغاية من هذا المقال التنبيه إلى أهمية هذا الكتاب والحث على نشره على الرغم مما جاء فيه من مبالغات وتمويه وأخطاء تاريخية كما سنراه، لأنه في الوقت نفسه وثيقة هامة عن أحوال بادية الشام وعن بعض القرى والبلدان السورية في أوائل القرن التاسع عشر.

أما قصة (لاسكاريس) فليست وليدة الخيال، وإن كان الخيال لعب بها حتى أصبحت موضوع شك المؤرخين. والواقع أن فرنسا كانت تطمع بالاستيلاء على مصر من قبل قيام ثورة ١٧٨٩، فزارها عدد من سياحها ووصفوها، ومن أشهرهم (فولنه) الذي تجول في الشرق من سنة ١٧٨٣ إلى سنة ١٧٨٥ وكتب كتاباً قيماً عن وضعه الجغرافي والسياسي والعمراني وقال عن مدينة الاسكندرية: إن تحصناتها الحربية عديمة الوجود^(٤). وعندما أبحرت القوات الفرنسية متوجهة إلى مصر، فقد هذا الكتاب من الأسواق. وبعد أن استولى (بونابارت) على الحكم أرسلت السلطات الفرنسية الجنرال (سَبْسِيَّانِي) سنة ١٨٠٢^(٥)، و (فانسان بوتان)، سنة ١٨١٠، للكشف عن الوضع العسكري في الشرق^(٦). ولعل القرار على مهمة (لاسكاريس) صدر عن نفس الدوائر الفرنسية العالية.

وهنا يقف المؤرخ وقفة الحائر إذ لا يجد أي وثيقة تؤكد صحة ما ادعاه (لاسكاريس) بناءً على ما ذكره الصائغ، من أن (نابوليون) أوفده إلى الشرق ليكسب صداقة أمراء البادية. ولم أجد في المخابرات القنصلية الفرنسية الخاصة بمدينة حلب ذكراً للاسكاريس، مع أنه أقام في هذه البلد أكثر من سنة، وكانت تأتيه الأموال منها، على ما يقول الصائغ. ولكن ليس من عادة الدوائر الجاسوسية أن تعطي تعليمات بالطرق الرسمية، ولا يمكن أن تكون هذه القصة من ابتداع الصائغ، فإني لشاب سوري لا يحسن غير البيع والشراء أن يكون عارفاً بالسياسة العالمية وعلى علم بأسماء عدد من كبار الشخصيات الفرنسية المقيمة في الشرق. حتى أنه تحدث عن وصول الجنرالين (سافاري) و (المان) إلى إزمير بعد سقوط نابوليون؟ ولا شك في أن رحلة الصائغ قد لعب بها الخيال، ولكنها ليست وليدة الخيال ولا يمكن لأي ناقدٍ قرأ هذه المذكرات، واطلع على دقة الوصف فيها لبعض القرى السورية والأماكن الأثرية والحياة البدوية إلا أن يُسلم بحكمنا هذا. ولعل (لاسكاريس) أوهمه أنه كان موفداً من قبل (نابوليون) لأنه تكلم عن هذه الرحلة في مقال صدر بعد وفاته^(٧)، ذكر فيه بعض حوادث نوه بها الصائغ أيضاً. أو لعل بعض الشخصيات السياسية الفرنسية طلبت من (لاسكاريس) أن يقوم بالتمهيدات الأولية لكسب صداقة أمراء البادية، إذ بقي في مصر عدد من الفرنسيين بعد إخفاق الحملة اعتنقوا الإسلام، وخدموا أصحاب البلاد، منهم (الكولونيل ساف) المشهور بسليمان باشا وهو الذي أعاد تنظيم جيش محمد علي^(٨). والحقيقة أن قصة (لاسكاريس) من الألفاظ التاريخية التي لم نجد حلاً إلى هذا اليوم. وتفيدنا رسالة وجهها قنصل فرنسا بالاسكندرية إلى الوزارة الخارجية بباريس، بتاريخ ٢٣ نيسان ١٨١٧ أن السائح (بوركهارت) - الذي اكتشف خرائب بتر - كتب ترجمة حياة (لاسكاريس) بعد وفاته بالقاهرة^(٩). ومن المؤسف أنني لم أجد أثراً لهذه الترجمة، ولعلها لم تطبع، إلا أنها تدلنا على أن الرحلة السويسري - البريطاني كان على اتصال وثيق بجاسوس (نابوليون) وينظر إليه نظرة النَّد للند. ونعلم من مذكرات الصائغ أن (لاسكاريس) التقى فعلاً بالشيخ إبراهيم، صاحب «الرحلة إلى الجزيرة العربية»، عندما زار (لادي ستهوب).

ومتى سلمنا هذه الأمور الأساسية وهي أن قصة (لاسكاريس) ليست وليدة الخيال وأنه رَحَلَ فعلاً مع ترجمانه فتح الله الصائغ إلى البادية وأتصلاً بعدد من شيوخ القبائل، اتسع علينا مجال النقد لتبين الصحيح من الخطأ في مذكرات الصائغ، لأنه شَوْهَ الحقيقة وتحدث بأمور هي من نسج خياله، إلا أنه صدق أيضاً في أمور كثيرة فأفاد إفادة جمة.

وأول ما تجب الإشارة إليه هي الأخطاء التاريخية العديدة في هذه الرحلة. فالصائغ يعلمنا أنه غادر حلب مع (لاسكاريس) قاصداً حماه يوم الخميس الواقع في ١٨ شباط سنة ١٨١٠ وأنه ابتداءً بكتابة يومياته بعد نهاية الشتاء. وتابع تسجيل مذكراته مدة ست سنوات إلى تاريخ وفاة (لاسكاريس) ومعناه أنه مات سنة ١٨١٦، والواقع أنه توفي سنة ١٨١٧^(١).

ويذكر الصائغ أيضاً أنه بعد رحلته الأولى إلى تدمر وبر الشام ذهب إلى دمشق، وكان ذلك بتاريخ ٢٣ كانون الأول سنة ١٨١٠. ثم اتصل بالدريعي ابن شعلان وتمكن من إحضار معلمه الشيخ ابراهيم إلى مخيم الدريعي في خريف سنة ١٨١١. وأثناء ذلك قامت بعض القوات الوهابية بغزوة على عرب الشام فتبعها الدريعي ورجع المعركة ضد القائد الوهابي الشهير بابي نقطة. إلا أن أبا نقطة حاكم عسير تهامة توفي قبل هذا الغزو بستين، قتله الشريف علي حمود قائد عرب اليمن، عندما اندلعت نيران الحرب بين الوهابيين واليمنيين^(٢) ويذكر الصائغ من جديد أبا نقطة ويزعم أنه قاد حملة على بر الشام، وكان معه يومئذ عبدالله الهدال، كيخيا ابن سعود، وذلك خلال صيف سنة ١٨١٣. وكان النصر أيضاً لحليف الدريعي. ويتحدث من جديد عن أبي نقطة عند زيارته الدرعية، ويزعم أنه تناول معه طعام العشاء، ولكنه لا يذكر تاريخ هذه الزيارة، إلا أننا إذ تتبعنا سياق الحديث نعلم أن ذهابه إلى عاصمة الوهابيين كان بعد سفره إلى أطراف الهند واتحاد الشيخ الرديني مع الدريعي خلال صيف سنة ١٨١٤. وفي الوقت نفسه يعلمنا أن خبر زحف القوات المصرية على المدينة بلغ ابن سعود عند نهاية هذه الزيارة، ومن المعلوم أن الجيش المصري احتل المدينة المنورة في شهر تشرين الثاني سنة ١٨١٢.

وبعد أن نَجَحَتْ مساعي (لاسكازيس) ذهب إلى (استنبول) قاصداً فرنسا. وُستَدُلُّ من سياق القصة أنه سافر خلال شتاء ١٨١٥. ولكن الصائغ يخبرنا أنه علم هناك باندحار القوات الفرنسية في روسيا، ثم تابعت الأخبار المشؤومة وبلغه تراجع (نابوليون) وعودته مكسوراً إلى باريس. ومن المعروف المشهور أن هذه الحوادث جرت في شتاء سنة ١٨١٣.

فيتضح من هذا النقد السريع أن الصائغ خبط بالتاريخ خَبَطَ عَشْواء. وإذا أضفنا إلى ما تقدم مغامراته العديدة المزعومة والأخطار التي مرَّ بها وكاد يذهب ضحيتها وسفره إلى طبراق العجم ووصوله إلى حدود الهند وحديثه عن أثواب الحيات وهو أشبه بقصص ألف ليلة وليلة أصبح من اليقين لدينا أنه تساهل تساهلاً شديداً بالأمور التاريخية وأن الناقد على حق إذا شك في صحة أقواله، ونسب عدداً منها إلى الخيال.

ولكن، (لعل له عذر وأنت تلوم) والواقع أن الصائغ كان يكتب يومياته على (ورقة طيارة)، على حسب تعبيره، وإن هي إلا مذكرة للشيخ إبراهيم تسهل عليه تسجيل الوقائع. وما أظن أن صاحبنا كان يفكر يوماً بوضع كتاب عن رحلته، لأنه كان لا يحسن اللغة العربية. ولكنه احتفظ بمذكراته، وعندما عرض عليه (لامرتين) شراءها قام عندئذ بتحريرها باللهجة الحلبية، متتبعا سير الحوادث، والدليل على ذلك أنه كثيراً ما يضع علامة على بعض صفحات المخطوطة تشير إلى أن الحادث الذي ذكره يجب أن يقدم أو يؤخر. ولا عَجَبَ إذا أخطأ بالتواريخ لأنه أراد باديء بدء سرِّد قصة أبيه الروحي (لاسكازيس) فكتب ما علق بذاكرته دون اهتمام كبير بالأمانة التاريخية، لا سيما وأنه وضع كتابه بعد مضي نحو خمس عشرة سنة على رحلته، فذكر القائد أبا نقطة لأن حاكم عسير تهامة كان مشهوراً بقوته وجسارته وأخطأ باسماء الاعلام والانساب. وكان على جهل بالتاريخ العربي والإسلامي فظن أن قبر النبي في مكة، وزعم أن الإمام سعود نهب أم القرى عند فتحها. وجمع به الخيال فسرد حوادث من الصعب تصديقها مثل رحلته إلى بلاد كرمان، ووصوله إلى نهر خراسان وأرض الهندوان، بعد مسير اثنين وأربعين

مرحلة كبيرة، ثم نزوله على نهر عظيم اسمه جيستان (يبعد عن حدود الهند نحو عشرين ساعة فقط بالقرب من بلد آخر بلاد العجم يسمونها المتونا). فجميع تفاصيل هذه الرحلة الكبيرة، ذهاباً وإياباً، حصرها الصائغ في ست صفحات، مع أن من عادته الإسهاب، مما يجعلنا نشك في صحة هذه الرواية، والغرض منها إعلام القاريء أن الطريق أصبح ممهداً أمام جيش (نابوليون) من بر الشام إلى حدود الهند.

وهناك نقطتان أساسيتان أثارتا بنوع خاص شكوك المؤرخين، ولا بُدُّ لنا من التحقيق عنهما: الأولى معركة حماء والثانية الرحلة إلى الدرعية.

وصف الصائغ معركة حماء وصفاً رائعاً، وذكر عدد المقاتلين، فزعم أن الجيش الوهابي كان يضم نحو مئة وخمسين ألف مقاتل، أمّا عرب الشام فإن جميع القبائل التي أنجدت الدريعي لا تزيد على ثمانين ألف مقاتل، يضاف إليهم جنود الجيش العثماني الذي تصدّى أيضاً للغزو الوهابي.

ولكن هل وقعت هذه المعركة حقاً؟ يعتقد الدكتور منير العجلاني أن الإمام سعود قام فعلاً بغارة على أطراف الشام سنة ١٢٢٥ هـ. ووقعت معركة كبيرة مع عرب هذه الناحية^(١٢). إلا أنه يظن (أن أعداد المقاتلين أعداد مبالغ فيها كثيراً، وأما المعركة، فيترجح عندنا، بغلبة الظن، أنها وقعت: يقول ابن بشر في أخبار سنة ١٢٢٥ إن الإمام سعود سار في شهر ربيع الثاني إلى الشام^(١٣). إلا أن الغارة التي تكلم عنها ابن بشر قام بها سعود، أما معركة حماء فلم تكن بقيادته، ووقعت على ما يذكر الصائغ بعد هذه الغارة بستتين. وعندما عرض المستشرق (فرنيل) على ذوي الخبرة من العرب وصف رحلة الصائغ إلى الدرعية، علق الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي على هذه الغزوة بقوله: (هذا كلام غير معقول، ما كسرت جيوش الوهابي عند حماء إذ كان العرب بعضها مع بعض، اللهم...^(١٤))، وهذا معناه أن الشيخ الحنبلي يسلم بإمكان وقوع مثل هذا الغزو، إلا أنه لم يكن بقيادة سعود.

ولدينا شاهد على وقوع هذه المعركة الكبيرة في كتيب لمؤلف فرنسي يدعى

أوغست دي نرسيا، طُبِعَ سنة ١٨١٨، يقول فيه: ولما وقعت الحرب بين قبائل عتزة والفِدَعان غطت خيام الفتيين المتقاتلتين جميع المساحة بين سلمية وتدمر . . . وانا نؤكد أن عدد المتحاربين في معركة السلمية [قرب حماه] التي وقعت سنة ١٨١٢ زاد على أربعين ألف فارس يحملون الرماح إلا أن العدد الذي ذكرناه أقل بكثير مما ذهب إليه بعض الأناس المعروفين بصدقهم ويعد نظرهم، وذلك لأننا نخشى أن تنسب إلينا المغالاة في الأمور). ومن البديهي أن ما يقوله الكاتب الفرنسي لا يعني أن القتال كان بين الوهابيين وعرب الشام لأن الفدعان فرع من قبائل عتزة. ولكن عنوان الكتاب يدل على أن حديث المؤلف له علاقة بالغزو الوهابي (نبذة عن البدو وعن الملة الوهابية، ص ١٨).

أما رحلة الصائغ إلى الدرعية فهي التي أثارت بنوع خاص شكوك المستشرقين، وسار على خطاهم بعض المؤرخين العرب^(١٥) دون الرجوع إلى المصدر الأول أي مذكرات فتح الله الصائغ. وقد سبق وأثبتنا في مقال نشرته مجلة العرب^(١٦) أن المسؤول عن الريبة التي تحوط بهذه الرحلة هو سوء الترجمة بل الترجمات. وليس في الإعادة إفادة إنما نكتفي ببعض الأمثلة ليكون القارئ على بينة من صحة كلامنا.

كلام فتح الله الصائغ:

— (وركبنا وكان عددنا اثني عشر نفرأ لا غير وهم الدريعي وابنه سعدون وابن أخيه الأمير هجري وابن عمه جبل الدريعي واثنين آخرين من أوجاه العرب وأنا لله عبد وخسة عبيد لا غير كل واحد على هجين).

تعليقنا: هذا كلام الصائغ دون زيادة أو نقصان، ولا نجد في المخطوطة عبارة تشير إلى هذه السلطة الواسعة التي كان يتمتع بها الدريعي، بناء على كلام المستشرق فرنيل.

— (وقرب العصر . . . توجه الدريعي ومن معه إلى مواجهة [ابن سعود] من غير طلب إذن، لأن ما في عادة، فدخلنا إلى المحل الذي جالس فيه. وكان عنده جمع كبير من خواصه فسلمنا عليه، كل واحد منا وحده، من غير أخذ

يده ولا تقبيل أذنيه، على حسب عوايد العشاق، بل من دخولنا كل واحد
يؤثر بيده ويقول: السلام عليك يا ابن سعود ويجلس. فقط العبيد قائمون
على أرجلهم . . . عمره نحو خمس وأربعين سنة بذقن سوداء . . . ويده
محجان من شجر المحلب).

تعليقنا: شتان ما بين كلام الصائغ وترجمة فرنيل !

— (والشيء الذي ينقص [سكان الدرعية] يجلبه لهم أهالي الينبع بحر إلى مكة،
كرسي اليمن، محل الذي يخرج مبالغ القهوة منها، لا مكة الذي بها قبر
محمد . . . فأهالي مكة [مخا] يجيئون اللوازم الناقصة للدرعية . . . لأن كل
يوم اربعاء يوجد بازار بالدرعية).

(نساهم غير محسنات أكثرهن سمر غامقات، والبيضاء كمثل السمراء في
بلادنا . . . يخرجن للطريق مغطاين بمشالح سود إلى فوق رأسهن).

ترجمة فرنيل عن الفرنسية وتعليق الشيخ الحنبلي عليها:

— (ثم وصلنا إلى كرسي المملكة الوهابية . . . والمسافرون، غير الفقير، أحد
عشر وهم الدرعي بن شعلان، شيخ الرولة، وكان يحكم على القبائل
الشمالية والشرقية جميعها من حدود الهند إلى البصرة وحد نجد، ومن العراق
والجزيرة والحماة إلى الشامين وحوارن والجليل).

يقول الشيخ الحنبلي: (الدرعي شيخ عرب الشام، ولا يحكم على جميع
عربان الشام، كيف يحكم على ما ذكره هذا الكذاب، وفي القبائل الشمالية
والشرقية والشامية نحو من سبعين حاكماً مثل الدرعي).

— (ولما جاء المساء نظمنا ملابسنا، ثم حضرنا لمقابلة الملك. فرأينا رجلاً كان
عمره خمساً وأربعين سنة، في عينيه عبوس واتساع . . . وفي يده قضيب
ملك، كأنه علامة ملكه. وكان جالساً في صدر قاعة واسعة مفروشة
بالحصر والبسط الفاخرة، وأكابر مملكته واقفون بين يديه).

تعليق الشيخ الحنبلي: (ليس بقضيب بل مشعاب، وليس علامة الملك بل ينقله العام والخاص. لا يرون الوقوف بين أيديهم وعلى رؤوسهم، بل خادهم ومخدومهم سواء في الجلوس).

— (وفي كل يوم اربعاء يجيء أهل مكة واليمن ويقاضونهم على المتاجر بإبلهم وغنمهم وليس لها متجر سوى هذا السوق).

تعليق الشيخ الحنبلي: (لم يصدق . . . في قوله إن أهل المدينة وأهل مكة واليمن يأتون إلى الدرعية في كل اربعاء للسوق).

(وتخرج النساء في الأزقة بغير براقع، إلا أنهن يغطين رؤوسهن بالمشلح الأسود، وهذا غير ملبح، وأغلبهن قبيح في غاية السمرة).

تعليق الشيخ الحنبلي: (لم يصدق [في كلامه] عن خروج النساء).

يُؤسفنا أن نعطي أمثلة عديدة على سوء الترجمة، مما حمل الشيخ الحنبلي على القول عند قراءتها: (لا أرى هذا الرجل إلا كذاب مزور أشربط)^(١٧). والواقع أنه صدق في أمور عديدة وجاء كلامه موافقاً لتعليق منتقده، إنما أصدر الشيخ الحنبلي حكمه على أقوال لم يذكرها الصائغ في كتابه. ونراه على صواب أيضاً، خلافاً لما قاله مُكذِّبه، حين ذكر أن العاهل الوهابي حرّم لبس الحرير في بلاده. يقول حافظ وهبة: «وأمر [سعود] . . . بترك لبس الحرير والذهب»^(١٨). وكذلك أخطأ الشيخ الحنبلي في تقديره لما أخذه سعود من الحجرة^(١٩).

ثم يظهر من كلام الصائغ أن المقابلة لم تكن مع سعود بل مع ابنه عبدالله، ولي العهد. فالصائغ يقول لنا: إنه رأى رجلاً كان عمره خمساً وأربعين سنة، أسمر اللون. أما سعود فكان يومئذ في الخامسة والستين من عمره، وكان أبيض البشرة.

ولا شك في أن الصائغ وقع في أخطاء عديدة، فكتب (مكا) بدلاً من (مخا) وزعم أن قبر النبي في مكة، وأن سعوداً نهب هذا البلد، فخلط بين مكة والمدينة. وهنالك أيضاً مجال للشك في صحة الكتاب الذي أرسل به عبدالله بن سعود إلى

الدريعي بن شعلان، ولكن علينا ألا ننسى أن الرسالة موجهة إلى شيخ بدوي يجهل الكتابة والقراءة ولعلها صيغت عمداً بأسلوب يفهمه أهل البادية. ولكني أميل إلى الظن أن الصائغ سجّل في مذكراته وصول كتاب من الوهابي إلى ابن شعلان ولما عرض عليه (لامرتين) شراءها صاغ الكتاب بانشائه العامي البدوي. ولا عجب إذا أخطأ في نسب عبدالله بن سعود فإن خلطه بين مكة والمدينة يكفي لإظهار قلة معرفته بالأمور العربية.

أجل إن الصائغ لم يكن حريصاً على الأمانة التاريخية، لأنه أراد فقط أن يكتب قصة رحلة، فنمّق وزاد، واتخذ أسلوباً روائياً، فشوّ الحقائق أحياناً. وعلى الرغم من هذه الأخطاء، فإن في كتابه من الفوائد الجمة والأوصاف الدقيقة، والمعلومات الشيقة ما يجعله مرجعاً لكل من يهتم بالبادية وأحوالها، بل بالدعوة الوهابية لأنه تكلم مراراً عنها وعن عادات سعود وأحواله. وإني أميل إلى تصديقه عندما يتحدث عن الدرعية، لأن الشكوك التي أثارها هذه الرحلة متأتية عن سوء الترجمات، كما بيناه.

ولكي يكون نقدنا نزيهاً وشاملاً علينا الآن أن نظهر محاسن هذا الكتاب، وهي عديدة، بعد أن نوهنا بمطاعنه وأخطائه. وأول ما يسترعي النظر هو وصفه الدقيق السريع لكثير من الأمكنة، مما يدل على أنه رآها حقاً. ومن ذلك كلامه عن حُام طبيعي قرب قرية صدد، قال: (كان مسيرنا أربع ساعات لطرف الشرق منحرف لجهة الشمال، فوصلنا ووجدنا عمارات قديمة وكثيراً من الخراب. ثم وجدنا مخدعاً بقدر أوضه [غرفة] كبيرة لم تزل قائمة، عمارته على الطريقة القديمة بحجار كبيرة جداً، تهدم منها فقط قسم من الحائط من جهة الباب، فسَدَ نصفه. فدخلنا الغرفة، ووجدنا طاقة من جهة الشرق طولها نحو ذراع وعرضها كذلك، بناؤها قديم جداً، ويخرج من تلك الطاقة بُخار عظيم بكثرة...) (المخطوطة، ورقة ١٠).

ولنقرأ أيضاً وصفه لقرية صدد: (وثاني يوم قمنا دورنا بالضبعة ووجدناها ضبعة عظيمة، تحوي على ميتين بيت، جميعهم نصارى سُريّان، من غير واحد

غالطهم. صنعتهم شغل العبي والمسالخ. بها خمس كنائس وخمسة قسوس، كل واحد له كنيسة. ماؤها جاري من عينتين، وعندهم قليل من البساتين لأنهم كلهم مشغولون بصنعتهم. وهم يزرعون قليلاً من الحنطة والشعير، ومحصولهم يكفيهم نصف السنة فقط، والسبب أن كل زرعهم يسقى من العين لأن الأمطار عندهم قليلة، وأكثر السنين لا تسقط الأمطار كلياً. أما الماء فإنها يتقاسمونها بالساعة، (المخطوطة، ورقة ١٠).

ويقول واصفاً القريتين: (إنها ضيعة [قرية] كبيرة جداً يَحْتَقُ لهم أن يسموها القريتين ... بها نصارى سريان قُدُم، نحو عشرين عائلة فقط، وبها إسلام مقدار مئتين وخمسين عائلة ... وهذه الضيعة حصينة، من دأيرها حيطان ملتحمة وبيوت في بعضها، وما لها غير باب واحد فقط، وسبب ذلك خوفهم من العربان أن يسطوا عليهم ليلاً ... ثم لها ماء كافية لهم جارية ونبعها بعيد عن [القرية] نحو خمس ساعات من محل يقال له شعب اللوز، ولها بساتين وكروم عنب، وزرعهم سقي على الماء يقتسمونها بالساعة الرملية) (المخطوطة، ورقة ١٢).

ويُوسِّعنا أن نعطي أمثلة كثيرة من هذا النوع كوصفه آثار تدمر، ومغارة كبيرة قرب هذه المدينة وكلامه عن ريح السموم، إنما أهم ما جاء في هذا الكتاب — باعتقادنا — هو حديثه عن عادات البادية وتقاليدها وقبائلها، فهو حديث الشاهد الأمين الذي يتكلم عما رآه وسمعه، وعرفه بالخبرة والملاحظة. ويطول بنا المقال إذا أردنا أن نعطي أمثلة على كل ما ذكرناه، إذ علينا عندئذ أن نستشهد بعدد كبير من الصفحات، لأن الصائغ تعرض لنواح عديدة من حياة البادية، مثل الرحيل في حالة السلم، والنساء في الهودج، وأمامهنَّ الفرسان الخيرون بالضرب والطعن (ورقة ٢١)، والرحيل السريع في حالة الطوارئ، فتتجذُّ القبيلة بالسير المداوم، من غير نزول ولا راحة، بل النوم على ظهور الجمال والأكل كذلك، والنساء تعجن وتخبز على ظهور الجمال أيضاً (ورقة ٦٣). ويتكلم عن مكانة المرأة في المجتمع البدوي وتكريمهم لها (ورقة ٥٨)، وعن الطب البدوي (ورقة ٥٧) والخوة (ورقة

(٢٣) والنخوة (ورقة ٨٩) والعطفة (ورقة ٩٠)، بل إنه يفرد فصلاً خاصاً لعادات البادية (ورقة ١١٤ وما بعدها). ويحدثنا أيضاً مطولاً عن مراسيم الزواج فيقول: (ركبنا جميعاً وكل لبس أفخر الذي عنده، وراح العريس معنا لترات العروس، فلأن أعجبها أعطت كلامها وإن لم تَرْضَ ما صار شغل، مثل طرائق الافرنج . . . وكانت العروس من خلف الستار تنظر العريس فأعجبها وقالت إلى أمها: قد أعجبني العريس. فصار لنا خبر برضا الفتاة . . .). ثم تم الاتفاق على المهر وصار الوعد إلى ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث الذي هو يوم الوعد، (زَيَّنُوا رؤوس الناقات بالحشيش الأخضر، وزينوا العبد والعبدة واركبوهما على الأفراس . . . وركب نحو خمس مئة خيال، وساقوا الجمال أمامهم، بالغناء الحربي وإطلاق النار. وكذلك نحو مئتين امرأة كلهن مزيّنات، والغنم تُسَاقُ أمامهن، والعبدة راكبة معهن. أما سائر النساء فكُنَّ ماشيات بالغناء والتهاليل والزراغيط. وأمام الجميع خيَّالٌ ناشر زنار أبيض على رمح، كأنه علم، وينادي: هذه راية بركز بن هديب(*)). ومشت امرأة أمام الغنم، ويدها آتية من الفخار تصنع فيها بخور البان كل الطريق وكان أمام الجميع حامل الراية البيضاء، وبعده النوق، وبعده النوق البواردية المشاة، وبعدهم الخيالة، وبعده الخيالة المرأة التي بيدها البخور، وبعدها الغنم، وبعده الغنم العبدة راكبة، وبعده العبدة النساء، وبعدهن الأولاد، ومعهم جل يحمل الحوائج من غير حزم موضوعة على ظهره، من رأسه إلى ذنبه، الحاجة فوق الحاجة، حتى الجزمات كانت مربوطة بالخيطان ومدلاة على جوانب الجمل، وعلى ظهره فوق الحوائج ولد من أكابر القبيلة ينادي: أخذ الله نيران الخصوم، كسر الله قوات عدونا، ونصرنا الله على من يعادينا، والأولاد ترد عليه آمين). (ورقة ٨٠ - ٨١) ويتابع الصائغ وصفه فيعلمنا أن من عادة البدو في مثل هذه المناسبة أن يقع شبه حرب بين أهل العريس وأهل العروس: (فاستقام الحرب نحو ساعتين من الزمن، ووقعت الجرحى من الطرفين، وأخيراً انتصر خيالة أهل العريس وهجموا على بيت بركز(*) وأخذوا الفتاة وسلموها إلى النسوان. ثم حضر الجميع وشربوا القهوة فإذا أقبل علينا نحو امرأة يقال لها حبابات العروس ليذهبن معها، ومعهن ثلاثة جمال: الواحد عليه هودج العروس

المزين بالجوخ الأحمر، والمرصع بالودع الأبيض، وأنواع الخرز، وریش النعام والمرایا الصغيرة، وعلى الثاني البيت والعواميد، وعلى الثالث أواعي البيت . . . (ورقة ٨١).

والحقیقة أن الصفحات التي جاء فيها وصف حفلة زواج ابن الأمير بركز(*) من أحسن ما كتبه الصائغ في رحلته. ويمثلها بالدقة كلامه عن العادات المتبعة عند البدو، حين طلب النجدة في وقت الحرب، قال: ابتداء الدريعي بتدبير أموره لصدد الغارة الوهابية، فأحضر (ناقة بيضاء وسودها بشحوار الدست، وربط في رقبتها شقة بيت شعر سوداء، وأركب عليها فتاة لابسة السواد، ومسودة أيضاً وجهها، ومعها عشرة رجال تدور على القبائل وتدعوهم إلى معونة الدريعي. وكانت كلما وصلت إلى قبيلة تقول: الفزاع الفزاع يا أهل الخيل، يا أصحاب المروءة والنخوة، يا من يبيض عرض هذه الناقة ويغسل سوادها، هذه شقة بيت الدريعي المزعّم يخرب، يا أهل الحشيمة والغيرة، انهجوا انهجوا، ترى ربكم ذبحهم الوهابي وعدمتمهم، يا سامعين الصوت صلوا على النبي، أولكم محمد وآخركم علي) (ورقة ٨٨).

ويصف أيضاً الحرب على الجمال فيقول: (وكان الوهابيون نحو عشرة آلاف منهم خيالة ومنهم مراديف أي كل اثنين على جمل، ومنهم مضاعف أي أربعة رجال على جمل بأربع بواريد فتيل ظهورهم إلى بعضهم فوق الجمل، الواحد من الأمام، والواحد من خلف، والآخر على جانب، والرابع على الجانب الثاني. وهم عاملون لهم مقاعد من عشب مثل الكراسي مربوطة بحبال. وعندهم أكلهم مشترك بينهم وهو جراب طحين وجراب تمر، وعكّة سمن . . . يأكل كل واحد منهم كمشة [قبضة] طحين يعجنها بالسمن ويعمل منها ثلاث قطع مثل الحوزة ويأكلها ويأكل معها بعض التمرات، ويشرب شيئاً من الماء أو الحليب، حيث معهم جود^(٢) لأجل الماء مربوطة تحت بطن الذلول، النتيجة كمثل القلعة لا يحتاجون إلى شيء أبداً) (ورقة ٨٣).

ويتحدث الصائغ عن الحرب مع الوهابيين، وعن سلاح البدو يومئذ، فنعلم

أن السيف والرمح كانا من الأسلحة التي يكثر استعمالها في البادية، وأن منهم من كان يلبس الخوذة وقميص الزرد، أما الأسلحة النارية فإن الدارج عندهم البارودة ذات الفتيل، (لأن عادة العربان لا تحوي (تفك) بقداحة لأجل أولاً قليل من يأخذ لهم من هذا الصنف للبيع، ثانياً بسبب غلاء أسعارهم، ثالثاً إذا انعكسوا ليس عندهم من يقوم بتصليحهم، رابعاً بسبب الخطر لأنهم دائماً يرحلوا وينزلوا وتبقى (التفك) مرمية بين حوائجهم، وبأيدي النسوان والأولاد ...) (ورقة ٣٨).

ومن أغرب ما جاء في مذكرات الصائغ عن أعراف البادية عادة (دفن الحصار)، ويكون ذلك بعد الصلح التام وصفاء القلوب بين خصمين عنيدين وعدوين لدودين طال الخلاف بينهما، وجرى عليهما بسبب ذلك الأمور العظام. وعندئذ ينسى كل واحد منهما ما مضى، ولا يطالب بئار أو مال. ويعلمنا الصائغ كيف تتم عملية دفن الحصار إذ شاهد ذلك عياناً بعد أن رضي الدرعي بالصلح مع مهنا الفاضل، شيخ قبيلة الحسنة، قال: (فأمر الدرعي بالقهوة فقال مهنا: يا ابن شعلان، ما نشرب قهوتك إلا حتى نتصالح ونتصافح ونظمر الحصوات. وحالاً قام مهنا والدرعي وأشهرًا سيفيهما، وقبّل كل واحد منهما سيف الآخر، ثم إنهما تصافحا، وصار كل من يقبل الآخر من الحاضرين، وابتدأت النساء تهاهي وتزلغظ. ثم أخذ مهنا سبع حصوات من الأرض وحفر مقدار نصف ذراع في الأرض، وأمسك الحصوات بيده وقال: يا درعي هذا حقك وحقي طمرناه إلى الأبد، ودفن الحصوات في الحفرة ورد التراب عليها، وداسها برجله وتفل هو والدرعي عليها، بعد الطمر. ثم جلسا وأمر [الدرعي] بالقهوة، ولم يُسمع بعد ذلك كلمة واحدة فيما يخص ذلك. فتعجبنا أنا والشيخ إبراهيم (لاسكريس) من ذلك، من حيث ما كنا بعد شفنا هذه النكتة ولا سمعنا بها. فسألنا عنها فأخبرونا أن ذلك من عوايدهم. ومعنى السبع حصوات هي الفتن السبع التي صارت ضد الإمام علي بالكوفة بعد محمد. وعلامة الطمر أنه شيء مات ولا عاد يُذكر، والتفل فوقه معناه على الشيطان خزاه الله لأنه هو محرك الشر بالعالم) (ورقة ٧٩). ويتكلم الصائغ مرة أخرى عن طمر الحصوات، بمناسبة صلح آخر: ففرح الناس عندئذ

(وأيقنوا بالصلح الأكيد حيث عندهم متى انظمت الحصوات كان صلح حقيقي من غير انتفاض قطعاً) (ورقة ٩٥).

ويظهر أن هذه العادة طاعة بالقدم، إذ تكلم عنها، كما ذكرناه أعلاه، شهاب الدين العمري في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف»^(٢١)، ووصفها أيضاً ابن ناظر الجيش في «تثقيف التعريف»^(٢٢) والقلقشندي في «صبح الأعشى»^(٢٣) ولا نعلم أن أحداً من المختصين بالبادية وأحوالها أتى على ذكرها. واعتقادنا أنها زالت اليوم أو أنها آخذة بالزوال. إلا أن ذكرها بقي محفوظاً عند بدو الأردن، فهم يقولون: (حفار ودفان عليهما إدامة، إلى يوم القيامة).

ولا يسعنا هنا أن نعدد جميع محاسن كتاب فتح الله الصايغ، لأنه على الرغم من أخطائه التاريخية وغلوه مؤلفه وثيقة حية عن بلاد الشام وباديته. وعلاوة على ذلك ذكر الصائغ عدداً من الحوادث قد نطعن بصحتها لولا ورودها أيضاً في مصادر موثوق بها. ومن ذلك حرب الدريعي مع سليمان باشا والي بغداد، على إثر غدر العثماني به، وإيداعه السجن، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن فدى نفسه بالأموال الطائلة. فتأهب عندئذ للحرب، وهاجمت القوات البدوية الجيش العثماني، وأرغمته على التراجع والهرب، ووضعت السيف في رقاب العراقيين، ونُهبت بغداد، وغنمت أضعاف ما خسرت (مذكرات الصائغ، ورقة ٤٥). وقد ذكر أيضاً هذا الحادث الخطير عبدالله فيلبي في كتابه: تاريخ نجد^(٢٤).

وهذا التنويه بكتاب الصائغ لا يعني أنه مُنَزَّه عن الأخطاء، أو أن صاحبه صدق في كل شيء. وقد تكون قصة (لاسكاريس) وسعيه في توحيد القبائل البدوية لقطع طريق الهند على (انجلترا) من مبتدعات هذا الرجل الغريب الشأن. ولكن مغامرات (الكولونيل لورنس) تعلمنا أن مثل هذه الأمور لا يستحيل وقوعها إذا ساعدت على تحقيقها الدوائر الجاسوسية. ولكنها ليست وليدة خيال الصائغ، وإن كان صاحبنا زاد فيها وثق، إذ نراه يتحدث عن البدو وأحوالهم بدقة ومعرفة، وسعة اطلاع، لا تتأتى إلا لرجل عاش في البادية وعرفها واختبر أحوالها.

باريس، المركز القومي للبحث العلمي د. يوسف شلحند

الهوامش:

- (١) انظر الهامش رقم ٢١.
- (٢) العرب ج ٩، ١٠، ١٩، ١٤٠٥، ص ٦٩٧ وما بعدها.
- (٣) العرب ج ٣، ٤، ١٩، ١٤٠٤، ص ١٥٢ وما بعدها.
- (٤) فولنه: رحلة إلى مصر وسوريا، ص ٢٨ (بالفرنسية)، تحقق جان غوليه، باريس، ١٩٥٩.
- (٥) الاب لامنس، تاريخ سوريا، ج ٢، ص ١٢٨ (بالفرنسية)، بيروت، ١٩٢١.
- (٦) ج.م. كُرِّي، الرحالون والكتبة الفرنسيون في مصر، (بالفرنسية)، ج ٤، باريس، ١٩٦١. وقد اغتال العلويون بونان سنة ١٨١٥.
- (٧) ميشو، كتاب التراجم العام (بالفرنسية)، مادة لاسكاريس، ص ٢٩٧.
- (٨) فيليب حتي، ادوار جرجي، جبرائيل جبور، تاريخ العرب (مطول)، ج ٢، ص ٨٥٢، دار الكشف، بيروت، ١٩٦١.
- (٩) المخابرات القنصلية رقم ١٩، سنة ١٨١٧، ورقة ٢٠٠، باريس، الوزارة الخارجية (بالفرنسية).
- (١٠) كما جاء في المخابرات القنصلية المذكورة في هامش ٩. والغريب أن الصائغ يذكر اسم القنصل البريطاني الذي وضع يده على أوراق (لاسكاريس) أي (مستر سالط) إلا أن المذكور لم يتسلم مهام وظيفته إلا سنة ١٨١٧.
- (١١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ١٦٨، القاهرة ١٩٦٩، عبدالله فيليبي، تاريخ نجد، ص ١٢٤، المكتبة الأهلية، بيروت (دون تاريخ).
- (١٢) منير المعجلاني، تاريخ بلاد العربية السعودية، ج ٣، ص ٦٥، دار الكاتب العربي، بغداد (دون تاريخ).
- (١٣) منير المعجلاني، المصدر نفسه، ص ٢٣، فيليبي، تاريخ نجد، ص ١٢٧، وأخطأ ميخائيل مشاقه في تاريخ هذه القارة فزعم أنها كانت سنة ١٨١٧ وأن الجند الحجازي الذي أمّ الشام أرسله محمد بن عبد الوهاب (انظر: بلاد الشام في القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق سهيل زكار، ص ١٠٠، دار حسان، دمشق، ١٩٨٢ - ١٤٠٢).
- (١٤) العرب، ج ٣، ٤، ١٩، ١٤٠٤، ص ١٦٢.
- (١٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المصدر نفسه، ص ٢٧٤.
- (١٦) انظر هامش رقم ٢.
- (١٧) العرب، ج ٣ و ٤، ١٩، سنة ١٤٠٤، ص ١٥٤.
- (١٨) حافظ وهبة، الجزيرة العربية في القرن العشرين، ص ٢١٦، القاهرة، ١٣٦٥ - ١٩٤٦.
- (١٩) منير المعجلاني، المصدر نفسه، ص ٥٣.
- (٢٠) لعل صواب الاسم (برجس).
- (٢١) الجود: أوعية من جلد لحفظ الماء.
- (٢٢) شهاب الدين العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٦٥ وما بعدها، القاهرة، ١٣١٢.
- (٢٣) ابن ناظر الجيش: «تثقيب التعريف» مخطوطة الاسكوريال، ورقة ٩٧ و ٩٨، انظر أيضاً مقالنا بالفرنسية: «دفن الذنوب عند العرب»، مجلة تاريخ الديانات، نيسان - حزيران ١٩٥٩، ص ٢١٥ وما بعدها. ←

نقد وتعليق :

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

إذا استحق العلامة الشيخ حمد الجاسر جائزة الدولة التقديرية في الأدب فذلك عن كفاءة وجدارة، فهو الرجل الذي وهب حياته للحرف، فأعطى الكثير الكثير، ووفى لشعبه وبلاده فاستحق أن يكافأ بالحب والتقدير، ولعل أهم كتبه الموسوعية كتابه القيم «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي حذا فيه حذو مؤلفي معاجم البلدان القدماء في تتبع أسماء البلدان والأماكن والبقاع، وترتيبها وفق الحروف الأبجدية، فكان للمنطقة الشرقية حصة الأسد، إذ خصص لها أربعة أجزاء، صدر منها ثلاثة، ولعل ذلك عائد إلى أهميتها قديماً وحديثاً، فقد بدأ منذ العصر الجاهلي فطنتها قبائل عربية كثيرة، نزلت إليها من جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتركت بصماتها على كل بقعة فيها، حيث وعى الشعر العربي أسماء كثيرة للأمكنة والبقاع المنتثرة فيها، فمن الدهناء إلى الصَّمَان إلى صحراء البياض إلى وادي المياه، إلى غيرها من الصحاري والواحات الغنية بالمياه والجنى والثمار والعشب والكلأ، كل هذه المناطق تزخر بمراجع بقيت أسماؤها حية في ذاكرة الشعر العربي، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تاريخنا الأدبي والحضاري، وحتى استأثرت بعناية الجغرافيين منذ القدم، أما أهميتها في العصر الحديث فتعود إلى كونها تحوي أضخم احتياطي (بترولي) على سطح الكرة الأرضية كما قرر الخبراء، وقد استرعت اهتمام الكتاب والباحثين مؤخراً لاسيما الغربيين - لموقعها (الاستراتيجي) وتدفق (البترول) بغزارة في أراضيها.

(٢٣) القلقشندي: «صبح الأعشى في صناعة الانشاء» ج ١٣، ص ٣٥٢ وما بعدها، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ١٩١٨.

(٢٤) عبدالله فليبي، «تاريخ نجد» ص ١٢٣.

وكان لمجهوده القيم، واطلاعه الواسع على المؤلفات القديمة المخطوطة والمطبوعة، ودواوين الشعر العربي دور بارز في تجسيد الصورة الواقعية عن أهمية هذا الإقليم منذ القدم، بالإضافة إلى قيامه برحلات ميدانية للوقوف عن كثب على تلك المواضع والأماكن التي ذكرها الشعراء والمؤلفون القدماء، مما مكنه للقيام بدراسة مقارنة في تحديد الأمكنة وتصحيح الأسماء التي حدث فيها تغيير أو تصحيف وتحريف.

وبين يديّ فصل كتبه الأستاذ الجاسر عن القطيف ونشره في جريدة «اليوم» في عددها (٤١٧٧) الصادر بتاريخ ١٢/٨/١٤٠٤ هـ وهو من ضمن مادة حرف القاف [من المعجم] الذي توقفت أجزاءه الثلاثة عند ذلك الحرف، وكُنْتُ كُتِبْتُ منذ صدور ذلك العدد بعض الملاحظات تعليقاً على ذلك المقال، إلا أن ما كتبه فُقدَ مني فلم أُعثر عليه، وصرفني شواغلُ عنه، وقبل فترة وجيزة عثرتُ عليه بين تلافيف أوراقِي وكتبي، وقد تحدثت مع أستاذنا الجاسر أثناء لقاءاتي به بفندق (انتر كنتنتال) في أبها عن تلك الملاحظات فطلب مني أن أوافيه بها، وإني إذ أبدي إعجابي بروحه العلمية، ومنهجه في البحث للوصول إلى الحقيقة، حين طلب من المعنيين بهذا الموضوع أن يُبدوا آراءهم متطلعاً إلى الاستفادة مما لديهم من معلومات، وبتصحيح ما هو في حاجة إلى التصحيح استمحيه العفو في إبداء هذه الملاحظات:

١ - إن الأستاذ الجاسر حين أورد المعلومات عن مدينة القطيف كان عليه أن لا يقتصر على النقل في معلوماته الجغرافية بل يضيف إليها ما طرأ عليها من تطور لا سيما في العهد الحاضر، فكتاب «دليل الخليج» كتب من قبل نحو من سبعين عاماً، ورغم أنه كان يصور واقع البلاد في ذلك الحين بدليل أن المؤلف ج. م. لوريمر في معلوماته الجغرافية الدقيقة كانت مسجلة من واقع المشاهدة، فالأبعاد بين كل مدينة وضاحية وقرية لا يمكن أن تكون مجرد نقل، وكذلك وصف المظاهر العمرانية، وإحصاء المباني والأكواخ، وتقدير عدد السكان، أمّا الآن فقد اختلفت الصورة عما قبل وتباينت، حتى كادت أن تنمحي تلك المعالم القديمة،

وكان ينبغي للأستاذ الجاسر بصفته جغرافياً متخصصاً أن يفعل كما فعل لوريمر في نقل الصورة الحاضرة التي عاصرها وشاهدها عن كتب.

٢ - إن هناك تحريفاً في بعض الأسماء في كتاب «دليل الخليج» نتيجة لنقل الكلمات من الحروف اللاتينية إلى الحروف العربية، ونتيجة لجهل المترجم بأسماء الأماكن وغيرها وقع في تحريف فطيع أبعد عن الاسم الحقيقي، فعلى سبيل المثال قرية (القُدَّيْج) التي ترجعها إلى (قوديه)، والتي وردت في موضعين أحدهما في تحديد موضع عين الجوهريّة في قوله: (الجوهريّة تقع على بعد ميل ونصف غرب شمال قرية قوديه) والثاني في تحديد عين أم المجالي (أم المجالس) حيث ذكر (أنها تقع بين قريتي العوامية والقوديه). والواقع أن اسم القوديه لا وجود له، وقد أدركنا أن الخطأ نشأ من جهل المترجم، فهذا الاسم هو تحريف عن اسم قرية (القُدَّيْج) المعروفة، وقد نشأ الخطأ من نطقه بالحروف اللاتينية، حيث أن حرف الحاء لا وجود له فيها، فينطق (هاء آ) فكتبت كلمة قديج هكذا (QODAIH) إلا أن المترجم - ساعه الله - نطقها (قديه) ونقلها إلى العربية هكذا دون معرفة سابقة بنطقها الصحيح، وجاء شيخنا الجاسر فنقلها على علاقتها دون أن يبحث عن الحقيقة وكما يقال في (قديه) يقال في (سدين) تحريف عن صَدَّيْن، وهي العين المشهورة بعذوبتها والتي تقع بقرية الجارودية، والتي هي أعذب عين في واحة القطيف، ولا يبعد أن اسمها كان في الأصل (صَدَّاء أو صَدَّاء) وهي العين التي يضرب بها المثل في عذوبة الماء: (ماء، ولا كصداء)^(١) وقد أخطأ المترجم حين أبدل الصاد سيناً، فحرف الصاد لا يوجد له مقابل في الحروف اللاتينية. وهناك بعض الأسماء المحرفة كعين القشورية، ووردت (القشيرية) ومدارس وجراري والصحيح نطقها بالألف واللام والشويكية وصحتها (الشوكية) وعين أم المجالي والصحيح (أم المجالس)، واعتقد أن كثيراً من الأسماء وردت محرفة نتيجة لجهل المترجم، وكان عليه أن يتأكد من صحتها وضبط ألفاظها وذلك لا يتأتى إلا بالقيام بجولة ميدانية في تلك المناطق التي كتب عنها لوريمر.

وهناك بعض الملاحظات سجلتها أثناء قراءتي للمعجم في أجزائه الثلاثة التي

صدرت، أثبتنا هنا لصلتها بالموضوع:

٣ - ذكر في مقدمة المعجم أن هذه المنطقة تُعرف قديماً باسم البحرين ثم أطلق عليها اسم الاحساء حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ثم المنطقة الشرقية. والواقع إن هذه المعلومات غير وافية ودقيقة فالمعروف الذي أثبتته الدراسات والآثار أن أقدم اسم عرف لهذه المنطقة هو (ديلمون) كما في النصوص السومرية والاكدي والاشورية، وهي تعني جزيرة أوال والسواحل المقابلة لها حتى القرن السادس قبل الميلاد، ثم عرفت باسم قطيف أو خط أو هجر في العصر الهيليني والسلوقي ثم باسم البحرين قبيل الإسلام وبعده ويشمل كلاً من القطيف وهجر (الأحساء) وأوال، ثم استأثرت جزيرة أوال بهذا الاسم حين استولى عليها الفرس عام ١٠٣١هـ ولم يطلق على الاحساء والقطيف اسم (الاحساء) إلا في العهد التركي حين اعتبرت القطيف قضاءً تابعاً لسنجق الاحساء ثم أطلق عليها اسم مقاطعة الظهران بعد اكتشاف (البترول) ثم المنطقة الشرقية عام ١٣٧٠هـ حين جعلت الدمام عاصمة لهذه المنطقة.

٤ - يقول الأستاذ الجاسر في مقدمة المعجم ج ١ ص ٦٢ ما نصه: ولما لم يُؤلف فيما أعلم من الكتب ما يعالج هذا الجانب (ويقصد الجانب التاريخي) باستثناء كتاب «تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد». فقد رأيت إيراد لمحة مختصرة عن تاريخ هذه البلاد. وقوله في نفس المقال المنشور بجريدة «اليوم»: (ولكن المؤلف لم يُعَنِّ بالناحية التاريخية كثيراً وله العذر في ذلك، فالطريق ليس مُمهّداً)، بينما ذكر في مقدمته لكتاب «ساحل الذهب الأسود» ما نصه: إن مؤلفه جمع معلومات قيمة ليس من السير جمعها، ولم يقف ذلك الجهد عند الجمع بل تجاوزه إلى الترتيب والتنسيق ومحاولة إيجاد صورة متكاملة الأجزاء لتاريخ هذه البلاد، فبرز مؤلفاً يضم من المعلومات التاريخية المنسقة ما لا يضمه غيره مما ألف في موضوعه على قلة ما ألف فكيف نوفق بين ما قاله الأمس وما قاله اليوم؟

٥ - قال في المقدمة التاريخية ج ١ ص ٦٣ (والعبيد هو فترة من عصور ما قبل

التاريخ) والواقع أن العبيد مكان لازمان، ويقع في الجهة الجنوبية من العراق، وهو الموضع الذي اكتشفت فيه تلك الآثار الموغلة في القدم لأول مرة، ولعدم معرفة علماء الآثار هوية أولئك القوم الذين خلفوا تلك الحضارة نسبت تلك الآثار إلى ذلك الموقع ونسبوا إليه أيضاً ما وجدوه من نظائر مماثلة اكتشفوها في مواقع أخرى^(٢).

٦ - إن الأستاذ الجاسر بعد أن ذكر بعض الآثار الموجودة في المنطقة أورد نبذة من تاريخها منذ بداية العهد الإسلامي، دون أن يذكر لمحة عن تاريخها ما قبل الإسلام، فلم يذكر شيئاً من تاريخها في عهد الإغريق والجرهائين والفرس، ثم سيطرة القبائل العربية عليها أيام ملوك الطوائف، ثم بعد قيام الدولة الساسانية وسيطرتها عليها أول الأمر إلى أن تحررت بانضوائها تحت لواء الإسلام، كما أن هناك فجوة كبيرة حين انتقل من حكم القرامطة رأساً إلى حكم العيونيين وبين انقراض دولة القرامطة وبين قيام الدولة العيونية نحو من ٨٨ سنة قامت فيها حكومات، فقد أطاح بدولة القرامطة آل بويه سنة ٣٧٨هـ فاستولى الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي على الأحساء سنة ٣٩٨هـ واستمرت دولته متوارثة في أعقابهِ حتى تغلب عليهم بنو عُقَيْل، وفي منتصف القرن الخامس ضعفت دولة بني عُقَيْل فتغلب عليها أمراء محليون، فسيطر ابن العياش على القطيف كما استقل أبو البهلول بجزيرة البحرين (أوال)، وتَحَفَّرَ عبدالله العيوفي للسيطرة على الأحساء عام ٤٦٦هـ فتمت له السيطرة على منطقة البحرين بأسرها وأسس دولة العيونيين.

٧ - جاء في تحديده لقرية الآجام بأنها تقع في طرف الواحة في شاطئها الغربي ص ٩٧ وفي مكان آخر ص ١٨٦ يقول بأنها غير بعيدة عن الساحل. والصحيح أنها تقع إلى الغرب موازية لمدينة القطيف، وهي واحة صغيرة منفصلة عن الواحة الأم، بحوالي كيلين، وهي بعيدة عن الساحل بحوالي عشرة أكيال.

٨ - ذهب الأستاذ الجاسر ص ١٦٣ ج ١ إلى أن المسعودي حدد موضع أفاًن تحديداً واضحاً، وهي على تحديده الأرض الواقعة بين مدينة القطيف والدمام

المتاخمة لساحل البحر، وتقع عنك إلى جانبها الشمالي الشرقي، وعمران مدينة الدمام اتصل بجانبها الجنوبي، وكان فيها نخل وعمران قديم . . الخ) وهذا غريب من استاذنا الجاسر وكان الأوفق أن يقول: أن المسعودي ذكر موضعاً سماه أَفَّانَ، ربما ينطبق وصفه حسب رأينا على موضع كذا وكذا، وعند الرجوع إلى كتاب المسعودي «التنبيه والاشراف»^(٣) نجده يصف موقع أَفَّانَ بأنه سبخة طولها سبعة أميال، على بعد يومين من ساحل البحر، وفيها ماء ونخيل، وأن الخليفة العباسي المعتضد أرسل العباس الغنوي لمحاربة القرامطة، فأراد العباس بعد ارتحاله من الأعياء (الاعباء) أن ينزل بِأَفَّانَ، ولكن أبا سعيد الجنابي سيقه إليها فغور ما وراءه من المياه، واستطاع أن يلحق بهم هزيمة فادحة، حيث أسر العباس وأكثر من كانوا معه، ومن سياق القصة يفهم أن جيش الغنوي نزل أولاً بالأعياء (المعروفة الآن بالعباءة)^(٤) وهي تقع إلى الشمال تليها سبخة الرياس في الاتجاه إلى القطيف، وهي سبخة كبيرة، ينطبق عليها وصف المسعودي وتقع فيها واحة (أبو معن (والدريدي)^(٥))، وهناك حدثت المعركة. فأين منها سبخة الدمام التي تبعد عنها كثيراً، والتي تقع على ساحل البحر مباشرة ولا يتجاوز عرضها نصف ميل، ثم إن الزراعة فيها كانت حديثة العهد حداثة وجود الآبار (الارتوازية) في المنطقة، وكانت صحراء ساحلية لا يوجد فيها عمران ولا زراعات حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كما ذكر لوريمر، وكلما يوجد فيها بقايا قلعة كبيرة وأخرى صغيرة^(٦) أقيمتا لأغراض دفاعية. على أنه بعد أن كرر هذا الرأي في مواضع أخرى من كتابه في الحديث عن سيئات عاد أخيراً في الجزء الثالث ص ١١٢٥ في كلامه عن العباءة فذكر أن السبخة (أفان) المذكورة في كلام المسعودي هي المعروفة الآن بسبخة الرياس.

٩ - ذكر في حديثه عن قرية أمّ الحمام أن هذا الاسم غير لقبه بطريقة التصحيف فصار أم الحمام بالحاء المهملة. والواقع أن هذه القرية كان يطلق عليها سابقاً أم الحمام وكنيت به لكثرة الحمام فيها، حيث كانت تزرع أراضيها بمختلف الحبوب، ويدرس الحصاد بالأراضي الجبلية في القرية، إلا أن مخلفات التبن كانت

تنتشر في طرقاتها بفعل الرياح مكوّنةً أكواماً من الكناسه (الخمام)، فمر عليها عابر سبيل واشمأز من تلك الأوساخ وقال: إنها لا تستحق هذا الاسم، بل يصدق عليها (أم الخمام) فصحف الاسم فعلق الاسم بها منذ ذلك الحين إلا أن أحد علمائها وهو المرحوم الشيخ منصور المرهون قام بإحياء اسمها القديم، وصارت معروفةً به حديثاً.

١٠ - ذكر في حرف الباء (باب الشمال) ونقل ما جاء في كتاب «دليل الخليج»، إلا أنه عقب بقوله: (لست على ثقة من صحة هذا الاسم. فقد تكون الترجمة خاطئة) ولو بحث عن حقيقة هذا الاسم أثناء تردده على مدينة القطيف لعرف أنه حيٌّ من أحيائها، وما زال معروفاً بهذا الاسم حتى الآن طبقاً لما ذكره مؤلف «دليل الخليج».

١١ - ذكر في تحديد قرية البحاري بأنها تقع جنوب قرية القُدَيْح، والواقع أنها تقع في الشرق الجنوبي منها.

١٢ - ذكر موقع البَدْرَانِي بأنه أرض تقع غرب القطيف. وتحديد على وجه الدقة أنه يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة القطيف، إلى الغرب من سِيحَة الجارودية، حيث يمر طريق قديم عبر قرية الخويلدية ثم قرية الجارودية وهناك يتجه غرباً إلى الصحراء وهو طريق القوافل المتجهة إلى الأحساء ونجد سابقاً.

١٣ - ذكر في تحديد قرية التُّوبِي بأنها تقع بين مدينة القطيف وبين قرية الجارودية.

وهذا خطأ، والصحيح أن قرية التُّوبِي تقع إلى الغرب من مدينة القطيف، ويحدها من الشمال سيحة البحاري، ومن الجنوب سيحة الخويلدية، وتمتد سيحتها إلى البر من الناحية الغربية.

١٤ - الحُلَيْلَة. ذكر أنها قرية بالأحساء شمال شرقي الهفوف، ولم يذكر بأن هناك قرية صغيرة تقع بين القُدَيْح والحَبَاكَة، بجوار عين الحُلَيْلَة، وتنسب إليها بعض العائلات من سكانها سابقاً ومن علمائها الشيخ حسن بن ربيع الذي نزع

إلى تاروت وقطن الربيعية فنسبت إليه.

١٥ - ذكر في حديثه عن الخبر أنها كانت قرية صغيرة قبل نزوح الدواسر إليها. والمعروف أن موضعها كان امتداداً للصحراء وأن أول مَنْ عمرها هم الدواسر حين نزحوا من البحرين عام ١٣٤١ فبنوا فيها أكواخاً واستقروا فيها. ويلاحظ أن الأستاذ الجاسر ذكر أنهم يدعونها أي الأكواخ (برستيات) واحداً (برستي) حسب لهجتهم التي تبدل الجيم ياء إذ كان الأصل (برستجاب) جمع (برستج) وهي كلمة غير عربية شائعة في المنطقة. كما أنه لم يشر إلى أصل كلمة الخبر، وما وقع فيها من تحريف، حيث تنطق بضم الخاء وفتح الباء والصحيح أن تنطق بفتح الخاء وكسر الباء جمع خبرة بفتح أوله وكسر ثانيه وهي الخبراء ومعناها مستنقع الماء أو التي ينبت حولها من العشب وشجر السدر والاراك كما تذكر معاجم اللغة.

١٦ - بعد أن ذكر الأستاذ الجاسر روايات المتقدمين وآرائهم في كلمة الخط استنتج أن مدينة الخط هي القطيف.

وحسب استنتاجي من أقوال المؤرخين والجغرافيين القدماء أن الخط والقطيف اسمان مترادفان إذا قصد بهما المنطقة الساحلية أما إذا قصد بهما مدينة بعينها فالقطيف كما يبدو - تعني الزارة وما حولها أما مدينة الخط فهي التي بنى اردشير بن بابك^(٧) مؤسس الدولة الساسانية في موقعها القلعة^(٨) وضواحيها. وهذا التفريق يوضحه خبر تغلب بني عبد القيس على بلاد البحرين واقتسامها فيما بينهم، حيث نزل بنو جذيمة بن عوف الخط وأفناءها وبنو نكرة من لُكَيْزِ القطيف وما حولها، وبنو حفص صفوى... الخ^(٩) واعتقد أن اسم القطيف لم يطلق على المدينة الحالية إلا بعد خراب الزارة عام ٢٨٣ هـ حيث انتقل إليها مركز الثقل، فأصبح لهذه المدينة منذ ذلك التاريخ اسمان: هما الخط والقطيف.

١٧ - ذكر الأستاذ الجاسر ص ٦٣٩ ج بأن الخويلدية مؤنث خويلد تصغير خالد) والصحيح أن الخويلدية نسبة إلى خويلده تصغير خالدة مؤنث خالد. أما

عين القشورية لا (القشيرية) كما ذكر لوريمر - فهي بسيحة الجارودية، وإن كانت تسقي بعض نخيل الخويلدية.

١٨ - ذكر اسم الحضيرة الواقعة في طرف سيهات الجنوبي الغربي، واسمها الصحيح الحضيرة بدون تصغير.

١٩ - ذكر أن اسم العين الشهيرة في صَفْوَى (ذاريوس) مرتين ص ٥٦٦ و ص ٩٧٧ واسمها المتداول (داروش)^(١١) ويقال أنها سميت باسم الملك الفارسي داريوس اودارا (٥٢١ - ٤٨٥ ق. م) لنزوله فيها.

٢٠ - ذكر اسم الدالوة، وعدّها من قرى الأحساء وهناك في القطيف عين تسمى الدالوة، تقع في سيحة الجش على مقربة من البلدة.

٢١ - ضبط الأستاذ الجاسر تنوره (رأس تنورة) بضم التاء المثناة الفوقية، ولا أعرف مصدر هذا الضبط، والمعروف المتداول على السنة الناس (تنوره) بفتح التاء وضم النون المشددة وكأنه مؤنث تنور.

٢٢ - ذكر في تحديد قرية الزُّور بأنها تقع بين بلدة تاروت وقرية سنابس والواقع أنها تقع إلى الشمال من قرية السنابس، بينما بلدة تاروت تقع في الجهة الغربية بعيدة عنها.

٢٣ - ذكر في تحديد مدينة سيهات بأنها تقع جنوب مدينة القطيف غرب بلدة عنك بقربها، والواقع أنها تقع جنوب بلدة عنك، وكلتاها تقعان على الساحل مباشرة. وفي الوقت الحاضر لا يفصل بينهما سوى الطريق المؤدّي إلى مدينة الدمام.

٢٤ - جاء في تحديد ضاحية (الشريعة) بأنها تقع على بعد مئة ياردة غرب وسط مدينة القطيف، والصحيح أنها تقع إلى الجنوب من القلعة وشرق سوق القطيف أما الآن فقد التهمتتها الأسواق ولم يبق منها سوى القليل من البيوت.

٢٥ - ذكر في ص ٩٧٢ أن نهر مُحَلْم أصبح مجهولاً وكذلك الصفا. وهذا ما

انتهى إليه تحقيقه في مادة (الصفاء) إلا أنه عندما تحدث عن بلدة صَفْوَى وذكر ما جاء في كتاب «ساحل الذهب الأسود»^(١١) عقب بقوله: إن هذا غير صحيح، فنهى محلم في منطقة الأحساء وهي بعيدة عنها، فكيف نوفق بين قوله الأول وقوله الأخير؟ مع أن الأستاذ الجاسر يعرف كل المعرفة أن اسم هجر يطلق على القطيف والأحساء قديماً، فمن الجائز أن يكون اسم صفوا مشتق من نهر الصفا لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار أن عين داروش القوية التي تتفرع منها سبعة أنهر تتوسط بلدة صَفْوَى وأنها تسقي معظم نخيل القرية.

٢٦ - ذكر في ص ١١٦٩ ج ٣ أن العقربية إحدى القرى التي نشأت في عهد النفط، وهي من قرى مدينة الخبر وتقع جنوبها بنحو سبعة عشر كيلاً).

وتصحيحاً لهذه المعلومات نذكر أن العقربية هي أحد أحياء مدينة الخبر وتقع في الجهة الغربية منها ولا توجد فواصل بين أحيائها. ولا تتجاوز المسافة بين ساحل مدينة الخبر والعقربية سوى ثلاثة أكيال إلى أربعة، فمن أين استقى تلك المعلومات؟

٢٧ - ذكر في تحديد قرية عنك بأنها تبعد عن القطيف بنحو خمسة عشرة كيلاً وشرق بلدة سيهات بنحو خمسة أكيال.

ولا أعرف كيف بنى هذا التحديد، فبلدة عنك لا تبعد عن مدينة القطيف سوى أربعة أكيال سابقاً، وكانت تبعد عن سيهات بنحو كيلين وقد التهم العمران هذه المسافة. ففي الوقت الحاضر لم يبق من تلك المسافة بينها وبين القطيف سوى ثلاثة أكيال تغطيها غابة من النخيل. أما المسافة بينها وبين سيهات فقد أُنحِتْ والتصقت بها، ولا يفصل بينها وبين سيهات سوى شارع الشاطئ (الكورنيش) وهو الطريق المؤدي لمدينة الدمام، ومن الملاحظ أن مدينة الدمام اتصلت بسيهات من الناحية الجنوبية بعد دفن البحر، والعمران في طريقه لالتهم تلك الأراضي القليلة التي أُعِدَّتْ لتكون مناطق سكنية، ثم إن المسافة بين مدينة القطيف وبين مدينة الدمام سابقاً لا تتجاوز ١٨ كيلاً فكيف ببلدة عنك التي هي أقرب بلدة ساحلية لمدينة القطيف.

٢٨ - ذكر في الهامش عند الاستشهاد بشعر جعفر الخطي :

واجتازت المزن العشار فطبقت بالسقي من عنك إلى بنكات
أن ناشر الديوان ذكر أن بنكات من قرى القطيف . واستدرك الأستاذ الجاسر
بأنه فاته ذكرها . والواقع أنه لا توجد بالقطيف في الوقت الحاضر قرية بهذا الاسم
وهي من القرى التي اندرست .

٢٩ - جاء في مادة (العين) ذكر (عين أبو لوزة) بأنها في الجهة الجنوبية من
الأحساء) ومن الجائز أن تكون هناك عين بهذا الاسم، ولكن العين المسماة (أبو
لوزة) هي موجودة أيضاً بالقطيف بهذا الاسم ذاته، وهي المعروفة بالحمام المقام
عليها قبة قديمة بناها الأتراك وهي التي استحم فيها الأستاذ الجاسر وشوى سمكته
بقربها، كما حدثنا بذلك في قصة من ذكريات أيام شبابه . وهذه غير عين الحباقة
(الحباكة) التي تبعد عنها إلى الشرق بنحو مئة متر . وعين الحباكة مكشوفة وكان
يوجد بمجراها الشرقي مبنى لاستحمام النساء .

٣٠ - جاء في صفحة ١٢٢٨ ذكر عن (صَدِّين) وصفها مؤلف دليل الخليج
بأنها عين من عيون القطيف تقع وسط قرية الجارودية وتروي زراعتها، وقد عقب
الأستاذ الجاسر بقوله : وقد يكون الاسم محرفاً . والصحيح أنها معروفة بهذا الاسم
وهي المشهورة بعذوبة مائها بل تعتبر أعذب عين في واحة القطيف، وقد سبق أن
تحدثنا عنها آنفاً .

٣١ - ذكر في حديثه عن (الفرضة) أقوال المتقدمين واختلافهم في تعيين
موضعها، هل هي قرية بالبحرين أو بهجر؟ وهذا غير مستغرب فاسم البحرين
واسم هجر كانا يطلقان على هذه المنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان، فإذا ذكرها
البعض بأنها قرية بالبحرين أو بهجر فيعني نفس المنطقة، كما لو أطلقت قبل نحو
من خمسين عاماً بأنها في الأحساء حيث كان اسم الأحساء يشمل المنطقة الشرقية
بأسرها، والواقع أن اسم الفرضة والقلعة مترادفان فهما لُسمي واحد، وقد سميت
بالفرضة لكونها محط السفن كما تقول معاجم اللغة، وسميت بالقلعة لأنها حصن

منيع يشرف على البحر والنسبة إليها فُرُضِي، وإن كان المتداول في كتابة وثائق العقود القديمة أن يعرف البائع أو المشتري إذا كان من سكنة القلعة بأن فلان الفلاني من أهل الفرضة. وهذه الوثائق ما تزال موجودة ولديّ نماذج منها.

٣٢ - ذكر تمر التعضوض الذي اشتهرت الفرضة بكثرة فيها، ووصف بأنه تمر أسود حُلْو. وهذا الوصف ينطبق على نوع من التمر يسمى (الحُنَيْزِي) بضم أوله وفتح ثانيه ويوجد في القطيف بكثرة، وهو أحد الأصناف الثلاثة لتمر القطيف (البكيرية والحنيزي والأبيض) والأبيض يدخل فيه بقية الأنواع، ويعتبر تمر الحُنَيْزِي الأجودَ صنفاً والأعلى ثمناً. وهذه الأصناف جرى على أساسها تحديد استيفاء الزكوات وكذلك اتفاقات الضمانات بين الملاكين والفلاحين.

٣٣ - ذكر في مادة (فسا اردشير) بأن مدينة الخط هي القطيف. أو الزارة .. (الخ).

والواقع أن مدينة الخط - كما سبق أن تحدثنا عنها سابقاً - غير مدينة القطيف أو الزارة كما يفهم من أخبار الردة في التفريق بينهما وكذلك أخبار اقتسام بني عبد القيس بلاد البحرين فيما بينهم حين تغلبوا عليها، وأعتقد أن مدينة الخط هي قلعة القطيف التي بناها أردشير الأول مؤسس الدولة الساسانية وسماها (فسا اردشير) كما يحدثنا بذلك الطبري في تاريخه^(١٢) وهي إحدى ثمان مدن بناها اردشير نفسه في مناطق متفرقة، ويبدو أنه بناها لتكون قلاعاً دفاعية، إلا أن قلعة القطيف تحولت إلى منطقة سكنية لمناعتها، ومازالت بعض الأسماء الفارسية عالقة بها حتى قبل أن تهدم، كالدَّرَوَازَةِ التي يطلق على كل بوابة فيها وكذلك اسم (الخان) الذي كان يسمى به أحد أحيائها.

٣٤ - ذكر في الملحق (تصحیح واستدراکات) قرية الحريف (تصغير حرف) وهي فعلاً من القرى الصغيرة التي اندرست، وكانت تستقر على منطقة جبلية كسائر قرى الواحة، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من بلدة القُدَيْح على بعد ثلاثة أكبال، وهي على الجانب الأيمن من الطريق المؤدي إلى العَوَامِيَّة، وقد استخدمت

سابقاً لتجفيف التمور وقت صرام النخل، أما الآن فقد أُقيمت فيها إنشاءات تابعة لوزارة الصحة.

هذه ملاحظات عنت لي وأنا أتتبع ما كتبه أستاذنا الجاسر في معجمه عن المنطقة الشرقية، وقد تركزت على المدن والمناطق المأهولة، وأنا اعترف بأن معلوماتي عن المناطق الصحراوية لا تؤهلني للمناقشة، وقد ينبري من هو أعلم مني بهذه المناطق فيناقش ما كتبه باستدلال علمي، أو يكتشف أخطاءً وقعت عن غير قصد، أو نتيجة اجتهاد، والمجتهد - كما يقول الفقهاء - إن أخطأ فله حسنة، وإن أصاب فله حستان، وقد قال الأستاذ الجاسر في استهلال مقدمة المعجم: (لن يبلغ المرء الكمال في أي عمل من الأعمال، مهما بلغ من القوة عقلاً وعلماً وعملاً، والأعمال - في هذه الحياة تنمو وتقوى بتظافر العاملين وتعاونهم على كر العصور).

هذا هو منطق الباحث الحق، لذلك قمت بتسجيل هذه الملاحظات، وأنا على ثقة من تقبله لهذه المناقشة، فالعالم الباحث الحق من لا يعتد برأيه، ولا يداخله الغرور مهما بلغ من العلم، أو أوتي حظاً من المعرفة، بل يكون شعاره: (الحقُّ أحقُّ أن يُتبع) وهذا ما لمست في علامة الجزيرة الشيخ الجاسر أثناء لقاءاتي به، وهو الذي دفعني إلى كتابة هذه الملاحظات، وكنت أود لو استأنس برأيي أو رأي أهل الخبرة قبلاً لتجاني تلك الأخطاء ومع ذلك فإن هذه الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية أو من جهد المؤلف، فهو عمل كبير لا يقابل إلا بالشكر والتقدير، وحسبه هذه المكانة المرموقة التي يتبوأها، وهذا الحب الكبير الذي يكنه له أبناء الوطن جميعاً، والذي انتظم في إكليل غارٍ مضافور على جبينه أينما حلَّ وارتحل في هذا الوطن الغالي.

القטיפ: محمد سعيد المسلم

العرب: للكاتب الكريم الشكر الجم ولصاحب المعجم تعليق في جزء رجب إن شاء الله.

الهوامش:

(١) جاء في «لسان العرب» مادة (صداء) أن هذا المثل أول ما نطقت به قدور بنت قيس ابن خالد الشيباني وكانت زوجة لقيط بن زرارة فتزوجها بعده رجل من قومها فقال لها يوماً: أنا أجمل أم لقيط؟ فقالت: (ماء ولا كصداء) أي أنت جميل ولست مثله، فذهب مثلاً.

علي جواد الطاهر و "معجم المطبوعات"

[نشر الاستاذ الدكتور يحيى الساعاتي في جريدة (الرياض في ١٤٠٦/٢/٧ هـ وما بعدها) دراسة مركزاً لمعجم المطبوعات العربية السعودية، الذي قام بتأليفه الأستاذ المحقق الدكتور علي جواد الطاهر، والذي يعتبر بحق أوفى مؤلف عن الحركة الثقافية في هذه البلاد خلال ما يزيد على نصف قرن من الزمان، أي منذ قيام الدولة السعودية الميمونة بقيادة الإمام عبد العزيز - رحمه الله - إلى منتصف العقد الأول من القرن الخامس عشر. وتري «العرب» أن تقدم لقرائها ما نشره الدكتور الساعاتي عن ذلك الكتاب القيم الذي تعتبر «العرب» بكونها نشرته في ٥٦ حلقة في نحو خمسة عشر عاماً ابتداء من الجزء السابع من السنة الخامسة (محرم ١٣٩١) إذ من القراء من لا يطلع على ما ينشر في الصحف اليومية، ولأن هذه الدراسة التي قام بها الدكتور الساعاتي تعتبر بالنسبة لهذا الكتاب من حيث الشمول والعمق والأصالة فريدة في موضوعها].

إن الحديث عن الحركة الفكرية في بلد من البلدان وإصدار أحكام عن مدى تطورها أو تخلفها، لا يمكن أن يتأتى إلا من خلال متابعة مسار حركة النشر فيها، لمعرفة توجهات الاسهامات العلمية والثقافية فيها، ونشاطها أو خمولها على مدار السنين، ومن هنا فإن الحكم القاطع، أو محاولة التقويم دون استناد على معرفة شاملة بالنشاط الفكري، يعتبر أمراً غير مقبول، نظراً لقيامه على الافتراض، أو

-
- (٢) راجع كتاب منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد لسليلان سعدون البدر.
 - (٣) ص ٣٤١ ط دار الصاوي بمصر.
 - (٤) تحريف من اللهجة العامة الدارجة بأدغام حرفي الخلق (الهجرة والعين).
 - (٥) انظر الخريطة رقم ٢٠٨ - ١ أبحاث جيولوجية مختلفة اصدار وزارة المالية والاقتصاد الوطني.
 - (٦) دليل الخليج ص ١٨٨١ ط ثانية.
 - (٧) امتد حكمه من ٢٢٦م إلى ٢٤١م وقد بنى ثمان مدن منها مدينة الخط ببلاد البحرين.
 - (٨) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٣٠١.
 - (٩) تبسّطت في الأدلة على هذا الرأي في كتابي الجديد (واحة على ضفاف الخليج) الذي سوف يظهر في سلسلة (هذه بلادنا) التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
 - (١٠) عاد مرة أخرى ص ١٢٢٥ في حديثه عن العميون فذكر اسمها المتداول (داروش).
 - (١١) قال مؤلف الكتاب عند ذكر صفوى (ولعل اسمها في الأصل مقتبس من نهر الصفا الذي يتخلج من نهر محلم): ص ٥٤.
 - (١٢) ج ١ ص ٤٨٠ طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت.

عشوائية المتابعة، كما أن دراسة جانب محدد من جوانب المعرفة لا يعطي صورة كاملة عنها، إذا لم تربط بالجوانب الأخرى ذات العلاقة القريبة بها التي تؤثر وتتأثر بمضامينها، وتعين على كشف قضايا فكرية يتصل بعضها ببعض.

هذه النظرة التي تقوم على ترابط المعارف وتأثر بعضها ببعض، كانت المنطلق الذي تبناه الدكتور علي جواد الطاهر عندما أراد دراسة الأدب في المملكة العربية السعودية، حينما جاء إلى الرياض ليعمل في التدريس بكلية الآداب في جامعة الملك سعود، ويوضح الدكتور الطاهر هذه القضية عندما يقول: (. . . ورغبت أن أكتب عن هذا الأدب، أو أن أدرسه وقد عهد إليّ تدريس الأدب الحديث في الكلية، ولكن المسألة ليست رغبة، إنها مسئولية فمن المعقول إذاً أن أبدأ بالبداية، والبداية تقتضي عملاً مكتتباً منهجياً، أي حصر الآثار الصادرة من دواوين وغيرها، وبدأت، ولكن أين؟ ليس هناك من مكان يجمعها أو يجمع أكثرها، وما عليك إلا الجد والصبر، وهذا ديوان، وهذه قصة، وتلك مقالات . . . ولكن هذه لا تكفي للدراسة، وانها لو اجتمعت - فرضاً - لديك لا تنفي بالغرض، فلا بد لك من الإلمام بالتاريخ . . . والفقه . . . وكل شيء، فليس الأدب منقطعاً عما حوله . . .).

ووجد الدكتور الطاهر نفسه التي انشغل عن القضية الأساسية التي أرادها، وهي دراسة الأدب ليشغل بأمر متابعة النتاج الفكري في المملكة، الذي تحول إلى حب وهواية، ثم إلى رسالة وواجب، وفي سبيل ذلك تحمل الكثير من العناء والجهد والتعب، ومع مرور الأيام تجمعت لديه حصيلة وافرة، ونبعت في رأسه فكرة إصدار معجم للمطبوعات في المملكة، فقد كان يشعر كما يقول: (بأهمية معجم للمطبوعات خاص بكل بلد عربي، فلقد مضى العهد الذي يمكن أن يعمل فيه شخص واحد معجماً لكل البلدان، وأشير كذلك بأهمية عمل المعجم الخاص مبكراً، كي يمكن الاستدراك عليه، ولكي يحصر ما يمكن حصره من مؤلفات الحاضر، قبل أن تصير ماضياً).

وكانت الخطوة التنفيذية عندما نشر الحلقة الأولى من عمله على صفحات مجلة

«العرب» في الجزء السابع من السنة الخامسة (محرم ١٣٩١) تحت عنوان (معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية)، وتوالى الحلقات لتصل إلى ست وخمسين حلقة، جاءت في أكثر من ثمان مئة صفحة، موزعة على أجزاء تتصل أحياناً وتنقطع حيناً، نشر آخرها في الجزء الرابع من السنة السابعة عشرة (ذي القعدة ١٤٠٢هـ)، وإذا عرفنا أن المرحلة الأولى من إعداد المعجم بدأت في عام ١٣٨٣هـ، وهي السنة التي جاء فيها الدكتور الطاهر إلى الرياض، فإن مجموع السنوات التي قضاها في إعداد ونشر هذا العمل بلغت تسع عشرة سنة.

وبعد توقفه عن نشر حلقات المعجم في العرب، نشر الدكتور الطاهر قصة المعجم تحت عنوان (الخاتمة - أو المقدمة الثانية) في عدد (الربيعان ١٤٠٣هـ) بمجلة «العرب»، ثم نشر في عدد رجب وشعبان من عام ١٤٠٣هـ المقدمة الثالثة، التي تضمنت ردوده وتعليقاته على بعض الذين كتبوا عن المعجم مثل الدكتور منصور الحازمي، والدكتور ناصر السويديان، والأستاذ محمد الحمدان.

وفي عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) صدر للدكتور الطاهر المعجم بتعصيد من جامعة بغداد، وقامت بنشره المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، والمكتبة العالمية في بغداد، وجاء في مجلدين الأول في ٦١٨ صفحة والثاني في ٧٤٠ صفحة من القطع المتوسط وقد جعل عنوانه «معجم المطبوعات العربية: المملكة العربية السعودية».

وبصدور المعجم منشوراً في عمل مستقل يضع الدكتور الطاهر بين أيدي القراء ثمرة جهده وكفاحه الطويل الشاق، الذي دلل به على حبه وإخلاصه للمهمة التي حملها على عاتقه متطوعاً، دون أن يقصد من ورائها الحصول على مقابل مادي أو شهرة أو كسب معنوي، وهنا يكمن مقدار البذل والعطاء الذي منحه هذا الإنسان للحركة الفكرية في هذه البلاد.

والمعجم الذي نتحدث عنه هنا يبدأ بقائمة للرموز والمختصرات التي تعبر عن المراجع التي استقى منها معلومات، أو التي رجع إليها فيشير إلى اختلافات فيما بينها. ويعقب ذلك المقدمة التي بدأ بها الحلقات التي نشرها سلسلة في مجلة

«العرب»، وضمنها بعض التوضيح والشرح للأهداف والأسس التي بني عليها المعجم، ثم المقدمة الثانية وهي الخاتمة، وفيها عاد إلى الحديث بشكل مسهب عن الدوافع التي دفعت به إلى وضعه، والمشاكل والصعوبات التي واجهها، والمصادر والأشخاص الذين استفاد منهم.

فقد كان أدب الحجاز الذي جمعه محمد سرور صبان ونشره عام ١٣٤٤هـ، أول كتاب من المملكة العربية السعودية يتصل به الطاهر حيث اقتناه كما يقول: (بعيد الدراسة الثانوية) (سنة ١٩٤٠م) ومن خلاله وقف على نماذج من أدب هذه البلاد، وتتسع الدائرة، فيشارك في «المنهل» بعد تخرجه في دار المعلمين العالية في بغداد مباشرة، بعد عام ١٩٤٥م - ١٩٤٦م.

ثم كان مجيئه إلى الرياض في عام ١٣٨٣هـ وهنا (يرى الدنيا أوسع كثيراً مما رآها، وتزداد هذه السعة إذا تصفح جريدة أو قرأ كتاباً أو ديواناً، وزار مكتبة).

وفي الرياض يقرأ التيارات الأدبية لعبدالله عبد الجبار..

وشعراء الحجاز في العصر الحديث للساسي.

وشعراء نجد المعاصرون لعبدالله بن ادريس.

ويتوالى اتصاله بالتأج المحلي بدايته الأدب...، ثم يلتقي ببعض الأدباء، ويتجول في مكتبات، وتفتح له كتب التراجم، من مثل دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام لعبدالله عبد الجبار، ومشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، آفاقاً أرحب للاتصال بالمعارف الأخرى.

ويتنقل بين مخازن بيع الكتب في الرياض، وله حديث شيق في هذا الصدد ننقله بنصه من المقدمة الثانية حيث يقول: (وكانت مكتبات البيع - في البطحة (البطحاء) خاصة - باباً مهماً يمكن أن يعد مهماً جداً، لما يعثر فيه المرء على خبايا يسمع بها ولم يرها في مكتبة خاصة. وفي البطحاء مكتبات كثيرة، أكبرها: «النهضة» وهي تعنى بالكتب الحديثة، وأكثر الحديثة عربية مستوردة من مصر ولبنان. وربما كان هذا في الأسباب التي هيأت لي فيها فرصة اقتناء دواوين محمد

حسن عواد. ولكن فيها مكاتب صغيرة كثيرة، لا تعدم أن تجد فيها - على غير تصميم - كتباً قديمة لا توجد في غيرها. وقد تعددت إليها الزيارات مصحوبة «بالدفاتر».

وتميزت مكتبة نسيت اسمها ولن أنسى رسمها، فهي على يسار القادم من المطار، واجهتها صغيرة، لا تثير اهتماماً، يديرها اثنان لعلهما أخوان. إذا دخلت فيها وجدت مستطيلة على وجه لا يتناسب مع عرضها، وقد توزعت فيها الكتب على غير نظام ذات اليمين وذات الشمال، وفي الوجه، كما أقيمت في الوسط منضدة مستطيلة تحمل الكتب في بطنها وعلى ظهرها.

كنت أكثر الزيارة لهذه المكتبة، ولم يكن صاحبها - أو صاحبها - يعبان كثيراً بالداخل - أو الداخلين - فاستغل الفرصة وأملأ ألواحاً من الدفتر. وكنت أحتال على وجودي المتكرر فيها - أو أسوغة - بشراء كتاب في كل مرة أدخل فيها بغير أن تكون لي حاجة إلى هذا الكتاب، وبغير أن تكون للكتاب نفسه قيمة علمية أو أدبية، ذلك هو الغالب في الكتاب المشتري، وإلا فقد تجد كتاباً مهماً مثل كتاب حسين بن غنام: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام» طبع على نفقة المكتبة الأهلية بالرياض، باسم: تاريخ نجد المسمى...، والكتاب مصدر أساسي لا غنى لباحث - أو معجم - عنه.

ورأيت ذات يوم في مكتبة قرية منها، بين الكتب المعروضة تعليقاً كتاباً كنت أود اقتنائه، ولم يتهياً لي تحقيق المطلب، هو كتاب عثمان بن بشر: «عنوان المجد في تاريخ نجد»، وكنت مصمماً على شرائه، فمددت يدي إليه وأنزلته، فرأيت أن صاحب المكتبة قد كتب عليه سعراً - بدا لي غير معقول (٨٠) ريالاً. فاستكثرت المبلغ في ساعته، وقلت في نفسي: إن حاجتي إليه مكتنية فقط: تاريخ الطبع ومكانه وعدد الصفحات، وأخرجت (الدفتر) لأنقل هذه الحاجة المحدودة، فنقل ذلك كثيراً على البائع، ولعله قال (كلمة رأيها غير لائقة به (وبي) وسحب الكتاب من يدي، فتألمت في حينه، ومازالت آثار الألم على أن الحق معه.

وفي (الشميري) مكتبة حديثة، اقتنيت منها (قلق) أبو أحيمد...، وفي (دخنة) مكتبة فيها مطبوعات قديمة مهمة، قد تكون هي المكتبة الأهلية التي نشرت عدداً من الكتاب، ودأبت على ذكرها على الأغلفة الأخيرة منها.

وفتحت في السنوات الأخيرة مكتبتان جديدتان في (البطحاء)، نسيت اسم إحداها على سعتها ولعلها في مواجهة الشميري، وقد يكون اسمها (مكتبة الرياض)، وأذكر اسم الثانية وهي (مكتبة النصر الحديثة)، لأنها مكتبة يتولى صاحبها - أو صاحبها - الطبع أو إعادة الطبع (في بيروت)، ومما أعادت طبعه كتب فؤاد حمزة: «قلب جزيرة العرب» و«في بلاد عسير» و«البلاد العربية السعودية» وهي نادرة، ونشرت كذلك القسم الأخير من كتاب ابن كثير: «البداية والنهاية»، وقد ظل هذا القسم مخطوطاً حتى نشرته (مكتبة النصر الحديثة) في مجلدين بعنوان «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم».

ويمكن أن يستدل من نشوء هاتين المكتبتين، ومن الثانية خصوصاً على تقدم خاص في عالم الكتاب.

وكنيت أبحث - بوجه خاص - عن دواوين محمد حسن عواد وأحمد قنديل، وقد حصلت على عدد لا بأس به من آثار الشاعر الأول، ولم أحصل على أي من دواوين الثاني. أما الثالث - من الشعراء الثلاثة - حمزة شحاتة - فقد علمت جيداً أنه لم يطبع شعره في ديوان، ولا يريد أن يطبعه...».

ولم يكتف بما وجدته في الرياض... فسافر إلى المنطقة الغربية عام ١٣٨٥هـ، ولكنه لم يطل الإقامة (الإجازة) ولم يفد كثيراً، لأن سفره وقع في رمضان، ثم أن مكتبة الشيخ محمد حسين نصيف بجدة لم تكن مفتوحة، ولأنه عني خاصة بمخطوطات مكتبة شيخ الاسلام في المدينة، ومع هذا فقد أمكنه أن يلتقط بعض الأسماء من مكتبات البيع، وأن يقتني بعضاً منها، مثل كتاب «صحيح الأخبار» لابن بليهد، وقصة «فكرة» لأحمد سباعي...

وربما كانت الفائدة الكبرى في مكتبة المدينة المنورة العامة، فقد وجدت فيها

بعض كتب كنت أطمع أن أراها، مثل قصة «التوأمان» لعبد القدوس الأنصاري
— أول قصة في الأدب السعودي فيما هو معروف.

ولا بد من ذكر مديرها (الخيارى) بالخير، لما سهل من مغلق الأمور، وما فتح
من باب كان مسدوداً..

أما (المنطقة الشرقية) فقد زارها زيارة عابرة، وكان له في كتابي محمد جابر
الأنصاري «لمحات من الخليج العربي» وعبد الرحمن العبيد «الأدب في الخليج
العربي» ما يسد مكاناً كبيراً من المساحة اللازمة، زيادة على أحاديث جرت مع
القليلين الذين رأهم من أبنائها في الرياض — وليس الذي وجدته فيها بذى بال أو
دلالة على نهضة، وكان في ديوان محمد سعيد الخنيزي «النغم الجريح» ما يشير إلى
شاعرية مبدعة، ولكن الشاعر الشاب لم يثن. ثم إن كتاب عبدالله علي الخنيزي
عن أبي طالب كان مدار حديث الناس في السعودية، مثار سخط في أحيان غالبية.
ولم يقع في يدي كتاب محمد سعيد المسلم (ساحل الذهب الأسود) إلا
متأخراً..).

وظل الطاهر دؤوباً وهو مستقر في الرياض يطالع الصحف اليومية، يستل منها
ما قد يكون من أخبار عن إصدارات جديدة، أو ما قد يعثر عليه في ثنايا السطور
عن الترجمة للأعلام.

ثم ودعها، كما يقول في عام ١٣٨٨/١٩٦٨م عائداً إلى بغداد، ومعه عدد كبير
من الدفاتر المشحونة بالمؤلفين والمؤلفات على غير نسق، وفي بغداد شغل بالحياة
والتدريس وإعداد المؤلفات.

وبين فينة وأخرى يعود إلى المعجم .. ثم شرع ليصنف أوراق الدفاتر على
حروف الهجاء للمؤلفين .. فأخرج المكررات، وعندما فرغ من الترتيب الأولي،
اتصل بـ «العرب» .. وجرى الاتفاق ونشرت الحلقة الأولى في عدد (محرم
١٣٩١هـ).

وكان الدكتور طاهر على يقين من أن هناك خطأ، وهناك فوتاً، وهناك سهواً،

لذا فقد جعل على رأس الحلقات التي نشرها في أعوام ١٣٩١هـ، ١٣٩٢هـ، ١٣٩٣هـ، ١٣٩٤هـ عبارة نصها: (رجاء أن ما يديه القارئ من الملاحظات وإكمال النقص وتصحيح الأخطاء يقابل من كاتب البحث ومن «العرب» بالقبول مقروناً بالشكر والتقدير).

ولكن كما يشير هو ذاته فقد كانت الاستجابة ضعيفة.

وقد أفاده وهو بعيد عن المكان الذي يرصد نتاجه الفكري مجموعة من الأعمال الببليوجرافية، التي صدرت من مثل «معجم المطبوعات السعودية» لشكري العناني، «والأدب العربي في المملكة العربية السعودية»: ببليوجرافيا مختارة، «وحركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية» لكاتب هذه السطور، فأخذ يكمل النقص، ويستدرك الفائت مع النص على المصدر الذي استفاد منه.

وإذا كانت المقدمة الثانية توضح مسار المعجم، والمصاعب التي عمل على تجاوزها، والأشخاص الذين أمّده بمعلومات، والأعمال التي أفاد منها في التصويب والتصحيح والاستدراك، وقصة نشره على صفحات مجلة «العرب».

فإن المقدمة الثالثة كانت تضم تعقيبه، وردوده، على بعض الذين كتبوا عن المعجم، وهو في شكله الأول عندما كان ينشر في «العرب» من مثل الدكتور الحازمي والدكتور السويدان، والأستاذ الحمدان، واستغرقت المقدمات الثلاث الصفحات من ١١ إلى ١١٠، وأعقبها بالتمهيد الذي تحدث فيه حديثاً مستفيضاً عن الطباعة والصحافة والكتاب قبل العهد السعودي، وشغل هذا التمهيد الصفحات من ١١١ إلى ٢٢٢، وجاء حافلاً بالمعلومات عن تلك الفترة التي لازال الحديث عنها يحتاج إلى الكثير والكثير.

أما المعجم فيبدأ من الصفحة ٢٢٣، وقد جعل مداخله بأسماء المؤلفين وبعض الهيئات الناشرة، من مثل الرابطة والرئاسة، كما أنه يتحدث في السياق الهجائي عن بعض الجوانب الثقافية، من مثل الصحف، حيث عرض لها تحت هذا المدخل. وتختلف مادة المعجم هنا عن المادة التي نشرها في مجلة «العرب» فرغم أنه

حافظ على البنية الأساسية له كما نشرت في «العرب»، إلا أنه كان يعقب ويورد ملاحظات استفادها فيما بعد تضيف جديداً أو تظم تعديلاً.

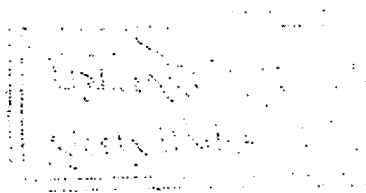
ويختلف منهج الدكتور الطاهر في معجمه عن المناهج المتبعة في الأعمال البليوجرافية، التي تُعدُّ من قبل المهنيين المتخصصين في المكتبات الذين يلجأون عادة إلى استخدام رؤوس موضوعات محددة تتوزع عليها المداخل، ومثل هذا الاستخدام فائدته، إذ أن بواسطة تجمع الأعمال المتقاربة من مثل الشعر، والقصة، والتاريخ.. إلى غير ذلك، وهي بذلك تيسر للقارئ الوصول إلى حاجته بسهولة.

كما أنه يختلف عن العمل البليوجرافي المهني في ناحية أخرى، تتمثل في التعريف بالمؤلفين تعريفاً مطولاً، عندما تتوفر له المعلومات، فقد تحدث عن خالد الفرج في قرابة ثلاث صفحات، ثم عرض لأعماله بعد ذلك، وهو هنا دون شك يقدم معلومات مفيدة لا يمكن توفرها في العمل البليوجرافي المهني.

ويقترّب المعجم في بعض نواحيه من العمل المهني، ويتمثل ذلك في استخدام الطاهر للإحالات، فهو يحيل من الخجندي إلى محمد سلطان، ويحيل من طاهر كردي إلى محمد طاهر كردي وهكذا..

ولا تعني الإشارة إلى اختلاف المنهج الذي سار عليه الدكتور الطاهر عن منهج المهنيين التقليل من شأنه فهو في واقعه موسوعة للحركة الفكرية في هذه البلاد، لا يستطيع وضعها غير إنسان يملك مثابرة وصبر وحب الدكتور على جواد الطاهر..

(للبحث صلة) الدكتور يحيى محمود ساعاتي



المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

- ١٠ -

حرف اللام

اللَّـبَا

جاء في كتاب «المُحَبَّر» لمحمد بن حبيب^(١) ذُو اللَّبَا: صنم لعبد القيس بالمُشَقَّر سدنته منهم بنو عامر. ومثل هذا في «معجم البلدان». ولم أر لهذا الصنم ذكراً في كتاب «الأصنام» لابن الكلبي والمُشَقَّر سيأتي الكلام عليه.

لَبَّـذَاء

من مياه آل مرة في سلوا، بقرب حدود قطر.

لَبَنُ

بفتح اللام والباء وآخره نون: جَوْ مِنْ جَوَاء الصَّهْان قال ذو الرُّمَّة:
حتى إِذَا وَجَفَتْ بُهْمَى لَوَى لَبْنٍ وَأَبْيَضُ بَعْدَ سَوَادِ الْخُضْرَةِ الْعُودُ
وجفت: أي ذهبت به - بالبُهْمَى - الريح^(٢).

وهذا الجولا يزال معروفاً. وفي سنة ١٣٢١ - أغار الملك عبد العزيز آل سعود، وجابر المبارك الصباح على قبيلة مُطَيْر، بقيادة فيصل الدويش، في جَوْ لَبْنٍ، فهزمت القبيلة، وغنمت أموالها^(٣). وذكر مقبل الذكير أن هذه الواقعة حدثت في شوال سنة ١٣٢٠ وفصلها بما ملخصه: أن ابن رشيد سار غازياً ونزل حفر الباطن ثم سار قاصداً بوادي الكويت فأغار على (عُريب دار) قرب الكويت وأخذ إبلهم وبيوتهم، ثم رحل ونزل الباطن فتخوف ابن صباح وكان فيصل الدويش قد

مال إلى ابن رشيد فكتب ابن صباح إلى ابن سعود يستنجده فلبى طلبه وأقبل معه من الجيش ما ينوف على خمسة آلاف مقاتل، فوصل الكويت فجهز ابن صباح ابنه جابراً فاتخذ جيشاًهما وسارا قاصدين ابن رشيد، وكان قد رحل من موضعه وسار جنوباً، وكان سلطان الدويش قريباً منهم، فأغاراً عليه في موضع يُسمى (جَوْلَبِن) في الصَّيَّان، فحصل بينهم قتال شديد، أبلت فيه قبيلة مطير بلاءً حسناً، ولكنها غلبت في النهاية، فأخذهم القوم، وحصل منهم حلال كثير، وقتل من الطرفين عدد غير قليل، لأن مطيراً في تلك الوقعة استبسلا وقاموا مقاومة عنيفة وكان حلالهم بين أيديهم فدافعوا عنه مدافعة شديدة ولكن القوة التي هاجتهم تفوقهم عدداً وعدة، وقتل يومئذ عمَّاش الدويش وابنه.

وذكر الأستاذ عبدالله بن خميس أنَّ جَوْلَبِن يدعى جَوْلَّ عَمَّاش^(٤).

اللُّبْدَةُ

بضم اللام وإسكان الباء بعدها دال فهاء — : من مياه آل مُرَّة، بمنطقة الدكاكة، في الرُّبْع الخالي.

لَحْظَةٌ

قال في «معجم ما استعجم»: لحظة علم بجوف اللهاية — ماء لبني تميم، قال أوفى بن رز أحد بني مرة بن فُقيِّم: وَأَغْنَتْ رِمَاحَ الْقَوْمِ عَنَّا سَيُوفُنَا بِلَحْظَةٍ إِذْ هَزُّوا الْوُشَيْجَ الْمُقُومًا وفي «معجم البلدان»: لحظة: مأسدة بتهامة، يقال: أَسَدُ لَحْظَةٍ، كما يقال: أَسَدُ بَيْشَةٍ.

قال الجَعْدِيُّ:

سَقَطُوا عَلَى أَسَدٍ بِلَحْظَةٍ مَشْبُورِ حِ السَّوَاعِدِ بِأَسِلِ جَهْمِ
انتهى. فلعل الاسم يقع على موضعين.

أما كلمة (بجوف اللهابة) فأرى صوابها (بَجَوُّ اللهابة) إذ اللهابة آبارٌ تقع في جَوِّ واسع.

اللَّخْيُ

بفتح اللام وسكون الحاء المهملة بعدها ياء - : هما لَحْيَان : جبالان يقعان في الجنوب الغربي من القليب، جنوب العُيَيْنَة (عُوَيْنَة كَنْهَل) في جنوب وادي المياه (الستار قديماً) يدعى أحدهما اللَّخْيُ الرِّيَّان، وهو الشرقي منها، والثاني: اللَّخْيُ العطشان.

اللَّدَامُ

بكسر اللام وفتح الدال المهملة بعدها ألف فميم، ويقلط بعضهم فيسقط اللام من الاسم فيقول (دام) ظناً أنها (ال) التعريف.

وهو جبل يقع شمال بلدة عَيْن دَار، شرق الأطُولَة، في منطقة الحَبَل، ويقع غربه جبل فَرْزَان، وفي جنوبه جبل يدعى الأمغر، ويرتفع اللَّدَام عن مستوى سطح البحر مئتين وخمسة عشر متراً، ويقع بقرب خط الطول: ٢٩/٤٩° وخط العرض ٢٠/٢٦°.

وجاء في كتاب «دليل الخليج» اللَّدَامُ: جبل يقع على مسافة ٤٠ ميلاً إلى الشمال الغربي في قاع دَوْخَة رحيم و ٥٠ ميلاً جنوبي غربي مدينة القطيف، وشمال شرقي الهفوف بطول عدة أميال من الشمال للجنوب، وعلى مسافة ٦٠ ميلاً بأقصى الشمال - قِمَّتَانِ باسم جبلي الفرز وجبل اللدام وعلى مسافة أقل من خمسة أميال من الحبل والبياض والجحوف وأبو الدلايس وجو السعدان. انتهى.

لَصَاف

بفتح اللام والصاد المهملة وسيأتي في كلام ياقوت اشتقاق الاسم - : وهو اسم منهل من مناهل الصُّمَّان القديمة.
ففي «معجم ما استعجم»^(٥): كانت لَصَاف لإياد وفيها يقول عَبْدُ بَاجِر:

إِنَّ لَصَافٍ لَا لَصَافٍ فَاصْبِرِي إِذْ حَقَّقَ الرُّكْبَانُ مَوْتَ الْمُنْذِرِ
 كانت من منازل تلك القبيلة قبل أن تنتقل إلى خارج الجزيرة قال ياقوت^(٦):
 قال أبو عبيد السُّكُونِيُّ: سِنْدَادُ مَنْزِلٍ لِإِيَادٍ نَزَلَتْهَا لَمَّا قَارَبَتْ الرَّيْفَ، بَعْدَ لَصَافٍ
 وَشَرَجَ وَنَاطِرَةَ، وَهِيَ أَسْفَلَ سَوَادِ الْكُوفَةِ، وَرَاءَ نَجْرَانَ الْكُوفَةِ — انْتَهَى يَقْصِدُ
 سِنْدَادَ.

وقبيلة إِيَادٍ انتقلت من شرق الجزيرة قبل الإسلام بعد أن انتشرت فروع ربيعة
 من عبد القيس ويكر بن وائل وغيرهما. ثُمَّ حَلَّتْ تِلْكَ الْبِلَادَ قَبِيلَةُ بَنِي تَمِيمٍ
 فَأَزَاحَتْ أَكْثَرَ سُكَّانِهَا مِنْ رَبِيعَةٍ، سِوَى عَبْدِ الْقَيْسِ. وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَفُرُوعُ تَمِيمٍ
 مُمْتَشِرَةٌ فِي تِلْكَ النُّوَاحِي، وَلَمَّا ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ»^(٧) أَنَّ الْقُرْعَاءَ مَاءً
 بِأَسْفَلَ الصَّمَانِ قَالَ: ثُمَّ بَجْنِبِهَا مِمَّا يَلِي قَلْبَجَا لَصَافٍ وَفِيهَا يَقُولُ الرَّاجِزُ:
 يَالَيْتَ عَنَّا وَبَنِي مَنَافٍ وَالنَّهْشَلِيِّينَ عَلَى لَصَافٍ
 قَدْ ارْتَمَيْنَا حَجَرِي قَذَافٍ

ولهم يقول أبو المَهْشَرِ الْأَسَدِيُّ:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ فَإِذَا لَصَافٍ تَبَيَّضَ فِيهَا الْحُمْرُ
 وليس لبني نهشل غيرها، وغير القممية وهي بطن فلج، فوق الجفر — انتهى.
 وقال^(٨): وَالْقُرْعَاءُ وَاللَّهَابَةُ وَلَصَافٍ وَطَوِيلَعٌ وَمَا حَوْلَهُنَّ يُسَمَّيَنَّ الشَّاجِنَةَ، وَهِيَ
 دُونَ الصَّمَانِ، فِي أَسَافِلِهِ. انْتَهَى.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: لَصَافٍ بوزن قَطَامٍ، كَأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنِ
 لَاصِفَةٍ، وَتَأْنِيثُهُ لِلْأَرْضِ أَوْ الْبَقْعَةِ يَكْثُرُ فِيهَا اللَّصَفُ^(٩)، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: اللَّصَفُ
 شَيْءٌ يَنْبِتُ فِي أَصْلِ الْكَبَرِ كَأَنَّهُ خِيَارٌ، وَقَالَ اللَّيْثُ: ثَمَرَةُ شَجَرَةٍ تَجْعَلُ فِي الْمَرْقِ وَلَهَا
 عَصَارَةٌ يَصْطَنَعُ بِهَا الطَّعَامُ — وَلَصَافٍ وَثْبَرَةٌ: مَاءَانٌ بِنَاحِيَةِ الشَّوْاجِنِ فِي دِيَارِ ضَبَّةٍ،
 قَالَ الْأَزْهَرِيُّ^(١٠) وَقَدْ شَرِبْتُ مِنْهَا، وَإِيَاهُمَا أَرَادَ النَّابِغَةُ حَيْثُ قَالَ:

بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثْبَرَةٍ يَزُرُّنَ إِلَّا لَا، سَيَّرُهُنَّ التَّدَافُعُ

وقال أبو عبيد الله السُّكُونِي: لصاف ماء بالقرب من شرجٍ وناظرة وهو من مياه
إياد القديمة وقد صرفه الشاعر فقال:

إِنْ لَصَافًا لَا لَصَافَ قَاصِرِي إِذْ حَقَّقَ الرُّكْبَانُ هُلَكَ الْمُنْدِرِ

وقال أبو زياد: لصاف ماء بالثَّوْلِيْنِ نَعِيمٍ، وقد بلغ مُضَرَّسٌ بْنُ رَبِيعٍ
الْأَسَدِيَّ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ هَجَا بَنِي أَسَدٍ فَقَدِمَ الْبَصْرَةَ، وَجَلَسَ بِالْمَرْيَدِ يَنْشُدُ هَجَاءَهُ
الْفَرَزْدَقَ، فَبَلَغَ الْفَرَزْدَقُ ذَلِكَ فَجَاءَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ:
أَسَدِيٌّ أَنَا، قَالَ: لَعَلَّكَ ضَرِيسٌ؟ قَالَ: أَنَا مُضَرَّسٌ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: إِنَّكَ بِي
لَسِيَّهٍ فَهَلْ وَرَدَتْ أُمُّكَ الْبَصْرَةَ؟ فَقَالَ: لَمْ تَرِدِ الْبَصْرَةَ قَطُّ وَلَكِنْ أَبِي، قَالَ
الْفَرَزْدَقُ: مَا فَعَلَ مُعَمَّرٌ؟ قَالَ مُضَرَّسٌ: هُوَ بِلَصَافٍ حَيْثُ تَبَيَّضَ الْحُمْرُ، فَقَالَ
لَهُ الْفَرَزْدَقُ: هَلْ أَنْتَ مَجِيزٌ لِي يَتِيًّا؟ قَالَ مُضَرَّسٌ: هَاتِهِ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:
وَمَا بَرِئْتَ إِلَّا عَلَى عَتَبِهَا عَرَاقِيهَا مَذْ عَقَرْتُ يَوْمَ صَوَارٍ

قال مُضَرَّسٌ:

مَنَاعِيْشُ لِلْمَوْتِ تَظَلُّ عِيُونُهَا إِلَى السَّيْفِ تَسْتَبْكِي إِذَا لَمْ تُعْقِرْ
فَتَزِعَ الْفَرَزْدَقُ جُبَّتَهُ وَرَمَى بِهَا عَلَى مُضَرَّسٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا هَجَوْتُ أَسَدِيًّا قَطُّ.
أَرَادَ الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ: (مَا فَعَلَ مُعَمَّرٌ؟) قَوْلَ (١١) نَهْشَلِ بْنِ حَرْيٍّ يَهْجُو بَنِي فُقَعَسٍ
حَيْثُ قَالَ:

ضَمِنَ الْقَنَانُ لِفُقَعَسٍ سَوَاتِيهَا إِنَّ الْقَنَانَ لِفُقَعَسٍ لَمُعَمَّرُ
وَأَرَادَ مُضَرَّسٌ قَوْلَ أَبِي الْمُهَوَّشِ الْأَسَدِيِّ يَرُدُّ عَلَيْهِ:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ فَإِذَا لَصَافٌ تَبَيَّضَ فِيهِ الْحُمْرُ
فَتَرَفَعُوا مَذَحَ الرِّئَالِ (؟) فَأَتَمَّا تَحْنِي الْهَجِيمُ عَلَيْكُمْ وَالْعَنْبَرُ
عَضَّتْ نَمِيمٌ جِلْدَ أَيْرٍ أَيْبُكُمْ يَوْمَ الْوَقِيطِ وَعَاوَنْتَهَا حَضَجَرُ
وهي أبيات كثيرة. انتهى.

وقال البكري في «معجم ما استعجم»: لَصَافٍ بفتح أوله وكسر الفاء وآخره مبنى: ماء لبني تميم، ثم أورد يتي أبي المهوش في هجوههم، غير منسوبين.

وأورد في «النقائض» خبر هجوضابيء بن الحارث البرجمي بني عبدالله بن هوة من بني دارم، وأن عثمان - رضي الله عنه - قضى لبني هوة على ضابيء بِجَزْ شَعْرِهِ وخمس إبله وانحدروا من المدينة إلى لَصَافٍ فحبسوه عند أمهم، فأطلقته، فأخذ ضابيء ثامة بن عبدالله بن هوة، بإثبيت، فضربه وشجه، فاستعدوا عليه عثمان، فأمر به فحبس - في خبر طويل.

وقال جرير^(١٣):

وَاجِرٌ مُطَرِدُ الْكُعُوبِ كَأَنَّهُ مَسْدٌ يُنَازِعُ مِنْ لَصَافٍ جَرُورًا
الإجرام: أن تطعن الرجل ثم تخلي الرمح فيه، والجرور: البثر البعيدة القعر التي تسنى بغير.
ولصاف: ماء لبني نهشل.

وقال الفرزدق يهجو فقيماً ونهشلاً^(١٤):

إِذَا حَلُّوا لَصَافٍ بَنَوْا عَلَيْهَا بُيُوتَ الثَّلُومِ وَالذَّلَّ الطَّوِيلِ
وبنو فقيم وبنو نهشل بطنان مشهوران من تميم.

وقد بقيت لَصَافٍ من مياه بني تميم إلى عصرنا، فهي الآن من مياه الجبلان وهاؤلاء وإن كانوا معدودين من قبيلة مُطَيْرٍ، إلا أن من المتواتر بين النسابين أنهم من بني تميم أصلاً. وتعدُّ لَصَافٍ - من الطَّوَالِ، طَوَالِ مُطَيْرٍ، وهي آبار بعيدة القعر، هي واللهابة والقرعاء، وتعرف لَصَافٍ الآن باسم اللَّصَافَةِ.

اللَّصَافَةُ

- بكسر اللام وفتح الصاد المهملة بعدها ألف ففاء مفتوحة فهاء - من هَجَرٍ قبيلة مُطَيْرٍ، لِلْجَبَلَانِ المعدودين منهم وإن كانوا في الأصل من بني تميم - وتقع

بمنطقة قرية، في أسفل الصمان.

واللصافة هذه كانت تعرف قديماً باسم لَصَاف - كما تقدم - وكانت من مياه بني تميم في العهد الإسلامي، والجبلان يرجع أصلهم إلى بني تميم، لأن قبيلة مُطِير كغيرها من كثير من قبائل العرب في هذا العهد - تضم فروعاً من قبائل مختلفة الأصول.

واتخاذ اللصافة هجرة - بعد أن كانت منهلاً غير مسكون، حدث في عشر الأربعين من القرن الماضي. ولكن الاستقرار فيها لم يستمر.

وتعدُّ اللصافة من الطوال - طوال مطير - لأنها بعيدة القعر، يبلغ رشاؤها نحواً من أربعين باعاً.

وللصافة ذكر إبان نشوء الدولة السعودية في دورها الأول، فقد مهدت وقعة اللصافة وتسمى وقعة الشَّيْطِ الموضع المعروف شرق اللصافة - لإزالة حكم بني خالد عن الأحساء، والاستيلاء على تلك البلاد.

وملخص الخبر - كما ورد في تاريخي ابن غنام وابن بشر^(١٥)، أن سعود بن عبد العزيز سار في سنة سبع ومئتين وألف غازياً، يريد بني خالد، فلما اقترب منهم وجد آثار الجيوش والخيل، غازية، ولم يكن يعلم بما أحدثه براك وجماعته. وذلك أن براك بن عبد المحسن تولى رئاسة بني خالد والأحساء بعد مقتل أبيه عبد المحسن بن سرداح رئيس بني خالد^(١٦)، فنهض بهم غازياً وورد ماء (اللسافة) وأغار على سُبَيْع، وأخذ منهم إبلاً كثيرة.

فلما علم بذلك سعود استشار من معه: هل يقتضي آثار براك وبني خالد، أو يقصد أهلهم ومحاسنهم وليس عندهم من يحول دونهم ويدافع عنهم؟

فأشاروا عليه بأن يعمد إلى أهلهم فيصبحهم ويعود منتصراً غانماً. فأبى سعود عليهم ذلك. ورأى أن الأولى ملاقات هاولاء ومقاتلتهم.

فسار حتى وصل ماء اللصافة، وأقام يترصد بني خالد ويتنظر عودتهم، فلما

بدت طلائعهم أسرع إليهم بعض فرسان يناوشونهم القتال، فظنهم بنو خالد بعض الاعراب الغازين، فطمعوا فيهم ووثقوا من النصر، فلما تلاحم الفريقان، هجم عليهم الجيش، فلم يلبثوا أن انهزموا، وجَدَّ كل منهم يطلب النجاة لنفسه.

فتبعهم المسلمون وأخذوا يقتلون فيهم قتلاً ذريعاً، حتى قتلوا منهم ست مئة في يوم واحد غير من قتلوه وهم يقتفون أثرهم^(١٧)، وأخذوا ما معهم من الخيل والإبل: وكانت الخيل مئتين، مختلفة النوع واللون. انتهى ملخصاً.

وتعتبر اللصافة من أطيب المناهل، لتوسط موقعها في المراتع المفضلة عند أبناء البادية في الصمان، وشرق الدهناء، على مقربة منها. وكذا ما بقربها من المياه كاللهابة والقرعاء.

وكما هُجِيتْ لصاص (اللصافة) قديماً فإن اللصافة لم تسلم من ذلك، فقد تعرض لذكرها حنيف بن سعيدان — من شعراء العامة في عهدنا — فرد عليه شاعر من أهلها بما لا داعي لذكره، وكما قيل (وما زالت الأشراف تُهَجَّى وتمدح).

وتقع اللصافة في أعالي الشَّيْطِين، في مفيض شعيب فيصل، شمال القرعاء، بقرب خط الطول: ٤٧/٤٦° وخط العرض: ٢٥/٤٠°.

لَطِيْط

— بفتح اللام وكسر الطاء المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة أيضاً — : ماء يقع في الجهة الشمالية من الرُّبْع الخالي الشمالي الغربي، شرق جنوب المليحة الشرقية. وغرب ماء هقشة.

ويبعد عن يبرين نحو مئة كيل، وهو من موارد آل مُرَّة.

وفي أحد البيانات الرسمية: لطيط: هجرة لآل عازب وآل مهدية من آل مُرَّة، بمنطقة خَرْصٍ انتهى. وما أراه سوي ماء من مياههم.

لَقْبَاء

— بالفتح واسكان العين المهملة بعدها باء موحدة فألف معدود — : في «معجم

البلدان»: اسم لسبخة معروفة بناحية البحرين، بحذاء القطيف، على سيف البحر، فيه (؟) حجارة مُلَسَّر، سُمِّيَتْ بذلك لأنها لَعِبَ فيها كُلُّ وادٍ، أَيْ سَال، وتنسب إليها الكلاب والنسبة إليها لَعْبَانِي - كالنسبة إلى صنعاء صنعاني - قال مُزَرَّد:

وَعَالًا وَعَامًا، حِينَ بَاعَا بِأَعْتَرٍ وَكَلَبَيْنِ لَعْبَانِيَّةً، كَالْجَلَامِدِ
وقال المهلبي: قوله (لعبانية) يعني نُوقًا شَبَّهَهَا فِي صَلَابَتِهَا بِحَجَارَةِ اللَّعْبَاءِ.
وكلام المهلبي هو المفهوم من خبر قصيدة مُزَرَّد، وهي في «المفضليات»^(١٨).

وتعريف ياقوت للعباء هو نص كلام الأزهري في كتاب «تهذيب اللغة»^(١٩)
فقيه: اللعباء سبخة معروفة بناحية البحرين، بحذاء القطيف، وسيف البحر.
انتهى. ونقله الحازمي في كتاب «البلدان» بنصه منسوبة إليه. وهو في كتاب نصر.
وفما بين القطيف والجَبِيل أرض واسعة بقرب ساحل البحر، تدعى (الْعَبَاء) يرى
بعض الباحثين أنها هي اللعباء التي تقدم ذكرها. وأرى أنها ما كان يعرف قديمًا
باسم (الأعباء) وورد مصحفا في بعض الكتب (الأعناء) وقد تقدم ذكر ذلك في
موضعه من هذا الكتاب.

لُعْبَانِيَّة

في «معجم البلدان»: بالضم ثم السكون والباء موحدة، فُعْلَى من اللَّعِبِ،
مقصود - : هو موضع في ديار عبد القيس، بين عُمَّانَ والبحرين، عن الحازمي.
انتهى. ومثله في كتاب نصر.

وإذا صح هذا فالموضع غير لَعْبَاء التي بقرب الْقُطَيْف، إذ تلك في شمال
البحرين وهذه في جنوبه.

لَعْلَعُ

في «معجم ما استعجم» بفتح أوله، واسكان ثانيه، بعده لام مفتوحة، وعين
مهملة مثلها: موضع مذكور في رسم العذيب، وهو مؤنث لا يُجْزَى، وفي رسم

صليح ما يدل أنه جبل. قال ابن ولاد: لعلع: من آخر السواد إلى البر، ما بين البصرة والكوفة، وقال غيره: لعلع: بطن فلج، وهي لبكر بن وائل وقيل: هي من الجزيرة. وقال أبو عبيدة: كانت بكر بلعلع في أول الإسلام، من غير أن يكون أسلم أهل نجد ولا أهل العراق، فأجذبت لعلع، ووصفت لهم الشيطان بالخصب، وهي من منازل بني تميم، وبينها مسيرة ثمان، فاتوا الشيطان في أربع، وسبقوا كل خبر، وقتلوا بني تميم أبرح قتل، قتل منهم ذلك اليوم ست مئة، وأخذوا أموالهم، فيقال: إن بكرا أتاهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلموا على ما في أيديهم.

وقال رويشد بن رميض العنزي^(٢٠):

ما كان بين الشيطان ولعلع
لنسائنا إلا مناقل أربع
وقال المسيب بن علس:

قطعوا المزاهر واستب بهم
عند الرجيل للعلع طرُق
وقد ورد في شعر قرواش بن حوط الضبي، ما يدل على أن لعلع من ديار بني ضبة^(٢١)، قال:

سيلم مسروق ثنائي ورهطه
إذا وائل حل القطاط ولعلعا
يعني وائل بن شرحبيل بن عمرو الضبي، وكان أسيراً، فخبروه فاختر قرواشاً.
وقال المتلمس:

فلا تحسبي خاذلاً متخلفاً
ولا عين صيد من هواي ولعلع
قال: وعين صيد: هناك قريب من لعلع. وقال أبو ذؤاد وذكر صحاباً:
فحك بذي سلع بركه تحال البوارق فيه الذبالا
فروى الضوافة من لعلع يسح سجالا ويفرى سجالا^(٢٢)
ولعلع: دان من ذي قار، يدل على ذلك قول رؤبة:

أَقْفَرُ مِنْ أُمِّ الْيَمَانِي لَعْلَعُ فَبَطْنُ ذِي قَارٍ قِفَارٌ بَلْقَعُ
وقال في «معجم البلدان» لعلع: بالفتح ثم السكون، واللعلع في لغتهم:
السراب ولعلع: جبل كانت به وقعة لهم، قال أبو نصر^(٢٣): لعلع ماء في البادية
وقد وردته وقيل: لعلع منزل بين البصرة والكوفة، وقال العزيمي: من البصرة إلى
عين جمل ثلاثون ميلاً، وإلى عين صيد ثلاثون ميلاً، وإلى الأخاديد ثلاثون ميلاً
وإلى أقر ثلاثون ميلاً وإلى سلمان عشرون ميلاً وإلى لعلع عشرون ميلاً.
وقال المسيب بن علس الضبي:

بَانَ الْخَلِيطُ وَرَفَعَ الْخُرْقُ ففؤادُهُ فِي الْحَيِّ مُغْتَلِقُ
مَنْعُوا كَلَامَهُمْ وَنَائِلَهُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَرَهْنَهُمْ عَلِقُ
قَطَعُوا الْمَزَاهِرَ وَاسْتَبَّ بِهِمْ يَوْمَ الرَّجِيلِ لِلْعَلْعِ طُرُقُ
وإلى بارق عشرون ميلاً وإلى مسجد سعد أربعون ميلاً، وإلى المغنية ثلاثون
ميلاً، وإلى العذيب أربعة وعشرون ميلاً، وإلى القادسية ستة أميال، وإلى الكوفة
خسمة وأربعون ميلاً. انتهى.

وأورد في «النقائض»^(٢٤) لجرير:

وَلَوْ شَهِدْتُ يَوْمَ الْوَقِيطَيْنِ خَيْلَنَا لَمَّا قَاطَبَتِ الْأَسْرَى الْقِطَاطَ وَلَعْلَعَا
القطاط ولعلع: واديان معروفان، كانت الأسرى فيهما.

النصوص المتقدمة واضحة الدلالة على أن لعلع في سواد العراق، بين البصرة
والكوفة، وأنه كان من بلاد بكر بن وائل، وأنه يبعد عن الشَّيْطَيْنِ الواقعين شرق
الصمان مسيرة ثمان ليالٍ للابل، قطعها البكريون في أربع — كما في قول رُشيد بن
رميض العنزي:

وَمَا كَانَ بَيْنَ الشَّيْطَيْنِ وَلَعْلَعٍ لِنِسْوَتِنَا إِلَّا مَنَاقِلُ أَرْبَعٍ
— وتقدم في رسم الشَّيْطَيْنِ.

إلا أن القول بأنه في بطن فلج — وهو وادي الباطن الذي فيه الحُفْرُ — دعا إلى

ذكره، إذ الاسم قد يُسمى به موضعان فأكثر. ثم إن صلة الموضع بالشَّيْطَانِ تدعو إلى الإشارة إلى موقعه.

كَيْمَةٌ

بضم اللام وفتح الميمين بينهما ياء ساكنة - : جبل يقع شرق بلدة النُّعَيْرِيَّة، وغرب طُريف والطَّرِيفَة، يرتفع عن سطح البحر ثلاث مئة وثلاثين متراً.

اللُّوَى

- بالكسر والواو بعدها ألف مقصورة، وهو منقطع الرمل، فهو في الأصل وصفٌ سميت به مواضع بعينها، وكما قال ياقوت في «معجم البلدان»: قد أكثر الشعراء من ذكره، وخلطت بين ذلك اللُّوَى والرمل، فعزَّ الفصل بينهما. انتهى، واكتفي بما ورد في ذكر اللُّوَى بما جاء في شعر ذي الرُّمَّة، إذ غالب ما ذكر من المواضع داخل فيما أُلِّفَ هذا الكتاب لتحديد موقعه قال:

وَحَاضَ الْقَطَا فِي مَكْرَعِ الْحَيِّ بِاللُّوَى بَطَافًا بِقَايَاهُنَّ مَطْرُوقَةً صُفْرُ^(٢٥)
وقال^(٢٦): يصف مَيَّةً:

تَحِلُّ اللَّوَى أَوْجَدَةَ الرَّمْلِ كُلَّمَا جَرَى الرَّمْتُ فِي مَاءِ الْقَرِينَةِ وَالسَّدْرِ
وقال^(٢٧): - يصف الظعائن:

تَعَرَّجْنَ بِالصَّمَانِ حَتَّى تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِنَّ أُرْتَاعُ اللَّوَى وَمَشَارِبُهُ
تَعَرَّجْنَ: أَمْنَنَّ. أُرْتَاعُ اللَّوَى: المرتعى
وقال^(٢٨):

غَدَاةَ اللَّوَى إِذْ رَاعَنِي الْبَيْنُ بَغْتَةً وَلَمْ يُودَ مِنْ خَرَقَاءَ شَيْئًا قَبِيلُهَا
وقال^(٢٩):

أَرَفْتُ لَهُ وَالثَّلْجَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَحَوْمَانَ حَزَوَى فَاللُّوَى فَالْحَرَايِرُ

وقال (٣١):

أَقَامَتْ بِهَا حَتَّى تَصُوحَ بِاللَّوَى لَوَى مَعْقَلَاتٍ فِي مَنَابِتِهِ الْبَقْلُ

البيت الأخير واضح في أن بقرب مَعْقَلَاتٍ موضعاً يعرف باللّوى، يضاف إليها، كما أن عطفه اللّوى على حُزُوا يفهم منه تقارب الموضعين.

ووصف المرتعى في اللوى بالصَّيَّان يدل على أن هذا الموضع في الصَّيَّان.

ومن هنا يمكن القول بأن اللّوى الوارد في شعر ذي الرُّمَّة المذكور هنا يقع شرق الدهناء بقرب مَعْقَلَةٍ في نواحي الصَّيَّان، والصَّيَّان وإن كان حُزُونًا وَقَفَافًا وريّاضاً إلا أن فيه أماكن ذات رمل.

اللُّوَيْمِيُّ

بلام مضمومة وواو مفتوحة بعدها مثناة ساكنة فميم مفتوحة فياء النسبة — : قصر اللويمى كان مقراً للجند في عهد الدولة التركية، ويقع بقرب مدينة الهفوف، وقد درس الآن. جاء في «دليل الخليج» في الكلام على قرى الأحساء: قصر اللويمى: على مسافة ميل شرقي الهفوف في الجهة الجنوبية من طريق الجُشَّة، وهو قلعة كان قد احتلها الجنود والشرطة التركية حيث تعتبر مركزاً للمدفعية وبها بصفة دائمة جند مشاة و ٢٥ من فرسان الضبطية.

وتروى الأراضي المتصلة بالقلعة من عين اللويمى.

لَهَاب

بكسر اللام وفتح الهاء بعدها ألف فباء — : قال جرير (٣١): يهجو عَمْرُو بن لَهَاءِ التَّيْمِيِّ:

فَأَنْتَ عَلَى يَجُودَةٍ مُسْتَذَلٌّ وَفِي الْحَيِّ الَّذِينَ عَلَى لَهَابِ

يجودة ولهاب: موضعان. كذا في ديوانه.

ومحذوفة: أراه الموضع المعروف الآن باسم جودة - حذفت العامة الياء كما
حذفتها من بنوف ويعقوب - وتقدم الكلام في هذا في رسم (جودة).
أما لهاب فقد يكون أراد اللهاية فاضطره الشعر إلى تغيير الاسم.

الحواشي:

- (١) ٣١٧.
- (٢) ديوانه: ١٣٥٦.
- (٣) «تاريخ الكويت» ٩٤/٢ الطبعة الأولى و «نجد الحديث» للريحاني: ١٣٤ - الطبعة الثانية.
- (٤) «معجم الهمزة»: ٨٠/٢.
- (٥) رسم (توضيح).
- (٦) «معجم البلدان» رسم سنداد.
- (٧) ص ٣٥٣.
- (٨) ٣٥٥.
- (٩) اللصف على ما هو معروف الآن في نجد نوع من الحجارة أبيض لامع أملس رقيق.
- (١٠) «التهذيب»: ١٩٠/١٢ من قوله: (لصاف وثيرة ماءان) وفيه (وقد شربت بهما).
- (١١) ليس ما بين المربعين في الأصل ولا يستقيم الكلام بدون.
- (١٢) ص ٢٢٠.
- (١٣) ديوانه: ٢٣١.
- (١٤) ٦٥٢.
- (١٥) «تاريخ نجد» لابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد، ص ١٨١ و «عنوان المجد» لابن بشر - حوادث سنة ١٢٠٧.
- (١٦) في «عنوان المجد» أن عبد المحسن قتل سنة ١٢٠٦، قتله زيد بن عريعر وأخوته.
- (١٧) في «عنوان المجد»: أن القتل من بني خالد، أكثر من ألف رجل وقيل أن الذي هلك قريب ألفي رجل.
- (١٨) انظر (ابن) من كتاب «شمال المملكة».
- (١٩) ٤١١/٢.
- (٢٠) كذا والمعروف رشيد - وهو مترجم في «الإصابة» مع تحريف نسبته (العنزي) إلى (العنبري).
- (٢١) كذا ويظهر أن الصواب (بني ضبيعة) كما يدل على ذلك النص.
- (٢٢) الصوافة هنا سهاها ياقوت (الضرافة) انظر هذا الاسم.
- (٢٣) لعل الصواب (أبو منصور) وهو الأزهرى الذي كثيراً ما يعبر هذا التعبير في وصف أمكنة كثيرة في هذه الجهات.
- (٢٤) ٨٣٦.

الحجون: مرة أخرى

انظر «العرب» س ٢ ص ٨٦٥ وما بعدها]

كنت تحدثت في مجلة «العرب» - س ٢ ص ٨٦٥ وما بعدها - عن الحَجُونِ وكَدَاءٍ، إثر محاضرة ألقاها الأستاذ الشيخ أحمد السباعي - رحمه الله - عن (عبدالله بن الزبير)، جاء فيها: تعارفنا وتعارف الناس من أجيال سحيقة على تسمية هذه الثنية الماثلة أمامنا الحَجُونِ، والواقع أنها سُمِّيت بذلك بعد الإسلام)، ثم تَساءل: أين الحجون الجاهلي وأين ثنية كدَاء عنه؟! وقال: لعل أقرب شيء إلى الصحة أن تكون الثنية أو الجبل الصغير المتصل بشعب عامر، أما الحَجُونِ الحالي على يمين الصاعد إلى أعلى مكة هي ثنية كَدَاء - بالفتح انتهى.

ولقد حاولت أن أبطل رأيي الأستاذ السباعي - رحمه الله - فأوردتُ نصراً عامة عن الحَجُونِ، أردتُ منها تأييد ما هو متعارف من أن الحجون هو المكان المعروف الآن بهذا الاسم الذي تقع فيه المقبرة، ويخترقه طريق كان ثنيةً يُهبط منها إلى جرول.

وقلت في آخر البحث: (ولهذا فإنني أخالف الأستاذ السباعي مخالفة تقوم على ما ذكرت من الأدلة، حتى يتضح خطأ هذه المخالفة، فأكون أول المسارعين إلى

→ (٢٥) ديوانه: ٥٦٣.

(٢٦) ٥٧٣.

(٢٧) ٨٢٨.

(٢٨) ٩٠٨.

(٢٩) ١٠١٦.

(٣٠) ١٦١٣.

(٣١) ٥٨٢.

رفضها، إذ الحقُّ هو غاية كل من ينظر إلى هذه الناحية نظرة مجردة عن كل غاية لا توصل إلى الحقيقة).

ثم إنني بعد ذلك حاولت التعمق في فهم النصوص الواردة في تعريف الحُجُون في كتاب «أخبار مكة» للأزرقي، وهو أقدم كتاب تحدث عن هذا الموضع مما وصل إلينا من الكتب المطبوعة، فظهر لي أنَّ رأي الأستاذ السباعي كان مبنياً على نصوص واضحة أوردها الأزرقي، ولا يتسع المقام لإيراد تلك النصوص.

ثم رأيت ابن ظهيرة صاحب كتاب «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» قد تعرض لتحديد الحُجُون في كتابه فقال ص ٣٨٥: (الفائدة السابعة: المشهور عند أهل مكة أنَّ الحُجُون هو الجبل الذي فيه الثنية التي يدخل منها الحاج، الهابطة على المقبرة، وعُرفها الأزرقيُّ بثنية المَدَنِيِّين، ويسمونها الحُجُون الأول بالنسبة إلى الخارج منها إلى جهة ذي طُوًى والزاهر، ويقولون لما بينها وبين الثنية الأخرى - الهابطة على المختلَع وطريق الوادي وتسمى الخضراء - : بين الحجونين، ويمين الخارج منها إلى جهة منى، كما هو صريح كلام الأزرقي والخزاعي والفاكهي والنووي، فأما الأزرقيُّ فقال عند ذكره لما في يمانٍ المِعْلَاة من المواضع والشعاب والجبال ما نصه: الحُجُون الجبل المشرف جدًّا على مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحَرَس.

ومثله كلام الفاكهي، وأما كلام الخزاعي فنصُّ كلامه: الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مُصْعِد. وقال النووي في «شرح مسلم»: الحُجُون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مُصْعِد. قال السيد الفاسيُّ - رحمه الله - : وقد ذكر المَجِبُ الطبري في «القرى» ما يوافق ما يقوله الناس، وكنتُ قلَّدته في ذلك فظهر لي أنَّ الأزرقي بذلك أذرى، كيف وقد وافقه الخزاعيُّ والفاكهي وغيرهما، وإذا كان كذلك فلعله الجبل الذي يزعم الناس أن فيه قبر عبدالله بن عمر، والجبل المقابل الذي بينها الشعب المعروف عند الناس بشعب العفاريت والله أعلم. انتهى.

وأغرب السَّهيليُّ في محل الحجون فقال: والحجُّون على فرسخ وثلاث من مكة.
انتهى.

والحجُّون — بفتح الحاء وضم الجيم — كذا ضبطه النووي والطبري وصاحب
«المطالع» وضبطه ابن خُلِّكان بضمَّ الحاء، والمعروف (الفتح). انتهى كلام ابن
ظهيرة.

ويظهر من كلام الأزرقى أنَّ أهل مكة في الجاهلية وفي صدر الاسلام يدفنون
موتاهم في مواضع منها: الحجون الواقع على يمين المتجه إلى منى من الحرم، على
مقربة من شعب عامر، وكان يسمى موضع الحجون شعب أبي دُبٍّ — إلى شعب
الصفَّى — صفى السَّباب — كما يدفنون في الشعب الملاصق لثنية المدينين الواقع
على يسار الذهاب إلى منى في مقابلة الحجون، وهو مقبرة أهل مكة اليوم، وتمضي
المقبرة مصعدة لاصقة بالجبل إلى ثنية أذاخر بحائط خرَّمان.

وبعد أن جاء الاسلام حولوا قبورهم إلى هذا الموضع الذي في أصل الثنية.

ولعل اسم الحجون انتقل إلى هذا المقبرة الأخيرة بعد أن أصبحت في العهد
الاسلامي مقبرة، ومن هنا وقع الاختلاف في تحديد موضع الحجون منذ عهد
قديم حيث ذكر الحافظ أحمد بن عبدالله الطبري (٦١٦/٦٧٤) في كتابه «القرى
لقاصد أم القرى» ما نصه ص ٢٢٢: (وكداء — بالفتح والمدَّ غير مصروف — هي
الثنية العليا مما يلي مقابر مكة عند الحجون). فهو كما ترى سمى الثنية التي سماها
الأزرقى ثنية المدينين سماها الثنية العليا، وذكر أنها تلي مقابر مكة عند الحجون.
والحجون الذي ذكره هنا ليس الحجون الذي ذكر الأزرقى أنَّ أهل الجاهلية يدفنون
فيه موتاهم، لأن نص كلام الأزرقى: كان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبي
الوادي يَمَنَّة وشأمة في الجاهلية وفي صدر الاسلام، ثم حوَّل الناس قبورهم في
الشعب الأيسر، لما جاء فيه من الرواية، ففيه اليوم قبور أهل مكة. — «أخبار
مكة» ج ٢ ص ٢١١.

وقال قبل هذا : كان أهل الجاهلية وفي صدر الاسلام يدفنون موتاهم في شعب أبي دُبٍّ من الحجون إلى شعب الصفي - صفي السباب - وفي الشعب الملاصق بشية المدنيين الذي هو مقبرة أهل مكة اليوم .

لقد اتضح لي مما تقدم من النصوص أنَّ الحجون كان في الأصل يطلق على موضع يقع على يمين الذهاب إلى منى على مقربة من شعب بني عامر، وكان هناك مقبرة في العهد الجاهلي . ثم في صدر الاسلام انتقلت المقبرة إلى الشعب التي هي فيه الآن الملاصق لشية المدنيين التي سهلت منذ عهد قديم، وتمتد المقبرة في سفح الجبل لاصقة به إلى ثنية أذاخر والخرمانية في طرف المعابدة، ثم أطلق على هذه المقبرة اسم الحجون . ولإطلاق هذا الاسم على الموضعين وقع الاختلاف في تحديد الموضع بين متقدمي العلماء، مما نشأ عنه وقوع بعض المتأخرين في الخطأ، حيث زعم أحدهم في مؤلف له أن الحجون هو المكان المعروف الآن الذي فيه المقبرة . وليس هذا صحيح كما تقدم .

وفائدة التفريق بين الموضعين أن من المؤرخين القدماء من ذكر أن عبد المطلب جد الرسول - ﷺ - وخديجة زوجه - رضي الله عنها - قبرا في الحجون، فأبي حجون هذا؟! .

يظهر من كلام الأزرق وغيره أنه الحجون الذي كان مقبرة في صدر الاسلام وقبل ذلك في العهد الجاهلي - يقع على يمين الوادي للمتجه من مكة إلى منى، لا الموضع المسمى بهذا الاسم الآن الواقع على يسار المتجه .

والعلم عند الله سبحانه وتعالى . . .

حمد الجاسر

الحمدرة : من فروع ثقيف

قبيلة الحُمَدة هي من عوف الأحلاف من ثقيف :

كانت قبيلة ثقيف تنقسم إلى فرعين رئيسين هما عوف الأحلاف، وبنو مالك، وسميت عوف بعوف الأحلاف لتحالف قسم من بني مالك يقال له : غاضرة، تحالف مع عوف، تركوا بني عمومتهم وانضموا إلى عوف، عُرفت بعوف الأحلاف، وذكر في كتاب رسول الله - ﷺ - لثقيف «لأحلاف أميرهم ولبني مالك أميرهم» وثقيف سكان الطائف وما حوله يرجعون إلى عوف الأحلاف من ثقيف.

عشائر قبيلة الحُمَدة المعروفة قديماً وحديثاً :

١ - النغور	٢ - ذوو سميح	٣ - العرامية
٤ - الوداودة	٥ - المُقَدِّم	٦ - القواسم
٧ - ذوو بريك	٨ - ذوو مُسَلِّم	٩ - الجرشان
١٠ - العرافية	١١ - الزربات	١٢ - المطالقة
١٣ - العقلاق	١٤ - ذوو هندي	١٥ - المهادية
١٦ - ذوو معروف	١٧ - الزواهره	

قراهم القديمة والحديثة :

١ - السلامة وسكانها النغور، ذكرهم صاحب «ذيل إتحاف الوري» مخطوط مكتبة الحرم بقوله : سنة ٩١٦هـ أن عبدالله بن محمد النغر الحميدي أَرْضَى الشريف بركات بوجبة من عين السلامة . وذكر الجزيريُّ صاحب «الدرر الفرائد

المنظمة» - ص ١٧٩٦/١٧٩٧ - : أن القاضي محيي الدين الشلبي حج سنة ٩٤٥ هـ فذهب بعد أدائه الحج بشهر إلى الطائف، بسبب مرض اعتراه، وحصل بينه وبين عرب مُطَيَّر مشكلة فالتجأ إلى عصبة من ثقيف منهم العفيف عبدالله بن محمد النغر. أقول: ولا يزال في السلامة بستان يعرف ببستان النغر إلى الآن.

٢ - قرية الهَضْبَة: سكانها بعض ذوي سُمَيْح، وبعض الزواهرة ولا يزال بها سكان منهم إلى الآن، وذكرها صاحب «إهداء اللطائف» وتُعرف الآن بباب الريع وحَيَّ أسفل.

٣ - سكان المَثَنَاء: عرفت بهذا الاسم في حدود القرن العاشر الهجري، أما قبل ذلك فتعرف بـ (وج) سكانها بعض عشيرة الجرشان وبعض عشيرة الزواهرة، ولا يزالون في المَثَنَاء إلى الآن.

٤ - قرية العَقِيق: سكانها عشيرة العرامية وبعض ذوي سَمِيح والوداودة والمقدّم.

٥ - القَيْم: وتعرف قديماً باسم لُقيم، ذكرها صاحب «لسان العرب»: لقيم اسم رجل. وأورد هذا البيت في رسم لقم.

لُقيم بن لقمان من أخته وكان ابن أخت له وابنها

وذكر في «شرح مقامات الحريري» - ج ٥ ص ١٣٤ - : أن الشاعر هو النمر بن تَوَلَب، وذكرت قرية لقيم سنة ٦١٣ هـ وذكرها الميورقي في «بهجة المهج».

أما الآن فيضم وادي القيم مزارع وقرى كثيرة، ومن قرى وادي القيم المُلَيْسَاء، وهي في أعلى الوادي ويسكنها بعض عشيرة العرافية، والزربات والمطالقة والعقلان وبعض الزواهرة وبعض القواسم وبعض ذوي سَمِيح وبعض الجرشان وبعض ذوي هندي، وأكثر عدد وسكان من الحمدة في قرية المليساء الآن.

ووادي القيم أعلاه المُلَيْسَاء بعد مستشفى الأمير منصور العسكري، وأسفله
المريسية والجبال المطلة على القُدَيْرَة. ومن قراه: -

١ - المختلطة	٢ - الحُسَيْرج	٣ - المرقب
٤ - الطويلة	٥ - السريج	٦ - الخضراء
٧ - الخضيرة	٨ - السالية	٩ - أم الفضلين
١٠ - أم صَدْعَيْن	١١ - المريسية	

هذه القرى والمزارع التي حولها قديمة ويسكنها من عشائر الحمدة قديماً وحديثاً:
ذوو هندي، ذوو معروف، المهادية، القواسم، ذوو بُريكَ، بعض عشيرة
العرافية، ذوو مسلم.

وفي وادي القيم قرى أخرى سكانها من غير الحمدة، وهي حديثة الأسماء:
الغنامين (?)، البختين (?)، سور النوامي (?)، الحلقة وغيرها.

الحوادث والحروب التي حصلت على الحمدة:

يتناقل الحمدة ثلاثة أخبار متواترة يرونها الأبناء عن الآباء والآباء عن الجدود: -

الخبر الأول: أن جد أبي غمي الأول حارب الحمدة وأضاع حججهم (وثائق
أملأهم).

الخبر الثاني: أن أبي غمي الأول حارب الحمدة وشتهم.

الخبر الثالث: أن الشريف زيد بن غمي - حسب قولهم - حارب الحمدة وكانوا في
حصنهم الموجود في المُلَيْسَاء، وبارودهم مجمع فيه فوضع الشريف عليه ناراً
فاحترق البارود وهدم الحصن واحترق جميع من في الحصن من الحمدة وقتل من
الحمدة من غير الموجودين في الحصن واستسلم الباقون.
هذه الأخبار الثلاثة متواترة عندهم.

وقد بحثت عن هذه الأخبار الثلاثة في ما لدي من الكتب التاريخية المتعلقة بأخبار مكة المكرمة وأمرائها.

الخبر الأول: وجدت أن الشريف قتادة بن ادريس قتل مشايخ ثقيف بدار ابن يسار، بقرية لقيم، فتحصنت ثقيف في حصونهم ولم يقدر عليهم، فطلب منهم الخروج إليه ويؤمنهم وحلف لهم فتشاوروا فيما بينهم وقرروا الخروج إليه، فخرجوا إليه فقتلهم وجعل على بلادهم نواباً وعضدهم بعبيد من مواله فلم يبق لأهل الطائف كلمة ولا حرمة.

وذكر السُّيُورقي أن في هذه الوقعة فُقد كتاب رسول الله ﷺ لثقيف، وكان عند حمدان الثقفي العوفي، لكونه شيخ قبيلته، وقتل في هذه الوقعة قاضي الطائف عيسى وقيل يحيى بن عيسى، وكانت هذه الوقعة سنة ٦١٣ هـ.

الخبر الثاني: لم أجد في كتب التاريخ التي اطلعت عليها أن الشريف أبا نغمي الأول له حرب مفصلة أخبارها سوى خبر واحد غير مفصل وهو أن الشريف أبا نغمي الأول ذهب إلى الطائف لمحاربة ثقيف، ذكر ذلك صاحب «إنحاف فضلاء الزمن» - مخطوط - وذكر الحرب مفصلة الشيخ محمد سعيد كمال ونشره في مجلة «العرب» - س ٢ ص ٣٨٨ وما بعدها - وذهبت إلى الشيخ محمد سعيد كمال وسألته عن حرب أبي نغمي الأول لقبيلة الحمدة أجاب قائلاً: إن هذا الخبر أخذه من شيخ قبيلة الحمدة المرحوم محمد سعيد سعد الحميدي.

الخبر الثالث: حرب الشريف زيد بن محسن لقبيلة الحمدة ومحاصرتهم في حصنهم، واحتراق البارود، وقتل الشريف صناديدهم، وذلك في حدود سنة ١٠٤٠ هـ، وذكر ذلك صاحب كتاب «أهداء اللطائف».

ومن الحوادث التي مرت عليهم أن الشريف حسن بن عجلان شريف مكة

كان يأخذ القطعة المقررة على الخدمة وعلى بني موسى أهل ليّة وعلى آل بني النمر سنة ٨٠١هـ وما بعدها، وكان عسكر الشريف حسن يخربون مزارعهم في لقيم والعقيق ووج من الطائف، إذا صُعِبَ على قبيلة الخدمة تسليم القطعة المقررة وهدم حصنهم الذي في جبل السُّكَّارَى في قرية السلامة، وهذه الأخبار مذكورة في كتاب «العقد الثمين» لتقي الدين الفاسي - ج ٤ ص ٩٤، ١٢٩، ١٣٢ - وفي كتاب «إنحاف الوري» - ج ٣ ص ٤١٣، ٤١٤، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٣، ٥٦٤ - وذكر العصامي في كتابه «سمط النجوم العوالي» عن الخدمة: أنه جرت مناوشات بينهم وبين قبيلة قريش وبينهم وبين قبيل النفعة.

وذكرهم صاحب «إهداء اللطائف» في قرية العقيق وقرية لقيم وحرب زيد بن محسن لهم، وذكرهم العبيدي في كتابه «الطائف وقبيلة ثقيف».

ولا يزال الحصن الذي احترق فيه البارود موجوداً في قرية المليساء في جبل شمالي مستشفى الأمير منصور، وهذا الجبل حجر واحد، وشكله نصف كروي ويصعب الارتقاء إليه، والخدمة نقروا فيه طريقان أحدهما للصعود، والآخر للنزول، ولازال النقر وآثار الحصن وآثار بركة موجودة إلى الآن، ويحتمل أن حرب الشريف قتادة جد اشراف مكة لثقيف كانت في هذا الجبل.

وتوجد آثار حصن وقرية في أعلى جبل المرقب في وادي القيم، ويوجد لهم حصن مبني على جبل صغير في وسط قرية المليساء والذي بناه عائش بن زائر الذي كان شيخ القبيلة في ذلك الوقت، والحصن لا يزال موجوداً إلى الآن، ذكر حماد السالمي تحقيقاً عن وادي القيم في العدد ٤٦٨٤ في جريدة الجزيرة تاريخ ٩ ذي القعدة ١٤٠٥ - : أن في قرية المليساء قلعة تعرف بقلعة آل عبد السلام.

ولكن حماد السالمي أخطأ هو أو الذي أدلى بالمعلومات ليس لديه اطلاع أو

معرفة كاملة عن قبيلة الحمدة وقراها وحصونها، والذي أعرفه ويعرفه غيري من الحمدة أن القلعة أو الحصن في وسط القرية وليس عند آل عبد السلام، والذي بناه عائش كما ذكرت، أما اسم الشخص الذي قتل في زمن قتادة وفقد كتاب الرسول ﷺ بعد قتله فهو حمدان الثقفي العوفي كما في «العقد الثمين» - ج ٧ ص ٤٦ - وكما ورد اسم حمدان الثقفي - بالدال - أيضاً في «إتحاف الوري» - ج ٣ ص ٢٢ - وذكر في مجلة «العرب» - س ٢ ص ٤٠٠ - والمقال للشيخ محمد سعيد كمال أن الشخص اسمه حمدان الثقفي العوفي - بالدال - أما من ذكره بحمران الثقفي فقد وهم أو أخطأ لأن اسم حمدان كثيراً ما يسمى به سكان وادي القيم، بخلاف حمران - بالراء - فلم أسمع أن شخصاً اسمه حمران والمعتقد أن اسم شيخ ثقيف الذي قتل وفقد كتاب الرسول ﷺ - بعد قتله هو حمدان وليس حمران - والله أعلم.

بعض قضاة الطائف من سنة ٦٠٠ إلى نهاية ٩٠٠ هـ :

- ١ - القاضي عيسى الذي قتل في نوبة حرب الشريف قتادة لثقيف سنة ٦١٣ هـ .
- ٢ - يحيى بن عيسى .
- ٣ - يحيى بن محمد بن أحمد بن فتوح الانصاري الأندلسي أصلاً اللُّقَيْمي موطناً ذكره صاحب «العقد الثمين» - ج ٧ ص ٤٤٦ - وقبره معروف أو قبر ابنه يعقوب بمقبرة القيم .
- ٤ - يعقوب بن يحيى بن محمد الانصاري الأندلسي ذكر في «العقد الثمين» - ج ٧ ص ٤٧٨ .
- ٥ - محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله البياني الأصل السلامي - نسبة لقرية السلامة بالطائف - ذكره صاحب «العقد» ٤٦٤/٦
- ٦ - عيسى بن محمد بن عبدالله المليساوي نسبة لقرية المليساء بالطائف مات بالسلامة من قرى الطائف سنة ٨٤٠ ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» -

ما اتفق لفظه واختلفت مسماه

من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

(٣٧)

٢١٢ - بَابُ جَنْفَاءَ وَحَيْفَاءَ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ: يَفْتَحُ الْجَنِيمَ وَالنَّوْنِ وَيَالَمَدُ: - مِنْ مِيَاهِ بَنِي فَزَارَةَ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ قُلَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: كَانَتْ بَنُو فَزَارَةَ مِنْ قَدِيمٍ عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ لِيُعِينُوهُمْ، فَرَأَسَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا يُعِينُوهُمْ، وَسَلَّاهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْهُمْ وَلَكُمْ مِنْ خَيْبَرَ كَذَا وَكَذَا. فَأَبَوْا فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ أَتَاهُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، فَقَالُوا: حَظَّنَا وَالَّذِي وَعَدْتَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَظُّكُمْ أَوْ قَالَ: لَكُمْ ذُو الرُّقِيَّةِ» لِحَبْلِ مِنْ جِبَالِ خَيْبَرَ. فَقَالُوا: إِذَنْ نَقَاتِلُكَ، فَقَالَ: مَوْعِدُكُمْ جَنْفَاءَ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَرَجُوا

→ ج ٥ ص ٦٠.

٧ - عبدالله بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله الطائفي قاضي الطائف مات بالسلامة من قرى الطائف سنة ٨٤٠ ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» -

ج ٥ ص ٦٠.

٨ - عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن محمد السلامي توفي بقرية السلامة سنة ٨٤٣ - «الضوء اللامع» ج ٤ ص ١٤٣.

الطائف/ مكتبة المؤيد محمد بن سعد بن أحمد الحميدي

هَارِبِينَ: ... وفي حديث ابن فُلَيْحٍ: جَنَفَاءُ: مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي فُزَارَةَ، وَقَالَ السِّيرَافِيُّ: جَنَفَاءُ أَرْضٌ: قَالَ الشَّاعِرُ:

رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ جَنَفَاءَ حَتَّى أَنْخُتُ فِتَاءَ بَيْتِكَ بِالْمَطَالِي (٢)

وَأَمَّا الثَّانِي: — بَعْدَ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ يَاءٌ تَحْتَهَا [نُقْطَتَانِ] سَاكِتَةٌ: — مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ، مِنْهُ أُجْرَى النَّبِيُّ ﷺ الْخَيْلَ فِي الْمُسَابَقَةِ، وَيُقَالُ فِيهِ الْحَفْيَاءُ، وَهُوَ الْأَشْهُرُ، وَيَأْتِي ذِكْرُهُ (٣).

٢١٣ — بَابُ: جَنَابٍ وَجِبَابٍ وَحِثَابٍ (٤).

أَمَّا الْأَوَّلُ: — بَعْدَ الْجِيمِ الْمَكْسُورَةِ نُونٌ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ: — مِنْ بِلَادِ فُزَارَةَ، بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَقَيْدٍ: قَالَ سُحَيْمٌ:

يُذَكِّرُنِي قَيْسًا أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَمَا اللَّيْلُ مَا لَمْ أَلْقَ قَيْسًا بِنَائِمٍ
تَحْمَلُ مِنْ وَادِي الْجَنَابِ فَنَاشِنِي بِأَجْمَادِ جَوْ مِنْ وَرَاءِ الْخَضَارِمِ

قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: الْجَنَابُ مِنْ بِلَادِ فُزَارَةَ، وَالْخَضَارِمُ بِالْيَمَامَةِ. وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: الْجَنَابُ بِعَرَاضٍ خَيْرٌ وَوَادِي الْقُرَى (٥).

وَأَمَّا الثَّانِي: — بَعْدَ الْجِيمِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ: — مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ أَوْدَ بْنِ صَغْبٍ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، وَكَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَزْدِ (٦).

وَأَمَّا الثَّلَاثُ: أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ وَفِي آخِرِهِ مِثْلُهَا: — مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ (٧).

الهوامش:

(١) لم أر في كتاب نُصَرِّ بِأَبَا ذَكَرٍ فِي هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ، وَقَدْ أورد في المفردات ما يشابهها.

(٢) إسماعيل بن إبراهيم هو ابن عَقْبَةَ، يروي عن عَمِّهِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ، وَغَيْرِهِ، مَنْ رَوَى عَنْهُمْ الْبَخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٦٩ — «تهذيب التهذيب»

وعُمد بن قُليح هو ابن سليمان المكي، روى له البخاري والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة ١٩٧ - على ما في كتاب «تهذيب الكمال» لِلْمُرِّي.

وموسى بن عُبّة - من أوائل من أُلّف في المغازي، قال الإمام مالك: عليكم بمغازي موسى فإنه يُثَقُّ، وقال يحيى بن معين: كتاب موسى بن عُبّة من أصح هذه الكتب، توفي موسى سنة ١٤١ - «تهذيب التهذيب».

وابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزُهري القرشي، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة ١٢٤ عن اثنتين وسبعين سنة.

وبنو فزارة من غَطَفَان، وكانوا مُظَاهِرِينَ ليهود خَيْبَر. ودُو الرُقبة: جبل في خَيْبَر يشاهد من مدينتها رَأْي العَيْن، ولكنه يعرف الآن باسم (أُبُرْقبة) في الناحية الشمالية الغربية من البلدة.

وَجَنَفَاء: كانت من أشهر مياه بني فزارة ثم أَصْبَحَتْ بلدة، وقد درست الآن، ونشأ مكانها هجرة تعرف باسم الشمالي، وتقع في ضِفْنِ حَرَّةِ اثْنان (حرة ليلي) الشرقي - أي سفح تلك الحَرَّة، بقرب خط الطول: ٤٠/١٤° وخط العرض: ٢٦/٥٦°.

والخبر ينصُّ أوردته ياقوت في «معجم البلدان» في رسم جَنَفَاء.

والسِّيرافي هو يوسف بن أبي سعيد السِّيرافي (٣٨٥/٣٣٠هـ) وورد قوله في كتابه «شرح أبيات بيتويه» - ج ١٢/٢.

والبيت الذي أوردته السِّيرافي لَزَيْنَانَ بْنِ سُبَّارِ الْفَزَارِيِّ من شعر له قصَّة أوردتها أبو محمد الْغَنْدُجَانِي في تَعْقِيبِهِ على ما أوردته السِّيرافي، انظر كتاب «فرحة الأديب» ص ٥٤ - والبطلالي - جَمْعُ مَطْلَى: أرض واسعة في بلاد بني أَبِي بَكْرٍ بن كِلَابٍ، في الجنوب الغربي من نَجْدٍ، في شرقي ظَلَم، وجنوب مَنْهَلِ سَجَا، وتعرف الآن بِأَسْمِ الْجَبَلَةِ، ولزيادة الإيضاح بحسن الاطلاع على «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (عالية نجد) رسم الْجَبَلَةِ.

وفي كتاب نُصِرَ - في مفردات حرف الجيم -: الْجَنَفَاءُ: موضع يقال له ضِلْعُ الْجَنَفَاءِ بَيْنَ الرُّبْدَةِ وَضَرْيَةِ من ديار محارب، على جَادَةِ الْيَمَامَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وأيضاً: بَيْنَ خَيْبَرٍ وَقَيْدٍ، وقيل: بِضَمِّ الْجِيمِ. انتهى. وعلى هذا فِضْلُ الْجَنَفَاءِ موضع آخر، وهذا غَرَبُ جَمْعِ ضَرْيَةٍ - أما الذي بَيْنَ خَيْبَرٍ وَفَيْدٍ فهو الذي ذكر الحازمي، وقد أورد ياقوت كلام الحازمي وكلام نصر غير منسوب إليهما.

أورد الحازمي في باب حَفِيَاءَ وَخَفَاءَ خبر سباق الْخَيْلِ مِنَ الْحَفِيَاءِ - وسبَّأِي ونقله عنه ياقوت وأضاف: (٣) ورواه غيره بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ. وقال البخاري: قال سفيان: بَيْنَ الْحَفِيَاءِ إِلَى الثَّبِيَّةِ خَمْسَةُ أَمْيَالٍ أَوْ سِتَّةَ، وقال ابنُ عُبَّة: سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ، وقد ضبطه بعضهم بالضم والقصر، وهو خطأ - كذا قال عياض - انتهى. وأعاد ياقوت الاسم في رسم حَفِيَاءَ - كأنه ثَانِيثٌ، والحيف الذي يعبر به عن الجور، وهو موضع بالمدينة منه أَجْرَى النَّبِيِّ ﷺ الْخَيْلُ فِي الْمَسَابِقَةِ، ويقال فيه الْحَفِيَاءُ (في المطبوع الحففاء خطأ) وقد ذُكِرَ فيما مَرَّ: وَحَفِيَاءُ جَفْضٌ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الشَّامِ قُرْبَ يَافَا - إلى آخر ما ذكر عن حيفا البلدة المعروفة في فلسطين - وأورد البكري في «معجم ما استعجم» - رسم الحففاء - حديث السَّبَّاقِ بهذا النص: روى مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي أَضْمَرَتْ مِنَ الْحَفِيَاءِ، وَكَانَ أُنْذَهَا ثَبِيَّةُ الْوَدَاعِ، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثَّبِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي ذُرَيْقٍ. وأضاف وبين

الحفياء وثنية الوداع ستة أميال.

وأورد صاحب «وفاء الوفاء» - ١١٩٢ - كلام ياقوت في الحفياء فيه زيادة عما في «معجم البلدان» المطبوع: حَفْيَاء: موضع قرب المدينة، منه أُجريت الخيل المُصَفَّرَة إلى ثنية الوداع قاله الحازمي، ورواه غيره بالقصر. فالثنية فيما نقل السهودي ثنية الوداع، وهي من المواضع المعروفة في المدينة. ونقل عن المجد صاحب «المقامات المطابة» في تعريف الحفياء: وهي على مقربة من البركة فيما يغلب على الظن ثم أضاف: قُلْتُ هي شامي البركة، مغيض العين، لأن الهجري قال بعد ذكر مجتمع السيول بَرُغَابَة: ثم يفضي إلى سافلة المدينة وعين الصَّوْرَيْن بالغابة وبها الحفياء صدقة الحسن بن زيد بن علي، وعبارة الزبير: فينحدر على عين أبي زياد والصَّوْرَيْن في أدنى الغابة. فالحفياء التي عبر عنها الهجري بالحفياء بأدنى الغابة، ولهذا جاء في حديث السابق: من الغابة إلى موضع كذا. انتهى كلام السهودي. وقال في رسم حفياء: حَفْيَاء لغة في حَفْيَاء - كما تقدم فيها - على أن البكري في «معجم ما استعجم» في الكلام على التفيح. أورد كلاماً طويلاً في تعريف حمى التفيح وما حوله يظهر أنه من كلام الهجري - على ما يفهم مما نقله السهودي عن الهجري في الكلام على الاحماء، ومما جاء فيما أورده البكري - ص ١٣٣٣ - في الكلام على سَبِيل أودية المدينة بعد اجتماعها في إضم -: ثم يفضي ذلك إلى سافلة المدينة، الغابة وعين الصَّوْرَيْن، وبالعابة أموال كثيرة. وبها الحفياء وغيرها. انتهى فسمَّها الحفياء لا الحفياء التي أراها تحريفاً.

أما ثنية الوداع فقد أطل السهودي الكلام عليها، وذكر الاختلاف في موقعها، ومما قال: وكل هذه الروايات متظاهرة على أن هذه الثنية هي المعروفة بذلك، اليوم في شامي المدينة، بين مسجد الراية الذي على ذباب، ومشهد النفس الزكية، يمرُّ فيها المارُّ بين صَدَيْنِ مُرْتَفَعَيْنِ قرب سَلْع، ومن تأمل كلام ابن شُبَّه في المنازل وغيرها لم يَرْتَبْ في ذلك، وسوق المدينة كان هناك - إلى آخر ما ذكر - فنلخص مما تقدم أن الحفياء - في أدنى الغابة التي لاتزال معروفة، وأن الثنية - ثنية الوداع بين مسجد الراية ومشهد النفس الزكية المعروفين الآن داخل المدينة. أما المسافة بين أدنى الغابة وبين الثنية فهي تقارب سبعة أميال.

(٤) في كتاب نصر في باب الجيم: (بابُ الْجَنَابِ وَالْجُنَابِ وَالْجَنَابِ وَالْجَنَابِ)

(٥) قال نصر - الجناب -: بكسر الجيم تليها نون -: من ديار فزارة بين المدينة وقَيْد، وجَنَابُ الحنظل:

باليمن. انتهى.

والأقوال الثلاثة التي أوردها الحازمي في تعريف الجناب مذكولها واجد.

فهو من بلاد فزارة، واقع في الطريق بين المدينة وقَيْد، لمن يأتي على تيماء، وهو مُعْتَرِضٌ فيما بين خَيْبَر وراذي القرى - منطقة العلا الآن.

ويعرف الجناب الآن باسم الجهراء، وقد أُوْقِفَت الكلام في تحديده في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

وَسَحْنِم - قَاتِلُ البيتين - هو ابن وَبَيْلِ الرِّبَاجِيُّ اليربوعي التميمي، صاحب البيت المشهور:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاغِ النَّبَايَا مَتَى أَضْعُ الْعِمَامَةَ نَعْرِفُونِي

←

وهو شاعرٌ مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

أسرنا النقيير والأطرم من المشاعيب من سبيع

بعد إطلاعنا على كتابكم القيم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» لم يرد

→ أجماد جو - جمع جُمُدٍ بضم الجيم والميم وتسكن - المكان المرتفع الغليظ - وجُوها هو جُوَ اليمامة الذي كانت تقع فيه مدينتها، وهو جُو الخضارم، وسط إقليم الخرج، على ما يفهم من نصوص متقدمي العلماء، ثم عرف باسم اليمامة، ثم الخَضْرَمَة، وهو الجُو الواسع الذي تقع قرية اليمامة في شماله الغربي، وقرية السُّلَمِيَّة في شماله، وروضة السُّهْبَا شرقه، والسَّيْح - بعبونه ومزارعه - في جنوبه.

(٦) قال نصر: الجَبَابُ: بكسر الجيم تليها باء موحدة: في ديار أود بن صعب بن سعد العشيرة، وكانت فيه وقعة بينهم وبين الأزد، وأيضاً ماء بين نجد واليمامة، وأما بضم الجيم (الجَبَاب) ذكر أبو النُدَى أنه في بلاد بني سعد. انتهى.

ولم يذكر ياقوت في «المعجم» الجباب، وإنما ذكر الجَبَابَات - بالضم - موضع قريب من ذي قار، كانت به إحدى الوقائع بين بكر بن وائل والفُرس ... وقال أبو أحمد: وهو أيضاً يوم الجَبَابَة موضع جُبُّ في ديار أود بن صَعْب بن سعد العشيرة، كانت فيه وقعة بينهم وبين الأزد. والجَبَابَات أيضاً: ماءً بنجد قُرب اليمامة. ثم قال: الجَبَاب - بالضم - ذكر أبو النُدَى أنه في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

فهل صواب الاسم الذي أورده نصر والحازمي الجبابية - كما ورد في كلام أبي أحمد العسكري الذي نقله ياقوت، إن الحازمي لم يضبط أول الاسم بالحركة وهي الجيم، ولكنها جاءت في مخطوطة الأصل مكسورة مطابقة لضبط نصر وبلاد أود - على ما ذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص ١٨١ - تقع في الجنوب الغربي من بلاد اليمن، فيما كان يعرف قديماً بِسَرَوْجَمِير، وفي عهدنا الآن يسمّى بلاد البيضاء، ولم أَر في كتاب الهمداني ولا في معجم الحجري تحديداً للجباب ولا للجبابية.

(٧) هذا نصّ كلام نصر في تعريف هذا الموضع، ولم يَزِدْ ياقوت في «معجم البلدان» عليه إلا بقوله: كأنه جمع حيث، أي سريع. ومع تَقْصِي السُّمُودِي في ذكر ما يتعلق بالمواضع المدنية فإنه وقف عند حد: جنات - بالكسر وثانين مثلثين -: عرض من أعراض المدينة. انتهى فكيف يكون عَرْضاً ويكون مجهول الموقع؟ لا أستبعد أن يكون الاسم تصحيف جناب - المتقدم ذكره - فهو الذي يصح بأن يوصف بأنه من أعراض المدينة لسعته وشهرته، إذ أعراضها قراها التي في أوديتها، وحيث الزرع والنخيل.

ذكر أسرة النُقير ونُقير هو لقب لجدنا ابراهيم ابن عبدالله بن ابراهيم الراشد الشخيتي. والشخنة من المشاعيب، والمشاعيب من الجراح من بني ثور من سبيع. وللشخنة منزلة يقال لها الجادة في عنيزة. وجدنا ابراهيم الملقب بـ (نقير) نخيلات وبويت في مدينة عنيزة وأصيب بصرع، ومزق أوراق ملكيته لنخيلاته وبوته فأخذت منه...!! فمرض أثر ذلك ونزح إلى قصر ابن عُقيل قرب الرس. قاصداً ابنه عبدالله. وتوفي هناك رحمه الله وكان آخر من بقي من أسرتنا في مدينة عنيزة، وكان ذلك أثناء إمارة صالح اليحيا الغانم لمدينة عنيزة في حدود عام ١٣١٧هـ.

ولابراهيم الملقب بـ (نقير) خمسة أبناء وبنت. وهم:

١ - عبدالله بن ابراهيم. سقط في البثر ومات في الحجتاوي رحمه الله، وله ولد مات شاباً وبنتان.

٢ - سليمان بن ابراهيم توفي في المدينة المنورة رحمه الله حدود ١٣٣٢هـ وابنه الشيخ المعروف عبدالله ابن سليمان ابن نقير رحمه الله. وللشيخ عبدالله ستة أبناء وعدد من الأحفاد والبنات في الرياض وحائل، وسيأتي نبذة عن حياته.

٣ - راشد ابن ابراهيم. توفي في عَمَّان رحمه الله عام ١٣٨٩هـ وله ولد مقيم مع أبنائه في جازان.

عبد الرحمن ابن ابراهيم توفي في الرس رحمه الله عام ١٣٨٧هـ وله خمسة أبناء وثلاث بنات وعدد من الأحفاد في الرس والخرج والظهران والطائف وخميس مشيط.

٥ - محمد مات صغيراً رحمه الله.

ومن الشُّخنة أبناء عم لنا يقال لهم الأطرم. وهم ذرية ابراهيم بن حمد بن ابراهيم الراشد الشخيتي. فقد نزح ابراهيم بن حمد - الملقب بـ (الأطرم) - من عنيزة إلى الرس قبيل نزوح النُقير من عنيزة ثم نزح ابنه سليمان ابن ابراهيم الأطرم من الرس إلى المدينة المنورة وللسليمان الأطرم ثلاثة أبناء وعدد من البنات وهم:

- ١ - عبدالله ابن سليمان مقيم وذريته في المدينة المنورة.
 - ٢ - محمد ابن سليمان توفي رحمه الله وله ولد يعمل طياراً ومقيم في جدة.
 - ٣ - صالح ابن سليمان مقيم وذريته في المدينة المنورة.
- أما آل الأطرم الذين منهم الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم فقد أفادني أحد أبناء الشيخ أنهم من الأساعدة من الرُّوَقَة من عتية، وهم من أهل الزُّلْفِي .
- ومن المشاعيب أيضاً آل نصرالله والجمالة والرشيد المعمر ومن ينحدر منهم وكذلك من المشاعيب آل جارالله وآل نصار في الزبير في العراق.
- ومن المشاعيب أسرة كريمة تدعى (الدبة) وهاؤلاء جميعاً من آل علي من ذرية زهري بن جرّاح الثوري.

وهذه نبذة عن حياة الشيخ عبدالله ابن سليمان ابن نقير رحمه الله .

ولد الشيخ عبدالله في مدينة بريدة عام ١٣٢٦هـ وتوفي والده سليمان في المدينة المنورة وهو في السادسة من عمره، وترعرع في كنف والدته رحمها الله .

أخذ عن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن سليم رحمه الله . ثم أخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم رحمه الله . ثم أخذ عن الشيخ عبد العزيز العبادي رحمه الله .

وكان إماماً ومرشداً وعاقداً للأنكحة في كثير من قرى وهجر منطقة حائل . منها العُظِيم والسبعان والنُعي وفيد والرّمثية والكهفة والكهيفية والنقرة . ثم استقر في الرياض عام ١٣٧٠هـ وأخذ عن الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله . ثم لازم الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل الشيخ في مسجد الشيخ صالح آل الشيخ رحمه الله .

وبعد وفاة الشيخ عبدالله بن ابراهيم رحمه الله تولى الإمامة في مسجد الشيخ صالح في الرياض إلى جانب عمله مدرساً للقرآن الكريم لدى الإدارة العامة

لللكليات والمعاهد . حتى أقعده المرض وأحيل للتقاعد عام ١٣٨٤هـ وكان رحمه الله صابراً محتسباً شكوراً، إلى أن توفاه الله في مدينة الرياض يوم الأحد الموافق ١٥/٣/١٣٩٤هـ عن عمر يناهز الثامنة والستين عاماً.

وقد ورد ذكره في كتاب «مشاهير علماء نجد» وغيرهم للشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ في طبعته الأولى والثانية.

كما ورد ذكره في كتاب «آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم» للشيخ صالح السليمان العمري في الصفحات التالية من الجزء الأول ص: ١٣٩ . ص: ١٨٨ .

وهناك أسرتان كريمتان تحملان نفس اسم (الثَّقِير) لا علاقة لهما بأسرتنا . وإحداهما من الشمال والأخرى من القصيم .

وخلاصة القول أن أسرتي الثَّقِير وبني عمهم أبناء سليمان الأطرم سكان المدينة المنورة هم من الشخطة من المشاعيب من الجراح من بني ثور من سبيع .

سليمان بن عبدالله بن سليمان الثَّقِير

علي بن موسى مؤلف رسالة «وصف المدينة»

يستوضح الأخ الكريم محمد أديب السلاوي من المغرب، ويقيم في الرياض، في كتاب مؤرخ في ٢٤ تشرين الأول ١٩٨٥م عن صلة علي بن موسى مؤلف رسالة في «وصف المدينة» بعائلة ابن موسى المغربية، كما يستوضح عن العشيرة العربية التي ينتسب إليها المذكور وعن معلومات أخرى تتعلق به .

والواقع أن المعلومات المتعلقة بحياة علي بن موسى مؤلف الرسالة التي أشار إليها الأخ الكريم ونشرها صاحب «العرب» مع رسائل أخرى تحت عنوان «رسائل في تاريخ المدينة» - أن تلك المعلومات قليلة جداً، وكل ما عرفته منها أوضحت في مقدمة تلك الرسائل، كما أوردت نص كتاب أجنبي به مؤرخ المدينة وعالمها الأستاذ عبيد مدني - رحمه الله - عن علي بن موسى .

ومع أن المؤلف المذكور كان من ذوي الأملاك المشهورين في المدينة - كما يتضح من رسالته - إلا أن المعلومات المتعلقة به وبأسرته هي من القلة كما ذكرنا.

شهاب الدين عمر الجازاني كاتب مغمور من جازان

نشرت جريدة «الشرق الأوسط» في يوم الثلاثاء [شهر ذي الحجة سنة ١٤٠٥ هـ ص ١٠] حديثاً لرئيس لجنة العلماء بجهة تحرير (صومال أبو) السلطنة العفريّة قديماً، وهي منطقة مسلمة متاخمة لاثيوبيا، جاء في ذلك الحديث بأن تلك الامبراطورية الاسلامية اجتذبت اهتمام المؤرخين مثل الرحالة ابن بطوطة، والدكتور فتحي الغيث، والأمير شكيب أرسلان والكاتب عمر شهاب الدين الجيزاني الذي رافق الإمام أحمد ابراهيم في غزواته وفتوحاته في منتصف القرن السادس عشر الميلادي. انتهى.

فمن هو هذا الكاتب الجيزاني؟
ضمند: يحيى خيرى
«العرب»:

إلى مؤرخ المخلاف السليمانى الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي تتوجه «العرب»
بالسؤال، مقروناً بالإجلال والتقدير،

الحمادا والمريزيق: من بني وائل

كتب الأخ حمود بن عبد العزيز القصير إلى مجلة «العرب» بأنه لاحظ بعض الأخطاء في كتاب «جبهة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» حيث ورد ذكر أسري الحمادا والمريزيق في أربعين موضعاً، وقدم لكلامه في بيان تلك الأخطاء: بأنه في منتصف القرن الحادي عشر وبعد ما دب الخلاف بين بني وائل الموجودين في التويم وحرمة من منطقة سدير تفرق كثير من فروع هذه القبيلة، فارتحل الهزازنة إلى الحريق، والمبارك والراشد إلى حريملاء، وارتحل الحميدي - جد الحمادا - وابن عمه مريزيق إلى القصيم - ونسب الحميدي هو الحميدي بن حمد بن حملي

بن الحميدي بن حسن بن صامل بن مرشان بن حسن بن رباح من الحسيني (الحسنة) من الرباح من السلقا من العمارات من بشر من قبيلة عنزة - فاشترى الحميدي الشقة التي تبعد عن مدينة بريدة بحوالي ١٥ كيلاً. قال: اشتراها بشق بيت من الشعر من امرأة كانت هناك، وعمرها. وأبناؤه هم:

١ - محمد.

٢ - سالم.

٣ - عبدالله.

٤ - علي.

٥ - سليمان.

وتفرع من هاؤلاء نحو ٢٥ أسرة:

١ - محمد: ولا ينتسب إليه سوى عائلة القَصِير (القصارى) الذين منهم العساف أبناء عساف بن عبدالله القصير، وهاؤلاء موجودون في السهابة في عين صيد، التي يملكونها - في العراق.

٢ - سالم: وينسب إليه من الأسر: الخضيرى، والشويهي، والجوعى، والمديش، والصبحاوي، والحمودي، والفهدي، والطعيسان - لا يوجد من الطعيسان سوى رجل واحد هو محمد بن ابراهيم الطعيسان في بغداد - ويوجد من عائلة المديش من هو مقيم في العراق وهو تركي بن عبد العزيز المديش وأولاده.

٣ - عبدالله: وينسب إليه ست أسر: الرُشيد، والكُلَيْة، والبعاما، والسعود، والغازي والعقيل - ويعرف العقيل هاؤلاء بالرُشيد لتمييزهم عن العقيل أبناء عمهم علي -.

ومن الكُلَيْة من يقيم في المنصورة في مصر.

٤ - علي: وينسب إليه خمس أسر هي: (١) الخويلدي (٢) العصالا

(٣) والرغوجي (٤) الفايزي (٥) العقيل.

٥ - سليمان: وينتسب إليه خمس أسر: (١) الفراج - ومنهم البيداء والعصيص - (٢) السديس (٣) الجفير (٤) الحواس (وهم الصعب) (٥) الحظيف.

أما مريزق ابن عم الحميدي فتنسب إليه ثمان أسر:

(١) الروضان (٢) السعودي (٣) الجريش (٤) الزمعان (الزميع) (٥) الأربع (الربعي) (٦) السحيان (٧) البراك (ومن عائلة البراك من يقيم في بلبس والقاهرة في جمهورية مصر).

[ولم يذكر الأسرة الثامنة]

وها هو بيان ما حاول الأخ تصحيحه:

١ - الأربع: ص ٢٥ و ٣٠٠: أسقط من مريزق عائلة الروضان.

٢ - الحظيفي: ص ١٦٣: يقول الصواب: الحظيف.

٣ - الحمود - العصلا: ص ١٨٣: قال: ليس لقب العائلة الحمود العصلا والصحيح الحمودي.

٤ - الحواس: ص ١٩٩: من أبناء سليمان وهم الصعب.

٥ - الخضير: ص ٢٢٨: الصواب: الخضيري.

٦ - الحنين - الحنانا - الخوالد: ص ٣٣٨: وهذه الأسرة لا نعلم عنها شيئاً.

٧ - الرشيد: ص ٣١٤ و ٧٢٢: ورد القحقان - انظر الرشيد - كلمة القحقان ليست اسماً لهم بل لقب ينزون به ولا يعترفون به.

٨ - الرشيد: ص ٣١٦: (العقيل ويسمون العقيل الرشيد لتمييزهم عن أبناء

عمهم)

مكتبة الحرب

■ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد:

كتاب «جامع الأصول» تأليف المبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ وكتاب «مجمع الزوائد» لعل بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ

→ ٩ - الروضان: ص ٣٢٦: ورد في الكتاب أنهم من الحماداء، والصحيح أنهم من المريزيق.

١٠ - الشايح: ص ٤٣٨: الصواب: الشوايع أو: الشوايعة.

١١ - الطعيسان: ص ٥١٤: لا يوجد من هذه الأسرة سوى رجل واحد وأولاده، وهم محمد بن ابراهيم الطعيسان في بغداد.

١٢ - العساف: ص ٥٩٤: هذه الأسرة في عَيْن صَيْدٍ في السهاوة من العراق، وهم منسوبون إلى عساف بن عبدالله الْقُصَيْرِ، من أسرة القصارا.

١٣ - العصوص: ص ٥٥٧: الصواب: العصيص وهم من الفراج، ولا يوجد منهم سوى نفر قليل ولا يرغبون في هذا الاسم بل يسمون العلي من الفراج.

١٤ - الفهد: ص ٧٠٧: الصواب: الفهدي.

١٥ - القصارا: ص ٧٢٦: ذكر أنهم من ذرية محمد بن حمد، والصحيح أنهم من ذرية محمد بن الحميدي بن حمد.

١٦ - الكُلَيْتَة: ص ٧٤١: منهم من يقيم في المنصورة من بلاد مصر.

١٧ - المديش: ص ٨٠١: منهم من يقيم في العراق وهو تركي بن عبد العزيز المديش وأبناؤه.

يعتبران من أوسع كتب الحديث النبوي الشريف، وأشملها، وقد قام الإمام محمد بن محمد بن سليمان الروداني المغربي ثم المكي المتوفي في دمشق سنة ١٠٩٤هـ بجمع الكتابين في كتاب واحد هو «جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد» يحوي أحاديث أربعة عشر كتاباً من كتب السنة هي: صحيحاً البخاري ومسلم وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه، والموطأ لمالك، والمسند لأحمد وأبي يعلى والدارمي وأبي بكر البزار، ومعجم الطبراني الثلاثة.

وقد رتب الكتاب على أبواب الفقه، فبدأ بكتاب الإيمان ثم الاعتصام بالكتاب والسنة ثم كتاب العلم فكتاب الطهارة، واستمر بذكر الصلاة فالزكاة فالصوم فالحج إلى آخر أبواب الفقه، ثم الخلافة والإمارة فالجهاد فالسير والمغازي، فكتاب التفسير فتعبير الرؤيا فالطب فكتاب الآداب فالفضائل فالقصص فالأذكار والأدعية فالتوبة فكتاب القيامة وما يتعلق بها.

ووقع الكتاب في مجلدين (٥٠٣) + (٤٩٦) = ٩٩٩ صفحة كبيرة.

وقد قدم الكتاب الأستاذ الجليل إبراهيم أمين فودة - رئيس نادي أم القرى الأدبي - فأوضح في المقدمة أن هذا الكتاب يعتبر الحلقة الأولى من سلسلة كتب مختارة نحو المئة ستنتشر باسم (مكتبة الجامعة) وأشار في المقدمة إلى أن عدداً من الإخوان - ساهموا - أسهموا بجمع مبالغ من المال بلغت خمس مئة ألف ريال للإتفاق على نشر تلك الكتب التي ستباع بأقل الأثمان، ويقوم الأستاذ إبراهيم باختيارها والإشراف على نشرها.

والحق يقال: إن هذا العمل لا تقتصر أهميته وفائدته على النشر فحسب، بل لعل أهم من ذلك اختيار الكتب الصالحة للنشر، ولعل في البدء بنشر هذا الكتاب القيم الحاوي لجل ما في كتب السنة المطهرة من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ما يقوّي الأمل بأن تكون المنشورات الأخرى على غرار هذا الكتاب من حيث القيمة العلمية المعنوية، في حسن الاختيار.

أما الملاحظات على طريقة نشر ذلك الكتاب فهي من الأمور التي لا أثر لها

بالنسبة لما لهذا المشروع من آثار نافعة متوخاة متى حقق الله إكماله.

■ معجم المطبوعات العربية – المملكة العربية السعودية :

تحدثت العرب – س ٢٠ ص ٧١٧ – عن صدور الجزء الأول من هذا الكتاب القيم، وسرَّ صاحبها بتلقي الجزء الثاني منه بعد كتابة ما تقدم، ومجال القول في هذا الكتاب ذو سعة، إلا القراء وقد وقع بين أيديهم سيجدون فيه ما يغني عن الحديث عنه، وهذا الجزء يقع في ٧٤٠ صفحة ويحوي من الأسماء من (عبد القادر) إلى آخر الحروف (يوسف الشيخ يعقوب)، ويحوي فيما يحوي تفصيلات وافية عما قامت الجهات الرسمية في الدولة من وزارات وإدارات وغيرها من أعمال في ميدان النشر، وفيه لمحات عن أعمال المطابع في هذا السبيل وبعض المؤسسات والنوادي.

ومجمل القول أن كتاب «معجم المطبوعات العربية – المملكة العربية السعودية» لأستاذنا المحقق الدكتور علي جواد الطاهر يعتبر من أوفى المراجع – بل هو أوفاهها حسب علمنا – في دراسة جميع جوانب الثقافة في هذه البلاد في خلال المدة التي خصص لها، ولإبراز آثار أدباء البلاد وعلمائه في خلالها أي منذ قيام الدولة السعودية الكريمة في دورها الأخير إلى سنة ١٣٩٠ (١٩٧٠م).

وقد دعى المؤلف في خاتمة كتابه وأوصى بأن لا يقف المعجم عند الحد الزمني حيث وقف، وهي وصية جديرة بأن يتلقاها الباحثون من أدباءنا بالاستجابة والقبول.

وقد علمت «العرب» بأن الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر قد يعمل فهرس مفصلة لما يحويه هذا الكتاب من أسماء الاعلام وأسماء الكتب وغيرها.

كما سيلحق بتلك الفهارس بياناً يحوي استدراكات وتصحيحات بما ورد فيه، مما يحتاج إلى استدراك أو تصحيح، ولهذا تأمل «العرب» بأن يُفضل القراء بإبداء ملاحظاتهم حول ذلك الكتاب وفي هذا خدمة لهذا الأثر الجليل الذي صرف أستاذنا الطاهر في سبيل تقديمه للقراء من الجهد ما لا يدركه إلا من عانى مثل ما

عاني، ثم نظر إلى أثر هذه المعاناة نظرة المقدر المنصف.

■ مجمل اللغة:

ونشر معهد المخطوطات العربية كتاب «مَجْمَلُ اللغة» تأليف أحمد بن فارس الرازي المتوفي سنة ٣٩٥ وهو من أهم المصادر اللغوية، ولمؤلفه ابن فارس لدى اللغويين منزلة عالية، وقد قام بتحقيق الكتاب الشيخ هادي حسن حمودي، أستاذ فقه اللغة بجامعة وهران في الجزائر، ووضع له مقدمة ضافية تبلغ ١٣٨ من الصفحات، تحدث فيها بإسهاب عن ترجمة المؤلف وعن منزلته في اللغة، ووصف كتابه وصفاً وافياً، وذكر المخطوطات التي عول عليها في التحقيق وأضاف إلى ذلك ما ازدانت به صفحات أجزاء الكتاب الخمسة التي شملت محتويات جميع الكتاب.

فالأول: من حرف الألف إلى حرف الجيم في ٤٩٢ صفحة.

والثاني: من حرف الحاء إلى آخر حرف الراء في ٤٨٨ صفحة.

والثالث: من حرف الزاي إلى حرف العين في ٥١٤ من الصفحات.

والرابع: من حرف الغين إلى حرف الباء في ٥٧٦ صفحة.

أما الجزء الخامس: فيحوي الفهارس المفصلة للآيات القرآنية وللحديث النبوي، وللشواهد الشعرية، وللأمثال، وللأعلام والأمكنة والبقاع، ثم المصادر والمراجع، ويقع هذا الجزء في ٢٤٢ صفحة.

وقد طبع الكتاب طباعة جيدة من حيث الورق والحرف في مطبعة (الفيصل الإسلامية) في الكويت سنة ١٤٠٥/١٩٨٥.

■ التبصرة في القراءات:

وصدر عن معهد المخطوطات العربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاب «التَّبْصِرَةُ في القراءات» تأليف مكّي بن أبي طالب القيسي المتوفي سنة ٤٣٧ وهو من مشاهير علماء القراءات ويعتبر كتابه من المراجع المهمة في موضوعه، وقد حقق الكتاب الدكتور محيي الدين رمضان، وصدر في مجلد بلغت صفحاته ٤٥٤ بطباعة حسنة، ولم يذكر مكان الطبع ولعله في الكويت.

■ سرايا رسول الله ﷺ :

وأفرغ الأستاذ الجليل الباحث المحقق أبو تراب الظاهري قدراً كبيراً من جهده في جمع ما يتعلق بسرايا رسول الله ﷺ من النصوص التاريخية والأخبار، مما يجد فيه الباحثون بغيتهم في معرفة ما يتعلق بتلك السرايا بدون الرجوع إلى مراجعة أمهات كتب السير والتاريخ، كما قال الأستاذ الجليل الشيخ علي الطنطاوي: (لولا ما كان في هذا الكتاب إلا أنه جمع لك بين دفتيه في مجلدات خزانة كاملة فقربه إليك ووضع بين يديك، لكفاه... وإنه لجهد كبير). وكنت أتمنى لو أن الأستاذ الجليل أبا تراب وضع للكتاب مصوراً جغرافياً لتحديد مواقع الغزوات، وجلها إن لم يكن كلها مما عرف موضعه في بلادنا لدى المهتمين بالدراسات الجغرافية، ولكنه - بالنسبة للباحثين من غيرهم - بحاجة إلى تحديد وإيضاح، وعلى كل حال فما بذله الأستاذ عمل جليل، جدير بالشكر والتقدير.

وقد صدر هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة بطباعة حسنة بمطابع دار البلاد في جدة، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) وقامت بنشره «تهامة» التي أثرت المكتبة العربية بالكثير الجيد من مؤلفات أبناء هذه البلاد.

■ تاريخ مدينة دمشق - ترجمة عثمان بن عفان:

وهذا التاريخ المعروف أيضاً باسم «تاريخ ابن عسكر» ليس خاصاً بمدينة دمشق، ولكنه تاريخ عام شامل لكل من دخل تلك المدينة أو كما قال مؤلفه: (من حلها أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها).

وقد كانت دمشق قاعدة الخلافة كما هو معروف، فقل أن لا تكون مقصداً لجميع المشاهير في ذلك الزمن. وقد صدر من هذا التاريخ مجلدات لم يراع في نشرها ترتيب مؤلفها، وكان من آخر ما صدر بعد المجلد الخاص بالنساء - العرب س ١٩ ص ٧١٦ - مجلد يحوي ترجمة الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بتحقيق الأستاذة سكيئة الشهابي.

وهذا الجزء من أشمل المؤلفات في ترجمة الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويقع مع فهارسه في نحو (٦٣٠) صفحة من القطع الكبير، بدون

المقدمة التي تقع في (٢٤) صفحة.

وجهد المحققة الفاضلة يبرز في كل صفحة من صفحات الكتاب، وفي فهارسه التي تزداد كمالاً وفائدة لو شملت جميع الأسماء وخصّص فيها مكان لأسماء المواضع، ولكن المحققة الكريمة لم تفهرس من الأسماء سوى أسماء شيوخ ابن عساكر وأسماء رجال السماع.

وقد صدر الكتاب في سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

■ ديوان حسين عسرب:

وصدرت «المجموعة الكاملة» — من شعر الشاعر الأستاذ حسين عسرب (انظر «العرب» س ٦ ص ٣٦٢) مقدماً بدراسة شاملة للأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد الغدّامي تقع في ٣٥ صفحة. جاء فيها: (حسين عسرب يمثل الأديب السعودي بل صفاته المتميزة إيجاباً وسلباً، فهو شاعر متمكن، وأديب صافي الجذور، وقويها، وهو رجل ملتزم فنياً وخلقياً، ففضيته هي (العربية) لغة وأمة وتراثاً وحضارة، وهي له مستقبل مشرق، ووعد مأمول، مهما تكالبت عليه الكوارث، والمحن، وهذه صفة تكاد تكون عامة لدى شعرائنا، ولكن حسين عسرب يمثلها في شعره في ديوانه خير تمثيل، وأصدق تمثيل).

وقد رتب الديوان في ثمانية أبواب:

- ١ — إيمان: ويحوي ٧ قصائد تعبر عن تأثر ديني عميق.
- ٢ — أوطان: ويحوي قصيدتين إحداها تحية للملك عبد العزيز في ذكره الخمسينية، والثانية في الملك فيصل بمناسبة قدومه من أمريكا وأوروبا سنة ١٣٨٧هـ.

ثم قصائد عن جبل النور وأم القرى والمدينة المنورة وعكاظ والرياض.

- ٣ — الوطن العربي: والشعر في هذا القسم يتعلق بالجامعة العربية — وسورية ولبنان — والجلاء عن مصر والسودان — ومصر — وقناة السويس.

- ٤ — ثنائي قصائد تتعلق بفلسطين.

٥ - ثم مجموعة من الأناشيد كنشيد العلم، ونشيد الطيران، ونشيد الملك، ونشيد أمة العرب، إلى آخر الأناشيد وهي اثني عشر.
تلك محتويات الجزء الأول، ويحوي الجزء الثاني:

٦ - أشجان: وهي قصائد متنوعة منها: قال الصديق، والعام الجديد، وآلام قلب، والعباءة والعقال، والنفس المغتربة، وثورة اليأس، إلى آخر تلك الأشجان.
٧ - ألحان: ١٤ قصيدة تعبر عن عواطف مختلفة منها: زفرة البين، والحب الضائع، والقلب المحزون، وطبيرة الردف، وهيب النفس، والشاعر والشاعرة، وغيرها.

٨ - ثم ألوان: ١٩ قصيدة في موضوعات مختلفة منها: المعهد العلمي، وأشبال الكنانة، ورهين المحسّين، والدكتور طه حسين، والشعر الحر، ونداء الروح، وغيرها.

أما طباعة الديوان فحدث عن حسنها ولا حرج، جودة ورق، ووضوح حروف، وأناقة رسوم.

وصدر هذا العام (بدون ذكر تاريخ الطبع، في جزئين بلغت صفحاتهما: ٢١٦+٣٠٤=٥٢٠ عن (شركة مكة للطباعة والنشر) في مكة المكرمة.

■ شعر إبراهيم أمين فودة:

ليس الأستاذ إبراهيم أمين فودة بحاجة إلى التعريف، فهو من أبرز أدباء المملكة وشعرائها («العرب» س ٥ ص ٦٧٩) وهو رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي، رئاسة بانتخابٍ لثلاث دورات متتالية منذ تأسيس النادي حتى الآن.
وقد صدر له:

١ - حديث إلى المعلمين.

٢ - المهمة الصعبة

٣ - الرياضة والهدف

٤ - الشاعر المحسن.

وهي رسائل موجزة تحوي آراء على جانب من العمق والاصالة.

ثم صدر للأستاذ ابراهيم مجموعة شعر في خمسة دواوين، هي:

١ - مطلع الفجر:

وكان قد طبع سنة ١٣٦٩هـ ولكنه لم يوزع لظروف خاصة، وقد قدم هذا الجزء الأستاذان محمد حسن فقي ومحمد حسن عواد - رحمه الله - وهو مقسم إلى ثمانية أقسام:

- | | |
|----------------------|----------------------|
| ١ - في معترك الحياة. | ٥ - من منظر أسود. |
| ٢ - مجال قلب. | ٦ - شعر معقول. |
| ٣ - من نشيد الطبيعة. | ٧ - مع الرفيق الأعلى |
| ٤ - صدى النفس. | ٨ - مسك الختام. |

ويقع هذا الديوان في ٢٦٢ صفحة.

٢ - مجالات وأعماق:

وهذا هو الديوان الثاني للأستاذ ابراهيم، كتب مقدمته الأستاذ الشاعر ضياء الدين رجب - رحمه الله -.

ويحوي قصائد متنوعة للمناسبات فيها مكان بارز، وللإخوانيات والشؤون الخاصة.

ويقع في ٣١٣ صفحة.

٣ - صورة وتجارب:

وهذا القسم أحفل أقسام الديوان بالحكم، وألصقها وأعماقها بالتفكير المتاني، فجعل ما فيه صادر عن أثر تجارب وطول معاناة لما لهذه الحياة من أحوال متغيرة.

ويقع هذا القسم في ٢٦٦ صفحة.

٤ - حياة وقلب:

افتتح بجملته: (اهدائه إلى الحب في معناه، أهدي ترنيمة حب).

ولا يكاد يتجاوز محتوى هذا الديوان ما خصص له وافتتح به من قول الشاعر:
الشعر الحان ومو سيقى يؤلفها شعور مستهام
فهو يصور جوانب عاطفية.
ويقع في ٣٣١ صفحة.

٥ - تسبيح وصلاة:

جل ما يحويه هذا القسم من شعر الأستاذ إبراهيم يتعلق بالحياة الروحية، ففيه مقطوعات كثيرة بعنوان: نَجْوَى السماء، وأخرى بعنوان: في رحاب النبي ﷺ.
ثم تأتي المراثي وهي سبع عشرة قصيدة (أو مقطوعة). ثم قصائد اختار لها الشاعر عنوان: (زفرات) وهي تعبر في مجموعها عن حالات نفسية، منها: جنى العمر - لحظة ضعف - نَجْوَى نفس - جراح وضهاد - غربة - تزويج البنات - سخرية الزمن - السبيل الوعر - مدارات - في لحظة صمت - وختمها بمقطوعتي: أرجو لقاء الله! - وتصميم.

ويقع هذا القسم في ٣٢٣ صفحة.

هذه الأقسام الخمسة من شعر الأستاذ إبراهيم، صدرت عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) وطباعتها حسنة ولم يذكر اسم المطبعة.

■ معجم أسماء النباتات في منطقة جازان:

هذا الكتاب طريف في موضوعه، فقد حاول صديقنا الأستاذ المؤرخ محمد بن أحمل العقيلي أن يضع معجماً يحوي أسماء النبات وتحلية كل ما يعرفه من أنواعه حين اقترح عليه ذلك الأستاذ حمد بن محمد العبيدي المتوفى سنة ١٣٩٢هـ - رحمه الله - فوضع لبنات قوية في أساس ذلك البناء في هذا العهد، حين نشر كتاب «معجم أسماء النباتات في منطقة جازان» الذي تبلغ صفحاته ١٦٨ من القطع الصغير، ولم يكتف بما أورده من أسماء النبات مرتباً على حروف المعجم بضبط الاسم ووصف النوع، وإيراد اسمه باللغة اللاتينية، بل أضاف إلى ذلك صوراً لبعض النباتات.

وقد يلاحظ بعض القراء الاختلاف في التسمية بل في الوصف كما يلاحظ ورود أسماء بعض النبات التي قد يستغرب وجودها في تهامة من أشجار العضاء وغيرها وكذا العرفج. مما قل أن ينبت في غير بلاد نجد ومهما يكن الأمر فإن الأستاذ العقيلي قدم للقراء ثمرة دراسة نافعة.

وقد صدر الكتاب في العام الماضي (١٤٠٥هـ) بمطابع (دار البلاد) في جدة..

□ تاريخ ينبع:

ويتابع ابننا الكريم الأستاذ عبد الكريم بن محمود الخطيب الينبعي البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق ببلادنا الحبيبة بلاد ينبع من نصوص وأخبار في كتب المتقدمين والمتأخرين فيسجلها، ثم ينشرها في كتاب صدر حديثاً باسم «تاريخ ينبع»، حوى مباحث متنوعة عن هذه البلاد في فصول خمسة:

- ١ - الأول: عن تاريخ ينبع.
- ٢ - الثاني: عن الحياة العامة.
- ٣ - الثالث: عن الحسينين في ينبع.
- ٤ - الرابع: عن تاريخ ينبع السياسي.
- ٥ - الخامس: ينبع في كتب الرحلات.

وقد رجع فيما جمع إلى نحو خمسين كتاباً، سرد أسماءها في آخر كتابه الذي زينه بعدد من الصور. ويقع هذا الكتاب في ٣١٢ صفحة، وقد صدر عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

وقد علمت «العرب» من المؤلف الكريم أنه لا يزال يواصل أبحاثه ودراساته ليضيف إلى هذا الكتاب كل ما يعثر عليه مما يتعلق بموضوعه، وهذا جهد لا شك أنه جدير بالتقدير، وبالأمل بأن يبلغ صاحبه إلى نتائج طيبة لكي يصبح كتابه مرجعاً من يُعنى بدراسة هذا الجزء الحبيب من بلادنا الكريمة.

فهارس السنة العشرون

١ - الكتاب والمعلقون	٢ - الموضوعات العامة
٣ - الأعلام	٤ - الأسر والقبائل والجماعات
٥ - الكتب والصحف والمجلات	٦ - المواضيع

أولاً : الكتاب والمعلقون والمؤلفون

٥٧٣	فهد بن محمد الربيعان	٤١٠	إبراهيم السامرائي (د)
٦٩٩	ماجد بن طاهر المطيري	٧١٥	إبراهيم بن عبدالرحمن الصنعوني
٨٥١	محمد أديب السلاوي	٥٥٥	إدريس بن الحسن العلمي
٨٤٤	محمد بن سعد الحميدي	١٢٤/٩٤/٨٧/٤٦/٢٧	حمد الجاسر
٨١٠	محمد سعيد المسلم	٥١١/٥٠٢/٤٨٥/٤٥٧/٣٨٦/٢٩٢	
٢٣٠	محمد سليمان السديس (د)	٨٣٧/٨٣٣/٧٣٥/٧١٠/٦٩٠/٦٨٢/٦٤٦/٦٢٧	
٦٧٦/٦٥٢	محمد بن عبدالعزيز الدباغ	٨٥٥	حمود بن عبدالعزيز القصير
٥٩١/٣٦	محمد عبده يماني (د)	٧٠٠	راشد بن حمدان بن راشد الأخوي
٥٧١	محمد بن علي الحثري	٨٥١	سليمان بن عبدالله النقيير
٢٨٠/١١٩	محمد بن موسى الحازمي	١٣٩	عبد الله بن سعيد الصنفار
٨٤٤/٦٩٠/٥٤٩/٤١٤		٦٠	عبدالله بن سليمان بن منيع
٤٢٣	مروان العطية	٥٤	عبدالله بن عبدالرحمن الجاسر
٤٨	ناصر بن حمد الراشد	٧٥٣	عبدالله محمد الحبشي
٨٥٢	يحيى خبيري	٧٦٢	عبدالله بن محمد أبوداهش (د)
٦٣١/٤٨٦	يحيى الخشاب (د)		عظاالله بن ضيف الله
٨١٩	يحيى محمود ساعاتي (د)	٧١٥/١٣٧	الرشيدي
٤١٣/١٢١	يوسف شلحد (د)	٣٧١/١١	علي جواد الطاهر (د)
٦٩٦/٥٢٧		٥٧٤	علي بن عبدالله الدفاع (د)

ثانياً : الموضوعات العامة

الأعراف اليمنية وصلتها بالفضاء	٧٣٧	ابن حجر العسقلاني في اليمن
القبلي	٨٤٨	أمرتا النقيير والأطرم من المشاعيب
أغاليط الدكتور الصليبي الجغرافية	٤٠٣	أشعار الخليل الحسين بن الضحاك

٧١٦	آل سلطان من الحرقان من عبيدة
	الشعر العربي القديم في
٦٧٧	المؤلفات اليمنية
	شهاب الدين عمر الجازاني كاتب
٨٥٢	مغمور من جازان
٧١٥	الصعائين من الموهة من مطير
١٤٠	العامر في القصص
١٤٢	عبدالرحمن بن سعدى : نسب
١	العرب في عامها العشرين
٤٧	عرفات : حديثها الشرعية
٨١١	علي جواد الظاهر والمعجم المطبوعات
٨٥١	علي بن موسى مؤلف رسالة «وصف المدينة» ...
	غرائب التنبهات على
٩٤	عجائب التشبهات
	فضائل أم القرى حقائق ثابتة: (حول مساجد مكة المكرمة)
٧١٧	القبة لا (القيصة) من حرب
	كشف الحجب والستور عما وقع لأهل
٤٢٣	المدينة مع أمير مكة سرور
٧٦٧/٥٩١	
	ما اتفق لفظه واقترب مساه من
٥٤٩/٤١٤/٢٨٠/١١٩	أسماء المواضع
٨٤٤/٦٩٠	
	مساجد مكة المكرمة: (حول مساجد مكة)
٧٠٠	المساعد من بني عقبة
٧١٠	المضاربة : سكان أبانين
٣٥٨	المطابع في المملكة
٦٩٣	مطير : فروعها وأفخاذها
١٣٨	مع القراء في أسئلهم وتعليقاتهم
٨٤٨/٧١٥/٥٧٢/٤١٩	
٥٥٣	مع المعجم الوسيط في طبعته الثانية
	المعجم الجغرافي للمنطقة
٨٢٠/٦٣٢/٥٣٨/٢٧٢/٧٠	الشرقية
٨١	مقنا البلدة الأثرية والأغلاط حولها

٤١٩	أنيف النبهاني .. لا النهشلي
١٤٠	(لوه) هل الكلمة عربية؟
٥٥٥	بلاد هذيل
	البلدانيات الحديثة من مصادر
٧٢١	الدراسات الجغرافية
٢٨	بل ولد في مكة
	تاريخ المدينة المنورة لعم
٦٨٣/٤٥٨/٣٧٢	ابن شبة النعمري
٨٨	التبيين في أنساب القرشيين
١٤١	الترابين من بني عطية من جذام
٢٨٩	حباشة : أشهر أسواق تهامة قديماً
٨٣٤	الحجبون : مرة أخرى
٨٥٢	الحمادا والمريزيق من بني وائل
٨٣٨	الحمدية : من فروع ثقيف
	حول مساجد مكة المكرمة :
٦٤١	(فضائل أم القرى حقائق ثابتة)
٥٠٢	حول المعجم الكبير
٣٧	حول الموصلد .. مرة أخرى
	حياتنا الأدبية الحديثة من خلال دراسة
٢٩٤/١٤٥	مظاهرها
٢٣٠	الحيوانات في بلاد الرولة
٥٧٤	الدفاع من آل عويد
٣٥٥	دور النشر في المملكة
٥٧٢	آل ريعان من العربيات
٧٧٥	رحلة فتح الله الصائغ إلى البادية
	رحلة ناصر خسرو بين جامعتي
٦٠٩/٤٨٦	القاهرة والرياض
	رحلة ناصر خسرو - ترجمة
٦٢٨	الذكور البدلي
٣٨٧٢٦٤/١٠٨	رحلة الوزير الإسحاقى إلى الحج ...
٦٤٧/٥٢٨	
١٢٥	بنو رشيد : فروعها وبلادها
٤٢٤	رمح الجميلات في فوسهم

إلى الحجاز ٦٥٠
نعم ولد علي في مكة المكرمة ٥٧
نقد وتعليق: المعجم الجغرافي ٧٩٨
هذيل : أوردتها وجبالها وقراها ٥٥٥

مكتبة العرب ٥٧٥/٤٢٩/٢٨٦/١٤٣
٨٥٥/٧١٧
موقف أدباء الجزيرة من الحملة
الفرنسية على مصر ٧٥٤
نصوص وهوامش: رحلة الوزير الشرقي الإسحاقى .

ثالثا : الأعلام

أحمد شوقي ٢٠٦
أحمد الصالح ١٨٠/١٧٨
أحمد عبد الجبار ٣٢٢
أحمد عبدالغفور عطار ٢٠٨/١٨٤
٣٢٨/٢٢٧/٢٢٢
أحمد العربي ٣١٦/١٦٢/١٥٢
أحمد علي ٣١٩
أحمد فرح عسيلان ١٧٥
أحمد فقيه ١٧٨
أحمد قنديل ٣١٨/١٦٧/١٦٢
أحمد محمد جمال ٣٢٨
أحمد محمد الضبيب (د) ١٤٧
٣١١/٢٢٩/١٦٤
أحمد بن محمد المنثور ١٥٢
أحمد محمود مبارك ١٨٢
أحمد الملا ١٧٩
أدونيس ١٧٠
أسامة عبدالرحمن ١٧٠
أسعد سليمان عبده (د) ٤٣١
اعتدال عطيسوى ٢١٤
ألوس موزل ٢٨٣/٢٦٢/٢٣٠
أمجاد محمود رضا ١٩٣
أمل محمد شطا (د) ٢٠٤
أميرة علي المدلح ٣٣٣

آمال حمزة مرزوقي ٢٣٥
إبسام جفري ٢٩٩
إبراهيم أنيس ١٧٣
إبراهيم الشورى ١٥٣
إبراهيم عبدالقادر المازني ٣٠٦
إبراهيم فسودة ٨٦١/٢٠٩
إبراهيم فوزان الفوزان ١٥٧
إبراهيم الناصر ١٩٦
إبراهيم هاشم فلالي ٣٠٧/١٨٤/١٦٧
أبو تراب الظاهري ٢٢٢
أبو جهيم بن الحارث ٢٨٣
أبو عبدالرحمن بن عقيل ٢١٨/١٩١/١٨٨
٣٣٢/٢٢٢/٢٩٦
أبو البركات بن الأنباري ٣١٢
أبو علي الفارسي ٣١١
أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسي ٣١١
أحمد إبراهيم الغزاوي ١٦٢/١٥٢
أحمد خالد البدلي (د) ٤٨٦/٢٢٩
أحمد رضا حوحو ٢٢٧
أحمد بن أبي رياش القيسي ٣١٣
أحمد زكي كمال (د) ١٦٤
أحمد سباعي ١٦٨/١٦٢/١٦١/١٥٢
٢٠٧/١٨٣/١٨٢
٣٢٧/٣١٨/٣١٧/٢٢٤/٢١٩
٣٤٩

٢١٥ حسن سراج
 ٣١١/٢٢٢ حسن شاذلي فرهود
 ٢٢٤/٢٢٣ حسن آل الشيخ
 ٢٠٩/١٧٠/١٦٩ حسن عبدالله القرشي
 ٣١٢ حسن محمد باجودة (د)
 ٣١٩ حسن محمد كسي
 ٣١٩ حسن نصيف (د)
 ٣٢٨ حسين باسلامة
 ٣١٧ حسين خزندار
 ٣٢٢/٣١٦/٢٠٧/١٦٢ حسين سراج
 ١٧٠/١٦٧/١٦٢ حسين سرحان
 ٣٠٨/٣٠٧/١٨٥
 ٣٠٧/١٧٠ حسين عرب
 ٢١٩ حسين عبدالله محضر
 ١٩٨/١٩٧ حسين علي حسين
 ٣١٣ الحسين بن علي النمري
 ٣٢٨ حسين محمد نصيف
 ١٩٧ حسين هاشم سالم
 ٢٠٥ حصه التويجري
 ١٩٣ حصه محمد صالح الشبل
 ٢٢٤/٢٢٢/٢٢١/١٧٤/٢ حمد الجاسر
 ٣٥٣/٣٤٥/٣٣٠/٣٢٩/٣٢٠/٣٠٠
 ٣١٦/١٥٢ حمد الحجري
 ١٩٧ حمزة أبو الفرج
 ٢٢٨ حمزة بوقري
 ١٦٧/١٦٦/١٦٢/١٥٢ حمزة شحاته
 ٣٢٠/٣١٤/١٦٨
 ٣٠٣ حمود البدر (د)
 ١٩٣ حياة عبدالحميد عنبر
 ٢١٧ خالد الفرج
 ١٧٨ خديجة العمري
 ٣٠٣/١٩٧ خليل إبراهيم الفزيع
 ٣٢٨ خير الدين الزركلي

١٩٣ أميمة عبدالله الخميس
 ١٨١ أميمة خوجة
 ١٦٨ أمين الريحاني
 ١٩٧ أمين سالم رويحي
 ١٩٧ أمين عبدالمجيد
 ١٦٢ أمين بن عقيل
 ٣٢٩/٣٢٨ أمين مدني
 ١٧٠ أنس عثمان
 ٤٢١ أنيف بن حكيم الطائي النيهاني
 ٤١٩ أنيف بن زيان النهشلي
 ١٩٣ إيمان الديباغ
 ١٦٩ بدر شاكر السياب
 ١٦٤/١٥٨ بكري شيخ أمين
 ٢٨٦ بوركهسارت
 ٢٨٧ بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن
 ١٩٣ بهية بوسبيست
 ٢٨٨ تأبط شرا: (ثابت بن جابر)
 ٥٣١ تاج الدين بن عارف المنوفي
 ٣٣٣ ثريا حافظ عرفة
 ١٨١ ثريا قابيل
 ١٩٧/١٧٨ جار الله الحميد
 ١٦٨ جبران خليل جبران
 ٢٠٥/١٩٣ جميلة فطاني
 ٢٠٥ جواهر عبدالله العموس
 ٢٢٧ جورجول
 ١٨١ الجوهرة العلي: (ريم الصحرار)
 ٢٠٥ جوهرة المزيدي
 ١٧٦ حاتم الصكر
 ٣٢٨ حافظ وهبه
 ٣١٦/١٩٦ حامد دمنهوري
 ٣١٧/١٦٢/١٦١ حامد كعكي
 ١٩٧ حجاب يحيى الحازمي
 ٣٤١ حسن جمال الريكي

صالح محمد العمرو ٢٣١
 صفية بن زقر ٢١٣
 صلاح عبد الصبور ١٧٠
 ضياء الدين رجب ٣٠٧
 طاغسور ٢٢٧
 طاهر زمخشيري ٣٠٢/١٧٠/١٦٩
 طاهر عوض سالم ١٩٨
 طه حسين (د) ٣٠٦
 طهفة بن أبي زهير التهدي ٥٠٦
 ظلال محمد رضا (د) ٢٣٥
 عابدية إسماعيل خياط ٣٣٥/١٩٣
 عاشق عيسى الهذال ١٩٧
 عائشة زاهر أحمد ٢٠٤
 عباس طالع طاشكندي ٣٣٥
 عبد الإله البابطين ١٧٨
 عبدالحق نقشبتي ٣١٦/١٦٢
 عبدالحليم رضوي (د) ٢١٣
 عبدالحميد عنبر ٣١٧/١٦٢
 عبدالحميد المعيني ٣١٣
 عبدالرحمن بن إبراهيم الحفظي ٣١٤
 عبدالرحمن الأنصاري (د) ٣٣٠
 عبدالرحمن بن سعدي ١٤٢
 عبدالرحمن الشاعر ١٩٦
 عبدالرحمن الشامخ ٣٥٠
 عبدالرحمن شكري ١٦٨
 عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ٣٤٢
 عبدالرحمن العبيد ١٦٣
 عبدالرحمن العتيق ١٩٨
 عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ٢٣٨
 عبدالرحمن المعمر ٣٠١/٢٢٧
 عبدالرحيم أبو بكر ١٥٩/١٥٧
 عبدالسلام طاهر الساسي ٣٠٥/١٦٢
 عبدالسلام عمر ٣١٧/١٦٢
 عبدالسلام هاشم حافظ ٢٠٩

خيرية إبراهيم السقاف ٢٠٣/١٩٢
 دينار رشدي ٢١٤
 راشد الخلاوي ٣٢٢
 رجاء النقاش ١٨٧
 رقية الشيب ٢٠٥/١٩٣
 ريم الجرف ٢٩٩
 ريم الصحراء: (الجوهرة العلي)
 زاهر عواض الألمي ١٧٠
 الزبير بن يكار الزيري ٢٨٩
 الزبير بن العوام ٢٨٢
 زكي مبارك ٣٠٦
 زيد بن حارثة ٢٨٩
 زين العابدين بن سعيد المنوفي ٥٣١
 سارة سليمان أبوحميد ١٨١
 سباعي عثمان ٣٠٩/٢٠٠/١٨٧
 سرور أمير مكة المكرمة ٤٤٦
 سعاد عبدالعزيز المانع ٢٩٩
 سعد البواردي ١٨٤/١٦٩
 سعدالحديد ١٨٠/١٧٨
 سعد بن عبدالعزيز الروشد ٣١٣
 سعد بن عبدالله بن جنيد ٢١٨
 سلطانة عبدالعزيز السديري ٢٢٠/١٨١
 سلمى الكثيري ٢١٤
 سليمان الحماد ١٩٧
 سليمان بن عبدالوهاب ٣٤٤
 سميرة أحمد لاري ١٩٢
 سميرة خاشقجي ٣٣٦/٣٠٢/٢٠٣/٢٠٢
 سهيلة زين العابدين ١٩٣
 سيف الدين عاشور ١٥٢
 شريفة الشملان ٢٠٥/١٩٣
 شهاب الدين عمر الجازاني ٨٥٢
 شيرين حمزة شحانة ١٩٣
 صالح الاشقر ١٧٨
 صالح سالم باقارش ١٩٧
 صالح الشهران ١٨٠

عبدالله بن خميس ٢٢٢/٢١٧/١٧٠
 ٤٢٤/٣٣١/٣٢١/٣٠٩/٢٢٦
 عبدالله الخنيزي ١٦٩
 عبدالله الدفاع ٢٢٢
 عبدالله بن ردا ٢٢٠
 عبدالله الزيد ١٧٨
 عبدالله السالمي ١٩٧
 عبدالله سعيد جمعان ١٩٧
 عبدالله السكندرائي الضرير ٥٣١
 عبدالله الصالح العثيمين (د) ٢٣٠/٢٨٦
 عبدالله الصيخان ١٨٠/١٧٩
 عبدالله عبد الجبار ٢٠٨/١٥٧
 عبدالله عبد الرحمن جفري ١٨٧
 عبدالله بن عبد الرحمن البسام ٣٤٣
 عبدالله عبد الرحمن العتيق ١٩٧
 عبدالله عبد الرحيم عيلان (د) ٤٣٣/ ٣١٢
 عبدالله عبد الكريم الخطيب ٣٠٦/٢٠٨
 عبدالله عبد الوهاب ١٦٩
 عبدالله عقيل العنقاري ٣٣١
 عبدالله علي الزيدان ٢٦٢
 عبدالله بن علي القصيمي ٣٢٤
 عبدالله علي آل مبارك ١٦٣/١٥٧
 عبدالله عمر بلخير ٣١٦
 عبدالله فدا ٣١٧/١٦١
 عبدالله الفيصل (الأمير) ١٧٠
 عبدالله بن محمد أبو داهش ١٦٣
 عبدالله بن محمد بن حميد ٣٤٢
 عبدالله مرداد أبو الخير ٣٣٦
 عبدالله مناع ١٨٥
 عبدالله الناصر الوهبي (د) ٣٣١
 عبدالله نور ٣٠٩
 عبدالله بن يحيى الراعظ ٥٣١

عبدالعزیز أحمد ساب ١٩٨
 عبدالعزیز الأحيدب ٢١٨
 عبدالعزیز الخويطر (د) ٣٣٠/١٨٦/١٥٢
 عبدالعزیز الربيع ٣١٨/٢١٠
 عبدالعزیز الرفاعي ٣٢٨/٣٠١/٢٢٢/١٥٥
 عبد العزيز سعد العجلان ١٧٨
 عبدالعزیز صالح مشري ١٩٧
 عبدالعزیز آل سعود (الملك) ٢٠٧
 عبدالعزیز بن عبدالله بن باز ٣٤٥
 عبدالعزیز عبدالله الفدا ٢٢٩
 عبدالعزیز محمد الفيصل ٣١٢
 عبد العزيز مؤمنة ١٨٥/١٥٢
 عبدالعزیز بن ناصر المانع (د) ٢٨٧
 عبدالعزیز الهزاع ٢٠٩
 عبد الفتاح أبو مدین ٣٠٧
 عبد القادر عثمان ٣١٦/١٦١
 عبد القدوس الأنصاري ١٦٨/١٦٧/١٦٢
 ٣٥٣/٣٣١/٣٢٨/٣١٧/٣٠٠/٢٢٢/٢٢١/١٨٢
 عبدالكريم الجهيمان ٢١٩
 عبدالكريم بن حمد الحقييل ١٩٤
 عبدالكريم عودة ١٧٨
 عبدالكريم البرزنجي: (المظلوم) ٤٣٦
 عبد اللطيف النشار ٣٠٥
 عبدالله بن إدريس ١٧٠/١٦٥
 عبدالله ياخشويين ١٩٨
 عبدالله البسام ١٥٣
 عبدالله بوقس ٢١٥
 عبدالله جبر ١٧٠
 عبدالله الحامد (د) ٣١٤/١٦٣/١٥٧
 عبدالله الحصين ١٨٧
 عبدالله الحقييل ٣١٩
 عبدالله الحميد ١٧٠
 عبدالله خالد الحاتم ٢١٧

غزوة بدير ٤٣٠
 فائزة امين شاكر (د) ٣٠٢/١٩٣
 فاطمة المنديلي ٢٩٤
 فائز عبدالمجيد ١٩٧
 فتحية عمر حلواني ٣٣٥
 فؤاد حمزة ٣٢٨
 فؤاد الخطيب ٢٠٧/٢٠٦
 فؤاد شاكر ٣٢٨
 فؤاد عبدالحميد عنقاوي ١٩٨
 فوزية البكر ٢٠٥/١٩٣
 فوزية حسين مطر ٣٣٣
 فوزية ابو خالد ١٩٣/١٧٨
 فوزية عبداللطيف ٢١٤
 فوزية النريفي ١٩٣
 فهد الرشيد ٢١٨
 قماشة الجابر ٢٠٥
 قماشة السيف ١٩٣
 كعب الأحبار ٥٠٥
 كعب بن زهير ٣١٢
 لطيفة ابراهيم السالم ٢٠٥
 لقمان يونس ١٩٧
 ليلي عبدالرشيد عطار ٣٣٥
 ماجد الحسيني ١٧٠
 مائة محمد حامد الافندي ٣٣٥
 محمد ابراهيم جدع ١٧٠
 محمد بن ابراهيم آل الشيخ ٣٣٩
 محمد بن احمد طباطبا العلوي ٢٨٧
 محمد بن أحمد العقيلي ٣١٧/٢٢٠
 محمد بن أحمد عقيلة المكي ٥٣٠
 محمد اسماعيل الصيني ٢٢٢
 محمد البياري ٣١٧/١٦١
 محمد الثبيتي ١٨٠/١٧٩/١٧٧
 محمد جبر الحربي ١٨٠/١٧٩/١٧٧
 محمد جميل حسن ٣١٧/١٦١

عبدالوهاب آشي ٣١/٣١٥/٣٠٥/١٦١/١٥٢
 عبدالوهاب علي الحكمي (د) ٢٩٥
 عبدالوهاب النشار ٣١٧/٣١٦
 عبدالهادي محسن الفضلي ٣٦٧
 عبيد مدني ٣١٦/١٥٢
 عثمان بن سيار ١٦٩
 عثمان قاضي ٣١٧/١٦١
 عزيز ضياء ٢٢٢/١٨٥/١٦٨/١٦٢/١٥٢
 عدنان الخطيب (د) ٣٢٢/٣١٧/٣٠٥/٢٩٦/٢٢٨/٢٢٤
 ٥٥٣
 عزت عبدالمجيد خطاب (د) ٢٩٤/٢٢٢
 عزة فؤاد شاكر ١٨٢
 عصام خورقير ٢١٥
 علاءالدين اغا ٣١٢
 علوى طه الصافي ٣٠١/١٩٨
 علي أحمد باكثير ١٦٨
 علي جواد الطاهر (د) ١٤٥
 علي حافظ ٣٣٤/١٦٢
 علي الدميني ١٧٨
 علي ذو الفقار شاكر ٢٨٨
 علي بن عبدالعزيز الخضيرى (د) ٢٩٨
 علي علي مصطفى (د) ١٦٤
 علي محمد حسون ١٩٨/١٩٧
 علي بن موسى مؤلف رسالة
 «وصف المدينة» ٨٥١
 عمر باعلوي البار الحسيني ٥٢٨
 عمر صيرفي ٣١٧/١٦٢
 عمر عبد الجبار ٣٢٨
 عمر بن محمد سليمان القطان ٣١٣
 عواطف فيصل ياري ٣٣٥
 عهود الشبل ٢٠٥
 غازي القصيبي (د) ١٧٠/١٦٩
 غالب حمزة ابو الفرج ٢١٤

محمد عالم الافغاني ١٦٨
 محمد العامر الريمي ٣١٦/١٦٩/١٥٢
 محمد عبدالرحمن الشامخ ١٥٨/١٥٧
 ٣٦٥/٢٣٤/٢٢٩
 محمد بن عبدالله بن بليهد ٣٢٠
 محمد بن عبدالله بن حميد ٢٤٤/١٥٢
 محمد عبدالله مليباري ١٩٧
 محمد بن عبدالوهاب (الشيخ) ٢٤٤/١٥٧
 محمد العبودي ٢١٩
 محمد عبيد الحربي ١٧٨
 محمد عثمان الصالح ٢٢٩/١٦٢/١٥٧
 محمد علوان ٢٠٠
 محمد العلي ١٧٨
 محمد بن علي الأكوخ ٤٣١
 محمد علي رضا ٣١٧/١٦٢/١٦١
 محمد علي السنوسي ١٧٠
 محمد علي قطب ٢٢٧/١٥٢
 محمد علي مغربي ٣٢٢/١٩٥
 محمد العمري ٢١٧
 محمد بن عمر ٣٢٢
 محمد عمر توفيق ٣٢٨/٣١٩
 محمد عمر رفيع ٣٢٨/٢٢٠
 محمد عمر غرب ٣١٧/١٦٢/١٦١/١٥٢
 محمد العيد الخطراوي ١٧٠
 محمد الفهد العيسي ١٧٠/١٦٩
 محمد الماعوظ ١٧٠
 محمد بن محمد الاسفرايني ٢٨٨
 محمد بن محمد بن سليمان الرداني ٥٣٢
 محمد مطيع الحافظ ٤٣٠
 محمد المنصور الشقحاء ١٩٧
 محمد ناصر بن عباس ٢٣٤
 محمد هاشم رشيد ١٧٠
 محمد بن يحيى ٢١٧

محمد حسن باجودة ٣٤١
 محمد حسن باكلا ٢٩٤/٢٢٢
 محمد حسن عواد ١٦٦/١٦٢/١٦١
 ٣٠٤/٢٢٤/٢٠٨/٢٠٣/١٨٢/١٧٦/١٧٢/١٦٨
 ٣١٧/٣١٠/٣٠٧
 محمد حسن فقي ١٧٠/١٦٧/١٦٢
 ٣٢١/٣١٨/٣١٦/٣٠٨/٣٠٧
 محمد حسن كبي ٣٦٦/٣١٧/١٦٢
 محمد حسين زيدان ١٨٥/١٥٢
 محمد حسين نصيف ٣٢٨
 محمد حمد الصويغ ١٩٧
 محمد الدميني ١٧٨
 محمد زارع عقيل ١٩٧
 محمد بن زين بن عمير ٢١٩
 محمد زغلول سلام (د) ٢٨٧
 محمد زين العابدين البرزنجي ٤٣٣
 محمد سراج خراز ١٧٠
 محمد سرور الصبان ٣١٧/٣١٦/٢٢١/١٦١
 محمد بن سعد بن حسين (د) ٣١٧/ ١٦٣/ ١٥٧
 محمد بن سعد الشويهر ٢٨٦
 محمد سعد المشعان ١٧٠
 محمد سعيد علي الخنيزي ٣١٦/١٦٩
 محمد سعيد الشغفي ٣٣٠
 محمد سعيد العامودي ١٦٢/١٦١/١٥٢
 ٣٢٨/٣١٦/٢٢٢/٢١٤/١٨٥/
 محمد سعيد كمال ٢١٨
 محمد سليمان الشبل ١٧٠
 محمد شيخ حمدي ٣١٧/١٦١
 محمد صبحي ٣١٦/١٦١
 محمد صديق العوضي (د) ٢٩٤
 محمد صلاح خليدي ٣١٦/١٦١
 محمد الطبري ٥٣٣
 محمد بن طلال ١٩٧

٣٣٦ ندا
 ٢٠٢/١٩٧ نصر محمد عباس (د)
 ٢٨٢ النضر بن شميل
 ٢٩٩ نوال رواس
 ٢٩٩ نوال عبد المنعم قاضي
 ٢١٤ نوالي مصلي
 ٢٩٩ نورة صالح الشملان
 ٣٣٣ نورة بنت عبد الملك آل الشيخ
 ٢٩٩ رفيقة عبد المحسن الدخيل
 ٣٢٠ هاشم سعيد التميمي
 ٣٣٤ هاشم عبده هاشم
 ٢٠٤ هدى الرشيد
 ٢٨٢ الهرماس بن حبيب
 ٢٩٩ هند بدر
 ٢٠٣ هند صالح باغفار
 ٢٠٤ هيام محمد الكيلاني
 ٢١٩ يحيى إبراهيم الأكمعي
 ٢٠٠ يحيى حفي (د)
 ٣٠١/٢٩٨/١٩٧ يحيى ساعاني (د)
 ٣٣٥/٣٠٩
 ١٦٤ يوسف حسن نوفل (د)

٣١٢ محمود حسن زفني
 ١٦٤ محمود رداوي
 ٣١٤/١٨٥ محمود عارف
 ٢٢٦ محمود عبد الوهاب
 ١٩٧ محمود عيسى مشهدي
 ٣٣٣ مديحة أحمد درويش
 ٢٩٥/٢٩٤/١٨١ مريم البغدادي (د)
 المظلوم: (عبد الكريم بن محمد البرزنجي)
 ٣١٦/١٦٩/١٥٢ مقبل العيسى
 ١٩٧/١٦٤/١٥٧ منصور إبراهيم الحازمي (د)
 ٣٣٤/٢٢٩
 ٢١٤ منى القصبي
 ١٩٣ منيرة المسعود
 ٣٣٣ موسى بنت منصور بن عبدالعزيز
 ٢٩٩ نادبة عبيد
 ١٧٠/١٦٩ نازك الملايكة
 ١٦٩ ناصر بو حميد
 ٤٨٦ ناصر خسرو
 ٢١٣ ناصر بن سعد الرشيد
 ١٩٣ نائلة قسبي
 ٣٣٦ نجاة خياط
 ١٨٢ نجوى صلاح الغرابوي

رابعًا : الأسر والقبائل والجماعات

٢٦٠/٢٥٩/٢٣٩/٢٣٤/٢٣٠ الرولة
 ٥٢٩/٥٢٨ السرو
 ٧١٦ آل سلطان من الحرقان من عبيدة
 ٤٢٤ السنادي
 ٤٢٧ آل سويد
 ٧١٥ الصعانيين من الموهبة من مطير
 ٤٢٧/٤٢٤ الصنادحة
 ١٤٠ العامر في القصب
 ٤٢٧ الفلاليح
 ٧١٧ القبعة من حرب

٨٤٨ الأطرم والتغير من المشاعيب
 ٤٤٠ الأغصوات
 ٤٣٣ آل البرزنجي
 ١٤١ الترايين من بني عطية من جذام
 ٨٥٢ الحمادا والمرزيق من بني وائل
 ١٣٨ آل حسين
 ٨٣٨ الحمدنة : من فروع ثقيف
 ٥٧٣ الدفاعة من آل عريد
 ٥٧٢ آل ربيعان من العربيات من سبيع
 ١٢٥ بنو رشيد : فروعها وبلادها

٦٩٣	مطير : فروعها وأغراضها
٢٧٢	مناف بن دارم
٨٤٨	النقيير والأطرم من المشاعيب
٥٥٥	هذيل: أوديتها وجبالها وقراها

١٣٨	آل مرشد
٨٥٢	المرزوقي والحامدا من بني وائل
٧٠٠	المساعيد من بني عطية
٧١٠	المضاربة سكان أبانين

خامساً : الكتب والصحف والمجلات والمكتبات

٢١٩	الأمثال العامة في المنطقة الجنوبية
١٥٧	أمثال الميداني
١٩٦	أمطار
٣٠٧	أمواج وأنباج
٢٠٩	أم حديجان
١٨٣	أم القرى
٢٠٣	أن تبحر نحو الأبعاد
٣٢٩	أنساب الأسر المتحضرة في نجد
٣٢٥	الإنسان يمضي لهذا يصنع الحضارات
٣١٨	أيامي
٣١١	الإيضاح
٣٢٥	أيها العار إن المجد لك
٣٢٥	أيها العقل من رآك
٢٢٨	بائع التبغ
٣٠١	البحوث الإسلامية
٢٠٣	البراءة المفقودة
٣١٢	البردة
٣٠٤	بريد الحجاز
٢٠٤	بسمه من يحيرات الدموع
١٩٥	البعث
١٨٥	البلاد السعودية
٢٧٢	بلاد العرب
١٩٧	البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة
	تاريخ الدولة السعودية حتى الربع
٣٣٣	الأول من القرن العشرين
٣٣٣	تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف

٣١٨	أبو زامل
٣٣٤	الاتجاهات العددية والتوعية للدوريات السعودية ..
٢٦٢	أخلاق عرب الرولة وعاداتهم
١٦٤	أدباء السعودية
١٥٣	الأدب الحجازي الحديث
١٦٥	الأدب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية ..
٢١٧	الأدب الشعبي في جزيرة العرب
٢٢٠	الأدب الشعبي في الجنوب
١٦٣	الأدب في الخليج العربي
٣٠٥/ ٣٠٤/ ٢٢١/ ١٦٧/ ١٦٢	أدب الحجاز
٣١٧/ ٣١٦/	
١٦٩	الأديب
٣١٩	أربعون يوماً في المستشفى
٢١٧	الأزهار الندية
٢٨٩	الاستيعاب
٢٢١	إصلاحات في لغة الكتابة والأدب
٣٠٧	الأضواء
١٩١	اعترافات ذاتية
٣٢٨	إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام
٢٧٣	الأغاني
١٨٧	أفكار بلا زمن
٣٠١	أقرأ
٣٢٠	إلى ابنتي شيرين
٣١١	الأمثال
٢١٩	الأمثال الشعبية في مدن الحجاز
٢١٩	الأمثال العامة في مكة المكرمة

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة	٣٣٣
الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد	
السعودية من سنة ١٢٠٠ إلى ١٣٥١	١٦٣
الخاتم والكتاب	٢٩٤
خالتي كدريجان	١٩٥
الخبز والصمت	٢٠٠
الخراسانيون ودورهم السياسي	
في العصر العباسي الأول	٣٣٣
الخطبة والتكفير	٧١٩
الخفجي	٣٠١
الخليج العربي للبحوث العلمية	٣٠١
خواطير مصرحة	٣٠٤
الدارة	٣٠٠
دار المربخ	٣٣٢
دائرة المعارف	٢٤٦
دراسات تاريخ الجزيرة العربية	١٤٣
دراسة في اجتماعيات التربية	٣٣٥
دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة	
في ضوء الإسلام	٣٣٥
الدعوة	٣٠٢
الدفاع	٣٠١
دوائر في دفتر الزمن	٢٠٠
دور التعليم العالمي في التنمية الاقتصادية	
والاجتماعية بالملكة العربية السعودية	٣٣٥
الدولة السعودية الأولى	٣٣٠
ديكارت بين الشك واليقين	٣٢٢
ذكريات	٣١٩
ذكريات طفل وديع	٣١٨
رابطة العالم الإسلامي (مجلة)	٣٠١
راشد الخلاوي — كتاب —	٢١٧
رامز وقصص أخرى	١٩٦
الرجولة عماد الخلق الفاضل	٣١٤
رحلات حمد الجاسر	٣١٩
رحلات وذكريات	٣١٩
الرحلة الأخيرة	٢٠٤

تاريخ المدينة لابن شبة	٦٨٣/ ٤٥٧/ ٣٧٢
تاريخ مدينة دمشق — ترجمة عثمان بن عفان ..	٨٥٩
تاريخ مكة	٣٢٧
تاريخ ينبع	٨٦٤
تأملات في الأدب والحياة	٣٠٥
التأمينات الاجتماعية	٣٠١
التبصرة في القراءات	٨٥٨
التبيين في أنساب القرشيين	٨٨
التجارة	٣٠١
تجارة الرياض	٣٠١
تراجم علماء جدة	٣١٧
التصنيع والتحضر في مدينة جدة	٣٣٥
النضامن الإسلامي	٣٠٠
تقييم النمو والنشوء	٣٣٥
تنظيمات الحج ودوره في عصر المماليك	٣٣١
التوثيق التربوي	٣٠١
التوعية الإسلامية	٣٠١
الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية	٣٣٥
الجل الذي صار سهلاً	٣١٨
جروح جبين الحياة	٢٠٤
الجزيرة	٣٠٢/ ١٨٦
جسور إلى القمة	٣٢٢
جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ..	٨٥٥
جمهرة النسب	٤٢٩
جناية الشعر الحر	١٧٥
الجندي الإسلامي	٣٠١
الجيل	٣٠١
الحجاز تحت الحكم العثماني	٣٣١
الحجاز واليمن في العصر الأبوي	٧٢٠
الحج	٣٠٠
الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية	١٥٨
حركة إحياء التراث	١٥٧
حسن (مجلة)	٣٠٢
حكايات من الماضي	٢١٩
حماة الأمن	٣٠١

الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب	١٦٣
شقاء	٢٨٦
الشوق إليك	٢١٥
شوق وشوق	٣١٥
الشياطين الخرس	٢٠٨
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار	٣٢٠
الصقور	٣٠١
الصمت والجدران	١٩٩
صوت الحجاز	٣٠٤ / ١٨٣
صور من حياة الملك عبدالعزيز يرويها	
طلال بن عبدالعزيز	٣٣٣
صور من المجتمع	٢٢٠
الضياء (مجلة)	٣٠٢
طين ودم	١٩٦
عاشق لمار التاريخ	٣٢٥
العالم عام ١٩٨٤	٢٢٨
العالم ليس عقلاً	٣٢٤
عالم السعودية	٣٠٢
عالم الصناعة	٣٠٢
عالم الكتب	٣٠١ / ١٩٧
عالم الكتب والمكتبات	٣٠٢
عبث	٢٠٤
عبير الصحراء	١٨١
العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن	٣٣٣
العرب	٣٣١ / ٣١١ / ٣٠٠
العرب ظاهرة صوتية	٣٢٥
العرب في أحقاب التاريخ	٣٢٩
العصور	٣٣٢
العطاء الأكبر	٢٠٤
العقد الثمين من شعر ابن عثيمين	٣١٣
علماء نجد خلال ستة قرون	٣٤٢ / ١٥٣
علي بن مقرب العموني — حياته وشعره	٢٩٨
عهد الصبا في البادية	٢٢٨
غيار الشعر	٢٨٧
غار حراء	٢٠٩

رحلة الربيع	٣٢٠
رحلة الوزير الشرفي الإسحاقى إلى الحج	
	٢٦٤ / ١٠٨
	٦٤٧ / ٥٢٨ / ٢٨٧
الرسالة (مجلة)	١٨٣
رفات عقل	٣١٤
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر	٣٣٠
الروضة (مجلة)	٣٠٢
الرياض	٣٠٢ / ١٨٦
الزحف الأبيض	٢٠٥
الزنانق الحمر	٢٢٧ / ٢٠٨
السباعيات	١٨٤
السحب الوابلة على ضريح الحنابلة	٣٤٢
سرايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	٨٥٩
السراة (جريدة)	٣٠٣
السعد وعد	٢١٥
السعودية — مجلة	٣٠١
سفر نامه	٤٨٦
السلوك في طبقات العلماء والملوك	٤٣٠
سيلتي	٣٠٢ / ٢١٤
سير أعلام النبلاء	٥٧٥
شاعرات من البادية	٢٢٠
الشباب	٣٠١
الشرق	٣٠١
الشرق الأوسط	٣٠٢
الشرقية	٣٠٢
الشعر الحديث في نجد	١٦٣
الشعراء الثلاثة	١٦٢
شعراء الحجاز	١٦٢
شعراء الحجاز في العصر الحديث	٣٠٥ / ١٦٧
شعراء السعودية المعاصرون	١٦٤
شعراء بني قشير	٣١٢
شعراء نجد المعاصرون	٣٠٨ / ١٦٩
الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين . ١١٥ / ١٣٥	
	١٦٣

مااتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع	١١٩
٨٤٤/ ٦٩٠/ ٥٤٩/ ٤١٤/ ٢٨٠	
مأثورات شعبية	٢١٩
ماضي الحجاز وحاضره	٣٢٨
المتنبى شاعر العرب	٢١٥
المجلة	٣٠١
المجلة العربية	٣٠٠
مجمع الأمثال	٣١٢
مجمل اللغة	٨٥٨
محمد حسن عواد شاعراً	٧١٨
محمود تيمور والقصة القصيرة	٢٢٨
المختصر من كتاب نشر النور والزهر	٣٣٦
المدنية المنورة — جريدة	٣٠٢/ ١٨٥
مذكرات طالب	٣١٩
المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب	١٦٤
المملكة العربية السعودية	٣٠٣
المريد	٣٠٧/ ٢٠٨/ ١٨٤/ ١٦٧
المصاد	٣٠٢
المسائية	١٩٨
مظلات على الداخيل	٣١٣
معاني أبيات الحماسة	٥٣٨/ ٢٧٢/ ٧٠
المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية	٨٢٠/ ٦٣٢
معجم الأسماء الجغرافية	٤٣١
معجم أسماء النباتات في منطقة جازان	٨٦٣
معجم البلدان	٢٨٩
معجم القصيم	٢٧٥
معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان	٢٢٠
معجم ما استعجم	٢٩٠
معجم المطبوعات العربية — المملكة العربية	٨٥٧/ ٧١٧/ ١٤٥
السعودية	٢٢١
المعرض	٢٢٧/ ٢٠٨
المفتش	٢٨٦
ملاحظات على البدو والوهابيين	

غداً أنسى	٢٠٤
غداً سيكون الخميس	٢٠٤
غرام ولادة	٢١٥
غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات	٩٤
الغرفة التجارية	٣٠٢
غيداء المنفي	١٧٨
فرعون يكتب سفر الوجود	٣٢٥
فضائل المدينة	٤٣٠
فضائل بيت المقدس	٤٣٠
الفناء الباقي في رباعيات الخيام وغرامه أو	
فلسفة الكوز	٣٢٢
فن القصة في الأدب السعودي الحديث	١٩٧
الفنون الصغرى	٢٨٩
في ربوع عسير	٣٢٠
الفيصل	٣٠١/ ١٥٣
في الليل لما خلي	٢١٥
فيلسوف	٣٢١
قافلة الزيت	٣٠٠
القبلة (مجلة)	٣٠٤/ ١٨٣
قدر .. ورجل	٣١٦
قراءة في ديوان الشعر السعودي	١٦٤
قصص من تاغور	٢٢٨
قصص من سومرست موم	٢٢٨
الكافية	٢٨٨
كبرياء التاريخ في مأزق	٣٢٤
كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع	
أمير مكة سرور	٧٦٧/ ٥٩١/ ٤٣٣
اللائي الثمينة في أعيان شعراء المدينة	٣١٧
لباب الإعراب	٢٨٧
اللغة العربية بين القاعدة والمثال	١٨٩
اللقاء العربي	٣٠١
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب	٣٤١
لن تلحد	٣٢٢/ ٢٩٦/ ١٨٨
الليل والغرباء	٢٠٤

النظرية التربوية في الإسلام	٣٣٥
نفثات من أقلام الشباب الحجازي	١٨٤ / ٣١٦
التقائض	٢٧٥
وحي الصحراء	١٦٢ / ١٦٧ / ٣٢١
٣٠٤ / ٣٠٥ / ٣١٦ / ٣١٧ / ٣٢١	
وفاء العرب	٢٠٧
وفاء الوفاء	٢٨٣ / ٢٨٤
الهجرة	٢٠٩
الهدية	٢٠٤
هذا الكون ماضيه	٣٢٤
هذه حياتي	٣١٩
هذى هي الأغلال	٣٢٤
هكذا علمني ورد زورث	١٨٩
الهلال	١٨٣
هموم عربية	١٨٩
اليامة	١٨٦ / ٣٠٢
اليمن تاريخاً وحضارة	١٢١
اليوم	٣٠٢

الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت	٣٣٣
المنار	٣٠١
المناسك	٢٦٦ / ٢٨٤
من أحاديث السمر	٤٢٤
من أدب المرأة السعودية	١٩٤
من ذكريات مسافر	٣١٩
المنهل	١٦٨ / ١٨١ / ٢٠٨ / ٢٢٦ / ٣٠٠
٣٠٦ / ٣٣١	
مواد لتاريخ الوهابيين	٢٨٦
المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية وتعليم المرأة	٣٣٥
موجز من تاريخ الصحافة	٣٣٤
موسيقى الشعر	١٧٣
نبت الأرض	١٩٣
نبض	١٨٧
النجم الفريد	٢٢٨
نخبة الدهر	٢٢٧
الندوة	٣٠٢
النظرات اللاهثة	٣٢٢
النظرات اللاهية	٣٢٢

سادساً : المواضيع

الأشعر	٥٥٩
إضم	٥٠٤
أظافر	٥٥٩
أظلم	٥٦٠
الأعوص	٥٥٩
أم البرك	٢٨٤
أم الجرفين	٥٦٠
أم دوحه	٥٦٠
أم الزلة	٥٦٠
أم طلخر	٥٦٠
أم المحاري	٥٦٠
الأميلح	٥٦٠

أهام : (بام)	
أبيم : (ببم)	
أحباب	٥٠٣
الأحد	٢٩١
إحليل	٥٥٩
الأحيا	٥٥٩
أخياب	٥٠٣
أختاب	٥٠٣
أذاخر	١٢٠
إذخر	١٢٠
الأشعر	٥٥٩
الأشيب	٥٥٩

٥٦١	جرول
٥٦١	الجمرة
٢٨٢/ ٢٨٠	جلال
١١٩	جُلُجُل
١٢٠	جليل
١١٩	جَلِيل
٤١٧/ ٤١٥	الجماء
٥٥٠	جَمَاجِم
٥٥٠	جُمَاجِم
٥٤٩	جَمَار
٥٤٩	جِمَار
٤١٥/ ٤١٤	جَمَال
٤١٦/ ٤١٥/ ٤١٤	جُمَال
٤١٧/ ٤١٦/ ٤١٤	جُود
٤١٧/ ٤١٤	جُود
٢٨٥/ ٢٨٣/ ٢٨١	جمل
٨٤٧/ ٨٤٥	جناب
٦٩١	جنابا
٦٩٠	جنابة
٨٤٦/ ٨٤٤	جنفاء
٥٠٨/ ٤٨٩/ ٢٨٩	حباشة
٦٩١	حبايا
٥٠٦	حبر
٥٠٥	حبران
٥٠٧	الحبس
٥٠٧	حبس سيل
٥٠٨	حبيل المشاة
٥٠٩	حبون
٥٠٩	حبوني
٥١١، ٥١٠	الحبيا
٥١١	حبى
٨٤٥	حشاث
٣٩١	الحجر الأسود
٥٠٩	حجر

٥٦٠	أنف : (بيع أنف)
٢٩١	بارق
٥٦٠	بام (أبام)
٥٦١	بانة
٥٦١	بجلة
٥٦٠	بدالة
٥٦١	بطحان
٢٨٢	بقعاء
٥٦١	بلم
٢٨٥	بنو القين
٢٩١	بني شهر
	البرياء : (البهية)
٥٦١	البهية : (البرياء)
٣٩٢	البيت العتيق
٥٦١	بير الخيام
٥٦١	بسم : (أبسم)
٤١٨	تربان
٥٦١	تفتقان
٤١٦	تناصيب
٢٨٩	تهامة
٥٦١	التيس
٥٦١	ثلثان
٤١٦	الشم
٥٦١	الثنية
٣٩٨	ثور
٦٩٢	الجبابات
٨٤٧/ ٨٤٥	جباب
٦٩٢/ ٦٩٠	جبابة
٦٩٢	جبابة عزم
٦٩١	جبان
٦٩٠	جبانة
٣٩٦	جبل أبي قيس
٢٨٥	جبل العارض
٥٦٠	الجبلة

٢٩٨	دار أبي بكر الصديق
٢٩٧	دار خديجة
٢٩٨	دار الخيزران
٢٧٣	الديب
٥٦٣	الدحال السود
٢٧٣	الدحرض
٥٦٣	الدحيض
٥٦٣	دفاق
٥٦٣	الراضة
٥٦٣	راية
٢٨٢	الريضة
٥٦٣	الرتجة
٥٦٤	رخمان
٥٦٤	رخمين
٥٦٤	الرديم
٢٧٢	الرمادة
٢٨٥	رمل عاليج
٤٢٧	رنية
٢٣٧	الرواق
٥٦٤	رهجان
٥٦٤	الريان
٢٦٢	الريشة
	ربع أنف : (أنف)
٥٦٤	زاق (?)
٥٦٤	الزبارة
٢٩١	زرم
٥٦٤	ساق
٥٦٤	سان
٥٦٤	سيوكة
٥٦٥	سحار
٥٦٥	سدر
٢٤٤/ ٢٣٠	السرطان
٥٦٥	مقام
٢٨٤	السقيا

٢٣٠	الحجرة
٨٣٤	الحجون: (الحجون مرة أخرى)
٢٩٦	حراء
٥٦١	حراض
٤٥٢	حرب
٢٣٠	الحزل
٥٦١	حفايل
٢٨٣/ ٢٨٢/ ٢٨٠	حلال
١١٩	حَلَحَل
١٢٠	حَلَيْجِل
٢٩١	حلي
١٢٠	حليل
١١٩	حَلِيل
٥٤٩	جبار
٥٤٩	جَمار
٤١٥	حمام
٢٨٥/ ٢٨٣/ ٢٨١	حمل
٦٩٠	حنانة
٥٠٢	حواب
٥٦١	حورة
٥٦١	حوية هذيل
٥٦١	الحيا
٨٤٧/ ٨٤٤	حيفاء
٥٦٣	الخرار
٥٦٣	الخشاش
٥٦٣	الخشاع
٢٨٣/ ٢٨٢/ ٢٨٠	خلال
١٢٠	خليل
٤١٥	الخمأ
٤١٨	الخماء
٥٤٩	خمار
٥٦٣	خماس
٤١٨/ ٤١٧	الخمسان
٦٩١	خناتا

٢٧٢	طويلع
٥٦٧	ظبية
٥٦٧	العجوز
٥٦١	العجفا
٢٨٤	المرج
٥٦٧	عرعر
١٠٨/ ٤٧	عرفات
٢٨٢	عرفجاء
١٠٨	عرفة
٥٦٧	عروان
٥٦٧	عصم
٢٧٤	الموسجة
٢٨٣/ ٢٨١	عين جميل
٥٦٧	عين شمس
٥٦٧	الغريف
٢٨٢	غوطة بني لام
٥٦٨	الفرع
٥٦٨	فصعان
٥٦٨	الفوارة
٥٦٨	الفي
٢٨٤	فيد
٥٦٨	قانة
٥٦٨	قاوة
٥٦٨	قبل عيفان
٥٦٨	قرضة
٥٦٨	قرى عصم
٧٢	القعاميات
٢٤١	القمرة
٧٠	القعقاع
٧٢	قعمة
٧٢	القعيمة
٧٣	القفا
٧٣	قفاف الصمان
٧٤	القفيلة

٢٨٢	سلمى
٥٥٩	سمار
٢٧٣	السمراء
٥٦٥	سمر
٥٦٥	السودة
٥٦٥	سولة
٢٣٧	الشامة
٥٦٥	الشيكة
٥٦٥	شجي
٥٦٥	شداد
٥٦٥	الشرا
٢٨٢	الشرف
٥٦٥	شعار
٥٦٥	شفا آل خالد
٥٦٦	شفا زليفة
٥٦٥	شفا الطلحات
٥٦٦	الشقرة
٥٦٦	الصدر
٣٩٥	الصفاء
٥٦٦	صفية
٢٧٣	الصلبان
٥٦٦	صلب
٢٧٣/ ٢٧٢	الصمان
٥٦٦	صيف
٥٦٥	ضاف
٢٧٢	الضبعيات
٥٦٦	ضرعاء
٥٦٦	ضلعة
٥٦٦	ضهايا
٥٦٦	الضيقة
٥٦٦	ضميم
٥٦٧	الطحلا
٢٨٥	طويق
٢٣٧/ ٢٣٠	الطويل

٥٤٥	الكروغ
٥٦٩	كساب
٥٤٥	كسكوس
٥٤٥	الكمبة
٥٤٥	كفريه
٥٤٦	الكفلة
٥٦٩	الكفور
٥٤٦	الكلاية
٥٤٦	كلاخ
٥٤٧	كلج
٥٤٧	الكمعة
٥٤٧	كنزان
٥٦٩	كنشيل
٥٤٨	كنهرة
٦٢٢	كنهل
٦٣٦	كواكب شحم
٦٣٦	الكوت
٦٣٨	الكورغ
٦٣٨	الكويخا
٦٣٨	الكويكب
٦٣٨	الكهنة
٦٣٩	كهيلة
٦٣٩	كبيوس
٨٢٠	اللبا
٨٢٠	ليداء
٨٢١	اللبدة
٨٢٠	لين
٢٣٠	اللية
٨٢١	لحظة
٨٢٢	اللحي
٢٨٤/ ٢٨٣/ ٢٨١	لحي جمل
٨٢٢	اللدان
٨٢٢	لصاف
٨٢٥	اللصافة

٧٤	القلات
٧٥	القلاب
٧٥	القلت
٧٥	القلمة
٧٦	القليب
٧٦	القليية
٧٦	القليمة
٧٧	قمادى
٧٧	القمة
٧٧	القمية
٧٨	الفتنان
٧٨	الفتح
٧٩	الفتنذ
٢٧٢/ ٨٠	تنور
٢٩١	قنونا
٢٧٣	قر
٥٦٨	القويعة
٢٧٦	القوت
٢٧٧	القوس
٢٧٧	القوع
٢٧٣	قوين
٢٧٧	قهدية
٢٧٨	قهوة
٢٧٨	قياص
٢٧٨	القيصومة
٥٣٨	كاظمة
٥٦٨	ككب
٥٤٣	الكيب
٥٤٣	الكيب
٥٤٤	كحيلية
٥٤٤	الكدد
٥٤٤	الكدن
٥٤٥	كران
٥٦٩	الكر

٨١	مقنا: (مقنا البلدة الأثرية والأعلاط حولها)
٦٤١ / ٢٨٤	مكة
٥٧٠	مكة الرقة
٥٧٠	ملككان
٢٦٢	المملكة الأردنية الهاشمية
٢٧٤	النباج
٣٧٩	النجير
٥٧٠	نخلة الشامية
٥٧٠ / ٢٨٥	نخلة اليمانية
٥٧٠	نعمان
٥٧٠	النفلة
٢٤١ / ٢٤٠ / ٢٣٨	النفود
٥٧١	نمار
٥٧١	النوارية
٥٦٤	وادي بني عمير
٥١٠	وادي حبونا
٥٧١	الوسيلة
٥٧١	وصيق
٥٧١	وعاجل (٩)
٢٣٧	الهورج
٥٧٠	يدعان
٥٧٠	يعرج
٤٢٨	يعومة
٤١٦	يناصيب

٨٢٧	لطيظ
٨٢٧	لجباء
٨٢٨	لجبا
٨٢٨	لملع
٨٣١	لميمة
٨٣١	اللوى
٨٣٢	اللويحي
٥٦٩	مايد
٥٦٩	المبيرك
٥٦٩	المجاز
٥٦٩	المحضرة
٢٨٤	المدينة
٥٦٩	مرسى
٢٨٥	مر الظهران
٣٩٥	المروة
٣٨٧	المسجد الحرام
٦٤١	مسجد أبي بكر الصديق
٦٤١	مسجد بلال بن رباح
٦٤١	مسجد حمزة بن عبدالمطلب
٦٤٥	مسجد خالد بن الوليد
٦٤٢	مسجد الخيف
٥٦٩	المضيق
٥٧٠	المغمس
٣٨٨	مقام إبراهيم
٦٤٥	مقبرة خديجة

سابعاً : الشعر

١٨٠	بين الصمت والجنون
١٨٠	تهيجت حلماً .. تهيجت وهماً
١٦٩	جدران الصمت
١٧٥	جناية الشعر الحر
٣١٢	الحماسة
٢١٧	الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة
٣١٤	ديوان ابن بليهد

١٨٢	أشعة الليل
١٨١	أشهد الوطر
٢٠٩	أصدقاء الظروف (مسرحة)
١٧٨	الى متى يخطفونك ليلة العرس
١٨٠	انتفضي أيتها الميحة
١٨١	الأوزان الباكية
٢١٧	أهانج الحرب وشعر العرضة

فيا ودايرة المعارف اسلامي

٨٦١	شعر إبراهيم أمين فودة	٣١٢	ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي
٢٩٩	شعر أبي ذؤيب الهذلي	٣١٢	ديوان أبي النجم العجلي
١٤٤	شعر الحارث بن خالد المخزومي	٣١٢	ديوان أحيحة بن الجلاح
٣١٣	شعر معن بن أوس المزني	٣١٤	ديوان الأسكري
٣١٣	شعر يزيد بن الطثيرة	٣١٤	ديوان البيشي
١٨٠	عاشقة الزمن الوردية	٢٨٨	ديوان تأبط شرا وأخباره
٣١٣	العقد الثمين من شعر ابن عثيمين	٨٦٠	ديوان حسين عرب
٢٩٨	علي بن مقرب العيوني - حياته وشعره	٣١٤	ديوان الزللي
١٨٠	عندما بانث سعاد	٣١٧	ديوان السلطانيين
١٨٠	عندما يسقط العراف	٣١٤	ديوان سليمان بن سحمان
١٨١	عواطف إنسانية	٣١٦	ديوان الشعراء المقلين
٢٨٧	غيار الشعر	٣١٢	ديوان الصمة بن عبدالله القشيري
١٨١	عينك فذاك	٣١٢	ديوان عبدالله بن رواحة
١٦٤	فراة في ديوان الشعر السعودي	٢١٧	راشد الخلاوي - حياته وشعره
١٨٠	قصائد من السفر	١٨٠/١٧٨	رسوم على الحائط
١٦٩	قلق	١٦٧	روح الشعر العربي
١٨٠	كذب الراوي	١٨١	زهرة حنان
١٦٩	لمن؟	٢٢٠	شاعرات من البادية
٢١٥	المتنبى شاعر العرب	١٦٣	الشعر الحديث في نجد
٧١٨	محمد حسن عواد شاعر	١٦٢	الشعراء الثلاثة
	المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة	١٦٢	شعراء الحجاز
١٦٤	العربية السعودية	٣٠٥/١٦٧	شعراء الحجاز في العصر الحديث
٣١٣	معاني أبيات الحماسة	١٦٤	شعراء السعودية المعاصرون
١٧٣	موسيقى الشعر	٣١٢	شعراء بني قشير
١٨١	نداء	٣٠٨/١٦٩	شعراء نجد المعاصرون
١٨١	وعد القمر	١٦٣/١٣٥/١١٥	الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين
١٨٠	الهجرة من الغرفة المائية	١٦٣	الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب

٩٨٣٢٧٠

شماره ثبت

تاريخ ١٣٨٥/٣/١٠